"دراسة وتحقيق المخطوط

"قران القرآن بالبيان"

للشيخ كليم الله الجهان آبادي (1729م)"

(أطروحة قدّمت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها)



إعداد:

محمد فضل حق

رقم الجلوس: PHDARF07005

طالب الدكتوراه العربية.

إشراف:

الدكتور السيد محمد قمر علي زيدي

الأستاذ بقسم اللغة العربية،

جامعة بنجاب، لاهور

قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

العام الدراسي: 2007م – 2012م.

الإهداء

إلى

سيّدي وشيخي ومرشدي حضرة العلّام الفقيه الأعظم أبي الخير محمّد نور الله النعيمي القادري ــ قدّس سرّه العزيز ــ مؤسّس دار العلوم حنفيّة فريديّة بصير بور شريف، أوكاره.

وإلى

مرجع العلماء الربّانيّين، زبدة السلف الصالحين، برهان الإسلام والدين، أستاذي المكرّم، ملاذي الأفخم، فضيلة الشيخ، أستاذ العلماء والفضلاء، شيخ القرآن والحديث، حضرة العلّام المفتي محمّد محبّ الله النوري الأشرفي القادري ــ دامت فيوضاته العاليّة ــ رئيس دار العلوم حنفيّة فريديّة بصير بور شريف، أوكاره.

وإلى

والدي الكريم العلّامة الدكتور الحاج محمّد نواز النوري ــ رحمه الله تعالى ــ الذي لا ينساني في دعواته المستجابة أبدا، وكان أكثر الناس عليّ إخلاصا وشفقة، وأرحمهم إيثارا، كم كان تمنّى أن يتحلّى ابنه هذا بدراسات علياء، وكم كان دعا ربه لنجاحي في ذلك الغرض النبيل، اليوم لو كان نابضا بالحياة لكان أكثر الناس فرحاً واعتزازاً بما قام به من الجهد المتواضع ابنه هذا.

هؤلاء الذين نموا في نفسي حبّ العلم والأدب، زوّدوني وكثيراً من غيري بالعلم النافع، والأدب البارع، وبكل ما نحتاجه للعمل الصالح. وأفادوني بتربيّة صالحة ورعاية فائقة، فلذا أهدي هذا العمل المتواضع إليهم.

أُحِبُّ الصَّالِحِيْنَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُنِيْ صَلَاحًا

المحقق:

محمّد فضل حق

الشكر والتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيّبين، وأصحابه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد!

فإني ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عزوجل؛ فإيّاه أشكر أوّلا وآخرا، وامتثالا بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ﴾[1]، وكما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ))[2]. فلذا يجب عليّ أن أشكر لجميع هؤلاء الناس الذين ساعدوني وعاونوني باتّباع أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[3].

فأقدّم كلمات الشكر والتقدير، وعواطف الامتنان إلى جميع من أساتذتي الكرام بقسم اللغة العربيّة جامعة بنجاب، أوصلني الله إلى هذا المقام بحسن تأديبهم وتربيّتهم، فجزاهم الله عنّي وعن المسلمين خير الجزاء.

وأخصّ بالشكر الجزيل أستاذي الجليل، فضيلة الشيخ، الأستاذ الدكتور خالق داد ملك– حفظه الله مالك الملك– الرئيس بقسم اللغة العربيّة جامعة بنجاب بلاهور، قد أعطا لي عنايته الفائقة منذ الوهلة الأولى لاختيار المخطوط للدراسة والتحقيق، فكانت له بتوفيق من الله تعالى اليد الطولى في مساعدتي في خدمة هذا العمل المبارك، فقد منحني – حفظ الله تعالى – الكثير من وقته الثمين دون كلل أو ملل. فجزاه الله أحسن الجزاء.

وأيضا أستاذي المكرّم، ملاذي الأفخم، فضيلة الشيخ، الأستاذ، الدكتور، السيّد محمّد قمر علي زيدي– حفظه الله تعالى– المشرف على هذه الرسالة، وقد نفعني الله بملحوظاته الدقيقة، وآرائه السديدة، فقد كان بحقّ مشرفا ومربّيا، فلا أحسب أنّه ادخر جهداً في النصح والنصيحة، ولا أحسب أنّي أستطيع له مكافاة غير أن أدعو له الكريم الوهّاب أن يبارك في عمره، وعمله، وعقبه، وأن يجعل ما قدّمه للعلم وطلّابه في ميزان حسناته، إنّه قريب مجيب.

---

1 – سورة إبراهيم، الآية: 7.

2 – الترمذي: محمد بن عيسى، أبو عيسى، السلمي، (ت: 279هـ). سنن الترمذي: (ط–2، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ / 1975م). كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: 1955. 339/4.

3 – سورة المائدة، الآية: 2.

وهكذا لعمّال المكتبة بجامعة بنجاب، وفضيلة الشيخ السيّد محمّد أكرم شاه، كرهي أفغانان بمحافظة راولبندي، وفضيلة الشيخ العلّامة محمد عالم مختار حق بلاهور، محمود أحمد خان المحترم؛ صاحب مكتبة جهندير بمحافظة وهاري، ولجميع أصدقائي وزملائي؛ خاصّة الحافظ محمّد فاروق؛ المحاضر الكلّيّة الحكوميّة كوجره بمحافظة توبه تيك سنكه، والحافظ محمّد سرور؛ الأستاذ المساعد بجامعة بهاء الدين زكريّا ملتان، وصديقي الحميم غلام رسول المحترم، وعزيزي محمّد علي طاهر، ومحمّد شاهد بزمي حفظهم الله تعالى، وجزاهم الله أحسن الجزاء.

وقبل أن أختم هذه الكلمة لا يفوتني أن أشكر من أسرتي: خاصّة لأمّي الحنونة ودعواتها المستجابة التي لا تزال ترافقني كل حين، ومن الإخوة: على الرّأس الأخ الأكبر محمّد نورالحق النوري؛ الأستاذ بقسم الكيمياء؛ الكليّة الحكوميّة ساهيوال، والأخ الكبير الحافظ العلّامة محمّد أنوارالحق النوري. وهكذا عقيلتي الكريمة ناهيد أنجم؛ التي تحمّلت المشّاق العظيم، والتعب الكثير، وشاركتني في عمليّة هذا البحث من التسجيل حتّى المناقشة، ورحم الله سبحانه وتعالى كل من ساعدني بهذا العمل حتّى اللحظات الأخيرة.

فأسئل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء، ووفّقني الله وإيّاهم لما يحبّ ويرضاه، كما أسئل الله العظيم أن يزيدنا صبراً وإيماناً ونوراً وعلماً وتقوى وورعاً وزهداً وإخلاصاً وحبّاً وقرباً ورضاً، وأن يتقبّل منّا عملنا هذا، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمّد وآله وأصحابه أجمعين. (آمين).

رَضِيْنَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِيْنَا　　　لَنَا عِلْمٌ وَلِلجُهَّالِ مَالُ

فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ　　　وَإِنَّ الْعِلْمَ بَاقٍ لَا يَزَالُ

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى　　　وَيَبْقَى الدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ　　　يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

المحقق:

محمد فضل حق

26/ رمضان المبارك، جمعة الوداع 1435هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العلي المنّان الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، وأرسل رسله بالهداية والفرقان، وختم رسالته بخِيَرَة خلقه، وأشرف رسله ما فيه التبيان لكلّ شيء ليهتدي به الثقلان، وأشرف صلوات الله، وأطيب تحيّاته على صاحب القرآن، وعلى آله وأصحابه ومن اتّبعهم إلى يوم الدين بإحسان.

الدراسة التمهيدية:

قد اخترنا موضوع بحثنا للدكتوراه "دراسة وتحقيق المخطوط: قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي". ويتناول هذا المخطوط تفسير القرآن الكريم، فيناسب لنا أن نلتزم في هذا المقام أهمية ثلاثة أشياء بالإيجاز حسب موضوعنا، وهي:

أوّلا: أهمية اللغة العربيّة.

ثانيا: أهمّيّة تفسير القرآن ونشأة الأدب التفسيري في شبه القارة.

ثالثا: أهمّيّة المخطوط.

الالتزام الأول: (أهمية اللغة العربيّة)

فإنّ اللغة العربيّة لغة هامّة جدًّا، لأنّ الله تعالى قد نزّل بها القرآن الكريم، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾[1] فإنّ المسلم الصادق لايمكن أن يعيش دون القرآن الكريم، لأنّه في حاجة شديدة إليه، منذ نعومة أظفاره إلى آخر لحظة من حياته، لكي يستطيع أن يعمل على أحكامه، وهذا لا يمكن بدون أن يتعلّم اللغة العربيّة بالدقّة.

الالتزام الثاني: (أهمية تفسير القرآن ونشأة الأدب التفسيري في شبه القارة)

قبل أن نذكر أهمية تفسير القرآن ونشأته، يجب علينا أن نفهم معنى التفسير لغة واصطلاحا.

فالتفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُوْنَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيْراً﴾[2] أي: بيانا وتفصيلا، وهو مأخوذ من الفسر، وهو: الإبانة والكشف. ويقول الفراهيدي: "فسر: الفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسرا، وفسّره تفسيرا. والتَّفْسِرة:

---

[1] – سورة يوسف، الآية: 2.

[2] – سورة الفرقان، الآية: 33.

اسمٌ للبَول الذي ينظُر فيه الأَطِّباء، يُسْتَدَلُّ به على مَرَض البَدَنِ، وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ"[1].

وذكر ابن منظور الأفريقي معنى التفسير: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسِره- بالكسر- ويفسُره- بالضم- فسرا، وفسّره: أبانه، والتفسير: مثله ... والفسر: كشف المغطّى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل[2]. يقول الفيروز آبادي: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، والفعل كضرب ونصر[3].

وقال أبو حيان: ويطلق التفسير أيضا على التّعرية للانطلاق قال ثعلب: تقول: فسّرت الفرس: عرّيته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنّه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري[4]. وقيل: إنّ أصل الكلمة من التّفسرة، وهي الدليل من الماء ينظر فيه الطّبيب فيكشف عن علّة المريض، كما يكشف المفسّر عن شأن الآية وقصّتها[5].

التفسير اصطلاحا:

قد صرّح السيوطي: "هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكّيّها ومدنيّها، وبيان محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها

---

1 – الفراهيدي: الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، البصري، (ت: 170هـ). كتاب العين: (تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون سنة النشر). 248/7.

2 – ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، الإفريقى، (ت: 711هـ). لسان العرب: (ط-3، دار صادر، بيروت، 1414هـ). مادة: فسر. 55/5.

3 – الفيروزآبادى: محمد بن يعقوب، أبو طاهر، مجد الدين، (ت: 817هـ). القاموس المحيط: (ط-8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ / 2005م). مادة: الفسر. ص: 456.

4 – أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي، (ت: 745هـ). البحر المحيط: (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ). 1/ 26.

5 – (أ) البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، الشافعي، (ت: 510هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: (ط-1، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ). 1/ 68، (ب) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو الحسن، علاء الدين، (ت: 741هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل: (ط-1، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1415هـ). 12/1.

ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، ونحو ذلك"[1].

وقال أبو حيّان: "هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديّة والتركيبيّة، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التّركيب وتتمّات ذلك[2].

ويقول الزركشي: "التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنّحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النّزول، والناسخ والمنسوخ"[3].

وهناك عدة تعريفات أخرى، ولكن نكتفي على هذه الكلمات؛ التي ذكرها الذهبي: "أنّ علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية فهو شامل لكلّ ما يتوقّف عليه فهم المعنى، وبيان المراد"[4].

أهمية تفسير القرآن:

القرآن الكريم هو منهج الحياة، ودستور للمسلمين، فيه صلاحهم وفلاحهم إذ تكفّل بكلّ حاجاتهم من أمور الدين والدنيا من العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات وغيرها.

ففي اتّباعه الهداية، وفي الإعراض عنه الشقاء والذلّ وبه مخرج الأمّة من خصومها وجدالها، ونجاتها من الفتن يقول علي- كرم الله وجهه-: "قلت: يا رسول الله، ستكون فتن، فما المخرج منها"؟ قال صلّى الله عليه وسلم: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصّمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء،

---

1 – السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ). الإتقان في علوم القرآن: (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م. 4/ 194.

2 – أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي، (ت: 745هـ). البحر المحيط في التفسير: (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ). 26/1.

3 – الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله، بدر الدين، (ت: 794هـ). البرهان في علوم القرآن: (ط-1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1376هـ / 1957م). 1/ 13.

4 – الذهبي: محمد حسين، الدكتور، (ت: 1398هـ). التفسير والمفسرون: (مكتبة وهبة، القاهرة، بدون سنة النشر). 1/ 14.

ولا يخلق على كثرة الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به أفلح، ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم".

فكان الصحابة– رضوان الله عليهم أجمعين– حرّاصا على حفظ القرآن، وفهم معانيه، وفقه أحكامه.

قال أبو عبد الرحمن السّلميّ:

"حدّثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفّان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات، لم يجاوزوها حتّى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعا"[(1)].

وإذا كان العرب الخالص الذين لم تختلط عربيّتهم عجمة– يحتاجون إلى التفسير، فنحن أولى وأحوج، بل أشدّ حاجة إلى تفسير القرآن الكريم.

ما أحسن قول السيوطي: "ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه، وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم، فنحن أشدّ الناس احتياجا إلى التفسير"[(2)].

نشأة الأدب التفسيري في شبه القارة:

بعد شيوع الإسلام في شبه القارة الهنديّة، حصلت للغتي العربيّة والفارسيّة مكانة ممتازة، ولم يكن همّ علماء هذه المنطقة و صوفيائها الدعوة إلى الإسلام والإرشاد والهداية فحسب، بل إنّما كانوا يعنون عناية كبيرة بالتصنيف والتأليف، أنّ الفارسيّة بمكانتها حيث لغة رسميّة في الهند كانت تتمتّع باهتمام عامة النّاس، ولكنّ العربيّة لم تحرم أهميتها، ولم تتأخّر عن قرينتها في مجال العلم والأدب.

وصنّفت مصنّفات ممتعة بكلتيهما في جميع العلوم الأدبيّة والإسلاميّة، وكيف ساهمت الهند في هذا المجال يتبيّن من هذه الحقيقة أنّ ثمانية شروح عربيّة لمطوّل لتفتازاني صنّفت في الهند.

وجدت العلوم العربيّة والإسلاميّة تطوّرا هائلا في عصر السلطان شهاب الدين، والسلطان قطب الدين أيبك، وخاصّة في عصر السلطان زين العابدين، وهكذا في عهد المغول.

أقام أورنك زيب عالمكير السلطان المغولي لجنة العلماء، والمكتبة، ودار الترجمة، ودار التصنيف. وفي عصره ترجمت كتب عديدة من السنسكرتيّة والهنديّة إلى العربيّة والفارسيّة، ومن هاتين اللغتين إلى تينك

---

[1] – ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العباس، تقي الدين، الحنبلي، (ت: 728هـ). مقدمة في أصول التفسير: (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1490هـ / 1980م). ص:9.

[2] – السيوطي: المرجع السابق. 196/4.

اللغتين، أي: السنسكرتيّة والهنديّة. كان القرن الثاني عشر عصرا ذهبيّاً لنشر اللغة العربيّة، وتلقّيها وتطوّرها في شبه القارة الهنديّة.

تفاسير العربية لشبه القارة:

عنى أبناء هذه القارة الهنديّة عناية كبيرة بالعلوم الإسلاميّة، فصنّفوا باللغة العربيّة مصنّفات في الأدب العربي و العلوم الإسلاميّة، من التفسير وأصوله، والحديث والفقه وأصولهما، والكلام والمنطق والبلاغة والنحو والصرف وما إلى ذلك، ويبلغ عدد المؤلّفات في التفسير بالعربيّة مائة وستة وخمسين في رأي الدكتور سا لم قدوائي.

توجد ثلاثة و ثمانون منها في مكتبات الهند، و عشرة منها في مكتبة المكتب الهند، نجد ذكر ثلاثة وستين في المصادر، ولكن يد البحث والتحقيق لم تجد طريقها إلى العثور عليها. وذكر الدكتور زبير أحمد في كتابه "مفسري الهند وتفاسيرها بالعربية" أربعة وسبعين تفسيرا كلّها صنّفت بالعربيّة في شبه القارة الهنديّة.

أوّل تفسير في شبه القارة:

يعدّ "جواهر القرآن" لأبي بكر إسحاق بن تاج الدين معروف بابن التاج (م: ٧3٦هـ)، ثمّ لخّصه ابن التاج تفسير هذا باسم "خلاصة جواهر القرآن في بيان معاني القرآن.

علماء التفسير الآخرون:

علماء التفسير في شبه القارة نجد بعض العلماء الآخرين، لهم مكانة علميّة في علم التفسير، وهم:

١- الأمير الكبير علي الهمداني المتوفّ: ٧٨١هـ.

٢- السيد أشرف جهانكير السمناني المتوفّ: ٨٠٨هـ.

٣- الشيخ محمد يوسف حسن الدهلوي المتوفّ ٨٢٥هـ.

والذي يعمق النظر في المجال العلمي لهذا العصر، يتبيّن له أنّ لعلماء هذا العصر خدمات جليلة ممتازة، كان نشاط العلمي في هذا العصر وجّه خدمات في جميع مجالات العلم والأدب، ويتّضح مدى الحركة العلميّة أنذاك بذكر المساعي العلميّة، التي أدّيت في أدب التفسير في شبه القارة الهنديّة.

أهم التفاسير العربيّة:

ربّما لا يخلو ذكر أهمّ التفاسير العربيّة التي ألّفها علماء هذه القارة الهنديّة، فأردنا ثبتها هنا.

مؤلفات التفسير لذلك العصر، هي:

١- كاشف الحقائق و قاموس الدقائق، لمحمّد بن أحمد الكجراتي (م: ٨٢٠هـ)

٢- تفسير درر ملتقط، لسيّد محمّد كيسو دراز (م: ٨٢٥هـ)

٣- تفسير تبصير الرحمان و تيسير المنّان، لعلي المهائمي (م: ٨٣٥هـ)

4- تفسير محمّدي، لمحمّد بن أحمد ميان جيو (م: ٩٨2هـ)

٥- منبع عيون المعاني، للشيخ مبارك (م: ١٠٠١هـ)

6- سواطع الإلهام، لأبي الفيض الفيضي (م: ١٠٠4هـ)

7- الحاشية على البيضاوي، لصبغة الله بن روح الله، صنف في سنة ١٠١٥هـ.

8- أنوار الأسرار، لشيخ عيسى بن قاسم، صنف في سنة١٠٣١هـ.

9- الحاشية على البيضاوي، لعبد السلام اللاهوري، صنّف في سنة ١٠٣٧هـ.

10- الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي، لأبي بكر محي الدين عبدالقادر صنّف في سنة ١٠٣٨هـ.

11- تيسير التفسير، لابن أمير قاسم الجيلاني، صنّف في سنة ١٠61هـ.

12- زبدة التفاسير، للخواجه معين الدين الكشميري (م: ١٠٨٥هـ)

13- تفسير المظهري، لقاضي ثناء الله باني بتي (م: ١٢٢٥هـ)

14- فتح البيان في مقاصد القرآن، لنواب صديق حسن خان (م: ١٣٠٧هـ)

15- الحاشية على البيضاوي، لملّا عبد الحكيم السيالكوتي، صنّف في سنة ١٠68هـ.

16- تفسير القرآن، لشاه محمد البدخشي، صنّف في سنة ١٠٧٢هـ.

17- تفسير سورة الفاتحه، محمد نور الحق بن أنوار الحق، صنّف في سنة ١٠٧٣هـ.

١٨- تفسير سورة الفاتحه، لعبد الله بن عبد الحكيم صنّف في سنة ١٠٩٣هـ.

وقد اكتفينا بذكر التفاسير التي ألّفت في شبه القارة الهنديّة.

الالتزام الثالث: (أهمية المخطوطات)

أمّا المخطوط، فهو كلّ كتاب قديم، كتبه مؤلفه بخط اليد، سواء بخط يده أو بخط أيدي تلامذته، أو أحد النساخ من بعدهم. ومن الحقيقة، أن لا يمكن الإنكار عن أهمية المخطوطات العربية، لأنّ كلمة المخطوط تشير إلى علوم أسلافنا من الآباء و الأجداد، منذ وخلال مئات القرون. والمخطوطات، هي أمّات الكتب الحديثة، هي أساس حضارة للإنسان وصرح المدينة المعاصرة.

ومن الزمن القديم لانرى لهؤلاء العلماء أعمالاً علميًّا إلّا بالمخطوطات، فلهذه المخطوطات أهمية مؤثّرة دالّة على مكانتها الرفيعة في المجتمع الإسلامي، وكما نلاحظ أنّ العلماء العرب والعجم، قد قاموا بهذه الذخائر العلميّة العربيّة والأدبيّة، وبعد ذلك حقّقت وقدّمت عدّة من المخطوطات لنيل شهادة الماجستير، أو فلسفة ماجستير (أيم فل)، أو الدكتوراه العربيّة إلى جامعة أروبا وأمريكا، وبالإضافة إلى الجامعات الأخرى للعالم العربي والإسلامي.

اختيار الموضوع:

ومن الحقيق، أنّ أوّل ما يواجه طالب الدرسات العليا، هو اختيار الموضوع الذي يسجّله لرسالة الماجستير، أو فلسفة ماجستير (أيم فل)، أو الدكتوراه، واختيار الموضوع الصالح ليس عملا سهلاً؛ بل يحتاج إلى الاطلاع الواسع.

فعندما التحقت بقسم اللغة وآدابها بجامعة بنجاب، وأتممت الدراسة للسنة الأولى من الدكتوراه، وبعد ذلك إذا حان وقت اختيار الموضوع للبحث، فاخترت موضوعا "دراسة وتحقيق المخطوط: قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي" للبحث العلمي، كما أرشدني إلى هذا الاختيار، أستاذي المكرم، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور خالق داد ملك– حفظه الله مالك الملك– فقد قمت بهذا العمل العظيم تحت الإشراف أستاذي المكرم فضيلة الشيخ الدكتور السيّد محمّد قمر علي زيدي، الأستاذ بقسم اللغة العربيّة بجامعة بنجاب، والله الموفق على ما نريد.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

قد صدرت أبحاث كثيرة ومتنوّعة حول موضوعات مختلفة عن قسم اللغة العربيّة بجامعة بنجاب، ولكن هذا الموضوع "دراسة وتحقيق المخطوط: قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي" لم يسبق أن تناوله أحد في بحثه، ولم أتمكّن أيضا من الحصول على أيّ كتاب يتناول هذا الموضوع في مكتبة جامعة بنجاب، وغيرها.

سبب اختيار الموضوع:

هنا سببان لاختيار هذا الموضوع، وهما:

أولا: إبراز شخصية المؤلّف شبه القارة حيث كان عالماً عربياً، الذي كرّس جميع حياته للعلوم العربيّة ونشراتها؛ لكي نستطيع أن نعلم ماقام به أجدادنا الأسلاف من الأعمال العلميّة الكبيرة في ميادين تراث العربيّة والأدبيّة.

ثانياً: دراسة وتحقيق المخطوط: "قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي" حيث كان مخطوطاً عربيًّا، نادراً قيّما، وأساسيًّا في تفسير القرآن الذي ألّفه هذا المؤلّف في شبه القارة.

أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية خاصّة، لأنّ المؤلّف المذكور من أحد كبار المحققين بشبه القارة، قلّما يجود بهم الدهر، والشيخ كليم الله الجهان آبادي كان ضليعا في علوم اللغة العربيّة وآدابها من النحو والصرف واللهجات العربيّة المختلفة، وكان على قدم راسخة في العلوم المتداولة في عصره من التفسير

والحديث، والفقه، والتاريخ، والسيرة النبويّة، وعلوم القرآن وغيرها. وكما أنّه قام بالعلوم العربيّة والأدبيّة والدعوة والإرشاد درساً وتدريساً بدهلي.

والمخطوط "قران القرآن بالبيان" هو برهان، وترجمان للتراث العربيّة والأدبيّة في ناحية خاصة، كما سنذكر عن قيمته العلميّة، وأهميته الكبيرة في وصف المخطوط والدراسة النقديّة، فتحقيق هذا المخطوط ودراسته العلميّة، وإبرازه إلى منصة الشهود لايخدم اللغة العربيّة وآدابها فقط، بل سيعطي اتّجاها جديداً للقرّاء والمحققين من هذه الناحية، فلا يناسب لنا أن ننسى جهود المؤلّف ومساعيه المشكورة، كأنّه لؤلؤء مكنون بين العلماء الراسخين؛ حتّى الآن. وإن لم نقم بعملية تحقيقية لهذا المخطوط، وأغفلنا عنه، فيصير نسيا منسيًّا؛ فلذا قد قمت بهذا العمل التحقيقي ساهماً في الاحتفاظ بهذه الخزينة الوفيرة العلميّة الكبيرة، وهذا هو سبب كبير لاختيار تحقيق المخطوط " قران القرآن بالبيان".

موضوع المخطوط:

يدور موضوع المخطوط حول "تفسير القرآن الكريم"، لأنّ المؤلّف جاء في كتابه تفسير القرآن الكريم. ومن الحقيقة، أنّ أهميّة هذا الموضوع، لا يخفى لمن أدنى له إلمام بالقرآن الكريم، لأنّه المصدر الأساسي للمسائل الشرعيّة، وأيضا كما نعلم أنّ القرآن الكريم في أحكامه مجملا ومفصّلا. ولما كان لتفسير القرآن الكريم بهذه الأهمية، والمنزلة الرفيعة؛ فأثرت أن يكون موضوع أطروحتي في هذه المرحلة "دراسة وتحقيق المخطوط: قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي".

مصادر البحث:

ومن المعلوم أنّ هذا المخطوط يتعلّق بأدب تفسير القرآن، وكما أنّ هذا الأمر بديهيّ، أنّ القرآن الكريم، هو متلازم في فهم العقائد الدينيّة، والأحكام الإسلاميّة، وأيضاً القرآن العظيم، هو يتقاضى في فهمه إلى العلوم المتنوّعة، والفنون المختلفة، واسطة أو بلاواسطة؛ كالصرف، والنحو، واللغة، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والبلاغة، والتاريخ، والسير، والزهد، والتفسير، والحديث، وغيرها، فكلّ من الكتب التي كانت مشتملة على هذه الفنون؛ فهؤلاء مصادر بحثي.

وأمّا مصادر بحثي لحياة الشيخ كليم الله الجهان آبادي وعمله العلمي فكثيرة. فمنها: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام؛ يعني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لمؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، وتاريخ مشائخ جشت لخليق أحمد النظامي، ومناقب المحبوبين لحاجي نجم الدين السليماني، ودائرة معارف إسلامية، تذكرة المفسرين لقاضي محمّد زاهد الحسيني، تذكرة فخر جهان الدهلوي لأخلاق أحمد، مآثر الكرام لغلام علي آزاد البلكرامي،

حضرة خواجه محمّد سليمان التونسوي وخلفاؤه لدكتور محمّد حسين للّهي، والمصطفى والمرتضى لسيّد محمّد ذاكر حسين شاه، تذكرة أولياء هندوستان لعا لم فقري،

THE HERITAGE OF SUFISM by: Leonard Lewisohn & David Morgan.

A History of Sufism in India by: Saiyid Athar Abbas Rizvi.

وغيرها. كلّ من هؤلاء مصادر بحثي لحياة الشيخ رحمه الله تعالى وعمله العلمي.

تقسيم العمل في خدمة المخطوط:

وقد قسّمت العمل في خدمة المخطوط إلى **ثلاثة أبواب**.

الباب الأول: ترجمة المؤلف وآثاره (وفيه فصلان)

الفصل الأول: ترجمة المؤلف (وفيه مبحثان)

المبحث الأوّل: عصر المؤلف، المبحث الثاني: حياة المؤلف.

الفصل الثاني: آثاره (وفيه أربعة مباحث)

المبحث الأوّل: أولاده، المبحث الثاني: تلاميذه وخلفاؤه، المبحث الثالث: مؤلفاته ومكتوباته، المبحث الرابع: مكانته العلمية، ثناء العلماء عليه، مرضه ووفاته.

الباب الثاني: دراسة المخطوط، ومرتبة قران القرآن بالبيان في تفاسير شبه القارة (وفيه فصلان)

الفصل الأول: دراسة المخطوط (وفيه مبحثان)

المبحث الأوّل: أهمية الكتاب، المبحث الثاني: وصف المخطوط

الفصل الثاني: تفاسير علماء شبه القارة، ومرتبة قران القرآن بالبيان فيها (وفيه ثلاثة مباحث)

المبحث الأوّل: تفاسير علماء شبه القارة، المبحث الثاني: مرتبة قران القرآن بالبيان في التفاسير، المبحث الثالث: منهج التحقيق.

الباب الثالث: تحقيق نصّ المخطوط

خلاصة البحث.

الفهارس الفنيّة: فهرس الآيات القرآنيّة، فهرس الأحاديث النبويّة، فهرس الأعلام، فهرس القبائل والشعوب، فهرس الأماكن والبلدان، فهرس المحتويات.

الباب الأوّل

ترجمة المؤلّف، وآثاره

وفيه فصلان:

الفصل الأول: ترجمة المؤلّف

الفصل الثاني: آثاره

الفصل الأوّل

ترجمة المؤلّف

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: عصر المؤلّف

المبحث الثاني: حياة المؤلّف

المبحث الأوّل: عصر المؤلّف: عهد المغول

مؤسّس دولة المغوليّة هو بابر، الذي جاء من بلاد ماوراء النهر إلى الهند، وحارب السلطان إبراهيم اللوديّ ميدان باني بت حيث حزمه، وسيطر على الدولة اللوديّة، وتمّ له السيطرة بعد أن هزم رانا سانجا الراجبوت في ميدان فتح بور سيكري، حيث لم يبق له منافس في الملك[1]، وحكم أربع سنين، وبعد وفاته تولّى العرش ابنه همايون، كان بابر يقرض الشعر بالفارسيّة والتركيّة[2]، وكان همايون شغوفا بعلم الهيئة والرياضيّات، وارتبط ببلاطيهما عدد من العلماء الأجانب والمواطنين، إلّا أنّ أعمالهم العربيّة ضئيلة.

خرج شير شاه السوري الأفغاني على السلطان همايون، وأخرجه من الملك، ففرّ إلى السند، ثم انسلّ إلى إيران، وكان شير شاه السوري الأفغاني يحبّ العلم ويناصر العلماء، واشتهر في عهده مدينة نارنول في شرقيّ راجستان كمركز علمي، وكان ابنه سليم شاه السوري الأفغاني مهتمًّا بالتعليم، مناصراً رجال العلم والدّين. عاد السلطان همايون المغوليّ إلى الهند بعد وفاة شير شاه السوري الأفغاني إلى الهند، وأعاد دولته من جديد، ولكنّه مات بعد قليل، وتولّى العرش بعده ابنه أكبر، وكان أكبر أميًّا، لكنّه التحق ببلاطه عدد من أصحاب الفضل والكمال، الذين قاموا بأعمال جليلة في العربيّة، فألّف الشيخ مبارك بن خضر الناكوري تفسيراً سمّاه "منبع عيون المعاني"[3]، بينما ابنه أبو الفيض الفيضي كان شاعراً مجيداً وعالماً بارعاً، ألّف تفسيراً بالصنعة المهملة، وسمّاه "سواطع الإلهام"، وكتاباً آخر بنفس الصنعة في الأخلاق، وسمّاه "موارد الكلم وسلك درر الحكم". وهذان الكتابان يدلّان على قدرة المؤلّف على التّلاعب بالألفاظ، وحسن تصرّفه، وصار زمام الملك بيد جهانكير بعد أن مات أبوه أكبر، وكان جهانكير أديباً شاعراً في الفارسيّة، ومن العلماء البارزين في عهده الشيخ عبدالحق المحدّث الدهلويّ، الذي ألّف كتبا قيّمة حول علم الحديث.

---

1 – البتالوي: سبحان رائى. خلاصة التواريخ: (لاهور، 1966). ص: 353.

2 – لجنة من العلماء = فياض محمود، عبد القيوم، ظهور أحمد أظهر. تاريخ أدبيات مسلمانان پاك وهند: (لاهور، 1972). 2/ 214.

3 – غلام علي: آزاد، البلكرامي، (ت: 1200هـ). مآثر الكرام: (ط–1، دائرة المصنّفين، كراتشي، باكستان، 1983).ص: 193.

تولّى العرش شاه جهان بعد وفاة أبيه جهانكير، وكان شاه جهان يحبّ العلماء، يناصرهم ويكرمهم[1]. وهكذا كان الملك شاه جهان أيضاً مولعا ببناء الحصون والمباني، وأسرة الشيخ كليم الله رحمه الله تعالى كانت تسكن في خجند تركستان، ودعاها الملك في عصره من الخجند إلى دهلي لبناء الحصن الحمراء بدهلي، لأنّ أجداده كانوا محترفين، وكان جده الشيخ أحمد الصدّيقي المعمار عالماً كبيراً في العلوم المختلفة، وإنّه كان مهندساً عظيماً أيضًا، وله مهارة تامّة في بناء المباني والمساجد والحصن، حتّى منحه الملوك المغوليّة لقب "نادر العصر".

وفي عهده قام الملّا عبد الحكيم السّيالكوتي بشروح وحواش على كتب المعقولات والفنون الأخرى[2]، ومازالت شروحه متداولة بين العلماء وأصحاب الفن وأرباب محنة التّدريس إلى يومنا هذا. وتغلّب أورنك زيب عالمكير على الحكم سنة 1657م، وكان عالماً بارزاً، يناصر العلماء، وعيّن لجنةً من العلماء للقيام بعمل الموسوعة في الفقه الحنفي، فقاموا بها حقّ القيام، وجمعوا الفتاوى التي اشتهرت في شبه القارة "بالفتاوى العالمكيريّة"، وخارج الهند "بالفتاوى الهنديّة"، وعهده مزدهر بالعلماء البارزين الكاملين، الذين قاموا بجهود ملموسة بنشر الثقافة الإسلاميّة[3]، ومازالت ولاتزال آثارهم باقيّة.

بعد وفاة أورنك زيب عالمكير انغمس الملوك في اللذّات، وتحقيق أمانيّهم الدنيئة، مما أدّى بهم إلى التناقص والانحلال، حتّى طمع فيهم الملوك الأجانب لنهب أموالهم، والسيطرة على بلادهم، ومن هولآء ملك إيران نادر شاه، الذي غزا الهند[4]، وقتل الناس بدهلي عاصمة الدولة المغوليّة، حيث أحيا سنّة القتل التي اتّصف بها جنكيز خان، وأعاد دور هلاكو خان، وقد نهب أموالا هائلة من مسلمي الهند، وغادر الهند لإيران، وكان النّاس مفلسين بائسين جائعين محتاجين إلى فتات الخبز؛ فلا يجدونها. وقد أفسد النظام، وخرّب الديار، ودمّر الأمصار[5]. ومن الملوك الذين هجموا على الهند

1- آزاد: المرجع السابق. ص: 194.

2-Zubair Ahmad. The contribution of India to Arabic literature, Lahore, 1968. Lii.

3- The last reference. Lii.

4-Lockhat, L. Nadir Shah Lahore 1976. 122, 145, 147, 153.

5- كنهيا لال: تاريخ بنجاب: (لاهور، بدون سنة النشر). 66.

أحمد شاه الأبدالي الأفغاني، الذي غزا الهند المغوليّة مرارا وتكرارا[1]، غير أنّه قام مرّة باستئصال قوات مرهتة المتصادمة لمسلمي الهند[2].

والعجب كل العجب أنّ هذا العهد المشحون بالاضطربات والثّورات لم يخل من العلماء الأفذاذ، وقد ازداد بعدد كبير من العلماء الأماثل، مثل: غلام علي آزاد البلكرامي، وعبد الجليل البلكرامي، والشاه ولي الله المحدّث الدهلوي، والمولوي فضل إمام الخير آبادي، الذين ألّفوا مؤلّفات قيّمة في شتّى العلوم والفنون[3].

المبحث الثاني: حياة المؤلّف.

اسمه ونسبه:

هو كليم الله بن نور الله بن الشيخ أحمد بن الشيخ حامد المهندس، الصدّيقي، الخجندي، الجهان آبادي، من سلالة أمير المؤمنين أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه[4]، أحد كبار مشائخ الجشتيّة[5].

مولده: ولد (الشيخ رحمه الله تعالى) بستّ ليال بقين من جمادى الأخرى، سنة ستين وألف بدار الملك دهلي[6]. وهكذا إنّه يكتب في مكتوب بيده: "بست وچهارم جمادى الثاني مولد فقير است، وتاريخ تولّد فقير غني است؛ غ + ن + ي = (1000+50+10=1060)"[7]، وفي وفي دائرة المعارف الإسلاميّة قد ذكر تأريخ مولده الشمسيّة والقمريّة أيضا، إنّه ولد 24 جمادى الآخرة سنة 1060هـ / 24 يونيو سنة 1650م بشاه جهان آباد الدهلي، قبل أن يتمكّن على الملك أورنك زيب عا لم كير ثمانية سنوات[8].

1- سيّد محمد لطيف: تاريخ بنجاب: (لاهور، 1986). ص: 64، 88.

2- فائق: نواب كلب علي خان. تاريخ لاهور: (لاهور، 1977). ص: 55، 56.

3- liii –I bid.

4 – النظامي: خليق أحمد. مشائخ جشت: (دار المؤلفين، إسلام آباد، بدون سنة النشر). ص: 369.

5- عبد الحي: عبد الحي بن فخر الدين، الحسني، (ت: 1341هـ). نزهة الخواطر: (إدارة تأليفات أشرفية، ملتان، 1413هـ / 1992م). 248/6.

6- : عبد الحي: المصدر السابق. 248/6.

7 – سيد محمد ذاكر حسين شاه: المصطفى والمرتضى: (ضياء القرآن، لاهور، 2003م). ص: 401.

8 – دائرة المعارف الإسلامية (الأردية): (ط-1، جامعة بنجاب، لاهور، 1389هـ / 1978م). 379/17.

379/17.

أسرته: في مناقب المحبوبين قد ذكر عن أسرته الكريمة بهذه الكلمات: "نام پدر ايشان حاجي نور الله بن شيخ أحمد بن شيخ حامد صدّيقي از اولاد حضرت ابا بكر صدّيق رضي الله عنه اند، آباء واجداد ايشان ساكنان شهر خجند بودند، پدر ايشان در زمان سلطنت سلطان شهاب الدين شاه جهان (ت: 1069هـ / 1658م) بادشاه دهلي – در شاه جهان آباد يعني دهلي نو آمده بود، وپدر ايشان در علم نجوم وهيئت كماليت تمام داشت، بنا بر آن بادشاه مذكور وقت تعمير لال قلعه ايشان را از شهر خجند (تركستان) طلبيده بود"[1].

فقد ثبت بهذه الكلمات: بأنّ أسرة الشيخ رحمه الله تعالى كانت تسكن في خجند تركستان، ودعاها الملك شاه جهان في عصره من الخجند إلى دهلي لبناء الحصن الحمراء بدهلي.

وكان جدّه (جد الشيخ كليم الله، واسمه: الشيخ أحمد المعمار، المهندس) عالما كبيرا في العلوم المختلفة، مثلا: علم النجوم، وعلم الفلسفة، وعلم الهيئة، وعلم الهندسة، وعلم الحساب وغيرها. وإنّه كان مهندسا كبيرا أيضًا، وله مهارة تامّة في بناء المباني والمساجد والحصن، حتّى منحه الملوك المغوليّة لقب "نادر العصر". وكان للشيخ أحمد ثلاثة أبناء: 1- عطاء الله، 2- لطف الله، 3- نور الله.

وكلّهم كانوا راسخين في العلوم الأدبيّة والفنون العمليّة. ومن أعمال هذه الأسرة الكريمة؛ التي نراها في شبه القارة، هي الآتية: المسجد الجامع، و الحصن الحمراء بدهلي، والقصر التاج (تاج محل) بآكره، وضريح دلراس بانو بيكم بأورنك آباد، والحصن بشمشير كره، وقصر نواب آصف خان بلاهور، والحصن بحسن أبدال[2].

نشأته، ودراسته:

نشأ الشيخ كليم الله رحمه الله في أسرة كريمة، ترعرع في بيئة ثقافيّة حضاريّة إسلاميّة، وأخذ العلم من أساتذة عصره بمسقط رأسه، ومن أبرز أساتذته الشيخ أبو الرضا محمّد (ت: 1100هـ / 1688م)، وهو عمّ الشاه ولي الله المحدّث الدهلوي (ت: 1176هـ / 1762م)، رحمه الله تعالى، وكان له طويل الباع في العلوم العقليّة والنقليّة، وكان يميل إلى التصوّف، ويعتقد بوحدة الوجود[3].

وقد ذكر جامع مكتوبات الكليمي عن دراسته: "در اوائل عمر از كتب درسيّه؛ فقه وحديث فارغ شد"[4].

---

1 – نجم الدين: حاجي. مناقب المحبوبين: (لاهور، 1312هـ). ص:45.

2 – النظامي: خليق أحمد. مشائخ جشت: (دار المؤلفين، إسلام آباد، بدون سنة النشر). ص:373.

3-: دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق.

4 – محمد قاسم علي: مكتوبات الكليمي: (دهلي، 1315هـ). ص:1.

بيعته وشيوخه:

بعد ما حصل على العلوم الدينيّة المتداولة، سافر إلى الحجاز المقدّس للحجّ وزيارة الحرمين الشريفين، عند ما وصل إلى المدينة المنوّرة حضر في خدمة الشيخ محي الدين أبو يوسف يحيى الكجراتي نزيل المدينة المنوّرة، وبايع على يده متأثّرا منه باتّباعه على الشريعة المطهّرة، وأخلاقه العاليّة، وأوصافه الحميدة للسلوك الروحي؛ فانضمّ إليه بسلك الطريقة الجشتيّة، وأقام عنده مدّة طويلة، فاستكمل دروسه الروحيّة تحت إشراف شيخه الكامل محي الدين أبو يوسف يحيى المدني، واستفاد منه استفادة تامّة. عند عودته إلى الهند منحه الخلافة، وأجازه بالبيعة والتربيّة للسالكين. وأثناء إقامته بالحجاز أخذ الطريقة النقشبنديّة عن مير محترم، والطريقة القادريّة من جهة الشيخ محمّد غياث، هكذا استكمل منازل السلوك الروحيّة.

هذه سلسلة ذهبيّة متّصلة للمشائخ الجشتيّة، هي تبدأ من سيّدنا ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، وتنتهي إلى الشيخ كليم الله الجهان آبادي.

سيّدنا ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم

سيدنا علي كرم الله وجهه (ت: 40هـ / 661م)

حضرة خواجه حسن البصري رحمه الله تعالى (ت: 110هـ / 728م)

حضرة خواجه أبو الفضل عبد الواحد بن زيد التميمي رحمه الله تعالى (ت: 177هـ / 793م)

حضرة خواجه أبو الفيض فضيل بن عيّاض رحمه الله تعالى (ت: 187هـ / 803م)

حضرة خواجه إبراهيم أدهم البلخي رحمه الله تعالى (ت: 261هـ / 874م)

حضرة خواجه سديد الدين حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى (ت: 284هـ / 897م)

حضرة خواجه أمين الدين أبو هبيرة البصري رحمه الله تعالى (ت: 287هـ / 900م)

حضرة خواجه ممشاد علي الدينوري رحمه الله تعالى (ت: 299هـ / 911م)

حضرة خواجه أبو إسحاق الشامي رحمه الله تعالى (ت: 329هـ / 941م)

حضرة خواجه أبو أحمد أبدال الجشتي رحمه الله تعالى (ت: 355هـ / 966م)

حضرة خواجه أبو محمد الجشتي رحمه الله تعالى (ت: 411هـ / 1020م)

حضرة خواجه أبو يوسف الجشتي رحمه الله تعالى (ت: 459هـ / 1066م)

حضرة خواجه مودود الجشتي رحمه الله تعالى (ت: 527هـ / 1132م)

حضرة خواجه حاجي شريف الزندني رحمه الله تعالى (ت: 612هـ / 1215م)

حضرة خواجه عثمان الهروني رحمه الله تعالى (ت: 617هـ / 1221م)

حضرة خواجه معين الدين حسن الجشتي الأجميري رحمه الله تعالى (ت: 633هـ / 1236م)
خواجه قطب الدين بختيار كاكي الأوشي رحمه الله تعالى (ت: 632هـ / 1235م)
خواجه فريد الدين مسعود المعروف بكنج شكر رحمه الله تعالى (ت: 664هـ / 1265م)
خواجه نظام الدين أولياء الدهلوي رحمه الله تعالى (ت: 725هـ / 1325م)
خواجه نصير الدين محمود جراغ الدهلوي رحمه الله تعالى (ت: 757هـ / 1356م)
الشيخ كمال الدين الكجراتي رحمه الله تعالى (ت: 756هـ / 1355م)
الشيخ سراج الدين الكجراتي رحمه الله تعالى (ت: 817هـ / 1414م)
الشيخ علم الدين الكجراتي رحمه الله تعالى (ت: 890هـ / 1483م)
الشيخ محمود المعروف بشيخ راجن رحمه الله تعالى (ت: 900هـ / 1494م)
الشيخ جمال الدين المعروف بشيخ جمّن رحمه الله تعالى (ت: 940هـ / 1533م)
الشيخ حسن محمّد رحمه الله تعالى (ت: 982هـ / 1573م)
الشيخ شمس الدين محمّد رحمه الله تعالى (ت: 1040هـ / 1636م)
الشيخ أبو يوسف يحيى المدني رحمه الله تعالى (ت: 1101هـ / 1689م)
الشيخ كليم الله الجهان آبادي رحمه الله تعالى (ت: 1142هـ / 1729م).

سيرته وأخلاقه:

من الحقيقة، كلّ من دخل كاملاً في اتّباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، فهو مثل أعلى في الأخلاق الكريمة، فهكذا كان الشيخ كليم الله ؛ لأنّه صاغ نفسه كاملاً في اتّباع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ويظهر جليّة في هذا البيت عن عفوه وشفقته، إنّه يقول:

"هر كه ما را رنج دارد راحتش بسيار باد　　　هر كه ما را يار نبود ايزد او را يار باد
هر كه خارِ بر نهد در راه ما از دشمني　　　هر گلِ كز باغ عمرش بشگفد بى خار باد"[1]

مرّة في الدكن ذكره بعض النّاس بكلمة سيّئة، فأخبر نظام الدين عن هؤلاء النّاس وقولتهم، فأجاب الشيخ كليم الله بهذه الكلمات: "هر كه بد ياد مى كند ما مستحق زياده ازانيم، كه او لطف كرده، كم دشنام مى دهد، ما عفو كرديم، شما هم عفو كنيد"[2]. ترجمته بالعربيّة: "الذي يذكرني بكلمات سيّئة فنحن نستحقّ بالمذيد منه، بل إنّه رحم علينا، بأنه سبّنا قليلا، إنّنا عفونا عنه، فاعف عنه أيضا".

---

1 – محمد قاسم علي: مكتوبات كليمي: (دهلي، 1315هـ). رقم المكتوب: 23، 98. ص: 28، 77.
2 – النظامي: المصدر السابق. ص: 389.

الفصل الثاني

آثاره

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: أولاده

المبحث الثاني: تلاميذه، وخلفاؤه

المبحث الثالث: مؤلّفاته، ومكتوباته

المبحث الرابع: مكانته العلميّة، وثناء العلماء عليه، مرضه ووفاته

المبحث الأوّل: أولاده:

كان للشيخ كليم الله الجهان آبادي أربعة أولاد وثلاث بنات، وكان الأبناء كلّهم صغارا حين وفاته. أسماء الأولاد: 1: خواجه محمّد؛ إنه مات في طفوليّته، 2: حامد سعيد، 3: محمّد فضل الله، 4: محمّد إحسان الله. ومن البنات: 1: بي بي رابعة، 2: بي بي فخر النساء، 3: زينب بي بي. الشيخ يكتب في مكتوب عن أولاده، الذي كتبه بعد وفاة ابنه خواجه محمّد: "سه فرزند وسه دختر موجوده اند، حامد به كتب سلوك مشغول است، محمد فضل الله ده ساله؛ دوازده سيپاره قرآن حفظ كرده، محمد احسان الله پنج ساله بمكتب شده؛ بخواندن ابجد مشغول است. أما سه دختر: يكى بخانه هاشم داديم؛ بي بي رابعه نام دارد، وديگر بي بي فخر النساء برادر زاده خود داديم، سيوم زينب بي بي مشهور به بي بي مصري چهارده ساله است؛ تاحال جائى منسوب نه شده"[1].

وقد ذكر صاحب مناقب المحبوبين أربعة أبناء وخمس بنات، ولم يذكر أسماء البنات.

المبحث الثاني: تلاميذه، وخلفاؤه:

كان أسلاف الشيخ كليم الله من المحترفين؛ مع ذلك بأنّهم كانوا العلماء والفضلاء في عصرهم، وما عملوا عملا في التصوف، وما اجتهدوا اجتهادا في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، إنّهم يسترزقون بصنعة البناء والتعمير، وجده أحمد صالح المعمار كان ممّن بنى المسجد الجامع الكبير بمدينة دهلي في أيّام شاه جهان، ولكنّ الله خصّه لتعمير القلوب والأذهان بتعاليم الإسلام ونوره، واجتباه لهداية الناس حتّى آمن على يده آلاف من الرجال والنساء.

عند رجوعه من الحجاز المقدّس إلى بلده شاه جهان آباد دهلي أقام بسوق خانم، وانصرف عنايته الكاملة بإقامة المدرسة الدينيّة باتّباع أمر شيخه، وبذل جهوده ليلا ونهارا بتدريس العلوم الدينيّة، وذاع صيته في أطراف البلاد.

كان الشيخ كليم الله رحمه الله تعالى يرى في معاشرة حسنة مع الكفّار ليتأثّروا بتعاليم الإسلام، ولم يكن ينفر من مصاحبة عامة الناس، مازال يجاهد لإعلاء كلمة الحق ولنشر الإسلام الحقيقي، وبفضل مساعيه الجميلة لإحياء الدين قد انتشر الإسلام في الدكن، ثم قد وجد الإسلام حياة قوية بمساعي الجميلة من جهة خلفائه، هم كثير العدد، ما أعثرنا على أسماء كلّهم، ومن هؤلاء الذين عرفنا عن أسمائهم، هم: "خواجه نظام الدين أورنك آبادي، والشاه محمّد هاشم، والشاه ضياء الدين، والشاه جمال الدين جى بوري، والشاه جلال الدين، والشاه محمّد علي، والشاه عبد اللطيف،

---

1 – (أ) محمد قاسم علي: المرجع السابق. رقم المكتوب: 125، ص: 93. (ب) النظامي: المرجع السابق. ص: 423.

والحافظ محمّد عبد الله، ومولانا عبد الصمد، والمخدوم شيخ تهارو، والشيخ بديع الدين المعروف بشيخ مداري ناكوري، خواجه مصطفى مراد آبادي، والسيّد محمّد علي، والشيخ بدهن، والحافظ محمود، والحافظ محمّد سعيد بن الشيخ كليم الله الجهان آبادي، والشاه أسد الله، والقاضي عبد الولي، والشاه جليل القادري"[1] رحمهم الله تعالى عليهم أجمعين.

المبحث الثالث: مؤلّفاته، ومكتوباته:

كان الشيخ راغبا شديدا بتأليف الكتب، فاهتمّ اهتماما بالغا في مجال التصنيف والتأليف، وصنّف 32 كتابا كما في مناقب فريدي، فنجد كثيرا من تأليفاته تحت العناوين المختلفة بالهدف العلمي والتربوي. وكانت تأليفاته باللغتين: العربيّة والفارسيّة؛ كلّها تدلّ على مكانة رفيعة، بعضها منشورة، وبعض أخرى غير منشورة، وهي موجودة في المكتبات الكبيرة المختلفة في العالم بصورة المخطوطات، فمثلا: مكتبة خدا بخش بتنه بالهند، والمكتبة الآصفيّة حيدرآباد بالهند، ومكتبة جامعة عثمانيّة حيدرآباد الدكن بالهند، ومكتبة النذيريّة الشعبيّة دهلي بالهند، ومكتبة مانشستر، مانشستر بالإنجلترا، والمكتبة المركزيّة جدّة بالمملكة العربيّة السعوديّة، ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض بالمملكة العربيّة السعوديّة. وفي باكستان: المكتبة الشخصيّة لسيّد محمّد أكرم شاه كرهي أفغانان بتيكسلا، ومكتبة جهندير قريب من مدينة ميلسي بمحافظة وهاري، والمكتبة القديمة بقرية لله من مضافات جهلم وغيرها.

ومن أهمّ تأليفاته ما يلي:

(١) قران القرآن بالبيان: هذا المخطوط، نادر، ضخيم، وقويم. قد ألّفه الشيخ كليم الله رحمه الله قبل ثلاثة قرون، هو الذي طبع منشي عرفان الحق في حوامش القرآن الكريم، وترجمة القرآن بالأرديّة لشاه رفيع الدين باهتمام مطبعة الأحباب سنة 1290هـ، وكتب مولانا محمّد قاسم النانوتوي تأريخ الطبعة منظوما، ولم يطبع حتّى الآن على حدة. وهذا المخطوط هو موضوع بحثنا.

(2) تلك عشرة كاملة (3) إلهامات كليمي (4) كشكول (5) مرقّع (6) سواء السبيل (7) تسنيم (8) مالا بدّ كليمي (9) مجالس كليمي.

هذه المؤلّفات الثمانية تشتمل على المسائل العلميّة والعمليّة المتصوّفة، والحقيقة أنّ هذه الكتب تعدّ وثيقة تربويّة. وقد هدى بها كثير من الطاغين والعاصين والضالّين والمضلّين، وأسلوبها أحسن جدًّا. وهذه الكتب تدلّ على عظمته الروحانيّة، وتدعو إلى التخلّق بكلّ فضيلة، وأعمال جليلة، والتجنّب عن الإثم والعدوان والظلم بالهدف الإصلاحي.

---

1 - النظامي: المرجع السابق. ص: 425.

(10) شرح القانون: لهذا المخطوط نسخة وحيدة برقم: 486 في مكتبة رام بور. يشتمل هذا المخطوط على الطب[1].

(11) رسالة تشريح الأفلاك: توجد هذه المخطوطة الفريدة بمكتبة شعبيّة نذيريّة في دهلي. تشتمل هذه المخطوطة على علم الهيئة[2].

(12) شرح رسالة تسوية: هذا هو شرح لرسالة تسويّة للشيخ محب الله الإله آبادي، قد شرح الشيخ كليم الله الجهان آبادي شرحا وافيا، ذكره الدكتور محمّد إقبال المجددي.

(13) رسالة ردّ روافض: ذكر المؤلّف في هذا المخطوط عن أهل التشيّع، كما هو ظاهر باسم هذه الرسالة. يقول شهزاده أحمد أختر الدهلوي: إنّ محمّد معظم بهادر شاه _ في السنة الرابعة من خلافته _ عند ما قرء هذه الرسالة؛ تاب من مذهب أهل التشيع، (إنه كان يميل إلى مذهب أهل التشيّع)، وبايع على يد الشيخ كليم الله الجهان آبادي[3].

ذكروا له مصنّفات قيّمة، يبلغ عددها اثنين وثلاثين، وربما كان الشيخ رحمه الله تعالى يقول الشعر، ضاعت مجموعة كلامه حين حركة الحريّة سنة 1857م.

مكتوباته:

كتب الشيخ كليم الله المكاتيب تربويّة إلى العلماء والفقهاء والناس من الخاص والعام، لنشر الإسلام و إعلاء كلمة الحق، وكانت مكتوباته ذهبيّة مملوءة بالفكر الإسلامي والروحي والدعوة الدينيّة إلى سبحانه وتعالى، حتّى يرغب من يطالعها في الأوامر الإسلاميّة، ويتجنّب عن النواهي الفاحشة والباطلة، ويبدّل حياته الدنيئة والسيّئة بالحياة الرفيعة والطيّبة.

وعند ما كان الشيخ يرسل المكتوبات، فلا يبالى أحداً، خاصاً كان أو عاماً، غنيًّا كان أو فقيراً، عالماً كان أو غير عالم، ونحن لا نستطيع أن نذكر على هذا المقام العبارات الكاملة من جميع مكاتيبه، ولكن نقتبس منها للاستفادة. وعدد مكاتيبه 132، وكتب إلى مريده وخليفته الشاه نظام الدين أورنك آبادي أكثر من مائة.

وزيّن الشيخ كليم الله عليه الرحمة مكاتيبه بالآيات القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، والمواعظ الحسنة. وقام الشيخ بالعناوين الآتية في مكاتيبه، وهي:

السعي لإعلاء كلمة الله تعالى.

---

1 – النظامي: المرجع السابق. ص: 395.

2 – النظامي: المرجع السابق. ص: 395.

3 – شهزاده: أحمد أختر، الدهلوي. تذكره اولياء هند: (ط–1، دهلي، الهند، بدون سنة النشر). 119/2.

الترغيب إلى إطاعة الله ورسوله.

الترهيب من غضبهما وعذاب الله.

الإخلاص في الدين

الآداب وتهذيب الأخلاق.

الكمالات الباطنيّة.

الفوائد الروحيّة.

المواعظ الحسنة.

المسائل الدينيّة.

الصبر على المشاكل في الحياة الفانيّة وأجره الباقيّة.

النصائح للسالكين.

الترغيب إلى تعلّم العلوم الدينيّة.

العلاج لدفع الأمراض الظاهريّة والباطنيّة.

منع السماع وجوازه بالشروط إلى حدّ ما.

وهكذا يذكر الأشياء العديدة، والنصائح الذهبيّة المفيدة في مكاتيبه. نحن نقتبس نبذة من مكاتيبه في السطور الآتية:

الاقتباسات والإشارات من مكاتيب الشيخ كليم الله الجهان آبادي عليه الرحمة المكتوبات إلى خليفته الشاه نظام الدين أورنك آبادي

(عندما أرسله إلى الدكن لتبليغ الدين وإصلاح أحوال المسلمين)

1- "شما را الله تعالى صاحب ولايت دكن ساخته است. اين كار را تمام نمائيد، قبل ازين مي نوشتم كه به لشكر برويد، اكنون اين امر است، هر جا كه باشيد در اعلاء كلمة الحق باشيد، وجان ومال خود را صرف اين كار كنيد".

2- "فيض ديني ودنيوي به عالم رسانند، وهمه حلاوت وعيش خود فداء آن بندگان بايد كرد ".

3- "بهرحال در إعلاء كلمة الحق كوشيد، واز مشرق تا مغرب همه حقيقي بر كنيد، متوجه إعلاء كلمة الحق باشند، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ﴾[1]".

المبحث الرابع: مكانة المؤلّف العلميّة:

الشيخ كليم الله هو من طليعة المحققين المسلمين في عصره، وكانت له جهود جبّارة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وفي إصلاح عقائد المسلمين وترغيبهم وتلقينهم إلى العقائد الصالحة الراسخة، وكانت حياته عبارة عن جهد مستمر، وانتشرت دعوته إلى أطراف بعيدة وله قوّة رهيبة في الكلام بين المجتمعات والمحافل، حيث كان يدرّس ساعات وساعات ولا يتعب، ولا يخاف في الله لومة لائم، وبعد شهرته فيما بين الناس، وله قوّة ببيان كلمة الحق، كان العلماء يخافون عليه حيث أهل الباطل يعدّونه خطراً عظيماً على دينهم الفاسد.

وكان الشيخ رحمه الله مصلحاً عظيماً، وداعياً كبيراً، ودائرة دعوته ليست مصورة في بعض الأ فراد، أو أسر مخصوصة؛ بل إنّها عمّت بالخاص والعام، لا يبالي الشيخ أحداً لأداء فريضة دعوة الإسلام خاصاً مايترعرعون في عيش وترف ونعمة وسعة، ويعيشون في بلدة أمنة، ويتلذّذون بنعم الدينا الفانية، ويتسابقون فيما بينهم عن ملابسها الفاخرة وقصورها العالية، جاء الأمراء إلى بابه خائفاً متواضعاً من قوّة الرهيبة ونظرته الجلاليّة. وله صفات حسنة، كما كان يحترز عن مجالس السلاطين، وكان له مكانة عالية في اجتهاده في العبادة بالليل والنهار، وإقامة السنن حتّى غير المؤكّدة، والمؤاظبة على عبادة النافلة الشهيرة الواردة في الكتب المعتبرة، فإنّه جدّ واجتهد، وعظ ونصح، أبشر وأنذر، وجاهد بالقلم والكتابة، كما جاهد باللسان والخطابة، وصرف جميع قوته البدنيّة والماليّة والعلميّة وغيرها في هذا المجال الدعوى حسب مستطاعته البشريّة، وصنّف كتباً علميّة، وكتب مكتوبات تربويّة وملفوظات ذهبيّة ملآنة بالفكر الإسلامي الصافي، والدعوة الدينيّة إلى الله تعالى؛ حتّى يضطرّ قارءها أن يبدل حياته الشنيعة بحياته الطيبة، وغير عاداته السيّئة بالسجايا الحسنة، ويطهّر فكره المخطي الضئيل بفكره السديد السليم.

ثناء العلماء عليه:

كان الشيخ كليم الله من جهابذة دهره، وأعلام عصره، ولُقّب بالعارف الكامل من كبار العلماء في عصره، وقد قال هذه القطعة أحد من مريديه عند وفاته، وهي:

---

1 – جزء من الآية، تمامها: ﴿يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِؤُا نُوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ﴾. سورة الصف، الآية: 8.

كليم الله عارف صاف بوده — بأقليم بقا شوقش ربوده

پرسيدم چو تاريخ وفاتش — خرد گفتا كه ذات پاك بوده[1]

وقد قال المفتي غلام سرور اللاهوري هذا الشعر عن تأريخ وصاله، وعن علوّ مرتبته ومكانته؛ كأنّه هو موسى في قومه، ــ وأشار إلى كليم الله موسى عليه السلام، واسم الشيخ أيضا كليم الله ــ وهو كاشف دين الله الإسلام، وأبلغ معرفة دين الله الحنيف، وإنّه هو صاحب البركات والخيرات، وهو شيخ زمانه أيضا:

كليم الله چو از فضل الهي — ز دنيا شد بخلد جاوداني

دو تاريخ ست بهر سال وصلش — بر آيد مدعا از وى چو خواني

يكى موسى ثاني، كاشفِ دين — دگر عرفانِ دين موسى ثاني

كليم الله چشتي مبارك — بگو ترحيل آن شيخ زماني[2]

وقال أحد عنه، بأنّه هو صاحب الفضل والكمال، وهو قطب عصره أيضا، وذكر تأريخ وصاله:

فضل وكمالش بيش بوده — مرهم قلب ريش بوده

سال وصلش گفت هاتف — قطب زمانه خويش بوده[3]

والنظام غازي الدين النواب يكتب عن تأريخ وصاله، والأحوال عند وفاته:

شورِ اين غم فتاد در دهلى — محشرے رو كشاد در دهلى

ماه رحلت ربيع اوّل داں — روز هم بيست وچهارم ازاں

سالِ هجرت زمانِ وصلت او — يك هزار است ويك صد وچهل ودو

اندرين ماه ميل او بوصال — هست بر اتّباع سنّت دال[4]

مرضه ووصاله:

مرض الشيخ كليم الله الجهان آبادي عليه الرحمة في آخر عمره مرضا شديدا، وأصابه النقرس ووجع المفاصل، وقد ذكر الشيخ في مكتوب عن شدّة مرضه بهذه الكلمات: "آزار نقرس ووجع المفاصل بافراط شده، كه دست چپ وزانوئى پائى راست وهر دو پا آماسيده اند، چهار ماه

---

1 – النظامي: المصدر السابق. ص: 421.

2 – المفتي: غلام سرور، اللاهوري. خزينة الأصفياء: (ثمر هند، لكهنؤ، بدون سنة النشر). 495/1.

3 – نجم الدين: المرجع السابق. ص:46.

4 – النظام: غازي الدين، النواب. مثنوي فخرية النظام: (مخطوط، مخزونة بالمكتبة الفاضلية، كرهي أفغانان، تيكسلا). ص: 77.

است كه صاحب فراشم، دريں روز لنگ لنگاں، به استعانت چندے از اندرون به خانه مى توانم رفت، نماز به تيمم نشسته مى خوانم"[1].

حتّى أتاه رسول ربّه قائلاً: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُO ارْجِعِيْ إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةًO فَادْخُلِيْ فِيْ عِبَادِيْO وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْO﴾[2] فلبّاه شوقاً وحنّاناً إلى ربّه، ولنعم ما قيل: ((إِنَّ الْمَوْتَ جَسْرٌ، يُوْصِلُ الْحَبِيْبَ إِلَى الْحَبِيْبِ))[3]. فانتقل إلى رحمة ربّه، ورضوانه، وفسيح جنانه في 24/ ربيع الأوّل سنة 1142هـ، الموافق 17/ أكتوبر سنة 1729م، ودفن في رباطه، وقبره بين المسجد الجامع والحصن الأحمر بدهلي[4]، فنسأل الله تعالى أن يتقبّل جهوده المباركة، وأن يكرم نزله، وارفع درجاته في أعلى العلّيين. آمين.

كان الشيخ كليم الله ينشد هذا الشعر وقت وفاته:

غبارِ خاطرِ عشّاق مدّعا طلبي است　　　بخلوتى كه منم ياد دوست بى ادبيست[5]

---

1 – (أ) محمد قاسم علي: المرجع السابق. رقم المكتوب: 125، ص: 93. (ب) النظامي: المرجع السابق. ص: 419.

2 – سورة الفجر، الآيات: 27 – 30.

3 – الإشبيلي: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله، أبو محمد. العاقبة في ذكر الموت: (ط-1، تحقيق: خضر محمد خضر، دار الأقصى، الكويت، 1406هـ / 1986م). 32/1.

4 – دائرة المعارف الإسلامية: المرجع السابق. 381/17.

5 – نجم الدين: المرجع السابق. ص: 45.

الباب الثاني

(دراسة المخطوط، ومرتبة قران القرآن بالبيان في تفاسيرشبه القارة)

وفيه فصلان.

الفصل الأوّل: دراسة المخطوط

الفصل الثاني: تفاسير علماء شبه القارة، ومرتبة قران القرآن بالبيان فيها

الفصل الأوّل

دراسة المخطوط

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أهمية المخطوط

المبحث الثاني: وصف المخطوط.

المبحث الأوّل: أهمية المخطوط

توثيق اسم المؤلّف:

قد نصّ المؤلّف عليه الرحمة على اسمه في خطبة كتابه، فقال: " وأنا الفقير كليم الله بن نور الله الحنفي مذهبا، والصوفي مشربا"[1].

توثيق اسم المخطوط، ونسبته إلى المؤلّف:

توثيق اسم المخطوط، ونسبة المخطوط إلى مؤلّفه، كلا هما يستندان على شهادة داخليّة، وهما أنّ المؤلّف بنفسه أسند هذا المخطوط إليه، كما ذكر فيه اسمه أيضا، فقال: "فهذه ملتقطة من تفاسير العلماء على الملّة الحنفيّة البيضاء، كفاية لتالي القرآن، سمّيتها بقران القرآن بالبيان، وأنا الفقير كليم الله بن نور الله الحنفي مذهبا، والصوفي مشربا[2]".

وهكذا نحن نستطيع أن نلاحظ نسبة هذا المخطوط إلى مؤلّفه من حيث الشواهد الخارجيّة بالدلائل الآتية:

قد أسند كل من ترجم لمؤلّف هذا المخطوط إليه. ومن هؤلاء:

المؤرخ الهند الكبير العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام؛ يعني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، وخليق أحمد النظامي في "مشائخ جشت"، وحاجي نجم الدين السليماني في "مناقب المحبوبين"، "ودائرة معارف إسلامية"، وقاضي محمّد زاهد الحسيني في "تذكرة المفسرين"، وأخلاق أحمد في "تذكرة فخر جهان الدهلوي"، وغلام علي آزاد البلكرامي في "مآثر الكرام"، والدكتور محمّد حسين للّهي في "حضرة خواجه محمّد سليمان التونسوي وخلفاؤه"، والسيّد محمّد ذاكر حسين شاه في "المصطفى والمرتضى"، وعالم فقري في "تذكرة أولياء هندوستان"، وغيرها.

هكذا المصادر كلّها تشهد بأنّ هذا التأليف للشيخ كليم الله الجهان آبادي، ليس لغيره.

مصادر المؤلّف في كتابه:

قد ذكر الشيخ عليه الرحمة بنفسه المصادر التي استخدمها في كتابه، ورمز إليها، ولكن لم تنحصر هذه المصادر في كتابه، بل كثيرا من المصادر التي استخدمها الشيخ عليه الرحمة في كتابه، ولم يرمز إليها، بل ذكر اسمها، أو غير ذكرها؛ وترك مجهولا، فمثلا: "في الحديث...". وأمّا المصادر التي

---

1 – كليم الله الجهان آبادي، (الشيخ)، قران القرآن بالبيان (المخطوط: أ). الورقة الأولى.

2 – كليم الله الجهان آبادي، (الشيخ)، المرجع السابق. الورقة الأولى.

استخدم بها الشيخ، وقد ذكرها بهذه الكلمات: "وعند تأليفه كنت أستمدّ بالبيضاوي والمدارك والجلالين والحسيني"[1].

عصر بداية الكتاب ونهايته:

وقد ذكر المؤلّف بهذه الكلمات عن البداية: "وكان ذلك في شهور سنة ألف ومائة وخمس وعشرين من هجرة النبي عليه من الصلاة أزكاها، ومن التسليمات أنماها"[2]. ويذكر تأريخ تكميل هذا الكتاب بالكلمات الآتية: "وكان تأريخ ختم النظر الثاني في الرابع عشر من المحرّم الحرام، المنسلك في شهور سنة ألف ومائة وسبع وعشرين من هجرة خير البشر، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ما دام للمؤثّر تأثير في الأثر، والحمد لله رب العالمين، أوّلا وآخرا وظاهرا وباطنا"[3].

المبحث الثاني: وصف المخطوط:

وصف المخطوط: قران القرآن بالبيان

"قران القرآن بالبيان" هو المخطوط للشيخ كليم الله الجهان آبادي عليه الرحمة، كان محتويا على تفسير القرآن الكريم، وقد ذكر المؤلّف بأنّه ملتقط من تفاسير العلماء القدامى، وأيضا صرّح عن مسلكه الفقهي في بداية التفسير.

نسخ المخطوط:

وحينما تهيّأ لي العمل في هذا المخطوط وقفت على النسخ الآتية:

النسخة الأولى: أمّا النسخة الأولى فهي التي في أيدينا النسخة الأمّ / الأصل - عندي نسخة مصورة – هي موجودة في مكتبة فاضلية كرهي أفغانان قريب من تيكسلا؛ تحت رقم: 265/24، تشتمل على 487 ورقة مزدوجة، أي: 974 صفحة، وفي كل صفحة 17 سطرا، وفي كل سطر من 11 إلى 19 كلمة، خطّها نسخ، بدون أيّة الحواشي والحوامش، وآيات القرآنية مشكولة، وعلى الآيات خط بالمداد الأحمر، وكتبت أيضا أسماء السور بالمداد الأحمر، والتفسير بالمداد الأسود، واسم المؤلّف: كليم الله بن نور الله، المتوفّى (1142هـ)، وتبدأ خطبة الكتاب بهذه الكلمات: "الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده، فهو نور على نور"، وتنتهي هذه النسخة بالكلمات الآتية: "برحمتك

---

1 – كليم الله الجهان آبادي، (الشيخ)، المرجع السابق. المخطوط: أ، رقم الصفحة: 974، المخطوط ج، رقم الصفحة: 722.

2 – كليم الله الجهان آبادي، (الشيخ)، المرجع السابق. الورقة الأولى.

3 – كليم الله الجهان آبادي، (الشيخ)، المرجع السابق. المخطوط: أ، رقم الصفحة: 974، المخطوط ج، رقم الصفحة: 722.

يا أرحم الراحمين. لا إله إلا الله محمّد رسول الله. تمّت بعونه تعالى". كتبت في سنة 1268هـ. ,اسم الكاتب: خدا بخش. وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف "أ".

النسخة الثانية: أمّا النسخة الثانية وجدتها أيضا في مكتبة فاضليّة كرهي أفغانان قريب من تيكسلا؛ تحت رقم: 267/25، 266/26، فهي تشتمل على جزئين،الجزء الأول يشتمل على 658 صفحة، والجزء الثاني يشتمل على 750 صفحة،هكذا عدد جميع الصفحات:1408، أي: 704 ورقة مزدوجة، وعدد السطر ثلاثة عشر، وفي كل سطر 12 كلمة تقريبا، عندي نسخة مصوّرة، خطّها ليس بجيّد، وفيها السقطات والخروم، وعليها الحواشي والحوامش باللغة العربيّة والفارسيّة قليلا، وآيات القرآنية مشكولة، وعلى الآيات خطّ بالمداد الأحمر، وكتبت أيضا أسماء السور بالحبر الأحمر، والتفسير بالمداد الأسود، واسم المؤلّف: كليم الله بن نور الله، المتوفّى (1142هـ)، وتبدأ هذه النسخة بالخطبة: "الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده، فهو نور على نور"، وتنتهي بهذه الكلمات: "والله أعلم بالصواب، سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين". وليس فيها اسم الكاتب ولا سنة الكتابة. وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف "ب".

النسخة الثالثة: أمّا النسخة الثالثة فهي التي استعرت من الدكتور الأستاذ السيّد محمد إعزاز الحسن شاه – مدّ ظلّه العالي – بواسطة الحافظ محمّد فاروق - حفظه الله تعالى - عندي نسخة مصورة، هي تشتمل على 361 ورقة مزدوجة، أي: 722 صفحة، وفي كل صفحة 19 سطرا، وفي كل سطر 12 كلمة تقريبا، خطّها نستعليق، وعليها الحواشي والحوامش باللغة العربيّة كثيرا وبالفارسيّة قليلا، وآيات القرآنية غير مشكولة، وعلى الآيات خطّ بالمداد الأحمر، وكتبت أسماء السور بالمداد الأحمر أيضا، والتفسير بالمداد الأسود، واسم المؤلّف: كليم الله بن نور الله، المتوفّى (1142هـ)، وتبدأ هذه النسخة بالخطبة: "الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده، فهو نور على نور"، وتنتهي بهذه الكلمات: "وعند تأليفه كنت أستمد بالبيضاوي والمدارك والجلالين والحسيني. لا إله إلا الله محمّد رسول الله". وليس فيها اسم الكاتب ولا سنة الكتابة. وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف "ج".

وصف مخطوط"أ"، وميزاته:

قد اتّخذت هذا المخطوط من حيث نسخة الأمّ / الأصل للعمل في الكتاب، التي رمزت إليها بالحرف "أ"، لأنّه أقرب زمان إلى الشيخ، ولأنّ المقصود الحقيقي هو إخراج النص كما وضعه مؤلّفه تماما دون تغيير وتبديل، ودون إخراج الحوامش والحواشي التي قد كتبت على هذا الكتاب، فلذا

اعتمدت عليه في البحث، واثبت ما اخترت منها، وأوضحت في الحواشي فروق الاختلاف بين النسخ.

- إنّه كامل من البداية إلى النهاية.
- كتب بخطّ النستعليق الواضح الجميل لتسهيل قراءتها.
- إنه يكاد خالي من التصحيف والتحريف، ومحفوظ من الأرضة، والطمس، والعلل الأخرى، وكذالك سقطاته قليلة جدّا.
- هذا المخطوط موجود في المكتبة الفاضليّة القديمة الكائنة في كرهي أفغانان، قريب من تيكسلا، بنجاب. وعندي نسخة مصوّرة.
- بدأ الكاتب في كتابة "قران القرآن بالبيان" بالكلمات الدعائيّة الآتية: " يا هادي المضلّين! اهدنا، ربّ يسّر وتمّم بالخير".
- واختتم بالكلمات التالية: " لا إلٰه إلا الله محمّد رسول الله. تمّت بعونه تعالى".
- ومسطره 17 سطرا.
- في كل سطر من اثنا عشر إلى تسعة عشر كلمة.
- وعدد أوراقه المزدوجة: 487، أي: 974 صفحة.
- كتبت الآيات القرآنيّة بخطّ نسخ، وعلى الآيات القرآنيّة خطّ بالمداد الأحمر – لكي تتّضح بأنّها آية القرآن – واسم السورة بالمداد الأحمر أيضا، وتفسير الآيات بخطّ نستعليق بالحبر الأسود.
- اسم الناسخ: خدا بخش.
- تأريخ تكميل النسخ: 1268هـ.
- إنّه أقرب تأريخيّا من زمان الشيخ.

الفصل الثاني

تفاسير علماء شبه القارة، ومرتبة قران القرآن بالبيان فيها

فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: تفاسير علماء شبه القارة

المبحث الثاني: مرتبة قران القرآن بالبيان في التفاسير

المبحث الثالث: منهج التحقيق

المبحث الأوّل: تفاسير علماء شبه القارة:

إنّ تفسير القرآن الكريم له مكانة مرموقة عند المسلمين أينما كانوا، فهو ينزل في قلوبهم منزلة لاينزلها غيره من العلوم، وقد قام كثير من علماء شبه القارة بهذا العمل الجليل: منهم من فسّر القرآن جلّه أو كلّه أو بعض آياته، ومنهم من قام بالشرح والتعليق على تفاسير ألّفت من السلف، نحن لا نتعرض في هذا الباب كل التفاسير؛ التي هي من صنيعة أعمال لمؤلّفيها من العلماء الكبار لهذه المنطقة شبه القارة، إلّا أنّنا نذكر بعضها، التي تعدّ من التفاسير العجيبة، وهي ثلاثة تفاسير.

أوّلها: تفسير الشيخ عبد الوهاب البخاري الملتاني، ألّف الشيخ تفسيرا عجيبا، حاول فيه أن يثبت أنّ القرآن الكريم كلّه نعت للنبي صلى الله عليه وسلم لا غير، وكتب عنه السيّد مناظر أحسن الكيلاني في الأردية ما معناه: "ألّف الشيخ عبد الوهاب البخاري الملتاني تفسيرا عجيبا، فعنى نعتا للرسول صلى الله عليه وسلم بكلّ آية من القرآن الكريم من أوّله إلى آخره، ولو ادّعى فقط لم يكن فيه بأس كبير، ولكن الأمر الفظع ذلك أن فسّر القرآن الكريم كلّه على هذا المنوال، وقال عنه الشيخ عبد الحق المحدّث الدهلوي في الفارسيّة ما معناه: "ولعلّه قام بتأليف هذا التفسير في حال من الأحوال السائدة على الصوفيّة من الجذب والاستغراق أحيانا، فلم يكن له القيام بالتعبير عن ظواهر القرآن الكريم، وأهمية هذا التفسير لندرة محتوياته، وإلّا هذا التفسير مائل عن التفسير بالمأثور.

والتفسير الثاني:هو سواطع الإلهام، ألّفه أبو الفيض الفيضي شاعر البلاط في قصر الملك أكبر المغولي، وهذا التفسير غير منقوط كلماتها كلّها من البداية إلى النهاية، ويسمّى هذا العمل الصنعة المهملة، وكتب عنه غلام على آزاد البلكرامي في الفارسيّة ما معناه: سواطع الإلهام تفسير غير منقوط في الصنعة المهملة، لم يأت بمثله أحد من أصحاب الكفاءات العلميّة منذ ألف سنة، والعجب كلّ العجب أنّ هذا العمل الضخم كان قد أكمله خلال سنتين.

والتفسير الثالث: هو جب شغب، يسمّى أيضا فيض غيب، فسّر عبد الأحد بن إمام علي من سكان إله آباد من القرآن الكريم، والتفسير منقوط كلماتها كلّها من البداية إلى النهاية، ويسمّى هذا العمل الصنعة المنقوطة، وهذا التفسير على عكس سواطع الإلهام. والدكتور زبير أحمد قد عدّها تفاسير سطحيّة، واعتبر أنّ مؤلّفيها كانوا يقصدون من وراء ذلك إظهار قدرتهم العلميّة.

المبحث الثاني: مرتبة قران القرآن بالبيان في التفاسير

مكانة الكتاب:

يعدّ الكتاب "قران القرآن بالبيان" من أحسن وأقيم الكتب التي ألّفت على هذا الموضوع. ويمتاز بينها حسناً وجمالاً وإتقاناً وكمالاً من ناحية ترتيب، وتدوين وجدّة، وطراز. ويتناول موضوعات هامّة تتعلق بحياة البشريّة الروحيّة والجسمانيّة والاجتماعيّة والرفاهيّة. ولما كان لمصنّفه هذه المكانة الرفيعة في العلم، فقد أضاف للكتاب الكثير من الأهميّة. وقد كتب المؤلّف فيه الجمل البديعة والتراكيب الجميلة من العلوم الشرعيّة، وأوضح فيه نكت وإشارات ولطائف وحقائق الدينيّة والإسلاميّة. وأورد فيه كلاماً نفيساً للمفسّرين والأسلاف أثناء تفسيره.

ومن ميزات أسلوبه البارزة أنّه سهل ممتنع، وهو يفسر العبارات المبهمة والكلمات العصبة بطريقة سهلة. عبارته جليّة واضحة بليغة. يعتقد القارئ أنّه يقدر على الإتيان بمثل هذه العبارات، لكنّه يفشل فشلا ذريعا، ويعضّ بنانه حيرة عند محاولة في المحاكاة.

وممّا يمتاز به أسلوبه هو الإيجاز والاختصار، فليس من عادته اللجؤ إلى التطويل والتفصيل، رغم أنّه يستخدم الإيجاز والاختصار؛ ولكنّ الكلام لايلتبس على القارئ، ولا يشتبه بل يفهم القارئ معناه، ويدرك فحواه بسهولة كبيرة، وصياغة ألفاظه ودقّة تعبيره وسهولة عبارته كلّها تقع في قلب القارئ موقعا غريبا.

نقد مرتبة قران القرآن بالبيان:

لا يناسب للبحث أن يبالغ مكانة المؤلّف، أو الكتاب الذي يبحث عنه، ويجعل المدح، والثناء لا يستحق سواه. والهدف من البحث أن يقوم بإنجاز واجباته بإتيان التحقيق الكامل إلى حدّ ما يمكن له، ويبذل في هذا المجال قصارى جهوده ومساعيه، ولايخاف أيّة لومة لائم، ويضع أمام أهل العلم والفن أصل الصورة. ولا يجوز له أن يمدح إلى غاية الحدّ، ولا يسدّ الباب لميله إليه وحبّه له، وإلّا يكشف الحجاب عن الصراط المستقيم، ولا يصل إلى أغراض ومهمّات، ولا ينال معرفة حقائق الأشيا، ولا يبلغ إلى النتائج الناجحة.

وإنّ العلماء الذين كتبوا على هذا الموضوع، هم أجلّاء، واعترفت الأزمان قدر علمهم، ورفعة مكانتهم في عصورهم وبعدها، وخضعوا أمامهم الأعناق، وهم قاموا بتفسير كتاب الله العزيز، ولا ريب فيه بأنّه أفضل على سائر كلام خلقه. والقرآن الكريم هو مصدر الحكمة، ومنه انفجار ينابيعها، ومنه تجري أنهارها، وغيث حكمها، ويروي القلوب الظامئة، وشمس أخلاقه، ومواعظه تشرق على صفحة الكون، وتنوّر مشارقها ومغاربها.

وفسّر النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله سبحانه وتعالى، ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد هم قام العلماء بتفسير كلامه المجيد بعناية كبيرة واهتمام خاص، وبذلوا في هذا المجال أقصى مساعيهم، وبين جملة الكتب لهؤلاء المفسّرين البارزين، نحن نجد كتاب "قران القرآن بالبيان" للشيخ كليم الله الجهان آبادي عليه الرحمة، فهو تفسير جليل، نقدّمه لجماهير المسلمين، ليروا فيه صورة صادقة من صور الاعتناء بفهم تفسير القرآن، لقد جمع الشيخ عليه الرحمة في تفسيره عددا وفيرا من الأحاديث النبويّة، وأقوال الصحابة والتابعين المفسّرين، ومن أقوال الفقهاء والعلماء البارزين بنسبة تفسير القرآن وإيضاح أحكامه. وتفسيره متميّزا مشتملا على فوائد شتّى من حل مشاكل اللغة وبيان أحكام ومسائل الدينيّة.

ومع أنّه زيّن كتابه بكلام المفسّرين السابقين، ولكن جاء الشيخ عليه الرحمة بشيء جديد، بطراز نادر، وبسهل الأسلوب، كأنّه هو جلاء الصدور، وبهجة الخواطر، ونور الأبصار، وهذا قمر الأقمار، ونور الأنوار، ينوّر بقاع العالم بضيائه اللامع الزاهي، وما أنا ببالغ في المدح، ولا في استطاعتي على ما كتب هذا الإمام. وإليكم هذا الكتاب، وانظروا يا أيها الأحباب، ولاحظوا فيه كلّ ما يقتضي إليه الحاجة البشريّة في الدنيا والآخرة من علم وومعرفة وأدب، وهو فصل الخطاب الملهم من حضرة الجناب. وهل يتذكر إلّا أولي الألباب؟

ومن حيث في شبه القارة الهنديّة؛ ما وقع نظري على مثال كتابه في هذا الباب (كتب التفسير المختصرة في اللغة العربيّة) من العصور القديمة حتّى الآن، من ناحية إيضاح معاني الكلمات الغريبة للآيات القرآنية بالكلمات المختصرة السهلة، وحسن الترتيب والمواد. ويمتاز منزلته في الحكم باستخدام جميع أساليب الآئمة المفسّرين، وقد استفاد منهم، وهذا صعب جدّا، ولكنّ الله يسهّل على من يشاء ويريد، وما ذلك على الله بعزيز.

منهج تأليف المخطوط، وبراعة أسلوبه، وقيمته من بين الكتب المؤلّفة في فنّه

يتمثّل هذا المنهج في الدقائق التالية، وهي:

- منهج المؤلّف في مخطوطه، هو منهج قويم، وهذا المنهج يدلّ على الصراط المستقيم، وذلك هو الفوز العظيم.
- أوّل شيئ وقبل كلّ شيئ بأنّه اختار أسلوب الاختصار
- إنّه قد تأثر جدّا بأسلوب جلالين، واختار طريقته في تفسيره
- ما ذكر أسباب النزول للآيات إلّا قليلا.
- إنّه يذكر تعليلات الصرفيّة في حلّ الكلمات الصعبة.

– كشف فيه الشيخ عليه الرحمة المطالب والمعاني.

– جاهد فيه لتوضيح المقاصد الإلهية والربّانيّة.

– أعرض في كتابه الشيخ عليه الرحمة عن طريقة المجادلين، الذين ينظرون إلى ظواهر الألفاظ، ولا يرون في بواطن المعاني.

–كل من استفتح عين عقله من رَقْدة الغفلات وسِنَة التقليدات، يهتدي بالتعمّق في هذا الكتاب إلى طريق الرشاد، ظواهر الألفاظ، ومنزل الصواب.

– ومن يطالع هذا الشرح العظيم، يرى لطائف أفكار، لاتكاد توجد في مطاوي الكتب الكبار. وبالإضافة إلى، كما تلاحظ في النكات التالية:

– وكلّ من يقرأ هذا الكتاب، فيجد فيه دقائق أستار، لا يشير إليها الفضلاء في الأمصار.

– رتّب الشيخ كتابه هذا بترتيب أنيق، وانتخبه بتهذيب ذليق، لا يعرف مقداره إلّا من أعطاه الله الإنصاف والبصيرة.

– ومن منهج المؤلّف، في مسائل الخلافيّة بين الفقهاء، يذكر حكم الفقهاء بالإيجاز والتقصير، ولا يذكر الدلائل التفصيليّة عن تلك المسائل.

– لم يكن المؤلّف مجرد ناقل للنصوص، أو الأقوال أهل العلم، وإنّما كانت له بياناته وإضافاته، ومشاركاته لأهل العلم في أقوالهم وآرائهم، ويظهر ذلك في كثير من مواضع البحث.

– ظهور شخصية المؤلّف المفسّرة في الكتاب بصورة واضحة في مواضع كثيرة.

– يربط المؤلّف القارئ بكتب التفسير الأخرى بالإحالة إليها في الآيات العديدة، التي بسط القول فيها هناك.

فيظهر من السطور المذكورة والنكات السابقة منهج المؤلّف العلمي، وبراعة أسلوبه، وقيمة كتابه من بين الكتب المؤلّفة في تفسير القرآن الكريم. وأيضا تظهر أهمية هذا المخطوط لدارسي اللغة العربيّة، ومن يعتنون بها في استخدام هذا التفسير.

ملخص القول:

ومن الحقيقة، لا يمكن الإنكار، أنّ هناك ألّفت كتب كثيرة في التفسير ولها مزايا كثيرة، وخصائص متنوّعة، لكن أنّ في علمي، فهو: ما رأيت كتابا مثل كتاب الشيخ كليم الله الجهان آبادي عليه الرحمة في تفسير القرآن الكريم، لأنّه ليس أكبر حجما، بل أوفر مودا علميّا بالإيجاز والاختصار، وأسهل فهما، وأحسن منهجا من حيث عصره وفنه ونوعه من بين كتب التفسير المعتبرة المستندة.

ملحوظات:

كما أنّ مزايا الكتاب كثيرة، كذلك توجد عليه مآخذ، وملحوظات وجهة نظري، كما في السطور الآتية:

- قد ذكر المؤلّف أقوالا كثيرة، ويكتفي بقوله، فلا يذكر اسم صاحب القول، ولا اسم كتابه، وهذا في بعض المقامات.

- يذكر المؤلّف هذه الجملة كثيرا: "كذا في الحديث" مع ذلك بأنّه قد ذكر مفهوم الحديث بالاختصار، وليس "الحديث" في كتب الحديث بتلك الكلمات.

- يكثر من قول: "قيل" دون ذكر صاحب القول، أو كتابه. هكذا في كثير من المواضع.

هذا المنهج لا يخلو من الصعوبة حول التحقيق، ولكن مزايا التفسير "قران القرآن بالبيان" كثيرة جدّا.

والمقصود الحقيقي لتأليف هذا المخطوط عند المصنّف، هو إحياء تراث لتفسير القرآن بالإيجاز في شبه القارة على الملّة الحنفيّة البيضاء، لأنّ الناس قد تعبوا جدّا ولم يتوجهوا إلى التفاسير الطوال، التي لا صلة لها بالملّة الحنفيّة. نسأل الله تعالى أن يعفو عنّا برحمته الواسعة. آمين.

المبحث الثالث: منهج التحقيق

منهجي في التحقيق:

- ولقد سرت في تحقيق للنص على المنهج التالي:

- حرصت على إخراج نص المؤلف سليماً مألوفاً عند عصرنا.

- قمت بإثبات تكميل الآيات وأسماء السور، ووضعت الآيات بين هذين القوسين ﴿...﴾، ونقلتها كاملة في الهامش، إن جاء بها المؤلّف باستخدام جزء منها.

- خرجت الأحاديث المضمنة وغيرها التي وردت في المخطوط من المصادر الأصليّة، وسلكت في هذا المجال كما يلي:

- خرّجت الأحاديث والآثار التي تنص المؤلف على ذكر مصادرها من تلك المصادر، فإن كان الحديث، أو الأثر في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفينا بالعزو لهما، ذاكراً اسم المؤلّف، ثم اسم الكتاب، ثم الباب والفصل إذا كانا هناك، ثم رقم الحديث، ثم الجزء والصحفة واضعاً بينهما خطاً

مائلاً مثل /. وفي ضمن تخريج الأحاديث في الصحيحين اعتمدت على نسخة "صحيح البخاري" تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، وكذا نسخة "صحيح مسلم" بتحقيق: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

- أمّا الأحاديث التي لم يزكر المولّف لها مصدراً، فاجتهدت في تخريجها من أيّ مصدر من مصادر أهل العلم جاعلاً رقم الحاشية عند نهاية تلك الرواية.

- اكتفيت برقم الحديث والجزء والصفحة فقط، إذا كان الباب ليس بمذكور.

- التزمت بذكر متن الأحاديث، بين هذين القوسين الصغيرين المكررين ((...)).

- وقد ذكرنا المصادر والمراجع في الحواشي تفصيلاً عند أول ورودها، ومرة أخرى قد كتبنا اسم المؤلّف، ثم اسم الكتاب، ثم الجزء والصفحة فقط.

- أوثقت أقوال أهل العلم التي يزكرها المؤلّف من كتبهم، أو من المصادر التي تنقل أقوالهم قدر الإمكان إن لم أجد كتبهم، أو لم أجد النص فيها.

- ترجمت لمن ذكر المؤلّف من الأعلام ترجمة موجزة ومختصرة عند أوّل وروده حيث يمكن لي.

- إذا وجدت تصحيفاً، أو تحريفاً، أو نقصاً، أو زيادة، أو سقطاً، أو أيّ خطاء في المخطوط، فأثبت الصواب في المتن بين هاتين المعقوفتين {...}، ثم أشرت في الحاشية إلى الخطاء الذي كان في المخطوط، وإلى المخطوط الذي تمّ منه التصويب، مثلاً: هكذا في مخطوط أ، أو في مخطوط ب، أو في مخطوط ج.

- رجعت إلى كتب المصادر المطبوعة لتقويم النص عارضا نصها عليها، وبعضها طبع في عصرنا الحاضر بعد التحقيق، فلذا اعتمدت عليها. قمت بترجة الأعلام المذكورين في المخطوط.

- عرفت بالأماكن والبلدان. ذكرت تعريف الشعوب والقبائل.

- التزمت بقواعد الإملاء، وصححت الأخطاء النحويّة، كما همزت ما وجدته غير مهموز، وقد فرّقت بين همزة الوصل وهمزة القطع، مثل: أن، إن، أما، أبو، أبي وغيرها، دون أن أنبه إلى ذلك.

- التزمت بالقواعد الإملائية، من حيث الاختلاط بين الياء والألف المقصورة، مثل: علي وعلى.

- التزمت فيه بعلامات الوقف والترقيم، وهي: النقطة (.)، النقطتان العموديتان (:)، الفاصلة (،)، الفاصلة المنقوطة (؛)، علامة الاستفهام (؟)، علامة التعجب (!)، علامة التنصيص (".....")، وعلامة الحذف {...}، وهذين القوسين الكبيرين لصفحة المخطوط [ص...] وغيرها.
- شكّلت الآيات ومايلزم من ألفاظ الأحاديث النبويّة.
- وقد ذكرت الكلمات التعظيميذة، والمراتبيّة، والدعائيّة في المخطوط، إن لم يذكر المؤلّف، أو ذكرها ناقصاً؛ فذكرتها كاملاً، بعد اسم الجلالة (الله)، وبعد أسماء الأنبياء، والصحابة والصحابيّات، والتابعين والتابعيّات، والأولياء الكرم، والفقهاء العظام، مثلاً: (جلّ جلاله/ عزّوجلّ / تعالى)، صلّى الله عليه وسلّم / صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم / عليه الصلاة والسلام / عليك الصلاة والسلام / عليه السلام / عليهما السلام / عليهم السلام)، (رضي الله تعالى عنه/ عنها/ عنهما/ عنهم/ عنهن)، (رحمة الله تعالى عليه/ عليهما/ عليهم، عليه الرحمة/ عليهما الرحمة/ عليهم الرحمة).
- قمت بإثبات أرقام صفحات المخطوط، ووضعتها بين هذين القوسين الكبيرين [ص...]
- زينت المخطوط بمقدمة تحتوي على أمور هامّة.
- قمت في آخر المخطوط بالفهارس الفنيّة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.
- اهتممت باستخراج متن الأحاديث الواردة في المخطوط بضبطه ضبطاً كاملاً بالرجوع إلى المصادر، لأنّ الناظر في الأحاديث التي اختارها الشيخ عليه الرحمة، يرى أنّ بعضها قد يكون جزء من حديث؛ بل إنّه يجد الحديث الواحد عدّة مرّات في البحث على حسب المنهج الذي سار عليه المؤلّف، وهذا شيء يصعب في الفهم عن الحديث؛ فلذا ذكرت في آخر البحث في الفهارس الفنيّة مع رقم الصفحة لتسهيل مهمّة القاري في القرآءة، ومن البحث لسهولة القاري للانتقال إليها بدون أيّ صعب وتعب.
- وقد تركت حول إعداد فهرس الأعلام باندراج الاسم الذاتي والأسماء الصفاتيّة للباري تعالى، ولنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأسماء الملائكة، وأسماء الكتب المنزّلة من الله تعالى، وأيضا بعض الأسماء الأخرى الواردة في المخطوط بكثرة الاستعمال مخافة التطويل والتكرار.

نماذج المخطوطات

1- الصفحة الأولى من مخطوط "أ".
2- الصفحة الأخيرة من مخطوط "أ".
3- الصفحة الأولى من مخطوط "ب".
4- الصفحة الأخيرة من مخطوط "ب".
5- الصفحة الأولى من مخطوط "ج".
6- الصفحة الأخيرة من مخطوط "ج".

الباب الثالث

تحقيق نص المخطوط

{يا هادي المضلّين! اهدنا}[1]. رب يسّر، ولا تعسّر، وتمّم بالخير.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده، فهو نور على نور، هدى بنوره من شاء من عباده من الغيب إلى {الحضور}[2]، والصلاة والسلام على النور الأتمّ محمّد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه بدور الدجى، شموس الظلم.أما بعد!

فهذه ملتقطة من تفاسير العلماء على الملة الحنفيّة البيضاء، كفاية لتالي {القرآن}[3]، سمّيتها بقران القرآن بالبيان، وأنا الفقير كليم الله بن نور الله[4] {الحنفي مذهبا، والصوفي مشربا}[5]. وكان ذلك في شهور سنة ألف ومائة وخمس وعشرين من هجرة النبيّ عليه من الصلاة أزكاها، ومن التسليمات أنماها.

سورة الفاتحة مكية، وهي سبع آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

اقرء، هي من الفاتحة عند الشافعي[6]، لا عند مالك[7]، وأبو حنيفة رحمه الله[1] لم ينصّ بشيء، فظنّ أنّها ليست منها، والاسْمِ من المحذوفة الإعجاز، زيدت همزة الوصل في أوّله، ولم يقل

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب، ج، والتصويب من أ.

2 – في مخطوط: ج "الشهادة" بدل "الحضور".

3 – في مخطوط: ب "الفرقان" بدل "القرآن".

4 – كليم الله بن نور الله (المؤلف رحمه الله تعالى).

5 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط: ج، والتصويب من أ ، ب.

6 – الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، القرشي المطلبي، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر، وابنه شافع بن السائب من صغار الصحابة، وأمه أزدية. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، عماد الدين، أبو الفداء، (ت: 774هـ). البداية والنهاية: (ط-1، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ / 1988م). ١٠/ ٢٧4.

7 – مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الاصبحي، وكان أبو عامر أبو جد مالك حليف عثمان بن عبيد الله التيمى القرشي، كان مولد مالك سنة ثلاث أو أربع وتسعين، وكنيته أبو عبد الله، من سادات أتباع التابعين، وجلة الفقهاء والصالحين، ممن كثرت عنايته بالسنن، وجمعه لها، وذبه عن حريمها

بالله؛ فرقا بين اليمين والتيمّن. وطولت الباء عوضا عن الألف الساقطة لكثرة الاستعمال اللهِ أصله: آله: المعبود، وهو كالعلم لذاته المخصوصة المعبودة بالحقّ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO مبالغتان في الرحمة، وهي رقّة القلب، وإرادة الخير لأهله، والأوّل خاص اللفظ وعام المعنى، وهو أبلغ من الثاني، وهو عكسه. قولوا: أيها العباد! هذه وما بعدها الْحَمْدُ هو الثناء على الجميل من كل حامد على كل محمود للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO التربية: تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، مصدر أو نعت، والعالم: اسم لما يعلم به، وهو ما سواه، فهو علامة له، وغلب العقلاء في الجمع الناعت عن الأجناس المختلفة الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO مرّ ذكرهما مَالِكِ الأمور في يَوْمِ الدِّيْنِO أي: الجزاء، يا من هذا شأنه إِيَّاكَ نَعْبُدُ نخضع ونذلّل وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُO [ص2] في المهمّات، كأنّه قال تعالى: كيف أعينكم؟ قالوا: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَO الهداية: دلالة بلطف صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بدل الكل من الصراط، أي: طريق المؤمنين غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ قيل: هم اليهود،[2] بدل من الذين وَلَا الضَّالِّيْنَOع قيل: هم النصارى[3]. آمين: استجب.

=وقمعه من خالفها أو رام مباينتها مؤثرا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرها من المخترعات الداحضة قائلا بها دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة مات سنة تسع وسبعين ومائة. البستي: محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، التميمي، (ت: 354هـ). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: (ط-1، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء، المنصورة، 1411هـ / 1991م). ص:223.

1 - أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه، مولى لتيم الله ابن ثعلبة: ولد سنة ثمانين ومات ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة. إبراهيم بن علي: أبو اسحاق، الشيرازي، (ت: 476هـ). طبقات الفقهاء: (ط-1، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م). 86/1.

2 - اليهود: قد قال الشهرستاني في الملل والنحل: هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: " إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ " " الأعراف: 156 " أي رجعنا وتضرعنا. قال البيروني في الآثار الباقية: ليس ذلك بشيء، وإنما سميّ هؤلاء باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة. أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد، عماد الدين، (ت: 732هـ). المختصر في أخبار البشر: (ط-1، المطبعة الحسينية المصرية، بدون سنة النشر). 87/1.

3 - النصارى: سموا: نصارى، باسم القرية التي نزل فيها المسيح، وهي: ناصرة، من أرض الخليل. ابن رجب: زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (ت: 795هـ). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: (ط-1، دار ابن حزم، 1424هـ / 2004م). ص: 619.

سورة البقرة مدنية، مائتان وست أو سبع وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمّٓO آمنا بما أراد الله به، وهو أعلم بمراده بذلك ذَالِكَ أي: هذا الْكِتَابُ الذي أنزل على محمّد صلى الله عليه وسلم لَا رَيْبَ لا شك فِيْهِ أنه من عند الله، والإشارة البعيدة للتعظيم هُدًى خبر بعد خبر لِّلْمُتَّقِيْنَO أي: للمؤمنين، الذين يتّقون أنفسهم عن النار بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ويعملون بطاعته الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ يصدقون بِالْغَيْبِ بالبعثة والجنة والنار وسائر ما أخبر به المخبر الصادق وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ بحقوقها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO{لوجه الله في طاعته}[1]، والرزق: ما أعطى وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ من القرآن وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ التوراة والإنجيل والزبور وغيرها وَبِالْآخِرَةِ بما يتعلّق بأمر الآخرة هُمْ يُوْقِنُوْنَO علم استدلال أُولٰئِكَ الموصوفون بهذه{الصفات}[2] عَلَى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO الفائزون بالجنة، والناجون عن النار إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كأبي جهل[3] وأبي لهب[4] وأضرابهما سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَايُؤْمِنُوْنَOلقطع علمه تعالى بعدم إيمانهم، فلاطمع فيه لطامع، والإنذار: إعلام تهديد خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ طبع واستوثق بضرب الخاتم حتّى لايدخلها الخير وَعَلَى سَمْعِهِمْ فلا سماع للحق منهم وحّد لأنه مصدر وهو جنس [ص3]وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ فلا استبصار الحق منهم للغطاء وَّلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌOع في الديمومة والقوّة، ونزل في المنافقين وهم أخبث الكفرة عند الله إذ هم في الدرك الأسفل من النار وَمِنَ النَّاسِ

---

1 - في مخطوط ج " لوجه طاعة الله".

2 - في مخطوط ب و ج "الأوصاف".

3 - أبي جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبيّ صلّى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الأخبار: سوّدت قريش أبا جهل ولم يطرّ شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام، وكان يقال له: "أبو الحكم"، فدعاه المسلمون: "أبا جهل". الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، (ت: 1396هـ). الأعلام: (ط-15، دار العلم للملايين، 2002م). 87/5.

4 - أبي لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش: عم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنيا عتيا، كبر عليه أن يتبع دينا جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره وحرض عليهم وقاتلهم. وفيه الآية " تبّت يدا أبي لهب، وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب ". وكان أحمر الوجه، مشرقا، فلقب في الجاهلية ب "أبي لهب". مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها. الزركلي: المرجع السابق، 12/4.

مَنْ يَّقُوْلُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِالْآخِرِ وبما يعقبه وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِيْنَO عند الله، روعي في مَن اللفظ، والمعنى ضميرا يُخَادِعُوْنَ اللهَ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا يعلنون، غير ما يخفون لينجوا عمّاهم، يريدونه بهم وَمَا يَخْدَعُوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ لما اطّلع الله رسوله على ضمائرهم فلا ينتفعون بخديعتهم وَمَايَشْعُرُوْنَO إن الخديعة مع الله يحيق بأنفسهم، والمخادعة هاهنا من جانب فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ نفاق فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا بازدياد شان الرسول ودينه يوما فيوما وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ نكال موجع بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَO في قولهم: امنا وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ بالحروب مع المؤمنين قَالُوْا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَO زعموا الفساد صلاحا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ تحقيقا وَلٰكِنْ لَّايَشْعُرُوْنَO به لختم المشاعر وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ آمِنُوْا كَمَا آمَنَ النَّاسُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالُوْا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الجهال أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَّا يَعْلَمُوْنَO سفاهتهم، لاقى ابن أبي[1] أبا بكر رضي الله عنه[2] وعمر رضي الله عنه[3]

---

1 – ابن أبي: عبد الله بن أبيّ ابن سلول يكنى أَبَا الْحُبَاب، بابنه الْحُبَاب، وَكَانَ رأس المنافقين، كان عَبْد اللَّهِ بْن أَبِي من أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه، ويسندوا أمرهم إِلَيْهِ قبل مبعث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما جاء الله بالإسلام نفس على رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبوة، وأخذته العزة، فلم يخلص الإسلام، وأضمر النفاق حسدا وبغيا. ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، أبو عمر، النمري، (ت: 463هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (ط–1، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ / 1992م). 940/3، 941.

2 – أبا بكر رضي الله عنه: هو عبد الله بن أبي قُحَافَة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم (سنة 11 هـ) فحارب المرتدين والمتنعين من دفع الزكاة. الزركلي: المرجع السابق: 102/4.

3 – عمر رضي الله عنه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم. وهو أحد العمرين اللذين كان النبي صلّى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر (سنة 13 هـ) بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجريّ. الزركلي: المرجع السابق. 45/5.

وعلياً رضي الله عنه[1]، فأظهر الإيمان، فأثنى عليهم استهزاءا، نزل: وَإِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ آمَنُوْا قَالُوْا آمَنَّا تهكما وَإِذَا خَلَوْا منهم، ورجعوا إِلَى شَيَاطِيْنِهِمْ رؤسائهم؛ المظهرين الكفر قَالُوْا إِنَّا مَعَكُمْ في الدين إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَO بالمؤمنين بإظهار الإيمان اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم[ص4]باستهزاءهم وَيَمُدُّهُمْ يمهلهم فِيْ طُغْيَانِهِمْ تجاوزهم الحد بالكفر يَعْمَهُوْنَO يتحيرون، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء أُولَئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا اختاروا الضَّلَالَةَ الهوى بِالْهُدَى بالفطرة السليمة فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ بل خسروا، لأن النار المؤبدة محصولها وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَO في صيانة رأس المال، أي: الفطرة السليمة عن الإضاعة مَثَلُهُمْ صفتهم في نفاقهم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ أوقد نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ أنارت مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُوْرِهِمْ ضمير الجمع برعاية معنى الذي وَتَرَكَهُمْ فِيْ ظُلُمَاتٍ لَّايُبْصِرُوْنَO أعطوا الفطرة السليمة، ونطقوا بالحق، فأضاعوها باستبطان الكفر، هم صُمٌّ عن سماع الحق بُكْمٌ عن تكلم الحق عُمْيٌ عن رؤية الحق فَهُمْ لَايَرْجِعُوْنَO عن الضلالة إلى الهدى أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ أي: أو مثلهم كذوي مطر من السحاب فِيْهِ ظُلُمَاتٌ متكاثفة وَّرَعْدٌ هو الملك للأمطار، أو صوته وَّبَرْقٌ لمعان يَجْعَلُوْنَ أي: أصحاب الصيب أَصَابِعَهُمْ فِيْ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ جمع صاعقة، هي شدة صوت الرعد حَذَرَ الْمَوْتِ من سماعها وَاللهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَOعِلما وقدرة فلا يفوتونه كذالك هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن؛ يجعلون أصابعهم في آذانهم من استماع الوعيد؛ المشبهة بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق، والكفر المشبهة بالظلمة حذرا عن الإيمان، الذي عندهم كالموت يَكَادُ الْبَرْقُ يقرب يَخْطَفُ يأخذ بالسرعة أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَلَهُمْ مَّشَوْا فِيْهِ أي: في ضوئه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا تمثيل بمشيتهم مع المحبوبات التي تليت عليهم من القرآن، ووقوفهم مع المكروهات منه وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ [ص5]بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ الظاهرة والباطنة إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO ع يَا أَيُّهَا النَّاسُ خطاب لمشركي مكة اعْبُدُوْا وحّدوا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَOراجين تقوى أنفسكم عما سوى الله الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا بساطا قابلا للسكنى وَّالسَّمَاءَ بِنَاءً

---

1 – عليا رضي الله عنه: علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن. أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربّي في حجر النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى. وزوّجه بنته فاطمة. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم بين أصحابه قال له: أنت أخي. ومناقبة كثيرة. الكتاب: العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، أبو الفضل، (ت: 852هـ). الإصابة في تمييز الصحابة: (ط–1، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ). 464/4.

سقفا وَّأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِه مِن أنواع الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوْا لِلهِ أَنْدَادًا شركاء وَّأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO أنه لاخالق إلا هو، ولا يكون إلها إلا من خلق وَإِنْ كنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ شك مِّمَّا نَزَّلْنَا من القرآن عَلَى عَبْدِنَا محمد عليه السلام، إنه من عند الله، أو من عند غيره فَأْتُوْا بِسُوْرَةٍ قدر ثلث آيات مِّنْ مِّثْلِه أي: المنزل وَادْعُوْا للإعانة في إتيان هذا القدر شُهَدَاءَكُمْ آلهتكم مِّنْ دُوْنِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم: إنه من كلام محمد عليه السلام فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا أبدا فَاتَّقُوْا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ أي: الكفار وَالْحِجَارَةُ أي: الأصنام أُعِدَّتْ هيئت لِلْكَافِرِيْنَO وَبَشِّرِ اخبر خبرا سارّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا بالله وبمحمد عليه السلام وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أي: مياهها كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا منْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوْا هٰذَا الَّذِيْ مثل ما رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ في الدنيا وَأُتُوْا جيؤا بِهِ بالرزق مُتَشَابِهًا في الألوان دون الطعم وَلَهُمْ فِيْهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ من الحيض والبول مثلا وَّهُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOماكثون أبدا. نزل ردا لقول اليهود:(ماأراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة)[1]، مثل: [ص6] الذباب والعنكبوت إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِيْ لا يترك أَنْ يَّضْرِبَ يجعل مَثَلاً مفعول أول مَّا نكرة موصوفة، بما بعدها مفعول ثان بَعُوْضَةً واحد البعوض: أصغر البق فَمَا فَوْقَهَا أكبر منها فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ أي: المثل الْحَقُّ الثابت الواقع موقعه مِنْ رَبِّهِمْ فَمَا وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَا أي: ما الذي أَرَادَ اللهُ بِهٰذَا مَثَلاً تمييز، قال تعالى في جوابهم يُضِلُّ اللهُ بِهِ بضرب المثل كَثِيْرًا من الكافرين وَّيَهْدِيْ بِهِ إلى الرشد كَثِيْرًا من المؤمنين وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِيْنَO الخارجين عن طاعته الَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللهِ حيث عهدوا أنه إذا بعث محمد عليه السلام نؤمن به مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ أي: تأكيد العهد عليهم وَيَقْطَعُوْنَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُّوْصَلَ من الإيمان بالنبي عليه السلام والرحم وغير ذلك، وأن: بدل عن الضمير به وَيُفْسِدُوْنَ بالمعاصي سيما الإعراض عما جاء به النبي محمد عليه السلام فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ الموصوفون بما ذكر هُمُ الْخَاسِرُوْنَO في الدنيا؛ بإهمال النظر الصحيح، وفي الآخرة؛ بإفساد الحياة الأبدية. اخبروني يا أهل مكة! كَيْفَ تَكْفُرُوْنَ بِاللهِ على أيّ حال كفركم به تعالى وَقد كنْتُمْ أَمْوَاتًا نطفا فَأَحْيَاكُمْ بنفخ الروح ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ عند انقضاء الآجال ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ بالبعث ثُمَّ إِلَيْهِ تعالى تُرْجَعُوْنَO لمجازاة الأعمال هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا لتنفعوا بأسباب الحياة أوّلا، وبالاستدلال به على توحيده تعالى ثانيا ثُمَّ بعد خلق الأرض اسْتَوَى قصد إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ أي: عدلهن من غير عوج وفطور، وهُنَّ: راجع إلى السماء لأنها جمع بتأويل أجرام سَبْعَ سَمَاوَاتٍ [ص7] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌOع ومن

1 – الجلالين: جلال الدين، محمد بن أحمد، المحلي (ت: 864هـ)، وجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، (ت: 911هـ). تفسير الجلالين: (ط–1، دار الحديث، القاهرة، بدون سنة النشر). ص: 7.

هذا شأنه يقدر على البعث لا محالة وَاذكر يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ جمع: ملاك، مقلوب مالك من الألوكة، بمعنى الرسالة، والتاء لتأنيث الجمع إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الْأَرْضِ خَلِيْفَةً ينفذ الأحكام لقصور أهل الأرض في اكتساب الفيض من غير توسط قَالُوْا أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا بالمعاصي وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ من غير حق، كما فعل بنو الجان، فلما أفسدوا أرسل إليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال وَنَحْنُ نُسَبِّحُ متلبسين بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ نطهر لَكَ عما لا يليق قَالَ إِنِّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO من المصلحة، فخلق آدم[1] من الأرض، ونفخ الروح فيه وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ أي: أسماء المسميات كُلَّهَا بأن ألقاها جملة في قلبه ثُمَّ عَرَضَهُمْ أي: المسميات عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُوْنِيْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ المسميات إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم، إنكم أحقاء للخلافة قَالُوْا سُبْحَانَكَ ننزهك عن الاعتراض عليكلَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إياه إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيْمُ لايشذ عن علمك شيء الْحَكِيْمُO فيما فعل قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَاهُم بِأَسْمَائِهِمْ فسمى كل شيء باسمه، وذكر حكمة خلقه قَالَ تعالى أَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ما غاب عنكم فيهما وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ بقولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا﴾[2] وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَO في قلوبكم، أي: نحن أحقاء بالخلافة وَاذكر إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ

---

1 – آدم: (أ) أجمع أهل الأثر أن آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة، لست خلون من نسيان وكساه الله لباساً من ظفره، وأسجد له ملائكته فسجدو إلا إبليس وكان ملكا على الأرض يصعد إلى السماء متى شاء فأبى من السجود لآدم، وقال أنا كنت خليفتك على الأرض وهو من تراب كنت أطؤه، وأنا من نار وهو من طين، فلي عليه الفضل من كل جانب، وأفضله بالاجنحة التي أغشى بها أقطار الأرض في اقل من لمح البصر، فلما امتنع من السجود أبلسه الله ولعنه. المسعودي: على بن الحسين بن على، أبو الحسن، (ت: 346هـ). أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: (دار الأندلس، بيروت، 1416هـ / 1996م). 71/1.
(ب) آدم عليه السلام: عن ابن عباس قال: خرج آدم من الجنة بين صلاة الظهر وصلاة العصر، فأنزل إلى الأرض، وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وهو خمس مئة سنة من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة، واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا، فأهبط آدم على جبل بالهند يقال له: نود وأهبطت حواء بجدة فنزل آدم. معه ريح الجنة، فعلق بشجرها وأوديتها، فامتلأ ما هنالك طيباً. فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح آدم. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، الإفريقى، (ت: 711هـ). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: (ط-1، تحقيق: روحية النحاس، وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1402هـ / 1984م). 13/11.

2– جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّيْ جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْا أَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيْ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 30.

سجود تحية بالانحناء، أو وضع الجبهة على الأرض فَسَجَدُوْا إِلَّا إِبْلِيْسَ هو أبو الجن، كان بين أظهر الملائكة معلما أَبَى امتنع وَاسْتَكْبَرَ [ص8] قال أنا خير منه وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَO في علم الله تعالى وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ المخلوقة من الضلع الأيسر منك الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا واسعا، لا منع فيه حَيْثُ شِئْتُمَا أيّ مكان من الجنة شئتما وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ الحنطة، أو الكرم، أو غيرهما فَتَكوْنَا فتصيرا مِنَ الظَّالِمِيْنَO فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ فحملهما على الزلة عَنْهَا عن الجنة، حيث قال: هل أدلكم على شجرة الخلد وقاسمهما بالله إنه لمن الناصحين فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ من النعيم وَقُلْنَا اهْبِطُوْا أنتما مع ذريتكما، والهبوط: النزول إلى السافل بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ تمتع إِلَى حِيْنٍO أي: القيامة فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّه كَلِمَاتٍ استقبلها بالأخذ والقبول، يعمل بها حين علّمها، وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾[1] فَتَابَ عَلَيْهِ قبل توبته إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ على عباده الرَّحِيْمُO بهم قُلْنَا اهْبِطُوْا للتأكيد مِنْهَا من الجنة جَمِيْعًا فَإِمَّا بإدغام نون إن الشرطية في ميم، ما الزائدة يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى كتاب ورسول فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فآمن بي، وبما جاء به رسولي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا بكتبنا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOع ماكثون أبدا من غير موت وخروج يَا بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ آل يعقوب[2] اذْكرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ أنعمت على آبائكم، أو أنعمت عليكم بإدراككم شرف زمن محمد صلى الله عليه وسلم وَأَوْفُوْا بِعَهْدِيْ بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ بإدخال الجنة وَإِيَّايَ فارْهَبُوْنِO خافوني في ترك وفاء العهد دون غيري [ص9] وَآمِنُوْابِمَا أَنْزَلْتُ أي: القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ من التوراة وَلاَ تَكُوْنُوْا أَوَّلَ كافِرٍ بِه لأن خلفكم تبع لكم في الإثم وَلَا تَشْتَرُوْا لا تستبدلوا بِآيَاتِيْ التي في كتابكم من نعت محمد عليه اللسلام ثَمَنًا قَلِيْلاً عوضا يسيرا وَإِيَّايَ فَاتَّقُوْنِO خافوني دون غيري

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْلَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 23.

2 – آل يعقوب: كان إسحاق يميل إلى يعقوب ويدعو له. ويقال: إنه قال للعيص أطعمني لحم صيد أدع لك، فسمع يعقوب فجاءه بلحم فدعا له فظنه العيص، فتوعد العيص يعقوب بالقتل فخرج هاربا إلى خاله لابان فزوجه ليا، فولدت له روبيل، وشمعون، ولاوي، ويشحب، وزبالون، وقيل: زيلون. ثم توفيت فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف، وابن يامين. الجوزي: عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، أبو الفرج، (ت: 597هـ). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: (ط–1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ / 1992م). 309/1.

وَلَا تَلْبِسُوْا الْحَقَّ لا تخالطوا الحق؛ المنزل من الله تعالى بِالْبَاطِلِ الذي غيَّرتم إليه وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ أي: لا تكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO أنه الحق وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوْا مَعَ الرَّاكِعِيْنَO وصلوا مع المصلين على دين محمد عليه الصلاة والسلام، فإن اليهود لم يكن لهم ركوع في صلاتهم أَتَأْمُرُوْنَ النَّاسَ أيها اليهود! فإنهم كانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتواعلى دين محمد، فإنه حق بِالْبِرِّ بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ولا تأمروها به وَأَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتَابَ التوراة، وفيه وعيد على المخالفة أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO قبح صنيعكم وَاسْتَعِيْنُوْا على حوائجكم إلى الله تعالى بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فإنهما يكسران شهوة النفس، التي طبعت على حب الرياسة وعدم الخشوع وَإِنَّهَا أي: الصلاة لَكَبِيْرَةٌ لثقيلة إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِيْنَO المطيعين بالجوارح الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ يوقنون أَنَّهُمْ مُّلَاقُوْا رَبِّهِمْ بالبعث وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَOع الربع فيجازيهم بما عملوا يَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اذْكُرُوْا بالشكر نِعْمَتِيَ الَّتِيْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ فضلت آباءكم: الذين كانوا في زمان موسى عليه السلام[1] عَلَى الْعَالَمِيْنَO عالمي زمانهم من الناس وَاتَّقُوْا خافوا يَوْمًا أي: يوم القيامة لَّا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا لا تقضي [ص10] فيه نفس عن نفس؛ حقا من الحقوق وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا من النفس شَفَاعَةٌ في حق نفس من النفوس وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا من النفس عَدْلٌ فداء، فكيف المجّان؟ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَO يمنعون من عذاب الله تعالى وَاذكروا إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ أي: آباءكم مِنْ عذاب آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ يطلبونكم سُوْءَ الْعَذَابِ أشقه وأفظعه يُذَبِّحُوْنَ أَبْنَاءَكُمْ المولودين، بيان الأشد الأفظع وَيَسْتَحْيُوْنَ يستبقون نِسَاءَكُمْ لقول البعض {الكهنة}[2]: إن مولودا في بني إسرائيل يولد، يكون سببا لذهاب الملك عنهم وَفِيْ ذَالِكُمْ بَلَاءٌ محنة أو منحة مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌO وَاذكروا إِذْ فَرَقْنَا فصلنا بعضا عن بعض بِكُمُ بسببكم؛ لتدخلوا وتنجوا الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَاآلَ فِرْعَوْنَ قومه معه وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَO الإغراق وَاذكروا إِذْ وَاعَدْنَا مُوْسَى انقضاء أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً لإعطاء التوراة، ليعملوا بها ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ الذي

---

1 – موسى عليه السلام: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة، وكان عمره جميعه مائة وثلاثين سنة. وأم موسى يوخابد. واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي. ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، أبو الحسن، الشيباني، الجزري، عز الدين، (ت: 630هـ). الكامل في التاريخ: (ط–1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ / 1997م). 150/1.

2 – في الأصل "الكاهنة" والتصويب من ب و ج.

صاغه لكم السامري من حليكم مِنْ بَعْدِهِ بعد ذهاب موسى عليه السلام إلى الميعاد وَأَنْتُمْ ظَالِمُوْنَO أنفسكم بوضع العبادة في غير محله ثُمَّ عَفَوْنَا بمحو الذنوب عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَالِك الاتخاذ لَعَلَّكُمْ تَشْكرُوْنَO على نعمنا وَإِذْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة وَالْفُرْقَانَ عطف تفسيري، أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَO وَإِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ الذين عبدوا العجل يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إلها فَتُوْبُوْا إِلَى بَارِئِكُمْ خالقكم فَاقْتُلُوْا اَنْفُسَكُمْ قتل البارّ المجرم، حتّى قتل سبعون ألفا في يوم واحد، في سواد ضبابة، أو سحابة سوداء، لايبصر فيه قريب قريبا [ص11] ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فقبل توبتكم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُO وَإِذْ قُلْتُمْ حين خرجتم للاعتذار إلى الله من عبادة العجل، وهم سبعون، يسمعون كلام الله يَا مُوْسَى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً عيانا فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ قيل: نار من السماء، وقيل: صيحة، فمتم يوما وليلة وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَO ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ أحييناكم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمتنا وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ أسترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه[1] وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ الترنجبين، ينزل مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع وَالسَّلْوَى كان يبعث الله تعالى عليهم الحبوب، فيحشر عليهم، السلوى، أي: الطير السمانى، فيذبح الرجل ما يكفيه، وثيابهم لايبلى ولا يتوسخ، وينزل بالليل عمود نار، يسيرون به في {ضوئه}[2]، وقلنا كُلُوْا من غير الادخار مِنْ طَيِّبَاتِ حلالات مَا رَزَقْنَاكُمْ لكن ظلموا حيث ادخروا، أو كفروا نعمه تعالى، فقطع عنهم وَمَا ظَلَمُوْنَا بما فعلوا وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO أي: ضرر الادخار والكفران رجع إلى نفوسهم وَإِذْ قُلْنَا بعد خروجهم من التيه ادْخُلُوْا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ بيت المقدس[3] أو أريحا[1] فَكُلُوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا أكلا واسعا وَّادْخُلُوا الْبَابَ{باب

1 – التيه: وهو الموضع الذي ضلّ فيه موسى ابن عمران، عليه السلام، وقومه، وهي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام، ويقال إنها أربعون فرسخا في مثلها، وقيل اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ. الحموي: ياقوت بن عبد الله، شهاب الدين، أبو عبد الله، الرومي، (ت: 626هـ)، معجم البلدان: (ط–2، دار صادر، بيروت، 1995م). 69/2.

2 – وفي مخطوط ج: "صوته" والتصويب من أ و ب.

3 – بيت المقدس: هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرايط ومهبط الوحي. بناها داود وفرغ منها سليمان، عليه السلام. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ). آثار البلاد وأخبار العباد: (دار صادر، بيروت). ص:159.

القرية}[2] سُجَّدًا منحنين أو ساجدين عند الانتهاء إلى الباب، شكرا لإخراجهم من التيه وَّقُوْلُوْا مسئلتنا أو أمرنا حِطَّةٌ أي: أن تحط عنا خطايانا نَّغْفِرْلَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَO بالطاعة ثوابا فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ أي: فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم [ص12] قولا غير الذي قيل لهم: الحطة بالحنطة استهزاءًا، وأمروا بالسجود، فخالفوا بالزحيف عَلَى أستاههم فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا رِجْزًا عذابا مِّنَ السَّمَاءِ أي: الطاعون بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَO٤ فهلك في ساعة من النهار أربعة وعشرون ألفا، أو سبعون ألفا وَاذكروا إِذِ اسْتَسْقَى مُوْسَى لِقَوْمِهِ إذا عطشوا في التيه فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ اللام للجنس، وهو الأظهر، وقيل: الحجر الذي فرَّ بثوبه، وقيل: حجر طوري مكعب ذرع في ذرع من الرخام فَانْفَجَرَتْ فسالت بعد الشق مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا بعدد الأسباط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ أي: سبط مَّشْرَبَهُمْ بلا مشاركة غير فيه، وقلنا لهم كُلُوْا وَاشْرَبُوْا مِنْ رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا العثي: أشد الفساد، أي: لا تتجاوزوا بالتمادي والعث عن حدود الله تعالى فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَO حال مؤكدة للعامل، وفائدتها إخراج ما يقصد به الإصلاح، كما فعله الخضر عليه السلام[3] وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوْسَى لَنْ نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَّاحِدٍ نوعا؛ وهو المن والسلوى فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا شيئا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا بيانية وَقِثَّائِهَا وَفُوْمِهَا حنطتها وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ لهم موسى عليه السلام أَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِيْ هُوَ أي: ما سألوا أَدْنَى شر من حيث أنها إعدام للفراغ بمباشرة أسباب التحصيل بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ من حيث وجود الفراغ للعبادة بلا تحصيل وتعب، بل من السماء، فحسن المقابلة اهْبِطُوْا انزلوا مِصْرًا بلدة من البلاد فَإِنَّ لَكُمْ فيه مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ أحيطت عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ الهوان وَالْمَسْكَنَةُ واليهود في غالب الأمر أذلاء، مساكين وَبَاءُوْا رجعوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ذَالِكَ الضرب والغضب بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ [ص13] بِآيَاتِ

---

1 – أريحا: وهي مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك، سمّيت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام. الحموي: المرجع السابق.165/1.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

3 – الخضر عليه السلام: هو الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح. وقد اختلف العلماء لم سمي الخضر على قولين: أحدهما: أنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت، والفروة: الأرض اليابسة. عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إنما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء. والثاني: إنه كان إذا جلس اخضر ما حوله. قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضر ما حوله. واختلفوا هل كان نبيا أم لا. الجوزي: المرجع السابق.358/1.

اللهِ وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيِّنَ كزكريا[1] ويحيى[2]، وشعيب[3] عليهم السلام بِغَيْرِ الْحَقِّ أي: ظلما ذَالِكَ الكفر والقتل الذي هما من الكبائر بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَO٤ عن الحد بالمعاصي الصغائر إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بمحمد عليه الصلاة والسلام نفاقا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا من هاد يهود، إذا دخل في اليهودية، وكذا تهوّد، أي: اليهود وَالنَّصَارَى جمع نصران، كندمان وندامى وَالصَّابِئِيْنَ أي: طائفة منهما صبووا، أي: خرجوا من اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة مَنْ آمَنَ منهم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ في زمانه صلى الله عليه وسلم تحقيقا وَعَمِلَ صَالِحًا بدين محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ثواب أعمالهم عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يوم الفزع الأكبر وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO كغيرهم وَاذكروا إِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ بالعمل بما في التوراة، لما رأوا فيها من التكاليف الشاقة أبوا وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ فأمر جبرائيل عليه السلام فقلع الطور[4]، وظلّله فوق رؤسهم حتّى قبلوا، وقلنا لكم خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ بجهد واجتهاد وَّاذْكُرُوْا بالدراسة مَا فِيْهِ في التوراة لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَO المعاصي المفضية إلى النار ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم عن الوفاء مِّنْ بَعْدِ ذَالِكَ الميثاق فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ بالتأخير في العذاب عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيق التوبة لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِيْنَO حين أعرضتم وَالله لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَوْا تجاوزوا الحدّ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ هم أهل أيلة[5]، حيث نهوا عن صيد السمك يوم السبت، الذي

1 – زكريا عليه السلام: وهو زكريا بن أدي – وقيل: ابن برخيا– من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام. عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان زكريا نجارا. الجوزي: المرجع السابق.5/2.

2 – يحيى عليه السلام: ولد يحيى قبل عِيسَى بستة أشهر. وقيل: قبل أن يرفع عِيسَى عَلَيْهِ السلام، وكان يحيى قد رزق الفطنة والفهم فِي زمن الصبا من الصغر. الجوزي: المرجع السابق. 7/2.

3 – شعيب عليه السلام: هو شعيب يثرون بن صيفون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم، وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين، وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنما هو ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط، وكان ضرير البصر. ابن الأثير: المرجع السابق. 138/1.

4 – الطور: كل جبل أجرد لا ينبت شجراً، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يسمى الطور، وهو طور سيناء، قيل: إنه الذي أقسم الله به لفضله على الجبال، إذ روي أن الله تعالى أوحى إلى الجبال إني مهبط على أحدكم أمري، يريد رسالة موسى عليه السلام، فتطاولت كلها إلا الطور، فإنه استكان لأمر الله عز وجل. وقال: حسبي الله، فأهبط الله الأمر عليه، ويقال: إنه بمدين. الحِميرى : المرجع السابق.ص: 397.

5 – أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. قيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. وهي مدينة اليهود، الذين اعتدوا في السبت. ابن شمائل: عبد المؤمن بن عبد الحق، الحنبلي، القطيعي، البغدادي، صفيّ الدين، (ت: 739هـ). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: (ط–1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ). 1/ 138.

خصّوه بمجرّد العبادة، فاصطادوا يوم الأحد بسد مشارع الحياض النافذة من البحر يوم السبت فَقُلْنَا لَهُمْ جزاءا بما فعلوا من السد كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَO مبعدين عن الرحمة، فصاروا قردة، [ص14] وهلكوا بعد ثلاثة أيام فَجَعَلْنَاهَا تلك العقوبة نَكَالاً عبرة لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا من الأمم الحاضرة في زمان العقوبة وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَO الله لأنهم المنتفعون بالوعظ وَاذكروا إِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ وقد قتل قتيل لهم، لايدرون قاتله، وسألوه أن يدعوا الله يبينه لهم، فدعا، فقال: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً قَالُوْا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا مهزوا بنا، حيث تجيب بأمر غريب، قَالَ موسى عليه السلام: أَعُوْذُ بِاللهِ من أَنْ أَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَO المستهزئين، فلما علموا عزمه في الجواب قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ ما سنُّها؟ قَالَ موسى عليه السلام: اِنَّهُ تعالى يَقُوْلُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ مسنّة وَّلَا بِكرٌ صغيرة عَوَانٌ نصف بَيْنَ ذَالِكَ الفارض والبكر فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَO من ذبح البقرة، ولا تستقصوا في السؤال قَالُوْا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ موسى عليه السلام: اِنَّهُ تعالى يَقُوْلُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا شديد الصفرة تَسُرُّ النَّاظِرِيْنَO إليها قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ أ سائمة أم عاملة؟ إِنَّ الْبَقَرَ بجنسه، الذي نعت لنا تَشَابَهَ عَلَيْنَا لكثرتها، فلم نهتد إلى المقصودة وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُوْنَO لما استثنوا اهتدوا قَالَ إِنَّهُ يَقُوْلُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوْلٌ غير مذللة بالعمل تُثِيْرُ الْأَرْضَ تكر بها وَلَا مزيدة تَسْقِي الْحَرْثَ والفعلان صفتا ذلول مُسَلَّمَةٌ من العيوب وآثار العمل لَّا شِيَةَ لا لون فِيْهَا يخالط لونا لونا آخر قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ بالبيان الشافي، فما وجد غير بقرة؛ كانت عند فتى يتيم بار بوالدته، فاشتروها [ص15] بملاء مسكها ذهبا، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَOع لخوف الفضيحة عند ظهور اسم القاتل، أو لغلاء قيمتها، وفي الحديث: ((لَوْ ذَبَحُوْا أَيَّ بَقَرَةٍ أَرَادُوْا لَأَجْزَأَتْهُمْ، وَلٰكِنْ شَدَّدُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ))[1]، وقيل: زجروا عن مراجعة السؤال، لقوله: ﴿فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ﴾[2]، فلم ينزجروا، فوقع ما وقع وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيْهَا أصله تدارأتم: تخاصمتم،

---

1 – (أ) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، أبو سعيد، الشيرازي، (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (ط–1، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ).86/1.

(ب) الشربيني: محمد بن أحمد، شمس الدين، الشافعي، (ت: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: (مطبعة بولاق، القاهرة، 1285هـ). 69/1.

2– جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُوْلُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ﴾ سورة البقرة، الآية: 68.

أدغمت التاء في الدال، وأجلبت الهمزة وَاللهُ مُخْرِجٌ مظهر مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَO جملة معترضة، هي أول القصة، وآخرها فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ أي: القتيل بِبَعْضِهَا أيّ بعض كان، فضرب، قيل: بلسانها أو فخذها اليمنى أو أذنها أو العجب، فحيي، فعيَّن ابني عمه، ومات، فحرما بالميراث، وقتلا قصاصا كَذَالِكَ كما أحيي هذه النفس الواحدة يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى عند البعث وَيُرِيْكُمْ آيَاتِهِ الدالة على كمال قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO تدبرون، أن القادر على هذا قادر على ذلك ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ صلبت، لايؤثر فيها الاعتبار. أيها اليهود! مِّنْ بَعْدِ ذَالِكَ الإحياء والآيات {السالفة}[1]، التي توجب لينها فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ في القسوة اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً كالحديد وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ يتدفق الماء الكثير من خروقه المتسعة وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يَشَّقَّقُ أدغمت التاء في الشين بعد القلب، ينفك طولا أو عرضا فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ من علو إلى سفل مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وقلوب اليهود لاتتأثر، ولا تلين، ولا تخشع وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَO وإنما يؤخركم في الجزاء لوقت موعود أَفَتَطْمَعُوْنَ أيها المؤمنون! [ص16] أَنْ يُّؤْمِنُوْا أي: اليهود لَكُمْ أي: لأجل دعوتكم وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ طائفة من علمائهم يَسْمَعُوْنَ كَلَامَ اللهِ في التوراة ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهُ يغيّرونه مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ فهموه وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO إنهم مفترون، فإذا كان هذا شأنهم؛ فمن يطمع في إيمان أخلافهم؟ وَإِذَا لَقُوا أي: منافقوا اليهود الَّذِيْنَ آمَنُوْا قَالُوْا آمَنَّا بأن محمدا عليه السلام هو النبي المبشر في التوراة وَإِذَا خَلَا رجع بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوْا أي: الذين لم ينافقوا وأصروا عَلَى الكفر الصريح للذين نافقوا والذين نافقوا لأعقابهم إظهارا {للتصلب}[2] في اليهودية أَتُحَدِّثُوْنَهُمْ أ تخبرون أيها المنافقون المؤمنين بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ ما عرفكم الله في التوراة من نعت محمد عليه السلام لِيُحَاجُّوْكُمْ ليخاصم المؤمنون المنافقين بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا المحاجة بالكتاب محاجة عنده أو في الآخرة، واللام للصيرورة، ويقوم المفتوح المحدث حجة عليكم في ترك الاتباع مع علمكم بصدقه أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO ما يورث الأخبار فتنتهوا عنه قال الله أَوَلَا يَعْلَمُوْنَ هؤلاء المانعون عن الإظهار أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَO الكفر والإيمان وَمِنْهُمْ من اليهود أُمِّيُّوْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ الْكِتَابَ التوراة بالدراسة إِلَّا أَمَانِيَّ أكاذيب، جمع أمنية، وهي ما يقدره الإنسان في نفسه، والاستثناء منقطع بمعنى لكن، وهي أكاذيب أخذوها من المحرفين، أي: الرؤساء، فاعتمدوها وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّوْنَOالنصف ما هم في المختلفات إلا يظنون ظنا، لا علم معهم بالقاطع؛ وإن جزموا به فَوَيْلٌ شدة العذاب، أو اسم واد، أو جبل في جهنم لِلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ [ص17] أي: يحرفون الْكِتَابَ التوراة بِأَيْدِيْهِمْ غير

---

1 - في مخطوط ب "السابقة".

2 - وفي مخطوط ج: "للتصليب".

واصفة النبي صلى عليه السلام في التوراة، وآية الرجم، وكتبوا على خلاف ما أنزل طمعا من الأغنياء المال، {ليبقى}[1] لهم الجاه والحياة ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا {المختلق}[2] مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا وإن جلّ، لكن يسير بنسبة ما حلّ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيْهِمْ خلاف المنزل وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَO من الرشي، ولما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم النار وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ لن تصيبنا إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً أربعين يوما، مدة عبادة آبائهم العجل، أو سبعة أيام، قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، فبكل ألف تمس النار يوما قُلْ لهم يا محمد! عليك الصلاة والسلام أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا ميثاقا في تعيين المدة فَلَنْ يُّخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ بل تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ مَا لَاتَعْلَمُوْنَO بَلَى إثبات لما نفوه مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً شركا وَّأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيْئَتُهُ فلم يفتح له باب التوبة فَأُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO بالتأبيد، لا أياما معدودة، والجمع باعتبار معنى من وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOع وقد {جرت}[3] سنته تعالى بشفع الوعيد بالوعد، للترهيب والترغيب وَاذكروا إِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ في التوراة، وقلنا لهم لَا تَعْبُدُوْنَ إِلَّا اللهَ وَأحسنوا بِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى جمع يتيم، كندامى، جمع نديم وَالْمَسَاكِيْنَ جمع مسكين؛ من السكون، كأن الفقر أسكنه وَقُوْلُوْا لِلنَّاسِ قولا حُسْنًا مفيدا في الدارين وَّأَقِيْمُوا [ص18] الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم أنتم وآباؤكم عن الوفاء بالميثاق إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْكُمْ ففيه تغليب، أو المراد الآباء، ففيه التفات وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُوْنَO عنه؛ في القديم عادتكم للإعراض عن الوفاء وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وقلنا لَاتَسْفِكُوْنَ دِمَاءَكُمْ بالتقاتل وَلَا تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ لا يجلي أحد أحدا ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بالميثاق، واعترفتم بلزومه وَأَنْتُمْ أيها الموجودون تَشْهَدُوْنَO على إقرار أسلافكم ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ الناقضون للعهد تَقْتُلُوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ كان بنو قريظة حلفاء الأوس، وبنو النضيرحلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فريقا، ويخرب ديارهم ويخرجهم {تعاونون}[4] تَظَاهَرُوْنَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ أي: المعصية وَالْعُدْوَانِ أي: الظلم وَإِنْ يَّأْتُوْكُمْ أُسَارَى جمع أسير تُفَادُوْهُمْ تنقذوهم من الأسير بالمال وغيره وَهُوَ للشأن أو مبهم تفسيره مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ الفداء وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ ترك القتل والإجلاء والمظاهرة، أخذ الله تعالى عليهم أربعة عهود: وترك المقاتلة، وترك الإخراج، وترك

1 – وفي مخطوط ب: "ليبقوا". وفي ج:"ليبقون".

2 – وفي مخطوط ج: "المختلف"، والتصويب من أ وب.

3 – وفي مخطوط ب و ج: "جرب"، والتصويب في أ.

4 – وفي ب "تتعاونون"، وفي ج "معاونون"، والتصويب من أ.

المظاهرة، وفداء الأسير، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء، فآمنوا ببعض الكتاب، أي: الفداء، وأعرضوا عن بعض؛ ترك المقاتلة والإخراج والمظاهرة فَمَا جَزَاءُ مَن يَّفْعَلُ ذَالِكَ مِنْكمْ إِلَّا خِزْيٌ ذل وهوان فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وقد تحقق بقتل بني قريظة وأسرهم، ونفى بني النضير إلى الشام[1]، فضرب الجزية عليهم وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّوْنَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ طبق معصيتهم وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ Oأُولئِكَ [ص19] الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ أثروها على الآخرة فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ {لأن عصيانهم أشد}[2] وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَOع يمنعون منه وَلَقَدْ آتَيْنَا موسى الْكِتَابَ التوراة وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِه بِالرُّسُلِ اتبعناه إياهم رسولا بعد رسول عليهم السلام، وهم: يوشع[3]، وإشموئيل، وشمعون، وداؤد[4]، وسليمان[5]، وأشعياء، وأرمياء[6]، وعزير[1]، وحزقيل، وإلياس[2]،

---

1 – الشام: وإنّما سمّيت الشام لأنّها عن شمال الكعبة، وقيل لشامات في أرضها سود وبيض، وقيل سمّيت بسام بن نوح لأنّه أوّل من نزلها فتطيّرت العرب لما سكنتها من أن تقول سام فقالت شام. وقيل إنّ أوّل من سكنها من الخلفاء سمّاها بهذا الاسم وإنّها سرور لمن رآها. البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبيد، الأندلسي، (ت: 487هـ). المسالك والممالك: (دار الغرب الإسلامي، 1992م). 460/1.

2 – الوضاحة في أ ، وليست هذه العبارة في ب و ج.

3– يوشع عليه السلام: هو يوشع بن نون بن افراييم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيا، ابتعث الله عز وجل بعد موسى عليه السلام، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب من فيها من الجبارين. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الآملي، أبو جعفر، (ت: 310هـ). تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: (ط–2، دار التراث، بيروت، 1387هـ). 435/1.

4– داؤد عليه السلام: هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس. قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 12/2.

5 – سليمان عليه السلام: لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وآتاه الله مع الملك النبوة، وسأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له وسخر له الإنس، والجن، والشياطين، والطير، والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس. ابن الأثير: المرجع السابق. 200/1.

6 – أرمياء عليه السلام: وهو أرمياء الألف مضمومة ... أن أرمياء كان غلاما من أبناء الملوك، وكان زاهدا، ولم يكن لأبيه ابن غيره ... فبعثه الله نبيا مع ناشية، وناشية ملك. وذلك حين عظمت الأحداث في بني إسرائيل وعملوا بالمعاصي، وقتلوا الأنبياء، وأوحى إليه. الجوزي: المرجع السابق. 401،402/1.

وإلياس[2]، واليسع[3]، ويونس[4]، وزكريا، ويحيى عليهم السلام وغيرهم وَآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ كإحياء الأموات وإبراء الأكمه وغيرهما وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ قويناه بالروح المقدسة؛ هو جبرائيل عليه السلام، كان يسير معه أينما سار، وقيل: روح نفسه لطهارته عن مس الشيطان، وقيل: الإنجيل، وقيل: اسم الله الأعظم؛ الذي يحيي به الموتى أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَاتَهْوَى لا تحب أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ عن اتباعه فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ كعيسى عليه السلام[5] وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَO كزكريا ويحيى عليهما السلام وَقَالُوْا للنبي استهزاءا قُلُوْبُنَا غُلْفٌ جمع أغلف، مغطات، لا تعي ما تقول بَلْ لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ خلقوا مستعدين للقبول، لكن خذلهم الله بكفرهم، فضيّع استعدادهم بإبعاده عن رحمته فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَO زيدت بالمبالغة التقليل وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ القرآن مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ أي: التوراة وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ أي: قبل مجيء القرآن يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يستنصرون على المشركين، قائلين: اللّهم انصرنا على الكفار بالنبي المبعوث آخر الزمان، المنعوت في التوراة فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا من الحق، أي: بعثة النبي عليه السلام كَفَرُوْا بِهِ [ص20] حسدا وخوفا عن زوال الرياسة، جواب لما الأولى والثانية، أو للأولى، كذبوا به وأنكروه فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى

---

1 – عزير عليه السلام: أمّا عزير فأقام لبني إسرائيل التوراة بعد ما أحرقت حين عاد إلى الشام. فقالت طائفة منهم: هو ابن الله وهو الذي أكثر المناجاة في القدر، فمحا الله اسمه من الأنبياء فلا يذكر فيهم، وهو رسول. البكري: المرجع السابق. 135/1.

2 – إلياس عليه السلام: لما توفي حزقيل كثرت الأحداث في بني إسرائيل، وتركوا عهد الله وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العزاز بن هارون بن عمران نبيا، وكان الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة. ابن الأثير: المرجع السابق. 184/1.

3 – اليسع عليه السلام: كان بعد إلياس، اليسع عليهما السلام، فمكث ما شاء الله أن يمكث، يدعوهم إلى الله مستمسكا بمنهاج إلياس وشريعته، حتى قبضه الله عز وجل إليه. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 5/2.

4 – يونس عليه السلام: كان يونس بعد سليمان. وبعض العلماء تجعل بينهما أيوب، وتقديم أيوب على ما اخترنا أوضح. وهو يونس بن متى، ومتى أبوه، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب. الجوزي: المرجع السابق. 395/1.

5 – عيسى عليه السلام: ويسمى المسيح، فقيل: لمسحه الأرض، وقيل: لمسح قدمه، وقيل: لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهان، وقيل: لمسح جبريل بالبركة، وقيل: لمسح الله الذنوب عنه، وقيل: لأنه كان لا يمسح أحدا إلا برأ... ومن خصائصه أنه حي لم يمت، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 322،323/6.

الْكَافِرِيْنَO بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ ما نكرة، بمعنى شيء باعوا به أَنْفُسَهُمْ اَنْ يَّكْفُرُوْا بِمَا اَنْزَلَ اللهُ مخصوص بالذم بَغْيًا حسدا وطلبا لما ليس لهم أَنْ يُّنَزِّلَ اللهُ الوحي مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فبغيا مفعول له، لأن يكفروا فَبَاءُوْا بِغَضَبٍ من الله بالحسد عَلَى محمد صلى الله عليه وسلم عَلَى غَضَبٍ بكفرهم بعيسى ابن مريم من قبل وَلِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِيْنٌO٤ أي: مذلٌّ وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ آمِنُوْا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ القرآن وغيره قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا أي: بالتوراة وَالحال أنهم يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ التوراة، وراء مصدر جعل ظرفا، وقد يضاف إلى الفاعل؛ فمعناه: خلفه، وقد يضاف إلى المفعول؛ فمعناه: قدامه، فهو من الأضداد وَهُوَ القرآن الْحَقُّ الواو للحال مُصَدِّقًا حال {ثان}[1] لِّمَا مَعَهُمْ فرده ينجر إلى رد ما معهم قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُوْنَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ أي: قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَO صادقين بالتوراة، ونهيتم فيها عن قتلهم، خطاب للحاضرين الراضين بما فعل آباؤهم وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوْسَى بِالْبَيِّنَاتِ التسع ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إلهامِنْ بَعْدِهِ أي: ذهابه إلى الميقات، أو مجيئه وَأَنْتُمْ ظَالِمُوْنَO بالاتخاذ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ على العمل بالتوراة وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ تخويفا، قلنا خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُمْ أي: التوراة بِقُوَّةٍ بجهد وَّاسْمَعُوْا أحكامها سماع قبول قَالُوْا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا أمرك وَأُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ حل في أعماق قلوبهم حب العجل، كالشراب لفرط الشغف به بِكُفْرِهِمْ [ص21] قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهٖإِيْمَانُكُمْ ساء شيء آمره إيمانكم بالتوراة إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO بها عَلَى زعمكم، أي: لستم بمؤمنين، ولا آباءكم باتخاذهم العجل، وتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم، والإيمان بها حقا، لايأمر بهما قُلْ لهم إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ الجنة عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِّنْ دُوْنِ النَّاسِ كما زعمتم، قالوا: ﴿لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا﴾[2] فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ فينبغي أن تؤثروها، ولا يوصل إليها إلا الموت إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، وتحريف التوراة وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَO الكافرين، فيجازيهم وَلَتَجِدَنَّهُمْ لام قسم أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ متطاولة وَأحرص مِنَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا فإنهم أنكروا البعث، فهم شديد الحرص عليها يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ{بيان}[3] لزيادة حرصهم، أي: اليهود؛ الذين هم أحرص الناس، ولو للتمني، وقيل: مصدرية، بمعنى أن، فهي مع صلتها مفعول يود، وأصل سنة: سنوة، لقولهم: سنوات وَمَا هُوَ أي:

---

1 – في ب و ج "ثانية"، والتصويب من الأصل.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 111.

3 – وفي نسخة ج: "حال"، والتصويب في أ و ب.

أحدهم بِمُزَحْزِحِهِ بمبعده مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُّعَمَّرَ فاعل مزحزحه وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَO عبد الله بن صوريا[1] قال للنبيّ عليه السلام: من النازل إليك؟ قال عليه السلام: جبرائيل عليه السلام، قال: هو عدونا؛ يأتينا بالعذاب، لو كان ميكائيل لآمنّا به، لأنّه يأتي بالخصب، فنزل:قُلْ لهم مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيْلَ منع عن الصرف؛ للعجمة، معناه: عبد الله، فهو عدوي فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ أي: جبرائيل عليه السلام نزّل القرآن على قلبك، الذي محلّ الفهم بأمر الله، حال كون القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ للكتب المتقدمة وَهُدًى من الضلالة [ص22] وَبُشْرَى {بالجنة}[2] لِلْمُؤْمِنِيْنَO مَنْ كانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيْلَ وَمِيْكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِيْنَO أفردا بالذكر لفضلهما، وبيانا لحال الكفر، أوقع الظاهر موقع لهم وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ واضحات، ردّ لما قال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية فنتّبعك لها وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُوْنَO الكافرون، {أي المتمرّدون من الكفرة}[3] أَكفروا بالآيات البينات وَكُلَّمَا عَاهَدُوْا الله عَهْدًا بالإيمان بالنبي المبعوث الموعود، أو الرسول، أن لا يعاونوا المشركين نَبَذَهُ طرح ذلك العهد، فما آمنوا، أو عاونوا فَرِيْقٌ مِّنهُمْ ولم ينقض بعض منهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ محمد صلى الله عليه وسلم مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ من التوراة نَبَذَ طرح فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ أي: اليهود كِتَابَ اللهِ التوراة الناطق ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فكفرهم بالرسول؛ كفرهم بالتوراة وَرَاءَ ظُهُوْرِهِمْ اهملوها كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO ما فيه، إنه نبي حق {عطف على نبذ}[4] وَاتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِيْنُ من كتب السحر عَلَى عهد مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ لم يعمل السحر، لأنه كفر وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَرُوْا باستعمالهم السحر، حال كونهم يُعَلِّمُوْنَ النَّاسَ السِّحْرَ وكان ذلك أن في زمان سليمان الجن، قد استرق السمع، وضم إليه الأكاذيب، وتلقّه الكهنة، فدوّنوا كتبا، وفشى ذلك، وشاع أن الجن يعلم الغيب، فجمع سليمان عليه السلام الكتب ودفنها، فلما مات؛ دلّت الشياطين الناس عليها، فاستخرجوها، فوجدوها سحرا، فقالوا: سليمان كان ساحرا لا نبيّا وَيعلمونهم مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ من السحر ابتلاءا من الله تعالى للناس، من تعلمه منهما، وعمل به كان كافرا بِبَابِلَ بلدة

---

1 – عبد الله بن صوريا: ويقال ابن صور الإسرائيلي. وكان من أحبار اليهود. العسقلاني: المرجع السابق. 115/4.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من ج، والتصويب من أ و ب.

3 – الوضاحة في الأصل، وليست هذه العبارة في نسخة ب و ج.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من أ، والتصويب من ب و ج.

في سواد [ص23] عراق[1]، أي: الكوفة[2] على شاطئ الفرات[3]، سمّيت بها لتبلبل الإنسان بها، واختلافها فيها هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ بدل، أو عطف بيان للملكين وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ من زائدة حَتَّى يَقُوْلَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ امتحان من الله للناس، فمن تعلّم منا وعمل كفر، ومن ترك أو تعلّم؛ ولم يعمل ثبت على الإيمان فَلَا تَكْفُرْ بتعليمه وعمله فَيَتَعَلَّمُوْنَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُوْنَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِه يحدث الله تعالى به النشوز بينهما، ابتلاءا منه تعالى وَمَا هُمْ بِضَارِّيْنَ بِه مِنْ أَحَدٍ على الحقيقة إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ أي: بإرادته وَيَتَعَلَّمُوْنَ أي: السحرة مَا يَضُرُّهُمْ في الآخرة، وهو السحر، لأن العلم يفضي إلى العمل وَلاَ يَنْفَعُهُمْ فيجب الاجتناب عنه، قال الشيخ أبو منصور[4] القول: بأن السحر مطلقا كفر باطل، بل إن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان، فهو كفر وإلا فلا، ومن تعلّمه لئلا يعمل به، ولكن ليتوقّاه؛ فهو مؤمن، ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث، وما

---

1 – عراق: هو لغةً شاطئ البحر، وسمي العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات والعراق ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الري وخراسان، إلى الديلم، وقيل سمي العراق لأنه مأخوذ من عراقي الدلو. والكوفة والبصرة تسمى العراقان، فحد أرض العراق ما بين الخزر إلى السواد فسواد الكوفة كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية وسواد البصرة الأهواز وفارس ودهستان، وهذه كلها من العراق، والعراق وسط الدنيا ومستقر الممالك الجاهلية والإسلامية، وعين الدنيا، وفيه الدجلة والفرات. الحِميرى: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، أبو عبد الله، (ت: 900هـ). الروض المعطار في خبر الأقطار: (ط–2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م). ص: 410.

2 – الكوفة: بالضم، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، سمّيت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها. وقيل: سمّيت كوفة بموضعها من الأرض، وذلك أنّ كل رملة يخالطها حصى سمّى كوفة. ابن شمائل: المرجع السابق. 1187/3.

3 – الفرات: الفرات معرّب عن لفظه وله اسم آخر وهو فالاذروذ لأنه بجانب دجلة كما بجانب الفرس الجنيبة، والجنيبة تسمى بالفارسية فالاذ، والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه، قال عز وجل: هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ 25: 53، وقد فرت الماء يفرت فروتة وهو فرات إذا عذب، ومخرج الفرات فيما زعموا من أرمينية ثم من قاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم ويجيء إلى كمخ ويخرج إلى ملطية ثم إلى سميساط ويصبّ إليه أنهار صغار نحو نهر سنجة ونهر كيسوم ونهر ديصان والبليخ حتى ينتهي إلى قلعة نجم مقابل منبج ثم يحاذي بالس إلى دوسر إلى الرّقة إلى رحبة مالك بن طوق ثم إلى عانة ثم إلى هيت فيصير أنهارا تسقي زروع السواد. الحموي: المرجع السابق. 241/4.

4 – الشيخ أبو منصور: هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد: محلة بسمرقند. مات بسمرقند. الزركلي: المرجع السابق.19/7.

ليس بكفر، لكن فيه إهلاك النفس، فله حكم قطّاع الطريق، يستوي فيه الذكور والإناث، ويقبل توبته إذا تاب وَلَقَدْ عَلِمُوْا اللام للقسم، أي: اليهود لَمَن اللام للابتداء، ومن موصولة اشْتَرَاهُ اختاره واستبدل بكتاب اللهمَا لَه فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ نصيب في الجنة وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا باعوا بِهِ الضمير إلى ما أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَO وَلَوْ أَنَّهُمْ أي: اليهود آمَنُوْا بمحمد عليه والسلام، والقرآن وَاتَّقَوْا عقاب الله، والجواب محذوف، أي: لا يثيبوا، دل عليه قوله لَمَثُوْبَةٌ لثواب مِّنْ عِنْدِ اللهِ اللام للقسم؛ مبتداء، خبره خَيْرٌ لَّوْ كانُوْا يَعْلَمُوْنَO أن ثواب الله خير؛ لما اختاروا الكفر على [ص24] الإيمان يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا للنبي صلى الله عليه وسلم رَاعِنَا أمر من المراعاة، وفي لغة اليهوديّة سبّ؛ من الرعونة، يقول بها المسلمون رسول الله حين ألقى عليهم شيأ من العلم، أي: راقبنا وانتظرنا حتّى نفهمه ونحفظه، وهذا اللفظ مسبة لليهود، فيخاطبون به النبي عليه السلام، ويريدون المسبة، فنهى المؤمنون عنها، وأمروا ما يفيد معناه، أي: انظرنا وَقُوْلُوْا بدلها انْظُرْنَا وَاسْمَعُوْا سمع القبول، أيها المؤمنون! حتّى لا يحتاجوا بقولكم راعنا، ولا تكونوا مثل اليهود، حيث قالوا: سمعنا وعصينا وَلِلْكَافِرِيْنَ الذين سبوا رسول الله عليه السلام عَذَابٌ أَلِيْمٌO مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ من العرب أَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ زائدة خَيْرٍ أي: وحي مِّنْ رَّبِّكُمْ حسدا لكم وَاللهُ يَخْتَصُّ بَرَحْمَتِهِ بنبوته مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيْمِO مَا نَنْسَخْ نترك مِنْ حكم آيَةٍ ولفظها، أو أحدهما أَوْ نُنْسِهَا أي: الآية من قلبكنَأْتِ جزاء الشرط بِخَيْرٍ مِّنْهَا من تلك الآية أَوْ مِثْلِهَا رد لطعن الكفار في النسخ، إن محمدا يأمر أصحابه اليوم، وينهى عنه غداهأَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO فالنسخ والإنساء من مقدوراته أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يفعل فيهما ما يشاء، ويحكم ما يريد وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍO فلا حافظ لكم؛ ولا مانع عنكم العذاب غيره، لما سأل أهل مكة أن يوسعهم النبي عليه السلام أرضها، ويجعل الصفا ذهبا، نزل: أَمْ تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَسْئَلُوْا رَسُوْلَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوْسَى مِنْ قَبْلُ من قولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[1] وغير ذلك وَمَنْ يَّتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ أي: يأخذ الكفر [ص25] بدل الإيمان بأن يختار التعامى على النظر في الآيات فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيْلِO وسط الطريق وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أحبارهم لَوْ يَرُدُّوْنَكُمْ لو بمعنى أن المصدرية، أي: ردكم مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا مرتدين، حال من ضمير المخاطبين حَسَدًا مفعول له، لودَّ كائنا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ سورة النساء، الآية: 153.

تَبَيَّنَ لَهُم فِي التوراة الْحَقُّ في شان رسول الله عليه السلام فَاعْفُوْا عنهم بترك العقوبة وَاصْفَحُوْا بترك التثريب حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ بالقتال والإجلاء وضرب الجزية إِنَّ اللهَعَلَىكُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO الثلاثة فيقدر على الانتقام وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ الجؤا إلى الله بالعبادة البدنية والمالية وَمَا تُقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ صلاة وصدقة تَجِدُوْهُ ثوابه عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيكم به وَقَالُوْا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا جمع هائد أَوْ نَصَارَى قالت يهود المدينة: لن يدخلها إلا اليهود، وقالت نصارى نجران: لن يدخلها إلا النصارى، لما تشاجروا بين يدي النبي عليه السلام، نزل تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قولتهم: دخول جنة كل وحدانا، شهواتهم الباطلة، جمع: أمنية، أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة قُلْ لهم هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ على الاختصاص إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في هذا القول بَلَى يدخل الجنة مَنْ أَسْلَمَ أخلص وَجْهَهُ نفسه، خص من الأعضاء الوجه لشرفه لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ موحد فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فله أجر عمله الموعود عند ربه من غير تضييع وتنقيص وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ في الآخرة وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO ع فيها وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ معتد وكفرت [ص26] بعيسى عليه السلام وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلَى شَيْءٍ معتد وكفرت بموسى عليه السلام، تشاجروا عند رسول الله عليه السلام وَالحال هُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتَابَ التوراة والإنجيل، وفي كل تصديق آخر كَذَالِكَ كما قال هؤلاء قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ أي: مشركوا مكة من عبدة الأصنام مِثْلَ قَوْلِهِمْ أي: قالوا لكل ذي دين: ليسوا عَلَى شيء فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بين الفريقين يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO فللمحق الجنة، وللمبطل النار وَمَنْ أَظْلَمُ أي: لا أحد أظلم مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهُ بالصلاة والتسبيح وَسَعَى فِيْ خَرَابِهَا بالتعطيل أو الهدم، عام لمن خرَّب كل مسجد، وإن نزل في الروم؛ حيث غزوا بيت المقدس، وخربوه وقتلوا أهله، وقيل: نزل في المشركين؛ حين منعوا النبي عليه السلام أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية أُولٰئِكَ {المانعون}(1) مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَّدْخُلُوْهَا المساجد إِلَّا خَائِفِيْنَ خاشعين من الله تعالى فضلا أن يجروا عَلَى تخريبها أو تعطيلها أو من المؤمنين أن يبطشوهم فضلا أن يمنعوهم منها لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌO لما طعن اليهود في نسخ القبلة، أو في الصلاة على الراحلة في السفر؛ أينما توجهت، نزلت: وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ أي: تمام الأرض فَأَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ بإحاطته على الأشياء علما أو رحمة عَلِيْمٌO بمن يولي وجهه إليه، والمراد بوجه الله قبلته التي رضيها وَقَالُوا أي: اليهود والنصارى ومشركوا العرب في عزير والمسيح عليهما السلام والملائكة اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ تنزيها له عن هذا الاتخاذ بَلْ لَّهُ خلقا مَا فِي السَّمَاوَاتِ

1 – الوضاحة في الأصل، وليست هذه العبارة في مخطوط ب و ج.

وَالْأَرْضِ من جملتها الملائكة وعزير والمسيح عليهما السلام، ففيه تغليب غير العاقل لكثرتها كُلٌّ لَّهُ قَانِتُوْنَO [ص27] منقادون، فأين المجانسة؟ بَدِيْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الإبداع: اختراع شيء لا عن شيء دفعة، والتوالد إنما يكون عن شيء وَإِذَا قَضَى أراد اَمْرًا أي: إيجاده فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ احدث فَيَكُوْنُO فيحدث، فكان تامة وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ أي: كفار مكة لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة، إن محمدا عليه السلام رسولي أَوْ تَأْتِيْنَا آيَةٌ عَلَى صدق دعواك كَذَالِكَ مثل ذلك القول قَالَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم الماضية لأنبيائهم عليهم السلام مِّثْلَ قَوْلِهِمْ أرنا الله جهرة، وهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء تَشَابَهَتْ قُلُوْبُهُمْ قلوب السابقين واللاحقين في الكفر والعناد والعمي والغباوة، فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَO يطلبون العلم بالبرهان إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يا محمد! عليك السلام بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا بالجنة، وعن النار؛ لمن أطاع ومن لم يطع وَلَا تُسْئَلُ نفي عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيْمِO النار وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ دين كل واحد قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى هو الإسلام دون غيره وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ فرضا أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِىْ جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بالوحي مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ يحفظك وَلَا نَصِيْرٍO يمنعك من سخطه الَّذِيْنَ أي: مؤمنوا الكتاب آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ التوراة يَتْلُوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ كما أنزل من غير تحريف أُولٰئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهِ بذلك الكتاب وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهِ بالكتاب المؤتى، بأن حرّف فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO[ع] في شراء الكفر بالإيمان يَا بَنِيْ اِسْرَائِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ آباءكم عَلَى الْعَالَمِيْنَO عالمي [ص28] زمانهم وَاتَّقُوْا خافوا يَوْمًا قضاء يوم لَا تَجْزِيْ تغني نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا في ذلك اليوم وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ فداء وَّلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ من شافع وَّلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَO بمنع العذاب عنهم وَاذكر إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ بأوامره ونواهيه، أو مناسك الحج، أو السواك، أو المضمضة والاستنشاق وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء فَأَتَمَّهُنَّ أدّاهن، وامتثل بهن تاما قَالَ تعالى إِنِّيْ جَاعِلُك لِلنَّاسِ إِمَامًا إذ لم يبعث نبي بعده إلا أنه كان مأمورا باتباعه، ومن آله قَالَ وَاجعل مِنْ ذُرِّيَّتِيْ آئمة، فُعِّيْلَةٌ من الذرء، بمعنى الخلق، نسل الرجل ذكرا أو أنثى قَالَ تعالى لَا يَنَالُ عَهْدِي بالإمامة الظَّالِمِيْنَO منهم وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ الكعبة مَثَابَةً مرجعا، يثوبون إليه بعد الفراق عنه، أو محل ثواب، أي: أجر لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا مأمنا لهم من الظلم وَاتَّخِذُوْا أمر استحباب مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيْمَ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء الكعبة، وفيه أثر قدمه، ودعا الناس للحج عليه مُصَلًّى بان صلوا خلف مقام إبراهيم ركعتي الطواف وَعَهِدْنَا إِلَى اِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ أي: أمرنا هما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ أي: بأن طهرا من الأوثان لِلطَّائِفِيْنَ وَالْعَاكِفِيْنَ

المقيمين فيه وَالرُّكَّعِ جمع راكع السُّجُوْدِO جمع ساجد وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا المكان بَلَدًا آمِنًا وقد فعل بتحريم السفك والظلم فيه، وبالحفظ من الآفات كالخسف والقحط وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وقد فعل بنقل الطائف[1] من الشام إليه مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بدل من أهله بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ تعالى وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ في الدنيا بالرزق قَلِيْلًا زمانا قليلا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ أجلئه في الآخرة إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO [ص29] وَاذكر إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيْمُ الْقَوَاعِدَ جمع قاعدة، الأسس والجدر مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيْلُ عطف على إبراهيم،[2] يقولان: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا بناءنا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ دعاء داع الْعَلِيْمُO بخلوص النيات رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَاجعل مِنْذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً جماعة مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا علمنا مَنَاسِكَنَا مطلق الشرائع، أو شرائع الحج وَتُبْ عَلَيْنَا ما فرط من التقصير منا، أو من ذريتنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ قابل التوبة الرَّحِيْمُO بهم، والتوبة من الله الرجوع بالرحمة بعد الغضب، وهذا تعليم للأمة، وإلا فالأنبياء عليهم السلام معصومون رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ في أهل البيت رَسُوْلًا مِّنْهُمْ قد أجاب الله تعالى دعاءه بمحمد عليه السلام يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ القرآن وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ الشرائع وَالْحِكْمَةَ المعارف وَيُزَكِّيْهِمْ عن الكفر ظاهرا وباطنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الغالب عَلَى ما يريد الْحَكِيْمُOع بمصالح عباده وَمَنْ يَّرْغَبُ استفهام إنكاري، أي: لايعرض أحد عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيْمَ عن طريقته إِلَّا مَنْ سَفِهَ جهل أو أذل نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ اخترناه فِي الدُّنْيَا بالرسالة والخلة وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَO الذين لهم الدرجات العُلى عنده تعالى. اذكر إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ اطع الله تعالى ، واخلص دينك له تعالىقَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO وَوَصَّى بِهَا بالملة إِبْرَاهِيْمُ بَنِيْهِ إسماعيل، وإسحاق[3]، ومدين[1]، ومدان[2] وَيَعْقُوْبُ ووصى أيضا بالملّة بنيه كانوا اثنا عشر يَا بَنِيَّ

---

1 – الطائف: الطائف على مسافة خمسة وسبعين ميلًا تقريبًا إلى الجنوب الشرقي من مكة، وهي على عكس مكة أرض مرتفعة ذات جو طيب في الصيف, فيه زرع وضرع، وغنى جادت الطبيعة به على أهله. وقد كان وما زال مصيفًا طيبًا يقصده أهل مكة فرارًا من وهج الشمس. وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان، وهو أبرد مكان في الحجاز، وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء، وليس بالحجاز موضع يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع. جواد علي: الدكتور (ت: 1408هـ). المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: (ط-4، دار الساقي، 1422هـ / 2001م). 142/7.

2 – إبراهيم: ولد له سيدنا اسماعيل عليه السلام، وأمه هاجر القبطية، واسحق وأمه سارة بنت هارون، وهو من بني حران. وكانت حياة إبراهيم عليه السلام مائة وخمسا وسبعين سنة. المسعودي: المرجع السابق. 103/1.

3 – إسحاق: هو إسحاق بن خليل النبي بن النبي بن النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمه سارة، حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط، وولدته، ولها من العمر تسعون سنة، ومن ولده الروم واليونان

إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّيْنَ الإسلام فَلَا تَمُوْتُنَّ نهي عن حالة غير الإسلام حين الموت إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَO لما قال اليهود للنبي عليه السلام: أ لست تعلم أن يعقوب عليه السلام[3] أوصى بنيه باليهودية يوم مات؟ نزل: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ أم منقطعة، ومعنى الهمزة: الإنكار، أي: [ص30] ما كنتم شهداء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ أيّ شيء تعبدونه؟ مِنْ بَعْدِيْ قَالُوْا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ إِلٰهًا وَّاحِدًا وَّنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَO العم صنو أب، لإجله عد إسماعيل من الآباء تِلْك مبتداء أُمَّةٌ خبره، والإشارة من إبراهيمإلى يعقوب، وأنث لتأنيث خبرها قَدْ خَلَتْ مضت لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ أيها اليهود مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO وبالعكس، فلا يثاب ولا يعاقب بحسنة أحد وسيئة أحد وَقَالُوْا كُوْنُوْا هُوْدًا أَوْ نَصَارٰى تَهْتَدُوْا مقال يهود المدينة ونصارى نجران: كونوا هودا تهتدوا، وكونوا نصارى تهتدوا قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام بَلْ نتبع مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام وَمَا كَانَ مِنَ

والأرمن، ومن يجري مجراهم وبنو إسرائيل. العليمي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، (ت: 928هـ). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: (تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، بدون سنة النشر). 64/1.

1 – مدين: قرية شعيب، سميت بمدين بن إبراهيم، كما سميت المدائن باسم أخيه مدائن، ويقال له أيضا: مدان بن إبراهيم، ولم تكن مدين في سلطان فرعون، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. الصوفي: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، أبو العباس، الحسني، الأنجري، الفاسي، (ت: 1224هـ). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ). 241/4.

2 – مدان: تزوّج إبراهيم من بعدها (بعد سارة) قطورا بنت يقطان من الكنعانيين. وقال السهيليّ: قنطورا بزيادة نون بين القاف والطاء، وهذا الاسم أعجمي، فولدت له كما هو مذكور في التوراة ستة من الولد وهم: زمران يقشان مدان مدين أشبق شوخ. ثم وقع في التوراة ذكر أولادهم. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين، الحضرمي، الإشبيلي، (ت: 808هـ). ديوان تاريخ ابن خلدون= المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: (ط–2، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ / 1988م). 43/2.

3 – يعقوب عليه السلام: نكح إسحاق رفقا بنت بتويل، فولدت له عيصا ويعقوب توأمين، وإن عيصا كان أكبرهما، وكان عمر إسحاق لما ولد له ستين سنة، تزوج إسحاق بجارية، فحملت بغلامين، فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولأقتلنها. فتأخر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فسمي يعقوب وسمي أخوه عيصا لعصيانه. وكان عيص أحبهما إلى أبيه، ويعقوب أحبهما إلى أمه. ابن الأثير: المرجع السابق. 1/ 113، 114.

الْمُشْرِكِيْنَO وأنتم {مع الشرك}[1] تدّعون المتابعة قُوْلُوْا أيها المؤمنون! آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا أي: القرآن وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْأَسْبَاطِ أي: الحفدة لإبراهيم وإسحاق عليهم السلام، وكانوا اثني عشر، والصحف العشرة الإبراهيمية لما عمل بها آله، جعلت منزلة إليهم، وأنزل، قد تعدي بعلى، كما في آل عمران وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى التوراة والإنجيل وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ الكتب والآيات لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ كما يفرق اليهود والنصارى: فيؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض وَنَحْنُ لَهُ لله مُسْلِمُوْنَO فَإِنْ آمَنُوْا أي: اليهود والنصارى بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ الباء أو مثل زائدة فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا عن الإيمان به فَإِنَّمَا هُمْ فِيْ شِقَاقٍ [ص31] في خلاف معكم، فكل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ وقد كفى بقتل قريظة، ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُO أقوالكم وإخلاصكم صِبْغَةَ اللهِ أصله: صبغنا الله صبغة، أضيف المصدر إلى الفاعل، فطرة الله التي فطر الناس عليها، أي: دينه، يظهر أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً تمييز وَّنَحْنُ لَهُ عَابِدُوْنَO عطف على آمنا بالله قُلْ أَتُحَاجُّوْنَنَا فِي شأن اللهِ المحاجة المخاصمة بأن أنزل الوحي عليّ لا عليكم، وتزعمون أنفسكم أحقاء بالوحي وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ فله الاصطفاء من العباد وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فله القبول من العمل ليورث استحقاق النبوة وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُوْنَO الدين والعمل دونكم أَمْ بل تَقُوْلُوْنَ إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوْا هُوْدًا أَوْ نَصَارَى تدّعون اليهودية والنصرانية على الأنبياء عليهم السلام قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وقد نفي الأمرين عن إبراهيم لقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَهُوْدِيًّا وَّلَا نَصْرَانِيًّا﴾[2]، وأولاده تبع له وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ كائنة مِنَ اللهِ اليهود أخفوا في التوراة شهادة الله لإبراهيم عليه السلام بالحنفية وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَO عن تكذيب الرسل وكتمان الشهادة؛ تهديد لهم تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَOع تقدم مثله.

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَهُوْدِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيْفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 67.

سَيَقُوْلُ السُّفَهَاءُ الجهال مِنَ النَّاسِ المنافقين، أو المشركين، أو اليهود مَا وَلَّاهُمْ أيّ شيء صرف النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين [ص32] عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِيْ كَانُوْا عَلَيْهَا على استقبالها أي: بيت المقدس؟ قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ أي: الأرض كلها، لا اختصاص له بالمكان، وإنما المقصود امتثال أمره يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO دين الإسلام وَكَذَالِكَ أي: كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم جَعَلْنَاكُمْ يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم! أُمَّةً وَّسَطًا خيارا عدولا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ في إبلاغ الرسالة يوم القيامة وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا أنهم عدول؛ إذا أنكرت الأمم عدالة هذه الأمة المرحومة، وهو كالرقيب عليهم، ولذا عدّى بعلى، وإلا فالشهادة لهم لا عليهم وَمَا جَعَلْنَا لك الآن الْقِبْلَةَ الجهة الَّتِيْ كُنْتَ عَلَيْهَا أوّلا قبل الهجرة، وهي الكعبة[1]، وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى كعبة قبل الهجرة، فلما هاجر، أمر باستقبال صخرة بيت المقدس؛ تأليفا لليهود، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرا، ثم حُوّل إِلَّا لِنَعْلَمَ علم ظهور مَنْ يَّتَّبِعُ الرَّسُوْلَ مِمَّنْ يَّنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ {يرجع}[2] إلى الكفر، ظنا منهم أنه عليه السلام في حيرة وشك من أمر دينه، وقد ارتدت بذالك جماعة وَإِنْ كَانَتْ أي: إنها كانت التولية إلى الكعبة لَكَبِيْرَةٌ شاقة على الناس إِلَّا عَلَى الَّذِيْنَ هَدَى اللهُ إياهم بالمتابعة، سئل النبي صلى الله عليه وسلم عمن مات قبل التحويل، كيف صلاتهم؟ نزل وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيْعَ إِيْمَانَكُمْ صلاتكم إلى صخرة بيت المقدس بل يثيبكم عليه إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ بالمؤمنين لَرَءُوْفٌ شديد الرحمة رَّحِيْمٌO لا يضيع أجورهم، قدّم الأبلغ رعاية للفاصلة قَدْ للتحقيق نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي جهة السَّمَاءِ تطلعا للوحي بقبلة أبيه إبراهيم فَلَنُوَلِّيَنَّكَ نصيّرنَّك واليا قِبْلَةً تَرْضَاهَا تحبها فَوَلِّ اصرف وَجْهَكَ في الصلاة شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أي: [ص33] نحو الكعبة، وكان صلى الله عليه وسلم في المدينة يصلي الظهر في مسجد بني سلمة[3] في رجب قبل وقيعة بدر

---

1 – الكعبة: بيت الله الحرام، قال ابن عباس: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات بعث ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن خسفة في موضع البيت كأنها قبّة فدحا الأرض من تحتها فمادت فأوتدها بالجبال، الخسفة واحدة الخسف: تنبت في البحر نباتا، وقد جاء في الأخبار: أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا وأمّ القرى أولها الكعبة وبكّة حول مكة وحول مكة الحرم وحول الحرم الدنيا. الحموي: المرجع السابق. 463/4.

2 – في ج "رجع".

3 – مسجد بني سلمة: صرفت القبلة ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مسجد بني سلمة– يعني مسجد القبلتين– وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال. السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد، الحسني، الشافعي، نور الدين، أبو الحسن، (ت: 911هـ). وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: (ط–1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ). 276/1.

بشهرين، نزل آية التحويل، فتحول خلال الصلاة إلى الميزاب، وتبادل صفوف الرجال والنساء، فصلى ركعتين إلى الصخرة؛ وركعتين إلى الكعبة، وسمي المسجد بذي القبلتين وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ وأردتم الصلاة فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ أي: نحو المسجد الحرام وَإِنَّ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ أي: التولي إلى الكعبة الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ لأن تحويله عليه السلام مكتوب في كتبهم وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُوْنَO أي: عن إنكارهم أمر قبلته عليه السلام وَلَئِنْ أَتَيْتَ لام قسم، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَبِكُلِّ آيَةٍ دالة على صدقكمَا تَبِعُوْا قِبْلَتَكَ أي: الكعبة عنادا وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ فأنت وهم متقاطعون الطمع عن الإسلام والعود وَمَا بَعْضُهُمْبِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ اليهود بالصخرة، والنصارى بمطلع الشمس وَلَئِناتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ فرضا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بأن لك الحق بالوحي إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِيْنَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَكابن سلام رضي الله عنه يَعْرِفُوْنَهُ محمدا صلى الله عليه وسلم كَمَا يَعْرِفُوْنَ أَبْنَاءَهُمْ لما وجدوه عليه السلام مطابقا بما في التوراة نعتا وَإِنَّ فَرِيْقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ عنادا وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO هو الْحَقُّ الثابت مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَOع الشاكين فيه وَلِكُلٍّ أي: لكل أمة من الأمم، أو نبيها، أو قوم المسلمين وِجْهَةٌ أي: قبلة هُوَ يرجع إلى كلمة كل، أو إلى الله تعالى مُوَلِّيْهَا أي: مولي تلك الوجهة وجهه في الصلاة فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ فبادروا إلى الطاعات من أمر القبلة وغيره أَيْنَمَا تَكُوْنُوْا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيْعًا يجمعكم في المحشر للجزاء [ص34] إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ لسفر فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ أي: التولي إلى الكعبة لَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَO أي: السفر والحضر في الاستقبال، وهو يجازيكم حسب عملكم وَمِنْ حَيْثُ خَرَجَتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِالْحَرَامِ التكرار لتأكيد أمر القبلة وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ أي: اليهود والمشركين عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ أي: التولي من الصخرة – التي هي قبلة اليهود – إلى الكعبة، لتنتفي مجادلتهم لكم، من قول اليهود: محمد (يجحد ديننا، ويتبع قبلتنا)[1]. ومجادلة المشركين لكم، قالوا: محمد يدعي دين أبيه إبراهيم عليه السلام، ويخالف قبلته إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا عاندوا مِنْهُمْ قالوا: ما تحول إليها إلا ميلا إلى ديننا، أو حبا لوطنه، والاستثناء متصل، أي: لايكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء المعاندين فَلَا تَخْشَوْهُمْ في الجدال بالتولي وَاخْشَوْنِيْ فامتثلوا بأمري وَإنما أمري لِأُتِمَّ نِعْمَتِيْ عَلَيْكُمْ وتمام النعمة الموت على الإسلام، ولقائه تعالى في الجنة وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَO إلى الحق، أتممنا عليكم نعمتي في أمر القبلة، أو في الآخرة كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُوْلًا مِّنْكُمْ يَتْلُوْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُوْنُوْا تَعْلَمُوْنَO أي: كما أتممنا عليكم نعمتنا بإرسال

1 – الجلالين: المصدر السابق. ص:31.

محمد صلى الله عليه وسلم تالي القرآن عليكم ومعلمه، ومطهركم عن الشرك، والمرشد لحكم لا يفي قريحتكم بفهمها إلا بإرشاده، {فإنه يرشد بالوحي}[1] فَاذْكُرُوْنِيْ في النفس والملاء أَذْكُرْكُمْ فيهما وَاشْكُرُوْا لِيْ بنعمائي وَلَا تَكفُرُوْنِO ع بالمعاصي يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اسْتَعِيْنُوْا في قبح حسن الخاتمة والعافية بِالصَّبْرِ عن المعاصي وحظوظ النفس وَالصَّلَاةِ التي [ص35] هي أم العبادات إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَO بالعون وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ يُّقْتَلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في بدر؛ هم أَمْوَاتٌ بَلْ هم أَحْيَاءٌ وَّلَكِنْ لَّا تَشْعُرُوْنَO ما هم فيه، وكانوا هم أربعة عشر وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ قليل مِّنَ الْخَوْفِ من العدو أو من الله تعالى وَالْجُوْعِ القحط، أو الصيام وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ بالهلاك، أو بالزكاة وَالْأَنْفُسِ بالقتل، أو الأمراض وَالثَّمَرَاتِ من الأشجار، أو موت الأولاد وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَO على البلايا بالجنة والرحمة، هم الَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالُوْا إِنَّا للهِ مِلكا؛ فيصرف في ملكه كيف يشاء وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَO ليجزينا بما صبرنا على ما أصابنا أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مغفرة مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ نعمة وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَO حيث سلموا إليه تسليما. الصفا[2] والمروة[3]: هما جبلان بمكة[4] مقرا إساف[5] ونائلة[1]، في

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

2 – الصفا: بالفتح، والقصر، المذكور فى القرآن الكريم: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام، عرض الوادى الذي هو طريق وسوق، وإذا وقف الواقف عليه كان حذاء الحجر الأسود، ومنه يبتدئ السّعى بينه وبين المروة. ابن الشمائل: المرجع السابق. 843/2.

3 – المروة: جبل بمكّة معروف. والصّفا: جبل آخر بإزائه، وبينهما قديد، ينحرف عنهما شيئا. والمشلّل: هو الجبل الذي ينحدر منه إلى قديد. وعلى المشلّل كانت مناة، فكان من أهلّ بها من المشركين، وهم الأوس والخزرج، يتحرّج أن يطوف بين الصّفا والمروة. ثم استمرّوا على ذلك فى الإسلام. البكري: المرجع السابق. 1217/4.

4 – مكة: سمّيت بكّة لأنها كانت تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم– أي تدقّ– وقال إبراهيم بن أبي المهاجر: بكّة موضع البيت، ومكّة موضع القرية. وسمّيت بذلك لاجتذابها الناس من الآفاق. وقالوا: سمّيت بكّة لأن الأقدام تبكّ بعضها بعضها– أي تزدحم– وسمّي البيت العتيق لأنه أعتق من الجبابرة. وهي أمّ القرى، وأمّ الرّحم، لأن الرّحمة تنزل بها. ابن الفقيه: أحمد بن محمد بن إسحاق، أبو عبد الله، الهمداني، (ت: 365). البلدان: (ط–1، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ / 1996م). ص: 74.

5 – إساف: وورد أن إسافًا رجل من جرهم، يقال له إساف بن يعلى، ونائلة امرأة من جرهم يقال لها نائلة بنت زيد، وكان إساف يتعشقها في أرض اليمن، فأقبلا حجاجًا، فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت، ففجر بها في الكعبة، فمسخا حجرين، فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين، فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش. جواد علي: المرجع السابق. 267/11.

الجاهلية كانوا يمسحون بهما، والمسلمون تحرَّجوا أن يطوفوا بينهما، فنزلت: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ أعلام الدين، جمع شعيرة، بمعنى العلامة فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ قصده، أو زاره على الوجهين المخصوصين فَلَا جُنَاحَ فلا إثم عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ فيه إدغام التاء في الطاء بِهِمَا بأن يسعى {بينهما}[2] سبعا وَمَنْ تَطَوَّعَ فعل طاعة خَيْرًا تطوعا خيرا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ يثيب بالمزيد عَلِيْمٌO بما فعل، نزل في {أحبار}[3] اليهود إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ من الناس مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الشواهد على صدق أمر محمد عليه الصلاة والسلام وَالْهُدَى ما يهدي إلى وجوب الإيمان به، أو المراد: آية الرجم ونعته صلى الله عليه وسلم مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ أوضحناه بحيث لم يبق محل ريبة لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ التوراة [ص36] أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ يبعدهم عن رحمته وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُوْنَO الملائكة، ومؤمنوا الثقلين إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا رجعوا وَأَصْلَحُوْا ما أفسدوا وَبَيَّنُوْا ما كتموا فَأُولٰئِكَ أَتُوْبُ عَلَيْهِمْ أقبل توبتهم وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيْمُO قابل التوب، لطيف على المؤمنين إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا وَالحال هُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَO خَالِدِيْنَ فِيْهَا في اللعنة، أو النار، المدلول عليها بها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَO يمهلون لتوبة، أو معذرة. ونزل لما قالوا: صف لنا ربك وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ لا مثل له في الذات، والصفات لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُOع ولما تعجبوا من سماع الكلام المشعر علي التوحيد طلبوا آية، فنزل: إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إنما جمع وأفرد، لأنها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الأرض وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بالزيادة، والنقصان وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ما مصدرية، أو موصولة، ولا ترسب موفورة، يفضي إلى الهلاك وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بنباتها بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها وَبَثَّ ونشر فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَّتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ المختلفة طبيعة وجهة وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ حيث يسير إلى ما شاء الله بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO ينظرون بعيون العقل فيها، فيدركون التوحيد وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ غيره تعالى أَنْدَادًا يشغلهم عن الله تعالى ، سواء كان أصناما أو رؤسا يُحِبُّوْنَهُمْ يعظّمونهم كَحُبِّ اللهِ كتعظيمه تعالى وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا أَشَدُّ حُبًّا لِّلّٰهِ من حبهم للأنداد، [ص37] إذ هم لا يعدلون عنه تعالى بسبب من الأسباب، والكفار يعدلون عن أندادهم إلى الله تعالى في الشدائد، وقد يرفضونها

---

1 – نائلة: إن إسافًا كان على الصفا. وأما نائلة، فكان على المروة. "وهما صنمان وكانا من جرهم. ففجر إساف بنائلة في الكعبة، فمسخا حجرين، فوضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما، ثم عبدا بعد. جواد علي: المرجع السابق. 267/11.

2 – في ج "منهما"،.

3 – في ج "أحبار".

وَلَوْ يَرَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا باتخاذ الأنداد إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ إذ بمعنى إذا أَنَّ الْقُوَّةَ القدرة والغلبة لِلّٰهِ جَمِيْعًا سد مسد مفعولي يرى، وجواب لو محذوف، أي: لندموا، أو هو متعلق الجواب، والمفعولان محذوفان، والجواب: ليعلموا أن القدرة له تعالى، وغيره لايضر ولاينفع، وذالك يوم القيامة؛ يوم ندامتهم عن اتخاذ الأنداد وَأَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعَذَابِO إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُوْا أي: الرؤساء مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا هم، أي: الأتباع، قالوا: ما أضللنا هم وَقد رَأَوُا الْعَذَابَ والحال أن الرؤساء والتبع رائين العذاب وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُO عطف على تبرأ، أي: الوصل التي بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة والوفاق في الأغراض الدينية والدنياوية تنفصل وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْا يوم القيامة لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً رجعة إلى الدنيا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ من الرؤساء كَمَا تَبَرَّءُوْا مِنَّا اليوم كَذَالِكَ مثل ذالك الإراءة الفظيعة يُرِيْهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ السيئة حَسَرَاتٍ ندمات عَلَيْهِمْ حال من الأعمال وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنَ النَّارِO ع بعد الدخول. ونزل فيمن حرم على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا ما أحله الشرع طَيِّبًا طاهرا من كل شبهة، أو مأكولا على الحضور، وقيل: مستلذا، مفعول كلوا وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ الطرق التي يزينها لكم، فتحرمون الحلال، وتحللون الحرام بها إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌO ظاهر العداوة إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وقيل: القبيح والأقبح، أو السوء: ما لا حد له، والفحشاء: ما له حد، وقيل: هما واحد [ص38] باغتمام العاقل به سوء، وباستقباحه إياه فحشاء وَأَنْ أي: بأن تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ في أمر التحليل والتحريم مَا لَا تَعْلَمُوْنَO من تحريم الطيبات، وتحليل المحرمات وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَا أَنْزَلَ اللهُ التوحيد، وكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا وجدنا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فإنهم كانوا {عاقلين}[1] منا، فردّ الله تعالى قولهم بقوله: أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَايَعْقِلُوْنَ شَيْئًا من أمر الدين وَلَا يَهْتَدُوْنَO إلى الحق، أي: أيتبعونهم ولو كانوا جهلة وَمَثَلُ {أي: صفة داعي}[2] الَّذِيْنَ كَفَرُوْا كَمَثَلِ الَّذِيْ يَنْعِقُ يصوّت بِمَا بحيوان لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَّنِدَاءً أي: صوتا من غير فهم، معناه: هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَO العظة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ على الترزيق، والتحليل إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَO إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أكل هذه الأشياء الْمَيْتَةَ ما لم يزك شرعا وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ أي: سائر أجزائه وَمَا أُهِلَّ ذبح بِهِ لِغَيْرِ اللهِ بل لأسماء الأصنام وغيرها فَمَنِ اضْطُرَّ الجائة الضرورة إلى أكله، حال كونه غَيْرَ بَاغٍ بالاستيثار لنفسه على مضطر آخر وَلَا عَادٍ مقدار سد الرمق، أو الجرعة، وقيل: غير خارج على الإمام، ولا عاد بقطع الطريق فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ في أكله إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لإثم المضطر رَحِيْمٌO به بالرخصة إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتَمُوْنَ وهم

---

1 – في أ "خيرا"، والتصويب من ب و ج.

2 – الوضاحة في ب و ج. العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

اليهود مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وغيره وَيَشْتَرُوْنَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا عوضا حقيرا أُولٰئِكَ مَا يَأْكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ ملاءها إِلَّا النَّارَ يأوّل إليها وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غضبا، تعريض عن تحريمهم عما أعطي مقابليهم وَلَا يُزَكِّيْهِمْ [ص39] عن الأدناس وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO النار أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى اختاروها بدلها في الدنيا وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ في الآخرة فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِO تعجيب للمؤمنين من تجاسرهم على المعاصي، وإلا فأيّ صبر لهم؟ ذَالِكَ العذاب بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ التوراة بِالْحَقِّ فرفضوه {بالتكذيب والكتمان}[1] وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِي الْكِتَابِ بالإيمان ببعض الكتاب، وكفرهم ببعض لَفِيْ شِقَاقٍ خلاف بَعِيْدٍOع الربع كان أهل الكتاب أكثر الخوض في أمر القبلة، وادعى كل بر قبلته، فرد عليهم بقوله: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ من بيت المقدس، كما هو قبلة النصارى وَالْمَغْرِبِ منه، كما هو قبلة اليهود، فإن هذه التولية منسوخة وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى مع حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى القرابة وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ المسافر، وقيل: الضيف وَالسَّائِلِيْنَ وَفِي فك الرِّقَابِ والأفضل ذوي القربى منهم، فهو ((صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))[2]، كما جاء في الحديث. وَأَقَامَ الصَّلَاةَ {المفروضة}[3] وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوْفُوْنَ عطف على من آمن بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوْا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو الناس وَالصَّابِرِيْنَ منصوب على المدح فِي الْبَأْسَاءِ الفقر وَالضَّرَّاءِ المرض وَحِيْنَ الْبَأْسِ وقت مجاهدة العدو أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا في الدين وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَO عن سائر الرزائل يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْاكُتِبَ فرض عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ أي: المماثلة والمساواة فِي الْقَتْلَى جمع قتيل، يقتل الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى وعند [ص40] أبي حنيفة رحمه الله تعالى يقتل النفس بالنفس، لقوله تعالى: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾[4]، وقوله عليه السلام: ((الْمُسْلِمُوْنَ

---

1 – في أ بالكتمان والتكذيب.

2 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، الحديث الكامل: ((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)). ابن ماجة: محمد بن يزيد، أبو عبد الله، القزويني، (ت: 273هـ). سنن ابن ماجة: (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون سنة النشر. كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، رقم الحديث: 1844). 591/1.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

4 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة المائدة، الآية: 45.

تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ))[1] فَمَنْ عُفِيَ لَه للقاتل مِنْ أَخِيْهِ أي: ولي الدم شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ أي: فالواجب اتباع من العافي للقاتل بِالْمَعْرُوْفِ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وَعلى القاتل أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ أي: أداء الدية إلى العافي، وهو ولي الدم بلا مبطل وبخس وذَالِكَ العفو والدية تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى قتل القاتل بَعْدَ ذَالِكَ العفو فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيْمٌO وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ عظمة يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لأن القاتل إذا علم القصاص ارتدع، ففيه حياتان لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَO القتل مخافة القصاص كُتِبَ فرض عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أسبابه إِنْ تَرَكَ خَيْرًا مالا كثيرا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ جواب إن محذوف، أي: فليوص بِالْمَعْرُوْفِ بالعدل، فلا يفضل الغني، ولا يتجاوز الثلث حَقًّا مصدر مؤكد لمضمون الجملة عَلَى الْمُتَّقِيْنَO الله، وهذا الحكم كان في بدء الإسلام، ونسخ بآية المواريث، وبقوله عليه السلام: ((إِنَّ اللهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ))[2] فَمَنْ بَدَّلَهُ غير الإيصاء بَعْدَ مَا سَمِعَهُ تحقق عنده، وصيا كان أو شاهدا فَإِنَّمَا إِثْمُهُ إثم التبديل عَلَى الَّذِيْنَ يُبَدِّلُوْنَهُ دون الموصي، والموصى له إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ للوصية عَلِيْمٌO بما يبدلونه فَمَنْ خَافَ علم مِنْ مُّوْصٍ جَنَفًا ميلا عن الحق، خطاءا في الوصية أَوْ إِثْمًا تعمد إلى الجنف، بأن يتجاوز الثلث، أو يخصص غنيا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصي لهم، فأجرى على نهج الشرع فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ في هذا التبديل بخلاف الأول إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ للموصي بما صدر عنه رَحِيْمٌOع بالمصلح يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْاكُتِبَ فرض عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ [ص41] من عهد آدم إلى عهدكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَO المعاصي بالصيام، بكسر مبداءها، وهي الشهوة. صوموا أَيَّامًا مَّعْدُوْدَاتٍ قلائل أو مؤقتات، هي شهر رمضان فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا وبالصوم يزيد المرض أَوْ راكبا عَلَى سَفَرٍ ففي إثناء اليوم إن سفر لا يفطر فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أي: فعليه عدد ما يفطر من أيام أُخَرَ إن أفطر وَعَلَى الَّذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهُ فِدْيَةٌ هي طَعَامُ مِسْكِيْنٍ نصف صاع من بر، أوصاع من غيره، قيل: فرض الصوم ولم يتعودوه، فاشتد عليهم، فرخص في الإفطار،

---

1 – أبو داود: سليمان بن الأشعث، الأزدي، السجستاني، (ت: 275هـ). سنن أبي داود: (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون سنة النشر). كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، رقم الحديث: 2751. 80/3.

2 – أخرجه: الترمذي: محمد بن عيسى، أبو عيسى، (ت: 279هـ). سنن الترمذي: (ط-2: تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ / 1975م). أبواب الوصايا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء لا وصية لوارث، رقم الحديث: 2121. 434/4.

والفدية، ثم نسخ التخيير لقوله: ﴿مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1]، ولذا كرر قوله: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضًا...، مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم، وقيل: يقدر كلمة لا، أي: وعلى الذين لا يطيقونه لكبر سن، وقيل: لا حاجة إلى تقدير لا، بل همزة الإفعال للسلب فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فزاد على القدر المذكور فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُوْمُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ من الإفطار والفدية إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO ما في الصوم من الفضيلة اخترتموه شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ بدل من الصيام، أو مبتداء؛ ما بعده خبره، غير منصرف؛ للعلمية والألف والنون، والإنزال من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر هُدًى حال، أي: هاديا لِّلنَّاسِ من الضلالة وَبَيِّنَاتٍ آيات واضحات مِّنَ الْهُدَى من الأحكام الهادية إلى الحق وَمن الْفُرْقَانِ أي: الفارق بين الحق والباطل فَمَنْ شَهِدَ حضر مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ بإباحة الفطر في السفر والمرض وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ برفع إباحته وَشرع مراعات العدد لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ أي: عدة صوم رمضان وَشرع القضاء لِتُكَبِّرُوا اللهَ أي: لتعظّموه حامدين [ص42] عَلَى مَا هَدَاكُمْ إليه، قيل: هو التكبير يوم الفطر عند إكمال الأيام وَشرع الترخيص والتيسير لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمته. سئل عنه عليه الصلاة والسلام: أ قريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ منهم علما أُجِيْبُ بإنالة المسؤل دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيْبُوْا لِيْ دعائي بالطاعة وَلْيُؤْمِنُوْا بِيْ بالدوام لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَO يهتدون. كانوا في صدر الإسلام يمسكون بعد العشاء، أو بعد الرقود ليلة الصيام عن المفطرات الثلاثة، ثم نسخ بقوله: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ وهو الإفضاح والجماع، لا يخلو عنه، وعدّى بإلى، تضمينا لمعنى الإفضاء إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ بينكم وبينهن من الملابسة، وكثرة المخالطة والمعانقة، الشبيهة باللباس عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُوْنَ تظلمون أَنْفُسَكُمْ بالجماع بتنقيص الثواب، كما روي عن عمر رضي الله عنه: ورجال آخر جاؤا معتذرين إلى النبي صلى الله عليه وسلمفَتَابَ عَلَيْكُمْ قبل توبتكم وَعَفَا محا عَنْكُمْ أثر الظلم فَالْئٰنَ أي: إذا حلَّ بَاشِرُوْهُنَّ جامعوهن وَابْتَغُوْا اطلبوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ من الولد في اللوح المحفوظ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا كل الليل حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ الصادق، بيان الخيط الأبيض، وبيان الخيط الأسود محذوف، أي: ومن الليل، شبه البياض المعترض والغلس الممتد معه بخيطين في الامتداد ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ أي: غروب الشمس وَلَا تُبَاشِرُوْهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ فِي الْمَسَاجِدِ نهى لمن كان

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 185.

يخرج من المعتكف فيجامع ويعود، والاعتكاف: اللبث في المسجد بقصد القربة تِلْكَ أي: الأحكام التي سبقت حُدُوْدُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوْهَا [ص43] فواصل بين الحق والباطل، فنهوا أن يقربوها، مخافة أن يقعوا في المحارم والبواطل، فهو أبلغ من قوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوْهَا﴾[1] كَذَالِكَ كما بين ما ذكر يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَO محارمه وَلَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ بالوجه الغير المشروع؛ كالسرقة والغصب وَتُدْلُوْا بِهَا إِلَى الْحُكَامِ عطف على تأكلوا، أي: لا تلقوا حكومتها إلى الحكام، فإنهم يحكمون على الظاهر، وأنتم تعلمون أن ما أخذتم بالوجه الباطل حرام محض لِتَأْكُلُوْا بالتحاكم فَرِيْقًا طائفة مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بشهادة الزور واليمين الكاذبة، أو متلبسين بالإثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَOع أنكم مبطلون. يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ سأله عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل[2]، وثعلبة بن غنم[3]: ما بال الهلال يبدؤ دقيقا، ثم يزيد، ثم ينقص، حتى يعود كما بدأ قُلْ لهم هِيَ أي: الأهلة مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ جمع ميقات، أي: مقادير الوقت، يعلمون بها أوقات تجاراتهم وإجاراتهم وصومهم وزكاتهم وتواريخ الحج، سألوا: عن الحكمة الباطنة لاختلاف القمر، وأجيبوا بالظاهرة بما يتعارف به الناس. الأنصار إذا أحرموا لا يدخلون بيتا ولا فسطاطا إلا من ثقب وفرج من وراءهما، ويتركون بابهما، ويزعمون أنه بر، نزل: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوْتَ مِنْ ظُهُوْرِهَا وَلٰكِنَّ الْبِرَّ أي: ذا البر مَنِ اتَّقَى المحارم والشهوات وَأْتُوا الْبُيُوْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا في الإحرام كغيرهم وَاتَّقُوا اللهَ في تغيير {أحكامه}[4] لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO تفوزون إلى البر. صالح الكفار عام الحديبية على أن يخلوا مكة ثلاثة أيام، وأن يعود رسول الله صلى الله عليه وسلم في القابل، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء،

---

1 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 229.

2 - معاذ بن جبل رضي الله عنه: أبو عبد الرحمن، كان طولا أبيض حسن الثغر، براق الثنايا، عظيم العينين، مجموع الحاجبين، جعدا قططا. شهد العقبة مع السبعين. وآخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين ابن مسعود، وشهد بدرا وهو ابن عشرين سنة، أو إحدى وعشرين، وشهد أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلم. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن في ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة. الجوزي: المرجع السابق. 264/4.

3 - ثعلبة بن غنم: ثعلبة بن غنم كان من الأنصار. الرازي فخر الدين: محمد بن عمر، أبو عبد الله، التيمي، (ت: 606هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: (ط-3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ). 281/5.

4 - في ب و ج "الأحكام".

وخاف المسلمون أن لا تفيء قريش، وناصبوا القتال في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نزل: وَقَاتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لإعلاء كلمته [ص44] الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَكُمْ أي: الكفار كلهم، لأنهم في صدد القتال، أو الذين يتوقع منهم ذالك دون المشائخ والصبيان والرهبان والنساء وَلَا تَعْتَدُوْا ببدء القتال، أو بالقتال مع المعاهد، أو من نهيتم عن قتله، أو المثلة إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَO لا يريد بهم الخير. قيل منسوخ بآية السيف وَاقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوْهُمْ وجدتموهم وَأَخْرِجُوْهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوْكُمْ أي: من مكة، وقد حصل عام الفتح لمن لم يسلم وَالْفِتْنَةُ الشرك في الحرم، أو الإخراج من الوطن أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ في الحرم، أو الإحرام وَلَا تُقَاتِلُوْهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوْكُمْ فِيْهِ فَإِنْ قَاتَلُوْكُمْ في الحرم فَاقْتُلُوْهُمْ فيه كَذَالِكَ أي: القتل والإخراج جَزَاءُ الكَافِرِيْنَO فَإِنِ انْتَهَوْا عن {الشرك}[1] فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ ما أضاعوا من حقوقه رَحِيْمٌO بهم في الآخرة وَقَاتِلُوْهُمْ حَتَّى بمعنى كي لَا تَكُوْنَ لا توجد فِتْنَةٌ شركوَّيَكُوْنَ الدِّيْنُ العبادة لِلّهِ خالصة دون الأصنام فَإِنِ انْتَهَوْا عن الشركفَلَا عُدْوَانَ الاعتداء بالقتل إِلَّا عَلَى الظَّالِمِيْنَO ولم يبقوا ظالمين بسبب الانتهاء عن الكفر الشَّهْرُ الْحَرَامُ مقابل بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ رد لاستعظام المسلمين القتال في الشهر الحرام وَالْحُرُمَاتُ جمع حرمة قِصَاصٌ في الهتك إذا هتكوا حرمة الشهر الحرام فاهتكوا، والبادي ظالم فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ بالقتال في الحرم، أو الإحرام، أو الشهر الحرام فَاعْتَدُوْا عَلَيْهِ إنما سمي جزاءهم اعتداءا مشاكلة بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ فلا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم فيه وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَO الله بالنصر والعون وَأَنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ في الجهاد [ص45] وغيره وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ الباء زائدة، ولا تلقوا أنفسكم إِلَى التَّهْلُكَةِ الهلاك بإمساك النفقة، كي لا يغلب عليكم العدو وَأَحْسِنُوْا في الإنفاق والإخلاق والتفضل على المحتاجين إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَO يريد بهم الخير وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ أدّوهما بجميع الشرائط والآداب لِلّهِ لوجهه تعالى فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ منعتم من إتمامها بعدو، كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، أد به وبغيره كالمرض ومثل ذالك كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ جمع هدية، من بعير أو بقرة أو شاة وَلَا تَحْلِقُوْا رُؤُوْسَكُمْ أي: لا تحلوا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ المبعوث إلى الحرم مَحِلَّهُ حيث يجب ذبحه، وهو الحرم بإمارة تظن بها إنه ذبح في الحرم تحلل، كما هو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، محل بالكسر يطلق على المكان والزمان فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضًا محتاجا إلى الخلق أَوْ بِهِ أَذًى مِّنْ رَّأْسِهِ كقمل أو جرح، فحلق في الإحرام فَفِدْيَةٌ عليه مِنْ صِيَامٍ ثلثة أيام أَوْ صَدَقَةٍ ثلثة أصبع أَوْ نُسُكٍ ذبح شاة فَإِذَا أَمِنْتُمْ الإحصار، أو كنتم في سعة من المال فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة، قبل الانتفاع بالحج، أو استباح محظورات الإحرام بفراغه عن العمرة إلى أن يحرم للحج

1 – في ب و ج "الكفر".

ثانيا في أشهره فَمَا اسْتَيْسَرَ تيسر مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ لفقده، أو فقد ثمنه فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي أشهر الْحَجِّ بين الإحرامين، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ من أفعال الحج تِلْكَ الصيام المذكورة عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ في بدلية الهدية ذَالِكَ التمتع لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وأما الحاضرون فلا تمتع والقران لهم، هم أهل المواقيت، ومن دونها إلى مكة دون الأفاقيين وَاتَّقُوا اللهَ في الأحكام [ص46] وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO ع لمن لم يتق الْحَجُّ أي: وقته أَشْهُرٌ جمع، يراد ما فوق الواحد، لأن المراد منها: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة مَعْلُوْمَاتٌ معروفات فَمَنْ فَرَضَ ألزم على نفسه فِيْهِنَّ الْحَجَّ بالإحرام والتلبية، أو سوق الهدي فَلَا رَفَثَ جماع، أو الكلام الفاحش وَلَا فُسُوْقَ معاصي وَلَا جِدَالَ خصام فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ صدقة يَّعْلَمْهُ اللهُ فيجازيكم به، كان أهل اليمن لا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون. فيكونون كلا وثقيلا على الناس، نزل فيهم: وَتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ما يتقي به عن السؤال وَاتَّقُوْنِ خافوني عن عقابي يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِO لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ رد لما قالوا للتاجرين والآجرين: هؤلاء الداج، أي: الأعوان والمكارون لا الحاج أَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلًا رزقا مِّنْ رَّبِّكُمْ بالتجارة في الحج فَإِذَا أَفَضْتُمْ رجعتم مِّنْ عَرَفَاتٍ علم للموقف، سمي بجمع كأذرعات موضع في الشام، وإنما صرفت، لأن التاء فيها ليست تاء التأنيث، بل هي مع الألف قبلها، علامة جمع المؤنث، وسمي بها، لأن تعارف آدم حواء فيه، أو لأن إبراهيم عليه السلام نعت له هذا، فلما أبصره عرفه فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وهو جبل في آخر {ذيل}[1] المزدلفة، يقال له قزح وَاذْكُرُوْهُ بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات، أو الجمع بين العشائين كَمَا هَدَاكُمْ علمكم وَإِنْ مخففة كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّيْنَO الجاهلين بالأحكام ثُمَّ أَفِيْضُوْا ارجعوا يا قريش! مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ رجع من عرفات، فهم كانوا يترفعون على الناس بالوقوف بالجمع، أي: المزدلفة، فأمروا بالوقوف معهم، أو المراد إفاضة الحاج من المزدلفة إلى منى، فالمخاطب هم المؤمنون، والمراد من الناس الحُمس، أي: الشجعان، وهم القريش وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لما فات [ص47] من الآداب رَحِيْمٌO بهم فَإِذَا قَضَيْتُمْ أديتم مَّنَاسِكَكُمْ الإحرام، والوقوف، والإفاضة، ورمي الجمرة العقبة، والطواف، والاستقرار بمنى فَاذْكُرُوا اللهَ بالتكبير والثناء كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ بين مسجد الخيف وبين الجبل في الإكثار، وانشراح البال في المفاخر أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا من ذكر الآباء فَمِنَ النَّاسِ أي: المشركين مَنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا أي: اجعل إيتاءنا وإعطاءنا خاصة في الدنيا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍO نصيب وَمِنْهُمْ أي: المؤمنين مَنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً نعمة وعافية وَّفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً الجنة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِO النصف أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّمَّا كَسَبُوْا من الحج

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط: ب، ج، والتصويب من أ.

والدعاء وَاللهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِO جاء في الحديث: ((إِنَّهُمْ يُحَاسَبُوْنَ فِيْ مِقْدَارِ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا))[1] وَاذْكُرُوا اللهَ بالتكبير عند رمي الجمرات، وخلف الصلوات فِيْ أَيَّامٍ مَّعْدُوْدَاتٍ أي: أيام التشريق فَمَنْ تَعَجَّلَ النفر فِيْ يَوْمَيْنِ العشر والحادي عشر فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بالتعجيل وَمَنْ تَأَخَّرَ إلى اثنا عشر فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ بالتأخير لِمَنِ اتَّقَىالله، أي: الذي ذكر من التخيير، أو الأحكام لمن يتق الله، فإنه ألحاج على الحقيقة وَاتَّقُوْا اللهَ في جميع الأمور وَاعْلَمُوْا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO وَمِنَ النَّاسِ أي: الأخنس بن شُرَيق[2] كان منافقا، حلو الكلام، يعجب كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم، يحلف أنه مؤمن مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لا في الآخرة، لظهور العقيدة هناك وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِيْ قَلْبِهِ حيث قال: يعلم الله أني صادق في محبتك وَالحال هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِO من اللدد، وهو الشدة، أي: أشد الخصام خصومة، أو شديد الخصومة وَإِذَا تَوَلَّى انصرف عنك [ص48] سَعَى مشى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ الزرع وَالنَّسْلَ الحيوان وَاللهُ لَا يُحِبُّ لا يرضى الْفَسَادَO وَإِذَا قِيْلَ لَهُ للأخنس اتَّقِ اللهَ في الإفساد والإهلاكأَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ حملته النخوة وحمية الجاهلية على العمل الذي أمر بإتقائه عنه فَحَسْبُهُ كافيه جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُO الفراش، جهنم وَمِنَ النَّاسِ وهو صهيب رضي الله عنه لما أذاه المشركون، هاجر إلى المدينة، وترك لهم ماله مَنْ يَّشْرِيْ نَفْسَهُ {أي: يفدي ماله بنفسه}[3] ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ طلبا لرضاه وَاللهُ رَءُوْفٌ بِالْعِبَادِO حيث ألهمهم ما فيه رضاه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا من أهل الكتاب، أو خطاب مع المنافقين، فإن أهل الكتاب كعبد الله بن سلام[4] وأضرابه بعد إسلامهم عظموا السبت، وحرموا الإبل وألبانها، والمنافقون لم يؤمنوا باطنا، فأمروا بدخولهم في السلم كافة ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ أي: الإسلام كَافَّةً بجميع شرائعه، أو ظاهرا، أو باطنا وَّلَا

---

1 – ذكر المؤلف الكلمات المترادفة، ولفظه للبيهقي: ((يَفْرُغُ اللهُ مِنْهُ فِي مِقْدَارِ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا)). البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، (ت: 458هـ). شعب الإيمان: (ط–1، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ / 2003م). رقم الحديث: 357، 557/1.

2 – الأخنس بن شريق: هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة. اسمه أبيّ، وإنما لقب الأخنس، لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل خنس الأخنس ببني زهرة، فسمي بذلك. ثم أسلم الأخنس، فكان من المؤلفة، وشهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر. العسقلاني: المرجع السابق. 192/1.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

4 – عبد الله بن سلام: هو عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي من بنى قينقاع، كنيته أبو يوسف. كان حبرا قبل ان يسلم. واسمه كان قبل الاسلام الحصين، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم بالكتب. توفى بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. البُستي: المرجع السابق. ص:36.

تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ طرقه بالتفريق بين الأحكام بقبول بعضها، وعدم قبول بعض آخر إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِيْنٌO فَإِنْ زَلَلْتُمْ ملتم عن الدخول في جميعه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ الحجج الظاهرة على حقيقة فَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب على الانتقام حَكِيْمٌO في إحقاق الحق هَلْ يَنْظُرُوْنَ إِلَّا أَنْ يَّأْتِيَهُمُ اللهُ أمره وعذابه فِيْ ظُلَلٍ جمع ظلة، وهي ما أظلك مِنَ الْغَمَامِ السحاب الأبيض، فإنه مظنة الرحمة، لأنه يمطر، فإذا جاء منه العذاب كان أفظع وَالْمَلَائِكَةُ لأنهم وسائط في إيصال العذاب وَقُضِيَ الْأَمْرُ وأتم أمر هلاكهم، وفرغ منه، وضع الماضي موضع المستقبل لقطعه وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُOع فيجازي [ص49] بما يليق سَلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ كَمْ استفهامية آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ظاهرة، كفلق البحر، وإنزال المن والسلوى، فبدلوها كفرا وَمَنْ يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُكفرا فَإِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO له زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بالتموية وَهم يَسْخَرُوْنَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا لفقرهم، كعمار رضي الله عنه[1] وبلال رضي الله عنه[2] وصهيب رضي الله عنه[3] وَالَّذِيْنَ اتَّقَوْا عن الشرك فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فإن الجنة ودرجاتها فوق النار ودركاتها وَاللهُ يَرْزُقُ في الدارين مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍO فيملك المسخور منهم رقاب الساخرين وأموالهم كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام[4]، فاختلفوا فَبَعَثَ اللهُ

1 – عمار رضي الله عنه: هو عمار بن ياسر ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي، أبو اليقظان مولى بني مخزوم، من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا والمشاهد كلها، وعاش ثلاثا وتسعين سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، وممن عذب في الله في أول الإسلام. وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام، طعنها أبو جهل في قلبها بحربة فقتلها. له نحو ثلاثين حديثا. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، أبو عبد الله، (ت: 748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: (ط–2، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ / 1993م). 570/3.

2 – بلال رضي الله عنه: هو بلال بن رباح الحبشي المؤذن، وهو بلال بن حمامة، وهي أمّه. اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذّبونه على التوحيد، فأعتقه، فلزم النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم وأذّن له، وشهد معه جميع المشاهد، وآخى النبي صلّى اللَّه عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجرّاح، ثم خرج بلال بعد النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم مجاهدا إلى أن مات بالشام. العسقلاني: المرجع السابق. 455/1.

3 – صهيب رضي الله عنه: هو صهيب بن سنان الرومي يعرف بذلك، لأنه أخذ لسان الروم إذ سبوه وهو صغير، وهو نمري من النمر بن قاسط، لا يختلفون في ذلك. ابن عبد البر: المرجع السابق. 726/2.

4 – نوح عليه السلام: وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس.وقال الزبير: نوح بن ملكان بن مثوب بن إدريس، وكان بين آدم ونوح ألف سنة، وولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم بثمان مائة وست وعشرين سنة. الجوزي: المرجع السابق. 239/1.

النَّبِيِّنَ إليهم مُبَشِّرِيْنَ بالجنة وَمُنْذِرِيْنَ بالنار وَأَنْزَلَ مَعَهُم مع كل واحد الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ببيانه لِيَحْكُمَ به بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ من الحق وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ في الحق إِلَّا الَّذِيْنَ أُوْتُوْهُ أي: الكتاب مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ الحجج الظاهرة على صدقه بَغْياً بَيْنَهُمْ مفعول له فَهَدَى اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بيان ما بِإِذْنِهِ بإرادته وَاللهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ اهتداءه إِلَى صِراطٍ مُّسْتَقِيْمٍO دين الإسلام أَمْ بل حَسِبْتُمْ أيها المؤمنون! أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا أي: لم يَأْتِكُمْ مَّثَلُ حال الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ في الشدة والمحنة، واصطبارهم عليها مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ الخوف، جملة بيانية لما قبل وَالضَّرَّاءُ المرض وَزُلْزِلُوْا وحركوا بأنواع البلايا حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ مَتَى يأتي نَصْرُ اللهِ فقيل لهم: أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ [ص50] قَرِيْبٌO من المؤمنين. عمرو بن الجموح الأنصاري[1] كان ذا مال عظيم، فقال يا رسول الله! ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت: يَسْئَلُوْنَكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلْ لهم مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ بيان ما؛ كثيرا كان أو قليلا، فتضمن بيان المنفق فَلِلْوَالِدَيْنِ صرح بيان المصرف، لأنه أهم، إذ النفقة لا تعتد إلا أن تقع موقعها وَالْأَقْرَبِيْنَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنَ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيْمٌO فيجازي بقدره كَمًّا وَكَيْفًا كُتِبَ فرض عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ مكروه شاق، فهو مصدر، نعت به للمبالغة لَكُمْ طبعا، فإن النفس تميل إلى الشهوات المهلكة، ويتنفر عن التكليفات المنجية وَعَسَى أَنْ تَكرَهُوْا شَيْئًا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ففي القتال المكروه إما ظفر وغنيمة، أو شهادة وأجر، وفي تركه المحبوب ذل وفقر وحرمان أجر وَاللهُ يَعْلَمُ ما هو الخير لكم وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَOع ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾[2] فهو الصلاح والخير. قتل سرية الإسلام عمرو بن عبد الله الحضرمي[3] غرة رجب، والتبس بسلخ جمادي الآخر، فعيرهم الكفار باستحلال القتال في الشهر الحرام، فسأل

---

1 – عمرو بن الجموح الأنصاري: هو من بني سلمة، استشهد بأحد، ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد. الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي ، أبو القاسم، (ت: 535هـ). سير السلف الصالحين: (تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية، الرياض). ص:566.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الحشر، الآية: 7.

3 – عمرو بن عبد الله الحضرمي: ذكره أبو بكر أحمد بن محمّد بن عيسى البغداديّ فيمن نزل حمص، فقال: حدثني أبو عمرو أحمد بن نصر بن سعيد بن حريب بن عمرو الحضرميّ– أنّ جده حريبا، يكنى أبا مالك، وكان أبوه عمرو ممن قدم مع أبي عبيدة بن الجراح الشام، وهو مولى قوم من الحضرميين. يقال لهم: بنو مصعب.وذكره خليفة بن خيّاط فيمن قتل بصفين مع معاوية. العسقلاني: المرجع السابق. 543/4.

المشركون أو المؤمنون، فنزل: يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ بدل الاشتمال عن الشهر قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام قِتَالٌ فِيْهِ إثم كَبِيْرٌ والأكثر على أنه منسوخ بآية: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ﴾[1] وَصَدٌّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ أي: منع المشركين الناس عن الإسلام والكفر وَصد عن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أي: منعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت يوم الحديبية وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ أي: أهل المسجد الحرام، [ص51] وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مِنْهُ من المسجد أَكْبَرُ إثما من القتل في أشهر الحرام عِنْدَ الله تعالى وَالفِتْنَةُ أي: الأمور الأربع، سيما الشرك أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُوْنَ أي: الكفار يُقَاتِلُوْنَكُمْ أيها المؤمنون! حَتَّى يَرُدُّوْكُمْ عَنْ دِيْنِكُمْ الإسلام إلى الكفر إِنِ اسْتَطَاعُوْا إشارة إلى بذل مجهودهم فيه، وعدم نفعه لهم وَمَنْ يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ الصالحة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فلا ثواب عليها عند أبي حنيفة رحمه الله، الحبط متعلق بنفس الردة، وعند الشافعي رحمه الله تعالى بالردة على الموت وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO زعم أصحاب السرية أنهم إن سلموا عن الإثم فلا أجر لهم، نزل: إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا أوصالهم كالأوطان والأحياء والأموال وَجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لإعلاء كلمة الله أُولَئِكَ يَرْجُوْنَ رَحْمَةَ اللهِ أي: ثوابه وَاللهُ غَفُوْرٌ لما فعلوا خطاءا رَحِيْمٌO بإجزال الأجر يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ عصير العنب، إذا اشتد، وقذف بالزبد وَالْمَيْسِرِ القمار قُلْ فِيْهِمَا إِثْمٌ كَبِيْرٌ للإفضاء إلى المخاصمة والمشائمة والفحش والزور وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ أي: تشجيع الجبان ومصادفة الفتيان والطرب وكسب المال بلا كد وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا فترك الأكثرون، وشرب الآخرون، حتّى حرمتها آية المائدة وَيَسْئَلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ ما قدره؟ قُلِ الْعَفْوَ الفاضل عن الحاجة، هو نقيض الجهد، إذ الصدقة إنما هي عن ظهر غني، ولا ينفق ما يحتاج إليه نفسه، فإنه ترس المؤمن، كذا روي عن السفيان الثوري رحمه الله تعالى[2] كَذَالِكَ كما بيّن لكم الأحكام السابقة يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة، الآية: 5.

2 – السفيان الثوري رحمه الله تعالى: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين. ابن خلكان: المرجع السابق. 386/2.

فعلمتم أن العفو أصلح من الجهد في الإنفاق لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَO فتأخذوا الأصلح الأنفع فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [ص52] لما نزل: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامٰى ظُلْمًا...﴾[1]. اجتنبوا عن مخالطتهم، فشق ذالك عليهم، فسألوا عن حالهم، فنزل: وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ أي: المخالطة للإصلاح خير من المجانبة وَإِنْ تُخَالِطُوْهُمْ بخلط نفقاتهم بنفقاتكم فَإِخْوَانُكُمْ وحق الأخ المخالطة من غير اعتداء وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ فيجازي كلا بما يستحق وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ لضيق عليكم بالأمر لعدم المخالطة، العنت: المشقة إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب على أمره حَكِيْمٌO في أوامره وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ حرة مُّشْرِكَةٍ غير كتابية وَّلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ بجمالها ومالها وَلَاتُنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ أي: لا تزوجوا الكفار المؤمنات، أيها المؤمنون! حَتَّى يُؤْمِنُوْا وَلَعَبْدٌ مُّوْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ حر مُّشْرِكٍ وَّلَوْ أَعْجَبَكُمْ جمالهم ومالهم أُولٰئِكَ يَدْعُوْنَ إلى عمل موصل إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوْا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ بإرادته وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَOع يتعظون. أهل الجاهلية واليهود والأعاجم المجوس لم يساكنوا الحائضات، بل يخرجونهن عن البيوت، والنصارى يجامعونهن، حتّى سأل أبو الدحراج في نفر من الصحابة عن ذالك، فنزل: وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْمَحِيْضِ يقال: حاضت محيضا، كجاءت مجيئا، فهو مصدر. والمراد منه الحيض أو مكانه قُلْ هُوَ أَذًى قذر، أو محله فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ اجتنبوا مجامعتهن فِي الْمَحِيْضِ وَلَا تَقْرَبُوْهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ بيان لغاية الحكم فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ بالإتيان في القبل، وعندنا جاز قربانها إن طهرت لأكثر الحيض قبل [ص53] الغسل إِنَّ اللهَ يُحِبُّ يثيب التَّوَّابِيْنَ من الذنوب وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَO المتنزهين عن الأقذار نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ مزرع الولد؛ بتشبيه النطف بالبذور فَأْتُوْا حَرْثَكُم أَنَّى كيف شِئْتُمْ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ردا لليهود، قالوا: من دبر في قبل فجعل الولد أحول وَقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ ما يدخر الثواب لكم، كنية الولد الصالح، والوضوء والتسمية، وكشف العورة بقدر الضرورة، وسائر آدابه وَاتَّقُوا اللهَ في الأوامر والنواهي وَاعْلَمُوْا أَنَّكُمْ مُّلَاقُوْهُ فلا تفعلوا ما تفتضحون به عند التلاقي وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَO المتقين وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أي: لا تجعلوا اسم الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير، والمراد من الأيمان: الأمور المحلوف عليها، كان الرجل يحلف عن بعض الخيرات، كصلة رحم، أو إصلاح ذات البين، أو إحسان، أو عبادة، ثم يقول: أخاف الله إن أحنث في يميني، فيترك البر، إرادة البر في يمينه، فقيل: لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم. عُرضة: فُعلة، بمعني المفعول، يطلق لما يعرض دون الشيئ، أي: مانعا وحاجزا أَنْ تَبَرُّوْا وَتَتَّقُوْا وَتُصْلِحُوْا بَيْنَ النَّاسِ عطف

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ سورة النساء، الآية: 10.

بيان لأيمانكم وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ لأيمانكم عَلِيْمٌO بنياتكم لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيْ أَيْمَانِكُمْ لا يعاقبكم في حلف بظن الأمر، وهو على خلافه، أي: لا عقاب في الخطاء وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ يعاقبكم بِمَا كَسَبَتْ نوت، وتعمدت قُلُوْبُكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ للغو حَلِيْمٌO لا يعجل بالمؤاخذة في الغموس؛ المتعلق بالماضي، ولا كفارة فيه، تربصا للتوبة. وأما المنعقدة المتعلقة بالمستقبل ففيه الكفارة، كما سيجيء في المائدة لِلَّذِيْنَ يُؤْلُوْنَ مِنْنِّسَاءِهِمْ يحلفون أن لا يجامعوا أزواجهم تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُا رجعوا فيها عن اليمين إلى الوطي فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ [ص54] لهم إضرار المرأة بالحلف رَحِيْمٌO بهم، حيث شرع الكفارة وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ صمموا قصد الطلاق فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ لطلاقهم عَلِيْمٌO بعزمهم وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ لينتظرن بِأَنْفُسِهِنَّ عن النكاح ثَلَاثَةَ قُرُوْءٍ جمع قرء، بالضم والفتح، بمعنى الحيض والطهر، والمراد: هو الحيض عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، والطهر عند الشافعي رحمه الله تعالى وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَّكْتُمْنَ مَا الولد، أو الحيض خَلَقَ اللهُفِيْ أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُوْلَتُهُنَّ جمع بعل، والتاء لتأنيث الجمع أَحَقُّ حقيق بِرَدِّهِنَّ برجعتهن ولو أبين فِيْ ذَالِكَ زمان التربص إِنْ أَرَادُوْا إِصْلَاحًا بينهما؛ لا إضرار المرأة، وليس بشرط الرجعة، بل حث عليه وَلَهُنَّ على الأزواج مِثْلُ الَّذِيْ عَلَيْهِنَّ من الحقوق؛ من حسن العشرة، وترك الإضرار، ونحو ذالك بِالْمَعْرُوْفِ بالوجه الشرعي والعرفي وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ في الحقوق دَرَجَةٌ زيادة، لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن في المهر والإنفاق وعدم الضرار وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ غالب في الانتقام ممن تعدى منهما حَكِيْمٌOع فيما دبره، لكل منهما من المصالح الطَّلَاقُ التطليق الشرعي مَرَّتَانِ تطليقة بعد تطليقة، في طهر بعد طهر فَإِمْسَاك بِمَعْرُوْفٍ برجعة ومعاشرة حسنة أَوْ تَسْرِيْحٌ إرسالهن بِإِحْسَانٍ بالطلقه الثالثة، أو عدم المراجعة، حتى تبين بانقضاء العدة وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أيها الحكام! أو الأزواج! أَنْ تَأْخُذُوْا مِمَّا آتَيْتُمُوْهُنَّ من المهور شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَّخَافَا الزوجان أَلَّا يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ حقوقا أمر بها تعالفَإِنْ خِفْتُمْ أيها الولاة! أَلَّا يُقِيمَا أي: الزوجان حُدُوْدَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا في الإعطاء، والأخذ فِيْمَا افْتَدَتْ بِهِ أي: فيما فدت به نفسها، واختلعت تِلْكَ ما حدّ من أحكام [ص55] النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا لا تجاوزوها بالمخالفة وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO فَإِنْ طَلَّقَهَا مرة ثالثة بعد التطليقتين فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ أي: بعد ذالك الطلاق حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ويطأها فَإِنْ طَلَّقَهَا الزوج الثاني بعد الوطي فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَّتَرَاجَعَا بالزواج إِنْ ظَنَّا أَنْ يُّقِيْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ حقوق الشرعية وَتِلْكَ الأحكام حُدُوْدُ اللّٰهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO فهم المنتفعون بها وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ قربن انقضاء عدتهن فَأَمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ بالرجعة من غير ضرار أَوْ سَرِّحُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ حتّى تنقضي عدتها، وتبين من غير ضرار وَّلَا تُمْسِكُوْهُنَّ ضِرَارًا مفعول له لِتَعْتَدُوْا لتظلموهن، بأن يطلق ويترك حتّى يقرب

انقضاء عدتها، ثم يراجعها ليطول العدة عليها، فهو إمساك ضرار وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بتعريضها لعقاب الله تعالى وَلَا تَتَّخِذُوْا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا أي: جدوا في الأخذ بها وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ أي: الإسلام وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ أي: كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، أو الأحكام يَعِظُكُمْ بِهِ بما أنزل وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ع الثلاثة تهديد وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انقضت عدتهن فَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ لا تمنعوهن أَنْ يَّنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ المطلقين لهن إِذَا تَرَاضَوْا أي: الأزواج والنساء بَيْنَهُمْ [ص56] بِالْمَعْرُوْفِ بالوجه الشرعي، (نزلت في معقل بن يسار منع أختها جملاء أن ترجع إلى زوجها الأول بالاستيناف)[1] ذَالِكَ نهي العضل يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فإنه المنتفع به ذَالِكُمْ ترك العضل أَزْكَى خير لَكُمْ وَأَطْهَرُ من دنس الآثام وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO فاتبعوا أمره وَالْوَالِدَاتُ مطلقات أم لا يُرْضِعْنَ ليرضعن أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ صفة مؤكدة لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُّتِمَّ الرَّضَاعَةَ ويمكن النقص من غير زيادة وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهُ أي: الأب رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ على الإرضاع، إذا كن مطلقات بِالْمَعْرُوْفِ ما يرى الحاكم طاقته لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا بسبب إجبار إرضاع الولد، إن امتنعت وَلَا يضار مَوْلُوْدٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ بأن يكلف فوق الطاقة وَعَلَى الْوَارِثِ وارث الأب مِثْلُ ذَالِكَ ما على الأب من الرزق والكسوة فَإِنْ أَرَادَا أي: الأب والأم فِصَالًا فطاما قبل الحولين صادرا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا من الأبوين وَتَشَاوُرٍ بينهما في مصلحة الصبي فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا في ذالك الانفطام وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أيها الآباء! أَنْ تَسْتَرْضِعُوْا مراضع غير الوالدات أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيه إِذَا سَلَّمْتُمْ إليهن مَا آتَيْتُمْ من الأجرة بِالْمَعْرُوْفِ بطيب النفس، المستحسن شرعا وَاتَّقُوا اللهَ في أمر الاسترضاع وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فلا يذهب خيف على الرضيع والمرضعة وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُوْنَ يتركون أَزْوَاجًا الحرائر، غير الحوامل يَتَرَبَّصْنَ ليتربصن بعدهم بِأَنْفُسِهِنَّ عن النكاح أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَّعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ أي: انقضت عدتهن فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أيها [ص57] الأولياء! فِيْمَا فَعَلْنَ فِيْ أَنْفُسِهِنَّ من التزيين، والتعريض للخطاب بِالْمَعْرُوْفِ بالوجه الشرعي وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ في السر والعلن خَبِيْرٌO فيجازي به وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا عَرَّضْتُمْ لوَّحتم بِهِ التلويح والتعريض: إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا، والكناية: الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ المعتدات بالوفاة، كقول الإنسان: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك؟ ورب راغب فيك، أو غرضي أ تزوَّج أَوْ

---

1 - البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، أبو سعيد، الشيرازي، (ت: 685هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي: (ط-1، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ). 144/1.

أَكْنَنْتُمْ أضمرتم فِيْ أَنْفُسِكُمْ قصد نكاحهن عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُوْنَهُنَّ بالخطبة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض وَلٰكِنْ لَّا تُوَاعِدُوْهُنَّ سِرًّا نكاحا أو جماعا، أي: لا تقولوا في العدة لها بالتصريح: إني قادر على جماعك ونكاحكإِلَّا لكن أَنْ تَقُوْلُوْا قَوْلًا مَّعْرُوْفًا أي: التعريض، أو لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة معروفة الشرع، غير منكرة فيه، وهي التعريض المباح، لا التصريح المحرم وَلَا تَعْزِمُوْا نهي عن العزم على عقد النكاح، فالنكاح أنهي عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أي: العدة الثابتة من الكتاب أَجَلَهُ غايته وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ من العزم وغيره فَاحْذَرُوْهُ أن يعاقبكم على العزم وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لمن يحذره حَلِيْمٌO ع بتأخير العقوبة عن مستحقها لَا جُنَاحَ لا تبعة المهر ومطالبته عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوْهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوْا لَهُنَّ فَرِيْضَةً أي: في طلاق الغير الممسوسة، أي: لم يسم لها مهر قبل، أو بمعنى إلا أن، أو إلى أن، أي: لا جناح في عدم التسمية إلا أن تسموا، فبعد التسمية يجب مطالبته؛ ما سمي في الممسوسة، ونصف المسمى في غير الممسوسة، كما سيجيئ، وفي قوله: لَا جُنَاحَ إزاحة توهم وزر الطلاق، وبدعية في هذه الصور، [ص58] لأنه عليه السلام كان يكثر نهي الطلاق، فيظن به الحرج وَمَتِّعُوْهُنَّ عطف على محذوف، أي: فطلقوهن، والمتعة: درع وملحفة وخمار على حسب الحال عَلَى الْمُوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ الضيق الرزق قَدَرُهُ أي: لا نظر إلى قدر الزوجة مَتَاعًا بِالْمَعْرُوْفِ تمتيعا شرعيا حَقًّا مصدر مؤكد عَلَى الْمُحْسِنِيْنَO المشرفين على الإحسان وَإِنْ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوْهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيْضَةً مهرا فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ واجب لهن إِلَّا أَنْ يَّعْفُوْنَ أي: المطلقات، فلا يأخذن شيئا أَوْ يَعْفُوَ الَّذِيْ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وحله، أي: الزوج، فيسوق المهر إليها كملا، وقيل: الولي، إذا كانت محجورة لصغرها وَأَنْ تَعْفُوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى خطاب للأزواج والزوجات على التغليب، أي: عفو الزوج: إعطاء كل المهر خير له، وعفو المرأة: إسقاط كل المهر خير لها وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ أي: أن يتفضل كل على صاحبه إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيكم على تفضلكم حَافِظُوْا بالوقت عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى بينها، أو الفضلى منها، قيل: صلاة الظهر، قيل: المغرب، وقيل: العشاء، وقيل: الفجر. والجمهور وأبو حنيفة رحمه الله تعالى على (أنها صلاة العصر)[1]، لأنها في وقت شغل الناس بتجاراتهم، ومن هذه الآية استخرجت الصلوات الخمس برعاية العطف والجمع وَقُوْمُوْا لِلّٰهِ في الصلوات قَانِتِيْنَO ذاكرين، أو خاشعين فَإِنْ خِفْتُمْ من عدو أو سبيل أو سبع فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فصلوا كيف أمكن؛ مشاة أو

---

1 - البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، الشافعي، (ت: 510هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: (ط-1، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ). 323/1.

ركبانا على الرواحل، مستقبلا أو لا. جمع راحل، وراكب فَإِذَا أَمِنْتُمْ من الخوف فَاذْكُرُوا فصلوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مثل تعليمكم [ص59] مَّا لَمْ تَكُوْنُوْا تَعْلَمُوْنَO من غير تعليمه، مفعول علّمكم وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَزَرُوْنَ أَزْوَاجًا فليوصوا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ يعطوهن مَتَاعًا من النفقة والكسوة إِلَى تمام الْحَوْلِ حال كونهن غَيْرَ إِخْرَاجٍ غير مخرجات من مساكنهن، وكان ذالك أول الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَّعَشْرًا﴾[1]، وسقطت النفقة بتوريث الربع أو الثمن، والسكني عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى خلافا للشافعي رحمه الله تعالى فَإِنْ خَرَجْنَ بأنفسهن من غير إخراج فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ يا أولياء الميت! فِيْمَا فَعَلْنَ فِيْ أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوْفٍ من التزيين، والتعرض للخطاب بالوجه الشرعي وَاللهُ عَزِيْزٌ منتقم عمن {يخالف}[2] أحكامه حَكِيْمٌO في مصالح العباد وَلِلْمُطَلَّقَاتِ جميعا مَتَاعٌ نفقة العدة بِالْمَعْرُوْفِ بقدر طاقة الرجل حَقًّا مصدر للتأكيد عَلَى الْمُتَّقِيْنَO كَذَالِكَ كما بيّن لكم ما ذكر من أحكام الطلاق والعدة يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَOع تدبّرون أَلَمْ تَرَ استفهام تعجيب وتشويق في الجهاد إِلَى الَّذِيْنَ أهل قرية {داوردان}[3] قِبَل واسط[4]، وقع فيهم الطاعون خَرَجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوْفٌ كثيرة: أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون، وقيل بمعنى متألفون، جمع آلِفٍ، كقاعد وقعود حَذَرَ الْمَوْتِ مفعول له فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوْتُوْا ميتة رجل، أي: مرة واحدة من غير علة ثُمَّ أَحْيَاهُمْ بعد ثمانية أيام، بدعاء حزقيل بينهم، فعاشوا دهرا، عليهم أثر الموت، لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن، وانجرت إلى أسباطهم إِنَّ اللهَ لَذُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث أحياهم، وقص [ص60] عليكم أحوالهم، ليعتبر كل من السابق واللاحق إلى أن الفرار من مشاهدة الحروب لا ينفع في الحياة وَلٰكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَO الله، وشكر المواعظ الاتعاظ وَقَاتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لإعلاء كلمته وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ سَمِيْعٌ لأقوالكم عَلِيْمٌO بأحوالكم مَنْ ذَا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة البقرة، الآية: 234.

2 – في ج "يخالط".

3 – في أ: هاوردان، وفي ج: باوردان، والتصويب من ب.

4 – واسط: مدينة واسط وهي حسنة الأقطار، كثيرة البساتين والأشجار، بها أعلام يهدي الخير شاهدهم وتهدى الاعتبار مشاهدهم، وأهلها من خيار أهل العراق، بل هم خير على البصرة بين الشناشيل والنخيل الإطلاق، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليهم ياتي أهل بلاد العراق برسم تعلّم ذالك. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله، (ت: 779هـ). رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ). 7/2، 8.

الَّذِيْ يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا بإنفاق ماله الحلال في سبيله بطيب القلب فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيْرَةً من عشرة إلى سبع مائة، أو أكثر وَاللهُ يَقْبِضُ الرزق وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ الجماعة مِنْ بَنِيْ إِسْرائِيْلَ مِنْ بَعْدِ موت مُوْسَى إِذْ قَالُوْا لِنَبِيٍّ لَّهُمْ يوشع،أو شمعون، أو إشموئيل، ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ معه فِيْ سَبِيْلِ اللهِ قَالَ النبي لهم هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوْا هل قاربتم عدم القتال، أي: أتوقع جبنكم، فأدخل هل تقريرا بالاستفهام، ما هو المتوقع قَالُوْا إن كتب علينا القتال؛ نقاتل وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا وذالك أن جالوت،[1] ومن معه من العمالقة،[2] سكنوا ساحل بحر الروم، بين مصر[3]، وفلسطين[4]، وظهروا على بني إسرائيل، وأخرجوا عن ديارهم، وسبوا أولادهم، وأربع مائة وأربعين من أولاد ملوكهم فَلَمَّا كُتِبَ فرض عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا أعرضوا عنه إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ وهم عابروا النهر مع طالوت،[5] كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر – عدد أهل بدر، – وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَO بتاركي

---

1 – جالوت: وجالوت من جبابرة الكنعانيين وكان ملكه بجهات فلسطين كان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم. ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين، (ت: 749هـ). تاريخ ابن الوردي: (ط–1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1417هـ/ 1996م). 32/1.

2 – العمالقة: وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام، ولما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن، ثم تحولوا إلى الحرم، وأهلكوا من قاتلهم من الأمم، وكان من العمالقة جماعة بالشام، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام، ثم يوشع، بعده فأفناهم، وكان منهم فراعنة مصر، وكان منهم من ملك يثرب وخيبر وتلك النواحي. أبو الفداء: المرجع السابق. 98/1.

3 – مصر: إقليم مصر: هذا هو الإقليم الّذي افتخر به فرعون على الورى، وقام على يد يوسف بأهل الدنيا فيه آثار الأنبياء، والتيه وطور سينا، ومشاهد يوسف وعجائب موسى، واليه هاجرت مريم بعيسى، وقد كرّر الله في القرآن ذكره، وأظهر للخلق فضله، أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى، مصره قبة الإسلام ونهره اجلّ الأنهار. المقدسي: محمد بن أحمد، أبو عبد الله، البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: (ط–3، مكتبة مدبولي القاهرة، 1411هـ /1991م). 93/1.

4 – فلسطين: سميت بفلسطان بن فلان، من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وماؤها من الأمطار والسيول، وأشجارها قليلة وديارها حسنة، وهي أزكى بلاد الشام... وفتحها معاوية سنة تسع عشرة، وفتح قيسارية، وقتل فيها ثمانون ألفاً. وفلسطين عمل مشتمل على مدن كثيرة مثل ايليا وغزة ونابلس واللد وغيرها. الحِميرى: المرجع السابق. ص: 441.

5 – طالوت: طالوت ملك بني إسرائيل: واسمه بالسريانية شاول بن أمال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أسن بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل: كان اسمه شارك، وإنما سمي طالوت لطوله. وهو الذي ذكر الله قصته في القرآن ومحاربته لجالوت. وكان داود عليه السلام زوج ابنته. ابن عساكر: المرجع السابق. 436/24.

الجهاد، روي: أن نبيهم دعا الله إرسال ملك، فأتى بعصا، يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت [ص61] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوْتَ منع عن الصرف للعجمة والعلمية مَلِكًا قَالُوْا أَنَّى كيف يَكُوْنُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا إذ هو من أسباط بنيامين وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ لأنهم من أولاد يهودا، وكان الملك في أولاده، وكان النبوة في أولاد لاوى بن يعقوب عليه السلام[1] وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ يعاضده، لأنه كان فقيرا، سقاءا، أو دباغا، أو راعيا قَالَ النبي لهم إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ اختاره للملك عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً سعة فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ كان أعلمهم، وأجملهم يومئذ وَاللهُ يُؤْتِيْ مُلْكَهُ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ فضله عَلِيْمٌO بمن هو أهله. وَلما طلبوا منه آية ملكه قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوْتُ الصندوق، فعلوت، من التوب، بمعنى الرجوع، يعني إليه يرجع ويعود، ما يخرج منه. قيل: كان فيه صور الأنبياء كلهم، أنزلت على آدم، يقدمونه في القتال، ويستفتحون به على عدوهم فِيْهِ أي: في إتيانه سَكِيْنَةٌ طمانية لقلوبكم مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوْسَى وَآلُ هَارُوْنَ أي: نفسهما، ولفظ آل في الموضعين معجم تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ كان فيه نعلا موسى عليه السلام وعصاه وثيابه، وعمامة هارون[2]، وقفيز من المن، ورضاض الألواح، فرفعه الله بعد موسى عليه السلام، فنزلت به الملائكة، وهم ينظرون، حتّى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه إِنَّ فِيْ ذَالِكَ تتمة كلام النبي، أو ابتداء خطاب لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَOع فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوْتُ بِالْجُنُوْدِ خرج من بيت المقدس، وكان حرا شديدا، وطلبوا منه أن يجري الله النهر، وكانوا هم يومئذ سبعين ألفا، أو ثمانين قَالَ بالوحي؛ إن كان نبيا، أو بأخبار [ص62] النبي؛ إن لم يكن إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيْكُمْ مختبركم بِنَهَرٍ بإجراء نهر بين الأردن وفلسطين فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ كرعا فَلَيْسَ مِنِّيْ من أتباعي وأشياعي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيْ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوْا بالإفراط بالكرع مِنْهُ إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ هم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا – عدد أهل بدر – فَلَمَّا جَاوَزَه أي: النهر هُوَ طالوت وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا

---

1 – لاوى بن يعقوب عليه السلام: وإنما ذكر لاوي في النسب وإن كان روبيل أكبر أولاد يعقوب لأن من ذرّية لاوي ولد موسى النبي المنقذ لآل إسرائيل من عبودية المصريين والسانّ لهم سننا إلهية. ابن العبري: يوحنا ابن أهرون بن توما، أبو الفرج، الملطي، (ت: 685هـ). تاريخ مختصر الدول: (ط–3، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، 1992 م). 16/1.

2 – هارون عليه السلام: إن الله تعالى وصفه بفصاحة اللسان فقال: هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً [القصص: 34] ، وقد علم أن لغة العرب أفصح اللغات. المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني، تقي الدين، (ت: 845هـ). إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (ط–1، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ / 1999م). 206/4.

مَعَهُ أي: المغترفين، ولم يجاوز الذين شربوا قَالُوْا أي: الشاربون لَا طَاقَةَ قوة لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوْتَ وَجُنُوْدِهِ كان جبارا من العمالقة؛ من أولاد عمليق بن عاد، وفي بيضته ثلاث مائة رطل من حديد قَالَ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ يوقنون أَنَّهُمْ مُّلَاقُوْا اللهِ بالبعث كَمْ خبرية، أي: كثيرا مِّنْ فِئَةٍ جماعة قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ اللهِ بإرادته وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَO بالعون والنصر وَلَمَّا بَرَزُوْا لِجَالُوْتَ وَجُنُوْدِهِ ظهروا لقتالهم قَالُوْا رَبَّنَا أَفْرِغْ اصبُب عَلَيْنَا صَبْرًا وَّثَبِّتْ أَقْدَامَنَا بتقوية قلوبنا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَO بإدخال الرعب في صدورهم فَهَزَمُوْهُمْ كسروهم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ بن إيشى[1] جَالُوْتَ وكان صبيا، يرعى الغنم، مر في طريق بثلاث أحجار دعته؛ أن يحملها بقتل جالوت، فقتل بها وَآتَاهُ أي: داؤدعليه السلاماللهُ الْمُلْكَ مشارق بيت المقدس ومغاربه وَالْحِكْمَةَ النبوة وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ كصنيعة الدروع، ومنطق الطير والدواب وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ حرثا ونسلا، وارتفعت العبادة والعباد [ص63] رأسا وَلٰكِنَّ اللهَ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِيْنَO تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوْهَا نقصها عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام بِالْحَقِّ بالصدق وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَO

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بمنقبة مع الاستواء في أمر الرسالة مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللهُ أي: كلّمه الله، وهو موسى ومحمّد صلى الله عليه وسلم على الطور وعلى العرش ليلة المعراج، وأما كليم الله فلقّب موسى عليه السلام، بمعنى المكالمة، أي: أنه تعالى كلّمه وهو يسمع، وكلّم موسى عليه السلام مع الله تعالى وهو سميع وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وهو محمّد صلى الله عليه وسلم لبعثته إلى كافة الناس، وتفضّل أمته على جميع الأمم وَآتَيْنَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ إبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين، وإحياء الموتى وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ قويناه بجبرائيل عليه السلام، يسير معه حيث سار وَلَوْ شَاءَ اللهُ هدى الجميع مَا اقْتَتَلَ الَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ أي: الأمم بعد الرسل المعجزات الباهرات الظاهرات وَلٰكِنِ اخْتَلَفُوْا بمشيته تعالى فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ يثبت عليه وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ كالنصارى بعد المسيح وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوْا وَلٰكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُOع هداية قوم، أو إضلال قوم يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خُلَّةٌ وَّلَا شَفَاعَةٌ هو يوم القيامة، لا يراعي

---

1 – بن إيشي: هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس. قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 12/2.

فيه أحد أحدا بالفداء والتسامح بالمال وكلمة الخير وَالْكَافِرُوْنَ بالله وشرائعه هُمُ الظَّالِمُوْنَO لوضعهم الأشياء في غير محلها اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لا معبود بحق في الوجود إلا هو الْحَيُّ الدائم البقاء الْقَيُّوْمُ القائم بتدبير الخلق، بالمبالغة لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ نعاس، يتقدم النوم في الفتور وَلَا نَوْمٌ هي حالة للحيوان بسبب استرخاء أعصاب الدماغ من [ص64] رطوبات الأبخرة المتصاعدة لَهُ مِلكا ومُلكا وخلقا وعبيدا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا أي: لا أحد لأحد الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ من الدنيا وَمَا خَلْفَهُمْ من العقبى وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ معلوماته إِلَّا بِمَا شَاءَ أن يعلمهم وَسِعَ كُرْسِيُّهُ أي: علمه، ومنه يقال للعلماء الكراسي، وبمعنى ملكه، أو عرشه، أو سرير دون العرش، في الحديث: ((السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي الْفَلَاةِ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ))[1]، ولعله الفلك البروج السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ ولا يثقل، ولا يشق عليه حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ عما لا يليق الْعَظِيْمُO المتصف بما يليق لَا إِكْرَاهَ لا إجبار ولا إلزام، أي: لا إلجاء فِيْ الدِّيْنِ نزل في أنصاري، كان يكره الأولاد على الإسلام قَدْ تَّبَيَّنَ تميز الرُّشْدُ الهداية مِنَ الْغَيِّ الضلالة بالدلائل الواضحة فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ بالأصنام، مبالغة الطغيان وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ اعتصم بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى بالمعقد المحكم لا يحله، شبهة تأنيث الأوثق لَا انْفِصَامَ لَهَا لا انقطاع لتلك العروة، أي: العقيدة الراسخة وَاللهُ سَمِيْعٌ لإقراره عَلِيْمٌO بتصديقه اللهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا ناصرهم يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ من أنواع الكفر إِلَى النُّوْرِ الإيمان وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوْتُ يُخْرِجُوْنَهُمْ مِّنَ النُّوْرِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOع أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْ نمرود[2] حَاجَّ خاصم إِبْرَاهِيْمَ فِيْ تحقيق رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ أي: لأن أعطاه الملك، فأبطره الإيتاء، فقام على المحاجة إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ في جوابه حيث سأل: من ربك الذي تدعونا إليه؟ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِيْ [ص65] وَيُمِيْتُ قَالَ نمرود أَنَا أُحْيِيْ بالعفو وَأُمِيْتُ بالقتل قَالَ إِبْرَاهِيْمُ منتقلا إلى أوضح، لأن العين

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، وتمامه: ((مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ)). أبو الشيخ الأصبهاني: عبد الله بن محمد بن جعفر، أبو محمد، الأنصاري، (ت: 369هـ). العظمة: (ط–1، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، 1408هـ). 569/2، 648.

2 – نمرود: هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ويقال نمرود بن فالخ بن عبار بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، عماد الدين، أبو الفداء، (ت:774هـ). تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم: (ط–1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ). 525/1.

لم يدرك معنى خلق الحياة والموت، فالتبس عليه وخفي ودق، وإن كان واضحا عند المحققين فلجهله وعدم تدبره، معناهما انتقل إلى أوضح الدلائل حتّى يفهمه فَإِنَّ اللهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ تحيّر ودهش الَّذِيْ كَفَرَ أي: نمرود، قالوا: لم يقل، فليأت ربك بالشمس من المغرب، لأن الله تعالى صرفه عنه وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO أَوْ رأيت كَالَّذِيْ مثل الذي، أو الكاف زائدة مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ عزير عليه السلام، أو خضر عليه السلام، أو المنكر للبعث مر على بيت المقدس، حين خربه بخت نصر[1] وَهِيَ القرية خَاوِيَةٌ ساقطة عَلَى عُرُوْشِهَا سقوفها قَالَ المار تعجبا أَنَّى كيف يُحْيِي أهل هَذِهِ القرية اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا بعد موت أهلها؟ فَأَمَاتَهُ اللهُ وقت الضحى، وألبثه مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قبل غيبوبة الشمس قَالَ الله، أو ملك، أو نبي كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا قبل النظر إلى الشمس أَوْ بَعَضَ يَوْمٍ بعد النظر إليها قَالَ بَلْ لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ التين، أو العنب وَشَرَابِكَ العصير، أو اللبن لَمْ يَتَسَنَّهْ لم يتغير مع طول {الزمان}[2] من سانهت أو سانيت، فالهاء للسكت وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ كيف تفرقت عظامه؟ وَعطف على لتغير المحذوف لِنَجْعَلَكَ آيَةً على البعث لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ حمارك كَيْفَ نُنْشِزُهَا نحرّكها، ونرفع بعضها على بعض للتركيب ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُذالك البعث بالمشاهدة قَالَ أَعْلَمُ علم المشاهدة أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَاذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّ أَرِنِيْ كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ تعالى: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ بقدرتي على الإحياء، [ص66] وقد علمإيمانه ليجيب بما أجاب، فيعلم السامعون عرضه قَالَ بَلَى آمنت وَلٰكِنْ سألت لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِيْ ليسكن القلب بمضامة العيان بالاستدلال قَالَ تعالى فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ طاؤسا وديكا وغرابا وحمامة فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ املهن واضممهن، لئلا يلتبس بعد الإحياء ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىكُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءً اجزرهن وفرق أجزاءهن على الجبل، التي يحصرنكثُمَّ ادْعُهُنَّ إليك يَأْتِيْنَكَ سَعْيًا ساعيات وَاعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌOع مَثَلُ أي: صفة نفقة الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أو صفتهم كصفة باررزدخن وذرّة مثلا أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِيْ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ كذالك نفقاتهم وَاللهُ يُضَاعِفُ إلى سبع مائة، أو يزيد لِمَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ في الجود والكرم عَلِيْمٌO بضمائر المنفقين الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُوْنَ مَا أَنْفَقُوْا مَنًّا على المنفق عليه، بأن يعتد عليه بإحسانه وَلَا أَذًى هو أن يكبر عليه بسبب العطاء لَهُمْ أَجْرُهُمْ ثواب الإنفاق عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من العذاب وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO من فوت الثواب قَوْلٌ مَّعْرُوْفٌ رد جميل وَّمَغْفِرَةٌ عفو عن

---

1 – بخت نصر: هو بختنصّر بن نبوفلسّر ملك قبل إحراقه هيكل الرب واخرابه أورشليم تسع عشرة سنة وبعده أربعا وعشرين سنة. واسمه بالسريانية نبوخذنصر، أعني: عطارد ينطق. ابن العبري: المرجع السابق. ص:43.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

خشونة السائل خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَّتْبَعُهَا أَذًى تغيره بالسؤال، والتكبر عليه، وعد الإحسان وَاللهُ غَنِيٌّ عن منفق مانٍّ حَلِيْمٌO عن عجلة العقوبة على المانّ والموذي يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُبْطِلُوْا أجور صدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِيْ كإبطال نفقة عن المنافق، الذي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ لا لوجه الله وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ فصفته كَمَثَلِ كصفة صَفْوَانٍ حجر أملس عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ مطر شديد فَتَرَكَهُ صَلْدًا [ص67] أجرد، ليس عليه شيء من التراب لَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوْا لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَO بنعم الله وَمَثَلُ نفقة الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ طلبا لمرضاته وَتَثْبِيْتًا على الإيمان ناشيا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ فإن الزكاة كانت أشق على المنافقين لإنكارهم الثواب كَمَثَلِ جَنَّةٍ بستان بِرَبْوَةٍ مكان مرتفع، فإن شجرها أزكى، وثمرها أحسن أَصَابَهَا وَابِلٌ مطر؛ عظيم القطر فَاتَتْ أعطت أُكُلَهَا ثمرها ضِعْفَيْنِ بنسبة {أثمار}[1] غيرها فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ مطر خفيف وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فاحذروا عن الرياء، واقصدوا الإخلاص أَيَوَدُّ أ يحب أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ جَنَّةٌ بستان مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّأَعْنَابٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيْهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ثمر ذكر النخيل والأعناب لكثرة منافعهما وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ فقعد عن الكسب وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ لا يقدرون على الكسب فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ريح عاصفة مستديرة، كعمود تنعكس من الأرض إلى السماء فِيْهِ نَارٌ يقالها: السموم فَاحْتَرَقَتْ الجنة، فعجزوا كل العجز، تمثيل لمن يحسن، ويضم به محيطا كرياء وإيذاء في الأسف يوم الاحتياج، لمن هذا شأنه كَذَالِكَ مثل بيان المنفق المرائي الموذي، الذي يحرق نفقاته يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ للأعمال بالإخلاص لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُوْنَOع فتعبرون يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْفِقُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ حلاله وجياده وَأنفقوا مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ من طيبات، ما أخرجنا لكم من الثمرات والحبوب والمعادن وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيْثَ ولا تقصدوا الردي مِنْهُ مما كسبتم حال كونكم تُنْفِقُوْنَ إياه] ص68] في سبيل الله وَلَسْتُمْ بِآخِذِيْهِ لو أعطيتم في حقوقكم ذالك الخبيث إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوْا فِيْهِ بالتساهل وغض البصر، كانوا يتصدقون بحشف التمر وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن نفقاتكم حَمِيْدٌO محمود في كل فعاله الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ بالإنفاق، والوعد يستعمل في الخير والشر وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ يمنع الصدقة، والفاحش عند العرب: البخيل وَاللهُ يَعِدُكُمْ على الإنفاق مَغْفِرَةً الذنوب في الآخرة مِنْهُ من عنده وَفَضْلاً رزقا خلفا مما أنفق وَاللهُ وَاسِعٌ فضله عَلِيْمٌO بمن أنفق بشرائطه يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَّشَاءُ المراد منها: علم يورث العمل الصالح وَمَنْ يُّؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيْرًا أي: السعادة الأبدية وَمَا يَذَّكَّرُ يتعظ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِO ذوي العقول وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ زكاة أو صدقة أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ بشرط أو بلا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

شرط، في طاعة أو معصية فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ إنه في سبيله، أو في سبيل الشيطان، أو بعلم إيفائهم، أو عدم إيفائهم وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ الواضعين للصدقات في غير محلها، أو المانعين مِنْ أَنْصَارٍO يدفع عنهم العذاب يوم القيامة إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ نوافلها فَنِعِمَّا هِيَ نعم شيئا أبداءها، وأما الفرائض؛ فالأفضل فيها الإظهار وَإِنْ تُخْفُوْهَا تسروها وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ من الإبداء لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ بعض سَيِّآتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO بالباطن كالظاهر لَيْسَ عَلَيْكَ لا يجب عليك؛ خلق هُدَاهُمْ فيهم، إنما عليك البلاغ بالأمور الحسنة، والنهي عن السيئة، كالمن والأذى وإنفاق الخبيث وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ هدايته وَمَا تُنْفِقُوْا [ص69] مِنْ خَيْرٍ مال فَلِأَنْفُسِكُمْ لرجوع الثواب إليها وَمَا تُنْفِقُوْنَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ طلب رضاه، لا لأغراض الدنيا وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ خَيْرٍ مال يُّوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاءه وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُوْنَO بنقصان الأجر، اعمدوا، {أي: اقصدوا}[1] أو الصدقات لِلْفُقَرَاءِ الَّذِيْنَ نزل في أهل الصُفَّة؛ وهم كانوا نحو من أربع مائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتعلمون القرآن بالليل، ويدقّون النوى بالنهار، ويخرجون من السرايا للجهاد أُحْصِرُوْا حبسوا أنفسهم فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في الجهاد لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ ضَرْبًا سفرا فِي الْأَرْضِ لكسب المعاش يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بحالهم أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ من ترك السؤال عن الناس تَعْرِفُهُمْ أيها المتعرف! بِسِيْمَاهُمْ بعلامتهم، وهو التواضع والضعف وصفرة الوجه ورثاثة الحال لَا يَسْئَلُوْنَ النَّاسَ إِلْحَافًا {إلحاحا}[2] هو لزوم المسؤل حتّى يعطي، أي: لا يسألون أصلا، وإن يسألوا أحيانا؛ فلا إلحاف وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ خَيْرٍ مال فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيْمٌOع الربع لا يخفى منه خافية، فلا يضيع الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَّعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ يوم القيامة وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO فيها، نزل في الصديق رضي الله تعالى عنه، تصدق بعشرة آلاف دينار بالليل، وبعشرة في النهار، وبعشرة في السر، وبعشرة في العلن. وقيل في المرتضى كرم الله وجهه، لم يملك إلا أربعة، تصدق كل واحد منها في الأربعة الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا فضل مال بلا عوض، كتب بالواو كالصلاة، وكتب الألف بعد ها تشبيها لواو الجمع لَا يَقُوْمُوْنَ إذا بعثوا من قبورهم، وفي المحشر إِلَّا قياما كَمَا يَقُوْمُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ متعلق بلا يقومون، أو يقوم، أي: مثل قيام من يصرعه [ص70] الشيطان، فيخبطه في المقابلة الدنياوية من الجنون ذَالِكَ العقاب بِأَنَّهُمْ قَالُوْا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا الظاهر إنما الربا مثل البيع، لكن عكس مبالغة في حل الربا، كأنه أصل في الحل وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ بلغه مَوْعِظَةٌ وزجر مِّنْ رَّبِّهِ في الانتهاء عن أكل الربا فَانْتَهَى فامتنع فَلَهُ مَا سَلَفَ فلا يستردّ منه وَأَمْرُهُ في

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

العفو والعقاب إِلَى اللهِ لا إليكم وَمَنْ عَادَ إلى تحليل الربا بتشبيه البيع فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO لأن تحليل الحرام كتحريم الحلال كفر، والكافر مخلد في النار يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا يذهب ببركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه وَيُرْبِي ينمي الصَّدَقَاتِ يزيدها، ويضاعف ثوابها وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ بتحليل الربا أَثِيْمٍO متماد في الإثم بأكله إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO يوم الفزع الأكبر. كان لثقيف بقايا من الربا على القريش فطالبوهم، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوْا اتركوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا على الناس إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا ما أمرتم به فَأْذَنُوْا فاعلموا بِحَرْبٍ مِّن عند اللهِ وَرَسُوْلِهِ قالت ثقيف: لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وَإِنْ تُبْتُمْ رجعتم عن الإرتباء فَلَكُمْ رُءُوْسُ أَمْوَالِكُمْ أصولها لَاتَظْلِمُوْنَ المديونين بطلب الزيادة عنهم وَلَاتُظْلَمُوْنَO بالنقصان منها، والمطل وَإِنْ كَانَ وقع مديون ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ أي: له عليكم تأخيره إِلَى مَيْسَرَةٍ وقت يسره وَأَنْ تَصَدَّقُوْا على المعسر بالإبراء خَيْرٌ لَّكُمْ لأنه يزيد في الآخرة أضعافا مضاعفة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO [ص71] إنه خير فافعلوه وَاتَّقُوْا يَوْمًا أي: يوم القيامة تُرْجَعُوْنَ تردون فِيْهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ جزاء مَّا كَسَبَتْ من خير، أو شر وَهُمْ لَايُظْلَمُوْنَOع بنقص حسنة، وزيادة سيئة، عن ابن عباس رضي الله عنه[1]: إنها آخر آية نزل بها جبرائيل عليه السلام، وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما، أو أحدا وثمانين يوما، أو سبعة أيام، أو ثلاث ساعات يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا تَدَايَنْتُمْ تعاملتم بِدَيْنٍ بنسيّة إعطاءا وأخذا، أي: السلم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى معلوم بينهما فَاكْتُبُوْهُ الأحسن أن يكتبوه لرفع النزاع والإنكار وَلْيَكْتُبْ بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ لا يزيد، ولا ينقص من المال والآجال وَلَا يَأْبَ يمتنع كَاتِبٌ إذا دعي للكتابة أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ تسطير الوثائق فَلْيَكْتُبْ تأكيد، أي: فلا يبخل بها وَلْيُمْلِلِ الَّذِيْ عَلَيْهِ الْحَقُّ ولا يكون المملي إلا من وجب عليه الحق، لا من له الدين، والإملال والإملاء بمعنى وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ أي: الذي عليه الدين يتق ربه، فلا يمتنع عن الإملاء، فإنه حجود تمام الحق وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا أي: لا ينقص من الدين شيئا، فإنه

---

1 – ابن عباس رضي الله عنه: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس الهاشمى، الصحابى ابن الصحابى المكى، ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم، كنى بابنه العباس، وهو أكبر أولاده، وأمه لبابة بنت الحارث الهلالية، سأذكرها فى ترجمتها إن شاء الله تعالى، وكان يقال لابن عباس: حبر الأمة، والبحر؛ لكثرة علمه، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة، وحنكه بريقه حين ولد وهم فى الشعب. وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. النووي: يحي بن شرف، أبو زكريا، محيي الدين، (ت: 676هـ). تهذيب الأسماء واللغات: (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر). 274/1.

جحود لبعض الدين فَإِنْ كَانَ الَّذِيْ عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيْهًا مجنونا أو محجورا لتبزيره وجهله في التصرف أَوْ ضَعِيْفًا في إملائه للصغر أو الكبر أَوْ لَا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ لجهله بالكتابة، أو غير ذالك فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ من يتولى بأمره من قريب، أو وصى، أو قيّم، أو مترجم بِالْعَدْلِ بالحق وَاسْتَشْهِدُوْا شَهِيْدَيْنِ على الدين مِنْ رِّجَالِكُمْ مع الإيمان والبلوغ والحرية فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ لعدالتهم، وتعدد النساء لأجل [ص72] أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِرَ من النسيان إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وشهادة هؤلاء في غير الحدود والقصاص وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا زائدة دُعُوْا للتحمل، أو الأداء وَلَا تَسْئَمُوْا لا تملوا بكثرة الوقوع أَنْ تَكْتُبُوهُ أي: الدين صَغِيْرًا كان الدين أَوْ كَبِيْرًا إِلَى أَجَلِهِ أي: الوقت الذي اتفق عليه الغريمان على تسميته ذَالِكُمْ أي: الكتب أَقْسَطُ أعدل عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ أعون على إقامة الشهادة للتذكر وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوْا أقرب إلى عدم الارتياب إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ التجارة تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيْرُوْنَهَا بَيْنَكُمْ إدارة البين تعاطيها يدا بيد من غير تساء فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوْهَا إذا كانت متجرة، لا نسيا وَأَشْهِدُوْا عليها ندبا إِذَا تَبَايَعْتُمْ في التجارة الحاضرة وَلَا يُضَارَّ مبني للفاعل والمفعول كَاتِبٌ وَّلَا شَهِيْدٌ نهى الكاتب عن ترك الإجابة إلى ما يطلبها إليه، أو النهي عن الضرار بهما، بأن يعجلا عن مهم، أو لا تعطي الجعل للكاتب، ويحمل الشهيد مؤنة مجيئة من بلد وَإِنْ تَفْعَلُوْا المنهى عنه فَإِنَّهُ فُسُوْقٌ إثم {لاحق}[1] بِكُمْ وَاتَّقُوْا اللهَ في مخالفة أمره وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ شرائع دينه وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO وَإِنْ كُنْتُمْ أيها المتداينون! عَلَى سَفَرٍ وَّلَمْ تَجِدُوْا كَاتِبًا فَرِهَانٌ جمع رهن مَّقْبُوْضَةٌ فهي مقام الكتب إلى أن السفر شرط تجويز الارتهان، وبالجملة القبض شرط عند الكل غير مالك رحمه الله تعالى فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ أي: بعض الدائنين بَعْضًا بعض المديونين بحسن الظن، ولم يأخذ الرهن فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أي: المديون اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ أي: دينه وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ في أدائه وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ أيها {الشهود}[2]وَمَنْ يَّكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ [ص73] قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بالكتمان والإظهار عَلِيْمٌOع لِلّهِ خلقا وملكا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوْا تظهروا مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ من عزم {الأمور}[3] السوء أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فإنه لا يخفى عليه خافية فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ غفرانه وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ تعذيبه وَاللهُعَلَىكُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO ومنه المحاسبة والغفران والتعذيب آمَنَ الرَّسُوْلُ صدق محمد صلى الله عليه وسلم بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ أي: القرآن وَصدّق الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ {واحد من

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

2 – في أ الشهداء.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

النبي ومتابعيه}[1] تنوين عوض آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ يقولون لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ بالتصديق والتكذيب، كما فعل اليهود والنصارى وَقَالُوْا سَمِعْنَا سماع قبول وَأَطَعْنَا أمرك، نسألك غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُO بالبعث لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ما تسعه قدرتها لَهَا اللام للنفع مَا كَسَبَتْ من خير وَعَلَيْهَا على للضرر مَا اكْتَسَبَتْ من شر الافتعال للإسراع، والنفس تسرع في الشر، وتتكلف للخير، قولوا: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بالعقاب إِنْ نَّسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا السؤال يدل على جواز الأخذ في النسيان والخطاء، لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَاءُ وَالنِّسْيَانُ))[2]، فهي نعمة من الله تعالى رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا التكاليف الشاقة الثقيلة، التي تحبس الحامل مكانه كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا كان على اليهود خمسون صلاة في الملوين، وقتل النفس توبتهم، وربع المال زكاتهم، وقطع موضع النجاسة تطهيرهم رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ قوة لَنَا بِهِ من البلايا والتكاليف وَاعْفُ وامح عَنَّا ذنوبنا وَاغْفِرْ لَنَا واستر عيوبنا وَارْحَمْنَا [ص74] وتعطف بنا بالفضل أَنْتَ مَوْلَانَا متولي أمورنا، وناصرنا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَOع

سورة آل عمران مدنية، وهي مائتان آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمّٓO الله أعلم بمراده اللهُ لَا إِلٰهَ في الوجود إِلَّا هُوَ هو الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ القائم على كل نفس بما كسبت ، قيل: هو اسم أعظم نَزَّلَ عَلَيْكَيا محمد! عليك الصلاة والسلام الْكِتَابَ بِالْحَقِّ متلبسا بالصدق مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أي: لما قبله من الكتب السماوية وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَO مِنْ قَبْلُ قبل تنزيل هذا القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ هاديين من الضلالة لأمة موسى وعيسى عليهما السلام وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ أي: الكتب الإلهية فرقان بين الحق والباطل، أو المراد منه هو القرآن، كرّر تمدّحا إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللهِ المنزلة على الرسل لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَاللهُ عَزِيْزٌ غالب ذُو انْتِقَامٍO والنقمة: عقوبة المجرم إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كائن فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِO أي: العالم هُوَ الَّذِيْ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ من الصور المختلفة لَا إِلٰهَ في الوجود إِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ في ملكه الْحَكِيْمُO في صنعه هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ واضحات هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ أصله المعتمد عليه في الأحكام وَأُخَرُ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – المظهري: محمد ثناء الله. التفسير المظهري: (تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412هـ). 144/1، 380/5، 90/6.

مُتَشَابِهَاتٌ لا يفهم معناه فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِيْقُلُوْبِهِمْ زَيْغٌ ميل عن الحق إلى الباطل فَيَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ من الكتاب ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ طلبا لها بالتشكيك عنادا والتلبيس وَابْتِغَاءَ تَأْوِيْلِهِ طلب تفسيره على ما يشتهونه وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ الذي يجب أن يحمل عليه إِلَّا اللهُ وحده وَالرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ الثابتون [ص75] المتمكنون فيه يَقُوْلُوْنَ آمَنَّا بِهِ بالمتشابه، إنه من عند الله، ولا نعلم معناه وَكُلٌّ من المحكم والمتشابه مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ يتعظ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِO يقولون رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا لا {تملها}[1] عن الحق إلى الباطل بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا أرشدتنا للعمل بالمحكم، والتسليم للمتشابه وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً تثبيتا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُO يا رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيْهِ في وقوعه إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَOع تثويب المؤمنين، وتعذيب الكافرين إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ لن تدفع عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّن عذاب اللهِ شَيْئًا من الإغناء وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِO حطبها. دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الرسل، وصنعهم كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كعاد وثمود كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ فجازاهم بِذُنُوْبِهِمْ وَاللهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِO قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا هم مشركوا مكة، أو اليهود، قالوا بعد بدر؛ إذا أمروا بالإسلام؛ لا تغرنك أن قتلت نفرا من قريش، لا يعرفون القتال سَتُغْلَبُوْنَ في بدر، أو بالأسر والقتل، وضرب الجزية وَتُحْشَرُوْنَ إِلَى جَهَنَّم مأخوذة من جهنام: بئر عميقة وَبِئْسَ الْمِهَادُO الفراش هي قَدْ كَانَ لَكُمْ يا مشركي قريش! آيَةٌ فِيْ فِئَتَيْنِ فرقتين الْتَقَتَا يوم بدر للقتال فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وهو النبي وأصحابه؛ وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وستة أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجّالة وَفِئة أُخْرَى كَافِرَةٌ وكانوا نحو ألف يَّرَوْنَهُمْ يرى المشركون المسلمين مِثْلَيْهِمْ مثلي عدد المشركين، أو مثلي عدد المسلمين، وكان ذالك بعد ما قللهم في أعينهم، حتّى اجترؤا عليهم [ص76] الكفار رَأْيَ الْعَيْنِ رؤية ظاهرة معاينة وَاللهُ يُؤَيِّدُ يقوي بِنَصْرِهِ مَنْ يَّشَاءُ نصره إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِO أفلا تعتبرون، فتؤمنون زُيِّنَ لِلنَّاسِ المزين هو الله حقيقة، أو الشيطان مجازا؛ على ما اختلفوا في الفاعل حُبُّ الشَّهَوَاتِ وهي توقان النفس إلى الشيء، أي: مشتهات النفس مِنَ النِّسَاءِ والإماء داخلة فيها وَالْبَنِيْنَ الذكور وَالْقَنَاطِيْرِ جمع قنطار، وهو المال الكثير، قيل: ملاء مسك الثور، أو مائة ألف دينار الْمُقَنْطَرَةِ المنضّدة المجمّعة، أو المدفونة، وقيل: مأخوذة من القناطير للتأكيد مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ المعلمة، أو المرعية وَالْأَنْعَامِ الإبل والبقر والغنم وَالْحَرْثِ الزرع ذَالِكَ المذكور مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يمتع بها في الدنيا، ويفنى عن قريب وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَابِO الجنة قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ أ أخبركم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ المذكور من المشتهات لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عن الشرك عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ مما يستقذر من

---

1 – في أ: تمهلها.

النساء؛ حيضا كان أو غيره وَرِضْوَانٌ كثير مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِO فيجازي بما يعملون الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ يا رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا صدقنا بك وبرسولك فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِO الصَّابِرِيْنَ على الطاعة، وعن المعصية وَالصَّادِقِيْنَ في الإيمان قولا وفعلا ونية وَالْقَانِتِيْنَ المطيعين وَالْمُنْفِقِيْنَ المتصدقين وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْأَسْحَارِOالنصف وخص به، لأنه أقرب الأوقات إلى الإجابة شَهِدَ اللهُ بين بالآيات أَنَّهُ لَا إِلٰهَ لا معبود بحق في الوجود إِلَّا هُوَ وَشهد بذالك الْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ من النبيين والمؤمنين قَائِمًا بِالْقِسْطِ أي: تفرد حال كونه قائما بتدبير مصنوعاته بالعدل لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ [ص77] في ملكه الْحَكِيْمُO في صنعه إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ جملة مستأنفة، أي: لا دين مرضي عنده إلا الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ اليهود والنصارى، بإثبات الإبنيّة للقدير والتثليث وترك التوحيد الذي هو الإسلام إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بالتوحيد بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا وطلبا للرياسة، لا شبهة في الإسلام وَمَنْ يَّكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ بحججه ودلائله فَإِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِO المجازات فَإِنْ حَاجُّوْكَ أي: وفد بني نجران فَقُلْ أَسْلَمْتُ أخلصت وَجْهِيَ نفسي لِلّٰهِ وحده وَمَنِ اتَّبَعَنِ عطف على تاء المتكلم وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ أُوْتُوا الكِتَابَ أي: اليهود والنصارى وَالْأُمِّيِّيْنَ أي: مشركي العرب أَأَسْلَمْتُمْ مثل ما آمنت بوضوح الحجج فَإِنْ أَسْلَمُوْا فَقَدِ اهْتَدَوْا من الضلالة وَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الإسلام فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ للرسالة، هذا قبل آية السيف وَاللهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِOع فيجازيهم بما يعملون. روي أن اليهود قتلوا أول النهار ثلاثة وأربعين نبيّا في ساعة واحدة، فقام من عبّاد بني إسرائيل مائة وسبعون، أو اثنى عشر ناهيهم عن مناكيرهم، فقتلوا جميعا {في آخر ذالك اليوم}[1]، فأخبر بحالهم إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ بحججه وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيِّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ حال مؤكدة وَّيَقْتُلُوْنَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُوْنَ بِالْقِسْطِ بالعدل مِنَ النَّاسِ سوى الأنبياء فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO ذكر البشارة تهكم، وإِنَّ لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل، فيجوز دخول الفاء في خبره للشبه بالشرط أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَO في دفع العذاب عنهم. روي أنه عليه السلام دخل مدارس اليهود فدعاهم، [ص78] فقال بعض: على أيّ دين أنت؟ قال: ملة إبراهيم، قال: إن إبراهيم كان يهوديا، قال: بيننا وبينكم التوراة، فهلموا إليها، فأبى، فنزل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ أي: أحبار اليهود يُدْعَوْنَ إِلَىكِتَابِ اللهِ التوراة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَO وقيل: رفع زنى أحد منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة، فوجد فيها الحكم، فنزل: ألم تر ذَالِكَ التولي والإعراض بِأَنَّهُمْ قَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُوْدَاتٍ أربعين يوما؛ مدة عبادة العجل، أو سبعة أيام وَغَرَّهُمْ فِيْ دِيْنِهِمْ مَّا

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

كَانُوْا يَفْتَرُوْنَO من قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه فَكَيْفَ حالهم إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ في يوم لَّا رَيْبَ فِيْهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ من أهل الكتاب وغيرهم مَّا كَسَبَتْ من خير أو شر وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بنقص حسنة، وزيادة سيئة. بعد فتح مكة وعد صلى الله عليه وسلم أمته فتح ملك فارس[1]، والروم،[2] فقال المنفقون: هيهات هيهات أين لمحمد فارس، والروم؟ هم أغروا، منع من ذالك، فنزل: قُلِ يا محمد! عليك الصلاة والسلام اللّٰهُمَّ يا الله! يا مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ تعطيه مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ بعطاء الملكمَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ بنزع الملك مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ والشر، إلا أن الكلام في الخير الذي يسوق إلى المؤمنين إِنَّكَعَلَىكُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO تُوْلِجُ اللَّيْلَ يدخلها فِي النَّهَارِ وَتُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ المؤمن مِنَ الْمَيِّتِ الكافر وَتُخْرِجُ الْمِيِّتَ الكافر مِنَ الْحَيِّ المؤمن وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍO لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ أحباء؛ [ص79] لقرابة بينهم، أو صداقة مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ غيرهم وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ أي: يواليهم فَلَيْسَ مِن ولاية اللهِ فِيْ شَيْءٍ لأن ولاية الله، وولاية الكفار متنافيان إِلَّا أَنْ تَتَّقُوْا مِنْهُمْ تُقَاةً أي: تخافوا أيها المؤمنون على أنفسكم وأموالكم خوفا، فحينئذ يجوز إظهار الموالات وإبطان المعادات وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ذاته في أمر توالي الكفار وَإِلَى اللهِ الْمَصِيْرُO فيجازيكم بما تفعلون قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنْ تُخْفُوْا مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ قلوبكم من موالاة الكفرة، أو ما لا يرضى به الله تعالى أَوْ تُبْدُوْهُ تظهروه، على كلا التقديرين يَعْلَمْهُ اللهُ وَهو يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO فالموالاة مغلوبة له تعالى، والقدرة على عقوبة من لم ينته بنهيه ثابتة يَوْمَ منصوب بتود تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَّمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ محضرا تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا بين النفس وَبَيْنَهُ وبين كرب ذالك اليوم أَمَدًا بَعِيْدًا مسافة بعيدة، لا يدركها اليوم، أو منصوب باذكر، وما عملت من سوء مبتداء، وتود خبره، وضمير بينه إلى العمل السوء وَيُحَذِّرُكُمُ اللهَ نَفْسَهُ تكرار للتوكيد وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِOع قال اليهود: نحن أحباء الله، أو المشركون: ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقربونا إليه، فنزل: قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ محبة العبد لله إطاعته بإطاعة نبيه، فيما جاء به من الأخذ والانتهاء، ومحبة الله للعبد برضوانه عنه بما جاء، فيثيب بما شاء وَاللهُ غَفُوْرٌ بذنوبهم رَحِيْمٌO في تأخير العذاب؛ لعلهم يتوبون قُلْ أَطِيْعُوْا اللهَ وَالرَّسُوْلَ

1 – فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السّيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران. الحموي: المرجع السابق. 266/4.

2 – الروم: بلاد واسعة من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً وعجائب ذكرت في مواضعها. مياهها أعذب المياه وأخفها، وهواؤها أصح الأهوية وأطيبها، وترابها أطيب الأتربة وأصحها. القزويني: المرجع السابق. ص:530.

في التوحيد وما يتبعه فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الطاعة [ص80] فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِيْنَO إِنَّ اللهَ اصْطَفَى اختار آدَمَ أبو البشر وَنُوْحًا شيخ المرسلين وَآلَ إِبْرَاهِيْمَ إسماعيل وإسحاق وأولادهما وَآلَ عِمْرَانَ موسى وهارون عليهم السلام ابني عمران بن يصهر[1]، أو عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان[2]، وبين العمرانين ألف وثمان مائة سنة عَلَى الْعَالَمِيْنَO عالمي زمانهم بالرسالة ذُرِّيَّةً بدل من آل إبراهيم وآل عمران بَعْضُهَا منشعب مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيْعٌ بقول امرأة عمران عَلِيْمٌO بنيتها، أو سميع عليم بما يصلح الاصطفاء بحسن القول والعمل إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ اسمها حنة بنت فاقوذا[3]، وإذ منصوب باذكر رَبِّ إِنِّيْ نَذَرْتُ أوجبت لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا معتقا لخدمة بيت المقدس، ومثل هذا النذر كان مشروعا عندهم فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ فخذ مني برضا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ بقولي الْعَلِيْمُO بما في قلبي، ومات عمران وهي حاملة فَلَمَّا وَضَعَتْهَا الحبلة، والنسمة جارية، وكانت ترجوا الغلام؛ لتوافق التحرير قَالَتْ رَبِّ إِنِّيْ وَضَعْتُهَا أُنْثَى والتحرير للخدمة لم يكن إلا للغلمان وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ الذي طلبت به كَالْأُنْثَى التي وهبت لها وَإِنِّيْ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ بمعنى عابدة، مقولة امرأة عمران وَإِنِّيْ أُعِيْذُهَا أجيرها بِكَ بحفظك وَذُرِّيَّتَهَا أولادها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِO المطرود، في الحديث: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلَّ صَارِخًا غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا))[4]، لم يستهلا صارخين، أو لم يمسهما الشيطان فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضي بها بالنذر مكان الذكر بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ من حيث أقامها مقام الذكر وَأَنْبَتَهَا أنشأها نَبَاتًا حَسَنًا إنشاءا حسنا، كانت تنبت في اليوم؛ كما تنبت المولود في العام وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا أم مريم أتت بها [ص81] إلى

---

1 – عمران بن يصهر: هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ولد عمران ليصهر وله ستون سنة، وكان عمره جميعه مائة وثلاثين سنة. ابن الأثير: المرجع السابق. 151/1.

2 – مريم بنت عمران بن ماثان: هي مريم بنت عمران بن ماتان بن أليعازر، منسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام، الصديقة أم عيسى عليه السلام كانت بالربوة ويقال إن قبرها بالنيرب، ولم يصح. وعن الحسن: في قوله: "إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَّمَعِيْنٍ" قال: إلى أرض مستوية ذات أنهار وأشجار، يعني به أرض دمشق. واسم أم مريم حنة. ابن منظور: المرجع السابق. 69/26.

3 – حنة بنت فاقوذا: وهى امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام. حقي: إسماعيل بن مصطفى، الحنفي، (ت: 1127هـ). روح البيان: (دار الفكر، بيروت، بدون سنة النشر). 26/2.

4 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، وتمامه: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلَّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا)). الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، (ت: 360هـ). مسند الشاميين: (ط–1، حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ / 1984م). رقم الحديث: 3018، 167/4.

أحبار بيت المقدس، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها، لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا أنا أحق بها، لأن خالتها في بيتي، قالوا: لا، حتّى نقرع، فانطلقوا، وهم سبعة وعشرون إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم، فطفى قلم زكريا، ورسبت أقلامهم، فأخذها، وبنى غرفةفي المسجد بسلَّم، لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وبالعكس قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى من أين لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ أوتيت من الجنة إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍO واسعا بلا تبعة هُنَالِكَ حيث هو قاعد عند مريم؛ رأى كرامة مريم في الرزق، أو قدرة الله تعالى في إتيان الأشياء في غير حينه، تذكر ورغب أن يكون له ولد من امرأته العاقرة مع وهن عظامه دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ في المحراب جوف الليل قَالَ رَبِّ هَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً ولدا طَيِّبَةً صالحا إِنَّكَ سَمِيْعُ مجيب الدُّعَاءِO فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ أي: جبرائيل عليه السلام وَهُوَ قَائِمٌ يُّصَلِّيْ فِي الْمِحْرَابِ المسجد إِنَّ اللهَ بأنه يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا مؤمنا بِكَلِمَةٍ بعيسى، وإنما سمي عيسى بكلمة لتكوّنه بكلمة كن، بلا أب كائنة مِنَ اللهِ وَّسَيِّدًا فائقا على القوم وَحَصُوْرًا لا يقرب النساء بمنع الشهوات وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِيْنَO لم يعمل خطيئة، ولم يهم بها قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُوْنُ لِيْ غُلَامٌ بحسب العادة وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ كان له مائة وعشرون، وقيل له تسعة وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة وَامْرَأَتِيْ عَاقِرٌ لا تلد قَالَ كَذَالِكَ اللهُ يَفْعَلُ بالعجائب مَا يَشَاءُO قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيْ آيَةً علامة، أعرف بها حمل امرأتي قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ أي: لا تقدر على تكليمهم مع بقاء القدرة على ذكر الله ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بلياليها [ص82] إِلَّارَمْزًا إشارة بيد، أو رأس، أو عين، أو حاجب، فهو استثناء منقطع، لأن الرمز ليس من باب الكلام، أو متصل، بجعل الرمز كلاما، فإنه فهم منه ما يفهم من الكلام وَاذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيْرًا في أيام الحبسة وَسَبِّحْ وصلّ بِالْعَشِيِّ من الزوال إلى الغروب وَالْإِبْكَارِOع من الفجر إلى الضحى، أي: أول النهار وآخره وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ أي: جبرائيل عليه السلام يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ أوّلا اختارك بتقبلك من أمك، وربّاك، واختصّك بالكرامة وَطَهَّرَكِ مما يستقذر من الأفعال، ومن مسيس الرجال وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَO عالمي زمانها، أوّلا يخصص إذ لم يكن لإحدٰيها ولد من غير أب يَا مَرْيَمُ اقْنُتِيْ أطيعي لِرَبِكِ وَاسْجُدِيْ وَارْكَعِيْ صلى مَعَ الرَّاكِعِيْنَO المصلين ذَالِكَ أمر زكريا ومريم مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهِ إِلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُوْنَ أَقْلَامَهُمْ بالماء ليظهر لهم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُوْنَO في كفالتها إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ جبرائيل عليه السلام يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ولد مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ لقبه، بمعنى المبارك عِيْسَى معرب إيشوع ابْنُ مَرْيَمَ نسب إلى الأم؛ لفقد الأب وَجِيْهًا ذا جاه{وقدر}[1] فِي الدُّنْيَا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

بالنبوة وَالْآخِرَةِ بالشفاعة وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَO عند الله برفعه إلى السماء وَيُكَلِّمُ النَّاسَ كلام الأنبياء فِي الْمَهْدِ أي: طفلا قبل أوان التكلم وَكَهْلًا لا تفاوت بين الحالتين في كلامه وَمِنَ الصَّالِحِيْنَO قَالَتْ رَبِّ أَنَّى كيف يَكُوْنُ لِيْ وَلَدٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ قَالَ جبرائيل عليه السلام، أو الله سبحانه وتعالى: الأمر كَذَالِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا أراد خلقه فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُO فهو قادر على الخلق مدرجا ودفعة [ص83] وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ أي: الكتابة، وكان أحسن الناس خطًّا في زمانه، وقيل: كتاب الله تعالى وَالْحِكْمَةَ بيان الحلال والحرام وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَO ذكر لفضلهما وَرَسُوْلًا إِلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ في الصبي أَنِّيْ بأني قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ علامة على صدقي مِنْ رَّبِّكُمْ أَنِّيْ أَخْلُقُ أقدر لَكُمْ مِّنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ مثل صورته فَأَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْنُ طَيْرًا يقال له: الخَفّاش بِإِذْنِ اللهِ بإرادته، قيل: لم يخلق غير الخفاش طيرا، وهو يطير والناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، وسهى ثقبة الدبر، فيخرج عذرته من فيه وَأُبْرِئُ بالدعاء؛ لا بالدواء الْأَكْمَهَ الذي ولد أعمى، بُعِث زمان الطب، فأبرأ في يوم خمسين ألفا بشرط الإيمان إعجازا وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى هم: سام بن نوح[1]، وعاذر[2] صديقه، وابن العجوز[3] بِإِذْنِ اللهِ بإرادته، كرر لنفي توهم الألوهية وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُوْنَ وَمَا تَدَّخِرُوْنَ ما تخبؤن فِي بُيُوْتِكُمْ إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَةً لَّكُمْ لنبوتي إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَجئتكم مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِيْ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ في التوراة، كشحوم الحيوانات، والسمك، ولحوم الإبل، والعمل في السبت وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ في تكذيبي وَأَطِيْعُوْنِO في أمري

---

1 – سام بن نوح: إن عيسى عليه السلام جاء إلى قبره فدعا باسم الله الأعظم فخرج من قبره، وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة، وقيل: خوفا من خروج روحه ثانيا فيحصل له ما حصل أولا من سكرات الموت، ولم يكونوا يشيبون في ذالك الزمان. البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، محيي السنة، الشافعي، (ت: 510هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: (ط–1، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ). 441/1.

2 – عاذر: عاذر كان صديقا له (عيسى عليه السلام)، فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عاذر يموت، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله تعالى، فقام عاذر، وودكه يقطر، فخرج من قبره، وبقي، وولد له. البغوي: المرجع السابق. 441/1.

3 – ابن العجوز: وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله، شمس الدين،(ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: (ط–2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ / 1964م). 95/4.

إِنَّ اللهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ إقرار بالعبودية، ونفي بالتهمة الربوبية، كما زعمت النصارى هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌO يؤدي سالكه إلى الجنة. فكذبوه ولم يؤمنوا به، وأرادوا قتله فَلَمَّا أَحَسَّ علم عِيْسَى مِنْهُم من اليهود الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِيْ ملتجأ إِلَى اللهِ هو جمع ناصر كأصحاب، أو نصير كأشراف قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ الحور: البياض الخالص، [ص84] أي: أصفياء عيسى عليه السلام، آمنوا به أولا، كانوا اثنا عشر، أو القصارون الذين يحوّرون الثياب نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ أعوان دينه آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَO لتشهد لنا به يوم القيامة رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ الإنجيل وَاتَّبَعْنَا الرَّسُوْلَ هو عيسى عليه السلام فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَO لك بوحدانيتك وَمَكَرُوْا أي: كفار بني إسرائيل، حين أرادوا قتله، وصلبه وَمَكَرَ اللهُ جازاهم بالرفع والصلب وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَOع الثلاثة أعلمهم به إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى إِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ قابضك من الأرض وَرَافِعُكَ إِلَيَّ إلى سمائي من الدنيا حيّا وَمُطَهِّرُكَ مِن سوء صحبة الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَجَاعِلُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْكَ من النصارى والمسلمين فَوْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالحجة والسيف؛ {أغلب الأوقات}[1] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فلم يسمع غلبة اليهود عليهم ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ أيها المعتقدون! والمنكرون! فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيْمَا كُنْتُمْ فِيْهِتَخْتَلِفُوْنَO في أمر الدين فَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا به فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فِي الدُّنْيَا بالقتل والسبي وَالْآخِرَةِ بالنار وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِيْنَO يغنيهم عن العذاب وَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا به وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيْهِمْ أُجُوْرَهُمْ وَاللهُ لَايُحِبُّالظَّالِمِيْنَO روي: أنه سبحانه تعالى رفعه ليلة القدر بيت المقدس، فتعلقت به أمه، وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان له ثلاث وثلاثين سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين، وينزل قرب الساعة على شريعتنا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويمكث سبع سنين، وقيل: أربعين، ويزوّج ويولد له، ثم يتوفى، ويصلي عليه، ويدفن في حجرته صلى الله عليه وسلم ذَالِكَ أي: أمر عيسى عليه السلام نَتْلُوْهُ نقصه عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مِنَ الْآيَاتِ [ص85] حال من هاء نتلوه، وعامله معنى الإشارة، أو خبر بعد خبر وَالذِّكْرِ الْحَكِيْمِO المحكم. قال وفد بني نجران: ولد لا يكون من غير أب، نزل: إِنَّ مَثَلَ عيسى عليه السلام شأنه عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ كشأنه في الخلق من غير أب، تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ بشرا فَيَكُوْنُO الْحَقُّ أمر عيسى عليه السلام مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُنْ يا سامع فيه مِنَ الْمُمْتَرِيْنَO الشاكين فَمَنْ حَاجَّكَ جادلك {من النصارى}[2] فِيْهِ في أمر عيسى مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بأمره وحاله فَقُلْ لهم يا محمد! عليك الصلاة والسلام تَعَالَوْا إيتوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

ع17 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، مطموسة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

نتضرع في الدعاء فَنَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللهِ طرده عن رحمته عَلَى الْكَاذِبِيْنَO بأن نقول: اللّٰهُمَّ العن الكاذب في شأن عيسى عليه السلام، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني نجران إلى المباهلة، فقال عاقب منهم: إنه نبي؛ من باهل بالنبي هلك، فأتوه لينصرفوا إلى بلادهم، وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضناً بالحسين، أخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، فقال أسقف منهم: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله، فلا تباهلوا، فصالحوا على ألفي حلة حمراء، وثلاثين درع من حديد كل سنة، وقال عليه السلام: والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير إِنَّ هٰذَا المذكور لَهُوَ الْقَصَصُ الخبر الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ وحده وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ في ملكه الْحَكِيْمُO في صنعه فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن التوحيد فَإِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَO٤ فيجازيهم بما يفعلون قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ أي: اليهود والنصارى [ص86] تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ مستوية بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ في التوراة والإنجيل والفرقان، هي: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَّلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللهِ كما اتخذت الأحبار والرهبان عزيرا وعيسى عليهما السلام ابني الله، وأحدثوا تحليلا وتحريما من عند أنفسهم، واقتفوا أثرهم بعضهم، وأخذوهم ربا، يتمثلون بأوامرهم كما كتمثل العبد بأمر الله تعالى فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن التوحيد فَقُوْلُوا أيها المؤمنون لهم اشْهَدُوْا يا أهل الكتاب! بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَO أي: ألزمنا عليكم الحجة، وغالبنا عليكم، فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم. قالت اليهود والنصارى: كان إبراهيم عليه السلام على ديننا، نزل: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّوْنَ تخاصمون فِيْ يهودية إِبْرَاهِيْمَ ونصرانيته وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيْلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ بزمان طويل بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفين أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO بطلان قولكم هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ ها حرف التنبيه، أنتم مبتداء، هؤلاء خبره، حاججتم جملة مبنية للجملة الأولى، يعني: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، بيان الحماقة؛ إنكم جادلتم فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ أي: أمر موسى وعيسى عليهما السلام، وزعمتم أنكم على دينهما فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ في المجهول وَاللهُ يَعْلَمُ شأن إبراهيم وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO لتأخركم عن زمانه طويلا مَا كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَهُوْدِيًّا وَّلَا نَصْرَانِيًّا وَّلٰكِنْ كَانَ حَنِيْفًا مائلا عن الباطل إلى الحق مُّسْلِمًا موحدا، لأنه كان على ملة الإسلام، وإلا لاشترك الإلزام وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيْمَ لَلَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ من أمته في زمانه وَهٰذَا النَّبِيُّ أي: محمد صلى الله عليه وسلم لموافقته في أكثر شرعه وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأقرب الناس وأخصهم به هؤلاء لا أنتم وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَO ناصرهم. [ص87] دعا اليهود حذيفة وعمارا ومعاذا رضي الله عنهم إلى اليهودية، نزل: وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ من اليهود لَوْ يُضِلُّوْنَكُمْ عن هدي محمد صلى الله عليه وسلم وَمَا يُضِلُّوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يعود وبال الإضلال إلا إليهم وَمَا

يَشْعُرُوْنَO بذالك يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ القرآن أو الكتابين، فإن في كل شهادة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَO أنه النبي المشهود عليه في التوراة والإنجيل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُوْنَ تخلطون الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ بالتحريف وَتَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ نعت محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَOع أنه النبي الموعود وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أي: اليهود لطائفة منهم آمِنُوْا أيها اليهود! بِالَّذِيْ أُنْزِلَ عَلَىالَّذِيْنَ آمَنُوْا أي: القرآن؛ المنزل على المسلمين وَجْهَ النَّهَارِ أوله وَاكْفُرُوْا بالقرآن آخِرَهُ آخر النهار لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO لعل المؤمنين يرجعون عن دينهم برجوعكم؛ لشهرتكم بالعلم وَلَا تُؤْمِنُوْا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُّؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوْتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ أي: لا تظهروا إيمانكم، بأن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم، أي: المسلمون أوتوا بالقرآن؛ مثل ما أوتيتم بالتوراة، لا تظهروا هذا المعنى إلا لليهود؛ ولا للمسلمين ليزيد هم ثباتا، ولا للمشركين ليدعوهم إلى الإسلام قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام جملة اعتراضية، أي: أمر الهداية إليه؛ من شاء أوجد فيه الهداية، أو أثبت عليها فلا تنفع ما يتمحلون في وهن أمر المسلمين، أو يحاجوكم، أي: يغالبوكم بالحجة، عطف علي أن يؤتي، بتقدير بأن، وضمير يحاجوا إلى أحد؛ باعتبار معنى الجمع، وكم خطاب لليهود، أي: لا تظهروا إيمانكم بغير أتباعكم، لا للمسلمين، ليغلبوكم عند الله يوم القيامة [ص88] بالمحاجة، لأنه يورث المسلمين قوة في الدين، ولا للمشركين، ليميلوا لقبولكم القرآن إلى الإسلام إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاءُ فمن شاء هدايته لا تمنع عن حيلتكم، وبالعكس وَاللهُ وَاسِعٌ كثير الفضل عَلِيْمٌO بالمستحق به يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيْمِO وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُّؤَدِّهِ إِلَيْكَ كعبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية ذهبا، فأداه وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ لَّايُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا بالمطالبة بالتقاضي والترافع وإقامة البينة، ككعب بن الأشرف[1]، أودعه قرشي دينارا، فجحده، فأثبته ذَالِكَ أي: ترك الأداء بِأَنَّهُمْ بسبب أن أهل الكتاب قَالُوْا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّنَ أي: الذين ليسوا من أهل الكتاب؛ وما كانوا على ديننا سَبِيْلٌ إثم وذم وعتاب، أي: أحل الله لنا في التوراة ظلم، من ليس

---

1 – كعب بن الأشرف: الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي. كانت أمه من " بني النضير " فدان باليهودية. وكان سيدا في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة. وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. الزركلي: المرجع السابق. 225/5.

من أهل الكتاب، لأجل ذالك نجحد أموالهم وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ في نسبة التحليل إليه تعالى وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO أنهم كاذبون بَلَى سبيل فيه عليهم مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ بعهد الله في أداء الأمانات وَاتَّقَى المعاصي فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَO إِنَّ الَّذِيْنَ يَشْتَرُوْنَ يستبدلون بِعَهْدِ اللهِ إليهم في أداء الأمانات، أو في الإيمان بالرسول الموعود وَأَيْمَانِهِمْ بالله كاذبا ثَمَنًا قَلِيلًا متاع الدنيا أُولٰئِكَ لَا خَلَاقَ نصيب لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ غضبا وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نظر رحمة يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ لا يثني عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO مؤلم وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيْقًا هم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف[1]، وحيي بن أخطب[2] يَلْوَوْنَ أَلْسِنَتَهُمْ [ص89] بِالْكِتَابِ يفتلونها، ويعطفونها عن الصحيح إلى المحرف، مثل آية الرجم ونعت النبي صلى الله عليه وسلم لِتَحْسَبُوْهُ أي: المحرف مِنَ الْكِتَابِ المنزل وَمَا هُوَ أي: المحرف مِنَ الْكِتَابِ المنزل وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ المحرف مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO أنهم كاذبون. قالت نصارى نجران أمرنا عيسى أن نعبده، فنزل ردا عليهم، وقيل: بعض من المسلمين طلبوا عنه عليه السلام السجود له، فنزل: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُّؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ السنة، أو فصل القضاء وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلٰكِنْ يقول كُوْنُوْا رَبَّانِيِّيْنَ علماء وفقهاء، منسوبين إلى الرب؛ بزيادة الألف والنون بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَO بسبب التعليم والدرس وَلَا يَأْمُرَكُمْ بالرفع استيناف، وبالنصب عطف على ثم يقول، {وكلمة لا تأكيد للنفي}[3] أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ الهمزة للإنكار، والفاعل هو الله، أو البشر بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَOع وَاذكر إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّينَ عهدهم ومن تبعهم لَمَا اللام للابتداء؛ مفتوحة، وما موصولة، أي: الذي آتَيْتُكُمْ إياه مِنْ كِتَابٍ وَّحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ به رَسُوْلٌ محمد عليه الصلاة والسلام مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ من الكتاب والحكمة لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ إن أدركتم ذالك الرسول، جواب القسم المستفاد من أخذ الميثاق وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ تعالى ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ قبلتم عَلَى

---

1 – مالك بن الضيف: وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... نزلت في مالك بن الضيف اليهودي حين خاصمه عمر بن الخطاب في النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه مكتوب في التوراة، فغضب مالك فقال: ما أنزل الله على أحد كتابا وكان ربانيا في اليهود فعزلته اليهود عن الربانية. مقاتل بن سليمان بن بشير: أبو الحسن الأزدي البلخى (ت: 150هـ). تفسير مقاتل بن سليمان: (ط–1، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، 1423هـ). 574/1.

2 – حيي بن أخطب: هو حييّ بن أخطب النضري: جاهلي، من الأشدّاء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. الزركلي: المرجع السابق. 292/2.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

ذَالِكُمْ إِصْرِيْ عهدي، وسمي العهد إصرا؛ لأنه مما يوصر، أي: يشد ويعقد قَالُوْا أَقْرَرْنَا قَالَ تعالى فَاشْهَدُوْا [ص90] أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِيْنَO عليكم وعليهم فَمَنْ تَوَلَّى أعرض عن الإيمان بالنبي الجائي ونصرته بَعْدَ ذَالِكَ الميثاق والتوكيد فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO الكافرون أَفَغَيْرَ دِيْنِ اللهِ يَبْغُوْنَ أي: المتولون وَلَهُ أَسْلَمَ انقاد مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا رغبة بالنظر في الأدلة وَكَرْهًا بالسيف ومعاينة العذاب، كنتق الجبل على بني إسرائيل وَإِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَO قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لهم آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْأَسْبَاطِ أولاده وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ كما فعلت اليهود والنصارى؛ بتصديق بعض، وتكذيب بعض وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَO موحدون وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دين محمد صلى الله عليه وسلم دِيْنًا فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO بالنار المؤبدة. نزل في رهط ارتدوا كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا أي: لا يهديه كَفَرُوْا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوْا أَنَّ الرَّسُوْلَ حَقٌّ وَّجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الحجج وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَO خَالِدِيْنَ فِيْهَا في اللعنة، أو النار، المدلول عليها باللعنة لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَO يمهلون إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْامِنْ بَعْدِ ذَالِكَ{الكفر}[1] وَأَصْلَحُوْا عملهم فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لهم رَحِيْمٌO بهم إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا {بعيسى عليه السلام}[2]؛ هم اليهود [ص91] بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ بموسى عليه السلام ثُمَّ ازْدَادُوْا كُفْرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ أي: إيمانهم عند البأس، لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت والغرغرة وَأُولٰئِكَ هُمُ الضَّالُّوْنَOإِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَمَاتُوْا عليه وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلْءُ الْأَرْضِ مقدار ما يملاء الأرض ذَهَبًا تمييز وَّلَوِ افْتَدَى بِهِ فكأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية؛ ولو افتدى بملاء الأرض ذهبا أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ مؤلم وَّمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَOع مانعين من العذاب.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أي: بر الله وثوابه حَتَّى تُنْفِقُوْا تصدقوا مِمَّا تُحِبُّوْنَ من الأموال وغيره، من تبعيضية، وقيل: بيانية، كيلا يكون في قلوبكم محبة غير الله وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ قليل وكثير فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيْمٌO{فيجازي عليه}[3]، قالت اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

يأكل لحوم الإبل وألبانها، وأنت تأكلها، فنزلت ردا لقولهم: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا حلالا لِّبَنِيْ إِسْرائِيْلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيْلُ أي: يعقوب عليه السلام عَلَى نَفْسِهِ وهو لحم الإبل وألبانها، كانا يعجبان له، فنذر بتركهما؛ إن حصل له الشفاء من عرق النساء، فشفى، فترك مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ فلما نزل التوراة على موسى عليه السلام؛ حرم فيه ما حرم إسرائيل على نفسه قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام فَأْتُوْا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوْهَا فإنها ناطقة بتحريم حادث إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوى التحريم قدما، فبهتوا، ولم يأتوا بالتوراة فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إنه كان حراما في ملة إبراهيم ونوح مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ ما لزمهم من الحجة فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO المكابرون قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام صَدَقَ اللهُ في الأخبار فَاتَّبِعُوْا أيها القوم! كما أتّبع أنا مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا مائلا عن كل دين إلا [ص92] الإسلام وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO ولما قالت اليهود للمسلمين: إن قبلتنا قبل قبلتكم، نزل: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ متعبدا لهم لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ بمكة مُبَارَكًا ذا بركة؛ كثير الخير وَهُدًى لِّلْعَالَمِيْنَO لأنه قبلتهم، وأما ((الْأَقْصَى وُضِعَتْ بَعْدَ الْمسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَرْبَعِيْنَ سَنَةً))، كذا في الحديث[1] فِيْهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ واضحات مَّقَامُ إِبْرَاهِيْمَ عطف بيان، للآيات؛ من تأثير قدميه إلى الكعبين في حجر صلد، وأن الطير لا يعلوه وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا عن كل ظلم، وإن حق عليه، فيعالج وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ أي: قصد زيارته مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا بالزاد، والراحلة، والأمن وَمَنْ كَفَرَ جحد فرضية الحج فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَO عن طاعتهم قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ القرآن وَاللهُ شَهِيْدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم عليه قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّوْنَ تمنعون عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه مَنْ آمَنَ بتكذيب النبي عليه السلام، وكتم نعته تَبْغُوْنَهَا تطلبون السبيل عِوَجًا

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، وتمامه: ((عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: المسْجِدُ الحَرَامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ المسْجِدُ الأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ)). البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله، (ت: 256هـ). الصحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: (ط–1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ). كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} الراجع المنيب، رقم الحديث: 3425، 162/4.

إعوجاجا وَّأَنْتُمْ شُهَدَاءُ إنها سبيل الله وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَO من الصد والمنع. اجتمع نفر من الأوس والخزرج متألفين، فأوقع شأس بن قيس[1] اليهودي بينهما بتذكار ما جرى بين القبلتين في الجاهلية، وكان ذلك اليوم الظفر للأوس نزعة؛ تشاجرت الأنصار، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واعظا، فانتبهوا، إنها كانت نزعة من الشيطان، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ تُطِيْعُوْا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوْكُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِيْنَO وَكَيْفَ استفهام تعجب تَكفُرُوْنَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ أي: القرآن [ص93] وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهُ محمد صلى الله عليه وسلم وَمَنْ يَّعْتَصِمْ يتمسك بِاللهِ بدينه فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ أصله: وقية، قلبت الواو المضمومة تاءا ، والياء ألفا، وهو القيام على الأوامر والاجتناب عن النواهي، قيل: يطيع الله فلا يعصي، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، قيل يا رسول الله! ومن يقوي على حق تقاته، فنسخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَO وَاعْتَصِمُوْا تمسكوا بِحَبْلِ اللهِ بدينه، أو قرآنه جَمِيْعًا وَّلَا تَفَرَّقُوْا كما تفرق اليهود والنصارى بعد الإسلام وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ إنعامه عَلَيْكُمْ يا معشر الأوس والخزرج! إِذْ كُنْتُمْ قبل الإسلام أَعْدَاءً فَأَلَّفَ جمع بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ بأخوّة الإسلام فَأَصْبَحْتُمْ فصرتم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا أي: طرف حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ ليس الحائل بينكم وبينها إلا الموت فَأَنْقَذَكُمْ فأخرجكم مِّنْهَا من تلك الحفرة كَذَالِكَ مثل ذلك البيان البليغ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَO بالتدبر فيها وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ أي: الإسلام وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ما وافق الكتاب وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ما خالف الكتاب وَأُولَئِكَ الآمرون والناهون هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO بالكمال وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ أي: اليهود والنصارى تَفَرَّقُوْا عن دينهم بالعداوة

---

1 – شأس بن قيس: كان شأس بن قيس شيخا قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضّغن على المسلمين، شديد الحسد لهم. محمد بن يوسف: الصالحي، الشامي، (المتوفى: 942هـ). سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: (ط–1، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ / 1993م). 398/3.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة التغابن، الآية: 16.

وَاخْتَلَفُوْا فيه {حتّى يكافروا}[1] مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌعَظِيْمٌO اذكر يَوْمَ اي: يوم القيامة تَبْيَضُّ وُجُوْهٌ [ص94] وجوه المؤمنين من النور وَتَسْوَدُّ وُجُوْهٌ وجوه الكافرين من الظلمة فَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْوَدَّتْ وُجُوْهُهُمْ يلقى في النار، وقيل لهم توبيخا: أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ يوم الميثاق فَذُوْقُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكفُرُوْنَO وَأَمَّا الَّذِيْنَ ابْيَضَّتْ وُجُوْهُهُمْ فَفِيْ رَحْمَةِ اللهِ في الجنة هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO تِلْكَ آيات الوعد والوعيد آيَاتُ اللهِ نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِيْنَO بأن يأخذهم من غير جرم وَللهِ ملكا وخلقا وعبيدا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُOع تصير، فيجازي حسب العمل كُنْتُمْ يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم في علمه تعالى، {أو في اللوح}[2] خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ أظهرت لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم لَكَانَ الإيمان خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ كعبد الله بن سلام وأصحابه وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُوْنَO الكافرون لَنْ يَّضُرُّوْكُمْ إِلَّا أَذًى من سب ووعيد، لا قتل وأسير وَإِنْ يُّقَاتِلُوْكُمْ يُوَلُّوْكُمُ الْأَدْبَارَ منهزمين ثُمَّ لَا يُنْصَرُوْنَO عليكم ضُرِبَتْ ألزمت عَلَيْهِمْ أي: على اليهود الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوْا وجدوا إِلَّا مستمسكين بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ أي: ذمة الله وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وذمة من الناس، أي: لا عزّ لهم قط؛ إلا بذمتين بالأمان على أداء الجزية وَبَاءُوْا بِغَضَبٍ رجعوا مستوجبين عليهم الغضب مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ الفقر، [ص95] جزاءا بما قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[3] وذَالِكَ أي: ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوْا يكفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَالِكَ الكفر والقتل بِمَا عَصَوْا أمر الله وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَO يتجاوزون عن حدود الله لَيْسُوْا أي: أهل الكتاب سَوَاءً مستويين مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ كعبد الله بن سلام وأصحابه قَائِمَةٌ مستقيمة، عادلة يَّتْلُوْنَ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

3 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ سورة آل عمران ، الآية: 182.

آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ جمع آني، كمعى، أي: ساعاته وَهُمْ يَسْجُدُوْنَO يصلون يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ما نطق به الكتاب والسنة بإباحته وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ما نطقا بحظره وَيُسَارِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ خشية الفوت وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِيْنَO ومنهم أمة ليسوا من الصالحين وَمَا يَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُّكفَرُوْهُ فلن يحرموا جزاءه وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَO {فيجزل ثوابهم}[1] إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ عذاب اللهِ شَيْئًا وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO مَثَلُ صفة مَا يُنْفِقُوْنَ أي: الكفار في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم والمفاخر والمكارم وكسب الثناء وذكر الجميل بين الناس فِيْ هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ كصفة مهلك رِيْحٍ أي: الحرث فِيْهَا في تلك الريح صِرٌّ برد شديد أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ بالكفر والمعاصي فَأَهْلَكَتْهُ عقوبة وَمَا ظَلَمَ هُمُ اللهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO بالكفر الموجب لضياع نفقاتهم يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا بِطَانَةً مِّنْ دُوْنِكُمْ البطانة: الصفي المطلع [ص96] على السر، أي: لا يتخذوا الكافرين والمنافقين وليجة بسبب القرابة أو الرضاع أو الجوار، تعرفوهم أسراركم وبواطن أموركم، وكوامن قلوبكم، ولو تتخذون البطانة فاتخذوا لهم المؤمنين لا غيرهم لَا يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالًا لا يقصرونكم في الخبل والفساد وَدُّوْا تمنوا مَا عَنِتُّمْ عنتكم، وشدة ضرركم قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ظهرت العداوة من كلام المنافقين والكافرين وَمَا تُخْفِيْ صُدُوْرُهُمْ أَكبَرُ العداوة، التي تخفي صدورهم أكبر؛ مما أظهروه بالكلام قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ الدالة على موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين والمنافقين إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَO فلا توالوهم هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ ها حرف التنبيه، أنتم مبتداء، أولآء خبره، يعني: أنتم أولآء الخاطؤن في موالاتهم؛ وهم يعادونكم وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ أي: مع أنكم تؤمنون بالتوراة كله، لا يحبونكم، ولا يؤمنون بكتابكم؛ لا ببعضه ولا كله، أو تؤمنون بجميع الكتب الإلٰهية؛ وهم ينكرون بعضها وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوْا آمَنَّا {نفاقا}[2]، أظهروا كلمة التوحيد باللسان وَإِذَا خَلَوْا بعضهم ببعض عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ أطراف الأصابع مِنَ الْغَيْظِ على إيتلافكم، وازدياد قولكم، وإعلاء كلمتكم قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

2 – ليس في ب و ج. العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

الصُّدُوْرِO فيجازي حسب نيّاتكم إِنْ تَمْسَسْكُمْ تصبكم حَسَنَةٌ نعمة، كالفتح والغنيمة تَسُؤْهُمْ تحزنهم وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ كهزيمة، أو جدب يَّفْرَحُوْا بِهَا فهم بأقصى الغاية في العداوة، فلا تحبوهم وَإِنْ تَصْبِرُوْا على أذاهم وَتَتَّقُوْا الله في موالاتهم لَا يَضُرُّكُمْ مجزوم، بجواب الشرط، [ص97] فينبغي الفتح، فأنضمت في اللام؛ لاتباع ضمة العين كَيْدُهُمْ مكرهم شَيْئًا إرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌOع فيفعل بهم ما هم أهله وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ اذكر يا محمد! عليك الصلاة والسلام إذا خرجت من المدينة[1] إلى أحد[2] من حجرة عائشة رضي الله عنها[3] في ألف، وهم ثلاثة آلاف تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ تنزلهم مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ موافقة بمقدمة، وميمنة، وميسرة، وقلب، وساقة، وجناحين وَاللهُ سَمِيْعٌ لأقوالكم

---

1 – المدينة: مدينة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: وهي مهاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ومكان مستقره. وفيها قبره صلّى الله عليه وسلّم، وقبور أصحابه. وسمّاها طيبة، لأن من نحوها تجد رائحة الطيب من جهتها على أميال كثيرة. وبعدها عن خط المغرب مائة وستون درجة، وذلك من الأميال سبعة آلاف وخمسمائة وستة وخمسون وبعدها عن خط الاستواء، خمس وعشرون درجة، وذلك من الاميال، ألف وستمائة وخمسون ميلا. والمدينة في مستوى الأرض، شريفة تربتها جليلة. المنجم: إسحاق بن الحسين. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: (ط–1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ). ص: 29.

2 – أحد: شمالى المدينة، وهو أقرب الجبال إليها، به وقعة أحد، وقبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن جحش فى قبر واحد، والجماعة الذين قتلوا معه بأحد مقدار سبعين شهيدا رضى الله عنهم. الهروي: علي بن أبي بكر بن علي، أبو الحسن، (ت: 611هـ). الإشارات إلى معرفة الزيارات: (ط–1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ). ص: 81.

3 – عائشة رضي الله عنها: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. وأمها أم رومان بنت عمير بن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خطب رسول الله عليه السلام إلى أبي بكر الصديق عائشة فقال أبو بكر: يا رسول الله قد كنت وعدت بها أو ذكرتها لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف لابنه جبير فدعني حتى أسلها منهم. ففعل. ثم تزوجها رسول الله عليه السلام وكانت بكرا. ابن سعد: محمد بن سعد، أبو عبد الله، البغدادي، (ت: 230هـ). الطبقات الكبرى: (ط–1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م). 46/8.

عَلِيْمٌO بنيّاتكم. انقطع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الناس، وبنو سلمة[1] من الخزرج[2]، وبنو حارثة من الأوس[3]،كانتا جناحي العسكر، قصدتا اتباع المنافق، فعصمهما الله تعالى ، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخبر بحالهما إِذْ متعلق بسميع عليم، أو بدل من إذ غدوت هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا أي: تجبنا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا محبهما، وناصرهما وَعَلَى اللهِ أمرهم فَلْيَتَوَكَلِ الْمُؤْمِنُوْنَO وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ{اسم مكان}[4] بين مكة ومدينة، سمي باسم بئره وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ قليل العدد، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر فَاتَّقُوا اللهَ في الثبات لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمة النصر إِذْ تَقُوْلُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ظرف؛ لقوله:لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ، أي: تقول يومئذ، أو بدل ثان من؛ إذ غدوت أَلَنْ يَّكفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ يعينكم رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِيْنَO على آكام بدر[5] بَلَى يكفيكم إِنْ تَصْبِرُوْا على القتال وَتَتَّقُوْا الله في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وَيَأْتُوْكُمْ أي: المشركون مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا في الحال يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ

---

1 – بنو سلمة: وهؤلاء بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة ابن تزيد بن جشم بن الخزرج، ولد سلمة: كعب، وغنم. فولد كعب بن سلمة: غنم بن كعب؛ وسواد ابن كعب؛ وخنساء بن كعب؛ وعدى بن كعب. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد، الأندلسي، القرطبي، (ت: 456هـ). جمهرة أنساب العرب: (ط–1، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ / 1983م). ص: 359.

2 – الخزرج: الخزرج بن حارثة بطن من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة العنقاء بن مازن بن الأزد. كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، الدمشقي، (ت: 1408هـ). معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: (ط–7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ / 1994م). 342/1.

3 – الأوس: هم ولد الأوس بن حارثة: مالك بن الأوس. فمن مالك تفرّقت قبائل الأوس وبطونها كلها. فولد مالك بن الأوس: عمرو بن مالك– وهم النّبيت– وعبد الأشهل، وبنو ظفر، واسم ظفر: كعب بن الخزرج– وهؤلاء: خزرج في الأوس بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج فهذه النّبيت من الأوس. وعوف بن مالك، ومنهم: بنو عمرو بن عوف، أهل قباء. ومنهم: جحجبى. ومرّة بن مالك وهم الجعادرة، ويقال لهم: أوس الله. ابن قتيبة: المرجع السابق: 110/1.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

5 – بدر: موضع بين مكة والمدينة، بها الواقعة المباركة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم،والمشركين. وحضر فيها الملائكة والجن والانس والمسلمون كلهم. وبها بئر ألقي فيها قتلى المشركين. القزويني: المرجع السابق، ص: 78.

بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِيْنَO[الربع] معلّمين على خيل بلق، وعليهم عمائهم صفرآء وبيض، مرخاة على أكتافهم [ص98] وَمَا جَعَلَهُ اللهُ أي: الإمداد إِلَّا بُشْرَى بشارة لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوْبُكُمْ بِهِ من كثرة العدد، كما كانت السكينة لبني إسرائيل طمانية وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ لا من عند الأسباب الْعَزِيْزِ الغالب على أمره الْحَكِيْمِO في صنعه لِيَقْطَعَ متعلق بنصركم، أي: ليهلكطَرَفًا طائفة مِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالقتل والأسر أَوْ يَكبِتَهُمْ يخزيهم بالهزيمة، والكبت: شدة الغيظ، والخزي فَيَنْقَلِبُوْا فيرجعوا خَائِبِيْنَO فاقدين الآمال عند الآجال لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ خبر ليس لك، واسمها شيء، ومن الأمر حال، جملة معترضة أَوْ يَتُوْبَ عطف على يكبتهم عَلَيْهِمْ أن أسلموا أَوْ يُعَذِّبَهُمْ أن أصروا على الكفر، وكلمة أو للتنويع فَإِنَّهُمْ ظَالِمُوْنَO أحقاء بالتعذيب وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ملكا وخلقا وعبيدا يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُمَنْ يَّشَاءُ من المؤمنين والكافرين وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO[ع] لمن تاب يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً لعل التخصيص بحسب الواقع، إذ كان الرجل منهم يربي إلى أجل، ثم يزيد فيه بزيادة أخرى، ويؤخر الطلب حتّى يستغرق بالشيء التضعيف مال المديون وَاتَّقُوْا اللهَ فيما نهى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO لعل وعسى في هذه المواضع للتحقيق وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ أُعِدَّتْ هيئت لِلْكَافِرِيْنَO لتعذيبهم وَأَطِيْعُوا اللهَ وَالرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO وَسَارِعُوْا بادروا إلى أعمال يفضي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا سعتها السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ كسعتهما [ص99] أُعِدَّتْ هيئت لِلْمُتَّقِيْنَOالَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ فِي السَّرَّاءِ حال اليسر وَالضَّرَّاءِ حال العسر وَالْكَاظِمِيْنَ الْغَيْظَ الكافين أنفسهم عن إمضاء الغضب مع القدرة وَالْعَافِيْنَ التاركين عَنِ النَّاسِ عقوبة الظلم وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَO وَالَّذِيْنَ إِذَا فَعَلُوْا فَاحِشَةً كبيرة، كالزنا أَوْ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ بصغيرة، كالقبلة واللمسة ذَكَرُوا اللهَ أي: وعيده فَاسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ بالتوبة والندم وَمَنْ أي: لا يَّغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا لم يديموا عَلَى مَا ذنب فَعَلُوْا غير مستغفرين عنه وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO أي: ما فعلوه معصية أُولٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا إذا دخلوها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِيْنَO هذا الأجر. ونزلت فيهزيمة أحد قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ وقائع، سنّها الله تعالى في المكذبين بالإمهال أوّلا، والأخذ ثانيا فَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَO لتعتبروا من آثار الهالكين هٰذَا القرآن بَيَانٌ

لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَّمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَO وَلَا تَهِنُوْا لا تضعفوا في الجهاد وَلَا تَحْزَنُوْا على ما أصابكم يوم أحد من الهزيمة والقتل والجرح وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ بالغلبة ببدر، فإن ما أصبتم يوم بدر أكثر مما أصابوا يوم أحد، أو في العاقبة إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO إِنْ يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ جرح منهم يوم أحد فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ الكفار يوم بدر قَرْحٌ منكم مِّثْلُهُ ولم يضعفوا عن الحرب، فأنتم أولى أن لا تضعفوا عنه وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أي: أيام النعم والنقم نُدَاوِلُهَا نصرفها بَيْنَ النَّاسِ تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ليتعظوا وَلِيَعْلَمَ [ص100] ليميز اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بالصبر والثبات وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهُدَاءَ فيكرمهم بالشهادة كشهداء بدر يوم أحد، أو شهداء يوم القيامة على الناس وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَO الكافرين، وما يسرون به فهو في حقهم استدراج وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا ليطهرهم بما أصابوا من ذنوبهم وَيَمْحَقَ الْكَافِرِيْنَO يهلكهم أَمْ بل حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ لم يعلمهم علمظهور وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَO نصب بإضمار أن، أو عطف على المجزوم، وإنما فتح لأنها أخف الحركات وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ حيث قلتم: ليت لنا يوم كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداءه مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ أي: سبب الموت، وهو الحرب فَقَدْ رَأَيْتُمُوْهُ أي: سبب الموت وهو الحرب وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَOع شهادة إخوانكم، فلم انهزمتم؟ روي: أن ابن قمئة[1] رمي بحجر، فكسر رباعيته عليه السلام، فقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه[2]؛

---

1 – ابن قمئة: اسم ابن قمئة عبد الله. ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد، جمال الدين، (ت: 213هـ). السيرة النبوية: (ط–2، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ / 1955م). 94/2.

2 – مصعب بن عمير رضي الله عنه: هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي العبدري، يكنى أبا عبد الله. كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا، فبصر به عثمان بن طلحة العبدري يصلي، فأعلم أهله وأمه، فأخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة، وعاد من الحبشة إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن، ويصلي بهم. وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وهو منجعف على وجهه يوم أحد شهيدا، وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الحسن، عز الدين، الشيباني، الجزري، (ت: 630هـ). أسد الغابة في

صاحب الراية ظنا منه أنه هو عليه السلام، فصرخ صارخ: ألا إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل، فقال المنافقون{للمؤمنين}[1]: ارجعوا إلى دينكم، فنزل: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مضت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰأَعْقَابِكُمْ أي: ارتددتم إلى الكفر وَمَنْ يَّنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا بل يضر نفسه وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَO نعمة الإسلام والثبات عليه، كأنس وأضرابه وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوْتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لقضائه وإرادته، كتب الله كِتَابًا مُّؤَجَّلًا مؤقتا، فلا تدفع الهزيمة، ولا يجلب الاقتحام {في الحرب}[2]وَمَنْ يُّرِدْ بعمله ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قسم، ولا خلاق في الآخرة وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَالْآخِرَةِ نُؤْتِهِ [ص101] مِنْهَا من ثوابها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِيْنَO جزاء الشكر وَكَأَيِّنْ أي: وكم مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِيُّوْنَ كَثِيْرٌ أي: ربانيون، هم: العلماء والصلحاء، وقيل: جموع كثيرة، والربي منسوب إلى الربة، أي: الجماعة فَمَا وَهَنُوْا جبنوا في الحرب لِمَا أَصَابَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ من الجرح والقتل وَمَا ضَعُفُوْا عن الجهاد وَمَا اسْتَكَانُوْا وما خضعوا لعدوهم، كما فعلتم حين الإرجاف؛ بقتل النبي عليه السلام حيث أردتم الاعتضاد بابن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِيْنَO على البلاء في الجهاد وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ عند قتل نبيهم إِلَّا أَنْ قَالُوْا رَبَّنَااغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا وَإِسْرَافَنَا تجاوزنا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا على الجهاد وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَO فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بالنصر والغنيمة وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ الجنة والرضوان وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ تُطِيْعُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فيما يأمرونكم به يَرُدُّوْكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ يرجعوكم إلى الكفر فَتَنْقَلِبُوْا خَاسِرِيْنَO بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ ناصركم؛ لا غيره وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِيْنَO سَنُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْاالرُّعْبَ الخوف بِمَا أَشْرَكُوْا بسبب إشراكهم بِاللهِ مَا أصناما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا حجة وَّمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِيْنَO النار. وقد ألقى في قلوبهم في أحد؛ حيث عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستيصالهم المسلمين، فرغبوا ولم

معرفة الصحابة: (ط-1، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، 1415هـ / 1994م). 175/5.

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

يرجعوا، ولما رجع المؤمنون من أحد إلى [ص102] المدينة، قال ناس منهم: من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر، فنزل: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ حقق وَعْدَهُ إياكم بالنصر إِذْ تَحُسُّوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ تذهبون بحسّهم بالقتل بإرادته تعالى حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ جبنتم بالطمع وَتَنَازَعْتُمْ اختلفتم في التجاوز؛ وعدمه من حد أقامكم صلى الله عليه وسلم فيه فِي الْأَمْرِ أي: في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام في صفح الجبل بالرمي، وشغلتم بالغنيمة وَعَصَيْتُمْ أمر نبيكم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّوْنَ من الظفر والقهر على الكفار، وجواب إذا محذوف، أي: منعكم نصره مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الدُّنْيَا الغنيمة بترك المركز وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْآخِرَةَ الفلاح بالاستقرار على المركز، حتّى قتل كعبد الله بن جبيررضي الله عنه[1] ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ كفكم عنهم، وقلب الأمر، فيغلبوكم لِيَبْتَلِيَكُمْ ليمتحنكم، فيظهر المخلص عن غيره وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ما رأيتموه من مخالفة أمر الرسول عليه السلام وَاللهُ ذُوْ فَضْلٍ{عظيم}[2] عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَO إِذْ تُصْعِدُوْنَ متعلق صرفكم، أي: تبعدون في الأرض بالمبالغة في الهرب وَلَا تَلْوُوْنَ عَلَى أَحَدٍ لا تلتفتون على أحد؛ لغاية انهزامكم، لا ينظر أحد أحدا وَّالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ كان يقول: ((إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ، مَنْ يَكُرُّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))[3] فِيْ أُخْرَاكُمْ في ساقتكم، وجماعتكم الآخر، وقيل: من ورائكم فَأَثَابَكُمْ فجازاكم الله عن الفشل غَمًّا بِغَمٍّ غما بعد غم، أي: استغرقكم بالغموم لتتمرنوا على تجرع الغموم لِكَيْلَا تَحْزَنُوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تحزنوا على مَا أَصَابَكُمْ ولا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت، أو ضرر لاحق، أو غما بالهزيمة والجرح والقتل بمقابلة غم، أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم، أمره بالخروج عن المركز؛ لكي تحزنوا على ما فاتكم من

---

1 – عبد الله بن جبير رضي الله عنه: هو عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأنصاري، شهد العقبة، ثم شهد بدرا، وقتل يوم أحد شهيدا، وكان يومئذ أميرا على الرماة. ابن عبد البر: المرجع السابق. 877/3.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

3 – لم أعثر على هذا الحديث من كتب الأحاديث بلفظه، بل أجده من التفاسير، مثلا: الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم، جار الله، (ت: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (ط–3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ). 427/1. والبيضاوي: المرجع السابق. 43/2. والشربيني: المرجع السابق. 255/1.

الغنيمة، وتحزنوا على ما أصابكم من الجرح [ص103] والقتل والهزيمة، فكلمة لا في الموضعين زائدة وَاللهُ خَبِيْرٌ عالم بِمَا تَعْمَلُوْنَOثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ غم الهزيمة، والقتل، والجرح أَمَنَةً أمنا نُّعَاسًا بدل من أمنة، حتّى يسقط السيف في المصاف من يد أحد، ثم يأخذه، ثم يسقط، ثم يأخذه يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ من المؤمنين حقا وَطَائِفَةٌ أي: المنافقون قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ حملتهم على الهمّ فلا همّ لهم إلا همّ أنفسهم؛ دون همّ الإسلام والمسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم يَظُنُّوْنَ بِاللهِ غَيْرَ الظن الْحَقِّ وهو قتل النبي صلى الله عليه وسلم، أو عدم نصره ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ بدل منه يَقُوْلُوْنَ أي: المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم هَلْ لَّنَا أي: ما لنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ وعد النصر، من زائدة شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ أي: النصر كُلَّهُ لِلهِ لقضائه، هذه جملة اعتراضية يُخْفُوْنَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ خوفا من السيف مَا لَا يُبْدُوْنَ لَكَ لا يظهرون لك يَقُوْلُوْنَ في أنفسهم لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أي: من نصره، كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم، وزعم أن الأمر كله لله، ولأوليائه مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا أو لو كان لنا من اختيار وتدبير لم نبرح من البيوت؛ حتّى نقتل في المعركة، لكن بالإكراه أخرجنا قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلاملَوْ كُنْتُمْ فِيْ بُيُوْتِكُمْ لَبَرَزَ لخرج الَّذِيْنَ كُتِبَ في اللوح المحفوظ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ مصارعهم وَفعل ما فعل لِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ من الإخلاص، والنفاق وَلِيُمَحِّصَ وليكشف، وليميز مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْ من وساوس الشيطان وَاللهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO [ص104] لا يخفى عليه خافية. وإنما الابتلاء والتمحيص ليظهر على الناس إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ عن القتال يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ جمع محمد عليه الصلاة والسلام؛ وجمع أبي سفيان[1] في

---

1 – أبي سفيان: هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وأمه غزية بنت قيس بن طريف، من ولد فهر بن مالك. وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم فحسن إسلامه. ابن الأثير: أسد الغابة: المصدر السابق. 141/6.

أحد، انهزم المسلمون ذلك اليوم إلا ثلاثة عشر رجلا، منهم: أبو بكر، وعلي، وطلحة[1]، وابن عوف[2]، وسعد بن أبي وقاص[3]، والباقون من الأنصار إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ أي: دعاهم إلى الذلة بِبَعْضِ مَا كَسَبُوْا من الذنوب، وهو مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ تجاوز عنهم إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لذنوبهم حَلِيْمٌO لا يعجل بالعقوبة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: لا تقولوا قولهم، وهم ابن أبي المنافق، وأضرابه وَقَالُوْا لِإِخْوَانِهِمْ نسبا، أو نفاقا إِذَا ضَرَبُوْا سافروا فِي الْأَرْضِ للتجارة أَوْ كَانُوْا غُزًّى جمع غاز، فماتوا، أو قتلوا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوْا وَمَا قُتِلُوْا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَالِكَ القول في آخر أمرهم حَسْرَةً فِيْقُلُوْبِهِمْ {خاصة}[4] وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيْتُ لا تأثير للقعود في الحياة؛ ولا للإقدام في الموت وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيكم حسبه وَلَئِنْ لام قسم قُتِلْتُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ مات يموت ويمات لَمَغْفِرَةٌ كائنة مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌمِّمَّا يَجْمَعُوْنَO من الدنيا، جواب قسم وَلَئِنْ لام قسم مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ في الجهاد، أوغيره لَإِلَى اللهِ لا إلى غيره تُحْشَرُوْنَO تبعثون في الآخرة، فيجازيكم فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ما زائدة، أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك وما هو إلا برحمته تعالى بتوفيق الرفق وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا سيء الخلق، جافيا [ص105] غَلِيْظَ الْقَلْبِ قاسية لَانْفَضُّوْا تفرقوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ تجاوز عنهم بحقوقك وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ بحقوق الله وَشَاوِرْهُمْ استخرج

---

1 – طلحة: هو طلحة بن عبيد اللَّه بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشيّ التيميّ، أبو محمد، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى. العسقلاني: المصدر السابق. 430/3.

2 – ابن عوف: هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشّورى الذين أخبر عمر عن رسول اللَّه عليه السلام أنه توفي وهو عنهم راض. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قديما قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا وسائر المشاهد. العسقلاني: المرجع السابق. 290/4.

3 – سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: اسم أبي وقاص، مالك بن أهيب عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، أبو عبد الله، (ت: 748هـ). سير أعلام النبلاء: (دار الحديث، القاهرة، 1427هـ / 2006م). 66/3.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

آراءهم فِي الْأَمْرِ أمر الحرب وغيره، مما ليس فيه وحي فَإِذَا عَزَمْتَ قطعت رأيا بعد الشورى فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ في إمضاء ما تقرر عليه الآراء؛ لا عليها إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَO المعتمدين على الله، والمفوضين إليه إِنْ يَّنْصُرْكُمُ اللهُ كيوم بدر فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَّخْذُلْكُمْ كيوم أحد فَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ أي: بعد خزلانه وَعَلَى اللهِ {لا على غيره}[1] فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَO قطيفة حمرآء فقدت يوم بدر، قيل: لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذها، نزل: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَّغُلَّ أن يخون في الغنائم وَمَنْ يَّغْلُلْ يَأْتِ حاملا على عنقه، وظهره بِمَا غَلَّ به يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ غالة كانت، أو غيره مَا كَسَبَتْ عملت وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بنقصان وزيادة أَفَمَنِ اتَّبَعَ بالطاعة رِضْوَانَ اللهِكالمهاجرين والأنصار كَمَنْ بَاءَ رجع بِسَخَطٍ بغضب مِّنَ اللهِ بالمعاصي، كالمنافقين والكافرين وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO الفرق بين المصير والمرجع؛ أن الأول يخالف الحالة الأولى لا الثاني هُمْ دَرَجَاتٌ أي: أصحابها عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَO فيعطي المنازل المختلفة على حسب عملهم لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ العربيين من قومه إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عربيا مثلهم، حتّى لا يلتبس كلامه عليهم يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ [ص106] ويطهرهم من الذنوب وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ القرآن وَالْحِكْمَةَ والسنة وَإِنْ مخففة كَانُوْا مِنْ قَبْلُ أي: قبل بعثته عليه الصلاة والسلام لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍOالنصف بيّن أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةٌ يوم أحد بقتل سبعين قَدْ أَصَبْتُمْ في بدر مِّثْلَيْهَا قتل سبعين، وأسر سبعين قُلْتُمْ تعجبا أَنَّى هٰذَا من أين نشاء أصابتنا، وقد وعدنا بالفتح، والهمزة للتقرير، ولما بمعنى حين، وتقدير العطف، أفعلتم كذا وقلتم حين أصابته المصيبة أنَّى هذا؟ قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لهم هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ بأخذ الفداء من أسارى بدر، به قال علي رضي الله عنه، وقال غيره من مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بترك المركز، فإن وعد النصر كان مشروطا بالثبات والمطاوعة، أو الخروج من المدينة إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ بأحد فَبِإِذْنِ اللهِ بأمره وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِيْنَO علم ظهور وَلِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ نَافَقُوْا ليميزهم عن المخلصين وَالذين قِيْلَ لَهُمْ لما انصرفوا عن القتال تَعَالَوْا يا عبد الله بن أبيّ وأصحابه

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

قَاتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أعداء أَوِ ادْفَعُوْا أي: قاتلوا للثواب، أو للدفع عن أنفسكم وأموالكم قَالُوْا لَوْ نَعْلَمُ قِتِالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ أي: ما تفعلون أنتم أيها المؤمنون، لا يسمى قتالا، بل هو إلقاء النفس في المهلكة من غير رأى صائب هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ ظهورا مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ أي: هم قبل ذلك كانوا أقرب ظهورا للإيمان منهم للكفر، أما ذلك اليوم فقد ظهر بالعكس يَقُوْلُوْنَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ من دعوى الإيمان، وما يتبعه [ص107] من الجهاد وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُوْنَO في الضمائر من النفاق الَّذِيْنَ قَالُوْا بدل عن الذين نافقوا لِإِخْوَانِهِمْ لأجل المنافقين المقتولين في أحد حيث قالوا لهم وَقَعَدُوْا وانصرفوا عن القتال مع محمد صلى الله عليه وسلم، وقعدوا عن القتال، والواو للحال، وقد مقدرة لَوْ أَطَاعُوْنَا أي: هؤلاء المقتولون لو أطاعوا أمرنا مَا قُتِلُوْا كما لم نقتل نحن قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلام فَادْرَءُوْا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO بدرء الموت عن القعود وأنتم أحرى بهذه الخصلة. ونزل في الشهداء وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ هم أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ((أَرْوَاحُهُمْ فِيْ حَوَاصِلِ طُيُوْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِيْ إِلَى قَنَادِيْلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِيْ ظِلِّ الْعَرْشِ))، كما ورد في الحديث[1] يُرْزَقُوْنَO من ثمار الجنة فَرِحِيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُوْنَ يفرحون بالبشارة بِالَّذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوْا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ من إخوانهم المؤمنين أَلَّا خَوْفٌ بأن لا خوف، بدل من الذين لم يلحقوا عَلَيْهِمْ على الذين لم يلحقوا بهم وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO في الآخرة يَسْتَبْشِرُوْنَ بِنِعْمَةٍ بثواب مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وزيادة عليه وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِيْنَOع بل يوفر عليهم. روي: أن أبا سفيان وأصحابه لما بلغوا الروحاء ندموا عن الانصراف في قضية أحد، وأرادوا العود، فسمع به النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا بالخروج للقتال ليرهبهم، فخرج مع سبعين في طلب أبي سفيان وأصحابه، وكان بالمؤمنين جراحات، [ص108] فألقى الله

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، وتمامه في الموضعين: ((جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ)). كتاب الجهاد ،97/2، رقم الحديث: 2444، (ب): كتاب التفسير، وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، 325/2، رقم الحديث: 3165. الحاكم: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، النيسابوري، (ت: 405هـ). المستدرك على الصحيحين: (ط–1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ / 1990م).

تعالى الرعب في قلوب الأعداء، فذهبوا، فنزل: اَلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا مبتداء لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ أي: الجرح، خبره لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا مِنْهُمْ من للتبيين؛{لا للتبعيض، لأن كلهم أحسنوا}[1] وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيْمٌO وواعد أبو سفيان للنبي عليه السلام العام المقبل سوق بدر، فخرج بموعده، فألقى الله الرعب في قلبه، فبدأ له أن يرجع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي[2] معتمرا، فقال أبو سفيان له: ارجع إلى المدينة، وخوّف المؤمنين كي لا يخرجوا، ويكون خلف الموعد منهم، لك عندي عشرة من الإبل، فوصل بالمدينة، والمؤمنون متجهزون للخروج، فخوَّف، فقال عليه السلام: لأخرجنَّ؛ ولو لم يخرج معي أحد، فخرج في سبعين راكبا، ومعهم تجارات، فباعوها في بدر، وربحوا كثيرا، وانصرفوا سالمين غانمين، فنزلت: الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ أي: نعيم بن مسعود الأشجعي تخويفا إِنَّ النَّاسَ أي: أبا سفيان وأصحابه قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ عساكر، ليستاصلوكم فَاخْشَوْهُمْ ولا تخرجوا إليهم أبدا فَزَادَهُمْ هذا القول للمؤمنين إِيْمَانًا وَّقَالُوْا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُOفَانْقَلَبُوْا من بدر إلى المدينة ملابسا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ مع السلامة وَفَضْلٍ في التجارات لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوْءٌ من العدو وَاتَّبَعُوْا رِضْوَانَ اللهِ في استجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخروج إلى بدر معه صلى الله عليه وسلم وَاللهُ ذُوْ فَضْلٍ عَظِيْمٍOإِنَّمَا ذَالِكُمُالشَّيْطَانُ أي: القائل لكم: إن الناس قد جمعوا لكم، الشيطان يُخَوِّفُ أي: يخوفكم أَوْلِيَاءَهُ أي: الكفار، أو يخوف المنافقين القاعدين عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم، الشيطان خبر ذلكم، ويخوّف جملة مستأنفة؛ لبيان الشيطنة، أو الشيطان صفة اسم الإشارة، ويخوف أولياءه خبر ذلكم [ص109] فَلَاتَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ في ترك أمري إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَOوَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِي الْكُفْرِ يقعون فيه سريعا؛ وهم المنافقون، أو أهل مكة

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

2 – نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه: كان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة الأشجعي صديقا لبني قريظة، وقدم مع قومه من الأحزاب حين أجدب الجناب، وهلك الخف والكراع، فقذف الله في قلبه الإسلام. فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلا فأسلم. المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس، تقي الدين (ت: 845هـ). إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (ط-1، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ / 1999م). 240/1.

إِنَّهُمْ لَنْ يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئًا بل يضرون أنفسهم، بهذه المسارعة يُرِيْدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا نصيبا من الثواب فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO إِنَّ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ بدلوه به لَنْ يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئًا بكفرهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌOوَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ خَيْرٌلِّأَنْفُسِهِمْ الإملاء: الإمهال، أي لايحسبن إمهالنا بتطويل أعمارهم، وتأخير أجزيتهم خيرا لأنفسهم، فكلمة ما مصدرية، وينبغي أن يكتب مفصولة عن أنَّ، إلا أنها في الإمام وقعت موصولة، والجملة قائمة مقام مفعولي لا تحسبن أَنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْلِيَزْدَادُوْا إِثْمًا بكثرة المعاصي وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌOمَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ يتركالْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ من الاختلاط، لا يعرف المؤمن الحق من المنافق حَتَّى يَمِيْزَ بالتكاليف الشاقة، كما فعل في أحد الْخَبِيْثَ المنافق مِنَ الطَّيِّبِ المؤمن الحق وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ فتعرفون المنافق عن المخلص وَلٰكِنَّ اللهَيَجْتَبِيْ يختار مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَّشَاءُ لهذا الاطلاع؛ فيطلعه، كما اطلع النبي عليه السلام على حال المنافقين فَآمِنُوْا بالإخلاص بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوْا كما أرشدناكم وَتَتَّقُوْا النفاق فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيْمٌO نزل في مانعي الزكاة: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَيَبْخَلُوْنَ بِمَاآتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ بخلهم، هو مفعول أول محذوف هُوَ ضمير فصل [ص110] خَيْرًا لَّهُمْ مفعول ثان بَلْ هُوَ أي: البخل شَرٌّ لَّهُمْ لزوال الأموال، ووبال البخل على رقابهم لا يزال سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهِ الزكاة الممنوعة في صورة حيّة، تنهشهم، تصير طوقا لهم في الرقاب يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمَاوَاتِوَالْأَرْضِ بعد إفناء أهلهما وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌOع فيجازيكم به.لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[1]، قالت اليهود: لو كان الله غنيا ما استقرض منا، نزل: لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللهَ فَقِيْرٌ وَّنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْاوَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ سنأمر الحفظة يكتب ما قالوا، وكتب قتل الأنبياء ظلما وَّنَقُوْلُ على لسان الملائكة ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِO النار ذَالِكَ العقاب بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْكُمْ أي: أنفسكم، عبَّر بها لصدور عامة الأفعال بها وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِO مبالغة في نفي الظلم، لا نفي مبالغة الظلم اَلَّذِيْنَ صفة للذين قبله قَالُوْا لمحمد صلى الله عليه وسلم

1 – جزء من الآية في موضعين، وتمامهما: (أ) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 245، (ب) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ سورة الحديد، الآية:11.

عند دعوته لليهود إلى الإسلام إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أمرنا في التوراة أَلَّا نُؤْمِنَ بأن لا نؤمن، أن لا نصدق لِرَسُوْلٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا نؤمن لك حتّى تأتينا بما يقرب به إلى الله تعالى قربانا من نعم وغيرها، إن قبل تنزل بدعائك نار بيضاء من السماء، فتحرقه، وإلا فبقي مكانه، وهذه دعوى باطلة منهم، لأن نزول النار بدعائه وأكلها إياه أيضا معجزة مثل سائر المعجزات قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلام لو كان تأخيركم للإيمان لهذا فَلِمَ أخّرتم إيمانكم إذ جاءكم الرسل بالذي قلتم قَدْ جَاءَكُمْ الخطاب للحاضرين في زمان [ص111] النبي صلى الله عليه وسلم، والفعل للأجداد، ونسب إليهم لرضاهم به رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِيْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِيْ قُلْتُمْ كزكريا ويحيى عليهما السلام فَلِمَ قَتَلْتُمُوْهُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِيْنَO في العذر فَإِنْ كَذَّبُوْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام، أي: اليهود فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوْا بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات وَالزُّبُرِ كصحف إبراهيم وَالْكِتَابِ الْمُنِيْرِO أي: الواضح، التوراة والإنجيل كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُوْرَكُمْ جزاء أعمالكم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ بعّد عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ نال غاية مطلوبه وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِO عن سعيد بن جبير: الدنيا متاع الغرور؛ إن كان مطلوبا بنفسه، ومتاع البلاغ؛ إن كان واسطة لوصول الآخرة. والله لَتُبْلَوُنَّ لتمتحنن فيما سيأتي، حذف نون الرفع للتوالي، والواو ضمير الجمع للالتقاء فِيْ أَمْوَالِكُمْ بالإنفاق وَأَنْفُسِكُمْ بالبلاء وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ أي: اليهود والنصارى وَمِنَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا من أهل مكة أَذًى كَثِيْرًا مفعول لتسمعن، كهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وطعن الدين، وذم المؤمنين وَإِن تَصْبِرُوْا على ذلك وَتَتَّقُوْا الله فَإِنَّذَالِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِO من أمور يجب عليها العزم وَاذكر إِذْ أَخَذَ اللهُ في التوراة مِيْثَاقَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ أي: عهد اليهود لِتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَاتَكْتُمُوْنَهُ فَنَبَذُوْهُ طرحوا الميثاق وَرَاءَ ظُهُوْرِهِمْ فلم يعملوا به وَاشْتَرَوْا بِهِ أخذوا بعوضه ثَمَنًا قَلِيْلًا عرضا يسيرا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُوْنَO [ص112] سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن شيء من التوراة، فكتموا الحق، وأظهروا الخلاف، وفرحوا به، وطلبوا على هذا التدليس والتلبيس الحمد والثناء، فاطلع الله سبحانه بنبيه على هذه الصيغة، بقوله: لَاتَحْسَبَنَّ يا

محمد! عليك الصلاة والسلام الَّذِيْنَ يَفْرَحُوْنَ اليهود بِمَا أَتَوْا من التدليس وَيُحِبُّوْنَ أَنْيُّحْمَدُوْا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوْا من الصدق {في المقال}[1] فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ بمنجاة من العذاب، الذين؛ وبمفازة مفعولا لاتحسبن، وفلا تحسبنهم تأكيد لا تحسبن وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO مؤلم وَلِلّٰهِ خلقا وملكا وعبيدا مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOإِنَّ فِيْ خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ واضحات على توحيده وقدمه وعلمه وقدرته لِّأُولِي الْأَلْبَابِO الذين خلص عقولهم عن الهوى الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلَى جُنُوْبِهِمْ أي: في كل حال وَيَتَفَكَرُوْنَ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قائلين رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا الخلق المشاهد بَاطِلًا عبثا، بل دلائل على كمالك في الصفات سُبْحَانَكَ تنزيها لك عن خلق العبث، إذا نزهناك عما لا يليق فَقِنَا عَذَابَ النَّارِOرَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ بالخلود فيها فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ أهنته وَمَا لِلظَالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍO يمنعون الله من العذاب رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا الرسول، أو القرآن يُنَادِيْ لِلْإِيمَانِ أي، إليه، أو لأجله أَنْ آمِنُوْا بأن آمنوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا به رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا كبائرنا وَكَفِّرْ عَنأَ سَيِّآتِنَا صغائرنا، غطّها وَتَوَفَّنَا اقبض أرواحنا مخصوصين مَعَ الْأَبْرَارِO معدودين من جملتهم، محشورين في صحبتهم رَبَّنَا وَآتِنَا اعطنا [ص113] مَا وَعَدْتَّنَا عَلَى تصديق رُسُلِكَ أو على ألسنتهم وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَاتُخْلِفُ الْمِيْعَادَO مصدر بمعنى الوعد، عن جعفر الصادق رضي الله عنه[2]: (من حزنه أمر، فقرء ربنا الخمس أنجاه الله تعالى

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

2 – جعفر الصادق رضي الله عنه: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، الإمام الصادق المدني، أحد الأعلام، عن أبيه وجده أبي أمه القاسم بن محمد وعروة، وعنه خلق لا يحصون، منهم: ابنه موسى وشعبة والسفيانان ومالك، قال الشافعي وابن معين وأبو حاتم: ثقة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، عن ثمان وستين سنة. أحمد بن عبد الله: الأنصاري، صفي الدين، (ت: بعد 923هـ). خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (ط–5، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، حلب، بيروت، 1416هـ). ص:63.

مما يخاف، وأعطاه ما أراد)، كذا في المدارك[1]فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّيْ لَاأُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بيان عامل بَعْضُكُمْ كائن مِّنْ بَعْضٍ الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر، فهما شريكان فيما وعد الله، نزلت الآية لما قالت أم سلمة رضي الله عنها[2]: يا رسول الله! لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا من مكة إلى المدينة وَأُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ مولدهم، ومنشأهم وَأُوْذُوْا بالشتم، والضرب، والنهب فِيْ سَبِيْلِيْ وَقَاتَلُوْا الكفار وَقُتِلُوْا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ لأسترن سَيِّآتِهِمْ بالغفران وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللهِ مصدر مؤكد، لمعنى لأكفرن عنهم سيآتهم، أي: أثيبنهم إثابة وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِO الجزاء. قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد لَا يَغُرَّنَّكَ أي: لا يلقينك في الغرور تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِي الْبِلَادِO مراودتهم في الأمصار بالتجارات لتحصيل المال، ولين العيش والسعة والحظ، ذلك التقليب مَتَاعٌ قَلِيْلٌ لأنه فانٍ سريعا ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُO الفراش هي لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلًا حال، والعامل معنى الظرف، وهو ما يعد للضيف من الطعام والشراب والصلة مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ من الثواب [ص114] خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِOالثلاثة من متاع قليل وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُّؤْمِنُ بِاللهِكعبد الله بن سلام، وأصحابه، والنجاشي وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ القرآن وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ التوراة والإنجيل خَاشِعِيْنَ متواضعين للهِ لَا يَشْتَرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيْلًاكما يشتري من لم يؤمن من أحبارهم بالتحريف أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الحِسَابِOيَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اصْبِرُوْا على الطاعات والمصائب، وعن المعاصي وَصَابِرُوْا غالبوا أعداء الله

---

1 – النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، (ت: 710هـ). تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (ط–1، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ / 1998م). 323/1.

2 – أم سلمة رضي الله عنها: هي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، واسمها: هند. وكان أبوها يعرف بزاد الركب. وكانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له: سلمة، وعمر، ودرة، وزينب. وتوفي فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده. وكانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة. ابن الأثير : أسد الغابة: المرجع السابق. 329/7.

تعالى بالصبر في الجهاد، فكونوا أصبر منهم وَرَابِطُوْا أقيموا في الثغور بربط الخيل للغزو وَاتَّقُوا اللهَ في كل حال لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO[٤] الفلاح: البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه.

سورة النساء مدنية، وقيل مكية، وهي مائة وسبع وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا النَّاسُ يا أهل مكة! أو بني آدم! اتَّقُوْا رَبَّكُم أي: عذابه الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ آدم، أنشأها من تراب وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا حواء من الضلع الأيسر وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَّنِسَاءً كثيرة وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُوْنَ بِهِ تتساءل بعضكم بعضا، بقولكم: أسألك بالله، وأنشدك بالله وَالْأَرْحَامَ أي: واتقوها أن تقطعوها إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًاO حافظا لأعمالكم، فيجازيكم بها. يتيم طلب من وليه ماله، فمنعه، فنزل: وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ جمع يتيم، من اليتم، بمعنى: الفرد لا أب له، جمع على يتائم، ثم قلب، صار يتامى، وخص العرف: لمن لم يبلغ وَلَا تَتَبَدَّلُواالْخَبِيْثَ بِالطَّيِّبِ الحرام من مال الصبي، عليكم بالحلال من مالكم وَلَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ [ص115] أي: مع أموالكم، أو مضافة إليها، تسوية بينهما في الحال إِنَّهُ أي: أكله كَانَ حُوْبًا إثما كَبِيْرًاOوَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوْا ألا تعدلوا فِيأموال الْيَتَامَى فتخرجتم به، فخافوا أيضا، أن لا تعدلوا بين النساء، فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقهن، وقد كان فيهم من تحته عشر أزواج، أو ثمان، فلا يعدل بينهن فَانْكِحُوْا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ثنتين ثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، ولا تزيدوا على هذا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوْا في هذا العدد أيضا في الإنفاق والقسم فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَالِكَ أي: التقليل منهن، أو الواحدة: أو التسرّي أَدْنَىَ أقرب أَلَا تَعُوْلُوْاO لا تجوروا، ولا تميلوا وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ اعطوهن مهورهن نِحْلَةً عطاءا بطيب النفس، منصوب على المصدرية من غير لفظه فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ للأزواج عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ من الصداق نَفْسًا فَكُلُوْهُ هَنِيْئًا لا أثم فيه مَرِيْئًاO لا داء فيه، ولم يقل: وهبن، إشارة إلى غاية الاحتياط، فإن الهبة قد يكون من إكراه وَلَا تُؤْتُوا تعطوا السُّفَهَاءَ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان أَمْوَالَكُمُ الإضافة بملابسة الإمساكالَّتِيْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا قواما لأبدانكم وَارْزُقُوْهُمْ فِيْهَا في الظرفية، إشارة إلى التجارة والإنفاق والإرباح لا من الصلب وَاكْسُوْهُمْ وَقُوْلُوْا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوْفًاO عدوا لهم وعدا جميلا، أن صلحتم، ورشدتم، سلمنا إليكم أموالكم كلها

من الأصل والربح وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ اختبروا عقولهم بدفع شيء من المال [ص116] للتجارة، حتّى يستبين حالهم إلى أن بلغوا الاحتلام، أو يستكملوا ثمانية عشر سنة عندنا؛ وخمسة عشر عند الشافعي رحمه الله تعالىفَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا عرفهم صلاحا فَادْفَعُوْا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوْهَا أيها الأولياء! الأموال إِسْرَافًا مسرفين بغير حق وَّبِدَارًا ومبادرين مخافة أَنْ يَّكبَرُوْا أي: اليتامى، فينزعوا المال عن أيديهم وَمَنْ كَانَ من الأولياء غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ أي: يحترز عن مال اليتيم وَمَنْ كَانَ فَقِيْرًا فَلْيَأْكُلْ من ماله بِالْمَعْرُوْفِ أجر عمله فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ إلى اليتامى أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوْا أمر إرشاد عَلَيْهِمْ على اليتامى بالقبض، وبراءتكم عن دَينهم وَكَفَى بِاللهِ حَسِيْبًاO الباء زائدة، فعليكم بالتصادق. كان أهل الجاهلية لايرثون النساء والأطفال، فشكت أم كجّة[1] أمرأة أوس[2] عن ابني عمه[3]، حيث أخذاه جميعا، فنزل ردا عليهم: لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُوْنَ المتوارثون عن ذوي القرابات، دون غيرهم وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُوْنَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ من المتروكة أَوْ كَثُرَ نَصِيْبًا نصب على الاختصاص، أي: أعني نصيبا، أو مفعول، جعله الله نصيبا مَّفْرُوْضًاO مقطوعا بتسليمه إليهم وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ من الميراث أُولُوا الْقُرْبَى ممن لا يرث وَالْيَتَامَى من الأجانب وَالْمَسَاكِيْنُ من الأجانب فَارْزُقُوْهُمْ اعطوهم مِّنْهُ من مال ترك ميراثا شيئا قبل القسمة وَقُوْلُوْا أيها الأولياء! لَهُمْ للحاضرين قَوْلًا مَّعْرُوْفًاO [ص117] خذوا هذا القليل من غير منة، بارك الله عليكم، قيل كان راجيا في بدء الإسلام، ثم نسخ بآية الميراث، والصحيح أنه أمر ندب باق، لم ينسخ؛ لكن تهاون الناس، وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنه واجب وَلْيَخْشَ على اليتامى الَّذِيْنَ أي: الأوصياء لَوْ تَرَكُوْا لو شارفوا أن يتركوا بالاختصار مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا من صلبهم خَافُوْا عَلَيْهِمْ الضياع فَلْيَتَّقُوا اللهَ على من في حجورهم من اليتامى، فليشفقواعليهم، ويرحموهم وَلْيَقُوْلُوْا أي: الأوصياء لليتامى، أو للمريض قَوْلًا سَدِيْدًاO بالتحبيب والترحيب، مثل يا بني يا ولدي، أو أن يتصدق في الثلث، ولا يترك الوارثين عالة إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُوْنَفِيْ بُطُوْنِهِمْ أي: ملاءها نَارًا يول إليها وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْرًاOع في التنكير تعظيم يُوْصِيْكُمُ اللهُ يأمركم فِيْ شأن

---

1 – أم كجّة: هي زوج أوس بن ثابت. نزلت فيه آية المواريث. ابن الأثير: أسد الغابة: المرجع السابق. 371/7.

2 – أوس: هو أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. وهو أخو حسان بن ثابت الشاعر، وأبو شداد بن أوس. وأم أوس بن ثابت سخطى بنت حارثة بن لوذان بن عبد ود من بني ساعدة. وكان ثابت بن المنذر خلف على سخطى بعد أبيه. وكانت العرب تفعل ذلك، ولا ترى فيه شيئا. وشهد أوس العقبة مع السبعين من الأنصار. ابن سعد: المرجع السابق. 382/3.

3 – ابني عمه: ابني عم أوس بن ثابت، وهما: سويد وعرفجة. ابن الأثير: أسد الغابة: المرجع السابق. 371/7.

أَوْلَادِكُمْ بهذا التفضيل، واعلم أن الورثة أصناف، أصحاب الفرائض: وهم الذين لهم سهام مقدرة، كالبنت والأخوات والأب والأم والجد والجدة والزوج والزوجة، والعصبات: وهم الذين يرثون ما بقي من الفرائض، وذو الأرحام: وهم الأقارب؛ الذين ليسوا من العصبات، ولامن أصحاب الفرائض لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ نصيبهما إذا اجتمعتا معه فَإِنْ كُنَّ أي: الأولاد خلصا نِسَاءً لا ذكر معهن اثنتين فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلهُنَّ ثُلُثَا مِمَّا تَرَكَ كما للأختين وَإِنْ كَانَتْ المولودة وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُوإن كانت المولودة معه واحدة؛ فلها الثلث، وله الثلثان، وإن [ص118] انفرد جاز الكل وَلِإِبَوَيْهِ الضمير للميت لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا بدل من قوله ولأبويه السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ذكر أو أنثى، إذ إطلاق التولد عليهما فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُ أي: للميت وَلَدٌ وَّوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ثلث المال، إن لم يكن أحد الزوجين معهما، وإن كان فالثلث من الباقي بعد إخراج نصيب أحد الزوجين فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ والأخوات، كذلك أما الأخ الواحد فلا يحجب، والأعيان والأخياف والعلات في حجب الأم سواء فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ قسمة هذه الأنصباء مِنْ بَعْدِ تنفيذ وَصِيَّةٍ يُّوْصِيْ بِهَا أَوْ قضاء دَيْنٍ عليه آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَاتَدْرُوْنَ لا تعلمون أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا والتفاوت من السهام يتفاوت المنافع، وأنتم لاتدرون تفاوتها، فتولى الله فضلا منه، ذلكفَرِيْضَةً مِّنَ اللهِ منصوب على المصدر، أي: فرض فريضة إِنَّ اللهكَانَ عَلِيْمًا قبل الخلق بأحكامهم حَكِيْمًاO بعد خلقهم وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ابن، أو بنت فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ منكم، أو من غيركم وَلَدٌ أو ولد ولد بالإجماع فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكنَ مِنبَعْدِ تنفيذ وَصِيَّةٍ يُّوْصِيْنَ بِهَا أَوْ قضاء دَيْنٍ وَلَهُنَّ الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ منهن، أو من غيرهن وَلَدٌ أو ولد ولد بالإجماع فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكتُمْ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ [ص119] تُوْصُوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُّوْرَثُ منه كَلَالَةً اسم وخبر وحال، أو يورث صفة، اسمها؛ وخبرها كلالة، وهو: الذي لم يترك والدا، ولا ولدا أَوِ امْرَأَةٌ تورث كلالة وَّلَهُ أي: للرجل، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة؛ لدلالة العطف عليه أَخٌ أَوْ أُخْتٌ لأم فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا من الأخ، والأخت السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوْا أَكثَرَ مِنْ ذَالِكَ الواحد فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ يستوي فيه ذكرهم، وأنثاهم مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُّوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَمُضَارٍّ حال من ضمير يوصي، أي: غير مدخل الضرر على الورثة، بأن يوصى أكثر من الثلث وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ مصدر مؤكد ليوصيكم اللهوَاللهُ عَلِيْمٌ من يقف على حدود الله، ولا يتجاوز عنها حَلِيْمٌO بتأخير عقوبة من يتعد حدود اللهتِلْكَ أحكام اليتامى، وما بعده حُدُوْدُ اللهِ وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ في الأحكام وَرَسُوْلَهُ يُدْخِلْهُجَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOوَمَنْ يَّعْصِ اللهوَرَسُوْلَهُ في الأحكام وَيَتَعَدَّ حُدُوْدَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيْهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِيْنٌOع ذو إهانة وَالَّتِيْ جمع التي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ

الزنا مِنْ نِّسَائِكُمْفَاسْتَشْهِدُوْا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةًمِّنْكُمْ من رجال المسلمين فَإِنْ شَهِدُوْا بها عليهن فَأَمْسِكُوْهُنَّ احبسوهن من مخالطة الناس فِي الْبُيُوْتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أي: ملائكته أَوْ بمعنى إلى أن يَجْعَلَ اللهُلَهُنَّ سَبِيْلًاO للخروج، أمروا أول الإسلام بالحبس، ثم جعل لهن السبيل، للبكر جلد مائة، وللثيب رجم، والحاصل: أما محصنان فرجم لا غير، وأما غيرهما فجلد لا [ص120] غير، وإن كان أحد هما محصنا؛ والآخر غيره فللمحصن رجم، وللغيرجلد، وعن أبي حنيفة رحمة الله تعالى: عليه مع تعزير في اللواطة، ولايحد وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا الفاحشة من الزنا، أو اللواطة منكم، كما يجيء بعد ذلكمِنْكُمْ فَآذُوْهُمَا بالسب، والضرب بالنعال فَإِنْ تَابَا منها وَأَصْلَحَا العمل فَأَعْرِضُوْا عَنْهُمَا ولا تؤذوا إِنَّ اللهَكَانَ تَوَّابًارَّحِيْمًاO قيل: أول ما نزل من حد الزنا الأذى، ثم الحبس، ثم الجلد، أو الرجم، فترتيب النزول على خلاف التلاوة، وقال ابن بحر: الأولى في السحاقات، والثانية في اللواطين، والثالثة في الزنا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ أي: التي كتب على نفسه قبولها فضلا لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السُّوْءَ المعصية بِجَهَالَةٍ بالله؛ إذ لو عرفه لم يخنه، أو بكنه العقوبة ثُمَّ يَتُوْبُوْنَ مِنْ زمان قَرِيْبٍ قبل الغرغرة، والاحتضار فَأُولٰئِكَ يَتُوْبُ اللهُ عَلَيْهِمْ يقبل توبتهم وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا بوجود الندم فيهم حَكِيْمًاO بأنه توبة وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّآتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ومعاينة ملائكة العذاب قَالَ إِنِّيْ تُبْتُ الْئٰنَ فلا ينفعهم توبتهم، فإنه حالة الاضطرار دون الاختيار، والثواب للمختار لا للمضطر وَلَا الَّذِيْنَ ولا للذين يَمُوْتُوْنَ وَهُمْ كُفَّارٌ إذا تابوا في الآخرة عند مشاهدة العذاب، لايقبل منهم توبتهم أُولٰئِكَ أَعْتَدْنَا أي: هيّئنا، أصله أعددنا، فقلبت الدال تاءا، أو من العتيد، بمعنى الحاضر لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاO مؤلما. في الجاهلية، كان الرجل يرث امرأة مورثه، بأن يلقي عليها ثوبه، فتزوجها بلا مهر، وهي كارهة، أو زوجها، وأخذ صداقها، [ص121] أو عضلها حتّى يفتدي بما روثته، أو تموت فيرثها، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا كان الرجل يتزوج امرأة، ولم يكن من حاجته غير حبس وتضييق، ليختلع بمالها، فنهى وَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ لا تقهروهن بالإمساك من غير حاجة. العضل: الحبس والتضييق لِتَذْهَبُوْا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوْهُنَّ من المهر إِلَّا أَنْ يَّأْتِيْنَبِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ كالزنا، والنشوز، وإيذاء الزوج، وسوء العشرة، فإن الزوج معذور في طلب الخلع في هذه الحالة، وكانوا يسيؤن في معاشرة النساء، فنزل: وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ بالقول الجميل، والنفقة بالنفقة، والمبيت فَإِنْ كَرِهْتُمُوْهُنَّ لقبحهن، أوسوء خلقهن فاصبروا فَعَسَى أَنْ تَكرَهُوْا شَيْئًا وَّيَجْعَلَ اللهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًاO بتحمل المشاق ثوابا، أو ولدا صالحا. وكان الرجل إذا رأى امرأة حسنة فأعجبته، بهت التي تحته، ورميها بفاحشة، حتّى يلجئها إلى الاقتداء منه بما أعطاها خلعا، فنزل: وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَّآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا مالا عظيما صداقا فَلَا تَأْخُذُوْا مِنْهُ شَيْئًا

أَتَأْخُذُوْنَهُ بُهْتَانًا ظلما، حال وَّإِثْمًا مُّبِيْنًا O وَكَيْفَ تَأْخُذُوْنَهُ أي: بأيّ وجه هذا الأخذ؟ وَالحال قَدْ أَفْضَى وصل بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ بلاحائل وَّأَخَذْنَ أي: أخذ الله لأجلهن مِنْكُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا O وهو قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1] وَلَا تَنْكِحُوْا لا تطؤوا مَا نَكَحَ وطي آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ بنكاح، أو بملك يمين، أو بزني، فقالوا: كيف حال ما تقدم منا؟ فقال: إِلَّا مَا قَدْ [ص122] سَلَفَ أي: لكنه معفوٌّ إِنَّهُ وطيهن كَانَ فَاحِشَةً قبيحا وَّمَقْتًا سبب أشد البغض وَسَاءَ سَبِيْلًا O ٤ بئس الطريق هو حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ شملت الجدات من أب وأم وَبَنَاتُكُمْ شملت بنات الأولاد؛ وإن سفلن وَأَخَوَاتُكُمْ أبا وأما وَعَمَّاتُكُمْ أي: أخوات آبائكم، وكذلك أخوات أجدادكم وَخَالَاتُكُمْ أي: أخوات أمهاتكم، وجداتكم وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ويدخل فيه بنات أولاد الأخ والأخت وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِيْ أَرْضَعْنَكُمْ بمصة، أو مصتين في حولين ونصف وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وأمرها على قياس النسب، لحديث رواه الشيخان: ((يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ))[2] وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ بمجرد العقد وَرَبَائِبُكُمْ جمع ربيبة، وهي بنت الزوجة من غيره الَّتِيْ فِيْ حُجُوْرِكُمْ تربونها، ذكر الحجر على غلبة الأحوال؛ دون الشرط، كأنه علة التحريم، لأنهم لو عقدوا عليها؛ كأنهم عقدوا على بناتهم مِنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِيْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُوْنُوْا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ في نكاح بناتهن، إذا فارقتموهن، أو مُتْن وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِيْنَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ بخلاف حلائل المتبنّين إذا فارقوهن، وأما حكم ابن الرضاع فكابن الصلب وَأَنْ تَجْمَعُوْا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ من النسب، أو الرضاع إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ في الجاهلية، فإنه معفوٌّ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا O

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 229.

2– مسلم بن الحجاج: أبو الحسن، القشيري، النيشابوري، (ت: 261هـ). صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة النشر). كتاب الحج، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل. رقم الحديث: 1445. 1070/2،وكتاب الحج، باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم الحديث: 1447 . 1071/2، ولفظ البخاري:((يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الوِلَادَةِ)). البخاري: كتاب النكاح، باب ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، رقم الحديث: 38/5239.7.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ أي: كل ذات زوج إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ بالسبي من دار الحرب [ص123] فلكم وطيهن، وإن كان لهن أزواج فيها لكن بعد الاستبراء كِتَابَ اللهِ مصدر منصوب يكتب عَلَيْكُمْ أن تحفظوا أنفسكم عنهن، بدء بذكر حرمة مانكح الآباء، ثم سرد ذكر المحرمات السبعة النسبية، والسبعة السببية؛ تتمة لها وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوْا بِأَمْوَالِكُمْ في الصداق، والثمن مُحْصِنِيْنَ متزوجين غَيْرَ مُسَافِحِيْنَ زانين فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ نكحتم بِهِ مِنْهُنَّ آتُوْهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ مهورهن فَرِيْضَةً حال، أي: مفروضة وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بالزيادة والنقصان والهبة في المهور فِيْمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ أيها المتعاقدان! مِنْ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيْمًا بالتقدير أوّلا حَكِيْمًاO بالتغيير ثانيا. قيل نزلت الآية في المتعة، فإن المتعة أحلت ثلاثة أيام حين فتح مكة عليه صلى الله عليه وسلم، ثم نسخت وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا فضلا وزيادة أَنْ يَّنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ أي: الحرائر الْمؤْمِنَاتِ غالبا فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ينكح مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ غالبا، لا الكافرات وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَانِكُمْ لأنه تصديق، وهو عمل القلب، فلا يعلم غيره، فالاكتفاء على الظاهر بَعْضُكُمْ مِّنْۢ بَعْضٍ أنتم وهن سواء في النسب من آدم عليه السلام، فلا تستنكفوا من نكاحهن فَانْكِحُوْهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ مواليهن وَآتُوْهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ مهورهن بِالْمَعْرُوْفِ بلا مطل ونقص مُحْصَنَاتٍ عفائف غَيْرَ مُسَافَاحِتٍ غير زوان في العلانية وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ أخلاء؛ يزنون سرا فَإِذَا أُحْصِنَّ بالتزوج فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ [ص124] زناً فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ أي: خمسين جلدة، فإن الرجم لا ينصف ذَالِكَ أي: نكاح المملوكات لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ أي: المشقة، وهي الزنا مِنْكُمْ وَأَنْتَصْبِرُوْا عن نكاح الإماء خَيْرٌ لَّكُمْ لأنه يصيّر الولد رقيقا وَاللهُ غَفُوْرٌ لمن يصبر رَحِيْمٌOع بالرخصة يُرِيْدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ أي: أن يبين لكم شرائع الدين وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ طرق الأنبياء؛ الذين خلوا وَيَتُوْبَ عَلَيْكُمْ يغفر لكم ذنوبكم وَاللهُ عَلِيْمٌ بمصالح العباد حَكِيْمٌO بما فيه خيرهم وَاللهُ يُرِيْدُ أَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ كرر للتأكيد وَيُرِيْدُ الفجرة الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوَاتِ من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة أَنْ تَمِيْلُوْا من الحق إلى المحرمات مَيْلًا عَظِيْمًاO فتكونوا مثلهم زناة يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ بالرخصة في نكاح الإماء وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيْفًاO لا يصبر عن الشهوات؛ وعلى مشاق الطاعات يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَأْكُلُوْا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ كالربوا والغصب والسرقة والقمار والخيانة إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ التجارة تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ فلكم أن تأكلوها وَلَا تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ بارتكاب ما يوجب هلاك أنفسكم في الدنيا والآخرة إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًاO في منع ما يضيعكم ويضيع أموالكم وَمَنْ يَفْعَلْ ذَالِكَ ما نهى عنه عُدْوَانًا تجاوزا بالإفراط وَظُلْمًا وإتيانا بما لا يستحق فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارًا أي: ندخله جهنم وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرًاO هيّنا إِنْ تَجْتَنِبُوْا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ صغائركم وَنُدْخِلْكُمْ

[ص125] مُّدْخَلًا مصدر، أو مكان كَرِيْمًاO عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: الكبائر كل ما نهي عنه من أول سورة النساء إلى قوله تعالى: إن تجتنبوا، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي كل ما ورد عليه وعيد، وهي إلى سبع مائة أقرب، وقيل: ما أوعد بالنار، أو وجب الحد عليه، وقيل: كل فوقاني بالنسبة إلى تحتاني كبيرة وصغيرة وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لأنه يؤدي إلى التباغض والتحاسد، قالت أم سلمة رضي الله عنها: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا، وكان أجرنا مثل أجر الرجال، نزلت: لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوْا من الجهاد وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ من طاعة الأزواج، وحفظ الفروج، وليس العمل على حسب الميراث وَاسْئَلُوا اللهَ ما احتجتم إليه يطيعكم مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًاO وَلِكُلٍّ من الرجال، والنساء جَعَلْنَا مَوَالِيَ عُصْبة وراثا يحرزون، ويطعون مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُوْنَ وَالَّذِيْنَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ جمع يمين، بمعنى القسم، أو اليد، أي: الخلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث فَآتُوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ هو السدس إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدًاOع فعلى حالكم البتة، قيل هذا منسوخ لقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[1] وعند أبي حنيفة رحمة الله تعالى: المراد به عقد الموالاة، وهي مشروعة، فيه تفسيره: إذا أسلم رجل على يد رجل أو امرأة؛ لا وارث له، وليس لعربي ولا معتق، فيقول الآخر: واليتك على أن تعقلني إذا جنيت، وترثني إذا مت، ويقول الآخر: قبلت، انعقد ذلك، ويرث الأعلى من الأسفل، كذا في المدارك[2] الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ {أي: حكام}[3] أمراء عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ أي: الرجال عَلَى بَعْضٍ [ص126] النساء بالعلم والدين والعقل والولاية وغير ذلك وَبِمَا أَنْفَقُوْا مِنْ أَمْوَالِهِمْ {على نسائهم}[4] فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ أي: ما يحافظ في غيبة الأزواج من الفرج والبيت والمال، وقيل: السرائر بِمَا حَفِظَ اللهُ أي: بما حفظهن الله تعالى، حيث أوصى الأزواج بقوله:

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: (ا) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ سورة الأنفال، الآية: 75.(ب) ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾ سورة الأحزاب، الآية: 6.

2 – النسفي: المرجع السابق. 354/1.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

﴿وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1] وَالَّتِيْ تَخَافُوْنَ أنتم نُشُوْزَهُنَّ عصيانهن لكم لظهور إمارات النشوز فيهن فَعِظُوْهُنَّ بعقوبة الله تعالى وَاهْجُرُوْهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ لا تدخلوا في لحاف واحد، ولا تجامعوهن، أو تولوا الظهور عن جنبهن وَاضْرِبُوْهُنَّ ضربا غير متبرح فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ بالعظة، أو الهجر، أو الضرب الغير المتبرح فَلَا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا لا تطلبوا إذاهن ظلما إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيْرًاO إن علت أيديكم عليهن؛ فاعلموا أن يد الله عليكم علية، فاجتنبوا ظلمهن وَإِنْ خِفْتُمْ أيها الولاة! شِقَاقَ بَيْنِهِمَا عداوة البين وخلافه فَابْعَثُوْا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا فإن الأقارب أعلم ببواطن الأحوال إِنْ يُّرِيْدَا أي: الحكمان إِصلَاحًا يُّوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا أي: الزوجين إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيْمًا بإرادة الحكمين خَبِيْرًاO بالذي هو الظالم منهما وَاعْبُدُوا اللهَ وحّدوه وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا وَّأحسنوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى أي: الجار الذي بينك وبينه قرابة، أو الجار الذي هو قريب من داره وَالْجَارِ الْجُنُبِ الذي ليس بينك وبينه قرابة، أو بعيد الدار وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ الزوجة، [ص127] أو الرفيق في سفر، أو صناعة، أو مجلس وَابْنِ السَّبِيْلِ أي: المسافر، أو الضيف وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ العبيد، والإماء إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا متكبرا بأنف عن أقاربه، وجيرانه، وأصحابه، ولا يلتفت إليهم فَخُوْرًاO يتفاخر عليهم الَّذِيْنَ بدل من قوله: من كان يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُوْنَ مَا آتَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ الغنَى والعلم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ للنعماء عَذَابًا مُّهِيْنًاO ذا إهانة. قيل نزلت هذه في اليهود، قالوا للأنصار: لا تنفقوا في المسلمين أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر وَالَّذِيْنَ أي: المنافقين، أو أهل مكة يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَّكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيْنًا يحملهم على الكفر، والبخل، والرياء فَسَاءَ قَرِيْنًاO هو وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ أيُّ ضرر عليهم لَوْ آمَنُوْا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيْمًاO فيجازيهم بمثل ما عملوا إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ أحدا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وزنها بالنقصان من الحسنات، وبالزيادة على السيئآت وَإِنْ تَكُ وزن الذرة حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا إلى أكثر من سبع مائة؛ لمن يشاء وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيْمًاO لا يقدره أحد فَكَيْفَ حال الكفار إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ هو نبيهم وَّجِئْنَا بِكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام عَلَى صدق هَؤُلَاءِ أي: شهداء الأمم لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم، وقيل: أمته شَهِيْدًاOيَوْمَئِذٍ يَّوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَعَصَوُا الرَّسُوْلَ لَوْ تُسَوَّى [ص128] بِهِمُ الْأَرْضُ بأن يكونوا ترابا مثلها، وسويا لها وَلَا

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾. سورة النساء، الآية: 19.

يَكْتُمُوْنَ اللهَ حَدِيْثًاO أي: لا يقدرون على الكتمان، لأن جوارحهم يشهد عليهم. صنع عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه طعاما وخمرا، ودعى الأصحاب، فقرأ الإمام في المغرب بحذف كلمة النفي عن سورة الكافرون، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَقْرَبُوْا الصَّلَاةَ لا تصلوا وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ وَلَا جُنُبًا من أصابه الجنابة واحدا كان أو مثنى أو مجموعا، مذكرا كان أو مؤنثا إِلَّا عَابِرِيْ سَبِيْلٍ فإن غالب حالهم فقدان الماء، فتيممون حَتَّى تَغْتَسِلُوْا وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى استعمال الماء يحدث المرض، أو يزيد أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ المكان المعد لقضاء الحاجة أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ جامعتموهن عند أبي حنيفة رحمة الله تعالى، والشافعي رحمة الله تعالى يقول: ينقض الوضوء باللمس فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً فَتَيَمَّمُوْا قاصدوا صَعِيْدًا طَيِّبًا ترابا طاهرا، أو مافي حكمه كالصخرة لا تراب عليها فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ الباء زائدة، أي: بضربة وَأَيْدِيَكُمْ بضربة أخرى إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا بالترخيص والتيسير غَفُوْرًاO عن التقصير أَلَمْ تَرَ من رؤية القلب، أي: لم ينته عليك إِلَى الَّذِيْنَ هم اليهود أُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ التوراة يَشْتَرُوْنَ الضَّلَالَةَ هي البقاء على اليهودية مع وضوح الآيات بالهدى وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ تَضِلُّوْا أيها المؤمنون! السَّبِيْلَO سبيل الحق وَاللهُ أَعْلَمُ منكم بِأَعْدَاءِكُمْ {فاحذروا عنهم}[1] وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَّكَفَى بِاللهِ نَصِيْرًاO مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا قوم يُحَرِّفُوْنَ [ص129] يغيّرون الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ ذكر في التوراة في نعت النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة حرّفوه بأدم طُوّال وَيَقُوْلُوْنَ سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا أمرك، قيل: أسرّوا في النفس هذه الكلمة وَاسْمَعْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام غَيْرَ مُسْمَعٍ هذه الكلمة يحتمل المدح والذم، ومقصودهم الثاني، وأنت تدعو بهذا الدعاء، أي: لا سمعت، حاصله الصمم، أو الموت، ويحتمل المدح، أي: اسمع غير مسمع مكروها وَّرَاعِنَا قصدوا به السب في لغة العبرانية، وفي العربية بمعنى انظرنا، وراقبنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ إلى الفتل، أي: فتلا للحق بالباطل، وتحريفا للصدق بالكذب وَطَعْنًا فِي الدِّيْنِ أي: لو كان نبيا لأخبر بما بما نعتقد فيه، استهزاءا بالنبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوْا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا مكان عصينا وَاسْمَعْ بلا ذكر غير مسمع وَانْظُرْنَا مكان راعنا لَكَانَ ذلك خَيْرًا لَّهُمْ مما قالوه وَأَقْوَمَ وأعدل منه وَلٰكِنْ لَّعَنَهُمُ اللهُ أبعدهم الله عن رحمته بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ إِلَّا قَلِيْلًاO كعبد الله بن سلام وأصحابه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوْا بِمَا نَزَّلْنَا أي: القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ من التوراة مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوْهًا بمحو العين والأنف والحاجب والفم فَنَرُدَّهَا عَلَى هيئة أَدْبَارِهَا أي: مثل القفاء مطموسة أَوْ نَلْعَنَهُمْ نمسخهم قردة كَمَا لَعَنَّا مسخنا أَصْحَابَ السَّبْتِ من اليهود قردة وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قضاؤه مَفْعُوْلًاO لما نزل هذا أسلم ابن سلام؛ قافلا من الشام؛ قبل أن يدخل في بيته، والوعيد للكل، وقد آمن بعض

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

[ص130] إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ بالله سبحانه، بأن يموت عليه وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَالِكَ أي: الشرك من الذنوب لِمَنْ يَّشَاءُ المغفرة له وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيْمًاO فالشرك مغفور عنه بالتوبة وما دونه، وإن كان كبيرة يغفر لمن يشاء، وإن لم يتب أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أي: اليهود وغيرهم يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[1] بَلِ اللهُ يُزَكِّيْ يطهّر، لاغيره مَنْ يَّشَاءُ عن أدناس الكفر والمعاصي، بالإيمان والطاعة وَلَا يُظْلَمُوْنَ لا ينقصون من جزاء أعمالهم فَتِيْلًاO الخيط الذي في شق النواة، يضرب به المثل في الحقارة أُنْظُرْ متعجبا، الظرف كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ بزعمهم وَكَفَى بِهٖ بالافتراء إِثْمًا مُّبِيْنًاO ع نزل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف من علماء اليهود، لما شاهدوا قتلى بدر، حرّضوا المشركين على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار الوفاق معهم بسجود آلهتهم أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُوْنَ بِالْجِبْتِ اسم صنم، والمراد: كل ما عبد من دون الله وَالطَّاغُوْتِ اسم صنم، والمراد: كل باطل وَيَقُوْلُوْنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: مشركي مكة، يعني أبا سفيان وأصحابه هٰٓؤُلَاءِ أي: أنتم يا أباسفيان وأصحابك أَهْدَى أقوم مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بمحمد صلى الله عليه وسلم سَبِيْلًا طريقاOأُولٰئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَّلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْرًاO مانعا من عذاب الله أَمْ بل لَهُمْ نَصِيْبٌ أي: ليس لهم نصيب مِّنَ الْمُلْكِ ولو كان من الملك نصيب فَإِذًا لَّا يُؤْتُوْنَ النَّاسَ [ص131] نَقِيْرًاO النقطة التي في ظهر النواة، يضرب بها في القلة أَمْ بل يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ أي: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهٖ من منصب النبوة، وكثرة النساء، والغلبة، والنصرة فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيْمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكًا عَظِيْمًاO فكان لداؤد تسع وتسعون امرأة، ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية، وملك لا ينبغي لأحد من بعده فَمِنْهُمْ من اليهود مَنْ آمَنَ بِهٖ بمحمد عليه الصلاة والسلام وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ منع عن الإيمان به مع علمه بنبوته وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيْرًاO للصادين إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ يدخلهم نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ احترقت جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا يعاد تلك الجلدة، بعينها على صورة أخرى لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ أي: ليدوم ذوق العذاب إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيْزًا غالبا على أمره حَكِيْمًاO الربع فيما يريد بالعباد وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيْهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ من الأنجاس، والحيض، والنفاس وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيْلًاO {أي:

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ سورة المائدة، الآية: 18.

سجيحا؛ لا حر فيه ولا برد}[1]، لا تنسخه شمس إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ أي: بتأدية الأمانة، والحكم بالعدل إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا O لما تقولون وتفعلون، خطاب عام لكل مكلف، ولكل أمانة، وإن كان سببه خاصا، أو نزل في عثمان بن طلحة بن عبد الدار رضي الله عنه[2]، لما أغلق باب الكعبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى دفع المفتاح، وقال : لو علمت [ص132] أنه رسول الله لم أمنعه، فلوّى علي كرم الله وجهه يده، وأخذ المفتاح، وفتح، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت، وصلى ركعتين، فنزل بها جبرائيل عليه السلام، وأمر بأن سدانة الكعبة، أي: خدمتها دائما يكون في أولاد عثمان وأخيه شيبة[3]، فردّ علي كرم الله وجهه مفتاح البيت إلى عثمان، وتلا عليه هذه الآية، فأسلم عثمان بن طلحة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيعُوْا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ أي: الولاة إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله، وقيل: أهل الفقه والدين، فإن أمرهم تنفذ على الولاة أيضا فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَى اللهِ أي: الكتاب وَالرَّسُوْلِ حين حياته، وإلى قوله وفعله وتقريره بعد وفاته إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَالِكَ أي: الرد إلى الله والرسول خَيْرٌ من التنازع، والقول بالرأي وَأَحْسَنُ تَأْوِيْلًا O ع مآلا وعاقبة. كان بين يهودي ومنافق مشاجرة، فالمنافق دعاه إلى كعب بن الأشرف، فأتى ليحكم، ثم احتكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فحكم النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي، ولم يرض المنافق بحكمه، ثم تحاكما إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي: حكم لي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلم يرض بقضائه صلى الله عليه وسلم، فسأل المنافق، فأقرّ بذلك، فدخل بيته، وأخذ السيف، وقتل المنافق، فقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. ومن ذلك اليوم سمي عمر بفاروق، فنزل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُمْ آمَنُوْا أي: المنافقون بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ القرآن وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ التوراة يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَّتَحَاكَمُوْا إِلَى الطَّاغُوْتِ الكثير الطغيان، وهو كعب بن الأشرف [ص133] وَقَدْ أُمِرُوْا أَنْ يَّكْفُرُوْا بِهِ ولا يوالوه وَيُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُّضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيْدًا O

1- العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

2- عثمان بن طلحة بن عبد الدار رضي الله عنه: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة. واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. وأمه السلامة الصغرى بنت سعد بن الشهيد من الأنصار. قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر: رجع عثمان إلى مكة فنزلها حتى مات بها في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: المرجع السابق. 6/6.

3 - شيبة بن طلحة: قيل إنّما دفعه إلى أخيه شيبة وصارت حجابة البيت إلى بني شيبة بن طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار من يومئذ. ابن خلدون: المرجع السابق. 391/2.

عن الحق وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ أي: إلى حكمه وَإِلَى الرَّسُوْلِ ليحكم بينكم رَأَيْتَ الْمُنَافِقِيْنَ يَصُدُّوْنَ يعرضون عَنْكَ منقلبين إلى غيرك صُدُوْدًاO فَكَيْفَ حالهم؟ وماذا يصنعون؟ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ عقوبة، كقتل عمر رضي الله عنه للمنافق بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ ثُمَّ جَاءُوْكَ يَحْلِفُوْنَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا بتحاكمنا إلى غيرك إِلَّا إِحْسَانًا صلحا وَّتَوْفِيْقًاO بين المتخاصمين أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ من النفاق، وكذبهم في العذر فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ بالصفح وَعِظْهُمْ بتخويف من الله وَقُلْ لَّهُمْ فِيْ شأن أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغًاO مؤثرا، ليرجعوا عن كفرهم وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا لِيُطَاعَ لا ليعصى، ويخالف فيما أمر بِإِذْنِ اللهِ بأمره وتوفيقه وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوْا بالتحاكم إلى الطواغي أَنْفُسَهُمْ جَاءُوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُوْلُ فيه تفخيم لشأنه عليه السلام لَوَجَدُوْا اللهَ تَوَّابًا عليهم رَّحِيْمًاO بهم فَلَا لا زائدة وَرَبِّكَ الواو للقسم لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ اختلط بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ضيقا، وشكا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا وينقادوا لك تَسْلِيْمًاOوَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوْا هي مفسرة أَنْفُسَكُمْ بالجهاد، أو كما قتل بنو إسرائيل أنفسهم أَوِ اخْرُجُوْا مِنْ دِيَارِكُمْ بالهجرة، كبني إسرائيل؛ حين تابوا من عبادة العجل مَّا فَعَلُوْهُ أي: المكتوب إِلَّا قَلِيْلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ [ص134] أَنَّهُمْ فَعَلُوْا مَا يُوْعَظُوْنَ بِهِ من طاعة الرسول لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيْتًاO تحقيقا لإيمانهم، وادفع للاضطراب فيه وَإِذًا أي: إذا ثبتوا على الإيمان لَّآتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيْمًاO الجنة، والرضوان من الله وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًاO لثبتنا هم على صراط الحق. قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! كيف نراك؟ وأنت في الدرجات العلى، ونحن أسفل منك، نزل: وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَالرَّسُوْلَ فيما أمرا به فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيّنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ أفاضل أصحاب الأنبياء، لمبالغتهم في الصدق والتصديق وَالشُّهَدَاءِ القتلى في سبيل الله وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيْقًاO في الجنة ذَالِكَ كونهم هؤلاء الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيْمًاO[ع] أي: ثقوا بعلمه تعالى، فإنه أعلم بثواب المطيع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا خُذُوْا حِذْرَكُمْ أي: احترزوا من العدو فَانْفِرُوْا فاخرجوا إلى العدو ثُبَاتٍ جماعات متفرقة؛ سرية بعد سرية، جمع ثبة، بمعنى جماعة أَوِ انْفِرُوْا جَمِيْعًاO أو اخرجوا إليهم مجتمعين وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لام ابتداء، والله لَيُبَطِّئَنَّ ليأخرن عن القتال، كعبد الله بن أبي المنافق وأصحابه، وإنما عده منكم بحسب الظاهر، وإلا ليس منهم، لأنه منافق فَإِنْ أَصَبَتْكُمْ مُّصِيْبَةٌ كقتل، وهزيمة قَالَ المنافق المبطئ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ مع المؤمنين شَهِيْدًاO حاضرا؛ حتّى أصاب بما أصيبوا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ كفتح وغنيمة مِّنَ اللهِ لَيَقُوْلَنَّ المنافق نادما [ص135] كَأَنْ أي: كأنه لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ معرفة، وصداقة يَّا لَيْتَنِيْ مقولة القول، وما بينهما اعتراضية كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ فُوْزًا عَظِيْمًاO من أخذ الغنيمة فَلْيُقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لإعلاء كلمة الله الَّذِيْنَ أي: المؤمنون، لا المبطلون؛

المنافقون يَشْرُوْنَ يبتغون الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْاخِرَةِ وَمَنْ يُّقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيُقْتَلْ يستشهد أَوْ يَغْلِبْ على عدوه فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًاO ثوابا جزيلا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وقد ظهرت دواعيه وَفِي تخليص الْمُسْتَضْعَفِيْنَ الذين آمنوا بمكة، وصدهم المشركون عن الهجرة مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت أنا وأمي من الولدان والنساء الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ في الدعاء رَبَّنَا أَخرِجنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ أي: مكة الظَّالِمِ أَهْلُهَا أي: المشركون وَاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا الذي يتولى أمرنا وَاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ نَصِيْرًاO ينصرنا عليهم، فاستجاب الله دعاءهم، فيسر لبعضهم الخروج، وبقي بعضهم؛ حتّى فتحت مكة، وولّهم صلى الله عليه وسلم أحسن التولية بعد الفتح، وبعد الخروج عنها، حيث استعمل عتاب بن أسَيد[1]، فأنصف مظلومهم من ظالمهم الَّذِيْنَ آمَنُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ الطَّاغُوْتِ أي: الشيطان فَقَاتِلُوْا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيْفًاOع عند كيد الله بالكافرين أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ كانوا في مكة تتمنون أن يؤذن لهم في القتال قِيْلَ لَهُمْ كُفُّوْا أَيْدِيَكُمْ عن القتال وَأَقِيْمُوْا الصَّلَاةَ وَآتُوْا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ فرض عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ [ص136] بالمدينة إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ من المؤمنين يَخْشَوْنَ النَّاسَ يخافونهم قتالاكَخَشْيَةِ اللهِ نصب على الحال أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً عطف عليه وَقَالُوْا جزعا عن الموت رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فنموت على الفرش، سؤال عن الحكمة في فرض القتال، لا اعتراض على حكمه؛ إذ لم يوبخوا على هذا السؤال، بل أجيبوا بقوله: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ أي: ما يتمتع به في الدنيا قليل، إذ يول إلى الفناء وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى عن مخالفة الله تعالى وَلَا تُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًاO قدر الخيط؛ الذي في شق النواة أَيْنَ مَا كلمة ما زائدة تَكُوْنُوْا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ أي: الحذر لا ينجي من القدر وَلَوْ كُنْتُمْ فِيْ بُرُوْجٍ حصون، أو قصور مُّشَيَّدَةٍ مرفعة وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ خصب، وسعة يَّقُوْلُوْا هٰذِه مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ جدب وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يَقُوْلُوْا هٰذِه مِنْ عِنْدِكَ لشوم قدمك يا محمد! عليك الصلاة والسلام قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لهم كُلٌّ من الحسنة، والسيئة مِنْ عِنْدِ اللهِ من قِبَله فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ استفهام تعجب لَا يَكَادُوْنَ يَفْقَهُوْنَ حَدِيْثًاO لا يقاربون فهم الحديث، فيه مبالغة مَا أَصَابَكَ أيها الإنسان! مِنْ حَسَنَةٍ خير فَمِنَ اللهِ أي: من فضله وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ من ارتكاب نفسك المعاصي، أو بعدم فهمهم هذا الحديث، قالوا: مَا أَصَابَكَ... إلخ [ص137] وَأَرْسَلْنَاكَ يا محمد!

1 – عتاب بن أسَيد: هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن. أمير مكة. أسلم يوم الفتح فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة. أرسل عنه سعيد بن المسيب حديثا خرجوه في السنن. وأقره أبو بكر على مكة فتوفي بها فيما قيل يوم وفاة أبي بكر الصديق، ومات شابا. الذهبي: المرجع السابق. 97/3.

عليك الصلاة والسلام لِلنَّاسِ رَسُوْلًا حال مؤكدة وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًاO على رسالتك مَنْ يُّطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًاO لعملهم بل نذيرا، فيجازيهم بما عملوا وَيَقُوْلُوْنَ أي: المنافقون إذا لاقوك طَاعَةٌ أي: أمرنا طاعة الرسول فَإِذَا بَرَزُوْا خرجوا مِنْ عَنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ اضمر وفكر في النفس مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِيْ تَقُوْلُ في حضورك، أي: عصيناك، أو خلاف ما قلت، والتبييت من البيتوتة، {لأن الأمور تدبر بالليل}[1]، أو من بيت الشعر، بمعنى التدبير والتسوية وَاللهُ يَكْتُبُ يأمر بالكرام الكاتبين كتابته مَا يُبَيِّتُوْنَ في صحائف أعمالهم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ عن انتقامهم وَتَوَكَّلْ ثق عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلًاO الباء زائدة، والوكيل: هو المفوض إليه أَفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ في معانيه، فيعلمون حقا، إنه من عند الله وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوْا فِيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيْرًاO تناقضا وتباينا في النظم والمعنى وَإِذَا جَاءَهُمْ أي: ضعفة المؤمنين، أو المنافقين أَمْرٌ خبر مِّنَ الْأَمَنِ والسلامة أَوِ الْخَوْفِ الخلل من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذَاعُوْا بِهِ أفشوه في سائر الناس وَلَوْ رَدُّوْهُ أي: الخبر إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ أي: الصحابة البصراء في أمر الحرب، الأمراء في الدين لَعَلِمَهُ أي: الخبر الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ يستخرجون أمر الخبر بالتجارب والفطانة من الرسول وأولي الأمر؛ بل يليق بالإفشاء أم لا وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَا تَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيْلًاO [ص138] لم يتبعوا الشيطان، فآمنوا بالعقل، كزيد بن عمر بن نفيل، وورقة بن نوفل، وقيس بن ساعدة وغيرهم فَقَاتِلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في دينه لَا تُكَلَّفُ في القتال إِلَّا نَفْسَكَ أي: قاتل وحدك وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ حثهم على القتال عَسَى اللهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بطشهم وحربهم وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَّأَشَدُّ تَنْكِيْلًاO تعذيبا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرُجَن وَلَوْ وَحْدِي))[2]، فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى، فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومنع أبا سفيان عن الخروج مَنْ يَّشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً شرعية بين الناس يَكُنْ لَّهُ نَصِيْبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَّشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً لم يشرع يَّكُنْ لَّهُ كِفْلٌ نصيب مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيْتًاO مقتدرا وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ أي: سلام عليكم، وأصله مصدر حياك الله على الأحيار من الحياة، ثم استعمل للدعاء، فغلب في السلام، وكانت العرب تقوله عند اللقاء، أي: أطال الله حياتك، فأبدل ذلك في الإسلام بالسلام فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا عليكم السلام ورحمة الله وبركاته أَوْ رُدُّوْهَا بلا زيادة، خص الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والأكل، فلا يجب الرد عليهم؛ بل يكره، والتسليم سنة، والرد فرض كفاية، وما وجد في الإسلام فرض، يكون

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – الجلالين: المرجع السابق. 115/1.

دون رتبة في الثواب من السنة إلا السلام إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًاO^النصف محاسبا، فيطالب بالحقوق اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والله لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إلى بمعنى في، أو ليجمعنكم بمعنى ليحشرنكم [ص139] لَارَيْبَ فِيْهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيْثًاO^ع قولا فَمَا لَكُمْ أي: فما شأنكم أيها المؤمنون! فِي أمر الْمُنَافِقِيْنَ الذين خرجوا من المدينة، ولحقوا بالمشركين فِئَتَيْنِ حال وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ ردهم بِمَا كَسَبُوْا من المعاصي إلى حكم للغد، فلا شك في كفرهم أَتُرِيْدُوْنَ أَنْ تَهْدُوْا مَنْ أَضَلَّ اللهُ تعدوهم من عِداد المهتدين وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلًاO طريقا إلى الهدى وَدُّوْا تمنوا لَوْ تَكْفُرُوْنَ كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ سَوَاءً في الكفر فَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ لا توالوهم، وإن ظهروا الإيمان حَتَّى يُهَاجِرُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ هجرة مصححة لإيمانهم فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الهجرة، وأقاموا على ما هم

عليه فَخُذُوْهُمْ بالأسر وَاقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوْهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ وَلِيًّا توالونه وَلَا نَصِيْرًاO تنصرون به على الأعداء إِلَّا الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ عهد، لا يعينهم؛ ولا يعين عليهم، وهم الأسلميون، وادع هلال ابن عويم الأسلميعلى هذا، فله الأمان، ولمن لجأ إليه أَوْ جَاءُوْكُمْ به حَصِرَتْ صُدُوْرُهُمْ ضاقت عن أَنْ يُّقَاتِلُوْكُمْ مع قومهم أَوْ يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ معكم، فهم الممسكون عن القتال؛ لا معكم ولا معهم، فلا تتعرضوا بالأخذ والقتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف وَلَوْ شَاءَ اللهُ تسليطهم عليكم لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ بإزالة الحصر عن قلوبهم فَلَقَاتَلُوْكُمْ ولكن لم يشأ، فألقى في قلوبهم الرعب فَإِنِ اعْتَزَلُوْكُمْ أي: فإن لم يتعرضوا لكم [ص140] فَلَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ الصلح، والانقياد، والاستسلام فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًاO بالأخذ، والقتل سَتَجِدُوْنَ آخَرِيْنَ هم قوم من أسد وغطفان، إذا جاؤا بالمدينة، أسلموا، وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، وإذا رجعوا إلى قومهم نكثوا عهدهم يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَّأْمَنُوْكُمْ بالنفاق وَيَأْمَنُوْا قَوْمَهُمْ أي: الكفرة بالوفاق كُلَّمَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أي: الشرك، وقتال المسلمين أُرْكِسُوْا فِيْهَا قلبوا فيها أشد انقلابا، وقعوا فيه أشد وقوع فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوْكُمْ بالقتال وَلم يُلْقُوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ الصلح وَلم يَكُفُّوْا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوْهُمْ بالأسر وَاقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوْهُمْ وجدتموهم وَأُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِيْنًاO^ع حجة واضحة لظهور عداوتهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أي: ما ينبغي لمؤمن أَنْ يَّقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً مخطيا من غير قصد وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فعليه عتق نسمة مؤمنة، لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الإحياء، لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار، لأن الرق موت؛ والتحرير إحياء وَّدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ موداة من العاقلة إِلَى أَهْلِهِ أي: ورثة المقتول إِلَّا أَنْ يَّصَّدَّقُوْا أي: ورثة المقتول، الدية على القاتل فَإِنْ كَانَ المقتول مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ به حرب وَهُوَ مُؤْمِنٌ في دار الحرب، ولم يهاجر فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ بلا دية لعدم الوراثة بينهم

وبينه وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ كأهل الذمة فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ رقبة، ولا ما يتوصل به إليها فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ متواليين، عليه شرع ذلك تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا بحاله حَكِيْمًاO فيما أمر في شأنه [ص141] وَمَن يَّقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيْهَا قاصدا قتله لإيمانه، أو قتله مستحلا لقتله ، وهما كفر، وإن يرد بالخلود المكث الطويل فلا حاجة إلى التأويل، أو يقال: خالدا دائما فيها؛ إن جازاه وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ أبعده عن رحمته وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيْمًاO في النار. روي أن مرداس بن نهيك[1] أسلم، ولم يسلم من قومه أحد، فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهربوا، وبقي مرداس ثقة بإسلامه، قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، وكان معه غنمه، فقتله أسامة بن زيد[2]، وقال: ما أسلم إلا تقية، واستاق غنمه، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا ضَرَبْتُمْ سرتم فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوْا فاطلبوا بيان الأمر، وثباته، ولا تعجلوا فيه وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُوْنَ بقتله عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا متاعها فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيْرَةٌ يعينكم عن قتل مثله لماله كَذَالِكَ مثل هذا المقتول كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ أي: في بدء الإسلام عصمتم دما ومالا بمجرد قولكم الشهادة فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوْا افعلوا بالداخلين في الإسلام، كما فعل الله بكم، ولا تبادروا في القتل إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًاO فيجازيكم حسب العمل لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُوْنَ عن الجهاد مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ أهل العذر من مرض، أو أعمى، أو عرج، أو زمانة وَالْمُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ غير أولي الضرر، وقيل: القاعدين لضرر دَرَجَةً وَكُلًّا وَّعَدَ اللهُ الْحُسْنَى الجنة [ص142] وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ غير أولي الضرر، وقيل: المجاهدون الأولون من جاهد الكفار، والآخرون من جاهد نفسه، حيث قال عليه الصلاة والسلام:

---

1 – مرداس بن نهيك: هو مرداس بن عمرو الفدكي، وقال الكلبي: مرداس بْن نهيك وهكذا أخرجه أبو عمر، وقال: إنه فزاري، نزل فِيهِ: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ روى أبو سعيد الخدري، قال: بعث رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلّم سرية فيها أسامة بْن زيد إلى بني ضمرة، فقتله أسامة. ابن الأثير: أسد الغابة: المرجع السابق: 135/5.

2 – أسامة بن زيد رضي الله عنه: أمه أم أيمن واسمها بركة، حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا شديدا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة ابن عشرين سنة. الجوزي: المرجع السابق. 306/5.

((رَجعْنَا مِنَ الجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الجْهَادِ الْأَكْبَرِ))[1] أَجْرًا عَظِيْمًاO دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَّرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO ع نزل فيمن أسلم في مكة، ولم يهاجر إلى المدينة، حين كانت الهجرة فريضة، وخرج مع المشركين إلى بدر مرتدا، فقتل كافرا إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ أي: ملك الموت وأعوانه ظَالِمِيْ أَنْفُسِهِمْ أي: حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة والإسلام قَالُوْا أي: الملائكة فِيْمَ كُنْتُمْ في أيّ شيء كنتم من أمر دينكم؟ قَالُوْا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ عاجزين عن الهجرة فِي الْأَرْضِ أرض مكة، فأخرجونا كارهين قَالُوْا أي: الملائكة أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوْا فِيْهَا فَأُولئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيْرًاO إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ حِيْلَةً للفقر والعجز وَلَا يَهْتَدُوْنَ سَبِيْلًاO ولا معرفة لهم بالمسالك فَأُولئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَّعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُوْرًاO وَمَنْ يُّهَاجِرْفِيْ سَبِيْلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا أي: متحولا ومهاجرا برغم أنوف القدم باطمينانه فيه كَثِيْرًا وَّسَعَةً في الرزق. ونزل في جندب بن ضمرة[2]، حمله بنوه على سريره متوجها إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت، فصفق يمينه على شماله، فقال: اللّهم هذه لك، وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايع عليه رسولك، فمات حميدا وَمَنْ يَّخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ [ص143] الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَان اللهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO ع وَإِذَا ضَرَبْتُمْ سافرتم فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ {إثم في}[3] أَنْ تَقْصُرُوْا مِنَ الصَّلَاةِ الرباعية إلى ركعتين؛ عزيمة غير رخصة، كما قال الشافعي به؛ لقول عمر رضي الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر، على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَّفْتِنَكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: يتعرضوكم بمكروه إِنَّ الكَافِرِيْنَ كَانُوْا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِيْنًاO وَإِذَا كُنْتَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام فِيْهِمْ في الأصحاب فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوْا أي: الذين قاموا معك، وقيل الذين تجاه العدو أَسْلِحَتَهُمْ ضربا فَإِذَا سَجَدُوْا قيدوا الصلاة بالسجود، وقيل بمعنى صلوا فَلْيَكُوْنُوْا أي: الطائفة

1 – الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، (ت: 427هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (ط-1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ / 2002م). 36/7.

2 – جندب بن ضمرة: الليثي، هو جندب بن ضمرة. وقيل: جندع بن ضمرة وهو المشهور. عن ابن عباس قال: كان رجل من بني ليث اسمه جندب بن ضمرة الليثي، وكان ذا مال، وكان له أربعة بنين. أبو نعيم: أحمد بن عبد الله، الأصبهاني، (ت: 430هـ). معرفة الصحابة: (ط-1، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419هـ / 1998م). 586/2.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

الأخرى، الذين لم يصلوا بعد مِنْ وَّرَائِكُمْ أيها المصلون! حارسين لكم عن العدو وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوْا معك فَلْيُصَلُّوْا مَعَكَ كالطائفة الأولى وَلْيَأْخُذُوْا حِذْرَهُمْ دروعهم وَأَسْلِحَتَهُمْ وتذهب الطائفة التي صلت معك، تحرس عن العدو، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: يجعل الإمام أمة نحو العدو، وصلى بالأخرى ركعة في السفر، وركعتين في الحضر، ومضت هذه إليه، وجاءت تلك، وصلى لهم ما بقي، وسلم وحده، وذهبت إليه، وجاءت الأولى، وأتمت صلاة بلا قراءة، ثم الأخرى بقراءة. هذا هو المذكور في كتبنا، وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع؛ وببطن النخل وَدَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ تَغْفُلُوْنَ حين إقامة الصلاة عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيْلُوْنَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَّاحِدَةً بأن [ص144] يحملوا عليكم جملة واحدة فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوْا حِذْرَكُمْ كيلا يهجم عليكم العدو إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًاO وعد بنصر المؤمنين بعد الحزم فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ بالتسبيح والتهليل، أو صلوا على الأحوال الثلاث، أعني: قِيَامًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلَى جُنُوْبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ سكنتم بزوال الخوف فَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ أتموها بطائفة واحدة إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَابًا مَّوْقُوْتًاO مفروضا بأوقات محدودة. لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد، وكانوا مجروحين؛ فيرى فيهم من الوهن، نزل: وَلَا تَهِنُوْا لاتضعفوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ طلب العدو إِنْ تَكُوْنُوْا أيها المؤمنون! تَأْلَمُوْنَ من الجروح فَإِنَّهُمْ أي: العدو يَأْلَمُوْنَ من الجروح كَمَا تَأْلَمُوْنَ وَالحال أنكم تَرْجُوْنَ مِنَ اللهِ مَا نصرا وثوابا لَا يَرْجُوْنَ أي: العدو، فينبغي أن لا تهنوا أبدا وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا بمال أمركم حَكِيْمًاO ع بما يفضيكم إلى ما علمه من الحال. سرق طعمة بن أبيرق[1] من بني ظفر درع، جازه قتادة بن نعمان[2] في جراب دقيق، وانتشر الدقيق من خرق، فيه وخباءها عند زيد بن سمنين اليهودي، فالتمس الدرع عن طعمة، فلم يجد، وحلف على عدم الأخذ والعلم به، واتبعوا أثر الدقيق، فأخذوا اليهودي، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد ناس من اليهود عليه، فقال بنو ظفر للنبي صلى الله عليه وسلم [ص145] أن يجادل عن صاحبهم، أي: طعمة السارق، وقالوا إن

---

1 – طعمة بن أبيرق: هو طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو. شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدرا، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة، وقيل: أبو طعمة بشير بن أبيرق الأنصاري. ابن الأثير: أسد الغابة، المرجع السابق. 73/3.

2 – قتادة بن نعمان: هو قتادة بن نعمان ابن زيد بن عامر بن سواد بن كعب بن الخزرج الظفري، وظفر هو كعب بن الخزرج. الفسوي: يعقوب بن سفيان بن جوان، ، أبو يوسف، (ت: 277هـ). المعرفة والتاريخ: (ط–2، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ / 1981م). 320/1.

لم تفعل يهلك صاحبنا، ويرى اليهودي، فهمّ أن يفعل، فنزل: إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ أي: عرفك وَلَا تَكُنْ لِّلْخَائِنِيْنَ أي: لأجلهم خَصِيْمًاO مخاصما وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مما هممت به إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاOوَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِيْنَ يَخْتَانُوْنَ أَنْفُسَهُمْ أي: الطعمة ومن عاونه من قومه؛ يخونون أنفسهم بالمعصية، لأن الضرر راجع إليهم إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيْمًاO مبالغة في الخيانة، فإن الطعمة ارتد، وهرب إلى مكة، ونقب حائطا ليسرق أهله، فسقط الحائط عليه، فقتله يَّسْتَخْفُوْنَ مِنَ النَّاسِ يستترون خوفا وحياءا منهم وَلَا يَسْتَخْفُوْنَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ عالم بهم، لا يخفى عليه خافية إِذْ يُبَيِّتُوْنَ يدبرون ليلا مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ من التدبير وهو إلقاء الدرع في بيت يهودي، حتّى يحلف أنه لم يسرقها وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطًاO عالما علم إحاطة هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ خاصمتم عَنْهُمْ عن طعمة وقومه فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُّجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إذ أخذ الله تعالى بعذابه إياهم أَمْ مَّنْ يَّكُوْنُ عَلَيْهِمْ وَكِيْلًاO حافظا ومحاميا عن بأس الله وعذابه وَمَنْ يَّعْمَلْ سُوْءًا غير الشرك أَوْ يَظْلِمْ بالشرك نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO وَمَنْ يَّكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ فلا يتعداه وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا بكسبه حَكِيْمًاO بجزائه وَمَنْ يَّكْسِبْ خَطِيْئَةً صغيرة، [ص146] أو ما لا عمد فيه أَوْ إِثْمًاكبيرة، أو ما كان بالعمد ثُمَّ يَرْمِ بِهِ أحدا بَرِيْئًا منه كطعمة رمَى بزيد اليهودي، وبرئ نفسه من السرقة فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَّإِثْمًا مُّبِيْناًOع بيّنا بكسبه وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ قصدت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ بني ظفر أَنْ يُّضِلُّوْكَ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك وَمَا يُضِلُّوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوْنَكَ مِنْ شَيْءٍ من زائدة، لأن وبال إضلالهم عليهم وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من الأحكام والغيب وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمًاO[الثلاثة] حيث حفظك عن الجدال لَا خَيْرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ حديثهم في السر إِلَّا نجوى مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْمَعْرُوْفٍ عمل بر أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ المذكور ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ طلب رضائه؛ لا لغيره من أمور الدنيا فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًاOوَمَنْ يُّشَاقِقِ الرَّسُوْلَ يخالفه فيما جاء به من الحق مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى بالمعجزات وَيَتَّبِعْ طريقا غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ أي: الذين نُوَلِّهِ نجعله واليا مَا تَوَلَّى من الضلال، ونخلي بينه وبين ما اختاره من الضلال وَنُصْلِيْهِ ندخله جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْرًاOع مرجعا هي، أي: جهنم إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُّشْرَكَ بِهِ ناظرا إلى ارتداد طعمة وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَالِكَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيْدًاO عن الحق والاهتداء إِنْ نافية يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا إِنَاثًا جمع أنثى، [ص147] أي: اللات والعزى ومنات، قالوا: هي بنات الله، أو أنثى بني فلان وَإِنْ يَّدْعُوْنَ ما يعبدون إِلَّا شَيْطَانًا لأنه المغوي مَرِيْدًاO خارجا عن الطاعة، عاريا عن الخير لَعَنَهُ اللهُ صفة ثانية للشيطان، أبعده

عن رحمته وَقَالَ الشيطان لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ يا الله نَصِيْبًا حظا مَّفْرُوْضًاO مقطوعا، فأخذ من كل ألف تسع مائة وتسع وتسعون، وواحد لله وَلَأُضِلَّنَّهُمْ عن الحق بالوسوسة وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ أي: ألقينَّ في قلوبهم الأماني الباطلة، طول الحياة في الشهوات، وأن لا بعثة ولا حساب هناك وَلَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ فليقطعن آذَانَ الْأَنْعَامِ أي: يأمرهم الشيطان أن يقطعوا آذان النوق، إذا ولدت خمسة البطن، وجاء الخامس ذكرا، وحرموا الانتفاع عنها على أنفسهم وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ أي: دينه بتحليل ما حرم الله؛ وبتحريم ما أحله وَمَنْ يَّتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا يطيعه مِّنْ دُوْنِ اللهِ {من غيره}[1] فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِيْنًاO لمصيره إلى النار المؤبدة يَعِدُهُمْ طول العمر ما لا ينالون وَيُمَنِّيْهِمْ نيل الآمال، وأن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ بذلك إِلَّا غُرُوْرًاO باطلا مُمَوَّهًا أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُوْنَ عَنْهَا مَحِيْصًاO مفرًا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا مصدر حقه حقا، الأول مؤكد لنفسه؛ والثاني لغيره وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيْلًاO أي: قولا لَيْسَ الأمر منوطا [ص148] بِأَمَانِيِّكُمْ أيها المسلمون! حيث افتخروا الجاهلية بينهم؛ وقضاء كتابهم على الكتب السابقة وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ وأهل الكتاب افتخروا بتقدم أنبيائهم، وكتبهم، وأنهم أحباؤه وأبناؤه، وقيل: خطاب لمشركي مكة وأمانيهم، قولهم: لا جنة ولانار ولا بعث ولا حساب، أو يشفعنا الأصنام؛ بل الأمر منوط بالعمل الصالح مَنْ يَّعمَلْ سُوْءًا يُّجْزَ بِهِ في الدنيا، أو في الآخرة وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلِيًّا يحفظه وَلَا نَصِيْرًاO يمنعه من عذاب الله تعالى وَمَنْ يَّعْمَلْ شيئا مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُوْنَ نَقِيْرًاO قدر نقرة النواة وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْنًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ أي: لا أحد أحسن دينا؛ ممن انقاد وأخلص نفسه لله وَهُوَ مُحْسِنٌ موحد وَاتَّبَعَ مِلَّةَإِبْرَاهِيْمَ أي: الإسلام حَنِيْفًا مائلا عن كل دين إلى الدين القيم وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًاO صفيا، خالص المحبة وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًاOع علما وقدرة وَيَسْتَفْتُوْنَكَ فِي النِّسَاءِ يطلبون منك الفتوى في شأن ميراثها قُلِ لهم اللهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أي: القرآن من آية المواريث أيضا، يفتي فِيْ يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِيْ لَا تُؤْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ فرض لَهُنَّ من الميراث وَتَرْغَبُوْنَ أيها الأولياء في أَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ لجمالهن وتأكلوا مالهن، أو ترغبون عن أن تنكحوهن [ص149] من أحد لدمامتهن، أي: يقبحهن حتّى يتوفاهن الموت، فتأكلوا لميراثهن وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ أي: الصغار مِنَ الْوِلْدَانِ ففي الكل يفتيكم أن تعطوهم حقوقهم وَأَنْ تَقُوْمُوْا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ بالعدل في الميراث والمهر وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيْمًاO فيجازيكم عليه وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا زوجها نُشُوْزًا أي: ترفعا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

عليها بترك مصاحبتها، والتقصير في نفقتها، وطمح عينه إلى أجمل منها، وإيذائها بالضرب والشتم أَوْ إِعْرَاضًا عنها بوجه، بأن لا يتكلم ولا يوانس بسبب كبر سن، أو دمامة وجهها، أو سوء في خَلق أو خُلق فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُّصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا بحط في مهر، أو قسم، أو هبة شيء استمالة إليها وَالصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة والنشوز والإعراض، أو خير من الجور وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ أي: جبلت الأنفس على البخل، فلا تغيب عنه، أي: كل واحد من المرأة والزوج لا تسامح بالحق، بل بالطبع يطالب ما فيه راحته، لكن ينبغي أن يترك مقتضى النفس والطبع، ويأخذ بما يؤمر من الشرع، وهو قوله: وَإِنْ تُحْسِنُوْا حسن المعاشرة مع النساء وَتَتَّقُوْا عن إذاهن فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًاO فيجازيكم به وَلَنْ تَسْتَطِيْعُوْا أَنْ تَعْدِلُوْا تسووا بَيْنَ النِّسَاءِ والعدل يقتضي الاستواء وَلَوْ حَرَصْتُمْ بالغتم في تحري ذلك فَلَا تَمِيْلُوْا كُلَّ الْمَيْلِ من المرغوبة عنها إلى المرغوبة فيها فَتَذَرُوْهَا أي: المرغوبة عنها كَالْمُعَلَّقَةِ لا هي ذات زوج ولا هي أيّم، بل قدر المستطاع لا يترك، وغير المستطاع مفوض إليه تعالى، كما روي عنه عليه السلام بعد القسمة: ((هَذِهِ قِسْمِيْ فِيْمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَأْخُذْنِيْ فِيْمَا لَا أَمْلِكُ))[1]، أي: محبة عائشة رضي الله عنه [ص150] وَإِنْتُصْلِحُوْا بالعدل في القسم وَتَتَّقُوْا جورهن فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوْرًا بالميل الطبعي بعد العدالة في القسم رَحِيْمًاO عليكم فيه وَإِنْ يَّتَفَرَّقَا أي: الزوجان بالطلاق يُغْنِ اللهُ كُلًّا عن صاحبه مِنْ سَعَتِهِ من فضله وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا في الفضل حَكِيْمًاO في التدبير وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ والمتملكون عبيدا رقاء وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ أي: اليهود والنصارى مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ يا أهل القرآن! أَنِ اتَّقُوا بأن اتقوا اللهَ أي: خافوا فأطيعوا وَإِنْ تَكْفُرُوْا بالوصية فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فلا يضره كفركم بوصية وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا عن خلقه، وعن عبادتهم حَمِيْدًاO محمودا في الصنع وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ كرّر تأكيدا وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلًاO فلا يتوكلوا على غيره إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ يعدمكم أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِيْنَ مكانكم وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَالِكَ قَدِيْرًاO بليغ القدرة مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا كالمجاهد للغنيمة فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فلم لا يطلب الأعلى، ويقصر على الأدنى؟ وَكَانَ اللهُسَمِيْعًا دعائكم بَصِيْرًاOۤ بحالكم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا كُوْنُوْا قَوَّامِيْنَ بِالْقِسْطِ مجتهدين بالعدل، لا يشوب به جور شُهَدَاءَ بالحق لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولو كانت الشهادة على أنفسكم أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِنْ يَّكُنْ المشهود عليه غَنِيًّا لا يقام الشهادة عليه؛ طلبا لرضاه أَوْ فَقِيْرًا رحمة عليه؛ لا يقام الشهادة [ص151] عليه فَاللهُ أَوْلَى أعلم

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، وتمامه بهذه الكلمات: ((اللَّهُمَّ هَذَا فِعْلِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيْمَا لَا أَمْلِكُ)). ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، (ت: 354هـ). صحيح ابن حبان: (ط–2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/ 1993م).5/10. رقم الحديث: 4205.

بِهِمَا بمصالح؛ بالغني والفقير منكم فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى بكتمها في حقهما إرادة أَنْ تَعْدِلُوْا من العدل، أو من العدول كما قيل وَإِنْ تَلْوُوْا ألسنتكم عن شهادة الحق، بواوين وسكون اللام من الليّ أَوْ تُعْرِضُوْا عن أدائها فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًاO فيجازيكم به يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا آمِنُوْا بالإخلاص، أو الدوام، أو التمام بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَالْكِتَابِ أي: القرآن الَّذِيْ نَزَّلَ عَلَى رَسُوْلِهِ أي: محمد صلى الله عليه وسلم وَالْكِتَابِ الَّذِيْ أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ التوراة والإنجيل وغيرهما وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيْدًاO عن الحق إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بموسى عليه السلام ثُمَّ كَفَرُوْا حين عبدوا العجل ثُمَّ آمَنُوْا بموسى عليه السلام ثُمَّ كَفَرُوْا بعيسى عليه السلام ثُمَّ ازْدَادُوْا كُفْرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ما أقاموا عليه وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيْلًاO إلى الحق بَشِّرِ الْمُنَافِقِيْنَ يا محمد! عليكالصلاة والسلام اخبرهم بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاO الَّذِيْنَ نصب على الذم، أو بدل من المنافقين، أو نعت منهم، أو رفع، أي: هم الذين يَتَّخِذُوْنَ الْكَفِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ بما يرى في ظاهرهم من القوة مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ لضعفهم في الظاهر أَيَبْتَغُوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ أ يطلبون الغلبة عند الكفار فَإِنَّ الْعِزَّةَ كلها لِلّٰهِ جَمِيْعًاO وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ في سورة الأنعام أَنْ مخففة، أي: أنه إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ أي: القرآن يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوْا مَعَهُمْ مع الكافرين؛ المستهزئين حَتَّى يَخُوْضُوْا يشرعوا [ص152] فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهِ غير الكفر، والاستهزاء إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ في الوزر إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ فِيْ جَهَنَّمَ جَمِيْعًاO لاجتماعهم في الكفر، والاستهزاء الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُوْنَ ينتظرون بِكُمْ وقوع أمر فَإِنْ كَانَ لَكُم فَتْحٌ ظفر وغنيمة مِّنَ اللهِ قَالُوْا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ مظاهرين، فأشركونا في الغنيمة وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيْبٌ من الظفر عليكم قَالُوْا للكفار أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ نغلب، ونتمكن على قتلكم، فأبقيناكم وَأَلم نَمْنُعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أن تظفروا عليكم، فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ أيها المؤمنون، والمنافقون! يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالجنة، والنار وَلَنْ يَّجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًاOع إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ يُخَادِعُوْنَ اللهَ بإظهارهم خلاف ما أبطنوه؛ ليدفعوا عن أنفسهم أحكامه الدنيوية وَهُوَ خَادِعُهُمْ بالإفضاح؛ بالاطلاع في الدنيا على سرائرهم، وبالعقاب في الآخرة وَإِذَا قَامُوْا إِلَى الصَّلَاةِ مع المؤمنين قَامُوْا كُسَالَى متثاقلين كراهة يُرَاءُوْنَ النَّاسَ فلا يصلون في غيب الناس وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللهَ يصلونه، أو يسبحونه، أو يهللونه إِلَّا قَلِيْلًاO رياءا، ولو كان القليل بالإخلاص لكان كثيرا مُّذَبْذَبِيْنَ مترددين بَيْنَ ذَالِكَ الكفر، والإيمان لَا منسوبين إِلَى هَؤُلَاءِ أي: الكفار وَلَا منسوبين إِلَى هَؤُلَاءِ أي: المؤمنين وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلًاO إلى الهدى يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَخِذُوا الْكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ كما هو دأب المنافقين مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ أَتُرِيْدُوْنَ أَنْ تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِيْنًاO حجة بينة على نفاقكم، فإن موالاتهم دليل النفاق، فيعذبكم [ص153]

مثل تعذيبهم إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ هو قعر جهنم، لأنهم ضموا مع الكفر الخدع، والتورية وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًاO يخرجهم إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا عن النفاق وَأَصْلَحُوْا ما أفسدوا في حالة النفاق وَاعْتَصَمُوْا بِاللهِ وثقوا به تعالى وَأَخْلَصُوْا من الرياء دِيْنَهُمْ للهِ فَأُولٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ في الدارين وَسَوْفَ يُؤْتِي اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَجْرًا عَظِيْمًاO الجنة مَا أي: شيء يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ بنعمه وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا يقبل اليسير، ويعطي الجزيل عَلِيْمًاO بكمية شكركم، وكيفية إيمانكم.

لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ من أحد إِلَّا مَنْ ظُلِمَ إلا ممن ظلم، وقيل: الأجهر من ظلم فلا يؤاخذه بالجهر به، بأن يدعو عليه وَكَانَ اللهُ سَمِيْعًا لما يقول المظلوم عَلِيْمًاO بما فعل الظالم إِنْ تُبْدُوْا خَيْرًا طاعة، وبرا أَوْ تُخْفُوْهُ أَوْ تَعْفُوْا عَنْ سُوْءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيْرًاO أي: الخير بالإبداء، والإخفاء، والعفو عن ظلم الظالم؛ لا يستويان، فإن الثاني لم يزل صفته تعالى مع قدرته على الانتقام، فتخلقوا بأخلاقه في العفوإِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيْدُوْنَ أَنْ يُّفَرِّقُوْا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ بأن يؤمنوا به دونهم وَيَقُوْلُوْنَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَّنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَّيُرِيْدُوْنَ أَنْ يَّتَّخِذُوْا بَيْنَ ذَالِكَ الكفر، والإيمان سَبِيْلًاO دينا وسطا، ولا واسطة بينهما أُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُوْنَ حَقًّا تأكيد لمضمون الجملة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًاO ذا إهانة في الآخرة وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهِكلهم وَلَمْ يُفَرِّقُوْا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ لا بين الله ورسله، ولا بين بعض من الرسل دون بعض أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيْهِمْ أُجُوْرَهُمْ ثواب أعمالهم وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO [ص154] يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ هو فخاص اليهودي وأصحابه، سألوا النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا: إن كنت نبيا صادقا في دعواك فآتنا كتابا من السماء جملة واحدة، كالتوراة لموسى عليه السلام أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ إن استكبرت سؤالهم فَقَدْ سَأَلُوْا أي: آباؤهم: {وهم النقباء السبعون}[1] مُوْسَى أَكْبَرَ أعظم مِنْ ذَالِكَ فَقَالُوْا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً عيانا في الدنيا بهذه الجارحة فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ النار المحرقة؛ عقابا لهم، فأهلكتهم بِظُلْمِهِمْ بالسؤال تعنتا؛ لا بسؤال الرؤية، فإنها ممكنة، حيث علقت على ممكن في جواب موسى، ثم أحييناهم ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إلٰها مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُالْبَيِّنَاتُ المعجزات على التوحيد فَعَفَوْنَا عَنْ ذَالِكَ ولم نستاصلهم وَآتَيْنَا مُوْسَى سُلْطَانًامُّبِيْنًاO حجة ظاهرة، فأمرهم أن يتوبوا عن اتخاذ العجل الٰها بقتل نفوسهم، فامتثلوا به وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ الجبل بِمِيْثَاقِهِمْ ليخافوا، فيقبلوا الميثاق وَقُلْنَا لَهُمْ على لسان موسى عليه السلام، والجبل يظل ادْخُلُوا الْبَابَ باب إيليا سُجَّدًا انحناءا وَّقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا لا تجاوزوا الحد فِي السَّبْتِ باصطياد الحيتان فيه وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًاO قالوا: سمعنا، وأطعنا، لا نصطاد، فنقضوا عهدهم فَبِمَا نَقْضِهِمْ ما زائدة، والباء للسببية، متعلق بمحذوف، أي: فعلنا بهم؛ ما فعلنا بسبب نقضهم، أو لعنا هم بسبب هذا، وقيل: متعلق لقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰتٍ...﴾[2] مِيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ أي: بمعجزات موسى عليه السلام، أو القرآن، أو التوراة وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ كزكريا، ويحيى عليهما السلام بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ لنبيهم قُلُوْبُنَا [ص155] غُلْفٌ جمع أغلف، أي: محجوبة، لا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة النساء، الآية: 160.

تعي وعظك بَلْ طَبَعَ اللهُ ختم عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ إِلَّا قَلِيْلًاO كعبد الله بن سلام، وأصحابه وَبِكُفْرِهِمْ ثانيا: بعيسى عليه السلام وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًاO وهو الرمي بالزنا وَقَوْلِهِمْ مفتخرين إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ في زعمهم، وهو إما بمعنى: ما مسح المريض فيبرء، أو بمعنى: ممسوح يد جبرائيل بالبركة عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللهِ قالوا ذلك استهزاءا وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَاصَلَبُوْهُ في نفس الأمر وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ المقتول، هو: طيطابوس اليهودي، المشبه بعيسى عليه السلام وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍ مِّنْهُ من قتله، لما رأوا وجه المصلوب، قالوا: هو عيسى عليه السلام، ولما رأوا بدنه وجسده، قالوا: هو صاحبنا، فاختلفوا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ استثناء منقطع، وذلك بإمارة دلت عليه وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًاO بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ إلى محل كرامته، أو إلى السماء الرابعة وَكَانَ اللهُ عَزِيْزًا في التقدير حَكِيْمًاO بالتدبير وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أحد إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ أي: بعيسى عليه السلام في آخر الزمان قَبْلَ مَوْتِهِ موت عيسى عليه السلام، حين ينزل من السماء، بأنه عبد الله ورسوله، حتّى تكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام، ويقع الأمنة، فيموت، ويصلى عليه، فيدفن {في حجرة عائشة رضي الله عنها}[1] وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُوْنُ عيسى عليه السلام عَلَيْهِمْ شَهِيْدًاO بتكذيبهم له، وبهتانهم عليه، بقولهم: ابن الله فَبِظُلْمٍ عظيم مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ قال الله تعالى في الأنعام: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ...﴾[2] وَبِصَدِّهِمْ الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه صدا كَثِيْرًاO وَّأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ [ص156] نُهُوْا عَنْهُ في التوراة وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بالرشي، وسائر الأبواب الممنوعة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاO في الآخرة لٰكِنِ الرَّاسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ كعبد الله بن سلام وَالْمُؤْمِنُوْنَ من الأنصار، والمهاجرين يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أي: القرآن وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ من الكتب السماوية وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلَاةَ منصوب على المدح وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ مبتداء وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ خبر مبتداء سَنُؤْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًاOع أي:الجنة إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰنُوْحٍ وَّالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَكما أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ ابنيه وَيَعْقُوْبَ ابن إسحاق وَالْأَسْبَاطِ أولاد يعقوب وَعِيْسَى وَأَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهَارُوْنَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا أباه دَاوُوْدَ زَبُوْرًاO وَإنا أرسلنا رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ هذه السورة وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ بلا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 146.

واسطة مُوْسَى تَكْلِيْمًاO قال عليه الصلاة والسلام في جواب أبي ذر الغفاري[1]، حين سأل عن الأنبياء، هم:((مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ))، وعن الرسل، هم: ((ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ))[2] رُسُلًا منصوب على المدح مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ للأمم لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إرسال الرُّسُلِ لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولا، فيوقظنا عن سنة الغفلة، فيما سوى أن يعرف بالعقل كالأصول وَكَانَ اللهُ عَزِيْزًا في ملكه حَكِيْمًاO في صنعه لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ يبين نبوتك؛ وإن أنكرك اليهود بِمَا بالقرآن؛ الذي أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ إنك [ص157] أهل لإنزال الكتاب عليك وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُوْنَ بنبوتك وَكَفَى بِاللهِ شَهِيْدًاO وإن لم يشهد غيره تعالى إِنَّ الَّذِيْنَ أي: اليهود كَفَرُوْا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وَصَدُّوْا الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه؛ بإخفاء نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراةقَدْ ضَلُّوْا ضَلَالًا بَعِيْدًاO عن الحق إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالله وَظَلَمُوْا بكتمان نعت نبيه لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيْقًاO من الطرق إِلَّا طَرِيْقَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ مقدرين الخلود فِيْهَا إذا دخلوا أَبَدًا وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرًاO هيّنا يَا أَيُّهَا النَّاسُ أهل مكة! قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُوْلُ أي: محمد صلى الله عليه وسلم بِالْحَقِّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَآمِنُوْا به، واقصدوا خَيْرًا لَّكُمْ أي: التوحيد وَإِنْ تَكْفُرُوْا به تعالىفَإِنَّ لِلّٰهِ ملكا وخلقا وعبيدا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلا يضره كفركم وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا بمن يؤمن، ومن لا يؤمن حَكِيْمًاO بأن التوحيد خير لكم من كل شيء يَا أَهْلَ الْكِتَابِ أي: اليهود، والنصارى لَا تَغْلُوْا فِيْدِيْنِكُمْ لا تتجاوزوا الحد في أمر المسيح، غلت اليهود، حيث قالوا: ابن الزنا، وغلت النصارى، حيث قالوا: ابن الله وَلَا تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ إِلَّا القول الْحَقَّ التنزيه عن الشرك، والولد إِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عطف بيان رَسُوْلُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ يهتدي به، كالكلمة النافعة أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ حصلها فيها وَرُوْحٌ مِّنْهُ بتخليقه، يورث حياة القلب، كالروح يورث حياة الجسد، أضيف إليه تعالى تشريفا فَآمِنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُوْلُوْا الالٰهة ثَلَاثَةٌ الله، وعيسى، ومريم إِنْتَهُوْا عن التثليث، واقصدوا [ص158] خَيْرًالَّكُمْ أي: التوحيد إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ سُبْحَانَهُ تنزيها له عن أَنْ يَّكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ملكا، فكيف يجتمع الملك والنبوة في عيسى عليه السلام؟ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلاًOع فلا يحتاج إلى ولد، يكل أمره إليه. قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لم تعيب صاحبنا عيسى عليه السلام بالعبودية؟ فنزل لَنْ يَّسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ أي: لن يأنف؛ ويتكبر أَنْ

---

1 – أبو ذرّ الغفاريّ: الزاهد المشهور الصادق اللهجة. مختلف في اسمه. والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن. وقيل: عبد اللّه. وقيل: اسمه بربر، وقيل: بالتصغير. العسقلاني: المرجع السابق. 105/7.

2 – الحاكم: المصدر السابق. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، وقد ذكر المرسلين منهم وهب بن منبه في الحديث الذي، رقم الحديث: 4166، 652/2.

يَّكُوْنَ المسيح عَبْدًا للهِ رد على النصارى وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُوْنَ رد على طائفة يعبدون الملائكة، وتمسك به من ذهب إلى فضل خواص الملائكة؛ على خواص البشر، إذ المقام يقتضي التدريج إلى الأعلى، والجواب: إنهم أعلى منه في نفي الوالدين وَمَنْ يَّسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيْعًاO فيجازيهم على استنكافهم، واستكبارهم فَأَمَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيْهِمْ أُجُوْرَهُمْ ثواب أعمالهم، وَيَزِيْدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ((مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[1] وَأَمّا الَّذِيْنَ اسْتَنْكَفُوْا عن عبادته وَاسْتَكْبَرُوْا من عبوديته فَيُعَذِّبُهُمْ الله عَذَابًا أَلِيْمًاO عذاب النار وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ من غيره تعالى وَلِيًّا يدفع عنهم العذاب وَلَا نَصِيْرًاO يمعنهم عن عذاب الله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ أي: النبي صلى الله عليه وسلم، فهو حجة تقحم المنكر بالمعجزات مِنْ رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوْرًا قرآنا مُّبِيْنًاO ظاهرا فَأَمَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوْا بِهٖ بالله، أو القرآن فَسَيُدْخِلُهُمْ فِيْ رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَّيَهْدِيْهِمْ يرشدهم إِلَيْهِ إلى الله تعالى صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًاO أي: الإسلام. كان جابر بن عبد الله الأنصاري[2] مريضا، [ص159] فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني كلالة، فكيف أصنع مالي؟ فنزلت: يَسْتَفْتُوْنَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا فاعل فعل، يفسره ما بعده هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ صفة، وهو على ظاهره، ولا له والد، كما في السنة وَلَهُ أُخْتٌ من أبوين، أو أب فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ الميت، وإن كانت يرث مع البنت، لكن لا النصف على الفرضية وَهُوَ أي: الأخ في العكس يَرِثُهَا جميع المال إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ وهو على ظاهره، ولا له والد، وإن كان يرث مع البنت؛ لكن لا الجميع، فإن البنت في الصورتين لا تسقط الأخ ولا أخت، لكن النصف على الفرضية في الأول، والجميع في الثاني عند عدم الابن والبنت والأب فَإِنْ كَانَتَا الأختان اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَا تَرَكَ الميت وَإِنْ كَانُوْا أي: الورثة إِخْوَةً أي:

---

1 – البخاري: المرجع السابق. كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث: 3244، 118/6، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، رقم الحديث:4779، 115/6، وباب قوله: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، رقم الحديث: 4780، 116/6، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ}، رقم الحديث: 7498، 144/9.

2 – جابر بن عبد الله الأنصاري: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ممن شهد العقبة وهو غلام شاب مع أبيه وله عقب. البغوي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم، (ت : 317هـ). معجم الصحابة: (ط-1، تحقيق: محمد الأمين بن محمد، مكتبة دار البيان، الكويت، 1421هـ / 2000م). 438/1.

الإخوة والأخوات، فذكر إخوة تغليبا للذكور على الإناث رِجَالًا وَّنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ منهم مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الحق، كراهة أَنْ تَضِلُّوْا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ع عن البراء. إنها آخر آية نزلت في الأحكام.

سورة المائدة مكية قيل مدنية، وهي مائة وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله، أي: ما أحل الله، وما حرم، وما حد في القرآن كله، وكذلك ما كان بينكم وبين الناس أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ هي كل ذات قوائم أربع في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي الأزواج الثمانية إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ تحريمه، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...﴾[1] غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ حال من لكم وَأَنْتُمْ حُرُمٌ محرمون، جمع حرام، وهو المحرم، وهو حال من محلي الصيد، أي: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال [ص160] امتناعكم عن الصيد في الإحرام، لئلا يضيق عليكم إِنَّ اللهَ يَحْكُمْ من الأحكام مَا يُرِيْدُO لا اعتراض عليه. لما همّ المسلمون أن يتعرضوا حجاج اليمامة[2]، وفيهم شريح بن ضبيعة[3]، وقد استاق سرح المدينة، نزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللهِ لا تهاونوا بكرامتها بالحيلولة بينها وبين من تنسك، جمع شعيرة، وهي اسم ما يشعر، أي: جعل إعلاما للحج ونسكه وَلَا الشَّهْرَ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة المائدة، الآية: 3.

2 – اليمامة: أرض اليمامة حجر وهي مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها وإليها تجلب الأشياء، ثم جوُّ وهي الخضرمة وهي اليمامة وهي من حجر على يوم وليلة وفيها بنو سحيم وبنو ثمامة وبنو عامر بن حنيفة وبنو عجل، والعرض وهو واد باليمامة من أعلاها إلى أسفلها. الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، ابن الحائك، أبو محمد، (ت: 334هـ). صفة جزيرة العرب: (مطبعة بريل، ليدن، 1884م). 161/1.

3 – شريح بن ضبيعة: قال ابن الكلبي: إنما سمي شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة الحطم لقوله: قد لفها الليل بسواق حطم، فسمي الحطم يومئذ. الدار قطني: علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن البغدادي، (ت: 385هـ). المؤتلف والمختلف: (ط–1، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ / 1986م). 2031/4.

الْحَرَامَ أي: أشهر الحج بالقتال فيه وَلَا الْهَدْيَ بالتعرض له وَلَا الْقِلَائِدَ جمع قلادة، وهي ما قلّد به الهدي من نعل أو غيره، أي: ذوات القلائد، أي: البدن بالتعرّض لها ولأصحابها وَلَا آمِّيْنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قاصدين إليه بالقتال معهم يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا رزقا، أو ثوابا مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ من الإحرام فَاصْطَادُوْا أبيح بعد الحظر وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يكسبنكم شَنَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عداوتهم، نشأت لكم بسبب أن صدوكم عام الحديبية أن تعمروا أَنْ تَعْتَدُوْا مفعول ثان لَيَجْرِمَنَّكُمْبالقتل عليهم؛ والانتقام منهم وَتَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ ما أمرتم به وَالتَّقْوَى ما نهيتم عنه وَلَا تَعَاوَنُوْا بحذف إحدى التائين عَلَى الْإِثْمِ ترك المأمور وَالْعُدْوَانِ فعل المحظور وَاتَّقُوا اللهَ خافوا عذابه إِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO[الربع] لمن خالف حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ أي: أكلها، وهي التي ماتت حتف أنفها وَالدَّمُ المسفوح وَلَحْمُ الْخِنْزِيْرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ رفع صوت اسم غير الله عند ذبحها وَالْمُنْخَنِقَةُ التي تخنق، فتموت وَالْمَوْقُوْذَةُ التي تضرب بالخشب، فتموت وَالْمُتَرَدِّيَةُ التي تردي من الجبل وَالنَّطِيْحَةُ التي تنطحها الأخرى وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ بعضها، وماتت بجرحها [ص161] إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ ذبحتم، وبه روح من هذه الأقسام الخمسة وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ واحد الأنصاب، أو جمع نصاب، وهي أحجار حول البيت، يذبحون عليها، ويعدّون ذلك قربة وَحرم عليكم أَنْ تَسْتَقْسِمُوْا بِالْأَزْلَامِ واحدها زلم، أي: قدح، لا ريش ولا نصل له، كانت عند سادن الكعبة، والاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم لهم؛ مما لم يقسم لهم بالقداح المعلمة، يأمرني ربي ونهاني ربي، والغُفْل فيأخذ بالأوّل، ويمسك عن الثاني، ويعيد بالثالث ذَالِكُمْ فِسْقٌ أي: الكل خروج عن الطاعة، نزل: الْيَوْمَ أي: الآن يَئِسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ أن ترتدوا بعد طمعهم فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ أي: أحكامه، فلم ينزل بعد ذلك حلال، أو حرام وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ بإكمال الدين، وفتح مكة، ودخولها آمنين ظاهرين وَرَضِيْتُ اخترت لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِيْ مَخْمَصَةٍ مجاعة إلى أكل محرم فأكل غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ غير معتد ومائل إلى إثم، بأن يتلذذ، أو يجاوز حد الرخصة ، وهو سد الرمق، وقيل: بأن يقطع الطريق، أو يبغي على السلطان مثلا، ففي هذه الصور لا يجوز أكله فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لمن أكل الحرام عند المخمصة رَّحِيْمٌO به بإباحة الممنوع لصاحب الجوع يَسْئَلُوْنَكَ يقولونك يا محمد! عليك الصلاة والسلامَمَاذَا أُحِلَّ من الطعام لَهُمْ قُلْأُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ ما لم يأت تحريمه في كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس وَصيد مَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ الكواسب للصيد من سباع البهائم والطيور، وقيل: المراد من الجوارح الجارحات بالمخالب والأنياب، فيشترط للحل الجرح مُكَلِّبِيْنَ حال من عَلَّمْتُمْ، أي: مؤدبين الجوارح، ولا حاجة إليه بعد قوله: وَعَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ [ص162] إلا المبالغة في التعليم، إذ معناه: معلمين إلا أنه اشتق من الكلب، لأن التأديب فيه أكثر تُعَلِّمُوْنَهُنَّ مِمَّا

عَلَّمَكُمُ اللهُ من آداب الصيد فَكُلُوْا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيكُمْ أي: لا يأكل الكلب وأمثاله منه، أما لو أكل لم يؤكل إلا مأكول البازي، ويجرب بثلاثة مرات، وعلامة التأديب: أن تنزجر إذا زجرت، وتفارق إذا فرق وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ عند إرساله، أو عند إدراك زكاته وَاتَّقُوا اللهَ مخالفة حكمه إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِO لا يلبث في جلّ ودقّ الْيَوْمَ الآن أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ كرَّر منة وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ فلا بأس لكم في إطعامهم وأحل لكم الْمُحْصَنَاتُ أي: الحرائر مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَاآتَيْتُمُوْهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ مهمورهن مُحْصِنِيْنَ متزوجين غَيْرَ مُسَافِحِيْنَ زانين بالإعلان وَلاَ مُتَّخِذِيْ أَخْدَانٍ زانين بالكتمان، بأن يؤخذوا صدائق، والخدن يطلق على الذكر والأنثى وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ ينكر بشرائع الإسلام من الحلال والحرام فَقَدْ حَبِطَ بطل عَمَلُهُ السابق وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO ع إن مات عليه.يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا قُمْتُمْ أردتم القيام إِلَى الصَّلَاةِ وأنتم محدثون فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ أي: معها، بَيَّنَتْهُ السنة وَامْسَحُوْا بِرُؤُوْسِكُمْ بالناصية، أي: ربع الرأس؛ بَيَّنَتْهُ السنة وَأَرْجُلَكُمْ بالنصب، عطف على وجوهكم، وبالجر على الجوار، مثل: ماء شنٍّ بارد إِلَى الْكَعْبَيْنِ أي: معهما وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوْا فاغتسلوا [ص163] وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى يضركم الماء بإيجاد المرض، أو ازدياده أَوْ عَلَى سَفَرٍ أي: مسافرين أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَائِطِ أي: وجاءوا لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث، وهذا كناية عن الحدث، والغائط: المكان المطمئن أَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ جامعتموهن فَلَمْ تَجِدُوْا مَاءً بعد طلبه فَتَيَمَّمُوْا فاقصدوا صَعِيْدًا ترابا طَيِّبًا طاهرا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ مِّنْهُ من التراب بضربتين بالاستيعاب مَا يُرِيْدُ اللهُ لِيجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ضيق وَلٰكِنْ يُّرِيْدُ لِيُطَهِّرَكُمْ من الأحداث والذنوب وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ببيان الشرائع لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمه وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ أي: الإسلام عَلَيْكُمْ وَمِيْثَاقَهُ الَّذِيْ وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا حين بايعتم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في اليسر والعسر، والمنشط والمكره وَاتَّقُوْا اللهَ في نقض الميثاق إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO فكيف بما سواه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْاكُوْنُوْا قَوَّامِيْنَ قائمين لِلّٰهِ بحقوقه شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ بالعدل وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يحملنكم شَنَآنُ قَوْمٍ بغضه عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوْا في قضية إِعْدِلُوْا هُوَ أي: العدل أَقْرَبُ لِلْتَّقْوَى وَاتَّقُوْا اللهَ في أوامره ونواهيه إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم طبقه وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وعدا حسنا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌOوَالَّذِيْنَكَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِO لا يفارقونها يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أي: قريش أَنْ يَّبْسُطُوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ منع [ص164] أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم مع الشيخين والختنين، جاء بني قريظة ليستقرضهم لدية مسلمين، قتلهما عمرو بن أمية

الضميري خطأ، بظن أنهما مشركان، فأحبسوهم، فعمد عمر بن جحاش منهم ليطرح عليه رحًى عظيمة، فأمسك الله يده وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَO ٤ وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيْبًا متفتشا عن حال القوم، وذلك لأنه لما تخلص مصر لبني إسرائيل واستقروا فيها، أمرهم الله أن يفتحوا أريحا أرض الشام، وكان يسكنها الكنعانيون، ذووا الشوكة والقوة الجبابرة، وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبا، يفتش أحوالهم، فلما دنا منهم بعث النقباء يتجسسون احوالهم، فرجعوا هائبين خائفين مما رأوا من القوة، وحدثوا القوم، وقد نهوا عنه الأكالب، ويوشع من النقباء وَقَالَ اللهُ إِنِّيْ مَعَكُمْ بالنصر، والعون لَئِنْ أَقَمْتُمْ لام قسم الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِيْ من غير التفريق وَعَزَّرْتُمُوْهُمْ عظمتموهم، وأديتموهم بالنصر والعون وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا بالإنفاق لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ الميثاق مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ أخطأ سَوَاءَ السَّبِيْلِO وسط الطريق، فنقضوا الميثاق فَبِمَا نَقْضِهِمْ ما زائدة مِّيْثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أبعدناهم عن رحمتنا وَجَعَلْنَا قُلُوْبَهُمْ قَاسِيَةً لا تلين للإيمان يُحَرِّفُوْنَ الْكَلِمَ نعته عليه الصلاة والسلام وبعض الأحكام عَنْ مَّوَاضِعِهِ التي وضع الله فيها وَنَسُوْا حَظًّا نصيبا جزيلا مِّمَّا ذُكِرُوْا بِهِ أمروا به من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وَلَا تَزَالُ يا محمد! عليك الصلاة والسلام تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ خيانة مِّنْهُمْ بنقض العهد إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ ممن أسلم فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَO هذا منسوخ بآية السيف وَمِنَ الَّذِيْنَ متعلق بأخذنا [ص165] قَالُوْا إِنَّا نَصَارَى أي: أنصار الله أَخَذْنَا مِيْثَاقَهُمْ فَنَسُوْا حَظًّا نصيبا مِّمَّا ذُكِرُوْا بِهِ في الإنجيل، حيث أمروا بالإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وغيره فَأَغْرَيْنَا ألصقنا، وأوقعنا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فيكفر بعضهم بعضا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بالجزاء والعقاب بِمَاكَانُوْا يَصْنَعُوْنَO يَا أَهْلَ الْكِتَابِ أي: النصارى واليهود قَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا محمد صلى الله عليه وسلم يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيْرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُوْنَ مِنَ الْكِتَابِ كآية الرجم ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والبشارة وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيْرٍ لا يبينه، إذ لم يتعلق به غرض قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُوْرٌ محمد عليه السلام وَكِتَابٌ قرآن مُبِيْنٌO ظاهر يَّهْدِيْ بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بأن آمن سُبُلَ السَّلَامِ طرق السلامة، والنجاة وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ الكفر بأقسامه إِلَى النُّوْرِ الإيمان بِإِذْنِهِ بإرادته وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO أي: الإسلام لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا وهم: يعقوبية . فرقة من فرق النصارى ـ (يعقوبية، وملكانية، ونسطورية)[1] إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ يمنع ويدفع مِنَ عذاب اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُّهْلِكَ الْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا أي: لو كان عيسى عليه السلام إلٰها لدفع عن نفسه الهلاك وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

---

1 – البيضاوي: المرجع السابق. 119/2.

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إذا يشاء قَدِيْرٌO وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ وَالنَّصَارَى أي: كل منهما نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللهِ ذو قرب ومنزلة منه، وهو مشفق علينا كالأب والابن وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ يا محمد صلى الله عليه وسلم فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذَنُوْبِكُمْ ولا يعذب [ص166] الوالد ولده، ولا الحبيب حبيبه بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ فضلا وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ عدلا وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُO المرجع يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا محمد صلى الله عليه وسلم يُبَيِّنُ لَكُمْ شرائع الإسلام عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ على انقطاعهم، كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ست مائة سنة، وقيل خمس مائة وستون سنة، كراهة أَنْ تَقُوْلُوْا في العذر إذا عذبتم مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ كلمة من زائدة وَّلَا نَذِيْرٍ للمؤمنين والكافرين، لا تعتذروا فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيْرٌ وَّنَذِيْرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOع فيقدر على إرسال محمد صلى الله عليه وسلم متبوعا، وعلى تعذيبكم إن لم تتبعوه وَاذكر إِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أي: منكم أَنْبِيَاءَ أصحاب وحي وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكًا أصحاب خدم، وحشم وَّآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِيْنَO (من فلق البحر، وإغراق العدو، وإنزال المن والسلوى، وتظليل الغمام)[1] يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ المطهرة الَّتِيْ كَتَبَ اللهُ أي: قسم لَكُمْ وأمر بدخولها بعد الجهاد وَلَا تَرْتَدُّوْا عَلَى أَدْبَارِكُمْ منهزمين؛ من خوف الجبابرة فَتَنْقَلِبُوْا خَاسِرِيْنَO في الدارين قَالُوْا يَا مُوْسَى إِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ من بقايا عاد، طوالا، ذوي قوة، فعّال من جبره على الأمر، أي: أجبره عليه، وهو العاتي، يجبر الناس على ما يريد وَإِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا قاتلين حَتَّى يَخْرُجُوْا مِنهَا بغير قتال فَإِنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُوْنَO قَالَ لهم رَجُلَانِ كالب ويوشع، كانا نقيبين من النقباء اثنى عشر، أرسلا لكشف [ص167] حال الجبابرة مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ الله أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا بالخوف منه تعالى، أو بتوفيق كتمان ما رأوا من الجبابرة من الشوكة؛ بخلاف سائر النقباء، فإنهم أفشوا، فجبن الناس مما سمعوا منهم ادْخُلُوْا عَلَيْهِمْ باغيين طاغيين الْبَابَ باب القرية فَإِذَا دَخَلْتُمُوْهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُوْنَ قالا ثقة على الله، أو أخبرهما موسى عليه السلام وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO قَالُوْا يَا مُوْسَى إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أي: الأرض المقدسة أَبَدًا مَا دَامُوْا أي: الجبارون فِيْهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَيعينك رَبُّكَ على قتالك، أو المراد بالرب الأخ الأكبر، وهو هارون فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُوْنَO ماكثون، لا نقاتل معك قَالَ موسى عليه السلام رَبِّ إِنِّيْ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِيْ وَأَخِيْ لا يملك إلا نفسه، ذكر ذلك بثًّا للشكوى، واستجلابا للرحمة، واستنزالا للنصرة، وكأنه لم يثق بالرجلين، أو المراد الأخوة الدينية، فيعم

---

1 – الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم، جار الله، (ت: 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (ط–3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ). 620/1.

ويشمل فَافْرُقْ فافصل بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَO بأن تحكم بنا ما نحن له أهله، وبهم ما هم له أهله قَالَ تعالى فَإِنَّهَا أي: الأرض المقدسة مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أن يدخلوها أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُوْنَ يسيرون بالتحير فِي الْأَرْضِ في ستة فراسخ، وقيل تسعة فراسخ، روي: إنهم يسيرون نهارا، فإذا هم حيث كانوا، حتّى انقرضوا كلهم، إلا من لم يبلغ العشرين، وكانوا ست مائة ألف، ومات هارون عليه السلام، وبعده موسى عليه السلام بسنة واحدة، والأكثرون على أنهما كانا معهم، إلا أن هذا في حقهما روح، وللباقين عذاب، ولم يدخل أحد ممن قال إنا لن ندخلها أبدا، ويظلهم الغمام عن الشمس، وعمود من النار تطلع الليل، وطعامهم المن والسلوى، وشرابهم من الحجر الذي معهم، وسأل موسى ربه أن [ص168] يدنيه من الأرض المقدسة رميته حجر، فأدناه، وأخبر بأن يوشع نبي بعدي، وأمر يوشع بقتال الجبارين، فسار بمن بقي، وقاتلهم يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة، حتّى فرغ من القتال، ولم تحبس الشمس لبشر إلا له، ودخل أريحا بعد ثلاثة أشهر، والنقباء ماتوا بغتة غير كالب ويوشع فَلَا تَأْسَ لا تحزن يا موسى عليه السلام عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَOع بما دعوت عليهم، فإنهم مستحقون لهذا الدعاء وَاتْلُ يا محمد! عليك الصلاة والسلام عَلَيْهِمْ على أهل الكتاب نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ خبر هما، أي: هابيل وقابيل بِالْحَقِّ روي: إن الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوج كل واحد تؤامة الآخر، (وكانت توأمة قابيل أجمل، واسمها إقليما، فحسد عليها أخاه)(1)، فقال لهما آدم: قربا قربانا، فمن أيكما قبل يتزوجها، فقرب هابيل بكبش له، وقرب قابيل بزرع له، فنزلت نار، فأكلت قربان هابيل، فغضب قابيل، وقال لهابيل: لأقتلنك، كما قال تعالى: إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا هابيل وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قابيل قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ هابيل لم تقتلني؟ قال قابيل: لأن الله تعالى قبل قربانك، ولم يتقبل مني، فقال هابيل: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَOالنصف الله لَئِنْ بَسَطْتَّ مدت إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِيْ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَّدَيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ مع أنه كان أقوي؛ وأبطش من قابيل إِنِّيْ أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَO إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ تَبُوْءَ ترجع إلى الله بعد موتك بِإِثْمِيْ أي: بإثم قتلي وَإِثْمِكَ الذي ارتكبته من قبل من عقوق الأب، والحسد والغضب فَتَكُوْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَالِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِيْنَO فَطَوَّعَتْ لَهُ فوسعته، وسهلته، وزينته نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيْهِ فَقَتَلَهُ عند عقبة حراء، أو بالبصرة، والمقتول ابن عشرين سنة فَأَصْبَحَ فصار مِنَ الْخَاسِرِيْنَO كان أول قتيل على وجه الأرض، لا يدري [ص169] ما يصنع به، خاف عليه السباع، فحمله في جراب على ظهره سنة حتّى أروح، وعكفت عليه السباع، فبعث الله غرابين، اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر بمنقاره ورجليه، ودفنه في الحفرة، أشار إليه بقوله: فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَّبْحَثُ ينشر التراب فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ أي: ليري الغراب القابيل كَيْفَ

1 – الزمخشري: المصدر السابق. 624/1.

يُوَارِيْ يستر سَوْئَةَ أَخِيْهِ أي: بدن الميت المنتن قَالَ قابيل يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ في تدبير دفن الميت فَأُوَارِيَ أستر سَوْئَةَ أَخِيْ جيفة فَأَصْبَحَ فصار مِنَ النَّادِمِيْنَO ولم يندم مثل ندم التائبين، بل على قتله، لما تعب في حمله، وتحير في أمره مِنْ أَجْلِ ذَالِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ خصهم بالذكر، لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام، وإلا فهو أعم وأشمل للكل أَنَّهُ ضمير الشأن مَنْ قَتَلَنَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ بغير فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ وهو الشرك، وقطع الطريق فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا في الذنب، لأن جزاء هما واحد، وهو جهنم، وغضب الله، أو هتك حرمة القتل وَمَنْ أَحْيَاهَا بالامتناع عن القتل، أو استنقذها من بعض أسباب الهلكة، كقتل أو غرق أو حرق أو هدم فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعًا في الثواب، أو بإبقاء حرمة القتل وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ أي: بني إسرائيل رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات ثُمَّ إِنَّ كَثِيْرًا مِّنهُمْ بَعْدَ ذَالِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُوْنَO مجاوزن الحد بالكفر والقتل. نزل في العرنيِّين، قدموا المدينة مرضى، ((فَأَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْ أَبْوَالِ الْإِبِلِ وَأَلْبَانِهَا، الَّتِيْ كَانَتْ لِلصَّدْقَةِ فِيْ يَدِ رَاعِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَرِبُوْا، وَصَحُّوْا، فَقَتَلُوا الرَّاعِي، وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ)[1] إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ أي: أولياء هما وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا [ص170] مفسدين؛ بقطع الطريق أَنْ يُّقَتَّلُوْا من غير صلب؛ أن قتلوا فقط أَوْ يُصَلَّبُوْا مع القتل، أن جمعوا بين القتل، وأخذ المال أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أي: مختلفة، فاليمنى مع اليسرى إن أخذوا المال أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ بالحبس إن أخافوا فقط ذَالِكَ لَهُمْ خِزْيٌ ذل وفضيحة فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌO أي: النار إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا من المحاربين، والقطاع مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوْا أنتم عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لحقه رَحِيْمٌOع بهم، فلا يعذبهم لحقه، أما حقوق العباد فلا يسقط بالتوبة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوا اللهَ أي: عذابه وَابْتَغُوْا إِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ كل ما يتوسل به إليه من فعل الطاعات، وترك السيئات وَجَاهِدُوْا فِيْ سَبِيْلِهِ لإعلاء كلمة الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO تفوزون إلى متمناكم إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا من صنوف الأموال وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوْا بِهِ ليجعلوه فدية لخلاص أنفسهم مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِمَا تُقُبِّلَ الفدية مِنْهُمْ فلا سبيل لهم إلى النجاة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO يُرِيْدُوْنَ يتمنون أَنْ يَّخْرُجُوْا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيْمٌO دائم وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهُمَا أي: أيمانهما جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللهِ التعريف موصولة مبتداء، ويشبه بالشرط، أدخل الفاء في خبرها، أو جملتان، إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة، أي: حكمهما، وعندنا قطع اليد اليمنى، ثم الرجل اليسرى، ثم الحبس في عشرة دراهم، جزاءا مفعول له،

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث للبخاري. البخاري: المرجع السابق.كتاب الحدود ، باب المحاربين من أهل الكفر والردة ، رقم الحديث: 6802، 162/8.

والنكال: العقوبة وَاللهُ عَزِيْزٌ لا يعارض حكمه حَكِيْمٌO فيما أمر من القطع [ص171] فَمَنْ تَابَ من السراق مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ سرقته وَأَصْلَحَ برد المسروق إلى صاحبه فَإِنَّ اللهَ يَتُوْبُ عَلَيْهِ يقبل توبته إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ للتائبين رَحِيْمٌO بحالهم أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ تعذيبه وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ المغفرة له وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO فيقدر على التعذيب والتثويب يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ لَا يَحْزُنْكَ أي: لا تهتم، ولا تبال صنع الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِي الْكُفْرِ يظهرون الكفر، إذا وجدوا فرصة مِنَ الّذِيْنَ بيان لقوله الذين يسارعون قَالُوْا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ أي: المنافقين وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوْبُهُمْ وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا أي: اليهود، هم سَمَّاعُوْنَ لِلْكَذِبِ أي: يسمعون منك، ثم يغيرون ما سمعوا بالزيادة والنقصان، ثم يذكرون عند الناس المغير سَمَّاعُوْنَ منك لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ من اليهود، وهم أهل خيبر لَمْ يَأْتُوْكَ يُحَرِّفُوْنَ صفة قوم آخرين الْكَلِمَ في التوراة، كآية الرجم مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ التي وضعها الله تعالى تلك الكلمة في تلك المواضع، والضمير باعتبار لفظ الكلم يَقُوْلُوْنَ أي: قوم آخرون إِنْ أُوْتِيْتُمْ أيها الرسل من عند محمد صلى الله عليه وسلم هٰذَا المحرف، أي: الجلد فَخُذُوْهُ اقبلوه، فاعملوا به وَإِنْ لَّمْ تُؤْتُوْهُ وأفتاكم بخلافه، أي: الرجم فَاحْذَرُوْا فاتركوه. روي: إن شريفا زنى بشريفة بخيبر، وهما محصنان، وحدّ هما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن أمركم بالجلد وتسويد الوجه فأقبلوه، وإن يأمركم بالرجم فلا تقبلوه، فأمرهم بالرجم، فأبوا أن يأخذوا به وَمَنْ يُّرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ضلالته فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا يدفعها [ص172] أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ لَمْيُرِدِ اللهُ أَنْ يُّطَهِّرَ قُلُوْبَهُمْ ولو أراد لكان لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ بالفضيحة للمنافقين، وبالجزية لليهود وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌO أي: النار. هم سَمَّاعُوْنَ لِلْكَذِبِ كرر للتأكيد أَكَّالُوْنَ لِلسُّحْتِ أي: المستأصل البركة، وهو الرشوة على تغيير الأحكام فَإِنْ جَاءُوْكَ مستفتين فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالعدل أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ فأنت مخير في الشقين وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَّضُرُّوْكَ شَيْئًا لن يقدروا على إضرارك، إن الله يعصمك من الناس وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَO العادلين وَكَيْفَ يُحَكِمُوْنَكَ تعجيب من تحكيمهم، لمن لا يؤمنون به ولا بكتابه وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيْهَا حُكْمُ اللهِ أي: الرجم ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك؛ الموافق بما في كتبهم وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَOع إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيْهَا هُدًى من الضلال وَنُوْرٌ بيان للأحكام يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّوْنَ من بني إسرائيل الَّذِيْنَ أَسْلَمُوْالله، انقادوه لِلَّذِيْنَ متعلق بيحكم هَادُوْا تابوا من الكفر وَالرَّبَّانِيُّوْنَ الزهاد وَالْأَحْبَارُ العلماء، معطوفان على النبيون بِمَا اسْتُحْفِظُوْا مِنْ كِتَابِ اللهِ استودعوه، أي: استحفظهم الله إياه أن يبدلوه وَكَانُوْا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ رقباء، إنه حق فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ أيها الحكام بالتوراة وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوْا ولا تستبدلوا بِآيَاتِيْ ثَمَنًا قَلِيْلًا أي: آيات الله وأحكامه برشوة، وابتغاء

جاه، ورضى الناس وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ مستهينا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُوْنَO وَكَتَبْنَا فرضنا عَلَيْهِمْ على اليهود فِيْهَا أي: في التوراة أَنَّ النَّفْسَ مقتولة بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ مفقؤة بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ [ص173] مجدوعة بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ مقطوعة بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ مقلوعة بِالسِّنِّ وَالْجُرُوْحَ قِصَاصٌ أي: ذات قصاص، فيما يمكن أن يقتص، وما لا يمكن فيه، فحكومة عدل فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ أي: صاحب الحق؛ عفي عنه فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ من يوم ولدته أمه، وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ في القصاص وغيره بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO وَقَفَّيْنَا اتبعنا عَلَى آثَارِهِمْ آثار النبيين بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أي: قبله مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيْلَ فِيْهِ هُدًى من الضلالة وَنُوْرٌ بيان للأحكام وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى حال، أي: هاديا وَمَوْعِظَةً وواعظا لِّلْمُتَّقِيْنَO وَلْيَحْكُمْ اللام لام الأمر أَهْلُ الْإِنْجِيْلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيْهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO الخارجون عن الطاعة وَأَنْزَلْنَآ إِلَيكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الْكِتَابَ القرآن بِالْحَقِّ بسببه وإثباته مُصَدِّقًا في التوحيد والتعبد لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ أي: قبله مِنَ الْكِتَابِ جنس الكتب الإلٰهية وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ أمينا وشاهدا على الكتب، التي جاءت قبله فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ إذا ترافعوا إليك بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إليك وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عادلا عَمَا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ أيها الأمم شِرْعَةً سبيلا وشريعة وَّمِنْهَاجًا وسنة وطريقة وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً على شريعة واحدة وَّلٰكِنْ فرقكم لِيَبْلُوَكُمْ يمتحنكم، ويختبركم فِيْ مَا آتَاكُمْ من الشرائع المختلفة فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ تسارعوا المأمورات إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا بالبعث فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَاكُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَO من أمر الدين، بالأجزية المتخالفة الحسنة والسيئة [ص174] وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ مخافة أَنْ يَّفْتِنُوْكَ يضلّوك عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الحكم المنزل، واختاروا غيره فَاعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُّصِيْبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوْبِهِمْ بعقوبته بعض الذنوب في الدنيا، وهو التولي، وعقوبة جميعها في الآخرة وَإِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُوْنَO لخارجون عن أمر الله. بنو النضير تفاضلوا على بني قريظة، وقال صلى الله عليه وسلم: القتلى سواء، فقالوا: لا نرضى بذلك، فنزلت أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ يطلبون وَمَنْ أَحْسَنُ أي: لا أحد أحسن مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَOع أي: عند قوم، واللام للبيان، أي: هذا الاستفهام، إنما يكون لقوم يوقنون يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُوْدَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ في النصر، والاستنصار، والمعاشرة بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ لاشتراكهم في الكفر وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ يودّهم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ أي: من جملتهم إِنَّ اللهَ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO بموالات الكفار فَتَرَى الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ نفاق، كعبد الله بن أبيّ يُسَارِعُوْنَ فِيْهِمْ أي: في موالاتهم يَقُوْلُوْنَ في أنفسهم نَخْشَى أَنْ تُصِيْبَنَا دَائِرَةٌ يدورها الدهر علينا، فينقلب الأمر، ولا يتم أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون الدولة للكفار. روي: إن عبادة بن الصامت قال لرسول

الله صلى الله عليه وسلم: إن لي موالي من اليهود، وإني أبرء إلى الله ورسوله من ولايتهم، وأوالى الله ورسوله، فقال ابن أبيّ: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرء من ولاية الموالي فَعَسَى اللهُ أَنْ يَّأْتِيَ لنبيه بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ من القتل، والإجلاء، وهتك سر المنافقين [ص175] فَيُصْبِحُوْا عَلَى مَا أَسَرُّوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ من الشك والنفاق وموالاة الكفار نَادِمِيْنَO وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بعضهم لبعض تعجبا؛ عند هتك سر المنافقين أَهَؤُلَاءِ الَّذِيْنَ أَقْسَمُوْا لكم بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ حال، أي: مجتهدين في غلاظ الأيمان إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ في نصر الدين وقهر الكفار، قال تعالى، أو تتمة قول المؤمنين: حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ الريائية، أو الصالحة عندهم فَأَصْبَحُوْا خَاسِرِيْنَOالثلاثة في الدنيا والآخرة لفوات المعونة، ودوام العقوبة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا مَنْ يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ يرجع إلى الكفر، كما ارتد بعض بعد فوت النبي صلى الله عليه وسلم فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللهُ بِقَوْمٍ يُّحِبُّهُمْ يرضى عنهم وَيُحِبُّوْنَهُ يطيعونه أَذِلَّةٍ رحماء، جمع ذليل عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ أشداء عَلَى الْكَافِرِيْنَ وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري[1]، قال: ((قَوْمُ هَذَا)). رواه الحاكم في صحيحه[2]. يُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لَائِمٍ كما يخاف المنافقون لومة الكفار، من اللوم للمرة ذَالِكَ المذكور من الأوصاف فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ كثير الفضل عَلِيْمٌO بمن هو أهله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُوْنَO خاشعون أو مصلون صلاة التطوع. نزل حين قال عبد الله بن سلام من اليهود، يارسول الله! إن قومنا هجرونا، وقيل في علي رضي الله عنه حين طرح خاتمه كان في خنصره مرجا، لعل إطلاق الجمع ليفعل غيره، وسمي صدقة التطوع بالزكاة، والعمل ليس بكثير وَمَنْ يَّتَوَلَّ اللهَ يؤده وَرَسُوْلَهُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا فيعينهم وينصرهم فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ أتباعه، من إقامة [ص176] الظاهر مقام المضمر هُمُ الْغَالِبُوْنَOع روي: إن رفاعة بن زيد[3] وسويد بن

---

1 – أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ. الذهبي: سير أعلام النبلاء : المرجع السابق. 40/4.

2 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، والحدوث الكامل: ((هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَى، وَأَوْمَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ)) الحاكم: المرجع السابق. كتاب التفسير: بسم الله الرحمن الرحيم قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، في ما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير. السور، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. رقم الحديث:3220، 342/2.

3 – رفاعة بن زيد: هو رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي، ثم الضبيبي، من بني الضبيب. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية في جماعة من قومه فأسلموا، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه،

الحارث[1] أظهرا الإسلام، ثم نافقا، وكان طائفة من المؤمنين مع علمهم بنفاقهما، يودّونهما، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْادِيْنَكُمْ هُزُوًا مهزوا به وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِيْنَ كلمة من للبيان أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ نصب؛ عطف على الذين اتخذوا، وقيل: على الذين أوتوا الكتاب؛ فيجر أَوْلِيَاءَ مفعول ثان للا تتخذوا وَاتَّقُوا اللهَ بترك موالاتهم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO صادقين في إيمانكم وَإِذَا نَادَيْتُمْ دعوتم إِلَى الصَّلَاةِ بالأذان اتَّخَذُوْهَا هُزُوًا وَّلَعِبًا يضاحكون بها ذَالِكَ الاتخاذ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُوْنَO قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام يَأَهْلَ الْكِتَابِ أي: اليهود! هَلْ ما تَنْقِمُوْنَ تنكرون وتعيبون مِنَّا شيئا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ إلى الأنبياء وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ يا أهل الكتاب فَاسِقُوْنَO لعدم قبولكم، ما أنزل إلينا عطف على أن آمنا، أو على المجرور في بالله قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أخبركم بِشَرٍّ مِّنْ أهل ذَالِكَ أي: ما نقمتم منا، أي: المخالفة مَثُوْبَةً ذكر تهكما، يراد بها العقوبة عِنْدَ اللهِ مَنْ لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيْرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوْتَ العجل والشيطان، لأن عبادتهم للعجل كان بإغواء الشيطان، عطف على صلة الموصول أُولٰئِكَ الممسوخون الملعونون شَرٌّ مَّكَانًا جعل مكانتهم شرا، ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِO وسط الطريق، لأن النصارى أخذوا عيسى إلٰها، واليهود قدحوا فيه، وفي كلمة التفضيل الزيادة مطلقا، لا بالنسبة إلى المؤمنين وَإِذَا جَاءُوْكُمْ أي: منافقوهم [ص177] قَالُوْا آمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُوْا ملابسين بِالْكُفْرِ إياكم وَهُمْ قَدْ خَرَجُوْا من عند كم بِهِ متلبسين بالكفر وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوْا يَكْتُمُوْنَO من النفاق وَتَرَى كَثِيْرًا مِّنْهُمْ من اليهود يُسَارِعُوْنَ يقعون سريعا فِي الْإِثْمِ في الكذب وَالْعُدْوَانِ الظلم وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ الحرام، كالرشي لَبِئْسَ مَاكَانُوْا يَعْمَلُوْنَO عملهم هذا لَوْلَا هلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّوْنَ وَالْأَحْبَارُ منهم عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ الكذب وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ الحرام لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَO ترك النهي منهم. لما أنكر اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم، كف الله، ما بسط عليهم من الرزق، قال فنخاص اليهودي: يد الله مغلولة، ورضي الباقون بهذا القول، قال الله تعالى : وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ يَدُ اللهِ مَغْلُوْلَةٌ كناية عن البخل غُلَّتْ أَيْدِيْهِمْ أي: أمسكت عن فعل الخيرات وَلُعِنُوْا بِمَا قَالُوْا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوْطَتَانِ مبالغة في الجود، يثني اليد، لأن السخي غاية ما يبذل من ماله، أن يعطي بيده

وكتب له كتابا إلى قومه فأسلموا. يقال: إنه أهدى إلى رسول الله عليه السلام الغلام الأسود، المسمى مدعما، المقتول بخيبر.ابن عبد البر: المرجع السابق. 500/2.

1 – سويد بن الحارث: سمع أبا ذر، قال عمرو بن مرة: سمعت شيخا منا سويد بن الحارث، قال مروان: عمرو هو الجملي المرادي، ويقال: الجهني. البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله، (ت: 256هـ). التاريخ الكبير: (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، بدون سنة النشر). 143/4.

يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ من توسيع وتضييق، فلا اعتراض عليه وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ من اليهود مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ فاعل ليزيدن، أي: القرآن يزيدهم طُغْيَانًا وَّكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فكل فرقة يخالف الأخرى، لا اتفاق ولا تعاضد بينهم كُلَّمَا أَوْ قَدُوْا نَارًا لِّلْحَرْبِ بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل بغيره أيضا أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا مفسدين بالمعاصي وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَO وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوْا بمحمد صلى الله عليه وسلم وَاتَّقَوْا الكفر لَكَفَّرْنَا لسترنا عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ الباقية وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ [ص178] النَّعِيْمِO مع المؤمنين وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا أحكام التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ من القرآن والصحف لَأَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ أي: الثمار وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ أي: الزروع، دلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق مِنْهُمْ من أهل الكتاب أُمَّةٌ جماعة مُّقْتَصِدَةٌ يعمل به، كعبد الله بن سلام وأضرابه وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُوْنَOع يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ جميع مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ تبليغ الجميع، بل كتمت شيئا منه خوف أن تقتل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ لأن المجموع من حيث المجموع ما بلغت، فأهملت الرسالة وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ أن يقتلوك، وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتّى نزلت، فقال: ((انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِيَ اللهُ)) رواه الحاكم[1] إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَO قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ على دين معتد به، يقال له شيء حَتَّى تُقِيْمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ أي: القرآن، بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمان بي وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ أي: القرآن طُغْيَانًا وَّكُفْرًا لكفرهم به فَلَا تَأْسَ لا تحزن ولا تتأسف عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَO إن لم يأمنوا بك فإضرار كفرهم يعود إليهم، ولا تهتم بهم إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بألسنتهم، وهم المنافقون وَالَّذِيْنَ هَادُوْا أي: اليهود وَالصَّابِئُوْنَ طائفة منهم كذلك وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ منهم بِاللهِ بدل من الذين آمنوا مع المعطوفات وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO في الآخرة لَقَدْ أَخَذْنَا مِيْثَاقَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ على التوحيد وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ منهم بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ [ص179] بالشرائع، التي تخالف طبائعهم فَرِيْقًا من الرسل، كعيسى ومحمد عليهما السلام كَذَّبُوْا وَفَرِيْقًا منهم كزكريا ويحيى وشعيب عليهم السلام يَقْتُلُوْنَO أي: قتلوا، فغيّر لرعاية الفاصلة وَحَسِبُوْا أَلَّا تَكُوْنَ فِتْنَةٌ عذاب على تكذيبهم وقتلهم فَعَمُوْا وَصَمُّوْا عن رؤية الحق وسماعه بعد موسى عليه السلام حين عبدوا العجل ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ أي: رزقهم التوبة ببعثة عيسى عليه السلام ثُمَّ عَمُوْا وَصَمُّوْا ثانيا كَثِيْرٌ مِّنْهُمْ بدل من ضمير الجمع، بتكذيب محمد وعيسى عليهما السلام وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا

---

1 – الحاكم: المرجع السابق. كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، رقم الحديث: 3221. 342/2.

يَعْمَلُوْنَO فيجازيهم وفق أعمالهم لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ لما ظهر منه ما لا يظهر إلا من الله تعالى وَقَالَ لهم الْمَسِيْحُ يَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ فإني عبد؛ ولست بإله إِنَّهُ مَنْ يُّشْرِكْ بِاللهِ في العبادة غيره فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍO لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنِ قَالُوْا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أي: الله وعيسى، وأمه، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن المسيح هو ابن الله وَمَا مِنْ إِلٰهٍ في الوجود إِلَّا إِلٰهٌ وَّاحِدٌ لا ثاني له وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوْا عَمَا يَقُوْلُوْنَ من التثليث لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وماتوا عليه مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO مؤلم، أي: النار أَفَلَا يَتُوْبُوْنَ يرجعون إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُوْنَهُ مما قالوا من التثليث بعد هذه الشهادة المكررة بالكفر عليهم وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO بهم؛ إن تابوا مَا الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُوْلٌ لا إله قَدْ خَلَتْ مضت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيْقَةٌ مبالغة في الصدق كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ مثل سائر الحيوانات، فالمضي والأكل تدلان على أنه مخلوق لا إله [ص180] أُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ الظاهرة على بطلان قولهم ثُمَّ انْظُرْ أَنّٰى أي: كيف يُؤْفَكُوْنَO يصرفون عن الحق مع قيام البرهان قُلْ أَتَعْبُدُوْنَ استفهام إنكار مِنْ دُوْنِ اللهِ غيره مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيْعُ لأقوالكم الْعَلِيْمُO بأحوالكم قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام يَأَهْلَ الْكِتَابِ أي: اليهود! والنصارى! لَا تَغْلُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ لا تجاوزوا الحد، والحد بأن اتخذوا إلها كما فعل النصارى، ولا أن وضعوه عن منصب النبوة؛ كما فعل اليهود غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوْا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلُ بغلوهم، وهم أسلافهم وَأَضَلُّوْا كَثِيْرًا من الناس وَضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِO[ع] وسط الطريق لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُوْدَ دعَى عليهم فمسخوا قردة، وهم أصحاب أيلة، اعتدوا في السبت وَعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ دعَى على الذين كفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل ذَالِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَO حد هم كَانُوْا لَا يَتَنَاهَوْنَ تفسير العصيان والاعتداء، أي: لا ينهى بعضهم بعضا عَنْ معاودة مُّنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَبِئْسَ لام قسم مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَO ترك النهي عن المنكر تَرَى يا محمد! عليك الصلاة والسلام كَثِيْرًا مِّنْهُمْ منافقين من أهل الكتاب يَتَوَلَّوْنَ يوالون الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من مشركي مكة لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُوْنَO هو المخصوص بالذم، أي: موجب سخطه، وموجب الخلود وَلَوْ كَانُوْا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ بلا نفاق وَالنَّبِيِّ محمد صلى الله عليه وسلم وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ من القرآن مَا اتَّخَذُوْهُمْ أي: المنافقون [ص181] من اليهود مشركي مكة أَوْلِيَاءَ كالمؤمنين، فإنهم لم يتخذوا مشركي مكة أولياء وَلٰكِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُوْنَO خارجون عن الإيمان لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا الْيَهُوْدَ مفعول ثان لتجدن وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا من أهل مكة وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ أقرب الناس مَوَدَّةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّا نَصَارَى مفعول ثان لتجدن ذَالِكَ أي: أقرب مودتهم بالمؤمنين

بِأَنَّ بسبب أن مِنْهُمْ قِسِّيْسِيْنَ علماء وَرُهْبَانًا عبّادا وَّأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَO فيه دليل على أن العلم وغم الآخرة والبراءة من الكبر ينفع أهلها، ولو كانوا كفارا.

ولما قدم وفد النجاشي[1] فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ياسين، وهم سبعون رجلا، فبكوا، وأسلموا، وقالوا ما أشبه هذا بالإنجيل، نزل: **وَإِذَا سَمِعُوْا** مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُوْلِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا آمَنَّا بتصديق القلب بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَO المقرين بتصديقهما، أو مع أمة محمد. وقالوا في جواب من لامهم، وعيَّرهم؛ إذا رجعوا: وَمَا لَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ أي: القرآن وَنحن نَطْمَعُ أَنْ يُّدْخِلَنَا في الجنة رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِيْنَO المؤمنين فَاَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوْا جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذَالِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِيْنَO بالإيمان وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِOع نزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، حلفوا على أن يترهبوا، ويلبسوا المسوح، ويقوموا الليل، ويصوموا النهار، ويسيحوا في الأرض، ويجبّوا مذاكيرهم، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقرب النساء والطيب، [ص182] مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الحلوا، ويأكل الدجاج والفالوذ والعسل، والحسن رضي الله عنه: يأكل الدجاج المسمن، ودبّ الماء البارد يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا لا تجاوزوا الحد بتحريم حلال، أو تحليل حرام، أو لا تسرفوا إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعتَدِيْنَO وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا مفعول كلوا، أو حال مما رزقكم الله طَيِّبًا أي: مباحا شرعيا لذيذا، أو يؤكل على نعت حضور المنعم، وتقييده بالشكر به وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِيْ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَO لَا يُؤَاخِذُكُم أي: لا يعاقبكم اللهُ بِاللَّغْوِ فِيْ أَيْمَانِكُمْ وهو الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان، وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه؛ والأمر بخلافه، كما كانوا يحلفون على تحريم طيبات على ظن أنه قربة، فلما نزل الآية، قالوا: كيف بأيماننا؟ فنزلت: وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْأَيْمَانَ عليه على القصد والعزم على الوفاء، وذا لا يتصور في الماضي، فلا كفارة في الغموس، إنما هي في المنعقدة، كما قال: وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ...فَكَفَّارَتُهُ إذا حنثتم إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِيْنَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُوْنَ أَهْلِيْكُمْ غدوة وعشاءا، والأوسع ثلاث مرات مع الإدام، والأدنى مرة

1 – النجاشي: واسمه أصحمة، وهو الذي هاجر إليه المسلمون، وأسلم، وله الأفعال الحميدة، والإعانة للمسلمين، وهو الذي أمهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته أم حبيبة. الجوزي: المرجع السابق. 375/3.

واحدة من تمر أو شعير، ويجوز أن يملككل واحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو تمر، والأوسط الأغلب الأقصد، لا أعلاه ولا أدناه أَوْ كِسْوَتُهُمْ إزار وقميص، أو رداء أَوْ تَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مطلقة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، ومؤمنة عند الشافعي رحمه الله تعالى؛ حملا على كفارة القتل فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ إحدى هما مما ذكرت فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وغير مقيد عند الشافعي رحمه الله تعالى ذَالِكَ المذكور كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وحنثتم وَاحْفَظُوْا أَيْمَانَكُمْ أي: يروا ولا تحنثوا إلا [ص183] إذا كان الحنث فيه خيرا، كإصلاح بين الناس، ومثل ذلك كَذَالِكَ أي: مثل هذا البيان يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أعلام شريعته لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO على ذلك يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إذ هو الحامل عليها فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO أي: العصير العنبي الذي يخاسر العقل ويغشاه، والقمار والأحجار المنصوبة حول الكعبة، يعبدها المشركون، ويذبحون عندها، ويلطخونها بالدم، والقداح التي بها يستقسمون نحس أو خبث مستقذر، يجب الاجتناب عنها إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُّوْقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ أفرد هما بالذكر آخرا، ليعلم أنهما المقصود بالذكر فيما قبل وَيَصُدَّكُمْ يمنعكم بالاشتغال بهما عَنْ ذِكْرِاللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ خصوصا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُوْنَO عن إتيانهما مع ما ذكر من الصوارف وَأَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ وَاحْذَرُوْا المعاصي فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عن الطاعة فَاعْلَمُوْا أَنَّمَا عَلَى رَسُوْلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُO وعلينا الجزاء. لما حرم الخمر والميسر، قالوا: كيف يا رسول الله بإخواننا الذين ماتوا على الارتكاب؟ فنزلت: لَيْسَ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إثم فِيْمَا طَعِمُوْا أكلوا قبل التحريم، ولا على الحاضرين إِذَا مَا اتَّقَوْا الشرك وَآمَنُوْا بالله وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بعد الإيمان ثُمَّ اتَّقَوْا الخمر والميسر بعد التحريم وَآمَنُوْا بتحريمهما ثُمَّ اتَّقَوْا استمروا على الاتقاء عن سائر المحرمات وَأَحْسَنُوْا العمل وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَOع فلا يؤاحذهم بشيء يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ ليختبرنكم، أي: ليظهرنكم أعمالكم على ما علمها الله منكم [ص184] بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ في رحالكم أَيْدِيْكُمْ وَرِمَاحُكُمْ وذلك كان بالحديبية؛ الطير والوحش تغشاهم في رحالهم؛ وهم محرمون لِيَعْلَمَ اللهُ علم ظهور مَنْ يَّخَافُهُ بِالْغَيْبِ أي: غائبا لم يره، فيجتنب الصيد فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَالِكَ النهي عن الاصطياد فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيْمٌO يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ محرمون بحج أو عمرة، جمع حرام وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا قاصدا فَجَزَاءٌ أي: فعليه جزاء، هو مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ أي: شبه المقتول من القيمة يَحْكُمُ بِهِ أي: بمثليته ذَوَا عَدلٍ مِّنْكُمْ لها فطانة في التقويم هَدْيًا حال من المجرور في به بَالِغَ الكَعْبَةِ فيذبح بالحرم أَوْ كَفَّارَةٌ عطف على الجزاء، هي طَعَامُ مَسَاكِيْنَ الخيار للقاتل، وعند

محمد رحمه الله تعالى[1] للحاكم أَوْ عَدْلُ ذَالِكَ أي: أو مثل ذلك الطعام صِيَامًا أي: فعليه القيمة، فإن بلغت ثمن هدي خير بين الهدي وبين الطعام، أو الصوم، وإلا فالطعام، أو الصوم لِيَذُوْقَ وَبَالَ ثقل أَمْرِهٖ أي: فعله، الذي هو هتك حرمة الإحرام عَفَا اللّٰهُ عَمَّا سَلَفَ لكم من الصيد قبل التحريم وَمَنْ عَادَ إلى قتل الصيد بعد التحريم فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ بالجزاء وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ بالإلزام ذُو انْتِقَامٍO ممن عصاه أُحِلَّ لَكُمْ محرمين، أو محلين صَيْدُ الْبَحْرِ وهو الذي يفرخ فيه مما يؤكل؛ ومما لايؤكل وَطَعَامُهُ ما يطعم من صيده، أي: السمك وحده، وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما قذفه ميتا مَتَاعًا لَّكُمْ تمتيعا لكم بالطري وَلِلسَّيَّارَةِ بالقديد ليزودوه وَحُرِّمَ عَلَيكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا محرمين وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO تبعثون جَعَلَ اللّٰهُ صيَّر الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ بدل أو عطف بيان للكعبة قِيَامًا لِّلنَّاسِ مفعول ثان ليجعل، أي: ما يقوم به دينهم [ص185] ودنيا هم بالحج والتجارة وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ذا الحجة، وقيل: جنس الشهر، فدخل رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وَالْهَدْيَ ما يهدي إلى البيت وَالْقَلَائِدَ من الهدي، ما يخص بالقلادة، ليعصم عن النهب والتعرض، فهذه جعلها قواما لأمر الحج ذَالِكَ الجعل لِتَعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO فكل ما أمر به أو نهاه عنه فيه مصلحة لدينكم ودنياكم، وهو عالم بما هو كائن في الوجود إِعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ لمن لم يمتثل وَأَنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO لمن امتثل مَا عَلَى الرَّسُوْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ وقد فرغ بالإبلاغ، فلا عذر لكم بعد ذلكوَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا تَكْتُمُوْنَO من الوفاق والنفاق قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيْثُ الحرام، أو الكافر وَالطَّيِّبُ الحلال، أو المؤمن وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيْثِ فقليل الطيب خير من الخبيث الكثير فَاتَّقُوا اللّٰهَ في تسويتهما، أو في إيثار الخبيث وإن كثر، وترك الطيب وإن قلَّ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَسْئَلُوْا عَنْ أَشْيَاءَ فعلاء، من شيئ، والهمزة الثانية للتأنيث، ولذا منع؛ لم يصرف، مفرد لفظا وجمع معنا، ثم لام الكلمة قدمت على الشين، فوزنه لفعاء، لما أكثروا السؤال نهوا عنه إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ إن تظهر لكم المسؤل يورث المساءة؛ لما فيه من المشقة والكلفة وَإِنْ تَسْئَلُوْا عَنْهَا حِيْنَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ أي: إذا سألتم عن أشياء في أيام نزول الوحي؛ ينزل الوحي بإبداءها، ومتى أبدأها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا أي: عن

---

1 – محمد رحمه الله تعالى: هو محمد بن الحسن الحنفي، أبو عبد الله محمد بن فرقد، الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي، أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرستا، وقدم أبوه من الشام إلى العراق، وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور، ونشأ بالكوفة، وطلب الحديث، ولقي جماعة من أعلام الأئمة، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. ونشر علم أبي حنيفة، وكان من أفصح الناس، وكان إذا تكلم خيل لسامعه أن القرآن نزل بلغته. ابن خلكان: المرجع السابق. 4/:184.

مسألتكم فلا تعودوا، سأل سراقة رضي الله عنه[1] لما نزل ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[2] أَ كُلَّ عَامٍ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، حَتَّى عَادَ ثَلَاثاً، فَقَالَ: لَا، وَلَوْ قُلْتَ نَعَمْ؛ لَوَجَبَ، وَلَوْ وَجَبَ لَمَا اسْتَطَعْتُمْ[3] وَاللهُ غَفُوْرٌ لما صدر حَلِيْمٌO لا يعجل [ص186] بالعقوبة قَدْ سَأَلَهَا أي: الأشياء فيقدر عن قبل الضمير، أو إلى المسألة؛ التي دل عليها الفعل قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ من أنبياءهم، فأجابوا ببيان الأحكام ثُمَّ أَصْبَحُوْا صاروا بِهَا كَافِرِيْنَO بترك العمل بها جحودا مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيْرَةٍ في الجاهلية هي الناقة إذا انتجت خمسة البطن آخرها ذكر بحروا، أي: شقوا أذنها، وخلّوا سبيلها، فلا تركب، ولا تحمل، ولا تمنع عن الماء والكلاء لأحد وَلَا سِائِبَةٍ كانوا يسيبون من أنعامهم لا لآلهتهم، يقول الرجل إذا قدمت من سفر، أو برئت من مرضى، فناقتي سائبة، فلا يركبون لها ظهرا، ولا يحلبون لها لبنا، ولا يجزون لها وبرا، ولا يحملون عليها شيئا وَلَا وَصِيْلَةٍ الشاة: إذا انتجت سبع أبطن، نظروا إلى السابع، فإن كان ذكرا أكله الرجال، وإن كانت أنثى أرسلت في الغنم، وكذا إن كان ذكرا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فالوصيلة بمعنى الواصلة وَلَا حَامٍ الفحل من الإبل إذا ولد عشرة أبطن من صلبه، قالوا قد حمي هذا ظهره، فلا يحملون عليه شيئا، ولا يجزون له وبرا، ولا يمنعونه من حمى مرعي، ولا حوض يشرب منه، وإن كان المرعي والحوض لغير صاحبه وَلٰكِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا {بتحريمهم ما أحل الله}[4] يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بنسبة هذه الأحكام إلى الله تعالى سبحانه وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَO إن في ذلك افتراء على الله، وهم قلدوا فيه آباءهم وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ أي: القرآن وَإِلَى الرَّسُوْلِ أي: إلى حكمه في التحليل والتحريم قَالُوْا حَسْبُنَا كافينا مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ

---

1 – سراقة: هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجيّ. وقد ينسب إلى جدّه. يكنى أبا سفيان، كان ينزل قديدا. روى البخاريّ قصته في إدراكه النّبي صلّى اللّٰه عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، ودعا النبي صلّى اللّٰه عليه وسلم حتى ساخت رجلا فرسه، ثم إنه طلب منه الخلاص، وألّا يدل عليه، ففعل، وكتب له أمانا، وأسلم يوم الفتح. العسقلاني: المرجع السابق. 35/3.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة ال عمران، الآية: 97.

3 – ذكر المؤلف هذا الحديث بالكلمات المترادفة، والحديث الكامل لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ)).كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم الحديث: 1337. مسلم: المرجع السابق. 975/2.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَأَنَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ شَيْئًا أي: أ حسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا، فالاستفهام للإنكار وَلَا يَهْتَدُوْنَO إلى الحق يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ أي: ألزموا إصلاح أنفسكم، فهو اسم فعل؛ انتصب أنفسكم به لَا يَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، فعند إصلاح أنفسكم لا يضركم ضلالهم، وليس المراد ترك [ص187] الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن تركهما لا يجوز مع القدرة إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم حيث ما عملتم. روي أن تميم الداري[1] وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة، وكان يومئذ نصرانيين، وكان معهما بديل[2]؛ مولى عمرو بن العاص[3] مسلما، فمرض بديل، ودوّن ما معه، وطرح في المتاع، ولم يخبر هما به، وأوصى إليهما أن يدفعا إلى أهله، فخانتا جاما من الفضة المنقشة بالذهب، فطالعوهما به، فجحدا، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنِ آمَنُوْا... الآية، فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر، فخلى سبيلهم، ثم وجدوا الإناء في أيديهما، فطلبوا، قالا: اشترينا منه، وليس عندنا بينة،

1 – تميم الداري: هو تميم بن أوس الداري، أبو رقية، الشامي، له صحبة. روى عنه عبد الله بن موهب وسليم بن عامر وشرحبيل بن مسلم وقبيصة بن ذؤيب سمعت أبي يقول ذلك. ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، أبو محمد، التميمي، (ت: 327هـ). الجرح والتعديل: (ط–1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271هـ / 1952م). 440/2.

2 – بديل: هو بديل بن ورقاء الخزاعي، ابن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جري بن عامر بن مازن الخزاعي، تقدم إسلامه، نسبه شباب. اختلف في وفاته، فقيل: قتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: قتل بصفين، وابنه عبد الله المقتول بصفين. ابن مَنْدَه: محمد بن إسحاق بن محمد، أبو عبد الله، العبدي، (ت: 395هـ). معرفة الصحابة لابن منده: (ط–1، تحقيق: أ. د. عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ / 2005م). ص: 278.

3 – عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم. ويكنى أبا عبد الله. أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي ثم قدم المدينة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مهاجرا في هلال صفر سنة ثمان من الهجرة. وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. واستعمله على غزوة ذات السلاسل. وبعثه يوم فتح مكة إلى سواع صنم هذيل فهدمه. وبعثه أيضا إلى جيفر وعبد ابني الجلندا وكانا من الأزد بعمان يدعوهما إلى الإسلام فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعمرو بعمان فخرج منها فقدم المدينة فبعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلى الشام فتولى ما تولى من فتحها وشهد اليرموك. وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها. ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر فسار إليها في المسلمين وهم ثلاثة آلاف وخمس مائة ففتح مصر، وولاه عمر بن الخطاب مصر إلى أن مات. وولاه عثمان بن عفان مصر سنين. ابن سعد: المرجع السابق. 342/7.

فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: فإن عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي رفاعة السهمي الحلفا على أنه من ملك بديل يَا أَيُّهَا الَّذِيْنِ آمَنُوْا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ الإضافة إلى البين للاتساع، وهي بمعنى الإشهاد إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أي: أسبابه حِيْنَ الْوَصِيَّةِ بدل من إذا، أو ظرف لحضر، اثْنَانِ شهادة اثنين ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ في الدين، أو القرابة أَوْ آخَرَانِ أي: شهادة آخرين مِنْ غَيْرِكُمْ من الدين، أو القرابة إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ سافرتم فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُوْنَهُمَا أي: تقفونهما صفة لقوله: آخران مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ صلاة العصر؛ إذ هو وقت الحكومة، وقيل: وكذا وقت الظهر، أو كل صلاة فَيُقْسِمَانِ يحلفان بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم في أمانتهما، فحلفوهما، جملة معترضة، قائلين: لَا نَشْتَرِيْ بِهِ بالله، أو بالقسم ثَمَنًا عوضا؛ نأخذ بدله من الدين، بأن نحلف، أو نشهد كاذبا لأجله وَلَوْ وصلية كَانَ المقسم له، أو المشهود [ص188] عليه ذَا قُرْبَى ذا قرابة وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ التي أمرنا بإقامتها إِنَّا إِذًا إن كتمنا لَمِنَ الْآثِمِيْنَO فَإِنْ عُثِرَ اطلع عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَعَلا فِعْلًا يوجب الإثم مثل خيانة أو كذب في الشهادة فَآخَرَانِ فشاهدان آخران يَقُوْمَانِ مَقَامَهُمَا مقام المتهمين مِنَ الَّذِيْنَ من الورثة وأهل الميت اسْتَحَقَّ الآثم عَلَيْهِمُ الإثم الْأَوْلَيَانِ بدل من قوله آخران، أي: الأحقان بالشهادة لقرابتهما، ومعرفتهما بالميت، وحاله فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا أي: يميننا أحق بالقبول من هذين الوصيين الخائنين وَمَا اعْتَدَيْنَا في اليمين الحق إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِيْنَO ذَالِكَ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة أَدْنَى أقرب أَنْ يَّأْتُوْا أي: الشهداء بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا كما حملوها من غير تحريف وخيانة بتقوى الله أَوْ يَخَافُوْا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ على الورثة بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ أيمان هؤلاء الشهداء الزور، أي: ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق، بدله إما لله، وإما من خوف العار، والافتضاح برد الأيمان على الورثة وَاتَّقُوا اللهَ بترك الخيانة والكذب وَاسْمَعُوْا سماع قبول بما أمروا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِيْنَOع الخارجين عن سبيل الرشاد إلى سبيل الحيف، وحاصل الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من القرابة، أو من أهل الإسلام، أو يوصي إليهما، فإن لم يجد مثل هذين الرجلين لكونه في السفر فيشهد أو يوصي الرجلين من غير القرابة والدين، فإن وقع بين هذين الرجلين والورثة نزاع وارتياب، أقسما بالتغليط وقت العصر أو الظهر لظهور الحكومة؛ واجتماع الناس فيهما أو كل صلاة، فإن حلفا خلّى سبيلهما، فإن اطلع بإمارة أو مظنة أنهما كاذبان في الحلف، بأن وجد متاع من الميت عند هما حلف آخران من ورثة الميت، [ص189] وهذا الحكم منسوخ، إن كان الاثنان شاهدين فإنه يحلف الشاهد، ولا يعارض يمينه بيمين الوارث، وثابت إن كانا وصيين وذلك الحكم، أي: رد اليمين على الورثة لظهور خيانة الوصيين أو لتغيير الدعوى. اذكر يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ هو يوم القيامة

فَيَقُوْلُ مَاذَا ما الذي أُجِبْتُمْ به، أو أيّ إجابة أجبتم أيها الرسل حين دعوتم إلى التوحيد؟ قَالُوْا لَا عِلْمَ لَنَا بالإخلاص المبطن منهم إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِO ما غاب عن العباد. اذكر إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيْ عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ التي اصطفيتها على نساء العالمين إِذْ أَيَّدْتُّكَ قويتك بِرُوْحِ الْقُدُسِ أي: جبرائيل عليه السلام تُكَلِّمُ النَّاسَ حال فِي الْمَهْدِ طفلا إعجازا وَكَهْلًا في سن الكهولة وَإِذْ عطف على إذ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ الخط وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيْلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ كصورته بِإِذْنِيْ فَتَنْفُخُ فِيْهَا فَتَكُوْنُ طَيْرًا بِإِذْنِيْ بإرادتي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِيْ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى من قبورهم إحياءا بِإِذْنِيْ بإرادتي وَإِذْ كَفَفْتُ منعت بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَنْكَ إذ هموا قتلكإِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات فَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ من اليهود إِنْ هٰذَا الذي جئت به إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO وَإِذْ أَوْ حَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أمرتهم بلسان نبيهم، أي: عيسى عليه السلام أَنْ آمِنُوْا بِيْ وَبِرسُوْلِيْ عيسى بن مريم قَالُوْا آمَنَّا بهما وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُوْنَOالربع واذكر إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ يَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يِسْتَطِيْعُ رَبُّكَ أي: هل يفعل بالحكمة وإن كان مقدوره أَنْ يُّنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً الخوان إذا كان عليه الطعام مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ في اقتراح المعجزات بعد [ص190] ظهور الآيات إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO قَالُوْا نُرِيْدُ أَنْ نَّأْكُلَ مِنْهَا تبركا به وَتَطْمَئِنَّ تزداد يقينا قُلُوْبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا أي: نعلم صدقك عيانا في دعوى النبوة، كما علمنا صدقك فيها استدلالا وَنَكُوْنَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِيْنَO قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ أصله يا الله، فحذف ياء، وعوض منه الميم رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُوْنُ يوم نزولها، وهو يوم الأحد لَنَا عِيْدًا يوم سرور {عائد}[1] لِأَوَّلِنَا للذين في زماننا وَآخِرِنَا للذين يأتون من بعدنا وَآيَةً مِّنْكَ على نبوتي وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَO قَالَ اللهُ مستجيبا إِنِّيْ مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَّكْفُرْ بَعْدُ بعد نزولها مِنْكُمْ فَإِنِّيْ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا تعذيبا لَّا أُعَذِّبُهُ الضمير للمصدر أَحَدًا مِّنَ العَالَمِيْنَOع فنزلت الملائكة بسبعة أرغفة، وسبعة أخوان، فاكلوا، وشبعوا، وفي الحديث: ((أُنْزِلَتِ المائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا، فَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فَفَعَلُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً، وَخَنَازِيرَ))[2]، عن الحسن: إن المائدة لم تنزل وإلا لكانت عيدا إلى يوم القيامة، لقوله: وآخرنا، والصحيح: إنها نزلت عليها كل الطعام إلا اللحم، وقيل: كانوا يجدون عليها ماشاؤا، وتنزل حيث كانوا، وقيل: نزلت سفرة حمراء بين الغمامين، فإذا هي سمكة مشوية بلا فلوس

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

2 – ذكر المؤلف بالكلمات المتقاربة، وألفاظ الحديث: ((أُنْزِلَتِ المائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا لِغَدٍ، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ)). الترمذي: المرجع السابق. أبواب تفسير القرآن عن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة المائدة، رقم الحديث: 3061. 260/5.

وشوكة تسيل دسما، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وألوان البقول غير الكرات، وخمسة أرغفة: على أحدها زيتون، وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، قالوا: لو رأيتنا آية أخرى من هذه الآية، قال:يا سمكة! أحيي باسم الله؛ فاضطربت، ثم قال لها: عودي كما كنت؛ فعادت مشوية، فطارت المائدة، ثم عصوا، فمسخوا وَاذكر إِذْ قَالَ اللّٰهُ [ص191] أي: يقول في يوم القيامة يَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِيْ وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ أرعد عيسى عليه السلام وقَالَ سُبْحَانَكَ تنزيها لك عما لايليق مَا يَكُوْنُ ما ينبغي لِيْ أَنْ أَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقٍّ أن أقوله، ولا حاجة لي إلى الاعتذار، لأنك إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا أخفيه فِيْ نَفْسِيْ رأيي وَلَا أَعْلَمُ مَا تخفيه من معلوماتك فِيْ نَفْسِكَ ذاتك إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِO من الضمائر والسرائر مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِيْ بِهِ وهو أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا رقيبا، أمنعهم مما يقولون مَادُمْتُ فِيْهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ قبضتني إلى السماء كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْبَ الحفيظ عَلَيْهِمْ على أعمالهم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مما أقول، ومما يقولون شَهِيْدٌO مطلع، عالم به إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وأنت مالكهم، تتصرف في ملكك كيف شئت، لا اعتراض عليك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْت الْعَزِيْزُ الغالب على أمرك الْحَكِيْمُO في صنعك قَالَ اللّٰهُ هٰذَا أي: يوم القيامة يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ فيه، كعيسى عليه السلام صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ بطاعتهم وَرَضُوْا عَنْهُ بثوابه ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خزائن المطر والنباتات والجمادات والحيوانات وَمَا فِيْهِنَّ تغليبا؛ لغير العاقل وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOع فيثيب الصادق، ويعذب الكاذب.

سورة الأنعام مكية، وهي مائة وخمس وستون آية.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الْحَمْدُ هو الوصف الجميل، ثابت لِلّٰهِ فيه تعليم اللفظ والمعنى [ص192] الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لكونهما أعظم المخلوقات للناظرين، خصا بالذكر وَجَعَلَ أي: خلق الظُّلُمَاتِ جمع لكثرة أسبابها وَالنُّوْرَ ثُمَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مع هذه الدلائل بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَO يسوون غيره به تعالى في العبادة هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ خلق آباءكم مِّنْ طِيْنٍ ثُمَّ قَضَى لكم أَجَلًا تموتون عند انتهائه وَأَجَلٌ مُّسَمًّى للبعث عِنْدَهُ لا يطلع عليه غيره ثُمَّ أَنْتُمْ أيها الكفار تَمْتَرُوْنَO تشكون في البعث، ولا تدرون من أبدع يقدر على أن يبعث وَهُوَ اللّٰهُ المستحق للعبادة فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا

تَكْسِبُوْنَO من خير وشر وَمَا تَأْتِيْهِمْ أي: أهل مكة مِنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَO فَقَدْ كَذَّبُوْا بِالْحَقِّ بالقرآن لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيْهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO أخباره وأحواله، أي: سيعلمون أن المستهزء به أيّ شيء كان أَلَمْ يَرَوْا أي: أهل مكة في أسفارهم إلى الشام وغيرها كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ من أهل زمان، هو أغلب أعمار الناس، وهي سبعون أو ثمانون مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِنْ لَّكُمْ يا أهل مكة كعاد وثمود، أعطيناهم بالبسط في الأجسام، والسعة من الأموال والاستظهار وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ المطر والسحاب عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا متتابعا وَّجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمْ فعاشوا في الخصب بين الأنهار والأشجار والثمار فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ بتكذيبهم الأنبياء وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِيْنَO أهل زمان عوضهم وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا مكتوبا فِيْ قِرْطَاسٍ ورق [ص193] فَلَمَسُوْهُ بِأَيْدِيْهِمْ نفيا للشك؛ لئلا يقولوا: سكرت أبصارنا لَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا تعنتا وعنادا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO وَقَالُوْا لَوْلَا بمعنى هلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ يكلمنا؛ إنه نبي وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا على صورته، كما اقترحوا؛ فلم يؤمنوا لَقُضِيَ الْأَمْرُ بهلاكهم ثُمَّ لَا يُنْظَرُوْنَO يمهلون لتوبة أو معذرة، فإن سنة الله قد جرت بهذا وَلَوْ جَعَلْنَاهُ أي: الرسول مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ليتمكنوا من رؤيته، إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك في صورته إلا لأفراد من الرسل لقوتهم القدسية وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُوْنَO ولو جعلناه رجلا للبسنا، وشبهنا على أنفسهم؛ ما يخالطون على أنفسهم، كما كانوا يقولون: ﴿مَا هذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلَكَ تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فَحَاقَ فنزل وأحاط بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَOع أي: عذابه، فكذا يحيق بمكذبيك ما يستهزؤن به قُلْ سِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَO للرسل، فاعتبروا قُلْ لِّمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ لا لغيره، كما يقولون تقريرا لهم، فلا خلاف بين الطائفتين في هذا الجواب كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قضى بالرحمة تفضلا لَيَجْمَعَنَّكُمْ للجزاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارَيْبَ لا شك فِيْهِ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ بتعريضها للعذاب فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO وَلَهُ تعالى مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ حلّ فيهما وَهُوَ السَّمِيْعُ لما يقولون {بألسنتهم}[2] الْعَلِيْمُO بما يضمرونه في القلوب قُلْ لهم أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا أعبده، أي: أتخذه ناصرا ومعبودا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما أو مبدئهما، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه [ص194] وَهُوَ يُطْعِمُ يرزق وَلَا يُطْعَمُ لا يرزق قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنِّيْ أُمِرْتُ أَنْ أَكُوْنَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لله من هذه الأمة، وقيل

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ سورة المؤمنون، الآية: 24.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

لي: وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنِّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ بعبادة غيره تعالى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO هو يوم القيامة مَنْ يُّصْرَفْ عَنْهُ العذاب يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ أرد الله به الخير وَذَالِكَ الْفَوْزُ الْمُبِيْنُO النجاة الظاهرة وَإِنْ يَّمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ كمرض وفقر فَلَا كَاشِفَ رافع لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَّمْسَسْكَ بِخَيْرٍ كصحة وغنى، فلا راد لفضله فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO من إدامته وإزالته وَهُوَ الْقَاهِرُ الغالب مستعليا فَوْقَ عِبَادِهِ في نفاذ حكمه وَهُوَ الْحَكِيْمُ في خلقه الْخَبِيْرُO ببواطنهم. قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: آتينا بما يشهد لك بالنبوة، فإن أهل الكتاب أنكروك، نزل: قُلْ لهم أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ أكبر شهادة، وإن لم يقولوا به، وهو شَهِيْدٌ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ على صدقي وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ يا أهل مكة بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أي: بلغة القرآن من الإنس والجن من بعدي أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُوْنَ استفهام إنكار أَنَّ مَعَ اللهِ اٰلِهَةً أُخْرَى قُلْ لهم لَّا أَشْهَدُ بأن مع الله آلهة قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ وَّإِنَّنِيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَO به من الأصنام الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ أي: اليهود والنصارى، أهل التوراة والإنجيل يَعْرِفُوْنَهُ أي: محمدا صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته كَمَا يَعْرِفُوْنَ أَبْنَاءَهُمْ بحلاهم ونعوتهم الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ بالجحود فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَOع به. وَمَنْ أَظْلَمُ لا أحد أظلم مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا بنسبة ما لا يليق بجنابه [ص195] أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أي: القرآن ومعجزاته إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُوْنَO وَاذكر يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا ثُمَّ نَقُوْلُ توبيخا لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا مع الله غيره أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَO إنها شركاؤنا ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ حجتهم ومعذرتهم إِلَّا أَنْ قَالُوْا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَO في الدنيا. قال تعالى: يا محمد! عليك الصلاة والسلام أُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بنفي الشرك عن أنفسهم وَضَلَّ غاب عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُوْنَO على الله من الشرك وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ إذا قرأت القرآن، وهم: أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم وَجَعَلْنَا علَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أغطية، جمع كنان، كأعِنَّة وعنان، كراهة أَنْ يَّفْقَهُوْهُ أن يفهموا القرآن وَفِيْ آذَانِهِمْ وَقْرًا ثقلا، فلا يسمعون سماع قبول وَإِنْ يَّرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوْا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوْكَ يُجَادِلُوْنَكَ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا تفسير للمجادلة إِنْ هٰذَا ما هو إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أكاذيب السابقين، جمع أسطورة وَهُمْ أي: المشركون يَنْهَوْنَ الناس عَنْهُ عن القرآن، أو عن الرسول والاتباع به والإيمان به وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ يتباعدون عن القرآن، أو الرسول، فلا يؤمنون به، فيُضلون ويَضلون وَإِنْ يُّهْلِكُوْنَ بذلك إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إذ يعود ضررهم إلى أنفسهم وَمَا يَشْعُرُوْنَO بذلك. قيل: نزل في أبي طالب ينهى القريش عن تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويناهي عنه فلا يؤمن به، والأول أشبه وَلَوْ تَرَى يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِذْ وُقِفُوْا عَلَى النَّارِ حبسوا على الصراط فوق النار، لرأيت أمرا عظيما فَقَالُوْا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ إلى الدنيا وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO بنصبهما؛ بتقدير

أن، والواو جار مجرى الفاء [ص196] بَلْ بَدَا لَهُمْ أضراب عن الوفاء بما تمنوا، أي: ظهر لهم بشهادة الجوارح وصحائف أعمالهم مَّا كَانُوْا يُخْفُوْنَ من القبائح مِنْ قَبْلُ في الدنيا، أو يظهر نفاقهم؛ الذي كانوا يسرونه، أو إنكارهم صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وَلَوْ رُدُّوْا في الدنيا فرضا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ من الشرك وغيره وَإِنَّ هُمْ لَكَاذِبُوْنَO في وعد الإيمان، لا يفون به، وَمنكروا البعث قَالُوْا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَO أو عطف على قوله لعادوا، أي: لو ردوا لعادوا، وقالوا وَلَوْ تَرَيا محمد! عليك الصلاة والسلام إِذْ وُقِفُوْا عَلَى جزاء رَبِّهِمْ لرأيت أمرا عظيما قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ الثابت الموجود، كأنه جواب قائل: ماذا قال ربهم؟ إذ وقفوا عليه، قال: أليس هذا البعث ثابتا؟ قَالُوْا بَلَى وَرَبِّنَا أقروا، وأكّدوا باليمين قَالَ تعالى فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَOع في الدنيا. قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِلِقَاءِ اللهِ ببعثهم إليه تعالى حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ القيامة بَغْتَةً فجأة، منصوب على الحال، أي: باغتة قَالُوْا يَا حَسْرَتَنَا هي شدة التألم، ونداءها مجازا، أي: هذا أوانك؛ فاحضري عَلَى مَا فَرَّطْنَا قصرنا فِيْهَا من الحيوة الدنيا وَهُمْ يَحْمِلُوْنَ عند البعث، عن القبور أَوْزَارَهُمْ أعمالهم الخبيثة القبيحة النتينة، تركبهم عَلَى ظُهُوْرِهِمْ أَلَا سَاءَ بئس مَايَذِرُوْنَO يحملون؛ حملتهم ذلك وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا أي: ما الاشتغال فيها إِلَّا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ الشرك، الدار مبتداء، والآخرة صفته، وخير خبر المبتداء أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO قَدْ للتحقيق نَعْلَمُ إِنَّهُ الشأن لَيَحْزُنُكَ الَّذِيْ يَقُوْلُوْنَ لك من التكذيب، لكن لا تحزنون [ص197] فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُوْنَكَ في الحقيقة وَلٰكِنَّ الظَّالِمِيْنَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُوْنَO روي أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك، وإنك لعندنا صادق، وإنما نكذب ما جئتنا به، فنزلت، أي: لا يكذبونك في السر لاعتقادهم صدقك، وإنما يكذبون القرآن، ولا يدرون أن تكذيبه تكذيب الرسول والمرسل وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوْا عَلَى مَا كُذِّبُوْا فحبسوا أنفسهم على التكذيب وَأُوْذُوْا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا بإهلاكهم، فاصبر حتّى يأتيك النصر من عندنا على إهلاك قومك، فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ لمواعيده وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَاءِ الْمُرْسَلِيْنَO ما يسكن به قلبك وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عظم وشق عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ عن الإسلام فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ منفذا، تنفذ فيه إلى الأرض حتّى تطلع لهم آية يؤمنون بها أَوْ سُلَّمًا مصعدا، مرقاة فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ من السماء ليؤمنوا بها، {فافعل لشدة حرصك بإيمان قومك}(1) وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لكن لما علم أنهم يختارون الكفر؛ لم يشأ أن يجمعهم على الهدى، فلم يؤمنوا فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْجَاهِلِيْنَOالنصف بسر القدر، فتطلب ضد ما قضى الله في علم الأزل إِنَّمَا يَسْتَجِيْبُ دعائك إلى

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

الإيمان الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ سماع تفهم، واعتبار بالقلب وَالْمَوْتَى أي: الكفار، مبتداء يَبْعَثُهُمُ اللهُ في الآخرة، خبر ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَO فحينئذ يسمعون، ولا ينفع وَقَالُوْا أي: كفار مكة لَوْلَا هلا نُزِّلَ عَلَيْهِ على محمد صلى الله عليه وسلم آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ مثل الناقة، والعصا، والمائدة، أو ما اقترحوا من انقلاب الصفا ذهبا، وتوسيع أرض مكة، وتفجير الأنهار خلالها قُلْ إِنَّ [ص198] اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً مثل ما مضَى، أو مما اقترحوا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO أن نزولها بلاء عليهم؛ لوجوب هلاكهم؛ إن جحدوها وَمَا مِنْ زائدة دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيْرُ في الهواء بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظ عنده تعالى، خلقها، ورزقها، وآجالها، وبعثها، وحسابها مَا فَرَّطْنَا ما تركنا فِي الْكِتَابِ اللوح المحفوظ مِنْ شَيْءٍ لم نكتبه، كلمة من زائدة ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُوْنَO فيقضي بينهم حتّى يقتصّ للجمّاء من القرناء وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أي: القرآن صُمٌّ عن سماع الحق وَّبُكْمٌ عن نطق الحق فِي الظُّلُمَاتِ ظلمة الجهل، والحيرة المذمومة، والكفر مَنْ يَّشَإِ اللهُ إضلاله يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَّشَأْ هدايته يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO أي: الإسلام قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لأهل مكة أَرَءَيْتَكُمْ معناه؛ هل علمتم أن الأمركما يقال لكم، فاخبروني بما عندكم؟ وكاف الخطاب للتأكيد، لا محل لها من الإعراب، والتاء ضمير الفاعل، والفعل معلق ومتعلق الاستخبار، محذوف تقديره من تدعون إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُوْنَ من آلهتكم الباطلة، أم تدعون الله إِنْ كُنْتُمْ صادِقِيْنَO في أن الأصنام آلهة، فادعوها لتخالصكم من عذاب الله بَلْ إِيَّاهُ لا غيره تَدْعُوْنَ في الشدائد فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُوْنَ إِلَيْهِ أي: إلى كشفه إِنْ شَاءَ كشفه وَتَنْسَوْنَ وتتركون مَا تُشْرِكُوْنَOع معه لظهور الحقيقة، أو لهول القيامة وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زائدة قَبْلِكَ رسلا فكذبوهم فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ شدة الفقر وَالضَّرَّاءِ شدة المرض لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُوْنَO يتذللون، ويتوبون {بنزول الشدائد}[1] فَلَوْلَا هلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوْا أي: لم [ص199] يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوْبُهُمْ فلم تلن للإيمان بما أخذوا وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO صاروا معجبين؛ برؤية الأعمال فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوْا بِهِ أي: تركوا، ولم يتعظوا من البأساء والضراء فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ من النعم استدراجا حَتَّى إِذَا فَرِحُوْا بِمَا أُوْتُوْا من الصحة والسعة أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فجأة فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُوْنَO آئسون من كل خير، أصله الإطراق حزنا لما أصابه، أو ندما على ما فاته فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أي: عن آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO على إهلاكهم قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لأهل مكة أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ طبع عَلَى قُلُوْبِكُمْ مَّنْ إِلٰهٌ غَيْرُاللهِ يَاتِيْكُمْ بِهِ بما أخذه منكم أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ نبين

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

الْآيَاتِ الدالات على وحدانيتنا ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُوْنَO يعرضون عن آياته قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ اخبروني إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً فجأة من غير أمارة، أو ليلا أَوْ جَهْرَةً من غير أمارة، أو نهارا هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُوْنَO الكافرون وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ إِلَّا مُبَشِّرِيْنَ لمن آمن وَمُنْذِرِيْنَ لمن كفر فَمَنْ آمَنَ بالله ورسله وَأَصْلَحَ دام على إيمانه فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO في الآخرة وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَO يخرجون من طاعة الله قُلْ لَّا أَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِيْ خَزَائِنُ اللهِ يرزق العباد منها وَلَا أني أَعْلَمُ الْغَيْبَ بغير إعلام منه تعالى وَلَا أَقُوْلُ لَكُمْ إِنِّيْ مَلَكٌ [ص200] مسلوب عني صفات البشرية إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى الكافر وَالْبَصِيْرُ المؤمن أَفَلَا تَتَفَكَّرُوْنَO ٤ إني ما ادعيت ما يستبعده العقول، كالأمور الثلاثة، أو ما أحاله العقل، كالألوهية بل ما يليق بالبشر، وهي النبوة، وليست بعزيز وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ خوف بالقران المسلمين، وأهل الكتاب أَنْ يُّحْشَرُوْا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ للخائفين مِنْ دُوْنِهِ وَلِيٌّ ناصر وَّلَا شَفِيْعٌ يخلصهم عن العذاب لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَO الله، قيل: نزلت في الفقراء: بلال وصهيب وعمار وخباب[1] وسلمان[2] وأضرابهم، حين قال رؤساء المشركين: لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك، فقال عليه السلام: ما أنا بطارد المؤمنين، فقالوا: اجعل لنا يوما ولهم يوما، وطلبوا بذلك كتابا، فدعى عليا؛ ليكتب، فقام الفقراء، وجلسوا ناحية، فرمَى عليه السلام بعد نزولها بالصحيفة، وأتى الفقراء، وعانقهم وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ يعبدونه بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يواصلون عبادته، ويواظبونها يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ ذاته تعالى مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَّمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ أي: حساب الباطن المرضى وغيره على صاحبه، لايتعدى إلى غيره فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُوْنَ مِنَ الظَّالِمِيْنَO إن فعلت الطرد وَكَذَالِكَ مثل ذلك الفتن فَتَنَّا ابتلينا بالسبق بالإيمان بَعْضَهُمْ أي: الأغنياء بِبَعْضٍ أي: بالفقراء لِيَقُوْلُوْا أي: الأغنياء بالإنكار أَهَؤُلَاءِ أي: الفقراء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بالهداية مِنْ بَيْنِنَا ونحن المقدمون والرؤساء لو كان ماهم

---

1 – خباب: هو خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد التميمي، ويقال: الخزاعي، أبو عبد اللَّه.سبي في الجاهليّة فبيع بمكّة، وكان من السّابقين الأوّلين. وأسلم قديما، وهو أول من أظهر إسلامه وعذّب عذابا شديدا لأجل ذلك. وشهد بدرا وما بعدها، ونزل الكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين. العسقلاني: المرجع السابق: 221،222/2.

2 – سلمان: هو سلمان أبو عبد الله الفارسي الرامهرمزي الأصبهاني سابق الفرس إلى الإسلام. صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وخدمه، وتوفي سنة ست وثلاثين للهجرة. الصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين، (ت: 764هـ). الوافي بالوفيات: (تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ / 2000م). 192/15.

عليه مسمى بالهداية ما سبقونا إليه أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِيْنَO له تعالى، وهم الفقراء فيهديهم [ص201] وَإِذَاجَاءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِنَا حقا فَقُلْ سَلَامٌ منه تعالى عَلَيْكُمْ كَتَبَ قضى ووعد رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ ضمير الشان مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْءًا ذنبا بِجَهَالَةٍ لا يعرف مضرته، أو بإيثار المعصية على الطاعة ثُمَّ تَابَ رجع عنه مِنْ بَعْدِهِ بعد العمل، أو بعد علمه وَأَصْلَحَ عمله بالتدارك فَإِنَّهُ تعالى غَفُوْرٌ لذنبه رَّحِيْمٌO بحاله وَكَذَالِكَ مثل ذلك التفصيل نُفَصِّلُ نبيّن الْآيَاتِ القرآن ليظهر الحق وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَOع ولتظهر سبيلهم، فتعامل كل منهم بما يجب أن يعامل به قُلْ إِنِّيْ نُهِيْتُ صرفت، وزجرت أَنْ أَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ أيها المشركون! قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا إن اتبعت أهواءكم وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَO قُلْ إِنِّيْ عَلَى بَيِّنَةٍ حجة واضحة مِّنْ رَّبِّيْ أنه المعبود، ولا معبود سواه وَكَذَّبْتُمْ بِهِ حيث أشركتم به غيره مَا عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهِ من العذاب، بقولهم: ﴿امْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾[1] إِنِ الْحُكْمُ في تأخير العذاب إِلَّا للهِ يَقُصُّ يتبع الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِيْنَO القاضين قُلْ لَّوْ أَنَّ عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهِ من العذاب المقدر فيما يحكم لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ بأن أعجله لكم، واستريح، ولكنه عند الله يأتيكم به متى شاء وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِيْنَO متى يعاقبهم وَعِنْدَهُ تعالى مَفَاتِحُ خزائن الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا هو كائن فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا بعد السقوط؛ كما يعلم قبله وَلَا حَبَّةٍ فِيْ ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَّلَا يَابِسٍ إِلَّا [ص202] فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍO هو علم الله، أو اللوح المحفوظ وَهُوَ الَّذِيْ يَتَوَفَّاكُمْ يقبض أرواحكم عن التصرفات بالتمام بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ كسبتم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ يوقظكم فِيْهِ في النهار لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى أجل الحياة ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بالبعث ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَOع في الملوين وَهُوَ الْقَاهِرُ مستعليا فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حافظين لأعمالكم، هم الكرام الكاتبون حَتَّى غاية لحفظ الأعمال إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ملك الموت وأعوانه وَهُمْ لَا يُفَرِّطُوْنَO لا يقصرون في التعجيل والتأخير ثُمَّ رُدُّوْا أي: الخلق برد الملائكة إِلَى اللهِ ليحكم ويجزي مَوْلَاهُمُ مالكهم، الذي يلي عليهم أمورهم الْحَقِّ الثابت العادل أَلَا لَهُ الْحُكْمُ القضاء وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَO يحاسب الخلق في قدر نصف النهار من أيام الدنيا، بل مقدار حلبة شاة قُلْ يا محمد لمشركي مكة مَنْ يُّنَجِّيْكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ من مخاوفهما وأهوالهما تَدْعُوْنَهُ تَضَرُّعًا علانية وَّخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا لام قسم مِنْ هٰذِهِ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَO قُلِ اللهُ يُنَجِّيْكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ غم سواها ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُوْنَO به تعالىقُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ

1- جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الأنفال، الآية: 32.

فَوْقِكُمْ كالحجارة والصيحة أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ كالخسف أَوْ يَلْبِسَكُمْ يخلطكم شِيَعًا قرفا، أصحاب أهواء مختلفة تنجر إلى المقاتلة وَيُذِيْقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ بالقتال أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نبين لهم الوعد والوعيد لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَO ينصرفون [ص203] عما هم عليه إلى الحق وَكَذَّبَ بِهِ بالقرآن قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لهم لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍO فأجازيكم، بل أنا منذر، هذا قبل آية السيف لِكُلِّ نَبَإٍ خبر مُّسْتَقَرٌّ وقت يقع فيه لا محالة وَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَO تهديد لهم وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوْضُوْنَ فِيْ آيَاتِنَا بالاستهزاء فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ فلا تجالسهم، وقم عنهم حَتَّى يَخُوْضُوْا فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهِ غير القرآن وَإِمَّا فيه إدغام النون في الميم، وما زائدة يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ هذا النهي، فقعدت معهم فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى بعد أن تذكر النهي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO قال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد، وأن نطوف بالبيت، فنزل: وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ اللهمِنْ حِسَابِهِمْ حساب الخائضين بالاستهزاء والتكذيب مِنْ شَيْءٍ إذا جالسوهم وَلٰكِنْ عليهم أن يذكروهم ذِكْرَى تذكيرا ووعظا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَO الخوض بالاستهزاء والتكذيب وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ الحق عند الله لَعِبًا وَّلَهْوًا بالتسخر والاستهزاء وَغَرَّتْهُمُ الحَيٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ عظ بِهٖ بالقرآن، مخافة أَنْ تُبْسَلَ تمنع نَفْسٌ عن الخير، وتسلم إلى الهلاك والعذاب، وترهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال: المنع بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلِيٌّ ناصر وَّلَا شَفِيْعٌ يمنع العذاب عنها وَإِنْ تَعْدِلْ تفد تلك النفس كُلَّ عَدْلٍ فداء لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا من تلك النفس، فالأخذ مسند إلى منها أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ أُبْسِلُوْا منعوا عن الخير بِمَا كَسَبُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ ماء سخين وَعَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَOع بكفرهم القرآن؛ بالاستهزاء والتكذيب قُلْ أَنَدْعُوْا نعبد، استفهام إنكاري مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا [ص204] أي: أصناما لَا يَنْفَعُنَا إن دعوناه وَلَا يَضُرُّنَا إن تركناه وَنُرَدُّ نرجع عَلَى أَعْقَابِنَا مشركين بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ إلى الإسلام كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ أي: نرد مشبهين بالمستهوى، الذي ذهبت به مردة الشياطين في المهمة، استفعال من هوى يهوي هوًى فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ حال عن الهاء، أي: لا يدري؛ أين يذهب؟ لَهُ أي: لهذا المستهوي أَصْحَابٌ رفقة يَّدْعُوْنَهُ إِلَى الْهُدَى الطريق المستقيم، قائلين: ائْتِنَا بأن نسلم، فلا يجيب لهم، ولا يرجع إليهم قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ أي: الإسلام هُوَ الْهُدَى وما عداه ضلال وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO وَأَنْ أي: وبأن أَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوْهُ تعالى وَهُوَ الَّذِيْ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO تجمعون يوم القيامة وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ قائما بالحق والحكمة وَاذكر يَوْمَ يَقُوْلُ الله للخلق عند البعث كُنْ فَيَكُوْنَOالثلاثة قَوْلُهُ الْحَقُّ الصدق والواقع، أو هو مبتداء الخبر؛ يوم يقول..؛ مقدم عليه وَلَهُ الْمُلْكُ لقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] يَوْمَ يُنْفَخُ نفخة ثانية فِي الصُّوْرِ هو عَالِمُ

---

1 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْغَيْبِ عنا وَالشَّهَادَةِ وَهُوَالْحَكِيْمُ بالمجازاة الْخَبِيْرُO لكل نقير وقطمير وَاذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِأَبِيْهِ آزَرَ لقب، بمعنى الشيخ، واسمه تارخ، منع عن الصرف؛ العلمية وللعجمية أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً تعبدها إِنِّيْ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO وَكَذَالِكَ كما أريناه ضلال أبيه وقومه نُرِيْ إِبْرَاهِيْمَ مَلَكُوْتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبالغة الملك، أي: لطائفها؛ ليستدل بها على وحدانيتنا وَلِيَكُوْنَ مِنَ الموْقِنِيْنَO [ص205] بها فَلَمَّا جَنَّ أظلم عَلَيْهِ اللَّيلُ رَاَى كَوْكَبًا هو الزهرة، وقيل المشتري، وهو مراهق؛ أو أول البلوغ قَالَ لقومه النجامين هٰذَا رَبِّيْ في زعمكم فَلَمَّا أَفَلَ غاب قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِيْنَO إن اتخذهم أربابا؛ كما تقولون فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا طالعا قَالَ لهم هٰذَا رَبِّيْ على زعمكم فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لم يثبتني على ما فطرني من العقيدة الحقة في التوحيد لَأَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَO تعريض لهم؛ بأنهم على الضلال فَلَمَّآ رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً طالعة قَالَ هٰذَا رَبِّيْ على زعمكم هٰذَا أَكْبَرُ فيه إظهار لشبهة الخصماء المنجمين فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَO بالله من الأجرام المحدثة النيرة، قالوا: فما تعبد أنت يا إبراهيم؟ قال: إِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ قصدت عبادتي لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيْفًا مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO به بشيء من خلقه وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ في التوحيد قَالَ أَتُحَاجُّوْنِّيْ فِي وحدانية اللهِ وَقَدْ هَدَانِ تعالى إليه وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهِ من الأصنام والأجرام إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ رَبِّيْ شَيْئًا فإنهم هددوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء، فقال: لا أخاف معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا وقت مشية ربي؛ مضرة في حقي منها، فإنه قادر على هذا وَسِعَ رَبِّيْ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أي: وسع علم ربي كل شيء أَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَO فيميزوا بين القادر والعاجز وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ والحال أنها لا تنفع ولا تضر وَلَا تَخَافُوْنَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ الذي يضر وينفع مَا أي: أصناما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ بإشراكه عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا لشركتهم حجة وكتابا فَأَيُّ الْفَرِيْقَيْنِ الموحدون، أو المشركون أَحَقُّ بِالْأَمْنِ من العذاب [ص206] إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO فإنا مأمونون في موضع الأمن، وأنتم مأمونون في موضع الخوف الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْا لم يخالطوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وهو وضع الشيء في غير موضعه، أو الشرك أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ من العذاب وَهُمْ مُّهْتَدُوْنَOع وَتِلْكَ حُجَّتُنَاآتَيْنَاهَا أرشدناها إِبْرَاهِيْمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ في العلم والحكمة إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ في الرفع والخفض عَلِيْمٌO بالمرفوعين والمخفوضين وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ ابنه كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ أي: قبل إبراهيم وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ أي: ذرية نوح دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوْبَ وَيُوْسُفَ بن يعقوب وَمُوْسَى وَهَارُوْنَ وَكَذَالِكَ كما جزيناهم نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى ابنه وَعِيْسَى فيه إشارة إلى أن الذرية تتناول أولاد البنت، وبه أجيب حجاج بن يوسف؛ حين أنكر أن يكون بنو

الْقَهَّارِ﴾ سورة المؤمن= غافر، الآية: 16.

فاطمة رضي الله عنها ذرية النبي صلى الله عليه وسلم وَإِلْيَاسَ من أسباط هارون أخي موسى عليهما السلام كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِيْنَO وَإِسْمَاعِيْلَ بن إبراهيم عليه السلام وَالْيَسَعَ اللام زائدة وَيُوْنُسَ وَلُوْطًا بن هاران بن خرثان أخي إبراهيم وَكُلًّا منهم فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَO بالنبوة وَمِنْ آبَائِهِمْ عطف على كلا أو نوحا، ومن للبعيض وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ احترناهم وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO ذَالِكَ الدين؛ الذي هدوا إليه هُدَى اللهِ يَهْدِيْ بِهِ مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوْا فرضا لَحَبِطَ لبطل عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أُولَئِكَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَّكْفُرْ بِهَا بهذه الثلاثة هَؤُلَاءِ [ص207] أي: أهل مكة فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا أرصدنا لها قَوْمًا لَّيسُوْا بِهَا بِكَافِرِيْنَO هم المهاجرون والأنصار، الذين وفقوا الإيمان بها، والقيام بحقوقها وحفظها أُولَئِكَ أي: الأنبياء الَّذِيْنَ مر ذكرهم، الذين هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ لا لغيرهم اقْتَدِهْ في أصول الدين، كالتوحيد والاعتقاديات، لا الشرائع الفرعية العمليات؛ إذ هي مختلفة، الهاء للسكت قُلْ يا محمد لأهل مكة لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على إبلاغ الرسالة والقرآن أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِيْنَOع عظة للجن والبشر وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ما عرفوه حق معرفته في الرحمة ببعثة الأنبياء وإنزال الكتب إِذْ قَالُوْا أي: اليهود مخاصمين بالنبي عليه السلام مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ مبالغة في إنكار القرآن قُلْ لهم مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِيْ جَاءَ بِهِ مُوْسَى نُوْرًا وَّهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُوْنَهُ قَرَاطِيْسَ مكتوبة في دفاتر؛ مقطعة ورق عن ورق تُبْدُوْنَهَا ما تريدون إبداءها وَتُخْفُوْنَ كَثِيْرًا من نعت محمد عليه السلام، ومن الأحكام كالرجم وَعُلِّمْتُمْ في القرآن. أيها اليهود! مَا لَمْ تَعْلَمُوْا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ أي: زيادة على التوراة، وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم؛ الذين كانوا أعلم منكم قُلِ أنزل اللهُ هذا الكتاب، وإن لم تقولوا به؛ فلا جواب لكم غيره ثُمَّ ذَرْهُمْ فِيْ خَوْضِهِمْ باطلهم يَلْعَبُوْنَO وَهٰذَا القرآن كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير المنافع والفوائد مُصَدِّقُ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ أي: مصدق للكتب السابقة؛ لتأخذ منه النفع والتصديق وَلِتُنْذِرَ به أُمَّ الْقُرَى أي: أهل مكة وَمَنْ حَوْلَهَا أي: سائر الناس [ص208] من أهل المشرق والمغرب وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ يصدقون بِالْآخِرَةِ ويخافونها يُؤْمِنُوْنَ بِهِ بالقرآن وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَO ومن حافظ على الصلاة الظاهر؛ إنه يحافظ على سائر أركان الإسلام، لأنها عماد الدين وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي، قالا بالرسالة أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ كعبد الله بن سعد بن أبي سرح، كاتب الوحي، لما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِيْنٍ﴾[1] فلما بلغ قوله:

---

1 – سورة المؤمنون، الآية: 12.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[1] قال عبد الله: تبارك الله أحسن الخالقين؛ تعجبا من تفصيل خلق الإنسان، فقال عليه السلام: اكتبها، فكذلك نزلت، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقا؛ لقد أوحي إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبا؛ لقد قلت كما قال، فارتد، ولحق بمكة وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مَثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ هو نضر بن الحارث، وكان يقول: والطاحنات طحنا، فالعاجنات عجنا، فالخابرات خبرا، كأنه يعارض: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[2] وَلَوْ تَرَى جواب الشرط محذوف، أي: لرأيت أمرا قطيعا إِذِ الظَّالِمُوْنَ المذكورون فِيْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ سكراته وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيْهِمْ إليهم بالضرب، يقولون لهم تغيظا: أَخْرِجُوْا أَنْفُسَكُمْ أرواحكم إلينا لنقبضها، وهذا تشديد في إزهاق الروح عن البدن أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ أي: الهوان؛ متضمنا لإهانة بِمَا كُنْتُمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ كإدعاء الولد والبنات والشريك له تعالى، ودعوى النبوة والوحي كاذبا وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُوْنَO عن الإيمان بها وَلَقَدْ جِئْتُمُوْنَا للحساب فُرَادَى من غير مال وأهل وولد ومعين، جمع فريد، كأسارى؛ جمع أسير كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ على هيئة الانفراد [ص209] وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ملكناكم من الأموال وَرَاءَ ظُهُوْرِكُمْ في الدنيا وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الأصنام الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ في استحقاق عبادتكم شُرَكَاؤُا لله لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ بين: فاعل أوظرف، وهو من الأضداد للفصل والوصل، أي: تشتت جمعكم، أو وقع التقطع بينكم، وأصله: لقد تقطع ما بينكم وَضَلَّ عَنْكُمْ ضاع وغاب مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَOع إنها شفعاءكم عند الله إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى شاق اصل النبات والنخل، وقيل: شاق الحنطة والنواة يُخْرِجُ الْحَيَّ النبات مِنَ الْمَيِّتِ الحب وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ أي: الحب مِنَ الْحَيِّ النبات ذَالِكُمُ الفالق المخرج؛ هو اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُوْنَO فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، مصدر أصبح، سمي به الصبح وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ليسكن الخلق فيه من التعب وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا مصدر حسب يحسب، لأن عدد الأيام والشهور والسنين يعلم بدورهما ذَالِكَ المذكور تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ القاهر عليهما، والمسخر لهما الْعَلِيْمِO بدورانهما وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ النُّجُوْمَ لِتَهْتَدُوْا بِهَا فِيْ ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ في الأسفار قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ الدالة على قدرتنا وتوحيدنا لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO يتدبرون وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَكُمْ حلقكم مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ آدم فَمُسْتَقَرٌّ منكم في الرحم وَمُسْتَوْدَعٌ منكم في الصلب قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّفْقَهُوْنَOوَهُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ السحاب مَاءً مطرا [ص210] فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ سورة المؤمنون، الآية: 14.

2 – سورة العاديات، الآية: 1.

كل صنف من أصناف النامي فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ من النبات خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ من الخضر حَبًّا مُّتَرَاكِبًا السنبلة؛ التي تراكبت حباتها وَمِنَ النَّخْلِ خبر مِنْ طَلْعِهَا بدل من قوله: من النخل قِنْوَانٌ مبتداء دَانِيَةٌ جمع قنو، كصنوان جمع صنو، وهو العذق، وقصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض؛ قريب بعضها من بعض، أو من المجتني بكثرة الثمر وَأخرجنا جَنَّاتٍ بساتين مِنْ أَعْنَابٍ وَّالزَّيْتُوْنَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا بعضها مع بعض في القدر واللون والطعم وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ بعضها مع بعض فيها أُنْظُرُوْا أيها الناظرون نظر اعتبار إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ أي: بدو حاله؛ كيف يخرجه؟ لا ينتفع به وَانظروا إلى يَنْعِهِ أي: نضجه وإدراكه؛ كيف يصير جامع المنافع؟ إِنَّ فِيْ ذَالِكُمْ لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO لانتفاعهم بالاعتبار في البعث والتوحيد؛ دون الكافرين وَجَعَلُوْا للهِ متعلق شركاء، قدم لاستعظام أمر الشرك شُرَكَاءَ الجِنِّ مفعول ثان، وأول للجعل، ويمكن أن يكون لله شركاء مفعولي الجعل، والجن بدل من شركاء، واللام للتقوية وَالحال أنه قد خَلَقَهُمْ وَخَرَقُوْا اختلقوا لَهُ بَنِيْنَ كعزير والمسيح في قول أهل الكتاب وَبَنَاتٍ بعض العرب جعلوا الملائكة بنات الله بِغَيْرِ عِلْمٍ بحقيقة الحال سُبْحَانَهُ تنزيها له تعالى وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُوْنَOع من النقائص بَدِيْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خالقهما من غير مثال أَنَّى يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ وَّلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ زوجة وَخَلَقَ كُلَّ شَيْئٍ من شأنه أن يخلق وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فمن هو متصف بهذه الصفات الكمالية؟ [ص211] فَاعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌO حفيظ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ الإدراك: هو الوقوف على جوانب المرئي، وحدوده، وهو تعالى غير محدود، ولا تدركه، والرؤية كالعلم، فلا يلزم من عدم إحاطة العلم؛ نفي العلم، ولا يكون هذه الآية متشبثة للمعتزلة في امتناع الرؤية، وقد يقال على تقدير تساويهما النفي لا يوجب الامتناع، وقيل: مخصوص برؤية المؤمنين في الآخرة وَهُوَ يُدْرِكُالْأَبْصَارَ يحيطها وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُO فكيف يدرك؟ وكيف لا يدرك؟ قَدْجَاءَكُمْ بَصِأْئِرُ جمع بصيرة، حجج مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ به نفع وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ضرر العمى وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍO رقيب لأعمالكم وَكَذَالِكَ مثل ما ذكرنا نُصَرِّفُ الْآيَاتِ من الوعد إلى الوعيد، ومن الترغيب إلى الترهيب؛ ليعتبروا وَلِيَقُوْلُوْا عاقبة الأمر دَرَسْتَ تعلمت من أهل الكتاب؛ فجئت بالقرآن، وما هو من عند الله وَلِنُبَيِّنَهُ نبين القرآن أو الآيات، لأنها في معنى القرآن لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO فإن العالم هو المنتفع إِتَّبِعْ مَا أي: القرآن أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَO إلى أن ينسخ هذا الحكم بآية السيف وَلَوْ شَاءَ اللهُ إيمانهم مَا أَشْرَكُوْا ولكن شاء شركهم؛ لما علم منهم أنهم يختارون الشرك على التوحيد وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا رقيبا، لتجازيهم بأعمالهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍO فتجزيهم على الإيمان، هذا قبل آية السيف وَلَا تَسُبُّوا الألهة الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ هم مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام فَيَسُبُّوا اللهَ بسبب سبهم عَدْوًا اعتداءا وظلما بِغَيْرِ

عِلْمٍ بشانه تعالى كَذَالِكَ كما زينا لهؤلاء ماهم عليه زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ من الكفار عَمَلَهُمْ من الشر [ص212] ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْمَّرْجِعُهُمْ في الآخرة فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO فيجازيهم حسب عملهم وَالكفار أَقْسَمُوْا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ غاية اجتهادهم فيها لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مما اقترحوا لَيُؤْمِنُنَّ بالله ورسوله بِهَا بسسببها قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ كلها عِنْدَ اللهِ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير مبين وَمَا يُشْعِرُكُمْ ما يدريكم، أي: لا تدرون أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ الآية المقترحة لَا يُؤْمِنُوْنَO بها وَنُقَلِّبُ {عند نزول الآية المقترحة}[1] أَفْئِدَتَهُمْ عن قبول الحق وَأَبْصَارَهُمْ عن رؤية الحق كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوْا بِهِ أي: بما أنزلت من الآيات أَوَّلَ مَرَّةٍ وَّنَذَرُهُمْ نتركهم فِيْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَOع يتحيّرون.

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ كما قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾[2] وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى كما اقترحوا وَحَشَرْنَا جمعنا عَلَيْهِمْ على الكفار كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا جمع قبيل، مفرد، بمعنى كفيل، أي: كفلاء؛ بالإبشار والإنذار، أو جمع قبيلة، أي: فوجا فوجا، يشهدون بصدقك مَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا في حال من الأحوال إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللهُ إيمانهم، فيؤمنون حينئذ، هذا جواب لقول المؤمنين: لعلهم يؤمنون؛ بنزول الآيات المقترحة وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ من المؤمنين يَجْهَلُوْنَO أن الكفار لا يؤمنون ولو جاءتهم {كل آية}[3] وَكَذَالِكَ كما جعلنا لك أعداء من المشركين جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بدل عن عدوا يُوْحِيْ يوسوس بَعْضُهُمْ بعض شياطين الجن إِلَى بَعْضٍ أي: شياطين الإنس، أو بعض الجنس إلى بعضه زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوْرًا مُمَوّحاً من الباطل؛ ليغروهم وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوْهُ أي: الإيحاء المذكور فَذَرْهُمْ دع الكفار وَمَا يَفْتَرُوْنَO [ص213] على الله وعليك، هذا قبل آية السيف وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ عطف على غرورا، أي: ولتميل إلى زخرف القول أَفْئِدَةُ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ لأنفسهم وَلِيَقْتَرِفُوْا وليكتسبوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُوْنَO مكتسبون للذنوب، فيعاقبوا عليه. لما طلبوا من النبي عليه السلام حكما؛ يحكم بينه وبينهم، نزل: أَفَغَيْرَ اللهِ أي: قل أفغير الله أَبْتَغِيْ أطلب حَكَمًا حاكما، يحكم بيني وبينكم، ويفصل بين المحق منا من المبطل وَهُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ القرآن مُفَصَّلًا فيه الحق من الباطل وَالَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ كعبد الله بن سلام وأضرابه يَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ سورة الفرقان، الآية: 21.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

أي: القرآن مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ بالصدق فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَO في أنهم يعلمون القرآن، أنه منزل من ربهم وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ من الأمر والنهي، والوعد والوعيد صِدْقًا في الوعد والوعيد وَعَدْلًا في الأمر والنهي لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ بتنقيص وازدياد وخلف وَهُوَ السَّمِيْعُ لما يقال باللسان الْعَلِيْمُO لما يضمر في القلب وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ من الكفار يُضِلُّوْكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه إِنْ يَّتَّبِعُوْنَ إِلاَّ الظَّنَّ في مجادلتهم لك في أمر الميتة، فقالوا: مقتول الله أحق أن يكون حلالا من مقتولكم وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُوْنَO يكذبون في تحليل أمر وتحريمه إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ عالم مَنْ يُّضِلُّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَO فيجازي كلا بما يليق فَكُلُوْا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ عند الذبح إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِيْنَO وَمَا لَكُمْ أيُّ غرض لكم في أَلَّا تَأْكُلُوْا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ من الذبائح وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ [ص214] عَلَيْكُمْ في آية حرمت عليكم الميتة مما لم يحرم إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ مما حرم عليكم، فإنه حلال لكم في شدة المجاعة وَإِنَّ كَثِيْرًا لَّيُضِلُّوْنَ بتحليل ما نُهُوا، وتحريم ما أبيحوا بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ بما شرع اللهإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِيْنَO المتجاوزين من الحلال إلى الحرام؛ وبالعكس وَذَرُوْا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ علنه وسره إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْسِبُوْنَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ يوم القيامة بِمَا كَانُوْا يَقْتَرِفُوْنَO يكتسبون وَلَا تَأْكُلُوْا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ بأن مات، أو ذبح على اسم غير الله، أو ذبح المسلم تارك التسمية عمدا؛ إما نسيانا، فيحل بالحديث وَإِنَّهُ أي: الأكل منه لَفِسْقٌ خروج عما يحل وَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوْحُوْنَ يوسوسون إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ أي: الكفار لِيُجَادِلُوْكُمْ في تحليل الميتة وَإِنْ أَطَعْتُمُوْهُمْ فيه إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُوْنَOع أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا ضالا فَأَحْيَيْنَاهُ فهديناه وَجَعَلْنَا لَهُ نُوْرًا يَّمْشِيْ بِهِ فِي النَّاسِ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو الإيمان كَمَنْ مَّثَلُهُ أي:كمن صفته، هو فِي الظُّلُمَاتِ وقيل: كلمة مثل زائدة لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا هم الكفار، الذين خبطوا فيها كَذَالِكَ كما زينا للمؤمنين الإيمان والطاعة زُيِّنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO الكفر والمعاصي وَكَذَالِكَ كما جعلنا فساق مكة أكابرها جَعَلْنَا فِيْ كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مفعول ثان مُجْرِمِيْهَا مفعول أول لِيَمْكُرُوْا فِيْهَا ليتجبروا على الناس، ويصدوهم عن الإيمان وَمَا يَمْكُرُوْنَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ لأن مكرهم يحيق بهم وَمَا يَشْعُرُوْنَO بذلك وَإِذَا جَاءَتْهُمْ أي: أهل مكة آيَةٌ على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قَالُوْا أي: أهل مكة [ص215] لَنْنُّؤْمِنَ بها حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوْتِيَ رُسُلُ اللهِ أي: الرسالة اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ يعلم المكان الصالح للرسالة، فهو مفعول به، وهؤلاء الكفرة الفجرة ليسوا أهلا لها، روي أن أبا جهل وغيره تزاحمنا بني عبد مناف في الشرف؛ حتّى إذا صرنا كفر سي رهان، قالوا: منا نبي يوحي الله، والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي؛ كما يأتيه سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ أَجْرَمُوْا بقولهم ذلك صَغَارٌ ذل عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا كَانُوْا يَمْكُرُوْنَO الناس، يصدهم عن الإسلام فَمَنْ يُّرِدِ اللهُ أَنْ يَّهْدِيَهُ يَشْرَحْ يوسع

صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ بقذف النور في القلب، وأثره الإنابة إلى الآخرة، والإعراض عن الدنيا، واستعداد للموت وَمَنْ يُّرِدْ الله أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا عن قبوله حَرَجًا ضيقا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ أصله: يتصعد فِي السَّمَاءِ كأنه كلف أن يترقى إلى السماء كَذَالِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ العذاب، أو تسلط الشيطان عَلَى الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَO وَهٰذَا الذي أنت عليه يا محمد! عليك الصلاة والسلام صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيْمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّذَّكَّرُوْنَO يتعظون لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ أي: الجنة عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ محبهم، أو ناصرهم، أو متوليهم {بجزاء العمل}[1] بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO وَاذكر يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا قلنا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ أضللتم من الإنس كثيرا وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ الذين أطاعوا وساوسهم اعترافا رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ انتفع بَعْضُنَا بِبَعْضٍ انتفع الإنس بالشياطين؛ حيث ولوهم على الشهوات، وانتفع الجن بالإنس؛ حيث أطاعوهم [ص216] في الغواية وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيْ أَجَّلْتَ لَنَا أي: يوم البعث قَالَ تعالى على لسان الملائكة النَّارُ مَثْوَاكُمْ منزلكم خَالِدِيْنَ فِيْهَا حال، والعامل معنى الإضافة؛ دون مثوى، لأن المكان لا يعمل في شيء إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ أن يخرج من النار إلى الزمهرير إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ فيما يفعل بأوليائه وأعدائه عَلِيْمٌO بأعمالهم؛ فيجزي على وفقها وَكَذَالِكَ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم عن بعض نُوَلِّيْ بَعْضَ الظَّالِمِيْنَ بَعْضًا يجعل بعضهم أولياء بعض بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَOع بسبب كسبهم المعاصي، ويقال لهم يوم القيامة: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ الرسل من الإنس خاصة، وقيل: من الجن أيضا، أو رسلهم؛ رسل نبينا صلى الله عليه وسلم، كقوله: ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِيْنَ﴾[2] وغيره يَقُصُّوْنَ يقرءون عَلَيْكُمْ آيَاتِيْ وَيُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا يوم القيامة قَالُوْا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا أن الرسل قد بلغونا وَقال تعالى: غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فلم يؤمنوا وَشَهِدُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوْا كَافِرِيْنَO بما أرسلوا به إليهم الأمر ذَالِكَ أي: إرسال الرسل أَنْ لَّمْ يَكُنْ مخففة، واللام مقدرة، أي: لأنه لم يكن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بَظُلْمٍ صدر من أهلها، أو منه تعالى وَأَهْلُهَا غَافِلُوْنَO لم يتنبهوا برسول وكتاب وَلِكُلٍّ من المكلفين دَرَجَاتٌ منازل مِّمَّا عَمِلُوْا جنيا كان أو إنسيا، خيرا كان أو شرا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُوْنَO وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ عن خلقه وعبادتهم ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ يا أهل مكة! وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ من الخلق المطيع [ص217] كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِيْنَO هم أصحاب سفينة نوح عليه السلام إِنَّ مَا تُوْعَدُوْنَ لَآتٍ لا محالة، رد لقولهم: من مات فقد فات وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَO فائتين ومسابقين قُلْ يا

---

1 – ليس في ب. العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ سورة الاحقاف، الآية: 29.

محمد! عليك الصلاة والسلام لأهل مكة يَا قَوْمِ اعْمَلُوْا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ناحيتكم، أو حالتكم العداوة إِنِّيْ عَامِلٌ {في الإسلام}[1] على الاصطبار فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ تَكُوْنُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ العاقبة المحمودة في الدار الآخرة إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُوْنَO روي أنهم عينوا من الزرع والنتاج لله؛ وكذلك للأصنام، وإذا وجدوا ما في الله ناميا زاكيا، رجعوا؛ وجعلوه للأصنام قائلا: هو الغني، ولا يفعلون ذلك فيما للأصنام لشدة محبتهم بالأصنام، فنزل: وَجَعَلُوْا أي: كفار مكة لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ الزرع وَالْأَنْعَامِ نَصِيْبًا وللأصنام نصيبا فَقَالُوْا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ يصرفونه للضيفان والمساكين وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا يصرفونه لسدنتها فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ بئس مَا يَحْكُمُوْنَO حكمهم هذا وَكَذَالِكَ كما زين لهم ما ذكر زَيَّنَ لِكَثِيْرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ مفعول زيّن شُرَكَاؤُهُمْ من الجن، فاعل زيّن لِيُرْدُوْهُمْ ليهلكوهم بالإغواء وَلِيَلْبِسُوْا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ ليخلطوا عليهم دينهم، أي: دين إسماعيل حتّى زالوا عنه إلى الشركوَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوْهُ فكل كائن بمشيته تعالى فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُوْنَO على الله وَقَالُوْا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَّحَرْثٌ للأوثان حِجْرٌ حرام لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ يعنون به خدم الأوثان، والرجال دون النساء وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُوْرُهَا فلا يركب [ص218] هي البحائر كالسوائب والحوامى وَأَنْعَامٌ لَّايَذْكُرُوْنَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا عند ذبحها، بل أسماء الأوثان، ونسبوا هذه القسمة إلى الله تعالى افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيْهِمْ بِمَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَO عليه تعالى وَقَالُوْا مَا فِيْ بُطُوْنِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ أي: الأجنة: التي احتملت بها السوائب والبحائر؛ إذا ولدت حيا خَالِصَةٌ لِّذُكُوْرِنَا حلال لهم، لا يأكل الإناث وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَّكُنْ مَّيْتَةً فَهُمْ فِيْهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيْهِمْ وَصْفَهُمْ الكذب على الله بتحليل وتحريم إِنَّهُ حَكِيْمٌ بالجزاء عَلِيْمٌO بعقائدهم الفاسدة قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ قَتَلُوْا أَوْلَادَهُمْ بالوأد سَفَهًا جهلا بسعة صفة رزاقية بِغَيْرِ عِلْمٍ بأن الوأد لا يوسع من رزقهم؛ إذا ضيقه الله تعالى وَحَرَّمُوْا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ من البحائر والسوائب وغيرها افْتِرَاءً عَلَى اللهِ مفعول له قَدْ ضَلُّوْا وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَOالربع وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَ خلق جَنَّاتٍ بساتين من الكروم وغيرها مَعْرُوْشَاتٍ مبسوطات كالبطيخ، وقيل: مسموكات؛ غير متروكات على وجه الأرض، يقال: عرشت الكرم؛ إذا جعلت له دعائم وسمكا وَغَيْرَ مَعْرُوْشَاتٍ مرفوعات على ساق كالنخل، وقيل: متروكات على وجه الأرض كالبطيخ وَأنشأ النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ثمره وحبه في الهيئة واللون والطعم وَالزَّيْتُوْنَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا في الورق واللون وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ في الطعم كُلُوْا مِنْ ثَمَرِهِ ثمر كل واحد إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوْا حَقَّهُ عُشره يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوْا بإعطاء الكل، فلا يبقى لعيالكم شيء إِنَّهُ لَايُحِبُّ المسْرِفِيْنَO عن الحد وَأنشأ [ص219] مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُوْلَةً يحمل عليه الأشياء، كالإبل الكبير ونحوه وَفَرْشًا الغنم والإبل

---

1 – ليس في ب. العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

الصغير، سمي به لدنوه من الأرض كالفرش، أو يفرش للذبح كُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ طرقه في التحليل والتحريم، كفعل أهل الجاهلية إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌO بيّن العداوة ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ بدل من حمولة وفرشا، أي: ثمانية أصناف مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلامءَ الذَّكَرَيْنِ من الضأن والمعز حَرَّمَ الله عليكم أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ منهما أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أهل الجاهلية تارة حرموا ذكور الضأن والمعز، وتارة إناثهما، وتارة حملهما، ونسبوا إلى الله تعالى جميع ما حرموا افتراءا عليه تعالى بالوصية، فاستفهم نَبِّئُوْنِيْ بِعِلْمٍ بأمر معلوم من جهته تعالى إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ذكر وأنثى قُلْ ءَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ الله أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ بل؛ ء كنتم حاضرين؟ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا فنسب إليه تعالى تحريم ما لم يحرم لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ من جهته تعالى إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَOع الخاتمين على الكفر قُلْ لَّا أَجِدُ فِيْ مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ شيئا مُحَرَّمًا في الوقت المخصوص، أو في القرآن؛ إذ وحي السنة قد حرم كل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير عَلَى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَّكُوْنَ ذلك الشيء مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوْحًا مهراقا سائلا بخلاف [ص220] غيره كالكبد والطحال، أو دم الذي في اللحم أَوْ لَحْمَ خِنْزِيْرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ رفع الصوت باسم غيره تعالى فَمَنِ اضْطُرَّ إلى شيء مما ذكر من المحرمات غَيْرَ بَاغٍ على مضطر آخر مثله تارك لمواساته وَلَا عَادٍ متجاوز قدر حاجته من تناوله فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُوْرٌ له رَحِيْمٌO به، فلا مؤاخذة به وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا أي: اليهود حَرَّمْنَا كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ وهو ما له إصبع من دابة أو طائر، ويدخل فيه الإبل والنعام، وقيل: كل ذي مخلب؛ وحافر لحما وشحما وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُوْمَهُمَا لا اللحوم إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُوْرُهُمَا ما علق بها من الشحم أَوِ حملته الْحَوَايَا جمع حاوية أو حاوياء أو حوية، وهي الأمعاء أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ وهو شحم الإلية أو المخ، فإنه أحل لهم ذَالِكَ أي: التحريم، مفعول ثان لجزيناهم جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ بسبب ظلمهم؛ بما سبق في سورة النساء وَإِنَّا لَصَادِقُوْنَO في الإخبار والوعد والوعيد فَإِنْ كَذَّبُوْكَ فيما جئت من القرآن فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُوْ رَحْمَةٍ وَّاسِعَةٍ حيث يمهل في تعذيب المكذبين وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ مع السعة، إذ جاء وقته عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَO سَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ فإشراكنا وتحريمنا بمشيته تعالى، فهو راض عما فعلنا، ولم يدروا أن المشية غير الرضاء كَذَالِكَ كما كذب هؤلاء كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْقَبْلِهِمْ رسلهم حَتَّى ذَاقُوْا بَأْسَنَا عذابنا قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ بأن الله راض بذلك، وقد قال لا يرضى بعباده الكفر فَتُخْرِجُوْهُ لَنَا فتظهروه [ص221] من الكتب إِنْ تَتَّبِعُوْنَ في ذلك إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّاتَخْرُصُوْنَO تكذبون قُلْ

فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ غاية المتانة والقوة عليكم بالأوامر والنواهي، ولا حجة لكم عليه بمشيته فَلَوْشاءَ هدايتكم لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَO قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُم احضروهم الَّذِيْنَ يَشْهَدُوْنَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هٰذَا أي: ما زعمتم أنه محرم فَإِنْ شَهِدُوْا فَلَا تَشْهَدْ أنت يا محمد! عليك الصلاة والسلام مَعَهُمْ ولا تسلم شهادتهم، فمن سلم كأنه شهد معهم وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَالَّذِيْنَ لَايؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَO ع يستوون الأصنام في العبادة، أي: يشركون قُلْ تَعَالَوْا أمر من الله تعالى أَتْلُ اقرء مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوْا هي مفسرة بِهِ شَيْئًا وَّبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا أي: لا تتركوا إحسانهما وَلَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ بالوأد مِنْ إِمْلَاقٍ من أجل الفقر نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوْا الْفَوَاحِشَ كالزنا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ أي: ما بينه بين الخلق في العلن، وما بينه وبين الله في السر وَلَا تَقْتُلُوْا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ بالقصاص والردة والرجم ذَالِكُمْ المذكور وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO تتدبرون وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ إِلَّا بِالَّتِيْ بالخصلة التي هِيَ أَحْسَنُ وهي ما فيه حفظه وصلاحه حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ بالاحتلام، جمع شدة أو شد، كنعمة وأنعم، وفلس وأفلس، وقيل: مفرد وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية، وترك البخس لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا طاقتها، فإن [ص222] مرعاة القسط حدا، لا زيادة ولا نقصان فيه أصلا، لا يخلو عن حرج، فأمر ببلوغ الوسع، وما وراه معفوّ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوْا فاصدقوا وَلَوْ كَانَ المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ بالنذر واليمين؛ والأمر والنهي أَوْفُوْا ذَالِكُمْ ما مر وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَرُوْنَO تتعظون به وَأَنَّ هٰذَا الذي وصكم به صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا حال فَاتَّبِعُوْهُ وَلَا تَتَّبِعُوْا السُّبُلَ المختلفة في الدين، كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فَتَفَرَّقَ بحذف إحدى التائين، تميل بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ دينه ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَO عن المحارم ثُمَّ لترتيب الأخبار آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ تَمَامًا للنعمة عَلَى الَّذِيْ أَحْسَنَ على كل من هو محسن بالقيام به وَتَفْصِيْلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ يحتاجون في دينهم وَهُدًى وَّرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ أي: بني إسرائيل بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بالبعث والحشر يُؤْمِنُوْنَO ع وَهٰذَا أي: القرآن كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير الخير فَاتَّبِعُوْهُ يا أهل مكة بالعمل بما فيه وَاتَّقُوْا الكفر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَOكراهة أَنْ تَقُوْلُوْا يا أهل مكة إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ مخففة، واسمها محذوف، أي: إنا كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ أي: قراءة كتبهم لَغَافِلِيْنَO لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلغتنا أَوْ تَقُوْلُوْا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ لجودة أذهاننا وسلامة طبائعنا، إن صدقتم فيما وعدتم عن أنفسكم فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ برهان مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَّرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ فلا أحد أظلم [ص223] مِمَّنْ كَذَّبَبِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ أعرض عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِيْنَ يَصْدِفُوْنَ يعرضون عَنْ آيَاتِنَا سُوْءَ الْعَذَابِ أشده بِمَا كَانُوْا يَصْدِفُوْنَO هَلْ يَنْظُرُوْنَ ما ينتظر المكذبون حالا إِلَّا حال أَنْ

تَاتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بقبض أرواحهم أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أي: أمره بعذابهم أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ أشراط القيامة؛ المتبع للعذاب يَوْمَ يَأْتِيْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ وهي طلوع الشمس من مغربها لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ نفسا لم تكن كَسَبَتْ فِيْ إِيْمَانِهَا خَيْرًا طاعة وإخلاصا؛ لغلق باب التوبة، فلا يقبل توبة عن الكفر أو المعاصي قُلِ انْتَظِرُوْا إحدى الآيات الثلاث إِنَّا مُنْتَظِرُوْنَO بكم إحدها إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًا فرقا، كل فرقة تشيع إمامها لَسْتَ مِنْهُمْ فِيْ شَيْءٍ من السؤال، فلا تسأل عنهم وعن تفرقهم، أو عن عقابهم إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ يتولاهم بما يشاء ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ في الآخرة بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَO هذه الآية منسوخة بآية السيف مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أي: فله عشر حسنات أمثالها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا سيئة مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بنقص ثواب؛ ومزيد عقاب قُلْ إِنَّنِيْ هَدَانِيْ رَبِّيْ إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ دِيْنًا بدل عن محل صراط قِيَمًا مستقيما، مصدر؛ أبدل واوه بالياء، كما في القيام مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا وَمَا كَانَ إبراهيم مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO قُلْ إِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ عبادتي أو حجي وذبحي وَمَحْيَايَ حياتي وَمَمَاتِيْ وموتى أو عملي فيهما للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO خالصة لَا شَرِيْكَ لَهُ في شيء من ذلك [ص224] وَبِذَالِكَ الإخلاص في التوحيد أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَO من هذه الأمة، فإن إسلام كل نبي مقدم على إسلام أمته قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام حين يدعونك إلى عبادة آلهتهم أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيْ رَبًّا وَّهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فكل شيء مربوب له وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ذنبا له إِلَّا عَلَيْهَا وزره، رد لقولهم، قالوا: اعبد يا محمد آلهتنا نحمل خطاياك وَلَا تَزِرُ أي: لا تحمل نفس وَازِرَةٌ إثمة وِّزْرَ نفس أُخْرَى أي: إثمها ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُونَO من الأديان التي فرقتموها وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ يخلف بعضكم بعضا فيها، أوكل خليفة الله تعالى في أرضه في التملك والتصرف، أو محمد عليه السلام وأمته خليفة الأنبياء والأمم وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ بالمال والجاه وغير ذلك لِيَبْلُوَكُمْ ليمتحنكم فِيْ مَاآتَاكُمْ أعطاكم ليظهر الشاكر عن غيره، والصابر عن غيره، والمطيع عن المعاصي إِنَّ رَبَّكَ سَرِيْعُ الْعِقَابِ لمن عصاه وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌOع النصف لمن أطاع.

سورة الأعراف مكية،مائتان وست آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمٓصٓOالله أعلم بمراده منه. هذا كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام فَلَا يَكُنْ فِيْصَدْرِكَ حَرَجٌ ضيق مِّنْهُ في التبليغ لخوف التكذيبن أو شك فيه لِتُنْذِرَ بِهِ متعلق الإنزال أو الكون وَذِكْرَى تذكرة لِلْمُؤْمِنِيْنَO إِتَّبِعُوْا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ أي: القرآن والسنة وَلَا تَتَّبِعُوْا لا تتخذوا مِنْ

دُوْنِهِ [ص225] غير الله أَوْلِيَاءَ تطيعونهم في المعاصي قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَO ما زائدة، تتعظون، حيث تتركون دين الله؛ وتبتغون غيره وَكَمْ خبرية مِّنْ أهل قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أردنا إهلاك أهلها فَجَاءَهَا بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتًا ليلا، كقوم لوط أَوْ هُمْ قَائِلُوْنَO مستريحون نصف النهار، ولو لم يكن معهم نوم، كقوم شعيب عليه السلام فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ اسم كان، وخبرها أن قالوا إلخ، أو بالعكس، أي: ما كان تضرعهم في أوائل العذاب إِذْ جَاءَهُمْ بَاسُنَا عذابنا إِلَّا أَنْ قَالُوْا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَO اعترفوا بالظلم، ولم ينفع فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِيْنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عن قبول الرسالة، وإجابتهم الرسل، وأرسل مسند إلى إليهم وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِيْنَO عن الإبلاغ فَلَنَقُصَّنَّ فلنخبرن عَلَيْهِمْ على الرسل؛ والمرسل إليهم بِعِلْمٍ عندنا وَمَا كُنَّا غَائِبِيْنَO عن حالهم وَالْوَزْنُ ميزان؛ له لسان وكفتان، وقيل: هو القضاء السوي، والحكم العادل يَوْمَئِذٍ يوم السؤال عن الطائفتين الْحَقُّ صفة الوزن فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ بالحسنات، ويرتفع على خلاف ما في الدنيا فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ بالسيآت، وينخفض فَأُولئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ بتضييع الفطرة السليمة بِمَا كَانُوْا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُوْنَO يكذبون، محل يصدقون وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ يا بني آدم فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيْهَا مَعَايِشَ بالياء، جمع معيش، أسبابا؛ تعيشون بها، وقد يهمز تشبيها بالصحائف قَلِيْلًا مَّا تَشْكُرُوْنَO ما زائدة؛ يؤكد القلة وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أي: آباءكم آدم من طين غير مصور ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ أي: صورناه بعد ذلك، وأنتم في ظهره ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ [ص226] سجدة تحية بالانحناء فَسَجَدُوْا إِلَّا إِبْلِيْسَ أما الجن كان مع الملائكة لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِيْنَO أي: ممن سجده قَالَ مَا أيُّ شيء مَنَعَكَ عن السجود؟ أَلَّا لا زائدة تَسْجُدَ إِذْ حين أَمَرْتُكَ قَالَ المانع أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ جوهر نوراني وَّخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍO جوهر ظلماني، نظر إلى نفس العناصر، وقد غلط في أنه خلق بيد الله، ونفخ فيه من روح الله، وعلمه الله، واستأثره بسجود الملائكة قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا من الجنة، أو من السماء، فإنها مكان المطيعين المتواضعين فَمَا يَكُوْنُ يصح لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيْهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَO الذليلين قَالَ إبليس أَنْظِرْنِيْ أمهلني من الموت؛ أو العذاب إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَO سأل مع الذل لعلمه بحلمه تعالى، يوم بعث الناس النفخة الآخرة قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَO إلى يوم وقت المعلوم، أي: النفخة الأولى قَالَ فَبِمَا الباء للقسم، وما مصدرية أَغْوَيْتَنِيْ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ لبني آدم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَO الموصل إليك؛ مترصدا للرد، متعرضا للصد ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ جمع شمال، أي: من كل جهة يأتي منها العدو، في الأغلب مانعا عن سلوكهم الصراط المستقيم وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَO مطيعين، ظن وأصاب، أو سمع من الملائكة قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوْمًا معيبا مَّدْحُوْرًا مطرودا عن الرحمة لَمَنْ تَبِعَكَ توطية للقسم مِنْهُمْ من الناس لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ منك ومنهم أَجْمَعِيْنَO وَيَا

آدَمُ اسْكُنْ خذ الجنة مسكنا أَنْتَ تأكيد للضمير في اسكن وَزَوْجُكَ الحواء؛ بالمد [ص227] الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَاتَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ شجرة الحنطة، أو الكرم بالأكل فَتَكُوْنَا فتصيرا مِنَ الظَّالِمِيْنَO فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ ليظهر لَهُمَا مَا وُوْرِيَ غطي عَنْهُمَا الواو الثانية مدة، فلذا لم تقلب الأولى همزة، كما قلبت في أُوَيْصِل؛ تصغير واصل مِنْ سَوْآتِهِمَا عوراتهما، والحال أنهما كانا لا يريانها من أنفسهما، ولا أحد هما من الآخر وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا كراهة أَنْ تَكُوْنَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُوْنَا مِنَ الْخَالِدِيْنَO وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[1] وَقَاسَمَهُمَا أي: أقسم بالله إِنِّيْ لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِيْنَO في ذلك فَدَلَّاهُمَا بِغُرُوْرٍ فنزلهما إلى الأكل منها؛ بما غر من القسم فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ أكلاها بَدَتْ ظهرت لَهُمَا سَوْآتُهُمَا عوراتهما؛ لتهافت لباس الجنة عنهما وَطَفِقَا جعلا يَخْصِفَانِ يلزقان عَلَيْهِمَا على عوراتهما مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ ورق التين، أو الموز بعضه فوق بعض، ليستروا به كما يخصف النعل وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّمُّبِيْنٌOقَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بالمعصية وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO قَالَ اهْبِطُوْا يا آدم وحواء مع ذريتكما بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بالتظالم وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ تمتع إِلَى حِيْنٍO هو انقضاء الآجال قَالَ فِيْهَا تَحْيَوْنَ وَفِيْهَا تَمُوْتُوْنَ في الأرض حياتكم وموتكم وَمِنْهَا تُخْرَجُوْنَOع بالبعث للجزاء يَا بَنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ [ص228] لِبَاسًا يُّوَارِيْ سَوْآتِكُمْ خلقنا لكم اللباس بتدبيرات سماوية؛ يستر عوراتكم وَرِيْشًا ولباس تجمل وَلِبَاسُ التَّقْوَى أي: العمل الصالح ذَالِكَ خَيْرٌ مبتداء، وخبر ذَالِكَ إنزال اللباس مِنْ آيَاتِ اللهِ الدالة على فضله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَO يعرفون عظم النعمة، فتؤمنون يَا بَنِيْ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ لا يضلنكم، بأن لا تدخلوا الجنة عن فتنته كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ بفتنة مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا حال عن فاعل أخرج لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا عوراتهما إِنَّهُ أي: الشيطان يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ جنده مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ للطافتهم إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ أَوْلِيَاءَ أعوانا وقرناء لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَO وَإِذَا فَعَلُوْا فَاحِشَةً الشرك أو الطواف بالبيت عريانا، قائلين: لا نطوف في أثواب عصينا الله فيها، فنهوا عنه قَالُوْا في العذر أوّلا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا فاقتديناهم، وثانيا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا بهذه الفاحشة قُلْ لهم إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO قُلْ أَمَرَ رَبِّيْ بَالْقِسْطِ بالعدل وَقل أَقِيْمُوْا وَجُوْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أي: اعبدوا بالإخلاص عند كل وقت سجود أو مكانه أو سجود وَادْعُوْهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّيْنَ الطاعة كَمَا بَدَأَكُمْ أول مرة تَعُوْدُوْنَO يعيدكم إحياءا يوم القيامة فَرِيْقًا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ سورة طه، الآية: 120.

منكم هَدَى هم المؤمنون وَفَرِيْقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ هم الكافرون إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِيْنَ أَوْلِيَاءَ أنصارا مِنْ دُوْنِ اللهِ غير الله وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَO وليسوا في نفس الأمر كذلك يَا بَنِيْآدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ ما يستر عورتكم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ [ص229] الصلاة والطواف وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا ما شئتم وَلَا تُسْرِفُوْا بالشروع في الحرام أو فوق الشبع، هذه الكلمة خلاصة ما في المجلدات الطب إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المسْرِفِيْنَOع ردا وإنكارا للكفار في التحاشي عن اللباس وعن اللحم والدسم واللبن، خاصة إذا أحرموا قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ الَّتِيْ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ من اللباس وَالطَّيِّبَاتِ مَنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنِ آمَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إصالة، وللكفار تبعا خَالِصَةً يَّوْمَ الْقِيَامَةِ أي: حال للمؤمنين؛ لا للكافرين كَذَالِكَ كما فصلنا هذا الحكم نُفَصِّلُ الْآيَاتِ أي: سائر الأحكام لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO إذ هم المنتفعون قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ الكبائر كالزنا مَا ظَهَرَ مِنْهَا جهرها وَمَابَطَنَ سرها وَالْإِثْمَ المعصية وَالْبَغْيَ على الناس الظلم والكبر بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوْا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا حجة وبرهانا على حقيته وَأَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُوْنَO من تحريم ما لم يحرمه الله وَلِكُلِّ أُمَّةٍ آبية عن الإيمان أَجَلٌ مدة معلومة في الاستيصال، فيا أهل مكة! تربصوا حتّى يأتيكم أجل الاستيصال فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُوْنَ عنه سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَO عليه يَا بَنِيْ آدَمَ إِمَّا إن شرطية، وما مزيدة يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيْ وجواب الشرط فَمَنِ اتَّقَى عن الشرك وَأَصْلَحَ عمله فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO في الآخرة وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا فلم يؤمنوا بها أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO فَمَنْ أَظْلَمُ لا أحد أظلم مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا بنسبته ما لا يليق بجنابه، كالشريك [ص230] والولد أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أي: القرآن أُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ يصيبهم نَصِيْبُهُمْ حظهم من الرزق وغيره مِّنَ الكِتَابِ اللوح المحفوظ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ملائكة الموت يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوْا أي: الملائكة أَيْنَ مَا ما موصولة، أي: أين الآلهة التي كُنْتُمْ تَدْعُوْنَ تعبدونها مِنْ دُوْنِ اللهِ غيره تعالى؟ قَالُوْا أي: الكفار ضَلُّوْا أي: الآلهة غابوا عَنَّا فلا نرى هم وَشَهِدُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عند الموت أَنَّهُمْ كَانُوْا كَافِرِيْنَO قَالَ أي: يقول الله تعالى لهم يوم القيامة: ادْخُلُوْا فِيْ جملة أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ النار لَعَنَتْ أُخْتَهَا شكلها في الدين، أي: التي ضلت بالاقتداء بها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوْا تلاحقوا، أصلها: تداركوا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ الأتباع لِأُوْلَاهُمْ لأجل المتبوعين رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مضاعفا مِّنَ النَّارِ وقَالَ تعالى: لِكُلٍّ منكم ومنهم ضِعْفٌ وَّلٰكِنْ لَّا تَعْلَمُوْنَO وَقَالَتْ أُوْلَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فنحن وأنتم سواء، إذ سبب كفركم بالله أنفسكم لا نحن، قال تعالى، أو الرؤساء فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَOع إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا فلم يؤمنوا بها لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُالسَّمَاءِ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت،

فيهبط إلى سجين؛ بخلاف روح المؤمن، فيصعد إلى السماء السابع. وَلَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ يدخل الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ ثقبة الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم وَكَذَالِكَ مثل الجزاء الذي وصفناه نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَO [ص231] الكافرين لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ فراش وَّمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ أغطية من النار، جمع غاشية، والتنوين من التاء المحذوفة عوض وَكَذَالِكَ نَجْزِي الظَّالِمِيْنَOوَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مبتداء وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا طاقتها، جملة معترضة أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خبر هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ حقد، كان بينهم في الدنيا تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ أي: من تحت قصورهم الْأَنْهَارُ قال علي رضي الله عنه: ((إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا،وَعُثْمَانُ[1]، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ[2] مِنْهُمْ))[3] وَقَالُوا عند الاستقرار في منازلهم الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ هَدَانَا لِهٰذَا العمل، الذي هو وسيلة إلى هذا الفوز وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ جواب لو محذوف، دل عليه ما قبله لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُوْدُوْا أَنْ مخففة من مثقلة، وضمير الشان اسمها تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُوْرِثْتُمُوْهَا أعطيتموها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَOالثلاثة وفي لفظ الإرث إشارة إلى أنها ليست بأجرة شيء، بل محض الفضل، كما أن الإرث كذلك وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ مخففة، أي: أنه قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا من الثواب حَقًّا حال فَهَلْ وَجَدْتُّمْ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ من العذاب حَقًّا قَالُوْا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فنادى مناد بَيْنَهُمْ بين الفريقين أَنْ لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَO الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ يمنعون الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا يطلبون السبيل إعوجاجا، وميلا عما هي عليه وَهُمْ بِالْآخِرَةِ بالدار الآخرة كَافِرُوْنَO وَبَيْنَهُمَا بين الفريقين حِجَابٌ سور وَعَلَى الْأَعْرَافِ جمع [ص232] عرف، استعير من عرف الفرس والديك، أي: على أعاليه من أهلهما رِجَالٌ سوى الحسنات والسيئات، أو أطفال المشركين، أو أفاضل المسلمين يَعْرِفُوْنَ كُلًّا من أهلهما بِسِيْمَاهُمْ ببياض الوجه وسوادها وَنَادَوْا

---

1 – عثمان رضي الله عنه: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله يكنى بابنه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. سليمان بن خلف: أبو الوليد، القرطبي، الأندلسي، (ت: 474هـ). التعديل والتجريح: (ط–1، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، 1406هـ / 1986م). 944/3.

2 – الزبير: هو الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك. وأمه: صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– ويكنى: أبا عبد الله. وكان حواريّ رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– وأحد العشرة الذين سمّوا للجنة، وأحد أصحاب الشورى. ابن قتيبة: المرجع السابق. ص: 219.

3 – الشيباني: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، (ت: 241هـ). فضائل الصحابة: (ط–1، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ / 1983م). رقم الحديث: 1057، 618/2.

أي: اصحاب الأعراف أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ تهنية للمؤمنين لَمْ يَدْخُلُوْهَا أي: أصحاب الأعراف الجنة على الأولين، وأصحاب الجنة على الأخير وَهُمْ أي: أصحاب الأعراف، أو الجنة يَطْمَعُوْنَO في دخولها وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ أبصار أصحاب الأعراف تِلْقَاءَ جهة أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوْا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا في النار مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَOع وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا من أصحاب النار يَعْرِفُوْنَهُم بِسِيْمَاهُمْ زرقة العين وسواد اللون قَالُوْا أي: أصحاب الأعراف مَا أَغْنَى عَنْكُمْ يا رجال الكافرين جَمْعُكُمْ المال، أو كثرتكم واجتماعكم وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَO على الحق، وعلى المؤمنين أَهَؤُلَاءِ إشارة إلى فقراء المؤمنين، كصهيب وعمار وسلمان رضي الله عنهم، هم الَّذِيْنَ أَقْسَمْتُمْ حلفتم عليهم، إنهم لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ أي: لا يدخلنهم الله الجنة، تحتقرونهم لفقرهم أُدْخُلُوا يا أصحاب الأعراف بعد النظر والعرفان والقول الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَO وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيْضُوْا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ من الطعام قَالُوْا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِيْنَO منعهما عنهم الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَهْوًا وَّلَعِبًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ نتركهم في النار كَمَا نَسُوْا بترك العمل لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوْا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُوْنَO أي: وكما جحدوا وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ [ص233] أهل مكة بِكِتَابٍ بقرآن فَصَّلْنَاهُ بالأحكام والأخبار، والوعد والوعيد عَلَى عِلْمٍ أي: عالمين هُدًى وَّرَحْمَةً حال لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO به هَلْ بمعنى ما يَنْظُرُوْنَ أي: أهل مكة ما ينتظرون إِلَّا تَأْوِيْلَهُ عاقبته ما فيه، وما يؤل إليه من الصدق والصحة يَوْمَ يَأْتِيْ تَأْوِيْلُهُ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ تركوه مِنْ قَبْلُ تبين أنه قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فاقرؤا، ولا ينفعهم فَهَلْ لَّنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوْا لَنَا أَوْ هل نُرَدُّ إلى الدنيا فَنَعْمَلَ أي: التوحيد غَيْرَ الَّذِيْ كُنَّا نَعْمَلُ أي: الشرك، فيقال لهم: لا، قال تعالى: قَدْ خَسِرُوْٓا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ أي: غاب مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَOع من الشركإِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وما بينهما فِيْ قدر سِتَّةِ أَيَّامٍ من أيام الدنيا، من الأحد إلى الجمعة، ولو شاء لخلق في لمحة، لكن ليعلم أن التأني في الأعمال حسن ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ استواءا يليق بجنابه، قال الصادق والحسن وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم: الاستواء معلوم، والتكيف مجهول، والإيمان به واجب، والجحود به كفر، والسؤال عنه بدعة. والعرش في اللغة: السرير يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ يغطي كلا بالآخر، ويلحق أجزاء الليل بالنهار؛ وأجزاء النهار بالليل، ولم يذكر العكس للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما يَطْلُبُهُ حَثِيْثًا أي: يطلب كل منهما الآخر طلبا سريعا، وقيل: هو حال، أي: حال كون الكل بمضيه سريعا في طلب الآخر وَخلق الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُوْمَ مُسَخَّرَاتٍ مذللات بِأَمْرِهٖ بقضائه وتصرفه بالأمر التكويني أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَO من البركة؛ بمعنى النماء، أو من البروك؛ بمعنى الثبات، فمعناه: كثر خيره، أو ثبت ودام بره، وقيل: الخلق

ما ذاق ذل كن، والأمر ما لم يذقه، كعالم الجبروت [ص234] أُدْعُوْا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا تذللا وَّخُفْيَةً عن الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا[1]، كذا في المعالم إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَO المتجاوزين في الدعاء بالتشدق، ورفع الصوت. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ((سَيَكُوْنُ فِيْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُوْنَ فِي الدُّعَاءِ، وَحَسْبَ الْمَرْءِ أَنْ يَقُوْلَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْئَلُكَ الْجَنَّةَ؛ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَّعَمَلٍ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ؛ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَّعَمَلٍ، ثُمَّ قَرَءَ: إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ)). كذا في المدارك [2]. وَلَا تُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ بالشرك والمعاصي بَعْدَ إِصْلَاحِهَا بإرسال الرسل للتوحيد والطاعة وَادْعُوْهُ خَوْفًا خائفين عن الرد أو العدل وَطَمَعًا طامعين في القبول والعضل إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ أي: ترحمه قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَO المطيعين وَهَوَ الَّذِيْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا من البشارة بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ قدام المطر حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ حملت ورفعت الرياح الأقلال من القلة، لأن الرافع يرى ما يرفعه قليلا سَحَابًا بمعنى سحائب ثِقَالًا بالماء، جمعه، لأنه محمول على المعنى سُقْنَاهُ أي: السحاب، حملا على لفظه المفرد لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ لإحياء بلد؛ لا نبات فيه فَأَنْزَلْنَا بِهِ بالبلد الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَالِكَ مثل إخراج النبات نُخْرِجُ الْمَوْتَى من الأجداث لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَO فيؤمنون بالبعث وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ الأرض الكريمة التربة يَخْرُجُ نَبَاتُهُ وافيا حسنا بِإِذْنِ رَبِّهِ بمشيته وتيسيره، كالمؤمن إذا سمع عظة ينتفع بها وَالَّذِيْ خَبُثَ ترابه لَا يَخْرُجُ نباته إِلَّا نَكِدًا قليلا عديم النفع، وهذا مثل الكافر كَذَالِكَ مثل ذلك التصريف نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نكرّرها ونردّدها، أو نبيّنها لِقَوْمٍ يَّشْكُرُوْنَOع نعمة الله ليتفكروا، [ص235] ويعتبروا بها. والله لَقَدْ أَرْسَلْنَا لام قسم نُوْحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ بالرفع بدل من محله إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ إن عبدتم غيره عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO يوم القيامة أو يوم الطوفان قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ قلبا فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO بيّن قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِيْ ضَلَالَةٌ للمرة، والضلال للجنس، فنفيها أبلغ وَلٰكِنِّيْ رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَO أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ في الأوقات المختلفة، أو المعاني المتنوعة وَأَنْصَحُ لَكُمْ أي: أريد الخير لكم وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ من تأثيرات صفاته القاهرة مَا لَا تَعْلَمُوْنَO أكذبتم وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ موعظة مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى لسان رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ العذاب على الشركوَلِتَتَّقُوْا الله بالإنذار وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO بالتقوى إن وجد فيكم فَكَذَّبُوْهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ هم ثمانون، منهم أربعون رجلا؛ وأربعون امرأة، وقيل: تسعة، ثلاثة بنوه: سام وحام ويافث، وستة لمن آمن به فِي الْفُلْكِ السفينة من الغرق وَأَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ

---

1 – عبد الله: بن أحمد بن علي. مختصر تفسير البغوي = معالم التنزيل: (ط–1، دار السلام، الرياض، 1416هـ). 307/2.

2– النسفي: المرجع السابق. 574/1.

كَانُوْا قَوْمًا عَمِيْنَO ع عن الحق، أصله عميين ، باليائين، مخفف، جمع عمي، يستعمل في عمى القلب وَأرسلنا إِلَى عَادٍ الأولى أَخَاهُمْ أي: واحدا منهم هُوْدًا بن شافح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وحده مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُوْنَO الله؛ فتؤمنون به قَالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إنما قيد به، لأن بعضهم من الأشراف أمن بهود عليه السلام مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ سَفَاهَةٍ خفة عقل، وجهالة وَّإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَO في ادعائك الرسالة قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِيْ سَفَاهَةٌ [ص236] وَّلٰكِنِّيْ رَسُوْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَO أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ فيما أدعوكم إليه تعالى أَمِيْنٌO على ما أقول أَكذبتم وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوْا إِذْ وقت جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ في الأرض مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ وَّزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَطَةً أطولهم: مائة ذراع، وأقصرهم: ستون فَاذْكُرُوْاآلَاءَ اللهِ نعمه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO قَالُوْا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ كان له مكان معين يعبد الله هناك وحده، كالحراء للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعث وَنَذَرَ نتركما كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا به من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في الإنذار قَالَ قَدْ وَقَعَ وجب أو نزل عَلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ رِجْسٌ عذاب وَّغَضَبٌ سخط أَتُجَادِلُوْنَنِيْ فِيْ أَسْمَاءٍ في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمون الأصنام آلهة، وأين معنى الألوهية فيها؟ سَمَّيْتُمُوْهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ حجة وبرهان، تدل على الألوهية فيها فَانْتَظِرُوْا العذاب إِنِّيْ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِيْنَO ذلك، فأرسلت عليهم الريح العقيم من السحاب الأسود، الذي اختاره قيل بن عتر، وقصته: إنهم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث إليهم هود، فكذبوه، فأمسك عنهم القطر ثلاث سنين، وكان من عادة الناس عند نزول البلاء التوجه إلى البيت الحرام لطلب الفرج، فتوجه من قبل قوم عاد، قيل بن عتر في سبعين من الأعيان، ونزل عند معاوية بن بكر[1]؛ رئيس العمالقة، التي كانوا من أولاد عمليق بن لاوذ بن سام [ص237] خارج مكة، فأكرم الضيف، وكانوا يشربون الخمر، ويغنّيهم الفتيان، فذهلوا عما بعثوا، فنبههم معاوية بتنبيه عجيب، فدخلوا مكة، فقال قيل:اللّهم اسق عادا ما كنت تسقيهم، فأنشاء الله تعالى ثلاث سحابات: بيضاء وحمراء وسوداء، وقال مناد من السماء: اختر لقومك أحدها، فاختار السوداء، زاعما كثرة الماء فيها، فخرجت على عاد من وادي المغيث، فاستبشروا بها، وقالوا: هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم فَأَنْجَيْنَاهُ أي: هودا وَالَّذِيْنَ مَعَهُ من المؤمنين بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بَآيَاتِنَا استاصلناهم وَمَا كَانُوْا مُؤْمِنِيْنَO ع

1 – معاوية بن بكر: هو معاوية بن بكر بن هوازن، من قيس عيلان، من عدنان: جدّ جاهلي. مات قتيلا، فجعل عامر بن الظرب العدواني، ديته مئة من الإبل. قال ابن حزم: وهي أول دية قضي فيها بذلك. الزركلي: المرجع السابق. 260/7.

وَأرسلنا إِلَى ثَمُوْدَ منع عن الصرف؛ بتأويل القبيلة أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ معجزة مِّنْ رَّبِّكُمْ على صدقي، حيث سألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة، عينوها هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً حال، والعامل معنى الإشارة فَذَرُوْهَا فاتركوها تَاكُلْ فِيْ أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوْءٍ بضرب أو عقر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO وَاذْكُرُوْا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ في الأرض مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَّبَوَّأَكُمْ نزلكم فِي الْأَرْضِ أرض الحجر؛ بين الحجاز والشام تَتَّخِذُوْنَ مِنْ سُهُوْلِهَا في سهول الأرض قُصُوْرًا للصيف وَتَنْحِتُوْنَ الجِبَالَ بُيُوْتًا للشتاء، حال مقدرة فَاذْكُرُوْاآلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَO لا تتجاوزوا في شدة الفساد قَالَ الْمَلَاءُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا عن الإيمان مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا استضعفهم رؤساء الكفار لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بدل من للذين استضعفوا؛ بإعادة الجار أَتَعْلَمُوْنَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ إليكم مِّنْ رَّبِّهِ [ص238] قالوا: على سبيل السخرية قَالُوْا نعم، بل نترقي ونقول: إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُوْنَO قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا إِنَّا بِالَّذِيْ آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَO والماء كان بين الناقة والناس بالنوبة اليومي ففعلوا ذلك فَعَقَرُوا النَّاقَةَ روي أن ثمود بعد عاد عمروا البلاد، وكانوا في سعة وخصب، فعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحا من أشرافهم، فاقترح جندع بن عمرو؛ سيد القوم آية، هي: أن تخرج من الصخرة الكائبة ناقة عشراء جوفاء وبراء، فدعَى، فتمخضت الضخرة، فخرجت ناقة كما وصف، ثم نتجت ولدا مثلها في العظم، فامن جندع، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وترف الماء غبا، ويشرب ماء البئر كله، فيحلبون بملاء الأواني، وتهرب مواشيهم عنها، فشق عليهم، فأمروا قدار بن سالف[1]، كان أحمر أزرقا قصيرا كفرعون، فعقر، ((وَهُوَ أَشْقَى النَّاسِ فِي الْأَوَّلِيْنَ، كَمَا أَنَّ قَاتِلَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَشْقَاهُمْ فِي الْآخِرِيْنَ))كذا في الحديث[2]،وكان القتل يوم الأربعاء، ونفر الفصيل، فقصدوا إدراكه بأمر النبي عليه السلام، ليرفع عنهم العذاب بدركه، فلم يقدروا، فدخل في الصخرة المنفرجة، فعاشوا بعده ثلاثة أيام، يوما اصفرت الوجوه، ويوما احمرت،

---

1 – قدار بن سالف: كان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع، وكان أحمر أزرق أصهب، ويقال: إنه ولد زانية، ولد على فراش سالف، وهو ابن رجل، يقال له: صيبان. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 154/1.

2 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، والحديث الكامل: ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ؟ لِمَا يَرَى مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: أُحَيْمِرُ ثَمُودُ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ)). النسائي: أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمان، (ت: 303هـ). السنن الكبرى: (ط–1، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ / 2001م). كتاب الخصائص، ذكر أشقى الناس، رقم الحديث: 8485. 464/7.

ويوما اسودت، وفي الرابع صاح عليهم جبرائيل عليه السلام، فهلكوا وَعَتَوْا أعرضوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ حيث قال لهم صالح عليه السلام[1]: فذروها تأكل في أرض الله، وَقَالُوْا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب على قتلها إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَO فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة في الأرض؛ الناشئة عن الصيحة في السماء فَأَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جَاثِمِيْنَO باركين على الركب، ميتين؛ لا حراك لهم فَتَوَلَّى عَنْهُمْ أعرض صالح بعد هلاكهم وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ [ص239] رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَّا تُحِبُّوْنَ النَّاصِحِيْنَO وخطاب الموتى كخطاب أهل قليب بدر، ﴿هَلْ وَجَدْتُمْ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾؟ [2] وقيل: أعرض بعد العقر في مائة وعشرين من المسلمين، وقال عند فراقه القوم وَأرسلنا لُوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ أدبار الرجال مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ زائدة أَحَدٍ مِّنْ الْعَالَمِيْنَO الإنس والجن إِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُوْنِ النِّسَاءِ مفعول له كالبهائم، لا لطلب الولد كالعاقل بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَO متجاوزن من الحلال إلى الحرام وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوْا أَخْرِجُوْهُمْ أي: لوطا ومن تبعه مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُوْنَO من إدبار الرجال، عابوهم بما يتمدح فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِيْنَO من الباقين في العذاب وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا حجارة السجيل أهلكتهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَOع وَأرسلنا إِلَى مَدْيَنَ اسم قبيلة، كانوا أهل بخس في المكائيل والموازين أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ على صدقي، هي المعجزة المتروكة ذكرها في القرآن فَأَوْفُوا أتموا الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ لا تنقصوهم {في حقوقهم}[3] أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ بالكفر والمعاصي بَعْدَ إِصْلَاحِهَا بعثة الرسل، وزهد الأولياء ذَالِكُمْ المذكور خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO راغبين فيه وَلَا تَقْعُدُوْا بِكُلِّ صِرَاطٍ طريق تُوْعِدُوْنَ من آمن بشعيب بالعذاب وأخذ الثياب والقتل [ص240] وَتَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ تمنعون عن دينه مَنْ آمَنَ بِهِ بالله وَتَبْغُوْنَهَا عِوَجًا تطلبون سبيله معوجة بالنسبة لأنفسهم أو للناس وَاذْكُرُوْا على جهة الشكر إِذْ وقتا كُنْتُمْ فيه قَلِيْلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَO

1 – صالح عليه السلام: هو صالح بن عبد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد، ولا يشركوا به شيئا، فآمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 150/1.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 44.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

قبلكم بتكذيبهم رسلهم وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوْا بِالَّذِيْ أُرْسِلْتُ بِهِ أي: التوحيد أو الدين وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوْا به فَاصْبِرُوْا فتربصوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا بنصر المحقين على المبطلين وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَO أعدلهم.

قَالَ الْمَلَاءُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا عن الإيمان مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ لترجعن فِيْ مِلَّتِنَا ديننا، قالوا تغليبا، إذ شعيب لم يكن في دينهم قط قَالَ أنعود فيها وَلَوْ كُنَّا كَارِهِيْنَO استفهام إنكار قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُوْنُ ينبغي لَنَا أَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَا إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللهُ رَبُّنَا خذلاننا وارتدادنا، فكل خير وشر بمشيته وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا تمييز عَلَىاللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ اقض، والفتاحة الحكومة بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْنَO سمي القاضي فتاحا وَقَالَ الْمَلَاءُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْقَوْمِهِ بعضهم لبعض لَئِنْ لام قسم اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُوْنَO فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة؛ الناشئة من الصيحة فَأَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جَاثِمِيْنَO باركين على الركب، ميتين الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا شُعَيْبًا كَانَ لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا أي: استوصلوا، كأن لم يقيموا في دارهم، يقال غني بالمكان، أي: أقام [ص241] الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا شُعَيْبًا كَانُوْا هُمُ الْخَاسِرِينَO فَتَوَلَّى عَنْهُمْ أعرض بعد وقوع العذاب عليهم وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وخطاب الموتى، مرَّ ذكره فَكَيْفَ استفهام بمعنى النفي آسَى أحزن عَلَى قَوْمٍ كَافِرِيْنَOع وَمَا أَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ فكذبوه إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ الفقر وَالضَّرَّاءِ المرض لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُوْنَO يتذللون، فيؤمنون ثُمَّ بَدَّلْنَا أعطيناهم مَكَانَ السَّيِّئَةِ الفقر والمرض الْحَسَنَةَ الغنى والصحة حَتَّى عَفَوْا كثروا إعدادا وعددا، يقال: عفا النبات إذا كثر وَقَالُوْا كفرانا لنعمة الله قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ أي: عادة الدهر عقوبة الناس بالبأساء والضراء، وقد مس آبائنا مثل ما مسنا، وما هو بعقوبة الذنوب، وكونوا على ما أنتم عليه، قال تعالى: فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فجأة وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO بنزول العذاب وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوْا بدل ما كذبوا وَاتَّقَوْا الشرك والمعاصي لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ المطر وَالْأَرْضِ النبات وَلٰكِنْ كَذَّبُوْا الرسل فَأَخَذْنَاهُمْ فعاقبناهم بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أي: المكذبون أَنْ يَّأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتًا ليلا وَّهُمْ نَائِمُوْنَO أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَّأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا عذابنا ضُحًى وقت شروق الشمس وَهُمْ يَلْعَبُوْنَO يشتغلون بما لا يُجدي لهم نفعا، ألفاء والواو عطف على أخذناهم، دخلت عليهما همزة الإنكار، وبينهما جملة معترضة، والمعنى أخذناهم بغتة: أ بعد ذلك آمنوا بياتا أو ضحى عن بأسنا؟ أَفَأَمِنُوْا مَكْرَ اللهِ استدراجهم بالنعمة، وأخذهم بغتة، تكرير لما سبق [ص242] فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُوْنَOع الكافرون أَوَلَمْ

يَهْدِ لم يبين لِلَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ الْأَرْضَ بالسكنى مِنْ بَعْدِ هلاك أَهْلِهَا فاعل لم يهد، قوله أَنْ مخففة أي: أنه لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ أي: الوارثين بالعذاب بِذُنُوْبِهِمْ بسببها كما أهلكنا المورثين وَنحن نَطْبَعُ نختم عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَO سماع تفهم وتدبر تِلْكَ الْقُرَى من قوم نوح إلى قوم شعيب نَقُصُّ عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مِنْ أَنْبائِهَا بعض أخبارها، ولها أنباء آخر، لم نقصص عليك وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا عند مجيئهم بها بِمَا كَذَّبُوْا من آيات الله مِنْ قَبْلُ أي: قبل مجيئهم، واستمروا على التكذيب كَذَالِكَ مثل ذلك الطبع الشديد يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوْبِ الْكَافِرِيْنَO ليختموا على الكفر وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ ما علمنا لأكثر الناس على الإطلاق من وفاء عهد، عهدوا يوم الميثاق بالإيمان بالله وَإِنْ مخففة، أي: إنه وَجَدْنَا علمنا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِيْنَO خارجين عن الطاعة ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ بعد الرسل مُوْسَى بِآيَاتِنَا التسع إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أي: قومه فَظَلَمُوْا بِهَا فكفروا بآياتنا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِيْنَO حيث ماتوا مغرقين وَقَالَ مُوْسَى يَا فِرْعَوْنُ يقال لملوك مصر الفراعنة، كما يقال لملوك الفارس الأكاسرة، واسمه: قالون، أو قابوس،أو الوليد بن مصعب بن الريان إِنِّيْ رَسُوْلٌ إليك مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَO قال فرعون: كذبت، قال موسى: أنا حَقِيْقٌ جدير عَلَى أَنْ أي: بأن لَّا أَقُوْلَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ ما يبين رسالتي [ص243]مِنْ رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون نسل الأسباط، واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان بين يوسف وموسى عليهما السلام أربع مائة سنة، أي: خل سبيلهم حتّى يرجعوا إلى الأرض المقدسة؛ التي هي وطنهم، وقد أهنتهم بالاستعباد قَالَ فرعون إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ على دعوى رسالتك فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO فيها فَأَلْقَى موسى عليه السلام عَصَاهُ من يده فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ حية عظيمة مُّبِيْنٌOع ظاهر، أمره فاتحا فاه، وبين لحيتيه ثمانون ذراعا وَّنَزَعَ أخرج يَدَهُ عن جيبه فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ذات شعاع، يغلب شعاعه شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة لِلنَّاظِرِيْنَOع قَالَ الْمَلَأُ مع فرعون بالتشاور، ولذا نسب في سورة الشعراء إلى نفسه مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيْمٌO فائق في السحر يُرِيْدُ أَنْ يُّخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بمصر، قال فرعون: للملاء فَمَا ذَا تَأْمُرُوْنَO ما تشيرون في أمره؟ قَالُوْا أَرْجِهْ الإرجاء: التأخير، وأصله أرجهه وَأَخَاهُ أي: آخرهما وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِيْنَO جامعين يَأْتُوْكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيْمٍO مثله أو خير منه، فجمع وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوْا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا عظيما إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِيْنَO قَالَ نَعَمْ إن لكم لأجرا وَإِنَّكُمْ إذا لَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَO عندي، وكانوا بضعة وثلاثين ألفا قَالُوْا يَا مُوْسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عصاك وَإِمَّا أَنْ نَّكُوْنَ نَحْنُ الْمُلْقِيْنَO ما معنا، وفيه رغبة منهم بالإلقاء أوّلا قَالَ موسى أَلْقُوْا تحقيرا لشأنهم فَلَمَّا أَلْقَوْا حبالهم وعصيهم

سَحَرُوْا صرفوا أَعْيُنَ النَّاسِ عن درك حقائقها وَاسْتَرْهَبُوْهُمْ خوفوهم بالتخيل، إنها حيات تسعى وَجَاءُوْا بِسِحْرٍ عَظِيْمٍO [ص244] في أعين الناس، أو في الحيات وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ أي: تبتلع مَا يَأْفِكُوْنَO ما يقلبونه عن الحق إلى الباطل بالتموية فَوَقَعَ ثبت الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO من السحر فَغُلِبُوْا هُنَالِكَ أي: فرعون وملاءه والسحرة وَانْقَلَبُوْا صاروا صَاغِرِيْنَO أذلاء، ومبهوتين وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِيْنَO وخروا سجدا لله، كأنه ألقاهم ملاق قَالُوْا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO رَبِّ مُوْسَى وَهَارُوْنَO فارقين بين السحر والمعجزة، فإن ما رأوا من العصا لا يتأتي من السحرة قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ بموسى عليه السلام قَبْلَ أَنْ مصدرية آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا الذي صنعتموه من الحيلة لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوْهُ أنتم وموسى فِي الْمَدِيْنَةِ في مصر قبل الخروج إلى الصحراء للميعاد، يوم الزينة لهذا الغرض لِتُخْرِجُوْا مِنْهَا من مصر أَهْلَهَا أي: القبط، وتسكنوا بني إسرائيل فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَO ما ينالكم مني لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ من كل شق طرف؛ اليد اليمنى والرجل اليسرى ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِيْنَO قَالُوْا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَO بعد الموت بأي وجه كان وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا وما تعيب منا شيئا إِلَّا أَنْ اٰمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا والإيمان: أصل المفاخر والمناقب رَبَّنَا أَفْرِغْ اصب واقض عَلَيْنَا صَبْرًا عند ما يوعده؛ لئلا نرجع كفارا كما كنا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَOع ثابتين على الإسلام وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوْسَى أ تتركه وَقَوْمَهُ بني إسرائيل لِيُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ مصر بإبداع دين؛ لم يكن قبل وَيَذَرَكَ وَاٰلِهَتَكَ صنع فرعون اٰلهة صغارا، وأمرهم بعبادتها، ولذلك قال: أنا ربكم الأعلى، وقيل: كان يعبد الكواكب، أي: يتركك [ص245] واٰلهتك، عطف على يفسدوا قَالَ مجيبا سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ المولدين وَنَسْتَحْيِي نستبقي نِسَاءَهُمْ كما فعلنا من قبل؛ ليعلموا أن غلبتنا عليهم باقية وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُوْنَO كما كنا قبل هذا، فشكوا إلى موسى عليه السلام، وجزعوا عن قوله قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ تسلية لهم، ووعدا بالنصر اسْتَعِيْنُوْا بِاللهِ وَاصْبِرُوْا إِنَّ الْأَرْضَ مصر وغيرها لله يُوْرِثُهَا بعضها مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ المحمودة لِلْمُتَّقِيْنَO الله؛ سواء كانوا من القبط أو السبط أو غيرهما قَالُوْا شكاية عن صنعة فرعون قبل ظهور موسى عليه السلام وبعده أُوْذِيْنَا بقتل الأبناء مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا فمتى النصر الموعود؟ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُّهْلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَOع فيها وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِيْنَ لأهل البوادي، والمراد: سني القحط، وهو سبع سنين، والسنة من الأسماء الغالبة، كالدابة والنجم وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لأهل الأمصار لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَO يتعظون فيسلمون، قيل: عاش فرعون أربع مائة سنة، ولم ير مكروها في ثلاثة مائة وعشرين سنة، لو أصابه ما ادعى الربوبية فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ الخصب والغنى والصحة قَالُوْا لَنَا هٰذِهِ أي: نحن مستحقيها، ولم يشكروا عليها وَإِنْ تُصِبْهُمْ

سَيِّئَةٌ جدب وفقر ومرض يَّطَّيَّرُوْا بِمُوْسَى وَمَنْ مَّعَهُ من المؤمنين، أصله: يتطيروا، فأدغمت، أي: يتشأموا بهم أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ بسبب جرمهم وشرهم عِنْدَ اللهِ في حكمه ومشيته، لفظ الطائر قد يقع بمعنى الحظ والنصيب؛ خيرا كان أو شرا، وقد يقع على التشاؤم وحده وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO أن ما نصيبهم؛ إنما هو من عند الله وَقَالُوْا مَهْمَا أصله: ماما، [ص246] الأولى للشرط، والثانية مزيدة للتأكيد، قلبت الألف هاء استثقالا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا الضمير في به يرجع إلى لفظ ما، وفي بها باعتبار المعنى فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَO فدعا عليهم فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوْفَانَ ما طاف بهم، أي: المطر دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، وقيل: طاف بهم الجدري أو الموتان، أو الطاعون وَالْجَرَادَ أكل ثمارهم، وذروعهم، وسقوفهم وَالْقُمَّلَ أي: السوس، فأكل ما بقي عن الجراد وَالضَّفَادِعَ فملاء بيوتهم وطعامهم، من فتح فاه دخل فيه وَالدَّمَ رعاف، وقيل: صارت مياههم دماءا أٰيٰتٍ حال مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوْا عن الإيمان بموسى وَكَانُوْا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَO وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ العذاب قَالُوْا يَا موسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ من كشف العذاب بدعائك لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ العذاب لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO فدعا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ بدعاء موسى عليه السلام إِلَى أَجَلٍ حد من الزمان هُمْ بَالِغُوْهُ أي: هم لا محالة أن يبلغوه؛ وهو وقت الغرق، أو الموت إِذَا هُمْ يَنْكُثُوْنَO ينقضون عهدهم فجأة، ويصرون على كفرهم فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ من التيمم؛ بمعنى القصد، فإن الغواصين يقصدونه، والمراد: هو البحر الذي لا يدرك قعرها، وقيل: هو البحر المالح بِأَنَّهُمْ الباء سببية كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غَافِلِيْنَO لا يتدبرون فيها وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُوْنَ هم بنو إسرائيل؛ ضعفوا بالقتل والاستخدام مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مصر والشام الَّتِيْ بَارَكْنَا فِيْهَا بالخصب وسعة الرزق وكثرة الأنهار والأشجار وَتَمَّتْ مضت كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ [ص247] بِمَا صَبَرُوْا بسبب صبره؛ وعدم جزعهم على ما أصابهم، وهي قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَنُرِيْدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا فِي الْأَرْضِ﴾[2] وَدَمَّرْنَا أهلكنا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ من العمارات وبناء القصور وَمَا كَانُوْا يَعْرِشُوْنَOالربع يبنون بالرفعة، كصرح هامان وَجَاوَزْنَا بِبَنِيْ إِسْرَائِيْلَ الْبَحْرَ عبرناهم يوم عاشورآء فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُوْنَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ فمروا على قوم مواظبين على عبادة تماثيل البقرة

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالُوا أُوذِيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 129

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ سورة القصص، الآية: 5

قَالُوْا أي: بنو إسرائيل يَا موسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلٰهًا صنما كَمَا لَهُمْ اٰلِهَةٌ قَالَ موسى عليه السلام إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَO حيث قابلتم نعمة النصر على العدو بهذا القول الرزيل إِنَّ هٰٓؤُلَاءِ عبدة التماثيل مُتَبَّرٌ مهلك، من التبار؛ بمعنى الهلاك مَا هُمْ فِيْهِ أي: دين كانوا فيه وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيْكُمْ أي: أبتغي لكم إِلٰهًا وَّهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِيْنَO عالمي زمانكم وَاذكروا إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ يطلبونكم، ويذيقونكم سُوْءَ الْعَذَابِ أشده يُقَتِّلُوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ يستبقون نِسَاءَكُمْ وَفِيْ ذَالِكُمْ بَلَاءٌ في الإنجاء نعمة، أو في العذاب نقمة مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌOع أفلا تتعظون، فتنتهون عما قلتم، روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر، أن أهلك الله عدوكم، أتاكم بكتاب من عند الله، فلما هلك سأل ربه الكتاب، فأمر بصوم ذي قعدة، وإليه أشار بقوله: وَوَاعَدْنَا مُوْسَى ثَلَاثِيْنَ لَيْلَةً لإعطاء التوراة وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ أي: أمر بصوم ذي القعدة، فصامها، فأنكر الخلوف في فمه، فاستاك، وهو عند الله أطيب من ريح المسك، فأمر أن يزيد عليها عشرة من ذي الحجة لذلك [ص248] فَتَمَّ مِيْقَاتُ رَبِّهِ وقت وعده بكلامه إياه أَرْبَعِيْنَ حال لَيْلَةً تمييز وَقَالَ مُوْسَى لِأَخِيْهِ هَارُوْنَ اخْلُفْنِيْ كن خليفتي فِيْ قَوْمِيْ وَأَصْلِحْ أمرهم وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيْلَ الْمُفسِدِيْنَO بالموافقة على المعاصي وَلَمَّا جَاءَ مُوْسَى لِمِيْقَاتِنَا للوقت الذي وعدنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بلا واسطة؛ كما يكلم بالملائكة كلاما، كان يسمعه من كل جهة؛ بلا كيفية قَالَ رَبِّ أَرِنِيْ نفسك أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ تعالى لَنْ تَرَانِيْ أي: لا تقدر على رؤيتي بعين فانية، ولم يقل: لن أري ليفيد إمكان رؤيته تعالى وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ الذي أقوي منك فَإِنِ اسْتَقَرَّ ثبت مَكَانَهُ على حاله فَسَوْفَ تَرَانِيْ تثبت لرؤيتي؛ وإلا فلا طاقة لك فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ((أَظْهَرَ مِنْ نُّوْرِهِ قَدْرَ نِصْفِ أُنْمُلَةِ الْخِنْصَرِ)) كما في الحديث[1] جَعَلَهُ دَكًّا مدكوكا مفتتا، قال أبو منصور الماتريدي موافقا لما قال الشيخ الأشعري: خلق في الجبل حياة وعلما وبصرا حتّى رأى ربه وَخَرَّ سقط مُوْسَى صَعِقًا مغشيا؛ لهول ما رأى، وكان يوم عرفة فَلَمَّا أَفَاقَ من صعقة قَالَ سُبْحَانَكَ تنزيها لك عما لا يليق بكبريائك تُبْتُ إِلَيْكَ من السؤال في الدنيا وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَO في زماني، أو بأنك لا ترى في الدنيا قَالَ يَا مُوْسَى إِنِّيْ اصْطَفَيْتُكَ اخترتك عَلَى النَّاسِ أهل زمانك بِرِسَالَاتِيْ هي أسفار التوراة وَبِكَلَامِيْ تكليمي إياك فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ من النبوة والحكمة وَكُنْ مِّنَ الشَاكِرِيْنَO على النعمة، فأنزل الله التوراة يوم النحر وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ كانت عشرة، أو سبعة من سدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه في الدين مَوْعِظَةً وَّتَفْصِيْلًا تبيانا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا فقلنا له خذها بِقُوَّةٍ بجهد وجد [ص249] وَّأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوْا

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، ولفظه للحاكم: ((أَخْرَجَ مِنَ النُّورِ مِثْلَ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى نِصْفِ أُنْمُلَةِ الْخِنْصَرِ))الحاكم: المرجع السابق. كتاب الإيمان، وأما حديث معمر، رقم الحديث: 67. 77/1.

بِأَحْسَنَهَا في التوراة حسن وأحسن، كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب سَأُورِيْكُمْ دَارَ الْفَاسِقِيْنَO كيف أكفرت منهم لتعتبروا، فلا تفسقوا مثل فسقهم أو جهنم سَأَصْرِفُ عَنْ فهم آيَاتِي دلائل توحيدي الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ حال، إذ الكبرياء ليس إلا لله وَإِنْ يَّرَوْا كُلَّ آيَةٍ دالة على التوحيد لَا يُؤْمِنُوْا بِهَا وَإِنْ يَّرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ صلاح الأمر لَا يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلًا لايسلكونه وَإِنْ يَّرَوْا سَبِيْلَ الْغَيِّ الضلال يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلًا يسلكونه ذَالِكَ الصرف بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَكَانُوْا عَنْهَا غَافِلِيْنَO غفلة عناد، أو إعراض؛ لا غفلة جهل وسهو وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ مبتداء حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ في الدنيا؛ كصلة الرحم، أو صدقة، خبر مبتداء هَلْ أي: ما يُجْزَوْنَ إِلَّا جزاءا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَOع من التكذيب وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوْسَى المتخذ هو السامري إلا أنهم رضوا به مِنْ بَعْدِهِ من بعد ذهابه إلى الطور مِنْ حُلِيِّهِمْ من الحلي الذي أخذه قوم موسى من القبط عِجْلًا مفعول أول اتخذ، والثاني محذوف، أي: إلها، فلا مجاز في الإسناد جَسَدًا بدل منه، أي: بدنا لَّهُ خُوَارٌ صوت البقر، وهو ذو لحم ودم، كسائر الحيوانات بسبب وضع التراب الذي أخذه من تحت حافر حيزوم؛ فرس جبرائيل عليه السلام في فمه، فإن أثره الحياة فيما وضع فيه أَلَمْ يَرَوْا بيان لسخافة عقولهم أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيْهِمْ سَبِيْلًا فكيف اتخذوه إلها؟ اتَّخَذُوْهُ إلها وَكَانُوْا ظَالِمِيْنَO على أنفسهم في هذا الإتخاذ وَلَمَّا سُقِطَ فِيْ أَيْدِيْهِمْ النادم يعض على يده غما، فيسقط فوه في يده، أي: ندموا على عبادته فسقط مسند إلى في أيديهم وَرَأَوْا علموا بعد رجوع موسى عليه السلام من الطور [ص250] أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوْا بعبادة العجل قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْلَنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO المغبونين في الكونين وَلَمَّا رَجَعَ مُوْسَى من الطور إِلَى قَوْمِهِ بني إسرائيل غَضْبَانَ حال من فاعل، رجع أَسِفًا شديد الحزن قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُوْنِيْ أي: ساء خلافة قمتم بها مقامي أيها العبدة للعجل مِنْ بَعْدِيْ خلافتكم هذه حيث أشركتم من بعد ما رأيتم مني التوحيد أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ أي: تركتم أمر ربكم غير تام وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ غضبا، قيل: لما ألقى الألواح تكسرت بعضها، فرفعت إلى السماء ستة أسباع من التوراة، وبقي سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيئ، وفيما بقي هدى ورحمة، وقيل: أنزلت التوراة سبعون، وقر به، ولم يقرأ كلها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيْهِ بشعر رأسه غضبا؛ حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل يَجُرُّهُ إِلَيْهِ عتابا؛ لا هوانا قَالَ ابْنَ أُمِّ أصله: أمي، وذكر الأم للاستعطاف، وإلا هما من أب وأم {واحد}[1] إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُوْنِيْ وَكَادُوْا قاربوا يَقْتُلُوْنَنِيْ فَلَا تُشْمِتْ تفرح بِيَ الْأَعْدَاءَ بإهانتك إياي وَلَا تَجْعَلْنِيْ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO مع العبدة في المؤاخذة قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِيْ ما صنعت بأخي وَلِأَخِيْ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

إن فرط في حسن الخلافة وَأَدْخِلْنَا فِيْ رَحْمَتِكَ العصمة في الدنيا، والجنة في الآخرة وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَO[٤] قال تعالى: إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إلها سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ عذاب مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فعذبوا بالأمر بالقتل أنفسهم توبة، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة وَكَذَالِكَ كما جزيناهم نَجْزِي الْمُفْتَرِيْنَO على الله بالإشراك وَالَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّآتِ ثُمَّ تَابُوْا رجعوا [ص251] مِنْ بَعْدِهَا السيئات وَآمَنُوْا بالله إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا التوراة لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO وَلَمَّا سَكَتَ سكن عَنْ مُوْسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ التي ألقاها وَفِيْ نُسْخَتِهَا أي: ما نسخ فيها هُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّلَّذِيْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُوْنَO يخافون، روي: أنه تعالى أمر أن يأتي موسى عليه السلام في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنوا غشيهم الغمام، فدخلوه، فخروا سجدا، فسمعوه، يكلم موسى بالأوامر والنواهي، ثم انكشف الغمام، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، فصعقوا منها، فتمنّى موسى عليه السلام هلاكهم وهلاك نفسه قبل ما خرجوا عن إيلياء، يعني: أنك قدرت على هلاكهم، فترحمت، لم يبعد من إحسانك إن ترحم مرة أخرى، أتهلكنا بما فعل السفهاء، أي: الطالبون للرؤية بالعين في الدنيا، أو عباد العجل وَاخْتَارَ مُوْسَى قَومَهُ أي: من قومه سَبْعِيْنَ رَجُلًا ممن لا يعبدوا العجل لِمِيْقَاتِنَا للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعذروا من عبادة أصحابهم العجل، فخرج بهم فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة الشديدة قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّنْ قَبْلُ قبل خروجي بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك، ولا يتهموني وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا المتجاسرون على طلب الرؤية في الدنيا، أو العابدون للعجل إِنْ هِيَ ما هي الفتنة التي هي الجسارة على طلب الرؤية، أو عبادة العجل إِلَّا فِتْنَتُكَ ابتلاؤك تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ إضلاله وَتَهْدِيْ مَنْ تَشَاءُ هدايته أَنْتَ وَلِيُّنَا متولي أمرنا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِيْنَO وَاكْتُبْ لَنَا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً طاعة وَّفِي الْآخِرَةِ الجنة إِنَّا هُدْنَا أي: تبنا إِلَيْكَ قَالَ تعالى عَذَابِيْ أُصِيْبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ تعذيبه [ص252] وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ عمت كُلَّ شَيْءٍ في الدنيا فَسَأَكْتُبُهَا في الآخرة لِلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ الله وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِآيَاتِنَا بكتبنا يُؤْمِنُوْنَO الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِيْ لم يتدرس، أو منسوب إلى الأم، أي: مكة، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي يَجِدُوْنَهُ مَكْتُوْبًا بالاسم والصفة عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مما حرم في شرعهم وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ من الميتة ونحوها وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ثقلهم، أي: عهودهم ومواثيقهم، كقتل النفس في التوراة، وقطع العضو الخاطي وَالْأَغْلَالَ الَّتِيْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ كالقضاء بالقصاص عمدا أو خطاءا من غير شرع الدية، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم فَالَّذِيْنَ آمَنُوْا بِهِ وَعَزَّرُوْهُ وقَّروه، أو منعوه عن العدو وَنَصَرُوْهُ وَاتَّبَعُوا النُّوْرَ الَّذِيْ أُنْزِلَ مَعَهُ أي: القرآن أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO[٤] قُلْ يا محمد! عليك

الصلاة والسلام يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعًا الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ فَآمِنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِيْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ أي: القرآن، أو الكتب الإلٰهية وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَOوَمِنْ قَوْمِ مُوْسَى أُمَّةٌ جماعة يَّهْدُوْنَ الناس بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُوْنَO في الأحكام، قيل: هم قوم وراء الصين، طلبوا الفراق عن الأسباط، قتلوا الأنبياء، ففتح الله نفقا في الأرض، فساروا سنة [ص253] ونصف سنة؛ حتّى خرجوا وراء الصين، وهم هنالك حنفاء مسلمين وامنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج، وقيل: المراد عبد الله بن سلام وأضرابه وَقَطَّعْنَاهُمُ فرقنا بني إسرائيل اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا قبائل، أو قبيلة أُمَمًا بدل بعد بدل، أو بدل منه وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ في التيه أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فضربه فَانْبَجَسَتْ فانفجرت مِنْهُ اثْنَتَاعَشْرَةَ عَيْنًا بعدد الأسباط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ سبط منهم مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا في التيه عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ من حر الشمس وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ ترنجبين وَالسَّلْوَى الطير السماني، وقلنا لهم: كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفران النعمة وَلَكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO وَاذكر إِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُوْا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ بيت المقدس وَكُلُوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُوْلُوْا مسئلتنا حِطَّةٌ أي: حط عن ذنوبنا وَادْخُلُوا الْبَابَ باب القرية سُجَّدًا سجود انحناء نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيْئَاتِكُمْ سَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَO بالطاعة ثوابا فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا عذابا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوْا يَظْلِمُوْنَOع وَسْئَلْهُمْ يا محمد! الصلاة والسلام عليك عَنِ أهل الْقَرْيَةِ اسمها أيلة، أو مدين أو طبرية الَّتِيْ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ مجاورة البحر القلزم إِذْ يَعْدُوْنَ يعتدون فِي تعظيم السَّبْتِ بصيد السمك، وكانوا مأمورين بتركه فيه إِذْ تَأْتِيْهِمْ ظرف يعدون حِيْتَانُهُمْ [ص254] جمع حوت، قلبت الواو ياءا يَوْمَ سَبْتِهِمْ تعظيمهم أمر هذا اليوم شُرَّعًا ظاهرة على وجه الأرض، جمع شارع، حال عن فاعل تأتيهم وَّيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَ أي: يوم لا يعظمون السبت، أي: سائر الأيام لَا تَأْتِيْهِمْ ابتلاءا من الله، ولما صادوا السمك؛ افترقت القرية ثلاثة أقسام: قسم صادوا معهم، وقسم نهوهم عن الصيد، وقسم امسكوا عن الصيد والنهي، فهلكت طائفة صادوا، ونجت الطائفتان: الناهون، والساكتون كَذَالِكَ {مثل ذلك البلاء الشديد}[1] نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَOالنصف وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ صلحاء القرية؛ الماسكون عن الوعظ والصيد لِمَ تَعِظُوْنَ أيها الناهون والواعظون قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا والقوم هم الصادون قَالُوْا أي: الوعاظ مَعْذِرَةً أي: للمعذرة، فهو مفعول له إِلَى رَبِّكُمْ لئلا تنسب إلى تقصير في ترك النهي وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَO الصيد عن وعظنا فَلَمَّا نَسُوْا أي: تركوا مَا ذُكِرُوْا أي: وعّظوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْءِ بالقلب أو اللسان، فدخل فيه الفرقتان الناجيتان

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

وَأَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أي: صادوا بِعَذَابٍ بَئِيْسٍ شديد بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَO فَلَمَّا عَتَوْا تكبروا عَنْ ترك مَّا نُهُوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَO صاغرين أذلاء، قيل: الشبان صاروا قردة، والشيوخ خنازير، وكانوا يعرفون أقاربهم، ويبكون، ولا يتكلمون، والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث، وقيل: بقيت وتناسلت وَإِذْ تَأَذَّنَ أي: أعلم أو عزم رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ أي: على اليهود إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَّسُوْمُهُمْ يوليهم سُوْءَ الْعَذَابِ بالذل وأخذ الجزية؛ إذ كانوا يودون الجزية [ص255] بعد بخت نصر إلى المجوس إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم، وضرب الجزية عليهم إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقَابِ للكفار وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO للمؤمنين وَقَطَّعْنَاهُمْ وفرقناهم فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُوْنَ كعبد الله بن سلام وأضرابه، أو الذين وراء الصين وَمِنْهُمْ ناس دُوْنَ ذَالِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ بالنعم والخصب وَالسَّيِّآتِ النقم والجدب لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO عن فسقهم فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ بعد المذكورين خَلْفٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بسكون اللام، في البدل السوء، وبفتحها في البدل الخير وَرِثُوا الْكِتَابَ عن آبائهم يَأْخُذُوْنَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنَى أي: حطام الدنيا، وهي الرشي في الحكومة، وتحريف الكلم من الدنو؛ أو الدناءة وَيَقُوْلُوْنَ سَيُغْفَرُلَنَا لا يؤاخذنا الله به وَإِنْ يَّأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوْهُ فيصرون على الذنب عائدين إلى مثله، فأين معنى التوبة عنهم؟ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيْثَاقُ الْكِتَابِ أي: المذكور فيه أَنْ لَّا يَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوْا مَا فِيْهِ أي: أخذ في الكتاب عدم القول إلا الحق، وقرؤا هذا الحكم فيه وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ مما يأخذونه أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO فتؤثرون الآخرة على الدنيا وَالَّذِيْنَ يُمَسِّكُوْنَ بِالْكِتٰبِ منهم وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ كعبد الله بن سلام وأصحابه رضي الله عنهم إِنَّا لَا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِيْنَO وَاذكر إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ قلعناه، ورفعناه فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ هي كل ما أظلك من سحاب أو غيره وَظَنُّوْا أي: أيقنوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ثقل أحكام التوراة على اليهود، فأبوا، فرفع الله عليهم الجبل فرسخا في فرسخ، مقدار عساكرهم، فسجدوا على الحاجب الأيسر؛ رائين [ص256] بالعين اليمني إلى الجبل؛ خوفا من سقوطه، فرفعت العقوبة عنهم، وهيئة السجود استمرت فيهم. قلنا: خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ بجهد وجد وَّاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ لا تنسوه بالاحتمال بأوامره ونواهيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَOع ما أنتم عليه وَاذكر إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيْ آدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ بدل البعض بإعادة الجار ذُرِّيَّتَهُمْ بأن أخرجهم من أصلاب آبائهم، كما يتوالدون قرنا بعد قرن وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ركب العقل فيهم، وأقام على التوحيد ما يدعوهم إلى الإقرار به، فكأنه أشهدهم على أنفسهم. قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلَى شَهِدْنَا كراهة أَنْ تَقُوْلُوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا الميثاق غَافِلِيْنَO أَوْ تَقُوْلُوْا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ مقلدين بهم أَفَتُهْلِكُنَا تعذبنا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَO يعني: آباؤنا من إحداث الشرك، لأن التقليد عند قيام الدليل؛ والتمكن من العلم؛

لا يصلح عذرا وَكَذَالِكَ نُفَصِلُ الْآيَاتِ مثل ما فصلنا الميثاق وَلَعَلَّهُمْ عن تقليد الآباء في الكفر يَرْجِعُوْنَO وَاتْلُ يا محمد! الصلاة والسلام عليك عَلَيْهِمْ على اليهود نَبَأَ الَّذِيْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا هو أحد من علماء اليهود، أو أمية بن الصلت[1]، أو بلعم باعورا فَانْسَلَخَ مِنْهَا بأن كفر، كما ينسلخ الحية عن جلدها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فلحق به فَكَانَ مِنَ الْغَاوِيْنَO وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا بالآيات إلى منازل العلماء الأبرار وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ مال إلى الدنيا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ في إيثار الدنيا على الآخرة فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ فصفته في الخسة والذلة واتباع الهوى سواء؛ وعظ أو لم يوعظ، مثل صفة الكلب إِنْ تَحْمِلْ تطرد، وتزجر عَلَيْهِ يَلْهَثْ اللهث: إدلاع اللسان [ص257] وإخراجه من التنفس الشديد أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ أي: دائما يلهث لضعف فؤاده؛ بخلاف سائر الحيوانات ذَالِكَ المثل مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ المذكورة على اليهود لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَرُوْنَO سَاءَ مَثَلَا نِ الْقَوْمُ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فاعل ساء مضمر، ومثلا تمييز، ولفظ مثل محذوف قبل القوم، وهو المخصوص بالذم وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوْا يَظْلِمُوْنَO بالتكذيب مَنْ يَّهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيْ وَمَنْ يُّضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO روعي في الضميرين بلفظ من ومعناه وَلَقَدْ ذَرَأْنَا خلقنا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ كفار هما لَهُمْ قُلُوْبٌ لَّا يَفْقَهُوْنَ بِهَا الحق وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُوْنَ بِهَا دلائل توحيده وَلَهُمْ آذَنٌ لَّا يَسْمَعُوْنَ بِهَا المواعظ أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ عن الأنعام، فإنها تدرك ما يمكن أن يدرك من المنافع والمضار، ويجتهد في جذبها ودفعها غاية الجهد، وهم ليسوا كذلك أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَO وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لحسن معانيها، هي تسعة وتسعون، كما في الحديث فَادْعُوْهُ بِهَا أي: سمّوه وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ أتركوا الذين يميلون عن الحق فِيْ أَسْمَائِهِ كقولهم: يا أبا المكارم، وقولهم: يا أبيض الوجه، أو إنكارهم لفظ الرحمٰن، أو اشتقاقهم كاللات من الله، والعزى من العزيز، والمناة من المنان سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO {فإن أسماء الله تعالى توقيفية، فمن خالف التوقيف سيجزي جزاء السوء}[2] وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ في كل عصر، وقيل: هي أمة محمد عليه الصلاة والسلام يَهْدُوْنَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُوْنَOع أي: ممن خلقنا أمة ضالة، كما ذكرنا، وممن خلقنا [ص258] أمة هادية عادلة؛ مستحقة للجنة وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا من أهل مكة سَنَسْتَدْرِجُهُمْ استفعال بمعنى الاستصعاد أو

---

1 – أمية بن أبي الصلت: واسم أبي الصلت ربيعة بن عوف، كان أمية قد قرأ الكتب المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبيا قد أظل زمانه، وأنه سيخرج، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر به حسدا له، ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره، قال: «آمن لسانه وكفر قلبه» . الجوزي: المرجع السابق142/3.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

الاستنزال مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَO أي: سنستدينهم، ونقربهم إلى الهلاك بتواتر النعم قليلا قليلا، فظنوا لطفاً؛ ليزدادوا بطراً، وإنهما كافي الغي وَأُمْلِيْ لَهُمْ أمهلهم إِنَّ كَيْدِيْ مَتِيْنٌO سمي الإمهال كيداً، لأنه شبه الكيد؛ في أنه بحسب الظاهر إحسان، وبحسب الباطن خذلان. لما نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجنون، نزل: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO أَوَلَمْ يَنْظُرُوْا نظر استدلال فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَّأَنْ مخففة وضمير الشان محذوف، أي: وفي أنه عَسَى أَنْ يَّكُوْنَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فيموتوا كفارا، فيصبروا إلى النار، فينبغي أن يبادروا إلى الإيمان فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَهُ بعد القرآن الواضح في الهداية يُؤْمِنُوْنَO أن لم يؤمنوا به مَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ يتركهم فِيْ طُغْيَانِهِمْ كفرهم يَعْمَهُوْنَO يترددون تحيرا يَسْئَلُوْنَكَ أي: أهل مكة عَنِ السَّاعَةِ القيامة أَيَّانَ متى مُرْسَاهَا إثباتها وإقرارها، مصدر؛ كالمدخل قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ لَا يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ لايظهر أمرها في وقتها إلا الله، فاللام بمعنى في ثَقُلَتْ القيامة وعظمت لهولها فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: على أهلهما من الثقلين والملائكة لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَغْتَةً فجأة يَسْئَلُوْنَكَ عن القيامة كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا يقال حفي عن الشيئ، أي: سأل عنه مبالغة، والسائل المبالغ يكون أعلم بالشيئ، فمعناه كأنك عالم بها، ويمكن أن يتعلق عنها بقوله: يسئلونك [ص259] قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَO أن علم ذلك اليوم له، لا لغيره قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِيْ نَفْعًا أجلبه وَلَا ضَرًّا أدفعه إِلَّا مَاشَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ما غاب عني لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ أي: لخالفت حالي ما هي عليه باستكثار المنافع؛ واجتناب المضار، ولم أكن غالبا مرة؛ ومغلوبا أخرى في الحروب إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيْرٌ بالنار وَبَشِيْرٌ بالجنة لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَOع هم المنتفعون بالإنذار والإبشار هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ آدم وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا حواء لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ليستأنس بها فَلَمَّا تَغَشَّاهَا جامعها حَمَلَتْ حَمْلًا هو النطفة خَفِيْفًا عليها فَمَرَّتْ بِهِ مضت به، أي: فجاءت وذهبت وقامت وقعدت بذلك الحمل فَلَمَّا أَثْقَلَتْ صارت ذات ثقل بكبر الولد في البطن دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ولدا سويا صالح البدن، أو ذكرا لَّنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَO على هذه النعمة الجديدة فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيْمَا آتَاهُمَا جعل أولادهما شركاء فيما أتى أولادهما، فسموه عبد العزى[1] وعبد المناف[1] مكان عبد الله، على حذف

---

1 – عبد العزى: هو أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب. وقيل له أبو لهب لجماله، وأصابته العدسة، فمات بمكة. وهو سارق غزال الكعبة، وكان من ذهب. وأنه كان من أعدى عدو لرسول الله صلى الله عليه، وهو وامرأته حمالة الحطب بنت حرب بن أمية، كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه. وكان أبو لهب من

المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَO أَيُشْرِكُوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا أي: الأصنام وَهُمْ يُخْلَقُوْنَO وَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ أي: الأصنام لَهُمْ لعبدتهم نَصْرًا وَّلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَO عند سنوح الحوادث عليهم، كالكسر وَإِنْ تَدْعُوْهُمْ أي: الأصنام إِلَى الْهُدَى أي: الرشاد، كما تدعون الله تعالى في إيصال الخير لَا يَتَّبِعُوْكُمْ إلى مرادكم سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أيها الكفرة أَدَعَوْتُمُوْهُمْ الأصنام إليه أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُوْنَO عن دعائهم، لايتبعون ولا يجيبون لعدم سماعهم [ص260] إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ تعبدونهم مِنْ دُوْنِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فإن الأصنام عباد الله كغيرها فَادْعُوْهُمْ في جلب نفع، أو دفع ضر فَلْيَسْتَجِيْبُوْا فليجيبوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوى الألوهية لهم أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَّمْشُوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَّبْطِشُوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُّبْصِرُوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَا إبطال لقوله: عباد أمثالكم، أي: بل أ دون منكم، حيث لا رجل ولا يد ولا عين ولا أذن لهم، {فلم تعبدون ما هو دونكم؟}[2] قُلِ يا محمد! أُدْعُوْا شُرَكَاءَكَمْ واستعينوا بهم في عداوتي ثُمَّ كِيْدُوْنِ بالغوا في المكر فَلَا تُنْظِرُوْنِO فلا تمهلوني، فإني لا أبالي بكم إِنَّ وَلِيِّ ناصري ومتولي أمري اللهُ الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتَابَ أوحي إلى الكتاب وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِيْنَO من شانه نصر المؤمنين الصالحين وتولية أمورهم وَالَّذِيْنَ أي: الأصنام تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَO إذا حدثت حادثة كالكسر أو الإحراق من الكاسر والمحرق وَإِنْ تَدْعُوْهُمْ إِلَى الْهُدَى الرشاد لَا يَسْمَعُوْا وَتَرَاهُمْ يا محمد!الصلاة والسلام عليك يَنْظُرُوْنَ أي الأصنام إِلَيْكَ لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلى من يواجهه وَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَO خُذِ الْعَفْوَ هو ضد الجهد، أي: خذ ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم، وسهّل معهم، ولا تطلب منهم الجهد، فيشق عليهم حتّى لا ينفروا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ بالجميل من الأفعال وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَO فلا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، فصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك. والآية جامعة لمكارم الأخلاق وَإِمَّا أدغم نون إن الشرطية في ميم، ما الزائدة يَنْزَغَنَّكَ ينخسنك مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

خطباء قريش. الأندلسي: ابن سعيد. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: (تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن). 341/1.

1 – عبد المناف: هو عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عبد شمس، فولد عبد مناف هاشما، والمطلب، ونوفل، وعبد شمس. وأمُّهم ما عدا نوفلا عاتكة بنت مرَّة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة. وأمُّ نوفل وافدة بنت عمرو المازنيَّة. فأما هاشم فلم يعقب من ولده غير عبد المطلب. وليس في الأرض هاشميٌّ إلا من ولد عبد المطلب. البُرِّي: محمد بن أبي بكر بن عبد الله، الأنصاري، (ت: بعد 645هـ). الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: (ط–1، تحقيق: د. محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، 1403هـ / 1983م). 27/1.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

نخس؛ بصرفك عما أمرت، والنزغ: أدنى حركة من الآدمي وأدنى [ص261] وسوسة من الشيطان فَاسْتَعِذْ بِاللهِ من الشيطان الرجيم إِنَّهُ سَمِيْعٌ لقولك عَلِيْمٌO بما في قلبك إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ أصابهم شيء ألم بهم مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوْا ما أمروا به ونهوا عنه وما يترتب على تركهما من العقاب والثواب فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُوْنَO الله بسبب ذلك التبصير يبتغون الحق ويتركون الباطل وَإِخْوَانُهُمْ إخوان الشياطين، أي: الكفار يَمُدُّوْنَهُمْ أي: الشياطين إياهم فِي الْغَيِّ في الضلالة ثُمَّ لَا يُقْصِرُوْنَO لا يمسكون عن الإغواء أو الغي وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ أي: أهل مكة بِآيَةٍ من القرآن أو مما اقترحوا قَالُوْا لَوْلَا أي: هلا اجْتَبَيْتَهَا اخترتها واختقلتها من عند نفسك، كما اختلقت ما قبلها، أو طلبتها من الله قُلْ لهم إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوْحَى إِلَيَّ مِنْ رَّبِّيْ ولست بمختلق أو مقترح لها هٰذَا القرآن بَصَائِرُ دلائل مِنْ رَّبِّكُمْ تبصر وجوه الحق والصواب وَهُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ في الصلاة وغيرها، وقيل: في الخطبة فَاسْتَمِعُوْا لَهُ وَأَنْصِتُوْا عن الكلام لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO وَاذْكُرْ رَّبَّكَ فِيْ نَفْسِكَ أي: إخفاءه عام في الأذكار كلها تَضَرُّعًا متضرعا متذللا إليه تعالى وَخِيْفَةً وخائفا منه تعالى وَدُوْنَ الْجَهْرِ وفوق السر مِنَ الْقَوْلِ مقتصدا بينهما بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ أوائل النهار وأواخره وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِيْنَO عن ذكره تعالى إِنَّ الَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ أي: الملائكة لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ لا يتكبرون عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُوْنَهُ ينزهون عما لا يليق بكبريائه وَلَهُ يَسْجُدُوْنَOع الثالثة السجدة لا لغيره فكونوا مثلهم. [ص262]

سورة الأنفال مدنية، خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَسْئَلُوْنَكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام عَنِ الْأَنْفَالِ كيف يقسم؟ ومن يقسم الغنائم في البدر؟ إذ وقع الخلاف في الشباب والشيوخ والمهاجرين والأنصار، كل يجلب حكومتها إلى نفسه، فنزل: قُلِ لهم الْأَنْفَالُ الغنائم لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يجعلانها حيث شاءا، فقسم على السواء فَاتَّقُوا اللهَ في الاختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوْا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال التي بينكم بالمساواة في القسمة، وبجلب المودة، وترك النزاع وَأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ فيما يأمركم به إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO حقا إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الكاملون في الإيمان الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ خافت قُلُوْبُهُمْ لمطالعة عظمته وجلاله، وقيل: لتذكر وعيده وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا تصديقا أو طمانية بها وَّعَلَى رَبِّهِمْ لا على غيره يَتَوَكَّلُوْنَO يعتمدون الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ بحقوقها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO في طاعة الله أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا صدقا، حيث جمعوا بين أفعال الجوارح من الأركان؛ وأفعال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

على قدر الرضا، أو على قدر الأعمال في منازل الجنة وَمَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌO فيها كَمَاأَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ أي: من المدينة بالحكمة والصواب إلى لقاء العدو، يعني: أن هذه الحالة، أي: حالة تقسيم الغنائم على المساواة في البدر في كراهتهم إياها، كحالة إخراجك للقتال وكراهتهم له وَإِنَّ فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لَكَارِهُوْنَO [ص263] الخروج إلى لقاء العدو، وذلك أن عير التجارة أقبلت من الشام معها أبو سفيان، فأعجب أصحاب النبي عليه السلام تلقاء العير؛ لكثرة الخير فيها، وقلة القوم معها، فخرج صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغتنموها، فعلمت القريش، فخرج أبو جهل بجميع مقاتلي، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل، فقيل لأبي جهل: ارجع إلى مكة، أن العير نجت، فأبي، وسار إلى بدر، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: وعدكم الله إحدى الطائفتين: إما العير؛ وإما النفير، أيهما أحب إليكم؟ قالوا: العير، لأن في النفير شوكة، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: سمعا وطاعة، قال أبو منصور الماتريدي: كراهة لقاء النفير، إنما كان من ضعفاءهم عقيدة من المنافقين انتهى، أو المخلصون كرهوا لعدم التأهب يُجَادِلُوْنَكَ فِي الْحَقِّ هو إيثار الجهاد على تلقاء غير التجارة بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ إنهم ينصرون أينما توجهوا كَأَنَّمَا يُسَاقُوْنَ إِلَى الْمَوْتِ عيانا وَهُمْ يَنْظُرُوْنَO أسباب الموت وَاذكر إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ مفعول ثان ليعدكم الله أَنَّهَا لَكُمْ بدل اشتمال عن إحدى وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ أي: العير، فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا تَكُوْنُ لَكُمْ وَيُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُّحِقَّ الْحَقَّ يظهره بِكَلِمَاتِهِ النازلة في تحسين محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِيْنَO أي: آخرهم باستيصالهم عند مقاتلتكم النفير، فإن جمة مقاتلي مكة فيها فعل ما فعل لِيُحِقَّ ليثبت الْحَقَّ وَيُبْطِلَ يمحق الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَO المشركون. اذكر إِذْ تَسْتَغِيْثُوْنَ رَبَّكُمْ أخذ الصحابة يقولون: رب انصرنا على عدوك، أغثنا يا غياث المستغيثين، والنبي عليه الصلوة والسلام نظر إلى المشركين، وهم ألف؛ وإلى [ص264] الصحابة وهم ثلاث مائة، فاستقبل القبلة، ومد يديه يدعو: اللّهم انجز لي ما وعدتني، اللّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّيْ مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِيْنَO متتابعين بعضهم رديف بعض، هذا في أوّل الأمر، ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وَمَا جَعَلَهُ اللهُ الضمير إلى الإمداد إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوْبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ لا من عند الملائكة إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ على نصر أوليائه حَكِيْمٌOع بقهر أعدائه. اذكر إِذْ يُغَشِّيْكُمُ اللهُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ أمنا من الله؛ مفعول له وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنْ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ عن الحدث والجنابة حيث أصيبوا بها في تلك الليلة وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ تخييله ووسوسته، أن لا نصرة مع الجنابة وَلِيَرْبِطَ بلطفه عَلَى قُلُوْبِكُمْ بالصبر وَيُثَبِّتَ بِهِ بالمطر الْأَقْدَامَO حتّى لا تسوخ في الرمل إِذْ يُوْحِيْ

رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّيْ مَعَكُمْ في إعانة المؤمنين فَثَبِّتُوا الَّذِيْنَ آمَنُوْا بالإعانة والتبشير سَأُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ الخوف فَاضْرِبُوْا أمر للمؤمنين أو الملائكة فَوْقَ الْأَعْنَاقِ أي: أعاليها؛ التي هي المذابح أو الرؤس، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر، فيسقط قبل أن يصل سيفه إليه وَاضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍO هي الأصابع، أي: أطراف اليدين والرجلين ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ خالفوه، مشتقة من الشق، فإن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وَمَنْ يُّشَاقِقِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO ذَالِكُمْ الخطاب للكفرة [ص265] على طريق الالتفات، أي: ذلك العقاب للكفرة فَذُوْقُوْهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابَ النَّارِO أي: ذوقوا هذا المعجل، وانتظروا المؤجل من العذاب بالنار، أو الواو بمعنى مع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا زَحْفًا كثيرا مجتمعين، أي: الجيش الدهم؛ الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي: يدب دبيبا، من زحف الصبي إذا دب على إسته قليلا قليلا، حال من الذين كفروا فَلَا تُوَلُّوْهُمُ الْأَدْبَارَO فضلا أن يكونوا مثلا أو قليلا وَمَنْ يُّوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ أي: يوم لقائهم دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا متعطفا لِّقِتَالٍ بأن يريهم الغرة مكيدة، وهو يريد الكرة أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها، من حاز يحوز، بمعنى انضم؛ على وزن متفيعل لا متفعّل فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف فَلَمْ تَقْتُلُوْهُمْ بقوتكم، إن افتخرتم به بين الناس وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ بنصره إياكم وَمَا رَمَيْتَ عين القوم إِذْ رَمَيْتَ بالحصى، لأن كفًّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى بإيصال ذلك إلى عيون كلهم وَما فعل ما فعل إلا لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ليعطهم عطاءا حسنا، هي الغنيمة إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ الأقوال عَلِيْمٌO بالأحوال ذَالِكُمْ أي: البلاء الحسن حق وَأَنَّ اللهَ مُوْهِنُ مضعف كَيْدِ الْكَافِرِيْنَO إِنْ تَسْتَفْتِحُوْا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ أي: المدد، خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم والسخرية، حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللّهم إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على حق فانصرنا وَإِنْ تَنْتَهُوْا عن عداوة [ص266] محمد صلى الله عليه وسلم فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُوْدُوْا لمعاداته نَعُدْ لنصرته عليكم وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ جمعكم شَيْئًا وَّلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَOع بالنصر يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَا تَوَلَّوْا لا تعرضوا، أصله تتولوا، فحذف إحدى التائين تخفيفا عَنْهُ عن رسول الله بمخالفة أمره وَأَنْتُمْ تَسْمَعُوْنَO القرآن، وتصدقونه وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ كالكفرة أو المنافقين قَالُوْا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَO سماع قبول إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ عن سماع الحق، ونطقه الَّذِيْنَ لَا يَعْقِلُوْنَO وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيْهِمْ في الصم، البكم خَيْرًا انتفاعا بالآيات لَّأَسْمَعَهُمْ سماع انتفاع وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ سماع انتفاع فرضا، إذ علم الله أنه لاخير فيهم لَتَوَلَّوْا وارتدوا بعد ذلك الإسماع، ولم يستقيموا على

الإسلام وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَO عن الإيمان يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اسْتَجِيْبُوْا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ بالطاعة إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ من العلوم الدينية المورثة للحياة الأبدية أو الجهاد وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ تمثيل لغاية القرب، فما تشاءون إلا أن يشاء الله وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO فيجازيكم بما عملتم وَاتَّقُوْا فِتْنَةً ذنبا لَّا تُصِيْبَنَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْكُمْ من للتبعيض خَاصَّةً بل يعمكم أثره كإقرار المنكر، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وظهور البدع، والتكاسل في الجهاد، أو اتقوا عذابا إن أصابكم شاعكم، ولا تقف على البعض خاصّة، وعلى التقديرين نون التأكيد في جواب الأمر؛ محمول على أن الأمر متضمّن بمعنى النهي [ص267] وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO إذا عاقب وَاذْكُرُوْا خطاب للمهاجرين إِذْ أَنْتُمْ قَلِيْلٌ وقت كونكم أقلة مُّسْتَضْعَفُوْنَ فِي الْأَرْضِ أرض مكة تَخَافُوْنَ أَنْ يَّتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ يأخذكم الكفار بسرعة فَآوَاكُمْ إلى المدينة وَأَيَّدَكُمْ قوّيكم بِنَصْرِهِ تعالى بالأنصار أو الملائكة يوم بدر وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ من الغنائم، لم يكن حلالا لمن قبلكم، بل كانوا يحرقونها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمه.

حاصر صلى الله عليه وسلم بني قريظة، فصالحوا على أن ينزلوا، فقال: انزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه(1)، فأبوا، وقالوا ارسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر(2)، وكان ماله وعياله فيهم، فبعث إليهم، فقالوا: ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ، فأشار إلى حلقه بيده: أنه الذبح، فما نزلوا، وأدرك أبو لبابة أنه خان الله ورسوله، فشدّ نفسه على سارية المسجد، وما شرب وما طعم إلى سبعة أيام، فخرّ مغشيا، فتاب الله عليه، فما حل نفسه عنه حتّى حلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فنزل فيه: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَخُوْنُوا اللهَ وَالرَّسُوْلَ في الفرائض والسنن وإظهار

---

1 – سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النّبيت بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأشهليّ، سيّد الأوس. وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، ويكنى أبا عمرو. شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه، فمات، وذلك سنة خمس. وقال المنافقون لما خرجت جنازته: ما أخفها! فقال النبي صلّى اللَّه عليه وسلم: إنّ الملائكة حملته، واهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ. العسقلاني: المرجع السابق. 70/3.

2 – أبا لبابة بن عبد المنذر: هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري. اسمه بشير بن عبد المنذر، كان نقيبا، شهد العقبة وشهد بدرا. قال ابن إسحاق: وزعم قوم أن أبا لبابة بْن عبد المنذر والحارث بن حاطب خرجا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم إلى بدر فرجعهما، وأمر أبا لبابة على المدينة، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. قال أبو عمر: قد استخلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم أبا لبابة على المدينة أيضا حين خرج إلى غزوة السويق، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وما بعدها من المشاهد، مات أبو لبابة في خلافة علي رضي الله عنهما. ابن عبد البر: المرجع السابق. 1740/4.

خلاف ما في الضمير، وأصل الخون: النقص، كما أن أصل الوفاء: التمام، واستعماله في ضد الأمانة؛ لتضمنه إياه وَلا تَخُوْنُوْا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO ما وباله؟ وَاعْلَمُوْا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ سبب وقوعكم في الفتنة، أي: الإثم أو العذاب؛ بصدهم إياكم عن أمور الآخرة وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌO فلا تفوتوا الأجر العظيم بمراعاة الأموال والأولاد يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا هداية؛ تفرقون بها بين ما ينفعكم وما يضركم في الدارين وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ الصغائر وَيَغْفِرْ لَكُمْ الكبائر [ص268] وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيْمِO وَاذكر إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من قريش مكة حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، اجتمعوا في دار الندوة للمشاورة، وأثروا رأي أبي جهل، وأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى المدينة لِيُثْبِتُوْكَ بالحبس، كما هو رأي أبي البحتري[1] أَوْ يَقْتُلُوْكَ قتلة رجل واحد، فلا قصاص؛ بل الدية فيه، كما هو رأي أبي جهل، واستحسنه الشيطان أَوْ يُخْرِجُوْكَ من مكة، كما هو رأي هشام بن عمر وَيَمْكُرُوْنَ فيك، ويخفون المكايد وَيَمْكُرُ اللهُ يخفي ما وعد لهم بقتلهم في بدر وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَO أعلمهم به، وإسناد أمثال هذا إليه تعالى من قبيل المشاكلة، والمزاوجة ولا يبتداء به وَإِذْا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا قائله نضر بن الحارث[2]؛ ونسبته إلى الجميع، مجاز من قبيل ما فعله رئيس القوم، وهو يأتي حيرة، ويشتري كتب أخبار الأعاجم منه، ويحدث بها أهل مكة؛ كحكايات رستم[3] لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا والحال أنهم لم يقدروا على أن يأتوا مثل سورة من القرآن في عشر سنين إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أكاذيبهم وَإِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا القرآن هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ كما يقول محمد عليه الصلاة والسلام فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً بسبب إنكارنا إياه مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO لما قال النضر: ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَ﴾[4]، قال له صلى الله عليه وسلم: ويلك هذا كلام الله، فقال ذلك تهكما وإيهاما بالجزم واليقين، بأنه ليس بكلام الله، والتوقف في إجابة دعائهم؛ كونه عليه

1 – أبي البحتري: هو أبو البحتري سعبد بن فيروز الطائي. الذهبي: المرجع السابق. 550/5.

2 – نضر بن الحارث: هو نضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار. ذكر ابن حزم أنه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه، فأخذ يوم بدر، فقتله صلى الله عليه بالصفراء منصرفه من بدر؛ وتولى ضرب عنقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الأندلسي: المرجع السابق. ص:349.

3 – رستم: هو حكيم من حكماء الفرس. ابن أبي الركب: مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود، أبو ذر، الأندلسي، (ت: 604هـ). الإملاء المختصر في شرح غريب السير: (تحقيق: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر). ص:95.

4 – سورة المؤمنون، الآية: 83.

السلام فيهم؛ ووجود الاستغفار بين أظهرهم، حيث قال: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بما سألوه وَأَنْتَ فِيْهِمْ ولم يعذب أمة إلا بعد خروج النبي والمؤمنين منها وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَO [ص269] ومعنى استغفارهم: استغفار من كان من المؤمنين فيهم وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ بالسيف وَهُمْ يَصُدُّوْنَ النبي والمسلمين عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كإحصارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وَمَا كَانُوْا أَوْلِيَاؤُهُ أي: ما استحقوا مع الشرك وعداوة الدين أن يكونوا ولاة أمر الحرام إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُوْنَ وقيل: الضميران للّه تعالى وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO ذلك إشارة إلى نفي ولايتهم عن الحرم رؤيته تعالى وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً صفيرا كصوت مكاء: وهو طائر مليح الصوت، فعال من مكأ يمكوء إذا صفر وَتَصْدِيَةً تصفيقا، تفعلة من الصداء، كانوا يطوفون بالبيت عراة، وهم مشبكون الأصابع، يصفرون فيها، ويصفقون؛ سيما عند قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن في صلاته، ليخلطوا عليه قراءته وصلاته فَذُوْقُوا الْعَذَابَ قتل يوم بدر وأسره بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَO إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنْفِقُوْنَ يوم بدر أَمْوَالَهُمْ في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَصُدُّوْا الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه فَسَيُنْفِقُوْنَهَا في يوم أحد، كما أنفقوا في بدر ثُمَّ تَكُوْنُ النفقة في عاقبة الأمر عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ندامة لفوات المال، وفوات ما قصدوا في الإنفاق ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ آخر الأمر، أو المراد من النفقتين نفقة واحدة، سبق الأول لبيان غرض الإنفاق، والثاني لبيان عاقبته وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: ماتوا عليه إِلَى جَهَنَّمَ في الآخرة يُحْشَرُوْنَO يساقون لِيَمِيْزَ اللهُ الْخَبِيْثَ الكافر مِنَ الطَّيِّبِ المؤمن وَيَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ لفرط ازدحامهم فَيَرْكُمَهُ فيجمعه جَمِيْعًا فَيَجْعَلَهُ فِيْ جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَOع قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا كأبي سفيان[1] وأصحابه إِنْ يَّنْتَهُوْا عن معاداة الرسول بالدخول في الإسلام [ص270] يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ من أعمالهم وَإِنْ يَّعُوْدُوْا إلى قتاله فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِيْنَO سنتنا بالإهلاك فيهم، وكذا نفعل بهم، فالذين تحربوا على الأنبياء دمروا، فليتوقعوا مثل ذلك، كما جرى في بدر عليهم وَقَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تَكُوْنَ لا توجد فِتْنَةٌ أي: شرك وَّيَكُوْنَ الدِّيْنُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فلا يعبد غيره فَإِنِ انْتَهَوْا عن الكفر وآمنوا به فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيهم به وَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الإيمان فَاعْلَمُوْا أيها المؤمنون! إِنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ ناصركم نِعْمَ الْمَوْلَى هو وَنِعْمَ النَّصِيْرُO الناصر لكم هو.

---

1 –أبي سفيان : هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، واسمه صخر. أحد دهاة العرب، وشيخ قريش، وقائدهم نوبة الأحزاب، ثم أسلم يوم الفتح، وشهد حنينا. وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الأبل وأربعين أوقية، وقد فقئت عينه يوم الطائف، ثم شهد اليرموك، فكان يذكّر يومئذ، ويحضّ على القتال. الذهبي: المرجع السابق. 369/3.

وَاعْلَمُوْا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ما موصولة، ويجب أن يكون مفصولة، لئلا يلتبس بالكافّة، لكن في الإمام كتب متصلة، والغنيمة: ما أخذ من الكفار قهرا مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ أي: فالحكم أن له خمسه، والفاء لما في الموصولة من معنى الشرط، وذكر الله للتعظيم، وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ أي: لنفسه صلى الله عليه وسلم، ولأهل قرابته من بني هاشم، وبني عبد المطلب، وأطفال المسلمين، الذين لا آباء لهم، ولذوي الحاجة من المسلمين، والذين انقطعوا في سفرهم منهم، وكان الخمس على عهد رسول الله عليه السلام تقسم على هذه الأجزاء الخمسة، وأما بنو نوفل وبنو شمس وإن كان لهم قرابة مع النبي إلا أنهم حرموا عنه لقصة عثمانرضي الله عنه، وجبير بن مطعمرضي الله عنه[1]، كما أشار إليه القاضي البيضاوي[2]، وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه سقط بموته، وكذلك سهم ذوي قرباه، وإنما يعطون لفقرهم لا لقرابتهم، فيحرم أغنيائهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل، وأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على هذه الثلاثة، وكذا عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين [ص271] إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فاعلموا ذلك الحكم، وارضوا به وَمَا أَنْزَلْنَا عطف على مجرور الباء، أي: آمنتم بالله وبما أنزلناه عَلَى عَبْدِنَا من الآية والملائكة والنصر يَوْمَ الْفُرْقَانِ يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ المسلمون والكفار وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO ومنه نصر القليل على الكثير إِذْ أَنْتُمْ كائنون بِالْعُدْوَةِ أي: بشط الوادي الدُّنْيَا أي: القربى من جهة المدينة وَهُمْ أي: الكفار بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى البعدى عن جهة المدينة وَالرَّكْبُ جمع راكب، معنى أي: العير، يعني قوادها أَسْفَلَ أي:كائنون في مكان أسفل، يعني: الساحل؛ بثلاثة أميال مِنْكُمْ وراء ظهور العدو، وهذا إظهار لضعف المسلمين؛ وقوة الكفار، حيث ذكر مراكز

---

1 – جبير بن مطعم رضي الله عنه: هو جبير بن مطعم بْن عدي بْن نوفل بْن عَبْد مناف، أبو مُحَمَّد. كان أبوه من أشراف قريش، وقدم جبير في فداء أسارى بدر، قال: فنمت في المسجد بعد العصر، فأقيمت المغرب، فقمت فزعا بقراءة رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم، فاستمعت قراءته حتى خرجت من المسجد، فذاك أول يوم دخل الإسلام في قلبي. وأسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات في وسط خلافة معاوية. الجوزي: المرجع السابق. 231/5.

2 – يشير البيضاوي: روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما، فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما: هؤلاء إخوتك بنو هاشم، لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب، أعطيتهم وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُوْنَا فِيْ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)). البيضاوي: المرجع السابق. 60/3.

الفريقين، فإن العدوة الدنيا كانت رخوة، يسوخ فيها الأرجل، ولا يتمشى فيها إلا بتعب، ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوىوَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أي: لو علمتم حالكم وحالهم بعد التواعد لَاخْتَلَفْتُمْ أنتم هيبة منهم فِي الْمِيْعَادِ وَلٰكِنْ جمع بينكم بلا ميعاد لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا من إعزاز المسلمين؛ وخذلان الكافرين، فعل ذلك لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ليكفر من كفر عَنْ بَيِّنَةٍ أي: بعد حجة عاينها وَيَحْيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ليؤمن من آمن بعد حجة شاهدها، فإن فتح المؤمنين في بدر آية من آيات الله تعالى؛ خارق للعادة، ودل دلالة واضحة على أن الإسلام حق؛ والكفر باطل، فمن كفر بعد مشاهدة الآية كفر بعد قيام الدليل على بطلان الكفر، وكذلك من آمن إنما آمن بعد قيام الدليل على حقية وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيْعٌ كلامهم عَلِيْمٌO ما في قلوبهم. اذكر إِذْ يُرِيْكَهُمُ اللهُ فِيْ مَنَامِكَ قَلِيْلًا في العدو تشجيعا [ص272] لقلوبكم وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيْرًا في العدو لَفَشِلْتُمْ لجبنتم وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ في أمر القتال بين الثبات والفرار وَلٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ من الفشل والتنازع إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO وَإِذْ يُرِيْكُمُوْهُمْ الضميران مفعولان ليرى إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا حال تثبيتا للمؤمنين، وتصديقا لرؤيا الرسول وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ قبل التحام القتال، ثم كثركم بعد الالتحام ليفاجاءهم الكثرة، فتبهتهم، وتكسر قلوبهم لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُO ع فيحكم ما يريد يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً جماعة كافرة فَاثْبُتُوْا ولا تنهزموا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيْرًا داعين عليهم لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO تظفروا بمرادكم، أي: النصر وَأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَا تَنَازَعُوْا أي: لا تختلفوا فيما بينكم في أمر الحرب فَتَفْشَلُوْا فتجبنوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ قوتكم ودولتكم، يراد بالريح الدولة مجازا، أو المراد به الريح المفضي إلى النصرة، قال عليه السلام: ((نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ))[1] وَاصْبِرُوْا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَO وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ خَرَجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ أي: أبي جهل ومقاتلي مكة؛ إذ خرجوا من مكة لحفظ العير، ولم يرجعوا بعد نجاتها بَطَرًا وَّرِئَاءَ النَّاسِ فخرا ورياءا، حيث قالوا: لا نرجع حتّى نشرب الخمور، وننحر الجزور، وتعرف علينا القيان حتّى صادفوا بدرا، فأصابهم ما أصابهم وَيَصُدُّوْنَ يمنعون الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌO علما، فيجازيهم به وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

---

1 - (أ) البخاري: المرجع السابق. كتاب الجمعة،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، رقم الحديث: 1035. 33/2. وكتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، رقم الحديث: 3205، 109/4. وكتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ، رقم الحديث: 3343، 137/4. وكتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث: 4105، 109/5.(ب) مسلم: المرجع السابق. كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، رقم الحديث: 900، 617/2.

في معاداة الرسول في صورة سراقة بن مالك بن خثعم؛ [ص273] سيد الناحية وَقَالَ لَاغَالِبَ كائن لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ أي: المؤمنين وَإِنِّيْ جَارٌ لَّكُمْ مجير لكم عن كل مهلكة، أو يقال إنه مقالة نفسانية، والمعنى أنه ألقي في روعهم، وخيّل إليهم؛ أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم وعدتهم وأوهمهم، أن أتباعهم إياه فيما يظنون قربات مجير لهم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ تلاقي الفريقان نَكَصَ الشيطان عَلَى عَقِبَيْهِ هاربا، أي: رجع القهقري، لما رأى أن الملائكة تنزل لنصرة المؤمنين وَقَالَ الشيطان في صورة سراقة؛ حين قيل له: اتخذ لنا في هذه الحالة إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّنْكُمْ عن المجازات والأمان إِنِّيْ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ من إمداد الملائكة إِنِّيْ أَخَافُ اللهَ أي: عقوبته عليهم، وآيس من حالهم، قالوا: هزم الناس سراقة، فلما بلغ ذلك الخبر إلى سراقة، فقال والله ما شعرت بمسيركم؛ حتى بلغني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وَاللهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِO٤ اذكر إِذْ يَقُوْلُ الْمُنَافِقُوْنَ في المدينة وَالَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ أي: المسلمين دِيْنُهُمْ حيث خرج ثلاث مائة وبضعة عشر زهاء ألف، قال تعالى في جوابهم: وَمَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب على أمره حَكِيْمٌO في صنعه وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِيْنَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ فاعل يتوفى، أو هو مبتداء، خبره يضربون، وفاعل يتوفى ضمير الله يَضْرِبُوْنَ وُجُوْهَهُمْ حال من الملائكة وَأَدْبَارَهُمْ ويقولون لهم: ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِO لرأيت أمرا عظيما ذَالِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِO التكثير لجمعية البعيد، أو أنواع الظلم، وقد يقال مبالغة النفي لا نفي المبالغة، عادة مشركي مكة ودأبهم كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ كعادتهم في تكذيب الرسول [ص274] وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم السابقة كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوْبِهِمْ بالعقاب إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ على ما يريده شَدِيْدُ الْعِقَابِO {لمن خالف}[1] ذَالِكَ تعذيب الكفرة بِأَنَّ اللهَ بسبب أنه لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا مبدلا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ بالنقمة حَتَّى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنْفُسِهِمْ حال أنفسهم، والمراد أنه لم يكن لمشركي مكة حالة مرضية حتّى غيروها إلى غير مرضية، بل غيروا سوء حالهم إلى أسوء حالاتهم، فإنهم قبل البعثة كانوا عبدة الأصنام، فلما بعث النبي إليهم بالآيات، كذبوا وسعوا في إراقة دمه مع عبادة الأصنام، فهذا هو التغير منهم، فاللّه سبحانه عجل العذاب بعد أن كان مؤجلا وَأَنَّ اللهَ سَمِيْعٌ لأقوالهم عَلِيْمٌO بنياتهم كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ دأبهم حيث كَذَّبُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ معه وَكُلٌّ من الأمم المكذبة كَانُوْا ظَالِمِيْنَO إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إصرارا؛ لأنهم أضل من الأنعام فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO لا يتوقع عنهم الإيمان الَّذِيْنَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَهُمْ فِيْ كُلِّ مَرَّةٍ عاهدوا فيها وَهُمْ لَا يَتَّقُوْنَO الله في غدرهم، يهود قريظة عاهدهم النبي عليه السلام: أن لا يمالؤا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح، وقالوا: نسينا، ثم

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

عاهدهم، فنكثوا، ومالؤهم عليه يوم الخندق فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فأما تصادفنهم، وتظفرن بهم فَشَرِّدْ بِهِمْ ففرق بقتلهم وتنكيلهم مَّنْ خَلْفَهُمْ من الكفرة المحاربين لَعَلَّهُمْ أي: الذين من خلفهم يَذَّكَّرُوْنَO يتعظون من حالهم وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ عاهدوك خِيَانَةً نقض عهد بإمارة تلوح لك فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ فاطرح إليهم عهدهم عَلَى سَوَاءٍ أي: على عدل بأن تكون أنت وهم مستويين [ص275] في العلم، بأن لا عهد بيننا حتّى لا يتهموك بالغدر إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْخَائِنِيْنَOع في العهود وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أنفسهم سَبَقُوْا الله أي: فأتوه إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُوْنَO الله بالفوت، بل يدركهم، ولا يفوتونه وَأَعِدُّوْا أيها المؤمنون! لَهُمْ لقتالهم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ مثل الرمي وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ جنس الخيول في سبيل الله تُرْهِبُوْنَ بِهِ بما استطعتم عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ أي: كفار مكة وَآخَرِيْنَ مِنْ دُوْنِهِمْ من الكفرة اليهود والمنافقين، أو أهل فارس، أو الجن لَا تَعْلَمُوْنَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ شرط وجزاء وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُوْنَO بنقص الأجر وَإِنْ جَنَحُوْا مالوا لِلسَّلْمِ للصلح، مؤنث بتأنيث ضدها، وهو الحرب فَاجْنَحْ لَهَا فمِلْ إليها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ في أبطانهم المكر والخدع إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ ما في ألسنتكم الْعَلِيْمُO بما في قلوبكم وَإِنْ يُّرِيْدُوْا أَنْ يَّخْدَعُوْكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ كافيك اللهُ هُوَ الَّذِيْ أَيَّدَكَ قوّاك بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِيْنَO وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوْبِهِمْ جمع بين قلوب الخزرج والأوس بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوْبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ بقدرته وفضله إِنَّهُ عَزِيْزٌ غالب على أمره حَكِيْمٌO في إصلاح ذات البين يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَOع نزلت في عمر رضي الله عنه، أسلم مع النبي عليه السلام ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، ثم أسلم عمر رضي الله عنه يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى الْقِتَالِ بالغ في الحث عليه إِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ [ص276] عِشْرُوْنَ صَابِرُوْنَ يَغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ منهم وَإِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ يَّغْلِبُوْا أَلْفًا مِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُوْنَO ترتب الثواب والعقاب على الثبات والفرار بخلاف المؤمنين، وهذا الحكم لما كثر المسلمون نسخ، فقال: الْئٰنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيْكُمْ ضَعْفًا ضعف البدن فَإِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَّغْلِبُوْا مِائَتَيْنِ منهم وَإِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَّغْلِبُوْا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ بإرادته وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَO بالعون والنصر. أسري يوم بدر سبعين، فيهم العباس[1]

1 – العباس: هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنيته: أبو الفضل، وأمه: ابنة جناب بن كلب بن مالك بن النمر بن قاسط. كان مولده قبل الفيل بثلاث سنين، ومات سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو بن ثمان وثمانين سنة بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه. البُستي: المرجع السابق. ص :28.

وعقيل[1]، فاستشار فيهم، فقال أبو بكر: استبقهم لعل الله يتوب عليهم، وخذ منهم فدية يتقوى بها أصحابك، وقال عمر رضي الله عنه: اضرب أعناقهم، فخير النبي عليه السلام الأصحاب، فأخذوا الفداء، فنزلت: مَا كَانَ ما صحَّ لِنَبِيٍّ أَنْ يَّكُوْنَ لَهُ أَسْرَى جمع أسير، وأسارى؛ جمع أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ يكثر القتل، ويبالغ فيه حتّى يذل الكفر، ويعز الإسلام بإفناء أهله وإبقاء أهله تُرِيْدُوْنَ أيها المؤمنون! عَرَضَ الدُّنْيَا حطامها بأخذ الفدية وَاللهُ يُرِيْدُ لكم الْآخِرَةَ أي: ثوابها وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌO أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء، حين كانت الشوكة للكافرين وخيّر بينه وبين المن في قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءًا﴾[2] لما تحول الحال، وصارت الغلبة للمؤمنين لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللهِ أي: حكم منه تعالى سَبَقَ إثباته في اللوح المحفوظ، وهو أن لا يعاقب المخطي في اجتهاده، أو إحلال الغنائم والإسراء لكم لَمَسَّكُمْ فِيْمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO وفيه دليل على أن الأنبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطاءا، ولكن لا يقرون عليه، قال عليه [ص277] السلام: لو نزل العذاب لما نجا غير عمر رضي الله عنه، وسعد بن معاذرضي الله عنه، وذلك لأنه أيضا أشار بالإثخان فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ أي: الفدية، فإنها من الغنائم حَلَالًا طَيِّبًا وَّاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌOع يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَنْ فِيْ أَيْدِيْكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى إِنْ يَّعْلَمِ اللهُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ خَيْرًا إيمانا وإخلاصا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ من الفداء بالتضعيف في الدنيا؛ والتثويب في الآخرة، الموعود بقوله: وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO روي أنه عليه السلام أتي بمال البحرين ثمانون ألفا، وهو متوض للظهر، ففرق قبل أن يصلي، وأمر عباس أن يأخذ منه ما قدر على حمله، وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ مني في الفداء، وأرجو المغفرة، وكان له عشرون عبدا، أدناهم له تجارة عشرين ألفا وَإِنْ يُّرِيْدُوْا خِيَانَتَكَ نقض ما عاهدوك من الإسلام، أو الفداء بالردة والمنع فَقَدْ خَانُوا اللهَ بالكفر مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ فأقدرك عليهم في بدر،

---

1 – عقيل: هو عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، أبو يزيد، وقيل: أبو عيسى، أخو علي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. شهد بدرا مع المشركين مكرها، وأسر يومئذ ثم أسلم قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة، وكان عقيل من أنسب قريش، وأعلمهم بأيامها. مات في خلافة معاوية بعد ما عمي. يوسف بن عبد الرحمن: أبو الحجاج، جمال الدين، (ت: 742هـ). تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (ط–1، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ / 1980م). 236/20.

2 – جزء من الآية، وتمامها:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ سورة محمد، الآية: 4.

فليتوقعوا مثل ذلك إن عاهدوا وَاللهُ عَلِيْمٌ بما في ضميركم حَكِيْمٌO بإيجاد الخير في قلوبهم إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أي: المهاجرون وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا النبي والمؤمنين إلى ديارهم وَّنَصَرُوْا إياهم على أعدائهم، أي: الأنصار أُولٰئِكَ أي: المهاجرين والأنصار بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ في الميراث، كان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي القربى، حتّى نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبِعْضٍ﴾[1]، وقيل: في النصرة وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوْا من مكة مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ من ميراثهم مِّنْ شَيْءٍ فلا إرث ولا نصيب لهم من الغنيمة حَتَّى يُهَاجِرُوْا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ أي: من [ص278] أسلم، ولم يهاجر على الأعداء فِي الدِّيْنِ في الإسلام فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَينَهُمْ مِّيْثَاقٌ عهد، فإن الميثاق يمنع النصر وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ في الميراث إِلَّا تَفْعَلُوْهُ أي: أن لا تفعلوا ما أمرتكم من التواصل بين المؤمنين، والتقاطع مع الكافرين تَكُنْ تحصل فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌO لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدا على المشركين كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ هم المهاجرون وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا وَّنَصَرُوْا هم الأنصار أُولٰئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌO في الجنة وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْ بَعْدُ بعد السابقين وَهَاجَرُوْا وَجَاهَدُوْا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ أيها المهاجرون والأنصار وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ من توارث الأجانب بالهجرة والنصرة، كما مر فِيْ كِتَابِ اللهِ أي: في حكمه، أو في اللوح المحفوظ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ع الربع

سورة التوبة مدنية، مائة وتسع وعشرون آية.

هذه بَرَآءَةٌ واصلة مِنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ إِلَى الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ أيها المؤمنون! مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO تركت التسمية، لأنها نزلت لرفع الأمان، وبسم الله أمان، وقيل: اختلف فيها، فقيل: تتمة الأنفال، وقيل: سورة برأسه فترك بينهما بياض، وترك التسمية عملا بهما فَسِيْحُوْا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ خطاب للمشركين الناكثين لعهد المؤمنين، أي: سيروا آمنين، لا نتعرض لكم في هذه الأشهر: شوال وذي القعدة وذي الحجة ومحرم، فإذا تمت نقتلكم حيث نجدكم وَاعْلَمُوْا [ص279] أيها المشركون! أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ أي: لا تفوتونه؛ وإن أمهلكم وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِيْنَO مذلهم في الدنيا بالقتل؛ وفي العقبى بالنار وَأَذَانٌ فعال بمعنى الإفعال، أي: الإيذان بمعنى الإعلام، كالأمان، بمعنى الإيمان، والعطاء بمعنى

1 - جزء من الآية، وتمامها:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: 6.

الإعطاء، خبر مبتداء محذوف، أي: هذا أذان إعلام مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ إِلَى النَّاسِ ممن عاهدتم، أو لم يعاهد يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يوم عرفة، أو يوم النحر أَنَّ اللهَ أي: بأن الله بَرِيْءٌ مِّنَ عهود الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلُهُ أيضا بريء، إنما وصف الحج بالأكبر، لأن العمرة توصف بالحج الأصغر، فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، والأمير فيها عتاب بن أسيد، وسنة تسع أمَّر على الموسم أبا بكر، وأتبعه عليا مأمورا؛ ليقرأ على أهل الموسم هذه السورة، فقرأ علي رضي الله عنه عند جمرة العقبة ثلاثين أو أربعين آية، وقال أرسلت للأربع: لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بها عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، وأن يتم كل ذي عهد عهده، فقالوا: قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وليس بيننا وبين محمد عهد إلا طعن بالرماح، وضرب بالسيوف فَإِنْ تُبْتُمْ من الكفر فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم عن التوبة والإيمان بالله فَاعْلَمُوْا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ لا تفوتونه طلبا منه بالعذاب وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO إِلَّا الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ مِّنَ المشْرِكِيْنَ استدراك من قوله: ﴿فَسِيْحُوْا فِي الْأَرْضِ﴾[1]، أي: أمر الناكسون بالسياحة في الأشهر الأربعة؛ لكن الذين لم ينكثوا، فأتموا إليهم عهودهم إلى مدتهم، وهم بنو ضمرة وبنو كنانة ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوْكُمْ شَيْئًا من شروط العهد، بل أوفوا بما عاهدوا، ولم ينكثوا عن العهد وَلَمْ يُظَاهِرُوْا عَلَيكُمْ أَحَدًا من الأعداء فَأَتِمُّوْا [ص280] إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ التي عاهدتم عليها إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَO الله عن خلط حكم الغادر بالوافي فَإِذَا انْسَلَخَ انقضى الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ وتم الأجل فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ {الناكثين المأمورين بالسياحة}[2]حَيْثُ وَجَدْتُّمُوْهُمْ من الحل والحرم وَخُذُوْهُمْ أي: أسروهم وَاحْصُرُوْهُمْ في القلاع ليصير أمرهم إلى القتل أو الإسلام وَاقْعُدُوْا لَهُمْ لمنعهم عن تصرف البلاد كُلَّ مَرْصَدٍ ممر فَإِنْ تَابُوْا عن الكفر وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوْا سَبِيْلَهُمْ فاطلقوهم عن الحصر والأسر إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لما سلف رَحِيْمٌO بوعد الثواب، ودفع القتال وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ استأمنك من القتل فَأَجِرْهُ فآمنه حتَّى يَسْمَعَ كَلٰمَ اللهِ أي: القرآن ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ محل أمنه، أي: دار قومه؛ إن لم يسلم ذَالِكَ الأمر بالإجارة بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُوْنَOع كَيْفَ استفهام إنكاري يَكُوْنُ لِلْمُشْرِكِيْنَ عَهدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُوْلِهِ وهم غادرون إِلَّا الَّذِيْنَ عَاهَدْتُّمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كبني كنانة، وبني ضمرة فَمَا اسْتَقَامُوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيْمُوْا لَهُمْ ما شرطية أو مصدرية، أي: فتربصوا أمرهم إن استقاموا لكم فاستقيموا لهم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَO الله عن الخلط كما مر كَيْفَ علة عدم بقاء العهد للمشركين عند الله ورسوله وَإِنْ يَّظْهَرُوْا عَلَيْكُمْ يظفروا بكم لَا يَرْقُبُوْا لا يراعوا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ سورة توبة، الآية: 2.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين، ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

فِيْكُمْ إِلًّا قرابة أو حلفا وَّلَا ذِمَّةً عهدا بل يؤذيكم ما استطاعوا يُرْضُوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ بوعد الإيمان والإطاعة وَتَأْبَىٰقُلُوْبُهُمْ الإيمان والوفاء بالعهد وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُوْنَO ناقضون للعهد [ص281] اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيْلًا عوضا يسيرا، وهو اتباع الهوى، وإنفاذ الشهوات فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِهِ فمنعوا الناس عن دين الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO عملهم هذا لَا يَرْقُبُوْنَ فِيْ مُؤْمِنٍ إِلًّا وَّلَا ذِمَّةً أي: لا يراعون القرابة والحلف والعهد في حق مؤمن، أيّ مؤمن كان؟ وفيما سبق على الخصوص في المخاطبين؛ فلا تكرار وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُوْنَO في الظلم والشرارة فَإِنْ تَابُوْا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ أي: فهم إخوانكم فِي الدِّيْنِ لا في النسب وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO يتفكرون وَإِنْ نَّكَثُوْا نقضوا أَيْمَانَهُمْ مواثيقهم؛ التي أظهروها مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ عابوه، وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده، فجاز قتله فَقَاتِلُوْا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ رؤساء الشرك، أي: فقاتلوهم، أبدل الضمير بالظاهر إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ عهود لَهُمْ على الحقيقة لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَO عن الكفر أَلَا تُقَاتِلُوْنَ الهمزة دخلت على النفي، أفاد {التحريض}[1] على القتال قَوْمًا نَّكَثُوْا أَيْمَانَهُمْ عهودهم وَهَمُّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُوْلِ من مكة حيث شاوروا في دار الندوة وَهُمْ بَدَءُوْكُمْ في القتال أَوَّلَ مَرَّةٍ حيث قاتلوا خزاعة؛ حلفاءكم مع بني بكر؛ فما يمنعكم أن تقاتلوهم أَتَخْشَوْنَهُمْ أتخافون مكروها؛ يصل إليكم من جانبهم فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ تخافوه إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO إذ قضية الإيمان الكامل أن لا تخشى إلا منه تعالى قَاتِلُوْهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيْكُمْ بالقتل وَيُخْزِهِمْ يذلهم بالأسر وَيَنْصُرْكُمْ يغلبكم عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ [ص282] صُدُوْرَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِيْنَO أي: بني خزاعة وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوْبِهِمْ لما لقوا منهم من المكروه، فوقع هذه المواعيد حقا، فالآية من المعجزات وَيَتُوْبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ ابتداء كلام وأخبار، بأن بعض مشركي مكة يتوب من كفره، فقد أسلم ناس منهم، كأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل[2]، وغيرهما وَاللهُ عَلِيْمٌ بكل حادثة حَكِيْمٌO في إيجادها أَمْ حَسِبْتُمْ منقطعة؛ بمعنى همزة الإنكار أَنْ تُتْرَكُوْا على ما أنتم عليه وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ علم ظهور الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ لوجه الله وَلَمْ يَتَّخِذُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلَا رَسُوْلِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِيْنَ وَلِيْجَةً بطانة يوالونهم، ويفشون إليهم أسرارهم، والمعنى: أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة، ولا براءة من المشركين وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَOع مَا كَانَ ما صح لِلْمُشْرِكِيْنَ أَنْ يَّعْمُرُوْا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِيْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ باعترافهم بعبادة الأوثان، قيل: لما أسري العباس

---

1 – في ب و ج: التحريص.

2 – عكرمة: هو عكرمة بن أبي جهل = أبي الحكم عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. كان من رءوس الجاهلية كأبيه، ثم أسلم وحسن أسلامه. أسلم بعد الفتح، واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا، فقاتلهم، فأظفره الله بهم، ثم خرج إلى الشام مجاهدا، فكان أميرا على بعض الكراديس. الذهبي: . 99/3.

عيَّره المسلمون بالشرك؛ وقطيعة الرحم، وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول، فقال: تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا، إنا لنعمر مسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج[1]، ونفك الأعاني، فنزلت: أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ لعدم شرطها وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُوْنَO إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ أحدا إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَّكُوْنُوْا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَO عمارتها ترميم وتقميم وتنظيف وتنوير، وحفظ من فضول الكلام وصلاة وذكر ودرس وعدالة، وفي كلمة التوقع قطع لإطماع المشركين في الاهتداء، ومنع [ص283] للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم، ويتكلموا عليها أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لَا يَسْتَوُوْنَ عِنْدَ اللهِ في الفضل وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ من غيرهم وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُوْنَO إلى المراد يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَّجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيْهَا نَعِيْمٌ مُّقِيْمٌO دائم خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌO نزلت: فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ أي: إن اختاروه عَلَى الْإِيْمَانِ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ أي: الكافرين مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ أقرباؤكم وَأَمْوَالُ نِ اقْتَرَفْتُمُوْهَا اكتسبتموها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا فوات وقت نفاقها وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِهِ الحب الاختياري دون الطبعي، فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه وَجِهَادٍ فِيْ سَبِيْلِهِ فَتَرَبَّصُوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ أي: العذاب العاجل؛ أو الآجل وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَOع لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ من الحرب وَيَوْمَ حُنَيْنٍ هو واد بين مكة والطائف، والمسلمون كانوا اثنا عشر ألفا، والكفار أربعة آلاف من الهوازن والثقيف، فانهزم أهل الإسلام، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم [ص284] في المركز، ليس معه إلا العباس، آخذا بلجامه؛ وابن عمه أبو سفيان ابن الحارث آخذا بركابه، وهو على البغلة البيضاء إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَّضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ مصدرية، أي: برحبها وسعتها، فلم تجدوا مكانا للقرار، تطمئنون إليه لشدة الخوف ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُّدْبِرِيْنَO منهزمين ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ طمانيته عَلَى رَسُوْلِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ فردُّوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ناداهم عباس بإذنه، وكان صيتا: يا أصحاب الشجرة! قائلين: لبيك لبيك، فقاتلوا قتالا شديدا وَأَنْزَلَ جُنُوْدًا لَّمْ تَرَوْهَا خمسة آلاف من الملائكة، وقيل: ثمانية، وقيل: ستة عشر وَعَذَّبَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالقتل وللأسر وسبي النساء والذراري وَذَالِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِيْنَO ثُمَّ يَتُوْبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ عَلَى مَنْ

---

1 – في أ: الحجاج.

يَّشَاءُ منهم بالإسلام وَاللهُ غَفُوْرٌ لمن آمن رَحِيْمٌO لهم بتوفيقه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّمَا الْمُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ بخبث باطنهم، وعن ابن عباس: إن أعيانهم نجس فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا سنة براءة؛ وهي التاسعة من الهجرة، وقيل: سنة حجة الوداع، فلا يحجوا، ولا يعتمروا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فقرا لسبب منعهم عن الحج؛ لفقد أن التجارة معهم فَسَوْفَ يُغْنِيْكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ وقد أغناهم بالغنائم، والجزية إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بمصالح العباد حَكِيْمٌO فيما حكم، وأراد قَاتِلُوا الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ فكيف بالنبي وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ كالخمر [ص285] وَلَا يَدِيْنُوْنَ دِيْنَ الْحَقِّ أي: لايتخذون دينهم دين الحق الناسخ للأديان، أي: الإسلام مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بيان للذين لا يؤمنون، وأهل الكتاب: اليهود والنصارى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ الخراج الموضوع عليهم كل عام، مأخوذ من جزا دينه، أي: قضاه عَنْ يَّدٍ أي: عن يدهم مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم وَهُمْ صَاغِرُوْنَOع أذلاء وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ عُزَيْرُنِ ابْنُ اللهِ عربي عند من صرفه؛ وعجمي عند من لم يصرفه، وذلك لأنه أملي عليهم التوراة حفظا بعد مائة سنة، ولم يبق أحد بعد وقعة بخت نصر، يتلوها على اليهود وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ ابْنُ اللهِ لما لم يكن له أب ذَالِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ مجرد عن البرهان يُضَاهِئُوْنَ قَوْلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ أي: تشابه قولهم قول الذين كفروا، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه قَاتَلَهُمُ اللهُ لعنهم أَنَّى يُؤْفَكُوْنَOالنصف كيف يصرفون؟ اتَّخَذُوْا أَحْبَارَهُمْ علماء اليهود وَرُهْبَانَهُمْ عبّاد النصارى أَرْبَابًا اٰلهة حيث أطاعوهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وكانوا يسجدون لهم مِّنْ دُوْنِ اللهِ غير الله وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوْا في الكتابين إِلَّا لِيَعْبُدُوْا بأن يعبدوا إِلٰهًا وَّاحِدًا لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ تنزيها له عَمَّا يُشْرِكُوْنَO يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُّطْفِؤُا نُوْرَ اللهِ شرعه ونبوة نبيه بِأَفْوَاهِهِمْ بالتكذيب وَيَأْبَى اللهُ ولا يرضى؛ ولا يريد إِلَّا أَنْ يُّتِمَّ يظهر نُوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَO هُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ محمدا عليك الصلاة والسلام بِالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ ليغلبه عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ جميع الأديان وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَO ذالك يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُوْنَ [ص286] أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بالرشي في الأحكام وَيَصُدُّوْنَ يمنعون الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وحكم ما سواهما حكمهما وَلَا يُنْفِقُوْنَهَا أي: الكنوز فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أي: لا يؤدون حقه تعالى منها فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO استهزاءا بلفظ البشارة، لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم، وقال عليه السلام: ((مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ))[1]. أوعد عليه،

---

1 – (أ) عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر، (ت: 211هـ). المصنف = مصنف عبد الرزاق: (ط–2، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ). كتاب الزكاة، باب إذا أديت

وقال علي رضي الله عنه: أربعة آلاف وما دونها نفقة، وما فوقها كنز، وقالوا: الأفضل الإعراض عن جمع المال، والاقتناء والإدخار مباح، لا يذم صاحبه كعبد الرحمان وطلحة، ما عابهم أحد ممن أعرض يَوْمَ يُحْمَى يوقد عَلَيْهَا أصله: يوم يحمى النار عليها، فحذف المفعول، وأسند إلى الجار والمجرور، أي: عليها، فغيّر فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوْبُهُمْ وَظُهُوْرُهُمْ بوضع الكنوز المحرقة على جلودهم بالتوسيع، ويقال: هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوْقُوْا جزاءا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُوْنَO إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُوْرِ مبلغ عددها عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ثابت فِيْ كِتٰبِ اللهِ اللوح المحفوظ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ رجب وذو قعدة وذو حجة ومحرم، ثلاثة سرد؛ وواحد فرد ذَالِكَ أي: تعظيمها الدِّيْنُ الْقَيِّمُ المستقيم فَلَا تَظْلِمُوْا فِيْهِنَّ أي: في الأربعة أو في الاثنا عشر أَنْفُسَكُمْ بارتكاب المعاصي وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَافَّةً جميعا، في كل الشهور كَمَا يُقَاتِلُوْنَكُمْ كَافَّةً وَّاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِيْنَO بالنصر والعون [ص287] إِنَّمَا النَّسِيْءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ بالهمزة مصدر نسأة، إذا أخَّر، أي: تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر، كانوا إذا جاء شهر حرام؛ وهم محاربون فيه، أحلوه، وحرموا مكانه شهرا آخر، حتّى رافضوا خصوص الأشهر، واعتبروا مجرد العدد، فرفضوا حكمه تعالى يُضَلُّ بِهِ بالنسيء الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُحَلُّوْنَهُ أي: النسيء عَامًا وَّيُحَرِّمُوْنَهُ عَامًا أي: إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم في عام لمصلحة لهم حرموا شهرا من قابل لِّيُوَاطِئُوْا ليشبهوا، أو ليوافقوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ أي: عدده، أي: الأربع، لا عينها؛ لا بأعيانها فَيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوْءُ أَعْمَالِهِمْ فظنوه حسنا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا مَا لَكُمْ إِذَا قِيْلَ لَكُمُ انْفِرُوْا اخرجوا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ أصله: تثاقلتم، أي: تباطأتم ومِلتم عن الجهاد إِلَى الْأَرْضِ التي أنتم فيها أَرَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ولذائذها مِنَ الْآخِرَةِ أي: بدل نعمها، وكان ذلك في غزوة تبوك، أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف، وكانوا في حر شديد وعسرة، وما ورّي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا السفر، وفيما وراءه كان يورّي ليستعدوا تماما فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي جنب متاع الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيْلٌO حقير إِلَّا تَنْفِرُوْا أي: أن لا تخرجوا للجهاد يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا وَّيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ كأهل اليمن وأبناء فارس بدلكم وَلَا تَضُرُّوْهُ أي: الله أو النبي بهذا التثاقل شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO فيقدر على نصر نبيه بدونكم إِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: حين أخرجوه من مكة بما قرروها في دار الندوة من

زكاته فليس بكنز، رقم الحديث: 7141. 106/4. (ب) ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر، (ت: 235هـ). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: (ط-1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ). كتاب الزكاة، باب ما قالوا في المال الذي تؤدى زكاته فليس بكنز، رقم الحديث: 10517، 10520. 411/2.

الحبس والقتل والنفي ثَانِيَ اثْنَيْنِ حال كونه عليه السلام واحدا من اثنين، [ص288] والثاني أبو بكر رضي الله عنه إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ نقب في جبل نور إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ أي: أبي بكر لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا بالعصمة والعون فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ طمانيته عَلَيْهِ على النبي، أو على أبي بكر وَأَيَّدَهُ أي: النبي صلى الله عليه وسلم بِجُنُوْدٍ بملائكة في الغار، أو المعارك لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السُّفْلَى أي: الشرك أو دعوة الكفر مغلوبا وَكَلِمَةُ اللهِ أي: التوحيد، أو دعوة الإسلام هِيَ الْعُلْيَا مازال غالبا وَاللهُ عَزِيْزٌ في أحكامه حَكِيْمٌO في أفعاله انْفِرُوْا خِفَافًا وَّثِقَالًا بالمساهلة والمشقة، أو لقلة العيال وكثرتها، أو بالركوب والمشي، أو بالصحة والمرض وَجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في دينه ذَالِكُمْ الجهاد خَيْرٌ لَّكُمْ من تركه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO فلا تثاقلوا. ونزل في المخلّفين من المنافقين: لَوْ كَانَ ما دعوا إليه عَرَضًا غنيمة قَرِيْبًا سهل المأخذ وَسَفَرًا قَاصِدًا متوسطا لَّاتَّبَعُوْكَ في الخروج وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ المسير الذي ينقطع بمشقة وَسَيَحْلِفُوْنَ بِاللهِ إذا رجعتم إليهم لَوِ اسْتَطَعْنَا الخروج لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُوْنَ أَنْفُسَهُمْ بالحلف الكاذب وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَOع في هذا القول عَفَا اللهُ عَنْكَ أي: ينبغي لك إن تستأنَّ في الإذن؛ ففيه إيماء بترك الأفضل لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ في التخلف والقعود حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا في العذر وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِيْنَO فيه لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ في التخلف عن أَنْ يُّجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ [ص289] وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَO إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ في التخلف الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ شكت قُلُوْبُهُمْ وكانوا تسعة وثلاثين رجلا فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُوْنَO يتحيرون وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوْجَ معك لَأَعَدُّوْا لَهُ عُدَّةً أهبته لكونهم مياسير من الآلات والزوادة وَلٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ نهوضهم فَثَبَّطَهُمْ حبسهم وكسلهم وَقِيْلَ اقْعُدُوْا مَعَ الْقَاعِدِيْنَO المتخلفين من الصبيان والنسوان والمرضى لَوْ خَرَجُوْا فِيْكُمْ مَّا زَادُوْكُمْ شيئا إِلَّا خَبَالًا فسادا وشرا بتخذيل المؤمنين وَلَأَوْضَعُوْا خِلَالَكُمْ ولأسرعوا ركائيبهم بينكم بالغنيمة والتضريب يَبْغُوْنَكُمُ الْفِتْنَةَ حال، أي: مشتتين أمركم، ومتفرقين الأصحاب وَفِيْكُمْ سَمَّاعُوْنَ لَهُمْ ضعفة يسمعون قولهم، أو يسمعون كلامكم، فينقلون إليهم وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَO المنافقين لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ يعني: يوم أحد وَقَلَّبُوْا لَكَ الْأُمُوْرَ دبروا لك المكائد والحيل في إبطال أمرك حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ النصر وَظَهَرَ غلب أَمْرُ اللهِ دينه وَهُمْ كَارِهُوْنَO وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ ائْذَنْ لِّيْ في القعود وَلَا تَفْتِنِّيْ لا توقعني في الفتنة، أي: لاتخرجني، فإني لو خرجت لهلك مالي وعيالي، وقيل: نزل في الجد بن قيس[1]، قال له صلى الله عليه وسلم: هل لك في جهاد بني الأصفر؟ أي: الروم، قال: إني مغرم بالنساء، فلا تفتني

1 – الجد بن قيس: هو الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري، السلمي. هو خال جابر بن عبد الله، كان منافقا، ثم حسنت توبته. ويقال: أنه مات في خلافة عثمان. الصفدي: المرجع السابق. 48/11.

بنات بني الأصفر، ولكني أعينك بمال، فاتركني أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوْا وهي فتنة التخلف، فإن التخلف إثم وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَO يوم القيامة [ص290] إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ نصر وغنيمة تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ كسر أو شدة، كما في أحد يَّقُوْلُوْا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا بالجزم واليقظان، يتحججوا بانصرافهم، واستحمدوا بآرائهم مِنْ قَبْلُ أي: قبل هذه المصيبة الواقعة وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُوْنَO بما أصابك قُلْ لَّنْ يُّصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَO قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوْنَ أصله: ما تتربصون، أي: ما تنتظرون أن يقع بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ تثنية حسنى، مؤنث أحسن، أي: الفتح والشهادة وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ إحدى السوئتين أَنْ يُّصِيْبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ بقارعة من السماء أَوْ بِأَيْدِيْنَا أي: القتل فَتَرَبَّصُوْا بنا ذلك إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُوْنَO عاقبتكم قُلْ أَنْفِقُوْا أمر بمعنى الخبر طَوْعًا أَوْ كَرْهًا في طاعة الله لَنْ يُّتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ما أنفقتموه إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِيْنَO وَمَا مَنَعَهُمْ الضمير مفعول أوّل منع أَنْ تُقْبَلَ مفعول ثان مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللهِ وَبِرَسُوْلِهِ فاعل منع وَلَا يَأْتُوْنَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالٰى جمع كسلان، أي: متثاقلين وَلَا يُنْفِقُوْنَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُوْنَO لأنهم عدوهما عرفا، والمعنى ما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم كاسلين كارهين فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فهاتان النعمتان؛ لهم استدراج في حقهم إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بما يكائدون لجمعها وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُوْنَO الزهوق: الخروج بصعوبة وَيَحْلِفُوْنَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَّفْرَقُوْنَO أي: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون [ص291] بالمشركين، فيظهرون الإسلام تقية لَوْ يَجِدُوْنَ مَلْجَأً الحرز في الجبل أَوْ مَغَارَاتٍ جمع غار، الغيران في الجبال كالسراديب أَوْ مُدَّخَلًا سردابا مختصا، مفتعل من الدخول، نقبا يدخل فيه بالشدة لَوَلَّوْا إِلَيْهِ لأقبلوا نحوه مسرعين في الدخول وَهُمْ يَجْمَحُوْنَO يسرعون إسراعا، لا يردهم شيء كالفرس الجموح وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّلْمِزُكَ يعيبك فِي تقسيم الصَّدَقَاتِ والمراد منها الزكاة بقرينة ذكر المصارف دون الغنائم، وهو أبو الجواظ المنافق، قال: ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم، ويزعم إنه يعدل فَإِنْ أُعْطُوْا مِنْهَا رَضُوْا وَإِنْ لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُوْنَO وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ وَقَالُوْا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِيْنَا اللهُ صدقة مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُوْلُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُوْنَOع لكان خيرا لهم إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ شروع في ذكر مصارف الزكاة عندنا، هي مختصة بهذه الأصناف، لايتجاوز غيرهم؛ وإن تصرف إلى بعض تلك الأصناف يجوز خلاف للشافعي رحمه الله تعالى لِلْفُقَرَاءِ له أدنى من شيء وَالْمَسَاكِيْنَ لا شيء له، وقيل: بالعكس وَالْعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا من جاب وقاسم وكاتب وحاسب وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوْبُهُمْ أشراف من العرب؛ يعطوا تأليفا، لأن يسلموا أو يثبتوا على الإسلام، وهذا السهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لإعزاز الإسلام وَفِي فك الرِّقَابِ

المكاتبين وَالْغَارِمِيْنَ الذين ركبتهم الديون، ولا يملكون النصاب وَفِيْ سَبِيْلِ اللهِ فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم والجهاد واشتراء الآلة [ص292] وَابْنِ السَّبِيْلِ المسافر المنقطع عن ماله فَرِيْضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيْمٌ بالمصلحة حَكِيْمٌO في القسمة وَمِنْهُم أي: من المنافقين الَّذِيْنِ يُؤْذُوْنَ النَّبِيَّ عليه السلام بالغيبة ونقل حديثه وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ أُذُنٌ إذا نهوا عن الإيذاء لئلا يبلغه، قالوا: محمد أذن سامعة، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول، أي: يسمع من كل أحد قوله، ويقبل كل ما سمع، فيحلف ويخلص قُلْ هو أُذْنُ خَيْرٍ لَّكُمْ لا أذن شر لكم؛ بحيث يذم به، ثم فسر الخير بقوله: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ اللام زائدة، أي: يصدق المؤمنين فيما أخبروه به؛ لا الكافرين وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ رَسُوْلَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الدارين يَحْلِفُوْنَ بِاللهِ كذبا لَكُمْ لِيُرْضُوْكُمْ عما صدر عنهم في الرسول والمؤمنين، والخطاب للمؤمنين وَاللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُّرْضُوْهُ بالطاعة والوفاق، وحّد الضمير للتلازم بين الرضائين إِنْ كَانُوْا مُؤْمِنِيْنَOالثلاثة حقا أَلَمْ يَعْلَمُوْا أي: المنافقون أَنَّهُ الضمير للشأن مَنْ يُّحَادِدِ اللهَ يخالفه بالتجاوز عن الحد وَرَسُوْلَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيْهَا والتقدير: أن له نار جهنم ذَالِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيْمُO يعني: الهلاك الدائم يَحْذَرُ خبر بمعنى الأمر، أي: ليخف الْمُنَافِقُوْنَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ أي: على المؤمنين سُوْرَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِيْ قُلُوبِهِمْ من النفاق قُلِ اسْتَهْزِؤُوْا أمر تهديد إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مظهر مَّا تَحْذَرُوْنَO منه من إظهار النفاق. روي أن ركبا من المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل؛ يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه، هيهات هيهات، فأخبر الله نبيه، [ص293] فدعاهم، فقال: قلتم كذا وكذا، فقالوا: والله ما كنا في شيء من أمرك؛ وأمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما نخوض فيه الراكب؛ ليقصر بعضنا على بعض السفر، فنزل: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ عن استهزائهم إياك لَيَقُوْلُنَّ في الجواب إِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ ليقصر الطريق قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لهم الاستهزاء منكم ثابت في الله وأياته ورسوله، لا حاجة إلى العذر الكاذب، ووبّخوا بأن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله لا ينبغي أن يتحقق، وإنكم أخطأتم فيه، بقوله: أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَO لَا تَعْتَذِرُوْا عنه قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ أظهرتم الكفر بعد إظهار الإيمان إِنْ نَّعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ لتوبتهم أو لتجنُّبهم عن الإيذاء كمخشن بن حمير نُعَذِّبْ طَائِفَةً لإصرارهم على النفاق، والإيذاء بِأَنَّهُمْ كَانُوْا مُجْرِمِيْنَOع الْمُنَافِقُوْنَ كانوا ثلاث مائة وَالْمُنَافِقَاتُ كن مائة وسبعين بَعْضُهُمْ متشابه في النفاق مِنْ بَعْضٍ وكلهم كأجزاء شيء واحد يَأْمُرُوْنَ بِالْمُنْكَرِ الكفر والمعاصي وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوْفِ الإيمان والطاعة وَيَقْبِضُوْنَ أَيْدِيَهُمْ شحا في الإنفاق في سبيل الله نَسُوا اللهَ تركوا طاعته فَنَسِيَهُمْ تركهم من ثوابه إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO وَعَدَ اللهُ الْمَنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا هِيَ أي: النار حَسْبُهُمْ كافيهم جزاءا

وعقابا وَلَعَنَهُمُ اللهُ أبعدهم عن رحمته وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيْمٌO دائم. أنتم أيها المنافقون كَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوْا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَّأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَّأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوْا أي: الذين قبلكم بِخَلَاقِهِمْ بنصيبهم من ملاذ الدنيافَاسْتَمْتَعْتُمْ أيها المنافقون بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِيْنَ [ص294] مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ دخلتم أيها المنافقون في الباطل وطعن النبي صلى الله عليه وسلم كَالَّذِيْ كالفوج الذي خَاضُوْا أو كالخوض الذي خاضوا فيه أُولٰئِكَ حَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO في الدارين أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوْحٍ أهلكوا بالطوفان وَعَادٍ قوم هود بالريح وَثَمُوْدَ قوم صالح بالرجفة وَقَوْمِ إِبْرَاهِيْمَ ببعوض وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أي: أهلها وهي قريات قوم لوط، أصله: ائتكفت: انقلبت، فصار عاليها سافلها، وأمطرت بالحجارة أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ بغير ذنب وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO بالذنوب وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَيُطِيْعُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب على إنجاز وعده ووعيده حَكِيْمٌO لا يضع شيئا إلا في محله وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنَّاتِ عَدْنٍ إقامة وَرِضْوَانٌ قليل مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ من ذالك كله ذَالِكَ الرضوان أو جميع ما عدَّ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOع يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بالسيف وَالْمُنَافِقِيْنَ بالحجة وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ بإذهاب الرفق عنهم وَمَأْوٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO روي أنه عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين، ينزل عليه القرآن، ويعيب المتخلفين، [ص295] فقال الجلاس بن سويد[1] لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقا؛ لنحن شر من الحمير، فبلغ ذالك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره، فحلف بالله ما قاله، فنزل: يَحْلِفُوْنَ بِاللهِ مَا قَالُوْا وَلَقَدْقَالُوْا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوْا بَعْدَ إظهار إِسْلَامِهِمْ فتاب الجلاس، وحسنت توبته وَهَمُّوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوْا أي: قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يصلوا إليه وذلك أنهم كانوا خمسة عشر توافقوا عند مرجعة من تبوك ليلة العقبة على أن يدفعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن راحلته إلى الوادي، إذا

1 – الجلاس بن سويد: هو الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان متهما بالنفاق، وقال الله عز وجل: فإن يتوبوا يك خيرا لهم. 9: 74 فتاب الجلاس، وحسنت توبته وراجع الحق، وكان قد آلى ألا يحسن إلى عمير، وكان من توبته أنه لم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير. قال ابن سيرين: لم ير بعد ذلك من الجلاس شيء يكره. ابن عبد البر: المرجع السابق. 264/1.

تَسَنَّمَ العقبة بالليل، فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن يمان[1] خلفها يسوقها إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح، فقال: إليكم إليكم بأعداء الله، فهربوا وَمَا نَقَمُوْا ما أنكروا وما عابوا شيئا، أو ما أوجدوا شيئا يورث النقمة إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ فهو مستثنى مفرغ؛ عن أعم المفاعيل، وذلك بأن أكثر أهل المدينة كانوا محتاجين، لا يركبون الخيل؛ كانوا في معيشة ضنك، فلما قدم النبي عليه السلام حازوا الغنائم، وقتل مولى الجلاس، فأمر بدية اثني عشر ألفا، فاستغنى وَرَسُوْلُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَّتُوْبُوْا من النفاق يَكُ الضمير للتوب خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَّتَوَلَّوْا بالإصرار على النفاق يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيْمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْوَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍO روي أن ثعلبة بن حاطب[2] قال: ادع الله يا نبي الله أن يرزقني مالا، فقال النبي عليه السلام: ((قَلِيْلٌ تُؤَدِّيْ شُكْرَهُ خَيْرٌ مِّنْ كَثِيْرٍ لَا تُطِيْقُهُ، فَرَاجَعَهُ، فَقَالَ: وَالَّذِيْ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ رَزَقَنِيْ مَالاً لَأُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ، فَدَعَا لَهُ، فَاتَّخَذَ غَنَماً، فَنَمَتْ كَمَا تَنْمِي الدُّوْدُ، حَتَّى ضَاقَتْ بِهَا الْمَدِيْنَةُ، فَنَزَلَ ثَعْلَبَةُ وَادِياً، فَبَعَثَ مُصَدِّقِيْنَ لِأَخْذِ الصَّدَقَاتِ، فَسَأَلَاهُ الصَّدَقَةَ، وَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ؛ الَّذِيْ فِيْهِ الْفَرَائِضَ،[ص296]فَقَالَ: مَا هَذِهِ إِلَّا جِزْيَةٌ؛ أَوْ أُخْتُ جِزْيَةٍ، فَارْجِعُوْا حَتَّى أَرَى رَأْيِيْ))[3]، فنزلت: وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا

---

1 – حذيفة رضي الله عنه: هو حذيفة بن اليمان بن حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مازن، وقيل حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن، وقيل: حذيفة بن حسيل، واليمان لقب حسيل، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أحدا وما بعدها، وقتل أبوه يومئذ، قتله بعض المسلمين وهو يظنه مشركا، وأمه الرباب من بني عبد الاشهل، وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم. العقيلي: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ، كمال الدين، (ت: 660هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب: (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بدون سنة النشر). 2147/5.

2 – ثعلبة بن حاطب: هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف، آخى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بين ثعلبة بن حاطب هذا وبين معتب بن عوف بن الحمراء. شهد بدرًا وأحدا، وهو مانع الصدقة. توفي في خلافة عمر رضي الله عنه، وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنه. ابن عبد البر: المرجع السابق. 210/1.

3 – (أ) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، الشامي، أبو القاسم، (ت: 360هـ). المعجم الكبير: (ط–2، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون سنة النشر). باب الصاد ، معان بن رفاعة السلامي عن علي بن يزيد ، رقم الحديث: 7873. 218/8. (ب) الشجري: يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الجرجاني (ت: 499 هـ). ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: ترتيب: القاضي، محيي الدين، القرشي، (ت: 610هـ). (ط–1، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ – 2001 م). باب: في التوبة وما يتصل بذلك ، رقم الحديث: 897. 261/1.

مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصَّالِحِيْنَO فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُمْ مُّعْرِضُوْنَO قيل: فجاء ثعلبة بالصدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثوا التراب على رأسه، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه، فلم يقبلها، فجاء بها إلى عمر رضي الله عنه، فلم يقبلها، ومات في زمان عثمان رضي الله عنهم فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِيْ قُلُوْبِهِمْ أي: فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاق القلب إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ يلقون الله بالموت بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَO أَلَمْ يَعْلَمُوْا أي: المنافقون أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ما يتناجون به بينهم وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِO عن العيان. ولما حث عليه السلام لأصحابه في الصدقات، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، قال: أقرضت ربي أربعة، وأمسكت لعيالي أربعة، قال عليه السلام: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت. وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر، فقال المنافقون: فعلا رياء الناس، وأبو عقيل الأنصاري جاء بصاع من تمر؛ وترك صاعا لأهله، فقالوا: إن الله غني عن هذه الصدقة، أي: لقلتها، فنزل: الَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ أي: يعيبون الْمُطَّوِّعِيْنَ المتبرعين مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي إعطاء الصَّدَقَاتِ وَالَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ إِلَّا جُهْدَهُمْ أي: طاقتهم فَيَسْخَرُوْنَ مِنْهُمْ أي: يستهزؤنهم سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ جزى الله سخريتهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO سأل عبد الله بن أبي وكان مخلصا في مرض موت أبيه الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل، فنزلت: اسْتَغْفِرْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ [ص297] سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ قال عليه السلام: ((لَوْ أَعْلَمُ أَنِّيْ لو زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَزِدْتُ عَلَيْهَا)) هكذا في صحيح البخاري[1]، وفي رواية: فقال: ((لَأَزِيْدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ))[2]، فنزلت: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ اَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[3] ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

---

1 – ذكر المؤلف بالألفاظ المتقاربة، ولفظه للبخاري: ((لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا)). البخاري: المرجع السابق. (أ) كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين، والاستغفار للمشركين، رقم الحديث: 1366، 97/2. (ب) كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، رقم الحديث: 4671. 68/6.

2 – ذكر المؤلف بالألفاظ المترادفة، ولفظه للبخاري: ((وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ)). البخاري: المرجع السابق. كتاب تفسير القرآن، باب قوله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، رقم الحديث: 4670. 67/6.

3 – جزء من الآية، وتمامها:﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ سورة المنافقون، الآية: 6.

الْفَاسِقِيْنَO٤ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بالإذن أو الكسل من غزوة تبوك بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُوْلِ اللهِ وَكَرِهُوْا أَنْ يُّجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَقَالُوْا أي: بعضهم لبعض أو بعضهم لبعض المؤمنين تنشيطا لَا تَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ لا تخرجوا إلى الجهاد فيه قُلْ يا محمد! صلى الله عليك وسلم نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا من حر تبوك، وقد اخترتم لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَO ما ثمرة هذا التخلف؟ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا في الدنيا وَلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا في الآخرة جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO فَإِنْ رَّجَعَكَ اللهُ ردّك من تبوك إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ من المنافقين في المدينة فَاسْتَأْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك فَقُلْ لهم لَنْ تَخْرُجُوْا مَعِيَ أَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ أَوَّلَ مَرَّةٍ هي الخرجة إلى غزوة تبوك فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخَالِفِيْنَO من النسوان والصبيان وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ لدفن أو زيارة إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَمَاتُوْا وَهُمْ فَاسِقُوْنَO كافرون. عبد الله بن عبد الله بن أبي[1] دعا الرسول صلى الله عليه وسلم في مرض موت أبيه يستغفر [ص298] له ويكفنه في قميصه، فأرسل قميصه، وذهب ليدعو له، فنهى عن الصلاة دون القميص لمظنة الضنة وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ أَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أي: تخرج أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُوْنَO وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ طائفة من القرآن أَنْ آمِنُوْا أي: بأن آمنوا بِاللهِ وَجَاهِدُوْا مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ ذووا الغنى مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقَاعِدِيْنَO رَضُوْا بِأَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ جمع خالفة، أي: النسوان وَطُبِعَ ختم عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَO ما في الجهاد لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ جَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ في الدنيا والآخرة وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO٤ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُوْنَ أصله: المعتذرون، هم بني غطفان وبني أسد مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ لعذرهم، فأذن لهم وَقَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ في ادعائهم الإيمان سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ من الأعراب عَذَابٌ أَلِيْمٌO بالقتل والنار لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ كالهرمى والزمنى وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ مَا يُنْفِقُوْنَ في الجهاد لفقرهم كجهينة، ومزينة، وبني عذرة حَرَجٌ إثم في التخلف إِذَا نَصَحُوْا للهِ وَرَسُوْلِهِ بالإيمان سرا وعلانية مَا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ الناصحين مِنْ سَبِيْلٍ للعتاب، والجناح عليهم وَاللهُ غَفُوْرٌ لتخلفهم رَحِيْمٌO بهم وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ لتعطيهم الحمولة والمستحملون. أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

---

1 – عبد الله بن عبد الله بن أبي: هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري الخزرجي، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، شهد بدرا وما بعدها، وكان أبوه رأس المنافقين، وكان أشد الناس على أبيه، ولو أذن له رسول الله فيه لضرب عنقه، وكان اسمه الحباب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وقد استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه. ابن كثير: البداية والنهاية: المرجع السابق. 338/6.

وأصحابه قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ [ص299] تَوَلَّوْا جواب إذا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيْضُ تسيل مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا مفعول له، لأجل أَلَّا يَجِدُوْا مَا يُنْفِقُوْنَO قيل: هم البكاؤن سبعة من الأنصار، قالوا: نذرنا الخروج، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، نغزوا معك إِنَّمَا السَّبِيْلُ بالمعاتبة عَلَى الَّذِيْنَ يَسْتَأْذِنُوْنَكَ في التخلف وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوْا بِأَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الخَوَالِفِ مع النساء وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO

يَعْتَذِرُوْن إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ من هذا السفر إِلَيْهِمْ قُلْ لَّا تَعْتَذِرُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلُهُ أتؤمنون، أم تثبتون على كفركم؟ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بالبعث فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم بحسب أعمالكم سَيَحْلِفُوْنَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ رجعتم إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ ولا تعاتبوهم فَأَعْرِضُوْا عَنْهُمْ فاتركوا المتابعة عليهم، ولا تؤبخوهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ قذر، خبثة البواطن، فلا يتطهرون بالمتابعة وَّمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَO ولا ينفع لهم رضاكم مع سخط الله الْأَعْرَابُ أهل البدو أَشَدُّ كُفْرًا وَّنِفَاقًا من أهل المدن؛ لعدم مخالطتهم بأهل العلم وَّأَجْدَرُ وأليق أَلَّا يَعلَمُوْا أي: بأن لا يعلموا حُدُوْدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ من الأحكام والشرائع وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌO وَمِنَ الْأَعْرَابِ هم: بنو أسد وبنو غطفان مَنْ يَّتَّخِذُ بعد مَا يُنْفِقُ في سبيل الله مَغْرَمًا خسرانا، إذ لا يرجو عليه الثواب، إنما ينفق رياءا وتقية [ص300] وَّيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ جمع دائرة، والدائرة مصدر، أو اسم فاعل، أي: دوائر الزمان وانقلاب الأمر، فيتخلص بزوال غلبتكم عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ والسوء بالفتح مصدر، أضيف للمبالغة، كرجل صدق، لا عليكم أيها المؤمنون! وَاللهُ سَمِيْعٌ لأقوالهم عَلِيْمٌO بنيّاتهم وَمِنَ الْأَعْرَابِ كجهينة ومزينة مَنْ يُّؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ أسبابا للقربة عِنْدَ اللهِ مفعول ثان ليتخذ وَصَلَوَاتِ الرَّسُوْلِ استغفاره، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى))[1] أَلَا إِنَّهَا أي: نفقاتهم قُرْبَةٌ لَّهُمْ عنده

---

1 – (أ) البخاري: المرجع السابق. كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، رقم الحديث: 1497، 129/2. وكتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم الحديث: 4166، 124/5. وكتاب الدعوات، باب قول الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه، رقم الحديث: 6332، 73/8. وكتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 6359. 77/8. (ب)

سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِيْ رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ يستر عيب الْمُجِلّ رَحِيْمٌO ٤ يقبل جهد الْمُقِلّ وَالسَّابِقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وهم الذين كانوا يصلون إلى القبلتين، أو البدريون، أو من أسلم قبل الهجرة وَالْأَنْصَارِ أهل بيعة العقبة الأولى؛ وكانوا سبعة، وأهل العقبة الثانية؛ وكانوا سبعين وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بما عملوا وَرَضُوْا عَنْهُ بما أنعم عليهم وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ أي: حول بلدكم المدينة مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُوْنَ كأسلم وأشجع وغفار، كانوا نازلين حول المدينة، وقيل: جهينة ومزينة وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِيْنَةِ منافقون مَرَدُوْا تمهروا، واستمروا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ أنت يا محمد! عليك الصلاة والسلام بأعمالهم نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ القتل، وعذاب القبر ثُمَّ يُرَدُّوْنَ في الآخرة إِلَى عَذَابٍ عَظِيْمٍO عذاب النار وَآخَرُوْنَ من المتخلفين اعْتَرَفُوْا بِذُنُوْبِهِمْ خَلَطُوْا عَمَلًا صَالِحًا إظهار الندم [ص301] وَآخَرَ سَيِّئًا التخلف عَسَى اللهُ أَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO هم أبو لبابة وغيره، أوثقوا كانوا سبعا أنفسهم على سواري المسجد، فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأل عنهم، ذكر له: إنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتّى تحلهم، فقال: وأنا أقسم أن لا أحلهم حتّى أومر فيهم، فنزلت هذه الآية، فأطلقهم، فقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، فتصدق بها، وطهرنا عن الذنوب، فقال: ما أمرت أن آخذ، فنزلت: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا من ذنوبهم وَصَلِّ عَلَيْهِمْ استغفر لهم، وادع لهم إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ رحمة أو طمانية لقلوبهم، بأن الله قد تاب عليهم وَاللهُ سَمِيْعٌ لأقوالهم عَلِيْمٌO بنيّاتهم، فأخذ بثلث أموالهم، وتصدق بها أَلَمْ يَعْلَمُوْا فيه تهييج إلى التوبة والصدقة أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ أي: يقبلها، وإن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقصدوه بها وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُO لهم وَقُلِ للناس اعْمَلُوْا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرُسُوْلُهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَسَتُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO وَآخَرُوْنَ من المتخلفين، هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية[1]، ومرارة بن الربيع[1]. أمر

مسلم: المرجع السابق. كتاب الكسوف، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، 1078، 756/2. (ج) أبو داود: المرجع السابق. كتاب الزكاة، باب دعاء المصدق لأهل الصدقة، 1590، 106/2.

1 – هلال بن أمية: هو هلال بن أمية الأنصاري، الواقفي. شهد بدرا، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزل فيهم القرآن– قوله عز وجل: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا ... الآية. والثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك– أحد بني سلمة، ومرارة بن الربيع– وهو أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية– وهو من بني واقف. ابن عبد البر: المرجع السابق. 1542/4.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلّموا عليهم، ولا يكلّموهم، فلما رأوا ذلك خلصوا نياتهم، وفوّضوا أمرهم في التعذيب والتثويب إلى الله، فرحمهم مُرْجَوْنَ أي: مؤخرون، موقوفون لِأَمْرِ اللهِ فيهم إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ إن أصروا على النفاق وَإِمَّا يَتُوْبُ عَلَيْهِمْ إن تابوا وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌO وَالَّذِيْنَ هم بنو غنم بن عوف، وهم اثنا عشر من المنافقين [ص302] اتَّخَذُوْا مَسْجِدًا رغما لإخوانهم ضِرَارًا مضارة لأهل قبا وَكُفْرًا إذ بنوه بأمر أبي عامر الراهب[2]؛ الذي خرج إلى الشام، يقوم في ذلك المسجد، من يأتي عنده لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وَتَفْرِيْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ المجتمعين للصلاة في مسجد قبا وَإِرْصَادًا ترقبا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ مِنْ قَبْلُ أي: يوم أحد، وهو أبو عامر الراهب؛ الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فانهزم هاربا إلى الشام؛ ليأتي بجنود من قيصر الروم لقتاله صلى الله عليه وسلم، وأرسل إلى المنافقين الذين كانوا في المدينة أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وهم بنوا المسجد الضرار للتفريق والإرصاد وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الخصلة الْحُسْنَى توسعة للمصلين وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَO لَا تَقُمْ فِيْهِ أَبَدًا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم لوحشي[3] قاتل حمزة[4] ومعز بن عدي وغيرهما انطلقوا، فاهدموه، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة وقمامة، ومات أبو عامر بالشام لَمَسْجِدٌ أي:

---

1 – مرارة بن الربيع: مرارة بزيادة هاء، هو مرارة بن ربعي بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. شهد بدرا، وهو أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فنزل القرآن في شأنهم: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا}. ابن الأثير: المرجع السابق. 129/5.

2 – أبي عامر الراهب: أبو عامر الراهب: توجه إلى هرقل إلى انطاكية فمات في السنة العاشرة من الهجرة– مات أبو عامر الراهب بأرض الروم عند هرقل. العقيلي: المرجع السابق. 4498/10.

3 – وحشي: هو وحشي بن حرب الحبشي. يكنى أبا دسمة، وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكان يومئذ وحشي كافرا، استخفى له خلف حجر ثم رماه بحربة كانت معه، وكان يرمي بها رمي الحبشة فلا يكاد يخطئ. واستشهد حمزة حينئذ، ثم أسلم وحشي بعد أخذ الطائف، وشهد اليمامة، ورمى مسيلمة بحربته التي قتل بها حمزة، وزعم أنه أصابه وقتله، وكان يقول: قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس. ابن عبد البر: المرجع السابق. 1564/4.

4 – حمزة: هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان يقال له أسد الله، وأسد رسوله، يكنى أبا عمارة وأبا يعلى أيضا بابنيه عمارة ويعلى. أسلم في السنة الثانية من المبعث، وقيل: بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم في السنة السادسة من مبعثه صلى الله عليه وسلم، كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع سنين، ابن عبد البر: المرجع السابق. 369/1.

مسجد قبا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى أسسه بنو عمرو بن عوف مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ من أيام وجوده أَحَقُّ أَنْ تَقُوْمَ فِيْهِ للصلاة فِيْهِ رِجَالٌ يُحِبُّوْنَ أَنْ يَّتَطَهَّرُوْا عند الغائط بالأحجار؛ ثم بالماء وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَO راض عن عملهم أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ أي: بنيان دينه عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ أي: أسس على جانب أرض تحفر، أصلها الماء بالسيول أشرفت على السقوط والانهدام تصوير لقلة ثبات بنيانهم، كما أن الأول في الغاية المتانة والزرانة. {هار: فعل قصر من فاعل، كخلف من خالف، من الهور والهائر، الهابط، أي: المشرف على السقوط، [ص303] والهاري قلب الهائر}[1] فَانْهَارَ بِهِ أي: فطاح مع بانيه فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُم مصدر بمعنى المفعول، أي: المبنَى: وهو المسجد الضرار الَّذِيْ بَنَوْا رِيْبَةً شكا ونفاقا فِيْ قُلُوْبِهِمْ في كل حال إِلَّا وقت أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوْبُهُمْ أي: أن تموتوا، وتفرق أجزاء القلوب، فيزول الريبة بزوال محله، أو المراد بتقطيع القلوب إزالة ما فيها من الريبة بالأسف والندم، أي: إلا أن يتوبوا وَاللهُ عَلِيْمٌ بما نووا في البناء حَكِيْمٌOع في هدمه، وجعله مكنسة ومقممة إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يتبذلونهما في الجهاد بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ بمقابلة أنهم في الجنة يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ الأعداء؛ فكانوا غزاة وَيُقْتَلُوْنَ من سيوف الأعداء؛ فكانوا شهداء، وعدهم وَعْدًا عَلَيْهِ أي: على البيع حَقًّا ثابتا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ ففرحوا غاية الفرح ببذل الفاني وأخذ الباقي وَذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO التَّائِبُوْنَ من الشرك والنفاق، رفع على المدح الْعَابِدُوْنَ بالإخلاص الْحَامِدُوْنَ على كل حال السَّائِحُوْنَ للجهاد أو تحصيل العلم، وقيل: الصائمون، لقوله عليه السلام: ((سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ))[2] الرَّاكِعُوْنَ السَّاجِدُوْنَ في الصلاة الْآمِرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ الإيمان والطاعة وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الشرك والمعاصي وَالْحَافِظُوْنَ لِحُدُوْدِ اللهِ عن التعدي في الأوامر والنواهي وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَO المتصفين بهذه الصفات بالجنة مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْ يَّسْتَغْفِرُوْا لِلْمُشْرِكِيْنَ نزلت في أبي طالب، إذا هم النبي أن يستغفر لأجله، وبعض الصحابة هموا الاستغفار أبويه المشركين وَلَوْ كَانُوْا [ص304] أُولِيْ قُرْبَى ذوي قرابة مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِO لموتهم على الكفر، وفيه دليل على جواز الاستغفار لأحياءهم، فإنه طلب توفيق لإيمانهم، كما فعل إبراهيم لأبيه الكافر وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيْمَ لِأَبِيْهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

2 – البيضاوي: المصدر السابق. 99/3.

وَّعَدَهَا إِيَّاهُ بقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[1] أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان، فإنه يجب ما قبله فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ بالوحي أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ لأنه يموت على الكفر تَبَرَّأَ مِنْهُ قطع الاستغفار عنه إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لَأَوَّاهٌ كثير التأوه والتضرع والدعاء لفرط رحمته، ورقته على أبيه الكافر حَلِيْمٌO صبور على تحمل الإذى وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا أي: ليسميه ضالا، ويعامل معهم معاملتهم بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ للإسلام حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَّا يَتَّقُوْنَ عنه من المحظورات فبعد بيانها أن أقدموا عليها ينسبون على الضلال، فبعد المنع عن الاستغفار للمشركين لا ينبغي الارتكاب، وأما قبله لمعفو عنهم إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO فيعلم الضال عن المهتدى إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ يتولى أموركم وَلَا نَصِيْرٍO يحفظكم من عذابه لَقَدْ تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ من أذن المنافقين في التخلف وَالْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصارِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ فِيْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ في زمانها، وهي حالهم في غزوة تبوك، يعتقب العشرة على بعير واحد، والرجلان يقتسمان تمرة؛ وربما مصها الجماعة ليشربوا الماء، وعصروا كرش البعير لفقد الماء للشرب، فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وإنه ما من مؤمن من النبي والمهاجرين والأنصار إلا وله مقام أعلى ما فيه، فالترقي إليه توبة من تلك النقيصة مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيْغُ يميل عن الثبات [ص305] على الإيمان قُلُوْبُ فَرِيْقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ بالثبات، تكرير للتأكيد إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌO بتوفيق التوبة والاستغفار وَتاب عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا عن الغزو، هم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ لإعراض الناس عنهم بالكلية بِمَا رَحُبَتْ برحبها وسعتها، فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ بالوحشة، وأنعم بتأخير قبول توبتهم، فلا أنس ولا سرور بهم وَظَنُّوْا علموا أَنْ مخففة لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ من سخطه إلا إلى استغفاره ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق للتوبة بعد خمسين يوما لِيَتُوْبُوْا {ليكونوا في جملة التوابين}[2] إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ يقبل التوبة عن عباده الرَّحِيْمُOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوْا اللهَ عن مخالفة النبي عليه السلام وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَO في العهود والأيمان مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ من أهل القرى مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَّتَخَلَّفُوْا عَنْ رَّسُوْلِ اللهِ إذا غزا وَلَا يَرْغَبُوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَّفْسِهِ لا يختاروا إبقاء أنفسهم في الشدائد على نفسه، بل يرغبوا بنفسه عن أنفسهم ذَالِكَ النهي عن التخلف

---

1 –جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة الممتحنة، الآية: 4.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيْبُهُمْ ظَمَأٌ عطش وَّلَا نَصَبٌ تعب وَّلَا مَخْمَصَةٌ مجاعة فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في الجهاد وَلَا يَطَئُوْنَ مكانا من أمكنة الكفار مَوْطِئًا. يَغِيْظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوْنَ لا يصيبون مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا كالقتل والأسر والنهب والكسر والجرح والهزيمة والإحراق والهدم وتخريب المزارع إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ فيجازوا به إِنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَO أي: ثوابهم وَلَا يُنْفِقُوْنَ نَفَقَةً صَغِيْرَةً ولو تمرة وَّلَا كَبِيْرَةً كنفقة عثمان رضي الله عنه [ص306] وَلَايَقْطَعُوْنَ وَادِيًا في الذهاب والمجيئ إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ذلك لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ بذلك أَحْسَنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أي: جزاء أحسن أعمالهم، أو أحسن جزاء أعمالهم، ولما وبّخوا على التخلف وأرسل عليه السلام سرية، نفروا جميعا، نزل: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا لنحو غزو كَافَّةً جميعا فَلَوْلَا فهلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ كثيرة مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ عصبة قليلة منهم، ومكث الباقون لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَOع عقاب الله بالامتثال، قال ابن عباس رضي الله عنه: هذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن التخلف؛ إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا قَاتِلُوا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ يقربون نسبا؛ أو أرضا منكم، الأقرب فالأقرب مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوْا فِيْكُمْ غِلْظَةً عليهم صبرا وشدة على القتال عنفا في المقال قبل القتال، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ﴾[1] وأنه عليه السلام حارب أولا قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام، ثم العراق، وعلى أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَقِيْنَOالربع بالعون والنصر وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ من القرآن فَمِنْهُمْ من المنافقين مَنْ يَّقُوْلُ استهزاءا، أي: بعضهم لبعض أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ السورة إِيْمَانًا تصديقا فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَّهُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَO بنزولها وَأَمَّا الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ نفاق فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا كفرا إِلَى رِجْسِهِمْ كفرهم؛ لإنكارهم السورة أيضا مثل السور السابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [ص307] فِيْ كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوْبُوْنَ عن النفاق وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُوْنَO لا يعتبرون وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قاصدين الهرب عن حضرته صلى الله عليه وسلم كي لا يسمعونها، أو نظر غامزا بالعين إنكارا أو سخرية، يقولون بعضهم لبعض: هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ من المسلمين، إن قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن لم يرهم أحد قاموا، وإن يرهم وقفوا ثُمَّ انْصَرَفُوْا بعد الفرصة عن حضرته عليه السلام صَرَفَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ {عن فهم القرآن}[2] بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُوْنَO لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ محمد صلى الله عليه وسلم مِنْ أَنْفُسِكُمْ عربي قرشي عَزِيْزٌ شديد عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ما شق عليكم حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ على إيمانكم بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَءُوْفٌ شديد الرحمة رَحِيْمٌO فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرض

---

1 – سورة الشعراء، الآية: 214.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

المنافقون عن الإيمان بك فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ كفاني لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِO[٤] من جميع الأجسام.

سورة يونس مكية، وهي مائة وإحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓرٰ الله أعلم بمراده منه تِلْكَ الآيات الواقعة في السورة آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيْمِO القرآن المحكم أَكَانَ الهمزة للإنكار لِلنَّاسِ لأهل مكة، حال عَجَبًا خبر كان أَنْ أَوْحَيْنَا اسم كان، أي: إيحاؤنا إِلَى رَجُلٍ وهو محمد عليه السلام مِنْهُمْ من القريش أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ هي مفسرة الإيحاء، أي: خوّف الكافرين وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنَّ أي: بأن لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ سبق [ص308] بالسعادة متحقق بصدق القول والنية، سمي السبق بالقدم، لأنه يحصل بها كما سميت النعمة يدا، لأنها تعطي بها قَالَ الْكَافِرُوْنَ إِنَّ هٰذَا النبي لَسَاحِرٌ مُّبِيْنٌO إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ من أيام الدنيا، أي: قدرها، لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلق في لمحة، ليعلم خلقه التثبت والتأني في الأمور ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ استواءا يليق بشانه تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ الخلائق مَا مِنْ شَفِيْعٍ من زائدة إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَالِكُمُ الخالق المستوي المدبر الأمر للشفاعة اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ وحدوه أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَO تتدبرون، لتستدلوا على أنه المستحق للربوبية والعبادة له إِلَيْهِ تعالى مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا وَعْدَ اللهِ مصدر مؤكد لنفسه، لأن قوله إليه مرجعكم وعد حَقًّا مصدر مؤكد لغيره، وهو مدلول وعد الله إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ بالبعث لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ بالعدل وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ أحر المياه وَعَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَO هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَّالْقَمَرَ نُوْرًا هما؛ كزيد عدل؛ للمبالغة، والياء منقلبة عن الواو، والضوء أقوي من النور وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ أي: قدر مسير كل واحد منازل، ومنازل القمر التي ينطئت بها أحكام الشرع، ثمانية وعشرون في كل شهر، يسير في ثمان وعشرين ليالي، وتستر في ليلتين لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَالْحِسَابَ في المعاملات، وأما الشمس: ففي كل منزل تقوم ثلاثة عشر يوما، فيكون انقضاء السنة مع انقضاءها مَا خَلَقَ اللهُ ذَالِكَ المذكور إِلَّا بِالْحَقِّ بالحكمة البالغة [ص309] يُفَصِّلُالْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO يتدبرون إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بالزيادة والنقصان، والذهاب والمجيئ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ من الملائكة، والأجرام النيرة وَالْأَرْضِ من الحيوان والنبات والجماد لَآيَاتٍ دالة على توحيده تعالى لِقَوْمٍ يَّتَّقُوْنَO الله، وهم المنتفعون بالتفكير فيها إِنَّ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لا يتوقعون لِقَاءَنَا بالبعث، أو لا يخافون سوء

اللقاء وَرَضُوْا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بإنكارهم البعث والقضاء، أو قنعوا بالفاني وَاطْمَأَنُّوْا بِهَا سكنوا فيها وَالَّذِيْنَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا الدالة على التوحيد غَافِلُوْنَO بترك النظر أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO من الشرك والمعاصي إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِيْ جَنَّاتِ النَّعِيْمِO دَعْوَاهُمْ دعاهم فِيْهَا سُبْحَانَكَ تنزيها لك اللّٰهُمَّ يا الله وَتَحِيَّتُهُمْ فِيْهَا فيما بينهم سَلَامٌ عليكم وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ وخاتمة دعاءهم أَنِ مخففة أي: أنه الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO[ع] أول كلامهم التسبيح؛ وآخره التحميد، وما بينهما مقاصدهم وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ لأهل مكة الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ أي: لأهلكوا ولكن يمهلهم، تقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخيرحين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير، فحذف ما حذف لدلالة الباقي عليه فَنَذَرُ فنترك الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا فِيْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَO يتحيرون وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الكافر الضُّرُّ الفقر والمرض دَعَانَا لِجَنْبِهِ مضطجعا [ص310] أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا أي: في كل حال لإزالته فَلَمَّا كَشَفْنَا أزلنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ على كفره كَأَنْ مخففة، واسمها محذوف، أي: كأنه لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَالِكَ أي: كما زينا لهم؛ الدعاء في الضر؛ والإعراض في السر زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ المشركين مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُوْنَ الأمم مِنْ قَبْلِكُمْ يا أهل مكة لَمَّا ظَلَمُوْا بالشرك وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الدالات على صدق دعاواهم وَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا بهم أن بقوا كَذَالِكَ كما أهلكنا هؤلاء نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَO ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ يا أهل مكة خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَO فيها، هل يعتبرون أم لا؟ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا أي: القرآن بَيِّنَاتٍ حال قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا بالبعث ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا لا يكون فيه ذم آلهتنا أَوْ بَدِّلْهُ بالحذف والإثبات قُلْ مَا يَكُوْنُ أي: ما ينبغي لِيْ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِيْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنِّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ بالتبديل عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO القيامة، وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان قُلْ لَّوْ شَاءَ اللهُ غير ذالك مَا تَلَوْتُهُ أي: هذا القرآن عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ أي: لا أعلمكم الله بقرآن على لساني فَقَدْ لَبِثْتُ فِيْكُمْ عُمُرًا أربعين سنة مِنْ قَبْلِهِ لا أحدثكم بشيء أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO إنه ليس من قبلي فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أن له شريكا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أي: أن القرآن ليس من عنده تعالى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُوْنَO المشركون وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ إن لم يعبد وَلَا يَنْفَعُهُمْ إن عبد وَيَقُوْلُوْنَ هٰؤُلَاءِ [ص311] أي: الأوثان شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُوْنَ اللهَ استفهام إنكاري، أي: أ تخبرونه بِمَا لَا يَعْلَمُ بشريك أو شفيع لا يعلمه فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُوْنَO وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَّاحِدَةً في عهد آدم، متفقين على الحق إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان حين لم يذر الله على الأرض من الكافرين ديارا

فَاخْتَلَفُوْا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ بتأخير العذاب والثواب إلى يوم الفصل لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ في الدنيا فِيْمَا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO وَيَقُوْلُوْنَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ من الآيات التي اقترحوها مِنْ رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ وهو العالم بالصارف عن إنزال ما اقترحوا فَانْتَظِرُوْا نزول ما اقترحتم إِنِّيْ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِيْنَO ما يفعل الله بكم، ما فعل بالجاحدين من العذاب وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ كفار مكة رَحْمَةً صحة وسعة مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ قحط ومرض مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِيْ آيَاتِنَا حيلة في دفعها على الفجاءة بالطعن والاستهزاء وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم قُلِ لهم اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا مجازاة قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم، والمكر: إخفاء الكيد، وهو من الله الاستدراج، أو الجزاء على المكر إِنَّ رُسُلَنَا أي: الحفظة يَكْتُبُوْنَ مَا تَمْكُرُوْنَO فما يخفى عليه خافية، فيجازيهم بما يفعلون هُوَ الَّذِيْ يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيْحٍ طَيِّبَةٍ لينة لا ضعيفة ولا عاصفة وَّفَرِحُوْا بِهَا جَاءَتْهَا رِيْحٌ عَاصِفٌ شديد الهبوب وَّجَاءَهُمُ الْمَوْجُ وهو ما علا من الماء مِنْ كُلِّ مَكَانٍ من البحر وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ أُحِيْطَ بِهِمْ أي: [ص312] أهلكوا دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِيْنَ من غير إشراك لَهُ الدِّيْنَ أي: الدعاء لَئِنْ لام قسم أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ الأهوال لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَO بنعمتك، مؤمنين بتوحيدك فَلَمَّا أَنْجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُوْنَ يفسدون فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أما تخريب المسلمين ديار الكفار وإحراق ذروعهم وقلع أشجارهم، فإنها إفساد بحق يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ظلمكم يرجع إليكم بالإثم، تتمتعون مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ بالبعث فَنُنَبِّئُكُمْ يوم القيامة بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حالها في سرعة الإقبال والإدبار؛ اغترار الناس بها كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فاشتبك بسبب الماء، وخالط بعض النبات ببعضه مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ من الحبوب والثمار والبقول وَالْأَنْعَامُ من الكلاء والحشيش حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا زينتها وبهجتها من أصناف النبات وَازَّيَّنَتْ بالأزهار، أصله: تزينت، أبدلت التاء زاءا، وأدغمت الزاء في الزاء، وأجلبت الهمزة وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْهَا على تحصيل ثمارها وغلتها أَتَاهَا أَمْرُنَا أتي زرعها قضاؤنا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا أي: زرعها حَصِيْدًا كالمحصود بالمناجيل كَأَنْ مخففة، {حذف اسمها}[1]، أي: كأنها لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ لم تنبت زرعها آنفا كَذَالِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO وَاللهُ يَدْعُوْا إِلَى دَارِ السَّلَامِ أي: الجنة وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ هدايته إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO أي: الإسلام لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا بالإيمان الْحُسْنَى المثوبة، وهي الجنة وَزِيَادَةٌ من فضله، وهي رؤية الرب تعالى باتفاق أكثرهم، وقيل: المحبة في قلوب العباد، وقيل: رضوانه تعالى، وقيل: الحسنَى، مثل حسناتهم؛ والزيادة أضعاف الأجر وَلَا يَرْهَقُ لا يغشى وُجُوْهَهُمْ قَتَرٌ غبرة؛ فيها سواد وَّلَا ذِلَّةٌ هوان أُولٰئِكَ [ص313] أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

خَالِدُوْنَO وَالَّذِيْنَ كَسَبُوا السّيِّآتِ فنون الشرك جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مقدرة بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ تغشيهم هوان مَا لَهُمْ مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ مانع، كلمة من زائدة كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ ألبست وُجُوْهُهُمْ قِطَعًا أجزاءا، جمع قطعة مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO وَاذكر يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ أي: الخلق جَمِيْعًا ثُمَّ نَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا مَكَانَكُمْ أي: ألزموه أَنْتُمْ تأكيد الفاعل وَشُرَكَاؤُكُمْ أي: الأصنام فَزَيَّلْنَا ففرّقنا وميّزنا بَيْنَهُمْ وبين المؤمنين، أو بين الأصنام وعبدتهم، وقطعنا الوصل الذي بينهم في الدنيا وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ أصنام الكافرين مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا مفعول تَعْبُدُوْنَO إنما كنتم تعبدون الشياطين، حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم فَكَفَى بِاللهِ شَهِيْدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ مخففة كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِيْنَOهُنَالِكَ ذلك اليوم تَبْلُوْا تمتحن وتذوق كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ قدمت من العمل وَرُدُّوْا بالبعث إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ الثابت الدائم وَضَلَّ عَنْهُمْ ضاع وغاب عنهم مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَOع النصف مما يليق بجنابه الأقدس قُلْ لهم مَنْ يَّرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ بالمطر وَالْأَرْضِ بالنبات أَمَّنْ يَّمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ يستطيع خلقهما وتسويتهما وحفظهما وَمَنْ يُّخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُّدَبِّرُ الْأَمْرَ بين الخلائق فَسَيَقُوْلُوْنَ هو اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُوْنَO الشرك بعد الاعتراف بالربوبية، فتؤمنون بوحدانيته فَذَالِكُم أي: من هذه قدرته، هو اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ الثابت ربوبيته [ص314] فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ إذ لا واسطة بينهما فَأَنَّى فكيف تُصْرَفُوْنَO عن الحق إلى الضلال بعد قيام الاستدلال كَذَالِكَ كما حق أن بعد الحق الضلال، أو حق أن الكفار مصروفون عن الحق حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ أي: حكمه عَلَى الَّذِيْنَ فَسَقُوْا كفروا، هي: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO أبدا قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَّبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُم يُعِيْدُهُ لا غيره فَأَنَّى فكيف تُؤْفَكُوْنَO تصرفون عن الواضح البين إلى الموهوم المعدوم؟ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَّهْدِيْ يرشد إِلَى الْحَقِّ بنصب الحجج وخلق الاهتداء قُلِ اللهُ يَهْدِيْ لِلْحَقِّ بإعطاء العقل أَفَمَنْ يَّهْدِيْ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُّتَّبَعَ أَمَّنْ لَّا يَهِدِّيْ أصله: يهتدي، قلبت التاء دالا، فأدغمت، وكسرت للالتقاء إِلَّا أَنْ يُّهْدَى منه تعالى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَO باتباع ما لا يجوز اتباعه، وصلة الهداية قد تكون لاما وقد تكون كلمة إلى، وقد يعدي بنفسه وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ أي: جميعهم إِلَّا ظَنًّا تقليدا بآباءهم وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ من العلم واعتقاد الحق شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُوْنَO فيجازيهم عليه وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُّفْتَرَى أن يختلق مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: من الخلق وَلٰكِنْ كان تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ مصدقا للكتب السماوية وَتَفْصِيْلَ الْكِتَابِ المفروض عليكم من الأحكام لَا رَيْبَ فِيْهِ تنزيل مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَO أَمْ بمعنى بل يَقُوْلُوْنَ افْتِرَاهُ أي: اختلقه محمد قُلْ لو كان كذلك فَاتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ في البلاغة على وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي وَادْعُوْا للإعانة في الافتراء مَنِ اسْتَطَعْتُمْ [ص315] مِّنْ دُوْنِ

اللهِ غيره تعالى إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوى الافتراء بَلْ كَذَّبُوْا بِمَا لَمْ يُحِيْطُوْا بِعِلْمِهِ بل سارعوا بتكذيب قرآن، لم يتدبروا بما فيه بأوّل السماع وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيْلُهُ أي: لم يبلغوا بمعانيه الكامنة فيه كَذَالِكَ مثل ذلك التكذيب كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ رسلهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَO فيعاقبون مثل ما عوقبوا وَمِنْهُمْ من كفار مكة مَنْ يُّؤْمِنُ آخرا بِهِ بالقرآن أو بالنبي صلى الله عليه وسلم وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهِ أبدا، أو من يؤمن في نفسه؛ ولا يظهر عنادا، ومن لا يؤمن أصلا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِيْنَOع بأشخاصهم وَإِنْ كَذَّبُوْكَ بعد نهوض الحجج فَقُلْ لِّيْ جزاء عَمَلِيْ وَلَكُمْ جزاء عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْئُوْنَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَO قيل: هذه منسوخة بالسيف وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُوْنَ إذا قرأت القرآن إِلَيْكَ استماع إنكار بالأحكام كالأصم الذي لا يسمع أصلا أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ تقدر على إسماعهم وَلَوْ كَانُوْا مع الصمم لَا يَعْقِلُوْنَO لا يتدبرون معانيه وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّنْظُرُ إِلَيْكَ بدلائل النبوة، ولكن لا يصدق أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ تقدر على هدايتهم وَلَوْ كَانُوْا لَا يُبْصِرُوْنَO وإن انضم على عدم البصر عدم البصيرة، وإن الأبصار لا تعمي القلوب التي في الصدور إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَّلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO فإنه تعالى أعطى الحواس والعقل، ولكن لا يستعملونها فيما ينتفعون به، فإن للعبد كسبا، وليس مسلوب الاختيار وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ مخففة، أي: كأنهم لَمْ يَلْبَثُوْا في الدنيا أو القبور إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا، [ص316] إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِلِقَاءِ اللهِ ببعثه وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَO إلى المعارف وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ أدغم نون أن الشرطية؛ في ميم ما الزائدة بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ من العذاب في حياتك؛ كما أريك يوم بدر فذاك أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فلا تريه في الدنيا فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فنريكه في الآخرة ثُمَّ اللهُ شَهِيْدٌ مطلع عَلَى مَا يَفْعَلُوْنَO فيجازيهم وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ماضية رَّسُوْلٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُوْلُهُمْ فكذبوه قُضِيَ بَيْنَهُمْ بَالْقِسْطِ هو إنجاء الرسل، وإهلاك المكذبين وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بتعذيب من غير جرم، فكذلك نفعل بهذه الأمة وَكفار مكة يَقُوْلُوْنَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ بالعذاب استبعادا وإنكارا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO أيها الرسل والمؤمنون قُلْ يا محمد! صلى الله عليك وسلملَا أَمْلِكُ لِنَفْسِيْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًا فكيف أملك لكم؟ إِلَّا مَاشَاءَ اللهُ إن أملكه لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مضروب للهلاك إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُوْنَ أي: لا يتأخرون سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَO لا يتقدمون عليه، معطوفة على الشرطية قُلْ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ تعالى بَيَاتًا ليلا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا أيّ شيء يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ من العذاب الْمُجْرِمُوْنَO وكله مكروه، لا يلائم الاستعجال أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ العذاب آمَنْتُمْ بِهِ أي: بالله تعالى، ولا ينفع حينئذ، قيل لكم بعد وقوع العذاب آٰلْئٰنَ آمنتم وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ بالعذاب تَسْتَعْجِلُوْنَO استهزاءا ثُمَّ قِيْلَ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا ذُوْقُوْا عَذَابَ الْخُلْدِ أي: المؤلم على

الدوام هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا جزاءا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ ○ من الكفر والمعاصي وَيَسْتَنْبِئُوْنَكَ يستخبرونك [ص317] أَحَقٌّ هُوَ أي: ما تقول من الوعيد والأحكام قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِيْ نعم وَقسم رَبِّيْ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ○ فائتين العذاب وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ كفرت أو تعدت على الغير مَا فِي الْأَرْضِ من الأموال لَافْتَدَتْ بِهِ لجعلته فدية من العذاب يوم القيامة وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ على ترك ما فات لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ لأنهم بهتوا مما عاينوا من فظاعة الأمر، فلا يقدرون على التكلم أو مخافة التعبير، فإن الرؤساء يكتمون الندامة عن الضعفاء؛ بما أضلوهم وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بين الخلائق بِالْقِسْطِ بالعدل وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ○ شيئا أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ بالبعث والجزاء حَقٌّ ثابت، لا خلف فيه وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ○ جوازه لقصور العقل هُوَ يُحْيِ وَيُمِيْتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ○ بالموت والنشور يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ تبين ما للإنسان وما عليه مِنْ رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُوْرِ من العقائد الفاسدة وَهُدًى من الضلال في الأعمال وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ○ بالنجاة به قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ أي: الإسلام وإنزال القرآن الفضل والرحمة فَلْيَفْرَحُوْا فقوله: بفضل الله متعلق بفعل؛ يفسره قوله: فبذلك فليفرحوا، وفي التكرير تأكيد، وبيان بعد الإجمال هُوَ الضمير إلى اسم الإشارة خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَ ○ من حطام الدنيا قُلْ أَرَءَيْتُمْ اخبروني مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ من السماء بالأسباب العادية فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَّحَلَالًا مثل قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[1] قُلْ آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ في التحليل [ص318] والتحريم أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُوْنَ ○ عليه؛ بنسبة ذلك إليه تعالى وَمَا ظَنُّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أيّ شيء ظنهم بالافتراء؟ أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ إِنَّ اللّٰهَ لَذُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث أنعم عليهم بالعقل، وإرسال الرسل، والإمهال وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُوْنَ ○ هذه النعمة وَمَا تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ بالهمزة، أي: أمر وَّمَا تَتْلُوْا مِنْهُ أي: من الله تعالى مِنْ قُرْآنٍ أنزل عليك وَلَا تَعْمَلُوْنَ أنت وأمتك مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوْدًا رقباءا إِذْ تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ تخوضون وتأخذون في العمل وَمَا يَعْزُبُ ما يغيب عَنْ رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ وزن نملة صغيرة؛ أو هباء في الهواء فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ أي: في الوجود وَلَا اَصْغَرَ مِنْ ذَالِكَ وَلَا اَكْبَرَ اِلَّا فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍ ○ أي: اللوح المحفوظ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ○ في الآخرة، معنى الولاية بين المنتسبين طاعتهم له وكرامة لهم الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ ○ الله بامتثال أوامره ونواهيه لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا من الرؤيا الصالحة والمكاشفات، وما جاء به الأخبار في حق المتقين، وبشرى الملائكة عند النزع وَفِي الْآخِرَةِ تلقي

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ سورة الأنعام، الآية: 140.

الملائكة مبشرين بالفوز والسعادة لَا تَبْدِيْلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ لأقواله، ولا خلاف لمواعيده ذَالِكَ التبشير في الدارين هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOوَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ أي: تكذيبهم إِنَّ الْعِزَّةَ أي: الغلبة للهِ جَمِيْعًا هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُOأَلَا إِنَّ للهِ عبيدا وملكا وخلقا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام [ص319] شُرَكَاءَ على الحقيقة، وإن كانوا تسموها شركاء، فالشركاء مفعول يتبع، وما نافية إِنْ يَّتَّبِعُوْنَ في ذلك إِلَّا الظَّنَّ بتقليد الآباء في أنها الشفعاء، وما يتبعون يقينا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُوْنَO يكذبون بنسبة الألوهية إليها بالجرز الباطل هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَO سماع تدبر واتعاظ قَالُوا أي: اليهود والنصارى اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ تنزيها له عن الولد هُوَ الْغَنِيُّ ويطلب الولد من يحتاج إليه لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ نافية عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ حجة بِهٰذَا الذي تقولونه أَتَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO والعقيدة لا بد لها من دليل، ولا دليل عليه فهو جهل قُلْ إِنَّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بنسبة الولد إليه، وإثبات الشريك لَا يُفْلِحُوْنَO لايفوزون إلى الجنة مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا يتمتعون مدة حياتهم فيها ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بالبعث والموت ثُمَّ نُذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيْدَ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَOع الثلاثة أي: بسبب كفرهم وَاتْلُ عَلَيْهِمْ على كفار مكة نَبَأَ نُوْحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ شق عَلَيْكُمْ مَّقَامِيْ إقامتي بينكم مدة طويلة بالدعوة وَتَذْكِيْرِيْ ووعظي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ وثقت به فَأَجْمِعُوْا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ الواو بمعنى مع ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ في قصدي عَلَيْكُمْ غُمَّةً مستورا، بل أظهروه ثُمَّ اقْضُوْا امضوا، وأدُّوا إِلَيَّ ما أردتموه في حقي وَلَا تُنْظِرُوْنِO لا تؤخروني في إظهار ما في ضميركم فيَّ، فإني لا أبالي لكم[ص320] فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أعرضتم عن تذكيري فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ يثقل عليكم إِنْ أي: ما أَجْرِيَ ثوابي إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَOفَكَذَّبُوْهُ بالإصرار فَنَجَّيْنَاهُ من الغرق وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ أي: السفينة، وكانوا ثمانين وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ من الهالكين وَأَغْرَقْنَا الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا بالطوفان فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنِO أي: الهلاك، فكذا حال تكذيبك ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ بعد نوح رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ كل رسول إلى قومه فَجَاءُوْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَّبُوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ أي: قبل بعثة الرسل إليهم كَذَالِكَ كما طبعنا على قلوب هؤلاء نَطْبَعُ نختم عَلَى قُلُوْبِ الْمُعْتَدِيْنَO عن الحد، فيها سيّان في عدم قبول الإيمان ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ أي: بعد هؤلاء الرسل مُوْسَى وَهَارُوْنَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا التسع فَاسْتَكْبَرُوْا عن الإيمان وَكَانُوْا قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَO فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا وعرفوا الحق قَالُوْا إِنْ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِيْنٌO قَالَ مُوْسى أَتَقُوْلُوْنَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ إنه سحر أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُوْنَO فكيف يسحر صاحب هذا القول؟ قَالُوْا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا لتصرفنا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا من عبادة الأصنام وَتَكُوْنَ

لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ الملك، وهي لازم الملوك فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِيْنَO مصدقين وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُوْنِيْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيْمٍO حاذق فيه فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُّوْسَى بعد قولهم: ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَّكُوْنَ نَحْنُ مِنَ الْمُلْقِيْنَ ﴾[1] أَلْقُوْا مَا أَنْتُمْ مُّلْقُوْنَO فَلَمَّا أَلْقَوْا حبالهم وعصيهم قَالَ مُوْسَى [ص321] مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ سيمحقه إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ لا يثبت عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَO فإنه تموية وَيُحِقُّ اللهُ يثبت الْحَقَّ الثابت بِكَلِمَاتِهِ بأوامره وقضاياه، أو بمواعيده وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُوْنَOع ذلك فَمَا آمَنَ لِمُوْسى في بدء أمره إِلَّا ذُرِّيَّةٌ طائفة مِّنْ شبّان قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ الضمير لفرعون تعظيما، أو لقومه أَنْ يَّفْتِنَهُمْ أن يصرفهم عن الإيمان بتعذيبه وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ إنه متكبر غالب فِي الْأَرْضِ أرض مصر وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِيْنَO حيث ادعى الربوبية، واسترق أسباط الأنبياء وَقَالَ مُوْسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِيْنَO مستسلمين لقضاء الله، فلزوم التوكل معلق بالإيمان؛ وحصوله بالإستسلام فَقَالُوْا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً أي: موضع فتنة لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO أو لا تغلبهم علينا، فيظنوا لغلبتهم أنهم على الحق، فيفتنوا بنا وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَOوَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى وَأَخِيْهِ أَنْ تَبَوَّآ اتخذا مباءة لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوْتًا للسكني أو للعبادة وَاجْعَلُوْا أنتما وقومكما بُيُوْتَكُمْ قِبْلَةً مصلى أو مساجد متوجهة إلى الكعبة وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وفرعون يمنعهم الصلاة وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَO بالنصرة في الدنيا، وبالجنة في العقبى وَقَالَ مُوْسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِيْنَةً وَّأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا آتيتهما لِيُضِلُّوْا في العاقبة عَنْ سَبِيْلِكَ دينك رَبَّنَا اطْمِسْ اهلك وامسخ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ واطبع عَلَى قُلُوْبِهِمْ حتّى لا تنشرح للإيمان فَلَا يُؤْمِنُوْا جواب [ص322] للدعاء حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيْمَO وأمّن هارون على دعائه قَالَ قَدْ أُجِيْبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيْمَا فاثبتا على الدعوة، وإلزام الحجة وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيْلَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَO في الاستعجال، قيل: إنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة وَجَاوَزْنَا بِبَنِيْ إِسْرَاءِيْلَ الْبَحْرَ جاوزنا هم في البحر حتّى بلغوا الشط بحفظنا فَأَتْبَعَهُمْ لحقهم وأدركهم فِرْعَوْنُ وَجُنُوْدُهُ بَغْيًا وَّعَدْوًا باغين وعادين حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ لحقه الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ أي: بأنه لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِيْ آمَنَتْ بِهِ بَنُوْا إِسْرَاءِيْلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَO كرر ليقبل منه، فلم يقبل، ودس جبرائيل عليه السلام في فيه من حماة البحر مخافة أن تناله الرحمة الْآنَ تؤمن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَO ضلالا وإضلالا فَالْيَوْمَ نُنَجِّيْكَ بِبَدَنِكَ نخرجك من قعر البحر، ونجعلك طافيا عاريا من الروح لِتَكُوْنَ لِمَنْ خَلْفَكَ بعدك آيَةً عبرة، ولا يبقي لأحد شك في موته، كما قيل: شك بعض من بني إسرائيل في موته وَإِنَّ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِين﴾ سورة الأعراف، الآية: 115.

كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ أهل مكة عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُوْنَO ٤ لا يعتبرون بها وَلَقَدْ بَوَّأْنَا أنزلنا بَنِيْ إِسْرَاءِيْلَ مُبَوَّأَ منزل صِدْقٍ كرامة، أي: منزلا صالحا مرضيا، وهو الشام ومصر وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوْا في أمر دينهم، أو في نبوة محمد عليه السلام بكفر بعضهم وإيمان بعضهم حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ أي: التوراة، أو أنه هو إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِيْ بإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَOفَإِنْ كُنْتَ فِيْ شَكٍ فرضا وتقديرا مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ من القصص فَسْئَلِ الَّذِيْنَ يَقْرَءُوْنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ فإنه محقق وثابت عندهم في كتبهم، كما أنزل إليك [ص323] لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَO الشاكين، قال عليه الصلاة والسلام: ((لَا أَشُكُّ وَلَا أَسْئَلُ))[1] وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُوْنَ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO إِنَّ الَّذِيْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ أي: سبقت حكم الله، بأنهم يموتون على الكفر، ويخلدون في العذاب لَا يُؤْمِنُوْنَO وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ فالسبب الأصلي للإيمان إرادة الله، وبدونها لا ينفع كل آية حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيْمَO فلا ينفع أهل مكة كما لم ينفع فرعون فَلَوْلَا أي: هلا كَانَتْ قَرْيَةٌ أي: أهلها المهلكون آمَنَتْ قبل حلول العذاب فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا أي: لكن قَوْمَ يُوْنُسَ لَمَّاآمَنُوْا عند رؤية إمارة العذاب، ولم يؤخروا التوبة إلى حلوله كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِيْنٍO إلى آجالهم، وذلك أن أهل الموصل كذبوا يونس، فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، فأغامت السماء غيما أسود، ذا دخان شديد، فهابوا وطلبوا يونس، فلم يجدوا، وأيقنوا صدقه، فلبسوا المسوح، وبرزوا الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، فحنّوا، وعلت الأصوات والعجيج، وأخلصوا التوبة، وأظهروا الإيمان، وتضرعوا إلى الله، فرحمهم، وكشف عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيْعًا مجتمعين على الإيمان، لا يشذ منهم أحد أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ بما لم يشاء الله منهم حَتَّى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَO وإن خلاف المشبهة مستحيل، لا يمكن تحصيله بالإكراه، أي: بإيمان وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ بإرادته وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ العذاب عَلَى الَّذِيْنَ لَا يَعْقِلُوْنَO لا يتدبرون للآيات قُلِ يا محمد! عليك الصلاة والسلام [ص324] انْظُرُوْا يا كفار مكة! مَا ذَا ما الذي فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من دلائل التوحيد وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ أي: الرسل عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَO في علم الله، أي: فلا ينفعهم فَهَلْ بمعنى ما يَنْتَظِرُوْنَ بالتكذيب إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِيْنَ خَلَوْا وقائعهم مِنْ قَبْلِهِمْ في الأمم السابقة من نزول بأس الله فيهم قُلْ فَانْتَظِرُوْا العذاب والهلاك إِنِّيْ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِيْنَO ثُمَّ نُنَجِّيْ رُسُلَنَا عطف على محذوف؛ دل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا، كأنه قيل: نهلك الأمم، وننجي الرسل وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا كَذَالِكَ كما أنجينا الرسل؛ والمؤمنين في السلف حَقًّا عَلَيْنَا

1 – المظهري: المرجع السابق. 54/5.

نُنْجِ الْمُؤْمِنِيْنَO ٤ أي: محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حين يهلك المشركين قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أي: أهل مكة إِنْ كُنْتُمْ فِيْ شَكٍّ مِّنْ حقيقة دِيْنِيْ من غير عرض على العقل السليم فَلَا أَعْبُدُ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِيْ يَتَوَفَّكُمْ يقبض أرواحكم، فهذا ديني، فأعرضوه عليه وَأُمِرْتُ أَنْ أي: بأن أَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO وَقيل لي: أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفًا مائلا عن الباطل إلى الحق وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO وَلَا تَدْعُ أي: لا تعبد مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ إن عبدته وَلَا يَضُرُّكَ إن لم تعبده فَإِنْ فَعَلْتَ فرضا فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِيْنَO وَإِنْ يَّمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ كفقر ومرض فَلَا كَاشِفَ لَهُ لا رافع له إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ كغنى وصحة فَلَا رَآدَّ لا دافع لِفَضْلِهِ يُصِيْبُ بِهِ بالخير مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ [ص325] وَهُوَ الْغَفُوْرُ فبادروا إلى التوبة لنيل الرحمة، ولا تيئسوا عن غفرانه بعد المعصية الرَّحِيْمُO لمن يطيع قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أهل مكة قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ الرسول أو القرآن، فما بقي العذر لكم مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ إذ هو المنتفع بإيمان نفسه وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ أُخْرَى﴾[1] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍO فأجبركم على الهدى وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ بالامتثال والتبليغ وَاصْبِرْ على إذائهم حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بالقتال وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَO ٤ وقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم حتّى أمر بالقتال مع المشركين، ويضرب الجزية على أهل الكتاب.

سورة هود مكية، مائة وثلاث وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓرٰ الله اعلم بمراده منه، هذا كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ بنظم عجيب، ومعان بديعة، ومنعت من النسخ، فإن آيات هذه السورة غير منسوخة ثُمَّ فُصِّلَتْ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ، وثم للتراخي في الحال مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍO هو الله أَنْ أي: لأن لَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللهَ إِنَّنِيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ بالعذاب على الشرك وَبَشِيْرٌO بالثواب على التوحيد وَأَنِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ من الشرك ثُمَّ تُوْبُوْا إِلَيْهِ بالطاعة، وقيل: دوموا على التوبة، وثم لتفاوت ما بين الأمرين يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا يعيشكم بطيب عيش إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أي: الموت وَيُؤْتِ في الآخرة كُلَّ ذِيْ فَضْلٍ في الدين والعمل فَضْلَهُ جزاء فضله وَإِنْ تَوَلَّوْا أصله: تتولوا، أي: تعرضوا فَإِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍO يوم القيامة إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ [ص326] بالبعث وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO العفو والأخذ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُوْنَ صُدُوْرَهُمْ يعطفونها

1 – سورة النجم، الآية: 38.

على الكفر، ويتحرفون عن الحق لِيَسْتَخْفُوْا مِنْهُ تعالى أَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ ثِيَابَهُمْ يتغطون في فرشهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO بما في القلوب، قيل: نزل في المنافقين، وفيه نظر، إذ الآية مكية، والنفاق حدث بالمدينة.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا يكفل فضلا؛ لا وجوب عليه، واختار صيغة الوجوب حملا على التوكل وتحقيقا للوصول، فكل نفس يأتيها رزقها حيث كانت وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا أماكنها في الحياة، أو الصلب وَمُسْتَوْدَعَهَا والممات، أو الرحم كُلٌّ من الدواب، وأحوالها مذكور فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍO أي: اللوح المحفوظ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ من الأحد إلى الجمعة؛ لتعليم الإناة وَكَانَ عَرْشُهُ قبل خلق السماء والأرض عَلَى المَاءِ بلا حائل، والماء على متن الريح، كذا قيل لِيَبْلُوَكُمْ متعلق خلق، أي: ليعاملكم معاملة مختبركم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا عمل القلب، والجوارح وَلَئِنْ قُلْتَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنَّكُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُوْلَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِنْ أي: ما هٰذَا البعث، أو القول به إِلَّا سِحْرٌ كالسحر في الخدعة، أو البطلان مُبِيْنٌO ظاهر؛ عدم تحققه وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الموعود إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُوْدَةٍ إلى جماعة من الأوقات قليلة لَيَقُوْلُنَّ استهزاءا مَا يَحْبِسُهُ ما يمنعه من الوقوع أَلَا يَوْمَ يَأْتِيْهِمْ لَيْسَ مَصْرُوْفًا مدفوعا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ أحاط بهم [ص327] مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَOع وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الكافر مِنَّا رَحْمَةً غنى وصحة ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ بإصابة الفقر والمرض إِنَّهُ لَيَئُوْسٌ قطوع رجائه من فضله تعالى أن يعيد ما أفناه كَفُوْرٌO لنعمة وَلَئِنْ أَذَقْنَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ صحة بعد سقم، أو غنى بعد فقر لَيَقُوْلَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ أي: المصائب التي ساءتني عَنِّيْ إِنَّهُ لَفَرِحٌ مغتر بها فَخُوْرٌO على الناس، مشغول عن الشكر إِلَّا لكن الَّذِيْنَ صَبَرُوْا على الضراء وَعَمِلُوا الصَّالِحَتِ في النعماء أُوْلٰئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ كَبِيْرٌO فَلَعَلَّكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ لا تبليغ المشركين ما يخالف رأيهم مخافة ردهم وَضَائِقٌ بِهِ عند التلاوة عليهم صَدْرُكَ مخافة أَنْ يَّقُوْلُوْا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ ينفق في الاستبتاع والاستمالة كالملوك أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يصدقه في دعواه إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيْرٌ ليس عليك إلا الإنذار وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌO فثق به في كل شيء أَمْ أي: بل يَقُوْلُوْنَ افْتَرَهُ أي: القرآن على الله قُلْ فَأْتُوْا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ في البلاغة مُفْتَرَيَتٍ من عند أنفسكم مع أنكم فصحاء مثلي وَادْعُوْا للمعاونة مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ غيره إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم أنه افتريه حدّاهم أولا بعشر سور، ثم لما عجزوا، سهل الأمر، وحدّاهم بسورة فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا أي: المعينون لَكُمْ فَاعْلَمُوْا يا مشركي مكة! أَنَّمَا أُنْزِلَ القرآن

متلبسا بِعِلْمِ اللهِ لا افتراءا فيه وَأَنْ لَّا إِلَهَ أَلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَO بعد هذه الحجة القاطعة، نزل في المرائين أو الكفرة أو المنافقين: [ص328] مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا بإحسانه وبره نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا أي: جزاءها في الدنيا من الصحة، والرياسة، وسعة الرزق، وكثرة الأولاد وَهُمْ فِيْهَا في الدنيا لَا يُبْخَسُوْنَO لا ينقصون شيئا من أجورهم أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ جزاء العمل إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ بطل مَا صَنَعُوْا فِيْهَا في الدنيا، أو في الآخرة، لأنهم لم يريدوا به وجه الله تعالى وَبَطِلٌ في نفسه مَا كَانُوْا يَعْمَلُونَO أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ برهان عقلي؛ يرشده إلى صلاح الدارين مِنْ رَّبِّهِ كمن كان يريد الحياة الدنيا وَيَتْلُوْهُ أي: يتبع البرهان العقلي شَاهِدٌ أي: القرآن يشهد بصحة ما عقل مِنْهُ من الله تعالى وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَبُ مُوْسَى إِمَامًا وَّرَحْمَةً ويعضد البرهان العقلي ما سلف من التوراة، حال كونها إماما ورحمة للمتفقهين أُولٰئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهِ بالقرآن وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهِ بالقرآن مِنَ الْأَحْزَابِ من أهل مكة جمعا جمعا فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِيْ مِرْيَةٍ شك مِّنْهُ من القرآن، أو من أن موعدهم النار إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَO وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا بإثبات ما لم ينزل له، أو نفي ما أنزل عنه أُولٰئِكَ يُعْرَضُوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ للجزاء وَيَقُوْلُ الْأَشْهَادُ من الملائكة، أو الجوارح هٰٓؤُلَاءِ الَّذِيْنِ كَذَبُوْا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ لبعدهم عن رحمته عَلَى الظّٰلِمِيْنَO الكافرين الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ الناس يمنعوهم عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا يصفونها بالإعوجاج وَهُمْ بِالْاَخِرَةِ هُمْ تأكيد كَفِرُوْنَO للبعث والحساب والجنة والنار [ص329] أُولٰئِكَ لَمْ يَكُوْنُوْا مُعْجِزِيْنَ الله فِي الْأَرْضِ أن يعاقبهم في الدنيا، لو أراد عقابهم، وإنما أخّر إلى الآخرة ليكون دائما وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ أنصار؛ يمنعونهم من عذابه يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ بالضلال، والإضلال مَا كَانُوْا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ سماع الحق وَمَا كَانُوْا يُبْصِرُوْنَO إبصار اعتبار أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ بعبادة الأصنام وَضَلَّ عَنْهُمْ غاب مَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَO دعوى الشركاء من الآلهة وشفاعتها، لا جرم. فيه أقوال: أحدها: أن كلمة لا رد لكلام سابق، أي: ليس الأمر كما زعموا، ومعنى جرم : كسب، وفاعله مضمر، أي: كسب قولهم حسراتهم في الآخرة، وثانيها: أن كلمة لا جرم؛ كلمتان، ركبتا، فصار معناهما: حق، وإن في موضع رفع، بأنه فاعل لحق، أي: حق خسرانهم، وثالثها: معناها لا محالة، وقال الفراء[1]: بمعنى لا بد، ولا محالة، فصار بمنزلة حقا، وفيه معنى القسم، ولذلك يجاب عنه باللام؛

1 – الفرّاء: بفتح الفاء وتشديد الراء المفتوحة، هذه النسبة إلى خياطة الفراء وبيعه، والمشهور بهذه النسبة: أبو القاسم نوح بن صالح الفراء، نيسابوري، توفى سنة تسع وعشرين ومائتين. أبو سعد: عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمي، (ت: 562هـ). الأنساب: (ط–1، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ / 1962م). 153/10.

لاجرم: لآتينك، أي: حقا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُوْنَO إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحٰتِ وَأَخْبَتُوْا خافوا وأنابوا واطمئنوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOمَثَلُ الْفَرِيْقَيْنِ الكافر والمؤمن كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ مثل الكافر وَالْبَصِيْرِ وَالسَّمِيْعِ مثل المؤمن هَلْ يَسْتَوِيَنِ مَثَلًا تمثيلا أو صفة أو حالا أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَOع يتعظون وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّيْ لَكُمْ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO بإرادة القول أَنْ لَّا تَعْبُدُوْا أي: بأن لا تعبدوا، متعلق بأرسلنا إِلَّا اللهَ إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بالشرك عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيْمٍO مؤلم فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ [ص330] من الأشراف مَا نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا لا فضل لك علينا وَمَا نَرَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِيْنَ هُمْ أَرَاذِلُنَا أسافلنا وأخساءنا، جمع أرذل، كالأساكفة، والحاكة لقلة الدنيا معهم بَادِيَ الرَّأْيِ ظاهر الرأي من غير تفكر أو أدلة وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ يستدعي تابعا ومتبوعا بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِيْنَO في دعوى النبوة والإجابة قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ برهان مِّنْ رَّبِّيْ وَآتَانِيْ رَحْمَةً نبوة مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ فأخفيت عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوْهَا أنكرهكم، ونجبركم على الاهتداء بها وقبولها وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُوْنَO لا تريدونها وَيَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ الرسالة مَالًا إِنْ أَجْرِيَ ما ثوابي إِلَّا عَلَى اللهِ سألوا: طردهم آنفة، فأجاب: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كما هو مبتغاكم إِنَّهُمْ مُّلَقُوْا رَبِّهِمْ وهو حاميهم، فكيف أطردهم؟ وَلٰكِنِّيْ أَرَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَO بعلو شانهم، حيث تنسبونهم إلى الرذالة، ويتوقعون مني الطرد في حقهم وَيَا قَوْمِ مَنْ يَّنْصُرُنِيْ من يمنعني مِن عذاب اللهِ إِنْ طَرَدْتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَO تتعظون وَلَا أَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِيْ خَزَائِنُ اللهِ فتكذبوني بفقدانها وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فتكذبوني لفقده وَلَا أَقُوْلُ إِنِّيْ مَلَك حتّى تقولوا: ما أنت إلا بشر مثلنا وَلَا أَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ تَزْدَرِيْ تحتقر أَعْيُنُكُمْ من الزري، يقال: ازدريته، أي: حقرته، أي: لا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم لَنْ يُّؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا فما آتاهم الله في العقبى خير مما آتكم في الدنيا اَللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيْ أَنْفُسِهِمْ من التوحيد والإخلاص إِنِّيْ إِذًا إن طردتهم [ص331] لَمِنَ الظَّالِمِيْنَO قَالُوْا يَا نُوْحُ قَدْ جَدَلْتَنَا خاصمتنا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا بأنواع الجدل فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في دعوك قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ عاجلا، أو آجلا وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَO الله في دفع العذاب، والهرب منه وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ جواب الشرط، دل عليه قوله: لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيْدُ أَنْ يُّغْوِيَكُمْ تقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فأردت أن أنصح لكم، لا ينفعكم نصحي هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO بالبعث، فيجازيكم حسب أعمالكم أَمْ بمعنى بل، أَيَقُوْلُوْنَ أي: كفار مكة افْتَرَهُ اختلق محمد القرآن قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِيْ عقوبته ووباله وَأَنَا بَرِيْءٌ مِّمَّا تُجْرِمُوْنَOع ومن إجرامكم نسبة الافتراء إلى، وطائفة من المفسرين ذهبوا إلى أن هذه الآية من كلام نوح عليه السلام وَأُوْحِيَ إِلَى نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُّؤْمِنَ

مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن، ولا تغتم بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَO من التكذيب والإيذاء، أقنطه الله من إيمانهم، فدعا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ ...﴾[1]، فأجابه وَقال اصْنَعِ الْفُلْكَ السفينة بِأَعْيُنِنَا بحفظنا وبمرأي منا، وفي جمع العين مبالغة وَوَحْيِنَا وأمرنا في كيفية الصنع، مثل جؤجؤ الطائر وَلَا تُخَاطِبْنِيْ باستدفاع العذاب فِي حق الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُوْنَO وَكان يَصْنَعُ الْفُلْكَ في برية أبعد من الماء وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَاءٌ جماعة مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوْا مِنْهُ استهزؤا به، قالوا: صرت نجارا بعد أن كنت نبيا قَالَ إِنْ تَسْخَرُوْا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُوْنَO فإنكم تغرقون في الدنيا، وتحرقون في [ص332] العقبى فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَّأْتِيْهِ عَذَابٌ أي: عذاب الغرق يُخْزِيْهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ الحرق مُقِيْمٌO دائم حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بإهلاكهم، غاية الصنع أو ابتدائية وَفَارَ التَّنُّوْرُ للخباز، أو لحوّاء من حجر، فصار إلى نوح، وقيل: التنور: وجه الأرض، نبع الماء فيه قُلْنَا لنوح عليه السلام احْمِلْ فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ذكرا وأنثى من أنواع الحيوانات، مفعول احمل، قيل: حشر إليه البهائم والطيور، فضرب بيديه فيها، ففي اليمنَى الذكر، وفي اليسرَى الأنثى، تبتذر، فيحملها في السفينة وَأَهْلَكَ امرأته وبنوه ونسائهم إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بالغرق، وهو ابنه كنعان، وأمه واغلة، فإنهما كافرين، فما حملهما وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيْلٌO تسعة وسبعون: زوجته المسلمة، وبنوه الثلاثة: سام وحام ويافث، ونساؤهم، واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم وَقَالَ ارْكَبُوْا فِيْهَا قائلين: بِسْمِ اللهِ مَجْرِهَا وقت إجرائها وَمُرْسَهَا وقت إرسائها إِنَّ رَبِّيْ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO للموحدين، فلا يهلكنا وَهِيَ تَجْرِيْ بِهِمْ فِيْ مَوْجٍ كَالْجِبَالِ في العظم والارتفاع وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ الصلبي أو الربيب كنعان، وقيل: يام وَكَانَ فِيْ مَعْزِلٍ مكان بعيد عن السفينة أو الدين يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَّعَنَا بعد الإسلام وَلَا تَكُنْ مَّعَ القوم الْكَافِرِيْنَO في دينهم وانعزالهم قَالَ سَاوِيْ ألجأ إِلَى جَبَلٍ يَّعْصِمُنِيْ يمنعني مِن إغراق الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ من عذابه إِلَّا مَنْ رَّحِمَ بمعنى الراحم، وهو الله، أو إلا مكان من رحمهم، وهو السفينة، أو الاستثناء منقطع، بمعنى لكن وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِيْنَO وَقِيْلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِيْ انشقي وتشربي مَاءَكِ الذي نبع منك وَيَسَمَاءُ أَقْلِعِيْ [ص333] {اسكني}[2] عن المطر وَغِيْضَ نقص الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ هلاك قوم نوح وَاسْتَوَتْ وقفت السفينة عَلَى الْجُوْدِيِّ جبل بالموصل أو الشام أو الآمل وَقِيْلَ بُعْدًا هلاكا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَOالربع الكافرين، وأطبقوا على أن هذه الآية في غاية الفصاحة وَنَادَى نُوْحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِيْ كنعان في ظني مِنْ أَهْلِيْ وقد وعدتني بنجاتهم وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ لا خلف فيه وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَO أعدلهم قَالَ يَانُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ بقطع

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ سورة نوح، الآية: 26.

2 – في ج: أمسكي.

الولاية بين الكافر والمسلم إِنَّهُ أي: سؤالك إياي بنجاته عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ أو الضمير لابن، ويحمل على المبالغة فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ من إنجاء ابنك إِنِّيْ أَعِظُكَ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَO بسؤال ما لم تعلم قَالَ رَبِّ إِنِّيْ أَعُوْذُبِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ بصحته وَإِنْ لَّا تَغْفِرْلِيْ وَتَرْحَمْنِيْ ما فرط من السؤال أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِيْنَO قِيْلَ يَانُوْحُ اهْبِطْ انزل من السفينة بِسَلَامٍ مِّنَّا بتحية أو سلامة من جهتنا وَبَرَكَاتٍ زيادات في الأولاد عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ ناشية بالتوليد مِمَّنْ مَّعَكَ من المؤمنين وَأُمَمٌ مبتداء سَنُمَتِّعُهُمْ خبر، أي: أمم تتولدون ممن معك، وهم كافرون، سنمتعهم في الدنيا بالأموال والأولاد ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة تِلْكَ أي: قصة نوح عليه السلام مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهَا إِلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا قبل إيحاءنا إليك فَاصْبِرْ على إيذاء القوم، كما صبر نوح عليه السلام إِنَّ الْعَاقِبَةَ المحمودة لِلْمُتَّقِيْنَOع الله وَإِلَى عَادٍ أي: أرسلنا، عطف على قوله: ﴿نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، أَخَاهُمْ من القبيلة هُوْدًا عطف بيان [ص334] قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وحدوه مَا لَكُمْ مِّنْ زائدة إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُوْنَO على الله باتخاذ الأوثان شركاء يَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ التوحيد أَجْرًا جزاءا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِيْ فَطَرَنِيْ خلقني أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO تميزون المحق عن المبطل وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ عن الشرك ثُمَّ تُوْبُوْا إِلَيْهِ بالطاعة يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا كثير الدر، وقد منعوا من المطر وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ بالمال والأولاد وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِيْنَO مشركين، مصرين على الجرم قَالُوْا يَهُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ بحجة مع أنه أتى بمعجزات، لفرط العناد، وجعلوها كلا حجة وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيْ عبادة آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ أي: لقولك أو صادرين عنه وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَO فيه إقناط له من الإجابة إِنْ ما نَّقُوْلُ في شأنك شيئا إِلَّا اعْتَرَاكَ أصابك بَعْضُ اٰلِهَتِنَا بِسُوْءٍ بجنون وهزيان، فتتكلم بالمزخرفات، أي: أصابك جنون بسبب سبك آلهتنا، من عراه يعروه، أصابه يصيبه قَالَ إِنِّيْ أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوْا أَنِّيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَO به تعالى مِنْ دُوْنِهِ فَكِيْدُوْنِيْ جَمِيْعًا أنتم وأصنامكم ثُمَّ لَا تُنْظِرُوْنِO لا تمهلوني، وإني لا أبالي بكيدكم إِنِّيْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ تعالى آخِذٌ مالك لها بِنَاصِيَتِهَا قادر عليها، يصرفها كيف يشاء إِنَّ رَبِّيْ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO على العدالة، فلا يضيع مظلوما ولا يفوته ظالم فَإِنْ تَوَلَّوْا أصله: تتولوا، أي: تعرضوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيكُمْ أي: فقد أديت ما عليّ من الإبلاغ، يهلككم [ص335] وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّيْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْنَهُ بتوليكم شَيْئًا من الضرر إِنَّ رَبِّيْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌO رقيب وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا نَجَّيْنَا هُوْدًا وَّالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ وكانوا أربعة آلاف بِرَحْمَةٍ بهداية مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ {تكرار الإنجاء للتأكيد}[1] مِنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍO شديد، وهو

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

السموم تدخل أنوف الكفرة، وتخرج من أدبارهم، فيقطع أعضاءهم وَتِلْكَ عَادٌ إشارة إلى قبورهم وآثارهم، أي: فسيحوا في الأرض، وانظروا آثارهم جَحَدُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ معجزاته وَعَصَوْا رُسُلَهُ جمع، لأن من عصى رسولا فكأنما عصى جميع الرسل؛ لاشتراكهم في التوحيد وَاتَّبَعُوْا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍO أي: السفلة، اتبعوا دعاء كبرائهم إلى الكفر، وأطاعوهم، وما سمعوا بدعاء رسولهم وَأُتْبِعُوْا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَّيَوْمَ الْقِيَمَةِ أي: أحاطتهم اللعنة في الدارين أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوْا رَبَّهُمْ جحدوه أَلَا بُعْدًا من رحمة الله، أي: الهلاك لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍOۗ به تميزوا عن عاد الثانية: عاد إرم وَأرسلنا إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ من القبيلة صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وحدوه مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ لا غير ابتداءا، خلقتكم بخلق آدم أبيكم، ومواد النطف المودعة في صلبه من الطين وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا من العمر أو العمارة، أي: استبقاكم من بنيه به إلى ألف، أو أقدركم على عمارتها، فإن ملوك فارس أكثروا حفر الأنهار وغرس الأشجار، سأل نبي: ما سبب طول أعمارهم؛ مع ما فيهم من الظلم؟ فأوحى الله إليه: إنهم عمَّروا بلادي، فعاش فيها عبادي فَاسْتَغْفِرُوْهُ من الشرك ثُمَّ تُوْبُوْا إِلَيْهِ بالطاعة إِنَّ رَبِّيْ قَرِيْبٌ بعلمه مُجِيْبٌO لمن دعاه قَالُوْا يَا صَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوًّا أن تكون لنا {مستشارا في الأمور}[1]، سيدا [ص336] لما نرى فيك من مخائل الرشد والسداد، أو موافقتك إيانا، فلما سمعنا منك هذا القول، انقطع رجاءنا منك قَبْلَ هٰذَا قبل صدور هذا القول عنك أَتَنْهَانَا أَنْ نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الأوثان وَإِنَّنَا لَفِيْ شَكٍ مِّمَّا تَدْعُوْنَا إِلَيْهِ من التوحيد مُرِيْبٍO صفة شك، أي: موقع في الريب من أرابه، إذا أوقعه في الريبة، وهي ضيق النفس وانتفاء الطمانية قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ بيان مِّنْ رَّبِّيْ وإن يشك المخاطبون وَآتَانِيْ مِنْهُ رَحْمَةً نبوة فَمَنْ يَّنْصُرُنِيْ مِنَ اللهِ فمن يمنعني من عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيْدُوْنَنِيْ باستباعكم إياي غَيْرَ تَخْسِيْرٍO تضليل، والنسبة إلى الخسران إليه بإهمال التبليغ، أو إليهم بقولهم: أَتَنْهَانَا ... إلى آخره وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً حال، والعامل فيه معنى الإشارة فَذَرُوْهَا تَأْكُلْ فِيْ أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوْءٍ بعقر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيْبٌO إن عقرتم فَعَقَرُوْهَا عقر قذار بأمرهم يوم الأربعاء فَقَالَ صالح عليه السلام تَمَتَّعُوْا فِيْ دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثم تهلكون يوم السبت ذَالِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوْبٍO فيه فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بإهلاكهم نَجَّيْنَا صَالِحًا وَّالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ هم أربعة آلاف بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنجينا مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ وهو الهلاك بالصيحة، أو من ذلهم يوم القيامة إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُO القادر الغالب وَأَخَذَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوْا فِيْ دِيَارِهِمْ جَاثِمِيْنَO باركين على الركب، ميتين كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا أي: استأصلوا، كأنهم لم يقيموا فِيْهَا في دارهم أَلَا إِنَّ ثَمُوْدَا كَفَرُوْا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا عن الرحمة لِثَمُوْدَOۗ صرف وترك على معنى

---

1 - العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب، والتصويب من أ و ج.

الحي والقبيلة وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ملائكة: [ص337] كانوا تسعة، وقيل: ثلاثة إِبْرَاهِيْمَ بِالْبُشْرَى ببشارة إسحاق ويعقوب عليهم السلام بعده، أو بشارة هلاك قوم لوط عليه السلام قَالُوْا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيْذٍO مشوي بالحجارة فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ استنكرهم وَأَوْجَسَ أدرك في نفسه مِنْهُمْ خِيْفَةً خوفا قَالُوْا لَا تَخَفْ لما أحسوا منه أثر الخوف إِنَّا ملائكة أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوْطٍO بالعذاب وَامْرَأَتُهُ سارة قَائِمَةٌ وراء الستر، تسمع كلامهم أو حاضرة للخدمة فَضَحِكَتْ سرورا بزوال الخوف، أو هلاك الفساق، أوحاضت فَبَشَّرْنَهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوْبَO قَالَتْ يَا وَيْلَتَى يا عجبا، كلمة يقال عند أمر عظيم، وأصله في الشر، وألفه مبدلة من ياء الإضافة ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوْزٌ ابنة تسعين، أو تسع وتسعين وَهٰذَا بَعْلِيْ زوجي شَيْخًا حال، ابن مائة، أو مائة وعشرين إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌO من حيث العادة دون القدرة قَالُوْا أَتَعْجَبِيْنَ مِنْ أَمْرِ اللهِ من قدرته رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ بيت إبراهيم، نصب على المدح، أو النداء إِنَّهُ حَمِيْدٌ فعاله مَجِيْدٌO كثير الخير والإحسان فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى أقبل يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ لُوْطٍO ومجادلته إياهم قوله: إن فيها لوطا ومؤمنين إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لَحَلِيْمٌ غير عجول للانتقام أَوَّاهٌ كثير التأوّه من الذنوب، والتأسف على الناس مُنِيْبٌO مقبل إلى طاعة الله يَا إِبْرَاهِيْمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا الجدال إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ عذابه وَإِنَّهُمْ آتِيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْدٍO بجدال وغيره وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوْطًا وكانت بين قرية إبراهيم ولوط عليهم السلام أربعة فراسخ سِيْءَ بِهِمْ أي: أحزن لوط بسبب مجيئهم [ص338] في صورة الغلمان، لما علم من خصلة القوم وعجزه عن مدافعتهم وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا أي: ضاق بمكانهم صدرا؛ كناية عن شدة الانقباض، المعجز عن مدافعة المكروه، لأنهم كانوا حسان الوجوه، فخاف عليهم قومه وَقَالَ هٰذَا يَوْمٌ عَصِيْبٌO شديد وَجَاءَهُ قَوْمُهُ لما أعلمت بهم امرأته يُهْرَعُوْنَ إِلَيْهِ يسرعون إليه بالدفع مجابرين لتمرنهم وَمِنْ قَبْلُ أي: قبل مجيئهم كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ السَّيِّآتِ الفواحش، حتّى قلّ قبح هذا العمل في أعينهم قَالَ في الجواب، لما طلبوا الضيفان منه يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِيْ فزوجوهن، ولم يكن حرمة بين المسلم والكافر هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ أقل فحشا من الأضياف، كقولك: الهبة أطيب من المغصوب، فداهن أضيافه كرما، وقد طلبوهن قبل ذلك، فما أجاب لخبثهم فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُوْنِ فِيْ ضَيْفِيْ لا تفضحوني في أضيافي، أو لا تخجلوني. من الخزي، أو من الخزاية، بمعنى: الحياء أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيْدٌO يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر قَالُوْا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِيْ بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ حاجة، لأن نكاح الإناث ليس بمذهبنا وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْدُO وهو إتيان الذكران قَالَ لَوْ أَنَّ لِيْ بِكُمْ قُوَّةً طاقة أَوْ آوِيْ إِلَى رُكْنٍ شَدِيْدٍO أي: إلى قوي، كركن الجبل في الشدة، جواب الشرط، لدفعتكم أو بطشت بكم، المجادلة كانت وراء الباب، فإنه غلقه خوفا منهم، فتسوروا

الجدار، فلما رأت الملائكة كرب لوط قَالُوْا يَا لُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ففتح الباب لَنْ يَّصِلُوْا إِلَيْكَ إلى إضرارك بإضرارنا، ففتح، فضرب جبرائيل عليه السلام بجناحه وجوههم، فأعماهم، فخرجوا قائلين: إن في بيت لوط سحرة فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ أي: بطائفة منها أو بنصفها وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه، [ص339] لئلا يرى عظم ما نزل بهم إِلَّا امْرَأَتَكَ بالنصب، استثناء من الأهل، أي: فلا تسر بها، وبالرفع على البدل من أحد، قيل: لم تخرج، وقيل: خرجت والتفت، فقالت: واقوماه، فجاء حجر، فقتلها إِنَّهُ مُصِيْبُهَا مَا أَصَابَهُمْ سأل عن وقت العذاب عنهم، قالوا: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ قال: أريد أعجل منه، قالوا: أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيْبٍO فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بإهلاكهم جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا مداين قوم لوط، رفعها جبرئيل على جناح إلى السماء، حتّى سمع أهل السماء نباح الكلاب، وصياح الديك، فأسقطها مقلوبة على الأرض وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيْلٍ معرب، سنك كل، أي: طين طبخ بالنار مَنْضُوْدٍO متتابع في الإرسال، أو معد لعذابهم مُسَوَّمَةً معلمة بأسامي القتلى عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ القرى المعذبة مِنَ الظَّالِمِيْنَ من كفار مكة بِبَعِيْدٍO[ع] [النصف] يرونها في الأسفار إلى الشام، وتذكيره بتأويل المكان وَأرسلنا إِلَى أهل مَدْيَنَ أو بني مدين أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وحدوه مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيْزَانَ إِنِّيْ أَرَكُمْ بِخَيْرٍ بسعة، تغنيكم عن التطفيف والبخس وَإِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ بشرككم عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيْطٍO بكم، هو عذاب الاستيصال أو عذاب يوم القيامة وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ أتموه وَالْمِيْزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل وَلَا تَبْخَسُوا لا تنقصوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ عن حقهم وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَO العثي والعث: أشد الفساد، نحو القتل والسرقة وقطع الطريق والغارة وأمثال ذلك، أو مفسدين لأمر الدين بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ما أبقاه لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل خير من البخس والتطفيف إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ بالله، فإن فائدة الخيرية إنما تظهر بالإيمان بالله وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍO رقيب، أحفظكم من القبائح قَالُوْا يَا شُعَيْبُ [ص340] أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ بتكليفك إيانا استهزاءا بالصلاة، لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة أَنْ نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الأصنام أَوْ نترك أَنْ نَّفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشَآءُ عطف على ما يعبد، جوابان عن النهي عن الشرك وعن التطفيف والأمر بالإيفاء، قيل: كانوا يقطعون الدراهم والدنانير فنهاهم عنه، فأجابوا عنه: إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيْمُ الرَّشِيْدُO قالوا ذلك استهزاءا، أي: لست كذلك، لأجل ذلك تنهنا عما مر قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ من الله، أي: من عنده رِزْقًا حَسَنًا إشارة إلى ما آية الله؛ النبوة مع المال الحلال بلا كد مني، وجواب الشرط محذوف، أي: فهل يسع لي مع هذه الإنعامات أن أخون في وحيه، وأخالفه في أحكامه؟ وَمَا أُرِيْدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ أي: ما أريد أن أخالفكم ذاهبا إلى ارتكاب ما أنهكم عنه،

يقال: خالفني فلان إلى كذا، إذا قصد وأنت مولٍّ عنه، وعن كذا في العكس إِنْ أُرِيْدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ لكم بالعدل مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيْقِيْ لإصابة الحق والصواب إِلَّا بِاللهِ بهدايته عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيْبُO أرجع وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يكسبنكم شِقَاقِيْٓ عداوتي أَنْ يُّصِيْبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوْحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُوْدٍ من الريح أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ من الرجفة، جرم معتد إلى مفعول واحد أو إلى مفعولين، ككسب وكم مفعول أول، وإن تصبكم ثان، وشقاقي فاعل وَمَا قَوْمُ لُوْطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيْدٍO زمانا ومكانا، فهو أحق بالاعتبار وإفراده وتذكيره، لأنها على زنة المصادر، كالنهيق والصهيل وَاسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ من الشرك ثُمَّ تُوْبُوْا إِلَيْهِ بالطاعة إِنَّ رَبِّيْ رَحِيْمٌ [ص341] للمستغفرين وَدُوْدٌO محب للتائبين قَالُوْا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيْرًا ما نفهم صحة أحكام كثيرة مِّمَّا تَقُوْلُ من وجوب التوحيد، وحرمة البخس والتطفيف وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيْفًا لا قوة لك وَلَوْلَا رَهْطُكَ لكونهم على ملتنا لَرَجَمْنَاكَ لقتلناك بالحجارة، وهو شر قتلة وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيْزٍO بنفسك؛ بل بقومك قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللهِ فتتركون قتلي لأجل رهطي لا لله وَاتَّخَذْتُمُوْهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا أي: نبذتم الله وراء الظهر، لا تبالون به، وهو منسوب إلى الظهر والكسر من التغييرات في النسب، كالأمس والإمسى بكسر الهمزة إِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌO فلا يخفي عليه خافية مما تعملون، فيجازيكم به وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوْا عَلَى مَكَانَتِكُمْ هي بمعنى المكان أو مصدر من مكَن، والمراد حالتكم، هي الشرك والشقاق، أو عداوتي إِنِّيْ عَامِلٌ على حالتي من الإيمان والتوحيد، أو انتظار النصرة سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَّأْتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ من استفهامية أو موصولة، والخزي: الفضيحة وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوْا انتظروا العاقبة إِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌO منتظر وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بإهلاكهم نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَّالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوْا فِيْ دِيَارِهِمْ جَاثِمِيْنَO باركين على الركب، ميتين كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا لم يقيموا فِيْهَا في ديارهم إحياءا أَلَا بُعْدًا عن الرحمة، أي: الهلاك لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ هلكت ثَمُوْدُOع وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسَى بِآيَاتِنَا التسع وَسُلْطَنٍ مُّبِيْنٍO أي: العصا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ بالكفر بموسى وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍO أي: شديد، يحمد [ص342] عليه إذ دعوى الألوهية مع البشرية غيّ بيّن ضلال مبين يَقْدُمُ قَوْمَهُ أي: يتقدم على قومه، وقومه على عقبه يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلى النار فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ فأدخلهم إياها وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُوْدُO أي: بئس المورود المصير الذي وردوه النار، أويقال: هو كفار والقوم ورد، أي: جماعة وردة على الماء، وهم موردون في جهنم وَأُتْبِعُوْا فِيْ هَذِهِ الدنيا لَعْنَةً وَّيَوْمَ الْقِيَامَةِ لعنة بِئْسَ الرِّفْدُ العون أو العطاء الْمَرْفُوْدُO المعان، أو المعطى، والمخصوص بالذم محذوف، أي: رفدهم؛ وهو اللعنة في الدارين ذَالِكَ النباء مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مِنْهَا قَائِمٌ أي: باق الأثر وَمنها حَصِيْدٌO عافي الأثر وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلٰكِنْ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ

بالشرك، الذي أهلكوا به فَمَا أَغْنَتْ رفعت عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِيْ يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ من زائدة لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أي: عذابه وَمَا زَادُوْهُمْ بعبادتهم إياها غَيْرَ تَتْبِيْبٍO هلاك أو تخسير وَكَذَالِكَ مثل ذلك الأخذ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى أي: أهلها وَهِيَ ظَالِمَةٌ حال إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيْمٌ مؤلم شَدِيْدٌO صعب إِنَّ فِيْ ذَلِكَ في قصص الأمم الهالكة لَآيَةً لعبرة لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ أي: يوم القيامة يَوْمٌ مَّجْمُوْعٌ لَه فيه النَّاسُ للحساب وَذَالِكَ يَوْمٌ مَّشْهُوْدٌO فيه، لا يشذ منه شاذ وَمَا نُؤَخِّرُهُ أي: هذا اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُوْدٍO في علمه تعالى، أي: لانتهاء مدة معدودة، اذكر يَوْمَ يَأْتِ الجزاء، حذفت الياء للكسرة الدالة عليها لَا تَكَلَّمُ أصله: تتكلم، فيه نَفْسٌ في أمر الشفاعة إِلَّا بِإِذْنِهِ بأمره تعالى فَمِنْهُمْ من أهل الموقف شَقِيٌّ [ص343] وَّسَعِيْدٌO فَأَمَّا الَّذِيْنَ شَقُوْا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيْهَا زَفِيْرٌ صوت شديد وَّشَهِيْقٌO صوت ضعيف، وقيل: الزفير إخراج النفس، والشهيق رده، واستعمالهما في أول النهيق وآخره خَالِدِيْنَ ماكثين فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ يعبر به عن التأبيد، والمبالغة في الدوام، أو المراد سماوات الآخرة وأرضها، فإنها دائمة مخلوقة للأبد إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود في النار، بل يعدلون بالزمهرير وأنواع العذاب غير النار، أو ما شاء بمعني من شاء، فإن فساق الموحدين يخرجون من النار إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُO وَأَمَّا الَّذِيْنَ سُعِدُوْا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بالدوام بالوجهين إِلَّا مَاشَاءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود في نعيم الجنة، إذ لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها، وهو رؤية الله تعالى ورضوانه، أو معناه إلا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه أولا، ثم يدخل الجنة عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوْذٍO مقطوع فَلَا تَكُ يا محمد! عليك الصلاة والسلام فِيْ مِرْيَةٍ في شك مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ من الأصنام التي يعبدها مشركوا مكة مَا يَعْبُدُوْنَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّنْ قَبْلُ فما نزل بآبائهم؛ ينزل بهم لا محالة وَإِنَّا لَمُوَفُّوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ حظهم في العذاب غَيْرَ مَنْقُوْصٍOع أي: كاملا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة فَاخْتُلِفَ فِيْهِ آمن بعضهم به، وكفر بعض؛ كذلك القرآن وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ أي: كلمة الإبطاء إلى يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ في الدنيا وَإِنَّهُمْ لَفِيْ شَكٍ مِّنْهُ من القرآن أو من العذاب مُرِيْبٍO صفة؛ شك، أي: موقع في القلق والاضطراب وَإِنَّ كُلًّا أي: كل المختلفين المؤمنين والكافرين، والتنوين بدل المضاف إليه لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ جزاء أَعْمَالَهُمْ اللام الأولى موطئة للقسم، [ص344] والثانية للتأكيد أو بالعكس، وما مزيدة؛ هذا على التخفيف، وأما على التشديد، فأصله: لمن ما، فقلبت النون ميما للإدغام، فأجمعت الميمات، فحذفت أوليهن، أي: أن كلهم لو الله من الذين ربك ليوفيهم جزاء أعمالهم يوم القيامة إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO عالم البواطن كالظواهر فَاسْتَقِمْ على العلم والعمل كَمَا أُمِرْتَ أي: استقم استقامة مثل استقامة أمرت بها؛ غير عادل عنها بالإفرط والتفريط، وَليستقم مَنْ تَابَ آمن مَعَكَ قال عليه الصلاة والسلام: ((شَيَّبَتْنِيْ

سُوْرَةُ هُوْد))[1]. ولعل ذلك الإعوجاج في من تاب معه وَلَا تَطْغَوْا ولاتجاوزوا حدود الله إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO وَلَا تَرْكَنُوْا لا تميلوا إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بمحبة أو مداهنة أو رضى بأعمالهم، والتزئ بزيئهم فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يحفظونكم من عذابه، وكلمة من زائدة ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَO لا تمنعون من عذابه بعد الحكم وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ غدوة: وهي صلاة الفجر، وعشية: وهي صلاة الظهر والعصر وَزُلَفًا جمع زلفة، بمعنى: قريبة مِّنَ اللَّيْلِ ساعات منه قريبة من النهار، أي صلاة المغرب والعشاء إِنَّ الْحَسَنَاتِ وهي صلاة الخمس، أو سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر يُذْهِبْنَ السَّيِّآتِ من الذنوب الصغائر، أو الطاعات بعد السيات تمحوها، وقيل: نزل في عمرو بن غزية الأنصاري[2]، قبّل أجنبية، فندم، فجاء حاكيا باكيا، وشهد العصر، قال عليه السلام: ((هِيَ كَفَّارَةٌ لَّكَ، فَقَالَ: أَ لِيْ خَاصٌ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً))[3]ذَلِكَ المذكور ذِكْرَى عظة لِلذَّاكِرِيْنَO للمتعظين وَاصْبِرْ يا محمد! عليك الصلاة والسلامعلى الأوامر وعن النواهي فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَO [ص345] فَلَوْلَا فهلا كَانَ مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ الأمم السابقة التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة أُولُوْا بَقِيَّةٍ فضل وعقل، أي: خيارهم يَنْهَوْنَ غيرهم عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ أي: الكفر وإتلاف حقوق العباد؛ تعجيب لمحمد عليه السلام وأمته، أي: ما كان فيهم صحب هذا الفضل إِلَّا لكن قَلِيْلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ أي: الذين نجيناهم، لأنهم نهوا، فمن للبيان وَاتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَا أي: شهوات وأسبابا من حب الرياسة والثروة أُتْرِفُوْا نعّموا فِيْهِ الضمير للموصول وَكَانُوْا مُجْرِمِيْنَO وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ بشرك وَّأَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَO في العمل مع الناس، لأنهم لا يضمون إلى شركهم فسادا آخر، ولذا قيل: الملك يبقى مع الشرك، ولا يبقى مع الظلم وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً جماعة وَّاحِدَةً متفقة على الإيمان، لكن لم يشاء وَلَا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَO بالكفر والإيمان، أي: بل شاء مختلفين دائما إِلَّا مَنْ أي: ناسا رَّحِمَ رَبُّكَ فاتفقوا على الإيمان وَلِذَالِكَ للاختلاف خَلَقَهُمْ خلق المختلفين والمتفقين، واللام للعاقبة أو العلة وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ وهي قوله: لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ من عصاتهما أَجْمَعِيْنَO وَكُلًّا منصوب بقوله نَقُصُّ والتنوين عوض عن المضاف إليه، أي: كل نباء عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ بدل من كلا، وتثبيت الفؤاد لزيادة اليقين بزيادة الأدلة وَجَاءَكَ فِيْ هٰذِهِ

---

1 – الشجري: المرجع السابق. في ذكر المشيب والعمر، ولطف الله تعالى بالمعمر، وما يتصل بذلك، رقم الحديث: 2659. 344/2.

2 – عمرو بن غزية الأنصاري: هو أبي اليسر، كان يبيع التمر. الثعلبي: المرجع السابق.193/5.

3 –النسفي: المرجع السابق. 89/2.

السورة أو الآيات أو أنباء القصص الْحَقُّ أي: ما هو حق وَمَوْعِظَةٌ وَّذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيْنَO لأنهم المنتفعون بخلاف الكافرين وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ اعْمَلُوْا عَلَى مَكَانَتِكُمْ على حالتكم إِنَّا عَامِلُوْنَO على حالتنا وَانْتَظِرُوْا علينا دوائر السوء؛ كما تزعمون [ص346] إِنَّا مُنْتَظِرُوْنَO يفعل الله لكم ما فعل بالأمم السابقة من أشباهكم وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا يخفى عليه خافية وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فيعذب من يشاء ويثيب من يشاء فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فإنه الواحد الكافل الكافي وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَOع أنت وهم، فغلب المخاطب، فيجازيكم عليه، وإنما التأخير لوقت الجزاء.

سورة يوسف مكية، مائة وإحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِO

الٓرٰO الله أعلم بمراده تِلْكَ أي: الآيات آيَاتُ الْكِتَابِ الإضافة بمعنى من الْمُبِيْنِO المظهر للحق من الباطل إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا بلغة العرب لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO {تفقهون}[1] معانيه نَحْنُ نَقُصُّ نبين عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ البيان لبداعة أساليبه، أو المقصوص؛ واشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر بِمَا أَوْحَيْنَا بإيحاءنا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مخففة، وضمير الشأن اسمها مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِيْنَO اذكر إِذْ قَالَ يُوْسُفُ لِأَبِيْهِ يعقوب يَا أَبَتِ أصله: أبي، ثم عوض عن الياء التاء؛ لاشتراكهما في الزيادة إِنِّيْ رَأَيْتُ من الرؤيا، لا من الرؤية أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا أي: الإخوة، وأسامي الكواكب مذكورة في الحديث وَالشَّمْسَ أمه وَالْقَمَرَ أباه رَأَيْتُهُمْ لِيْ سَاجِدِيْنَO جُمِع جَمع العقلاء، فإن السجود صفتهم قَالَ يَا بُنَيَّ تصغير ابن؛ للشفقة لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ لما عرف منه أنه ينال منصب النبوة، فخاف حسدهم، وكانوا أحد عشر، والثاني عشر يوسف، وكلهم من ثلاث زوجات، ستة من ليا: يهودا وروئيل وشمعون ولاوي وذيالون ويشجر، وأربعة من سريتين: زلفة وبلهه دان [ص347] ويفتالي وجادّ وآشر، ولما توفيت ليا تزوج أختها راحيل: وابن يامين ويوسف منها فَيَكِيْدُوْا لَكَ جواب النهي كَيْدًا أي: عرف يعقوب أنهم يعرفون التعبير، فيحتالون لك حيلة في هلاكك حسدا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌO ظاهر العداوة فيحملهم عليه وَكَذٰلِكَ كما رأيت في المنام اجتباءك يَجْتَبِيْكَ يختارك رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيْلِ الْأَحَادِيْثِ تعبير الرؤيا وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ النبوة والرياسة عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوْبَ أولاده، أصله: أهل بدليل أهل، يستعمل في الأشراف، استدل بضوء الكواكب على النبوة كَمَا أَتَمَّهَا أي: النبوة عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ ومعنى الإتمام

---

1 - في ج: تفهمون.

جعلهم في الدنيا أنبياءا وملوكا، وفي العقبى أصحاب الدرجات العُلَى إِنَّ رَبَّكَ عَلِيْمٌ بمن يتساهل للنبوة حَكِيْمٌO[ع] يصنع كل شيء في موضعه لَقَدْ كَانَ فِيْ قصة يُوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ ايَتٌ علامات ودلالات على قدرته تعالى، وصحة نبوة محمد عليه السلام حيث أخبر بالغيب من غير سماع عن أحد لِّلسَّائِلِيْنَO عن قصتهم إِذْ قَالُوْا أي: إخوته لَيُوْسُفُ لام الابتداء، فيها معنى التأكيد وَأَخُوْهُ بنيامين أَحَبُّ أفعل من، لا يفرق فيه بين الواحد والاثنين، والمعرف يفرق فيه، وفي الإضافة ساغ الأمران إِلَى أَبِيْنَا مِنَّا وَالحال نَحْنُ عُصْبَةٌ جماعة العشرة فصاعدا كفاة، وهما صغيران إِنَّ آبَانَا لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO خطاء ظاهر في تدبير الدنيا، في إيثارهما علينا اقْتُلُوْا يُوْسُفَ أَوِ اطْرَحُوْهُ أَرْضًا بعيدة من العمران يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيْكُمْ يقبل عليكم، ولا يلتفت إلى غيركم وَتَكُوْنُوْا مِنْ بَعْدِهِ [ص348] بعد القتل أو الطرح قَوْمًا صَالِحِيْنَO تائبين من هذه المعصية، أو عند الأب قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ وهو يهودا لَا تَقْتُلُوْا يُوْسُفَ فإن القتل عظيم وَأَلْقُوْهُ فِيْ غَيَبَتِ الجُبِّ مظلم البير، وإنما سمي قعر البير بها لغيبوبته عن أعين الناس يَلْتَقِطْهُ يأخذه بَعْضُ السَّيَّارَةِ المسافرين إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِيْنَO به شيئا، فهذا القدر يكفي في التفريق لا القتل قَالُوْا يَا آبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوْسُفَ لم تخافنا عليه؟ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُوْنَO لقائمون بمصالحه أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا إلى الصحراء يَرْتَعْ يتسع في أكل الفواكه وَيَلْعَبْ يتفرح بالصيد والرمي والاستباق وَإِنَّ لَهُ لَحَفِظُوْنَO من كل مكروه قَالَ إِنِّيْ لَيَحْزُنُنِيْ أَنْ تَذْهَبُوْا بِهِ ذهابكم به للفراق وقلة صبري عليه وَأَخَافُ أَنْ يَّأْكُلَهُ الذِّئْبُ وكانت الأرض كثيرة الذياب وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَفِلُوْنَO مشغولون قَالُوْا والله لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ جماعة إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُوْنَO أجابوا بالثاني لعدم تمالكهم بدفع الأول فَلَمَّا ذَهَبُوْا بِهِ وَأَجْمَعُوْا وعزموا أَنْ يَّجْعَلُوْهُ فِيْ غَيَبَتِ الْجُبِّ فعلوا به ما فعلوا، قيل: أهانوا وضربوا ونزعوا قميصه ليلطخوا بالدم، وأدلوه، فلما بلغ نصفها ألقوه، فآوى إلى صخرة، وهو عليها يبكي، وكساه جبرائيل بقميص، كان في تميمه في عنقه من إبراهيم إلى إسحاق، ومنه إلى يعقوب، ومنه إليه وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ وحيا جليا، وقيل: بمعنى ألهمنا، وهو ابن سبع عشر سنين أو دونها، كما ليحيَ وعيسى عليهما السلام اطمينانا لقلبه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ لتحدثنهم بعد أيام بِأَمْرِهِمْ هٰذَا بما فعل بك اليوم وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO إنك يوسف لعلو شانك، وبعده عن أوهامهم وَجَاءُوْا آبَاهُمْ عِشَاءً مساءا، للاستشار [ص349] والاعتذار يَبْكُوْنَO حال، فلما سمع بكاءهم فزع، وقال: مالكم يا بني؟ وأين يوسف؟ قَالُوْا يَا آبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ نتسابق في العدو أو الرمي وَتَرَكْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ثيابنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا مصدق لنا وَلَوْ كُنَّا صَدِقِيْنَO[الثلاثة] عندك في إخبار آخر لسوء ظنك بنا في يوسف، وشدة محبتك به وَجَاءُوْا عَلَى قَمِيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ أي: ذي كذب، لطخوا بدم سخلة، ذبحوها، وغفلوا عن مزقه، قال: تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا، أكل ابني؛ ولم يمزق قميصه

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ زينت وسهلت لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ففعلتموه به فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ فأمري صبر جميل، وهو الذي لا شكوى فيه إلى الخلق وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ المطلوب منه العون عَلَى مَا تَصِفُوْنَO تذكرون في أمر يوسف وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ رفقة في السير؛ من مدين إلى مصر، ونزلوا قريبا من بير يوسف فَأَرْسَلُوْا وَارِدَهُمْ هو الذي يرد الماء، ليستسقي للقوم ـ اسمه مالك ـ فَأَدْلَى دَلْوَهُ أي: أرسلها في البير، فتعلق بها يوسف، وأخرجه قَالَ يَا بُشْرَى نادى البشارة لنفسه أو للقوم، أي: أدرك يا بشرى هذا أوانك، وقيل: اسم معينه هٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوْهُ بِضَاعَةً الضمير إما للوارد وأصحابه، أخفوه من الرفقة متاعا قطع للتجارة، أو لإخوة يوسف، فإنهم قالوا للرفقة: هو عبدنا آبق، فاشتروه منا، وسكت يوسف خوفا أن يقتلوه وَاللهُ عَلِيْمٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَO أي: إخوته بأبيهم وأخيهم وَشَرَوْهُ أي: باعوه أو اشتروه بِثَمَنٍ بَخْسٍ ناقص العيار دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ لا موزونة، فإنهم ما دون الأربعين يعدون، والأربعون وما فوقه يزنون، وكان قيمته عشرين أو اثني وعشرين وَكَانُوْا فِيْهِ في يوسف مِنَ الزَّاهِدِيْنَOع راغبين عنه، فباعوه بالثمن الخفيف، الضمير في كانوا إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة؛ وكانوا بائعين، فلأنه الملتقط وهو [ص350] مما يتهاون فيه، وإن كانوا متبائعين فلظنهم بإباقه وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَهُ وهو قطفير العزيز، اشترى بعشرين دينار، وزوجي نعل وثوبين أو بوزنه فضة أو ذهبا، وهو ابن سبع عشر، كان على خزائن مصر من ملك الريان ابن الوليد العمليقي، واستوزر الريان يوسف وهو ابن ثلاثين، ومات الريان مؤمنا، وتوفي يوسف عليه السلام وهو ابن مائة وعشرين مِنْ مِّصْرَ لِإِمْرَأَتِهِ راعيل أو زليخا، واللام متعلق بقال؛ لا باشتراه أَكْرِمِيْ مَثْوَهُ اجعلي مقامه عندنا كريما عَسَى أَنْ يَّنْفَعَنَا نستظهر به في مصالحنا؛ إذا تدرَّب وراض أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا نقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيما، وقيل: حصورا وَكَذَلِكَ أي: كما نجيناه من القتل والجب، وعطفنا عليه قلب العزيز مَكَنَّا لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ أرض مصر حتّى بلغ إلى ما بلغ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيْلِ الْأَحَادِيْثِ عطف على مقدر، أي: كان ذلك الإنجاء والتمكين ليدبر أرض مصر، ولنعلمه تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة، كما فعل بسنيه، أو الواو زائدة وَاللهُ غَالِبٌ لا يعجزه شيء عَلَى أَمْرِهِ تعالى، أو على أمر يوسف، فوقع ما أراد دون ما أرادوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: الكفار لَا يَعْلَمُوْنَO ذلك وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهٗ ثلاث وثلاثين سنة، وقيل: إحدى وعشرين آتَيْنَاهُ حُكْمًا بين الناس أو العلم المؤيد بالعمل وَعِلْمًا بتأويل الأحاديث وَكَذَالِكَ كما جزيناه نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO لأنفسهم بالعلم المؤيد بالعمل وَرَاوَدَتْهُ الَّتِيْ هُوَ فِيْ بَيْتِهَا عَنْ نَّفْسِهِ أي: طلبت زليخا منه أن يواقعها، من راد يرود، بمعنى جاء وذهب، ولشناعة الفعل، لم يذكر اسمها وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ أبواب البيت، وكانت سبعة وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ اسم لبادر واقبل، بني على الفتح، واللام للبيان، كأنه قيل لك أقول هذا قَالَ مَعَاذَ اللهِ أعوذ بالله معاذا إِنَّهُ أي: الشأن رَبِّيْ [ص351]

سيدي قطفير، أو الله سبحانه تعالى أَحْسَنَ مَثْوَايَ حين قال لك فيَّ: اكرمي مثواي، فما أخون في أهله، أو هو تعالى أحسن مثواي، بعطف قلبه، فلا أعصيه إِنَّهُ أي: الشأن لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُوْنَO الزناة وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا قصدت عزما منه الجماع، وقصد طبعا يوسف زليخا ذلك لَوْلَا أَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لكان ما كان، وهو منع الغيب؛ أو تمثل يعقوب عاضّا على أنامله؛ أو قطفير؛ أو رأى جبرائيل كَذَالِكَ مثل ذلك التثبيت ثبتناه لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ خيانة السيد وَالْفَحْشَاءَ الزنا إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَO أخلصهم بطاعته وَاسْتَبَقَا الْبَابَ أي: تسابقا إلى باب البيت، هو ليخرج؛ وهي لتمنع عن الخروج وَقَدَّتْ شقت طولا قَمِيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ من خلف بالاجتذاب وَأَلْفَيَا ووجدا سَيِّدَهَا زوجها لَدَى الْبَابِ فاحتالت لنزاهة نفسها عند زوجها، حيث قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوْءًا زناءا إِلَّا أَنْ يُّسْجَنَ يحبس أَوْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO مؤلم قَالَ يوسف متبريا هِيَ رَاوَدَتْنِيْ عَنْ نَّفْسِيْ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ابن عمها، وهو في المهد صبيا إِنْ كَانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ شق مِنْ قُبُلٍ قدام فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَO لأنه كان مقبلا عليها، وهي في الدفع، قدت قميصه من قبل وَإِنْ كَانَ قَمِيْصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ خلف فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO لأنه فر، وتبعته، فاجتذبت ثوبه، فقدته من خلفه فَلَمَّا رَأَى زوجها قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ أي: قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوْءًا﴾[1] مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ أيها النساء عَظِيْمٌO ثم قال يا يُوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا واكتمه ولا تشع الفاحشة، ثم قال لزليخا [ص352] وَاسْتَغْفِرِيْ لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِيْنَOع الآثمين، واشتهر الخبر وشاع وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِيْنَةِ أي: مصر امْرَأَتُ الْعَزِيْزِ أي: زليخا تُرَاوِدُ فَتَهَا عَنْ نَّفْسِهِ تطلب مواقعة غلامها إياها قَدْ شَغْفَهَا حُبًّا أي: دخل حبه شغاف القلب، أي: غلافه، منصوب على التمييز إِنَّا لَنَرَاهَا فِيْ ضَلَالٍ خطاء، هو حبها إياه مُبِيْنٍO بيّن فَلَمَّا سَمِعَتْ زليخا بِمَكْرِهِنَّ بغيبتهن لها، بأن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني، ومقتها أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ دعتهن في الأربعين وَأَعْتَدَتْ هيأت واعدت لَهُنَّ مُتَّكَأً ما يتكين عليه من الوسائد والنمارق، أو الطعام الذي يقطع بالسكين كالأترج والرمان وَاٰتَتْ وأعطت كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِيْنًا وَّقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ عظّمنه أو حضن، والهاء للسكت وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ جرحنها بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف وَقُلْنَ حَاشَ للهِ تنزيها له تعالى عما لا يليق مَا هٰذَا أي: يوسف بَشَرًا إِنْ هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيْمٌO إن نافية، نفين البشرية عنه لغرابة جماله، واثبتن الملكية له لما في نفوسهن، أن لا شيء أحسن من الملك، كما أن لا شيء أقبح من الشيطان قَالَتْ زليخا فَذَالِكُنَّ فهذا هو الشخص الَّذِيْ لُمْتُنَّنِيْ وما عذرتنني فِيْهِ أي: في حبه وَلَقَدْ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة يوسف، الآية: 25.

رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ فامتنع طلبا للعصمة وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ أي: ما آمره به لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوْنًا الألف بدل من النون الخفيفة مِنَ الصَّاغِرِيْنَO الذليلين، قلن نصحا: اطع مولاتك قَالَ دعا يا رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُوْنَنِيْ إِلَيْهِ كأنه كل منها دعت إلى نفسها سرا بسبب إلا فتنان أو خوفه عن مخالفتها، وإنما ابتلي به لقوله هذا، [ص353] وكان الأولى أن يسأله العافية وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّيْ كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ آمل إلى إجابتهن، والصبوة: الميل إلى الهوى وَأَكُنْ وأصر مِّنَ الْجٰهِلِيْنَO بفعل القبيح فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ دعاءه فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ لمن دعاه الْعَلِيْمُO لمن ناجاه ثُمَّ بَدَا ظهر، فاعله مضمر، يفسره قوله: ليسجنن، أي: بدا رأى التسجين يحملها زوجها عليه ليثبت الجرم عليه لَهُمْ للعزيز وأهله مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ كشهادة الصبي، وقد القميص من خلف، وقطع النساء أيديهن، واستعصام يوسف عنهن لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِيْنٍO[ع] إلى زمان يقطع كلام الناس فيه وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ أي: مصاحبا له فَتَيَانِ غلامان للملك، أحدهما ساق، والآخر خباز، كلاهما دخلا بتهمة السم قَالَ أَحَدُهُمَا ساقيه إِنِّيْ أَرَانِيْ في المنام، حكاية حال ماضية أَعْصِرُ خَمْرًا عنبا، مجاز باعتبار مايؤل وَقَالَ الْآخَرُ خبازه إِنِّيْ أَرَانِيْ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِيْ خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا خبرنا بِتَأْوِيْلِهِ تعبيره إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَO في تعبير رؤيا الناس، أو أهل السجن قَالَ تمهيدا لدعوتهما إلى التوحيد لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ من بيتكما إلى السجن تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيْلِهِ ببيان ماهيته وكيفيته قَبْلَ أَنْ يَّاتِيَكُمَا ذَالِكُمَا التأويل مِمَّا عَلَّمَنِيْ رَبِّيْ بالإيحاء؛ لا بالكهانة والتنجيم، ففيه حث على إيمانهما، وما بعده يعضده إِنِّيْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ وهم أهل مصر لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ تكرار للتوكيد كَفِرُوْنَO وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَاءِيْ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ مَا كَانَ ما ينبغي لَنَا أَنْ نُّشْرِكَ بِاللهِ مِنْ زائدة شَيْءٍ فنحن المعصومون عن الشرك [ص354] ذَالِكَ التوحيد مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: الكفار لَا يَشْكُرُوْنَO فضل الله ونعمته يَصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَ أَرْبَابٌ استفهام تقرير مُّتَفَرِّقُوْنَ شتى خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُO مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ أي: من غير الله، أي: الأصنام والنجوم إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوْهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ آلهة ما لها من حقيقة؛ تدل عقلا ونقلا على استحقاق العبادة مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا أي: بعبادتها مِنْ سُلْطَنٍ من برهان إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ وحده أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا إِيَّاهُ ذَالِكَ التوحيد الدِّيْنُ الْقَيِّمُ المستقيم وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ الكفار لَا يَعْلَمُوْنَO ما يصيرون إليه من العذاب يَصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُ كُمَا أي: الساقي فَيَسْقِيْ رَبَّهُ سيده بعد ثلاثة أيام خَمْرًا على ما كان عليه وَأَمَّا الْآخَرُ أي: الخباز فيخرج بعد ثلاث فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَّأْسِهِ فقالا: ما رأينا شيئا بل كذبنا، قال يوسف: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِيْ فِيْهِ تَستَفْتِيَنِO أي: تم الحكم المستفتي، ووقع فتواي فيكما وَقَالَ لِلَّذِيْ ظَنَّ أيقن أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أي: الساقي اذْكُرْنِيْ عِنْدَ رَبِّكَ سيدك، فقل له: إن في

السجن غلاما محبوسا ظلما، فخرج الساقي فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ أن يذكر عند السيد، أو أنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمر إلى غيره، وفي الحديث: ((رَحِمَ اللهُ أَخِيْ يُوْسُفَ، لَوْ لَمْ يَقُلْ: اذْكُرْنِيْ عِنْدَ رَبِّكَ لَمَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ سَبْعًا))[1] فَلَبِثَ مكث فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِيْنَO ٤ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، والمراد: السبع عند الجمهور وَقَالَ الْمَلِكُ الريان بن الوليد؛ ملك مصر إِنِّيْ أَرَى رأيت سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ جمع سمين وسمينة يَّأْكُلُهُنَّ [ص355] يبتلعهن سَبْعٌ من البقر عِجَافٌ مهازيل، جمع عجفاء وفعلاء، لا يجمع على فعال بل فعل، لكن حملا على نقيضه، أي: السمان جمع وَسَبْعَ سُنْبُلَتٍ خُضْرٍ وَّأُخَرَ أي: سبع سنبلات يَابِسَاتٍ قد التوت على الخضر وغلبن عليها يَا أَيُّهَا الْمَلَاءُ أي: العلماء والحكماء أَفْتُوْنِيْ فِيْ رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُوْنَO اللام للتقوية، العمل في المفعول به المقدم على الفعل قَالُوْا هذه الرؤيا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ جمع ضغث، بمعنى بشارة، وحلم بمعنى الرؤيا، والمراد: تخاليط وأباطيل من حديث النفس ووسوسة الشيطان، والإضافة بمعنى من وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيْلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِيْنَO أي: التأويل إنما يكون للمنامات الصادقة، وهذه من المنامات الباطلة وَقَالَ الَّذِيْ نَجَا مِنْهُمَا أي: الساقي وَادَّكَرَ حال يوسف، أصله: اذتكر، قلبت الذال والتاء دالا، فأدغمت بَعْدَ أُمَّةٍ حين طويل أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيْلِهِ فَأَرْسِلُوْنِO إلى من عنده علمه، فأرسلوه، فأتي يوسف، فقال: يا يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيْقُ البليغ في الصدق أَفْتِنَا فِيْ سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَّأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَّسَبْعِ سُنْبُلَتٍ خُضْرٍ وَّأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّيْ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ أي: الملك وملائه لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُوْنَO تعبيرها وفضلك قَالَ تَزْرَعُوْنَ سَبْعَ سِنِيْنَ أي: ازرعوا بقرينة، فذروه في سنبله دَأَبًا أي: على عادتكم المستمرة، حال، أي: دائبين فَمَا حَصَدْتُّمْ فَذَرُوْهُ فاتركوه فِيْ سُنْبُلِهِ لئلا يأكله السوس إِلَّا قَلِيْلًا مِّمَّا تَأْكُلُوْنَO في تلك السنين، إرشاد خارج عن التعبير ثُمَّ يَأْتِيْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ مجدبات يَّأْكُلْنَ إسناد مجازي، أي: يأكل من كان فيها مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ في السبع المخصبة إِلَّا قَلِيْلًا مِّمَّا تُحْصِنُوْنَO تحرزون؛ لبذر الزراعة [ص356] ثُمَّ يَأْتِيْ مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ عَامٌ فِيْهِ يُغَاثُ النَّاسُ يمطرون من الغيث، أو يغاثون من القحط؛ من الغوث وَفِيْهِ يَعْصِرُوْنَO ٤ كالعنب والزيتون، بشرهم بالوحي بعد التعبير وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُوْنِيْ بِهِ بالمعبر فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُوْلُ أي: يوسف عليه السلام ليخرجه قَالَ إظهارا لبرأته عن السوء، لئلا يتسلف به الحساد عنده بتقبيح أمره، أو يقولوا: ما خلّد في السجن إلا لجرم عظيم، وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهمة واجب، وفي الحديث: لو كنت مكانه، ولبثت في السجن ما لبث؛ لأسرعت الإجابة، ولقد أعجب إذ بادر في إظهار العلم في سؤال التعبير، وتأخير في الخروج لنفي التهمة، {ولقد أعجب من صبره عليه السلام حين سئل عن التعبير بادر بأسعاف

---

1 – النسفي: المرجع السابق. 113/2.

مرامهم، وشرط الإخراج، وحين أتاه الرسول للإخراج، فقال: ارجع، واظهر البرأة، وما أسرع في الإجابة}[1] ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ أن يسأل مَا بَالُ ما حال النِّسْوَةِ الَّتِيْ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ولم يذكر سيدته أدبا إِنَّ رَبِّيْ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيْمٌO فرجع، فأخبر، فجمعهن الملك قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ شأنكن إِذْ رَاوَدْتُّنَّ يُوْسُفَ عَنْ نَّفْسِهِ هل وجدتن منه ميلا إليكن؟ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ تعجبا من قدرته تعالى بخلق عفيف مثله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوْءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيْزِ زليخا أَلْئَٰنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ثبت وظهر أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَنْ نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِيْنَO في قوله: هي راودتني عن نفسي ذَالِكَ مقولة يوسف عليه السلام؛ لما عاد إليه الرسول، وأخبره بكلامهن، أي: ذلك التثبيت لإظهار البراءة لِيَعْلَمَ العزيز أَنِّيْ لَمْ أَخُنْهُ في أهله بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِيْ لا يسدد كَيْدَ الْخَائِنِيْنَO تعريض لزليخا، فإنها كانت في فكر خيانة البعل.

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيْ من الذلل إِنَّ النَّفْسَ جنسها لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ وقت رحمة ربي، أو من رحم ربي إِنَّ رَبِّيْ غَفُوْرٌ لمن عصى رَحِيْمٌO لمن تاب، هضم لنفسه عن تزكيتها وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُوْنِيْ بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيْ أجعله [ص357] خالصا لنفسي، فجاءه الرسول، وقال: أجب الملك، فقام، وودّع أهل السجن، ودعا لهم، واغتسل، ولبس ثيابا حسنا، وكتب على باب السجن: هو قبر الأحياء. ودخل عليه فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ له إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ أَمِيْنٌO ذو مكانة ومنزلة، ومؤتمن على كل شيئ، فماذا ترى أن يفعل؟ قال: اجمع الطعام، وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة، وادّخر الطعام في سنابله، فيأتي الخلق، يمتارون منك، فقال: ومن لي بهذا؟ قَالَ اجْعَلْنِيْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّيْ حَفِيْظٌ لها، ممن لا يستحقها عَلِيْمٌO بوجوه التصرف، طلب التولية لوجه الله؛ لا لحب الدنيا؛ لعلمه بالوحي، أن أحدا غيره لا يقوم في بسط العدل مقامه، ففوّض إليه الأمر، وتوفّي قطفير العزيز في تلك الليالي بعد عزله، فنصبه منصبه، وزوّج منه زليخا، فوجدها عذراء، وولد منها إفراهيم وميشا وَكَذَالِكَ كما أخرجناه من السجن مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ أرض مصر يَتَبَوَّءُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ينزل من بلادها حيث يهوي نُصِيْبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَO وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ من أجر الدنيا لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَO ع الشرك والفواحش وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ حين

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط أ و ج، والتصويب من ب.

دخلت سنون القحط من أرض كنعان[1] والشام ليمتاروا غير بنيامين فَدَخَلُوْا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُوْنَO لطول العهد: وهو أربعون سنة، فأكرمهم وأنزلهم، وسألهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم؟ قالوا: جئنا للميرة، قال: لعلكم عيون؟ قالوا: معاذ الله، قال: من أين أنتم؟ قالوا: كنعان، وأبونا يعقوب؛ نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثنا عشر، فذهب أصغرنا، هلك في البير، وكان أحبّنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه لتسلّي به عنه وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ أي: أصلحهم لعدّتهم، ووفّى كيلهم، وأعطى كل واحد حمل بعير [ص358] قَالَ ائْتُوْنِيْبِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيْكُمْ أي: بنيامين أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيْ أُوْفِي الْكَيْلَ أتم من غير بخس وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَO للضيف فَإِنْ لَّمْ تَأْتُوْنِيْ بِهِ فَلَا كَيْلَ أي: ميرة لَكُمْ عِنْدِيْ وَلَا تَقْرَبُوْنِO قَالُوْا سَنُرَاوِدُ عَنْه أَبَاهُ سنجتهد في طلبه من أبيه وَإِنَّا لَفَاعِلُوْنَO ذلك، قال: دعوا بعضكم رهنا، فأقرعوا، فأصاب شمعون وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ لغلمانه الكيالين، وفتيان وفتية جمع فتى، كإخوان وإخوة جمع أخ اجْعَلُوْا بِضَاعَتَهُمْ أي: ثمن الميرة، وكانت دراهم أو بغالا وأدما، والأول أليق بالدس فِيْ رِحَالِهِمْ أوعيتهم لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُوْنَهَا يعرفون حق ردها بإعطاء البدلين إِذَا انْقَلَبُوْا إِلَى أَهْلِهِمْ وفتحوا أوعيتهم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO بأداء الأمانة، أو بوجدان البضاعة بعد ما فقدوا فَلَمَّا رَجَعُوْا إِلَى أَبِيْهِمْ قَالُوْا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ أي: حكم بمنعه بعد ذلك إن لم يذهب بنيامين فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ نرفع المانع من الكيل وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَO عن أن يناله مكروه قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيْهِ مِنْ قَبْلُ وقلتم فيه: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾[2]، وفعلتم ما فعلتم فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا حال أو تميز وَّهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَO فأتوكل عليه تعالى، وأرجو أن يمن عليّ بحفظه وَلَمَّا فَتَحُوْا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوْا بِضَاعَتَهُمْ ثمن الميرة رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوْا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِيْ ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك إكرامنا وأحسن مثوانا؟ وباع منا، وردَّ علينا هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا استيناف موضح لقوله: مَا نَبْغِيْ؟

1- كنعان: الشام منازل الكنعانيين، وأما الأزهري فقال: كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وهذا مستقيم حسن: وهو من أرض الشام، قال بعضهم: كان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ، وكان مقام يعقوب بأرض نابلس وبه الجبّ الذي ألقي يوسف فيه معروف بين سنجل ونابلس عن يمين الطريق، وكان مقام يعقوب، عليه السّلام، في قرية يقال لها سيلون، وقال أبو زيد: كان مقام يعقوب بالأردنّ، وكل هذا متقارب، وهو عجميّ وله في العربية مخارج، يجوز أن يكون من قولهم: أكنع به أي أحلف، أو من الكنوع وهو الذل، أو من الكنع وهو النقصان، أو من الكانع وهو السائل الخاضع، أو من الكنيع وهو المائل عن القصد، أو من الأكنع والكنيع وهو الذي تشنّجت يده وغير ذلك. الحموي: المرجع السابق. 484/4.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ سورة يوسف، الآية: 12.

رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيْرُ أَهْلَنَا أي: نأتي بالميرة لهم، وهو طعام يجلب من غير هلاك، معطوف على محذوف، أي: ردت إلينا، فننظر بها، ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك وَنَحْفَظُ أَخَانَا عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيْرٍ لأخينا ذَالِكَ كَيْلٌ يَّسِيْرٌO سهل على الملك لسخائه، لا يتعاظمه قَالَ لَنْ [ص359] أُرْسِلَه مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوْنِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ أي: عهدا مؤكدا بذكر الله لَتَأْتُنَّنِيْ بِهِ جواب القسم، إذ المعنى: حتّى تحلفوا بالله لتأتنني به إِلَّا أَنْ يُّحَاطَ بِكُمْ أي: أن تغلبوا، فلا تطيقوا الإتيان فَلَمَّاآتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قيل: بالله رب محمد قَالَ يعقوب: اللهُ عَلَى مَا نَقُوْلُ نحن وأنتم في طلب الموثق وإتيانه وَكِيْلٌO رقيب مطلع وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوْا مِنْ بَابٍ وَّاحِدٍ وَّادْخُلُوْا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ لأني أخاف عليكم العين، لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهّة، مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانوا، أما في الكرة الأولى فكانوا مجهولين وَمَا أُغْنِيْ عَنْكُمْ مِّنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ مما قضى عليكم، فإن الحذر لا يمنع القدر، ومن الثانية زائدة إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَO التوكل: تفويض الأمر إلى الله تعالى، والاعتماد عليه، والفاء يشعر بتسبب فعل النبي عليه السلام لفعل من يقتدي به وَلَمَّا دَخَلُوْا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوْهُمْ أي: متفرقين مَا كَانَ يُغْنِيْ يدفع دخولهم على طبق رأي يعقوب واتباعهم له عَنْهُمْ مِّن قضاء اللهِ مِنْ زائدة شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً استثناء منقطع، بمعنى لكن، وهي الشفقة عليهم وحرازته من أن يعانوا فِيْ نَفْسِ يَعْقُوْبَ قَضَاهَا أظهرها، ووصّى بها وَإِنَّهُ لَذُوْ عِلْمٍ بأن الحذر لا يمنع القدر لِمَا عَلَّمْنَاهُ بالوحي، ولذلك قال عليه السلام: وما أغنى عنكم من الله من شيء، ولم يغتر بتدبيره وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ الكفار لَا يَعْلَمُوْنَOع سر القدر وَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَى يُوْسُفَ آوَى ضم إِلَيْهِ أي: إلى نفسه أَخَاهُ أي: بنيامين، روي أنه أضافهم، فأجلسهم مثنى، فبقي بنيامين وحيدا، فبكى، وقال: لو كان أخي [ص360] يوسف لجلس معي، فأجلسه معه، ثم بيّتهم مثنى، فبقي وحيدا، فقال: لا ثاني له، فبيته عنده، وقال له: أ تحب أن أكون أخاك بدل أخيك؟ قال: من يجد أخا مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وعانقه قَالَ إِنِّيْ أَنَا أَخُوْكَ فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن، افتعال من البؤس بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO بنا من الحسد، وأمر أن لا تعلمهم مما أعلمتك، وأطلعه على حيلة، يكون بها بنيامين عنده، قال بنيامين: افعل ما بدء لك فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ المشربة من الفضة أو الذهب، قيل: كان يسقي بها، ثم جعلت صاعا، يكال به الطعام لغرته فِيْ رَحْلِ أَخِيْهِ بنيامين ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف أَيَّتُهَا الْعِيْرُ أي: القافلة إِنَّكُمْ لَسَارِقُوْنَO كناية عن سرقتهم: يوسف عن أبيه من قبل قَالُوْا وَأَقْبَلُوْا عَلَيْهِمْ مَّاذَا ما الذي؟ تَفْقِدُوْنَO مقولة القول قَالُوْا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ أي: صاعه وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيْرٍ أي: لمن حصّله قدر حمل البعير

جُعلا وَّأَنَا بِهِ زَعِيْمٌO مقول المنادي، أي: إني كفيل بذلك الحمل قَالُوْا تَاللهِ قسم، فيه معنى التعجب لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ جعلوا علمهم شاهدا على عدم إفسادهم، حيث ردوا البضاعة التي وجدوا في رحالهم، وشدوا أفواه الرحال لئلا يتناول زرعا أو طعاما من أهل السوق وَمَا كُنَّا سَارِقِيْنَO قَالُوْا أي: المنادي وأصحابه فَمَا جَزَاؤُهُ أي: السارق إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِيْنَO في قولكم: ما كنا سارقين قَالُوْا جَزَاؤُهُ مبتداء مَنْ وُّجِدَ المسروق فِيْ رَحْلِهِ خبر فَهُوَ جَزَاؤُهُ أي: السارق نفسه جزاؤه، تأكيد لقوله: جزاؤه من وجد في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب إن يسترق سنة، أو من وجد مبتداء متضمن لمعنى الشرط، وفهو جزاؤه خبره، والشرطية [ص361] خبر المبتداء كَذَالِكَ نَجْزِي الظَّالِمِيْنَO السارقين بالاسترقاق فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ شرع المنادي بتفتيش أوعيتهم قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيْهِ بنيامين ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا أي: الصواع، يذكر ويؤنث، أو بتأويل السقاية مِنْ وِّعَاءِ أَخِيْهِ لئلا يتهم كَذَالِكَ مثل هذا الكيد العظيم كِدْنَا لِيُوْسُفَ علمناه إياه بالوحي في أخذ أخيه مَا كَانَ يوسف لِيَأْخُذَ أَخَاهُ رقيقا فِيْ دِيْنِ الْمَلِكِ شريعته، لأن الحكم في دين ملك مصر للسارق الضرب؛ وتغريم مثلي المسروق؛ لا الاسترقاق إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللهُ لكن أخذه بحكم يعقوب، حيث ألهمه سؤال إخوته بقوله: فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِيْنَ، فأجابوا بما هو عندهم من الحكم الاسترقاق، أو ما كان يأخذ أخاه في دين الملك في حالة من الأحوال إلا حال أن يجعل الله ذلك الحكم حكم الملك أيضا نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ في صفة العلم، كدرجة يوسف وَفَوْقَ كُلِّ ذِيْ عِلْمٍ من المخلوقين عَلِيْمٌO هو أعلم منهم قَالُوْا إِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ يعنون يوسف، فإنه كان تمثال ذهب يعبده أبو أمه، فكسره، ودفنه أو منطقة من إبراهيم شدته عمته، لئلا ينتزع بعد حضانته عنها، فيصير مملوكا لها لغلبة محبتها إياه فَأَسَرَّهَا مقالتهم يُوْسُفُ فِيْ نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لم يظهرها لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا منزلة في السرقة من يوسف بسرقتكم أخاكم يوسف من أبيه، وظلمكم عليه وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُوْنَO تذكرون في أمره قَالُوْا يَا أَيُّهَا الْعَزِيْزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيْرًا في السن أو القدر فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ بدله رهنا أو استرقاقا، فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود إِنَّ نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَO إلينا، فاتمم إحسانك قَالَ يوسف مَعَاذَ اللهِ [ص362] أي: نعوذ بالشر معاذا أَنْ نَّأْخُذَ أحدا إِلَّا مَنْ وَّجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ على فتواكم، ولم يقل: من سرق تحرزا عن الكذب إِنَّا إِذًا أي: إن أخذنا غيره مكانه لَظَالِمُوْنَOع فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوْا أي: يئسوا مِنْهُ من يوسف خَلَصُوْا انفردوا عن الازدحام نَجِيًّا يناجي بعضهم بعضا، مصدر، يصلح للواحد وغيره قَالَ كَبِيْرُهُمْ سنا، أي: روبيل، أو رأيا: يهودا، أو رياسة: شمعون أَلَمْ تَعْلَمُوْا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقًا عهدا في حفظ أخيكم مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُّمْ ما زائدة أو مصدرية في محل النصب، بتعلموا ولا بأس بالفصل بالظرف بين المعطوف والمعطوف عليه، أي: قصرتم فِيْ يُوْسُفَ

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ أفارق أرض مصر حَتَّى يَأْذَنَ لِيْ أَبِيْ بالانصراف إليه أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِيْ أي: بخلاص أخي منهم، أو بالخروج منها، أو بالموت، أو بالقتال وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَO لا يحكم إلا بالعدل إِرْجِعُوْا إِلَى أَبِيْكُمْ فَقُوْلُوْا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا عليه بالسرقة إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا يقينا خروج الصاع من رحله وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ لما غاب عنا عند إعطاء الموثق حَافِظِيْنَO ولو علمنا أنه سرق ما أعطيناك موثقا، أو ما كنا لباطن الحال حافظين، فلا ندري أنه سرق أو دُسَّ الصاع في رحله وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ أي: أهلها الَّتِيْ كُنَّا فِيْهَا أي: مصر، عن هذا الخبر وَاسئل الْعِيْرَ القافلة الَّتِيْ أَقْبَلْنَا فِيْهَا إلى كنعان وَإِنَّا لَصَادِقُوْنَO في قولنا وخبرنا، فرجعوا إليه، وقالوا له ذلك قَالَ يعقوب: اتهاما لهم بَلْ سَوَّلَتْ زينت وسهلت لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا كما فعلتم في يوسف، وإلا فمن أدري ذلك الرجل أن السارق يسترقُّ لولا فتواكم فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ أي: فشأني صبر جميل؛ لا شكوي فيه إلى غير الله عَسَى اللهُ أَنْ يَّأْتِيَنِيْ [ص363] بِهِمْ جَمِيْعًا يوسف وبنيامين وبكبيركم إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ بحزن قلبي الْحَكِيْمُO في الابتلاء بهذه البلية وَتَوَلَّى أعرض عَنْهُمْ تخاطبا لما صارف عنهم وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوْسُفَ الألف مبدلة من ياء الإضافة، أي: يا حزني على يوسف؛ ادركني وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ وهو سبب البكاء، وتواترت العبرات، محقت سواد العين، فعميت، وقيل: ضعفت فَهُوَ كَظِيْمٌO مملو من الغيظ على أولاده؛ ولكن لا يظهر كربه وغمه قَالُوْا تَاللهِ لا تَفْتَئُوا أي: لا تزال تَذْكُرُ يُوْسُفَ حتَّى تَكُوْنَ حَرَضًا مشرفا على الهلاك بطول مرضك، مصدر يستوي فيه الواحد والغير أَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَO أي: الموتى قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوْا بَثِّيْ وَحُزْنِيْ إِلَى اللهِ وهو النافع لا إلى غيره، والبث: أصعب الهم للناس، لا يصبر عليه صاحبه، فيبثه إلى الناس وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO أنه لا يخيب داعيه، قيل: رأى في المنام ملك الموت، فسأله عن قبض روح يوسف، قال: هو حي، فاطلبه، وعلّمه هذا الدعاء: يا ذا المعروف الدائم؛ الذي لا ينقطع معروفه أبدا، ولا يحصيه غيره؛ فرّج عني. كذا في المدارك[1] يَا بَنِيَّ اذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُّوْسُفَ وَأَخِيْهِ تعرفوا أو تطلبوا خبرهما، تفعّل من الإحساس وَلَا تَيْئَسُوْا لا تقنطوا مِنْ رَّوْحِ اللهِ من رحمته إِنَّهُ أي: الشأن لَا يَيْئَسُ لا يقنط مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَO فانطلقوا إلى مصر ثانيا مع كتاب يعقوب إلى الملك فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ على يوسف قَالُوْا يَا أَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ شدة الجوع وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ مدفوعة يدفعها كل من رآه لاحتقارها، وكانت دراهم زيوفا من أزجيته إذا دفعته فَأَوْفِ لَنَا أتمم [ص364] لنا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بالمسامحة والإغماض عن المزجاة إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَO أحسن الجزاء، واختلف في حرمة الصدقة، أي: مخصوصة بنبينا، أو تعم الأنبياء والصدقة في العرف: التفضل بقصد الثواب، فرق عليهم، وأدركته

1 -النسفي: المرجع السابق. 130/2.

الرحمة، وفاضت عيناه، ولم يتمالك رفع الحجاب، وعرفهم نفسه قَالَ يوسف لهم توبيخا هَلْ عَلِمْتُمْ قبح مَا فَعَلْتُمْ بِيُوْسُفَ من الضرب والبيع وَأَخِيْهِ من الفرقة والإذلال بعد أخيه إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُوْنَO بقبح صنيعتكم بهما، أو أول أمر يوسف إلى هذا الشأن، فأسرعوا بالتوبة قَالُوْا بعد معرفة ما ءَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوْسُفُ استفهام تقرير، طلبوا الإثبات لما رأوا تفاوتا جليا بين ما تركوه عليه وبين هذه المكنة قَالَ أَنَا يُوْسُفُ وَهٰذَا أَخِيْ ذكره تعريفا لنفسه به قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بالألفة بعد الفرقة إِنَّهُ الشأن مَنْ يَّتَّقِ الله عن المعاصي وَيَصْبِرْ على البليات فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَO وضع الظاهر موضع المضمر، إشارة إلى أن الإحسان جمع بينهما قَالُوْا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ اختارك وأعزك عَلَيْنَا بالملك وغيره؛ من الصورة والسيرة وَإِنْ مخففة كُنَّا لَخَاطِئِيْنَO في أمرك، فأذلنا بين يديك قَالَ لَا تَثْرِيْبَ لا تغيير لا عتاب عَلَيكُمُ الْيَوْمَ أول أيام اللقاء، فكيف باقي الأيام؟ أو ظرف بقوله يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَO لا يدع الكبائر والصغائر إلا غفر إِذْهَبُوْا بِقَمِيْصِيْ هٰذَا وهو قميص إبراهيم حين ألقى في النار، كان في عنقه في الجب، أمر جبرائيل عليه السلام بإرساله، لأن ريح الجنة لا يقع على مبتلي ولا سقيم إلا عوفي فَأَلْقُوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِيْ يَأْتِ يصير بَصِيْرًا وَأْتُوْنِيْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِيْنَO[ع] ليروا ملكي، كما سمعوا هلكي وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ القافلة من عريش مصر قَالَ أَبُوْهُمْ لمن حوله [ص365] إِنِّيْ لَأَجِدُ رِيْحَ يُوْسُفَ من مفاصله ثمانية مراحل لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُوْنِO أي: لولا تفنيدكم إياي؛ لصدقتموني هذا القول مني، التنفيد: إنكار العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، أي: لا عقل له قَالُوْا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِيْ ضَلَالِكَ خطاءك الْقَدِيْمِO[الربع] من إفراط المحبة ورجاء اللقاء فَلَمَّا أَنْ زائدة جَاءَ الْبَشِيْرُ يهودا، وهو كان حاملا لقميص الدم أوّلا، فأفرح كما أترح أوّلا أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ طرح القميص عليه فَارْتَدَّ رجع بَصِيْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيْ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO وهو قوله: إني لأجد ريح يوسف عليه السلام، أو ولا تيئسوا من روح الله قَالُوْا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوْبَنَا من الله تعالى إِنَّا كُنَّا خَاطِئِيْنَO فيك وفي ابنك قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ التسويف إما لوقت الإجابة، أو ليعرف صدق توبتهم، أو ليسأل عن يوسف، هل عفا؟ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُO ثم توجهوا إلى مصر، وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الخيل؛ استقبالا ليعقوب، وهو يمشي متكأ على يهودا فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَى يُوْسُفَ في عيره مصر في مضرب أو قصر خارجه آوَى ضم إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ أباه وأمه على رواية، وقيل خالته وَقَالَ لهم ادْخُلُوْا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِيْنَO من القحط وعن كل جائر، وجلس على السرير وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ أجلسهما عَلَى الْعَرْشِ أي: السرير وَخَرُّوْا أبواه وإخوته لَهُ سُجَّدًا قيل: سجود انحناء، وقيل بوضع الجبهة على الأرض ـ وكان التحية ذلك اليوم هكذا ـ وقيل: الخرور لأجله والسجود على الأرض، شكرا لله وعلى التقادير، السجود مقدم على الرفع، وإنما قدم في الذكر

للاهتمام بتعظيمه وَقَالَ يَا أَبَتِ هٰذَا تَأْوِيْلُ رُؤْيَايَ مِنْ قِبْلُ في أيام الصبي قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًّا صدقا، وكان بين الرؤيا وبين [ص366] التأويل أربعون سنة، أو أزيد أو أنقص منه وَقَدْ أَحْسَنَ بِيْ إِذْ أَخْرَجَنِيْ مِنَ السِّجْنِ ولم يقل من البئر؛ لئلا تخجل إخوته، وقد قال: لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ البادية مِنْ بَعْدِ أَنْ نَّزَغَ أفسد الشَّيْطَانُ بَيْنِيْ وَبَيْنَ إِخْوَتِيْ إِنَّ رَبِّيْ لَطِيْفٌ لِّمَا يَشَاءُ أي: لطيف التدبير إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيْمُ بتأخير الآمال إلى الآجال الْحَكِيْمُO بالايتلاف بعد الاختلاف، وأقام يعقوب عنده أربعة وعشرين سنة، ومدة فراقه: ثماني عشر أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت، فأوصي أن يحمله ويدفنه عند إسحاق، فمضي بنفسه، وعاد إلى مصر، وأقام ثلاثا وعشرين سنة، وعلم أن لا يدوم أمره، قال: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِيْ مِنَ الْمُلْكِ بعضه أي: ملك مصر وَعَلَّمْتَنِيْ مِنْ تَأْوِيْلِ الْأَحَادِيْثِ بعض تفسير كتب الله، أو التعبير الرؤيا، يا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خالقهما أَنْتَ وَلِيِّ متولي مصالحي فِيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِيْ مُسْلِمًا وَّأَلْحِقْنِيْ بِالصَّالِحِيْنَO من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعا، ومات، وله مائة وعشرين سنة، وولد له إفرائيم وميشا، ورحمت؛ امرأة أيوب، وولد لإفرئيم نون، ولنون يوشع، وتوارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على دين يوسف وآبائه، وتخاصم أهل المصر في دفنه؛ تبركا بقبره، فعملوا صندوقا من مرمر، ودفنوه في أعلى النيل؛ ليعم البركة، ونقل موسى عليه السلام بعد أربع مائة سنة تابوته إلى بيت المقدس ذَالِكَ المذكور من أمر يوسف مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ عنك يا محمد! عليك الصلاة والسلام نُوْحِيْهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ لدى إخوة يوسف إِذْ أَجْمَعُوْا أَمْرَهُمْ بما هموا من إلقاء يوسف في الجب وَهُمْ أي: إخوة يوسف يَمْكُرُوْنَO به [ص367] وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ أي: أهل مكة وَلَوْ حَرَصْتَ اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم بهم بِمُؤْمِنِيْنَO وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ على الأنباء أو القرآن مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة لِّلْعَالَمِيْنَOع وَكَأَيِّنْ مِّنْ اٰيَةٍ علامة على التوحيد فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّوْنَ عَلَيْهَا على الآيات أو على الأرض، ويشاهدونها وَهُمْ عَنْهَا أي: عن الآيات مُعْرِضُوْنَO لا يعتبرون، ولا يتفكرون فيها وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُوْنَO أي: يقرون بالله؛ وأنه خالق السَّماوات والأرض؛ وأنه الرزاق ذو القوة المتين مع ذلك يشركون بعبادة الأصنام أَفَأَمِنُوْا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ عقوبة تغشيهم مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً فجأة وَّهُمْ لَا يَشْعَرُوْنَO بإتيانها قُلْ لهم هٰذِهِ سَبِيْلِيْ دعوتي إلى الإيمان، طريقي أَدْعُوْا إِلَى دين اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ حجة واضحة أَنَا تأكيد للمستتر في أدعو وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ في التوحيد، عطف على أنا وَسُبْحَانَ اللهِ تنزيها له عن الشركاء وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا لا ملائكة ولا نساءا نُّوْحِيْ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى فإنهم أعلم وأحلم لا أهل البوادي؛ إذ فيهم الجهل والجفاء أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا أي: أهل مكة فِي الْأَرْضِ في تجاراتهم إلى الشام فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من المكذبين بالرسل وَلَدَارُ الْآخِرَةِ أي: لدار الساعة الآخرة، أي: الجنة خَيْرٌ لِّلَّذِيْنِ اتَّقَوْا الشرك أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO يا أهل مكة فتؤمنون بالله وحده، ونحن أرسلنا الرسل فتراخي نصرهم حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ أيسوا عن [ص368] النصر وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوْا وتيقنوا التكذيب من الأمم جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ من المهلكة مَنْ نَّشَاءُ أي: الموحدين وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عذابنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَO المشركين لَقَدْ كَانَ فِيْ قَصَصِهِمْ أي: الرسل وأممهم عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ القرآن حَدِيْثاً يُّفْتَرَى مختلفا وَلٰكِنْ كان تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب السماوية وَتَفْصِيْلَ تبيين كُلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه في الدين وَهُدًى من الضلالة وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO[ع] لأنهم هم المنتفعون.

سورة الرعد مدنية، خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمّٓرٰ الله أعلم بمراده تِلْكَ آيات السورة آيَاتُ الْكِتَابِ الإضافة بمعنى من، أي: من القرآن وَالَّذِيْ مبتداء أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ لا ريب فيه، خبر مبتداء وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أهل مكة لَا يُؤْمِنُوْنَO به، بل يقولون: يقوله محمد عليه السلام اَللّٰهُ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ خلقها مرفوعة؛ لأبعد خفض بِغَيْرِ عَمَدٍ جمع عماد أو عمود، بمعنى: أسطوانة تَرَوْنَهَا قيل: صفة عمد، وهو صادق بأن لا عمد أصلا، فالضمير إلى العمد أو الضمير إلى السماوات، أي: ترونها كذلك، أي: بغير عمد ثُمَّ اسْتَوَى استواءا يليق بشأنه عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ ذلل الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لمصالح العباد والبلاد كُلٌّ منهما يَجْرِيْ في فلكه لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يوم القيامة يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يقضي أمر ملكه يُفَصِّلُ الْآيَاتِ الدالة على توحيده وبعثه لَعَلَّكُمْ يا أهل مكة بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ بعد البعث تُوْقِنُوْنَO وَهُوَ الَّذِيْ مَدَّ الْأَرْضَ بسطها وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ خلق جبالا ثوابت وَأَنْهَارًا جارية [ص369] وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جعَلَ فِيْهَا في الثمرات زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ تأكيد الضدين من كل نوع، كالأسود والأبيض؛ والصغير والكبير؛ والحلو والحامض يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يلبسه مكان النهار، فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ على الوحدانية لِقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO في صنائعه تعالى وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ بقاع مُّتَجَاوِرَاتٌ متلاصقات مع الاختلاف في الطيبة والسبخة، وقليل الريع وكثيره، والرخوة والصلبة مِنْ أَعْنَابٍ وَّزَرْعٌ وَّنَخِيْلٌ صِنْوَانٌ جمع صنو، وهي النخلة التي بها رأسان على أصل واحد، ومنه يقال: العم صنو أبيه وَغَيْرُ صِنْوَانٍ مختلفة الأصول يُسْقَى بِمَاءٍ وَّاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ في الثمر إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ دالة على الصانع الواحد، الموصوف بالصفات الكاملة لِقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO وَإِنْ تَعْجَبْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام من قولهم بإنكار البعث فَعَجَبٌ خبر قَوْلُهُمْ مبتداء، أي: قولهم حقيق، بأن يتعجب منه، لأن من شأنه في الإبداء هذا، فالإعادة عليه أهون وأيسر ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا ءَإِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ

جَدِيْدٍ بدل من قولهم أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ الْأَغْلَالُ إغلال: الضلال في الدنيا، وإغلال: النكال في العقبى فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO لما سألوا رسول الله: أن يأتيهم بالعذاب استهزاءا منهم بالإيذاء، نزل: وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالسَّيِّئَةِ بالعقوبة والنقمة قَبْلَ الْحَسَنَةِ الرحمة والعافية وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ جمع المثلة؛ على وزن السمرة، بمعنى العقوبة، أي: خلت العقوبات في القرون الماضية على المستهزئين [ص370] وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ أنفسهم بالذنوب؛ وإلا لم يترك على ظهر الأرض دابة، على بمعنى مع وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقَابِO لمن عصاه وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ كالعصا واليد والناقة وإحياء الأموات وتخليق الطير من الطين، كما أنزل للرسل الذين خلوا ولم يعتدوا بالقرآن، وإنه آية عظيمة من تلك الآيات إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مخوف لهم من سوء العاقبة كغيرك، وإنزال الآيات بيد الله وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍO[ع] داع من الأنبياء، مخصوص بآية لا بما يقترحون اللهُ يَعْلَمُ كيفية مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى من ذكورة وأنوثة، وتمام وخداج، وحسن وقبح، وطول وقصر، وبياض وسواد وغير ذلك من العدد وَمَا تَغِيْضُ الْأَرْحَامُ ما تنقص من مدة الحمل وَمَا تَزْدَادُ منها، فإنها تكون أقل من تسعة أشهر، وأزيد عليها إلى سنتين عندنا؛ وإلى أربع عند الشافعي؛ وإلى خمس عند مالك وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍO بحد وقدر؛ لا يتجاوزه عَالِمُ الْغَيْبِ ما غاب عنكم وَالشَّهَادَةِ ما شهد عندكم الْكَبِيْرُ العظيم الْمُتَعَالِO المستعلي على خلقه بالقهر والغلبة سَوَاءٌ مِّنْكُمْ إحاطة علمه مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ في نفسه وَمَنْ جَهَرَ بِهِ بالقول وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ طالب للخفاء بِاللَّيْلِ لظلامه وَمن هو سَارِبٌ بارز، أو عطف على من هو بِالنَّهَارِO يراه كل أحد لَهُ لمن أسر وجهر وخفي وسرب مُعَقِّبَاتٌ جماعات الملائكة بعضهم يعقب بعضا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قدامه وَمِنْ خَلْفِهِ ورائه يَحْفَظُوْنَهُ مِنْ أَمْرِاللهِ إما متعلق بمعقبات، أو يحفظونه، أي: من أجل أمر الله إياهم بحفظه، أو الأمر بمعنى الضرر، أي: من بأس الله ونقمته كالجن وغيرهم إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ من العافية والنعمة حَتَّى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الخصلة الحسنة [ص371] بالسيئة، والجميلة بالقبيحة وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءً عذابا فَلَا مَرَدَّ لَهُ أي: لا رد له، أي: لا يدفعه شيء وَمَا لَهُمْ إذا أراد بسوء مِّنْ دُوْنِهِ تعالى مِنْ وَّالٍO ممن يلي أمرهم، ويمنعهم عن سوءه، ويدفع عنهم عذابه هُوَ الَّذِيْ يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا من الصواعق وَطَمَعًا في المطر وَيُنْشِئُ السَّحَابَ في الجو، اسم جنس، بمعنى الجمع الثِّقَالَO بالماء، جمع ثقيل وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ أي: تسبيح سامعوه، أو هو اسم ملك مؤكل بالسحاب، يسوقه بمخاريق النار، والصوت الذي يسمع زجرة السحاب حتّى ينتهى إلى حيث أمر ملتبسا بِحَمْدِهِ يقول: سبحان الله وبحمده وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ هيبته تعالى وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ جمع صاعقة، نار تخرج من السحابة فَيُصِيْبُ بِهَا بتلك النار مَنْ يَّشَاءُ فيحرقه، نزل في رجل بعث النبي عليه السلام إليه من

يدعوه، فقال للداعي: من رسول الله؟ وما الله؟ أ من ذهب أو فضة أو نحاس؟ فنزلت: صاعقة، فذهبت بقحف رأسه وَهُمْ أي: الكفار يُجَادِلُوْنَ يخاصمون النبي عليه السلام بالشدة فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيْدُ الْمِحَالِO المماحلة: شدة المماكرة والمكائدة، ومنه التحمل التكلف في الحيلة، أي: يأتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون لَهُ تعالى دَعْوَةُ الْحَقِّ أي: كلمة التوحيد، وقيل: ضد الباطل، فدعوة الغير دعوة الباطل، لايجيبه المدعو وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ تعالى، أي: الأصنام أو المشركون الذين يدعون الأصنام لَا يَسْتَجِيْبُوْنَ لَهُمْ بِشَيْءٍ استجابة من المطالب إِلَّا استجابة كَبَاسِطِ كاستجابة باسط كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ الماء من قعر البير فَاهُ أي: كاستجابة الماء لمن بسط الكفين إلى الماء؛ وهو على شفير البير؛ ليبلغ فمه وَمَا هُوَ أي: الماء بِبَالِغِهِ لأن الماء جماد، لا يشعر {بما يدعو}[1] ببسط كفيه، ولا بعطشه، فلا يبلغ [ص372] فاه وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِيْنَ إِلَّا فِيْ ضَلَالٍO ضياع، لا منفعة فيه وَلِلهِ يَسْجُدُ إما حقيقة أو انقياد هم طوعا وكرها؛ لما أراد الله منهم مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا كالمؤمنين والملائكة وَكَرْهًا كالمنافقين والكافرين من خوف السيف وغيره وَيسجد ظِلَالُهُمْ بتصريفه بالمد، والتقليص في هذين الوقتين بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِOالسجدة جمع غداوة وأصيل، أي: الإبكار والعشي، أي: الدوام قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلام لقومك مَنْ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ هذا هو الجواب؛ وإن لم يقولوا به قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ أي: أ بعد علمكم؟ أنه رب السَّماوات والأرض أخذتم غير الله، أي: الأصنام آلهة تعبدونها لَا يَمْلِكُوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا فكيف للغير؟ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى المشرك وَالْبَصِيْرُ الموحد أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ الشرك وَالنُّوْرُ التوحيد أَمْ جَعَلُوْا بل اجعلوا، والهمزة للإنكار لِلهِ شُرَكَاءَ أي: الأصنام خَلَقُوْا صفة شركاء كَخَلْقِهِ تعالى فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ أي: خلق الله وخلق الأصنام، فاشتبه عليهم: على المشركين مخلوق الله بمخلوق الشركاء، فأخذوا في عبادتهم، كما تعبدون الله، بل لا خلق لهم أصلا، فبم يشابهون الله؟ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا شريك له في صفة التخليق، فلا شريك له في العبادة وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُO فهو الغالب، وما سواه مغلوب أَنْزَلَ تعالى مِنَ السَّمَاءِ أي: السحاب مَاءً مطرا فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ جمع واد، وهو مسيل الماء بِقَدَرِهَا بمقدار الأودية، الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار أو بقدرها صغيرا وكبيرا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا وهو ما علا على وجه [ص373] الماء من الرغو رَابِيًا عاليا على الماء وَمِمَّا من ابتدائية، أي: من الجواهر الأرضية كالذهب والفضة والنحاس يُوْقِدُوْنَ عَلَيْهِ ثابتا فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ حال من ضمير يوقدون، أي: مبتغين الحلي أَوْ مَتَاعٍ كالأواني وأمثال ذلك زَبَدٌ مبتداء، والخبر مما يوقدون مِثْلُهُ أي: مثل زبد الماء، فهو صفة زبد كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللهُ مثل الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ في

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

الماء والفلزات فَيَذْهَبُ جُفَاءً ضائعا وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ يبقى فِي الْأَرْضِ أي: كما أن على السيل زبد؛ كذلك على الجواهر الأرضية زبد، إذا أذيبت تنفيه الكير فألحق مثل الماء، ومثل الجواهر الأرضية التي صنعت منها الحلي والمتاع تثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار والجواهر في الأرض مدة طويلة ينتفع الناس بهما، والباطل مثل الزبدين يذهب جفاءا مثلا شيئا باطلا مرميا به كَذَالِكَ المذكور يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَO ليتميز الحق من الباطل لِلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى المثوبة، كلام مستأنف، الحسنى مبتداء، وللذين استجابوا، أي: المؤمنون خبره وَالَّذِيْنَ أي: الكافرون لَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهُ لربهم مبتداء، خبره لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا من الأمتعة وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ من عذاب الله أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوْءُ الْحِسَابِ المناقشة فيه من غير مغفرة ومسامحة وَمَأْوَاهُمْ بعد المحاسبة جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُOع النصف الفراش جهنم، وقيل: اللام متعلق بيضرب الله، والحسنى صفة مصدر، أي: الاستجابة الحسنى، وتم الكلام إلى قوله: لم يستحيبوا تمثيلا بكلا الفريقين، ولو مع ما في خيره كلام في ذكر ما أعد لغير المستجيبين أَفَمَنْ يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ [ص374] فآمن به كَمَنْ هُوَ أَعْمَى لا يعلم، فلا يؤمن، لا يستويان كالزبد والماء، والخبث والخلاصة إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ يتعظ به أُولُوا الْأَلْبَابِO الَّذِيْنَ يُوْفُوْنَ بِعَهْدِ اللهِ من الشهادة بربوبيته في جواب أ لست بربكم؟ وَلَا يَنْقُضُوْنَ الْمِيْثَاقَO بينهم وبين الله من مواثيق العبادة، تعميم بعد تخصيص وَالَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُّوْصَلَ من الأرحام والقرابات الإيمانية بحقوق بينهم وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ أي: وعيده وَيَخَافُوْنَ سُوْءَ الْحِسَابِO وَالَّذِيْنَ صَبَرُوا على الأوامر والنواهي ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ طلبا لرضاه؛ خالصة بوجهه الكريم؛ لا للرياء وَأَقَامُوْا الصَّلَاةَ داموا عليها وَأَنْفَقُوْا في الطاعات مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الحلال، وإن كان الحرام رزقا عندنا سِرًّا وَّعَلَانِيَةً نفلا وفرضا وَّيَدْرَءُوْنَ بِالْحَسَنَةِ يدفعون بها السَّيِّئَةَ كالجهل بالعلم، والأذى بالعفو أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِO أي: الجنات، لأنها عاقبة الدنيا، وهذه الثمانية كأنها أبوابها، الجملة خبر للموصولات، إن جعلت مبتداءا واستيناف، إن جعلت صفات لأولي الألباب جَنَّاتُ عَدْنٍ بدل من عقبى الدار، وخبر لمبتداء محذوف يَدْخُلُوْنَهَا وَمَنْ صَلَحَ أي: آمن مِنْ آبَاءِهِمْ وأمهاتهم وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُوْنَ عَلَيْهِمْ للتهنية بالهدايا وبشارة الرضى؛ في قدر كل يوم وليلة؛ ثلاث مرات مِّنْ كُلِّ بَابٍO من الجنة أو القصور، قائلين: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ هذا الثواب لكم بِمَا صَبَرْتُمْ عن الشهوات، وعلى أمر الله في الدنيا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِO الجنات وَالَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهِ [ص375] بالاعتراف بربوبيته وَيَقْطَعُوْنَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُّوْصَلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ بالكفر والظلم أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ البعد عن رحمة الله وَلَهُمْ سُوْءُ الدَّارِO أي: عذاب جهنم اللهُ يَبْسُطُ يوسع الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ يضيق لمن يشاء وَفَرِحُوْا أي: أهل مكة فرح بطر، لا سرور شكر بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا مما بسط لهم فيها وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِيْ جنب حياة الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌO ع شيء قليل، يمتع به ويذهب عن قريب وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة لَوْلَا هلا أُنْزِلَ عَلَيهِ على محمد صلى الله عليه وسلم آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ كالعصا واليد والناقة مع تواتر المعجزات وآيات القرآن التي هي أعلى المعجزات قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ بطلب الآيات المقترحات مع ظهور المعجزات وَيَهْدِيْ إِلَيْهِ إلى دينه مَنْ أَنَابَO رجع إليه بقلبه الَّذِيْنَ آمَنُوْا بدل مِن مَن أناب، أو هم الذين آمنوا وَتَطْمَئِنُّ تسكن قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ بنسيان غيره عند حضوره، أو بالقرآن، أو بوعده أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُO قلوب المؤمنين الَّذِيْنَ مبتداء آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبَى لَهُمْ خبر مبتداء، واللام للبيان، وهي مصدر طاب يطيب، كبشرى، والواو عن ياء، معناه أصابوا خيرا، أو شجرة في الجنة ذات ظل ظليل وَحُسْنُ مَآبٍO {مرجع}[1] كَذَالِكَ كما أرسلنا الرسل قبلك أَرْسَلْنَاكَ فِيْ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِم لتقراء الَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أي: القرآن وَهُمْ يَكْفُرُوْنَ بِالرَّحْمٰنِ حيث قالوا: وما الرحمن؟ إذ أمر وبسجوده، وهو البليغ الوسيع في الرحمة قُلْ لهم هُوَ رَبِّيْ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في [ص376] نصرتي عليكم وَإِلَيْهِ مَتَابِO مرجعي، قالوا إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة حتّى نزرع، ونتخذ بساتين، وقطع الأرض تنبع أنهارا وعيونا؛ نسقي بها، وابعث قصي بن كلاب يتكلم بنا في أنك نبي، فنزل: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ عن مقارها أَوْ قُطِّعَتْ شققت بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى جواب الشرط محذوف، أي: لكان هذا القرآن لكونه غاية في الإعجاز والتذكير والإنذار، إلا أنه لم يتعلق به إرادته، أو لما آمنوا به، ولما تنبهوا عليه، إذ لا يؤمن ويتنبه إلا من تعلقت مشيته تعالى بإيمانه وانتباهه، ولا ينفعه الآيات المقترحة، التي اقترحوا بطلبها من سير الجبل وقطع الأرض وتكلم الموتى بَلْ إضراب عن النفي المستفاد من كلمة لو لِلّٰهِ الْأَمْرُ القدرة لا لغيره جَمِيْعًا على كل شيء من الآيات المقترحة أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا أي: أيس الصحابة عن إيمان كفار مكة؛ مما رأوا من حالاتهم، أنهم لو أتى لهم الآيات المقترحة ما آمنوا لتماديهم في الجهل والغباوة وعدم تعلق المشية بإيمانهم علما منهم أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللهُ تعالى لَهَدَى النَّاسَ جَمِيْعًا إلا أنه ما شاء، وذهب أكثرهم أن ييأس بمعنى يعلم، على لغة قوم من النخع، أي: لم يعلم الصحابة الطامعون إيمانهم أنه قادر على أن لو يشاء لهدى الناس جميعا من غير آية مقترحة إلا أنه لم يتعلق المشية بهذا الأمر وَلَا يَزَالُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة تُصِيْبُهُمْ بِمَا صَنَعُوْا من الكفر ومعادات النبي عليه السلام قَارِعَةٌ داهية، تقرعهم بصنوف العذاب من الغارة، وخطف المواشي، والقتل، والأسر، والخرب، والحرق، والإجلاء أَوْ تَحُلُّ القارعة قَرِيْبًا مِّنْ دَارِهِمْ أي: مكة، فيتأثرون عن شرارها وشرورها حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ الموت أو فتح مكة أو القيامة، أو يقال:

---

1 ـ العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

تحل أنت قريبا من دارهم، أي: الحديبية حتّىيأتي الفتح إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَO[ع] وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ كما استهزؤا بك فَأَمْلَيْتُ أمهلت، أي: تركت ملاؤه من الزمان في دعة [ص377] وأمن لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِO فكذا حال من استهزاء بك، فيه وعيد لهم، وتسلية النبي عليه السلام أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ رقيب، أي: الله سبحانه عَلَى كُلِّ نَفْسٍ صالحة أو طالحة بِمَا كَسَبَتْ من خير أو شر، كمن ليس كذلك من الأصنام، أي: لا مماثلة بينهما، فهو احتجاج بليغ للتوحيد على الشرك وَجَعَلُوْا للهِ شُرَكَاءَ استيناف، أو عطف على كسبت؛ إن كان ما مصدرية، أولم يوجدوا مع عدم المماثلة، وجعلوا لله شركاء قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام سَمُّوْهُمْ أي: صفوهم له؛ من هم؟ هل يتأهلون للعبادة ويستحقونها؟ أَمْ لا بمعنى بل أَتُنَبِّئُوْنَهُ تخبرون الله بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ بشركاء، لا يعلمهم الله فيها، ولو كانوا فيها يعلمهم، إذ هو عالم السّماوات والأرض أَمْ تجعلون الشركاء بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ من غير اعتبار حقيقة، ومعنى في القول كالكافور للزنجي بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مَكْرُهُمْ كفرهم، وتمويهم الباطل وَصُدُّوْا عَنِ السَّبِيْلِ طريق الهدى وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍO لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالقتل والأسر وأمثال ذالك وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ أشد وأدوم وَمَا لَهُمْ مِّنْ عذاب اللهِ مِنْ وَّاقٍO حافظ ومانع مَثَلُ الْجَنَّةِ صفتها الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ بها، مبتداء والخبر فيما نقص عليكم أو قوله تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا ثمرها دَائِمٌ لا ينقطع وَظِلُّهَا دائم، لا تنسخه الشمس لعدم وجودها فيها تِلْكَ الجنة عُقْبَى منتهى وعاقبة الَّذِيْنِ اتَّقَوْا عن الشرك وَعُقْبَى الْكَافِرِيْنَ النَّارُO لا غير وَالَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ كعبد الله بن سلام وأضرابه يَفْرَحُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ من القرآن لموافقته ما عندهم وَمِنَ الْأَحْزَابِ من المشركين واليهود، الذين تحربوا [ص378] على معادات النبي عليه السلام مَنْ يُّنْكِرُ بَعْضَهُ وصف النبي وبعض الشرائع، ولا ينكرون الأقاصيص ومن الشرائع ما وافقهم قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وحده وَلَا أُشْرِكَ بِهِ وهذا القدر مشترك في جميع كتب الله، وما عدا ذالك من التفاريع، يختلف باختلاف الأمم والأعصار، فلا معنى لإنكاركم فيه إِلَيْهِ إلى الله أَدْعُوْ وَإِلَيْهِ مَآبِO مرجعي وَكَذَالِكَ مثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الدين المجتمع عليها أَنْزَلْنَاهُ أي: القرآن حُكْمًا عَرَبِيًّا حكمة يفصل القضايا بلغة العرب؛ ليسهل فهمه وحفظه، يرشد إلى التوحيد والدعوة إلى أحكام الدين والبعث وبشارة المؤمن وإنذار الكافر وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ فرضا بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بالتوحيد والشرائع مَا لَكَ مِن عذاب اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ ناصر وَّلَا وَاقٍO[ع] مانع عن عذابه، وكانوا يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الأزواج والأولاد، وكانوا يقترحون الآيات، وينكرون النسخ، نزل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَّذُرِّيَّةً أولادا، وأنت يا محمد مثلهم وَمَا كَانَ لِرَسُوْلٍ منهم أَنْ يَّأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لأنهم عبيد مربوبون لِكُلِّ أَجَلٍ وقت كِتَابٌO

حكم مكتوب على ما اقتضته الحكمة يَمْحُو ينسخ اللهُ منه مَا يَشَاءُ نسخه على مقتضى حكمته وَيُثْبِتُ ما يشاء من الأحكام وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِO اللوح المحفوظ وَإِمَّا أصله: إن ما، فأدغمت النون في الميم، وما زائدة مع الشرطية نُرِيَنَّكَ في حياتك بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ به من العذاب أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل تعذيبهم، أي: كيفما دارت الحال؟ إما بالإراءة أو بالتوفي فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ فحسب، فلا [ص379] يهمنك إعراضهم، ولا يستعجل بعذابهم وَعَلَيْنَا الْحِسَابُO إذا بعثوا إلينا أَوَلَمْ يَرَوْا أي: أهل مكة أَنَّا نَأْتِي نقصد الْأَرْضَ المعمورة بالكفر، أي: دار الحرب نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا بالفتح على النبي عليه السلام وإحاطة الإسلام وَاللهُ يَحْكُمُ عباده بما يشاء لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ لا راد له، وحقيقة المعقب المقضى بالرد والإبطال، ومنه يقال لصاحب الحق: معقب، لأنه يعقب الغريم بإبطال مبطله وَهُوَ سَرِيْعُ الْحِسَابِO لأن القيامة قريبة وَقَدْ مَكَرَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم بأنبيائهم؛ كما مكروا بك، والمكر: إدارة المكروه خفية فَللهِ الْمَكْرُ جَمِيْعًا لأنه يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ فيعد لها جزاءها، فيأتيهم من فورهم من حيث لا يشعرون، هذا هو المكر كله وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِO العاقبة المحمودة في الآخرة، ألهم أو للنبي وأصحابه؟ وَيَقُوْلُ لك الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ لهم كَفَى بِاللهِ شَهِيْدًا بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ على صدقي وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِOع من مؤمني اليهود والنصارى.

سورة إبراهيم مكية، إحدى وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓرٰO الله اعلم بمراده، هذا القرآن كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ بالدعوة إلى الله النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ الضلالات إِلَى النُّوْرِ الهدى بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بأمره وتسهيله إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِO بدل من إلى النور، فإنه طريق الغالب المحمود اللهِ مجرور بدل، أو عطف بيان، أو مرفوع مبتداء؛ وما بعده صفة، أو خبر على الترتيب الَّذِيْ لَهُ ملكا وخلقا وعبيدا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ اسم معنى كالهلاك، وهو نقيض الوأل، بمعنى النجاة، وقيل: اسم جبل في جهنم لِلْكَافِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍO الَّذِيْنَ [ص380] صفة الكافرين يَسْتَحِبُّوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يختارونها عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ يمنعون الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ دينه وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا الأصل: يبغون لها زيغا، فحذف وأوصل الفعل، أي: يطلبون لها مكتوبا ليقدحوا فيها أُولٰئِكَ فِيْ ضَلَالٍ بَعِيْدٍO عن الحق وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا متكلما بِلِسَانِ قَوْمِهِ بلغتهم لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ليفهم لهم؛ ما بعث به أولا، ولغيرهم نقلا بالتراجم ثانيا، واعتناءا بشأن العرب، قال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ﴾[1] فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَّشَاءُ إضلاله وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ هدايته

1 – سورة الشعراء، الآية: 214.

وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على ختم القلوب وفتحها مع البيان الشافي الْحَكِيْمِO في الإضلال والهداية مع الكلام الوافي وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسَى بِآيَاتِنَا التسع، وقلنا له: أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ أي: بني إسرائيل مِنَ الظُّلُمَاتِ أنواع الضلال إِلَى النُّوْرِ الهداية وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ عظهم بأيام نعم الله، ونقم الله؛ من التظليل بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وفلق البحر، ونجاة السبط من القبط، ومن الوقائع في الأمم الماضية؛ من الهلاك والقتل والغرق والتخريب إِنَّ فِيْ ذَالِكَ الوعظ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ على بلائه شَكُوْرٍO بنعمائه وَاذكر إِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُوْنَكُمْ يريدونكم ويطلبونكم سُوْءَ الْعَذَابِ أشده من الأعمال الشاقة، وأما الذبح فلكماله، كأنه جنس آخر، ولذا عطف وَيُذَبِّحُوْنَ أَبْنَاءَكُمْ بقول الكهنة، كما مر في البقرة وَيَسْتَحْيُوْنَ يستبقون نِسَآءَكُمْ للخدمة وَفِيْ ذَالِكُمْ في الإنجاء، أو العذاب بَلَاءٌ إنعام، أو ابتلاء مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌOع وَإِذْ تَأَذَّنَ [ص381] من كلام موسى عليه السلام، أي: آذن إيذانا بليغا لا شبهة فيه رَبُّكُمْ فقال: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ نعمة أخرى، إذ الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ جحدتم، لأعذبنكم إِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌOوَقَالَ مُوْسَى لقومه إِنْ تَكْفُرُوْا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا من الثقلين فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عن شكركم حَمِيْدٌO محمود بلسان كل ذرة، فلا تضرون إلا لأنفسكم بالتقصير فيه أَلَمْ يَأْتِكُمْ خطاب لأهل عصر محمد صلى الله عليه وسلم، أو تتمة السابق، استفهام تقرير نَبَؤُا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَّعَادٍ قوم هود وَّثَمُوْدَ قوم صالح وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ لكثرتهم، وقال عليه السلام عند نزوله:((كَذَّبَ النَّسَّابُوْنَ))[1] جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات فَرَدُّوْا أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ أي: أخذوا الأنامل بالأسنان تعجبا، أو عضّوا عليها غيظا وَقَالُوْا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم وَإِنَّا لَفِيْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَنَا إِلَيْهِ من الإيمان والتوحيد مُرِيْبٍOالثلاثة موقع في الريبة والاضطراب؛ صفة شك قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ؟ استفهام إنكاري فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خالقهما يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ بعضها، لأن حقوق العباد لا يغفر من الإيمان، قيل: عرف القرآن بالاستقراء، إن لفظ كم مع من في خطاب الكفار؛ وبدون من في خطاب المؤمنين، تفرقة بين الخطابين وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إلى وقت سمّاه، وبيّن مقداره قَالُوْا إِنْ ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَصُدُّوْنَا تمنعونا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا من الأصنام فَأْتُوْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍO بحجة ظاهرة على [ص382] صدقكم قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ ما نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ كما قلتم وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بالرسالة وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ بإرادته وَعَلَى اللهِ وَفَلْيَتَوَكَلِ

---

1 – ابن شبة: عمر بن شبة، أبو زيد، النميري، البصري، (ت: 262هـ). تاريخ المدينة لابن شبة: (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، 1399هـ). 798/3.

الْمُؤْمِنُوْنَO كلهم، سيما نحن الرسل وَمَا لَنَا أيّ عذر لنا؟ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ في المصابرة على البلايا وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا التي وجب أن نسلكها وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَاآذَيْتُمُوْنَا أذاكم إيانا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُوْنَO ع وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ لتصيرن فِيْ مِلَّتِنَا ديننا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِيْنَO وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ أي: أرضهم مِنْ بَعْدِهِمْ ذَالِكَ الإهلاك، والإسكان حق لِمَنْ خَافَ مَقَامِيْ أي: مقام الخائف بين يديّ للحساب يوم القيامة، أو كلمة مقام مقمحة وَخَافَ وَعِيْدِO أي: وعيدي بالعذاب وَاسْتَفْتَحُوْا أي: استنصر الرسل به تعالى عليهم وَخَابَ خسر كُلُّ جَبَّارٍ متكبر عن طاعته تعالى عَنِيْدٍO السجدة معاند للحق مِنْ وَّرَائِهٖ من أمامه جَهَنَّمُ يدخلها، لأنه في الدنيا على شفيرها، فهي بين يديه وَيُسْقَى فيها مِنْ مَّاءٍ صَدِيْدٍO وهو ما يسيل من الكفار بالتحريق؛ مخلوطا بالدم والقيح يَتَجَرَّعُهُ يشرب جرعة بعد جرعة؛ لمرارته وبشاعته وشدة العطش وَلَا يَكَادُ لا يقرب يُسِيْغُهُ السوغ: جواز الشراب على الحلق بسهولة، وقبول نفس وَيَأْتِيْهِ الْمَوْتُ أي: أسبابه بأنواع العذاب مِنْ كُلِّ مَكَانٍ جهة وَّمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ليستريح وَمِنْ وَّرَائِهٖ بعد ذلك العذاب عَذَابٌ غَلِيْظٌO أشد مما قبله، قيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد مَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ مبتداء؛ خبره محذوف، أي: فيما يتلى عليكم أَعْمَالُهُمْ [ص383] الصالحة، في ظنهم؛ في عدم الانتفاع بها كَرَمَادٍ مثل رماد إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ فِيْ يَوْمٍ عَاصِفٍ شديد الهبوب، فجعلته هباءا منثورا لَا يَقْدِرُوْنَ أي: الكفار مِمَّا كَسَبُوْا في الدنيا عَلَى شَيْءٍ من الثواب ذَالِكَ الضلال المتصفون به هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيْدُO عن الحق أَلَمْ تَرَ خطاب عام، استفهام تقرير أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بالحكمة؛ لا بالعبث إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيها الناس وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيْدٍO فهو قادر على إعدام موجود، وإيجاد معدوم وَمَا ذَالِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيْزٍO بمتعذر وَبَرَزُوْا لِلّٰهِ جَمِيْعًا من قبورهم للحساب، أو كأنهم عند ارتكاب الفواحش يظنون أنه خاف عليه تعالى، ويومئذ انكشفوا له تعالى، علموا أنه لايخفي عليه خافية، والتعبير بالماضي للتحقق الأتباع لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا جمع تابع فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ دافعون عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ الأولي للبيان، والثانية للتبعيض، أو هما للتبعيض قَالُوْا أي: المتبوعون معتذرين لَوْ هَدَانَا اللهُ طريق الإيمان في الدنيا، أو طريقالنجاة لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيْصٍO ع منجي ومهرب، ومن زائدة وَقَالَ الشَّيْطَانُ خطيب في الأشقياء على منبر من نار لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ أي: لما فرغ من الحساب، وأدخل الجنة والنار أهليهما إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ البعث والجزاء وَعْدَ الْحَقِّ فصدقكم وَوَعَدْتُّكُمْ أنه لا بعث ولا جزاء فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ أقهركم على متابعتي إِلَّا لكن أَنْ دَعَوْتُكُمْ بوسوستي إلى الضلال فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ بالإسراع، وما استجبتم دعوات الله فَلَا تَلُوْمُوْنِيْ في الدعوة، لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى

أمر قبيح، وقد نبهتكم على عداوتي ربكم وَلُوْمُوْا أَنْفُسَكُمْ على إسراع الإجابة مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ بمغشيكم وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ بمغشي [ص384] إِنِّيْ كَفَرْتُ تبرأت واستنكرت بِمَا أَشْرَكْتُمُوْنِ مِنْ قَبْلُ متعلق بأشركتموني، أي:كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل، أي: في الدنيا، أو متعلق بكفرت، أي:كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى إِنَّ الظَّالِمِيْنَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO مقولة الله سبحانه وَأُدْخِلَ عطف على برزوا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حال كونهم خَالِدِيْنَ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ متعلق بأدخل تَحِيَّتُهُمْ فِيْهَا من الله ومن الملائكة وفيما بينهم سَلَامٌO اَلَمْ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللهُ بيَّن مَثَلًا صفة، جعل كَلِمَةً الجملة تفسير يضرب، أو كلمة بدل من مثلا طَيِّبَةً لا إله إلا الله كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ هي النخلة أَصْلُهَا ثَابِتٌ ضارب عروقه في الأرض وَفَرْعُهَا غصنها فِي السَّمَاءِO تُؤْتِيْ تعطي أُكُلَهَا ثمرها كُلَّ حِيْنٍ وقته الله الأثمار بِإِذْنِ رَبِّهَا كذلك كأنه الإيمان ثابت في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء، وتناله بركته كل وقت وقته الله وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ يبينها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَO يتعظون وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ أي: كلمة الكفر كَشَجَرَةٍ خَبِيْثَةٍ الحنظلة إِجْتُثَّتْ استوصلت مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍO وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع لها ولا بركة يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا يديمهم على الإيمان بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ أي: بلا إله إلا الله محمد رسول الله فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ في القبر عند سؤال الملكين عن الرب والدين والنبي، فيجيبونهما بالصواب وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِيْنَ الكافرين، فلا يهتدون للجواب بالصواب، قائلين: ((لَا نَدْرِيْ)). كما في الحديث[1] وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُOع [ص385] فلا اعتراض في التثبيت والإضلال عليه تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ بَدَّلُوْا نِعْمَةَ اللهِ شكرها كُفْرًا وهم كفار مكة بعث محمد عليه السلام فيهم نعمة؛ فكان الواجب عليهم الشكر، فبدلوا بالكفر وَأَحَلُّوْا قَوْمَهُمْ الذين اتبعوهم دَارَ الْبَوَارِO الهلاك جَهَنَّمَ عطف بيان يَصْلَوْنَهَا يدخلونها وَبِئْسَ الْقَرَارُO المقر هي وَجَعَلُوْا لِلهِ أَنْدَادًا شركاءا في العبادة لِّيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيْلِهِ دينه؛ الإسلام قُلْ لهم تَمَتَّعُوْا بدنياكم قليلا فَإِنَّ مَصِيْرَكُمْ مرجعكم إِلَى النَّارِO قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا يُقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ أي: قل لهم: أقيموا وأنفقوا، فإنه سبب موجب بفعلهم لفرط مطاوعتهم قول الرسول عليه السلام، أو يقدر لام الأمر؛ ليقيموا ولينفقوا، فحذف اللام لدلالة قل عليها سِرًّا وَّعَلَانِيَةً مسرين ومعلنين في التطوع والفرائض مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ أي: يوم القيامة لَأَ بَيْعٌ فِيْهِ لا انتفاع فيه بمبايعة وَلَا خِلَالٌO مخالة، أي: صداقة

1 – قد استخدم المؤلف كلمة الجمع، ولفظه للبخاري: ((لَا أَدْرِيْ)) صحيح البخاري : المرجع السابق.كتاب الجنائز،باب: الميت يسمع خفق النعال، رقم الحديث: 1338، 90/2، وكتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث: 1374. 98/2.

ينتفع بها اَللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ السحاب مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ السفن لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَO وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ حال كونهما دائمين على السير والإنارة وإصلاح الأرض والنبات والأبدان وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ لتسكنوا وَالنَّهَارَO لتبتغوا فيه من فضله وَآتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوْهُ بلسان الحال على حسب مصالحكم، وبلسان القال، أو التقدير من كل ما سالتموه، وما لم تسألوه، والباقي يدل على المحذوف، كقوله تعالى: ﴿سَرَابِيْلَ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ﴾[1]، ومن للتبعيض، وما [ص386] موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية بمعنى المفعول وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ إنعامه إجمالا لَا تُحْصُوْهَا لا تطيقوا عدها، وأما التفصيل؛ فلا يعلمه إلا الله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُوْمٌ بظلم النعمة بإغفال شكرها كَفَّارٌOع كثير الكفران وَاذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ أي: مكة آمِنًا ذا أمن، قيل: هو مخوف؛ فاجعله آمنا، ولا يبعد أن يقال: ثبّته على الأمن، كما في قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[2] أي: اثبتنا على الإسلام، وقد أجاب دعاءه؛ حيث جعله حرما، لا يسفك الدماء فيه، ولا يظلم فيه أحد أحدا، ولا يصاد صيده، ولا يقطع شوكه وَاجْنُبْنِيْ بعدني وَبَنِيَّ عن أَنْ نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَO رَبِّ إِنَّهُنَّ أي: الأصنام أَضْلَلْنَ كَثِيْرًا صاروا سبب ضلال كثير مِّنْ النَّاسِ لعبادتهم لها فَمَنْ تَبِعَنِيْ على ملتي فَإِنَّهُ مِنِّيْ من أهل ديني وَمَنْ عَصَانِيْ أي: فيما دون الشرك، أو آمن وتاب بعد العصيان، أو أشرك قبل علمه؛ أن لا يغفر الشرك فَإِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO يا رَبَّنَا إِنِّيْ أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بعضها؛ وهو إسماعيل ووالدته هاجر[3] بِوَادٍ هو وادي مكة غَيْرِ ذِيْ زَرْعٍ لا تزرع فيه لفقد أسبابه ولحجريته عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ إنما سمي محرما لأنه حرم التعرض فيه، أو عظم قدره، أو حرم على الطوفان إغراقه، كما يسمي بالعتيق، لأنه أعتق من الطوفان رَبَّنَا لِيُقِيْمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً قلوبا مِّنَ النَّاسِ بعضهم، ولو قال: أفئدة

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 81.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سورة البقرة، الآية: 128.

3 – هاجر: هي أم إسماعيل هاجر، أم العرب. وقال السهيلي: وكانت تهاجر لملك الأردن – واسمه صادوق فيما ذكر العتبي– دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا منه بجمالها؛ فصرع مكانه؛ فقال: ادع الله أن يطلقني ... الحديث، وهو مشهور في الصحاح، فأرسلها وأخذ منها هاجر، وكانت هاجر قبل ذلك الملك، بنت ملك من ملوك القبط بمصر. الفاسي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب، (ت: 832هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: (ط–1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ / 2000م). 19/2.

الناس لازدحمت قلوب الروم والفارس والترك والهند، ولحجة النصارى واليهود تَهْوِيْ تحن وتميل وتسرع إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ بالجلب إليه، وقد أجاب بنقل أرض [ص387] الطائف من فلسطين إليه، ولذا يوجد في يوم واحد الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية والشتوية فيه لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَO نعمتك رَبَّنَا تكرار النداء؛ دليل التضرع إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِيْ نسرُّ وَمَا نُعْلِنُ نظهر وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ زائدة شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِO الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ وَهَبَ لِيْ أعطاني عَلَى بمعنى مع ذكر الحمد منة، لأنه أدرك وقت الياس إِسْمَاعِيْلَ وله تسعة وتسعون سنة وَإِسْحَاقَ وله مائة واثنتا عشر سنة إِنَّ رَبِّيْ لَسَمِيْعُ الدُّعَاءِO لمجيبه، وقد دعاه، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِيْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾[1] رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلَاةِ وَاجعل مِنْ ذُرِّيَّتِيْ من يقيمها، وأتي بمن التبعيضية، لما علم من الله تعالى أن بعضا منها كفار رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِO رَبَّنَا اغْفِرْلِيْ وَلِوَالِدَيَّ آدم وحواء ولأبويه، قاله قبل النهي، أو قبل الياس عن إيمانهما وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَقُوْمُ يثبت الْحِسَابُOع قال تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام، والمراد التثبيت على ما كان عليه، أو المخاطب غيره عليه السلام كفار مكة إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ أي: عذابهم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيْهِ الْأَبْصَارُO تفتح، فلا تغمض لهول ما ترى، وقيل: تقر في أماكنها للهول مُهْطِعِيْنَ مسرعين إلى الداعي مُقْنِعِيْ رُءُوْسِهِمْ رافعيها إلى السماء لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ أي: إلى ذواتهم نظرهم وَأَفْئِدَتُهُمْ قلوبهم هَوَاءٌO خالية من العقل للفزع وَأَنْذِرِ خوّف النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيْهِمُ الْعَذَابُ مفعول ثان لإنذار، لا ظرف له، أي: يوم القيامة فَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا كفروا رَبَّنَا أَخِّرْنَا ردنا إلى الدنيا، أو امهلنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ مدة قريبة؛ نتدارك ما فات منا نُجِبْ دَعْوَتَكَ في التوحيد وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ في الأحكام، فيقال لهم توبيخا: أَوَلَمْ تَكُوْنُوْا أَقْسَمْتُمْ حلفتم مِّنْ قَبْلُ أي: في الدنيا [ص388] مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍO عن الدنيا إلى الآخرة، أي: جحدتم البعث، وأقسمتم عليه، وكلمة من الثانية زائدة وَّسَكَنْتُمْ في الدنيا فِيْ مَسَاكِنِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ بالكفر من الأمم السابقة الهالكة وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ من العقوبة وَضَرَبْنَا بيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثَالَO صفاتهم، إنهم ما فعلوا؛ ما فعل بهم وَقَدْ مَكَرُوْا في إحقاق الكفر وإبطال الإسلام مَكْرَهُمْ المفروع فيه جهدهم وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ أي: جزاء مكرهم وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ في العظم لِتَزُوْلَ مِنْهُ الْجِبَالُO الراسيات، أو المراد بالجبال شرائع الإسلام القارة الثابتة فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ بالنصر، حيث قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُرُسُلَنَا﴾[2]،

---

1 – سورة الصافات، الآية: 100.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ سورة المؤمن، الآية: 51.

﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيْ﴾[1]، والتقدير مخلف رسله وعده، وقدم الثاني ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا، فكيف يخلفه صفوة الخلق إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب لا يماكر ذُوانْتِقَامٍO لأصدقائه من أعدائه، اذكر يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ المعروفة غَيْرَ الْأَرْضِ وَتبدل السَّمَاوَاتُ المعروفة غير السماوات، والتبديل إما أن يكون ذاتا أو صفة، والآثار تعاضدهما، فعن علي رضي الله عنه: أرض فضة وسماء ذهب، وعن ابن مسعود: أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة، وقال أبو هريرة: تبسط وتمد كالأديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي تلك الأرض وإنما تغير السماء بانتشار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أقداما، وقيل: لا يبعد أن يجعل الله الأرض جهنم؛ والسَّماوات الجنة وَبَرَزُوْا أي: خرجوا من القبور للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِO فلا مستغاث لأحد إلى غيره يومئذ، وكان الأمر حينئذ في غاية الشدة وَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ الكافرين يَوْمَئِذٍ يوم القيامة مُقَرَّنِيْنَ فِي الْأَصْفَادِO مشدودين بعضهم ببعض، أو مع [ص389] الشياطين والسلاسل والأغلال سَرَابِيْلُهُمْ قميصهم مِّنْ قَطِرَانٍ هو ما يتحلب من شجرة، يسمي الأبهل، من شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو أسود ومنتن الريح، فيطلي جلود أهل النار بها، فيصير لهم كالقميص، ليجمع عليهم لدغة وحرقة وسرعة الالتهاب ونتن الريح واللون الوحش، وقيل: هو النحاس المذاب وَتَغْشَى تعلو وُجُوْهَهُمُ النَّارُO لِيَجْزِيَ اللهُ متعلق ببرزوا كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ من خير وشر إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِO ((يُحَاسَبُ جَمِيْعَ خَلْقِهِ فِيْ قَدْرِ نِصْفِ نَّهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا)). كما في الحديث[2]. وقيل: أسرع من لمح البصر هٰذَا القرآن أو المذكور آنفا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ كفاية من العظة لهم وَلِيُنْذَرُوْا بِهِ عطف على مقدر، أي: لينصحوا وَلِيَعْلَمُوْا أي: حصل لهم الخشية من الإنذار، فأدت إلى النظر الصحيح الموصل إلى التوحيد أَنَّمَا هُوَ أي: الله سبحانه إِلٰهٌ وَّاحِدٌ وَّلِيَذَّكَّرَ ليتعظ أُولُوا الْأَلْبَابِOٰ ذووا العقول السليمة.

سورة الحجر مكية، وهي تسع وتسعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓرٰ الله اعلم بمراده منه تِلْكَ هذه الآيات آيَاتُ الْكِتَابِ الإضافة بمعنى من، أي: آيات من القرآن وَقُرْآنٍ مُّبِيْنٍO مظهر للحق من الباطل، والتنكير للتفخيم، أو المراد من الكتاب وقرآن مبين السورة.

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة المجادلة، الآية: 21.

2 – قد مر تخريجه.

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ كَانُوْا مُسْلِمِيْنَO يتمنون إذا عينوا حالهم وحال المؤمنين، ما كافة، وحق رب أن يدخل الماضي لكن المترقب في إخبار الله كالماضي في التحقيق، ومعنى التقليل إفاقتهم عن غمرات الدهش في بعض الأحيان، ولو كانوا مكان لو كنا، كما في حلف بالله ليفعلن مكان لأفعلن ذَرْهُمْ دعهم يَأْكُلُوا [ص390] وَيَتَمَتَّعُوا بدنياهم وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ يشغلهم عن الإيمان بالله تعالى أمانيهم فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَO عاقبة صنيعهم، وفيه تحذير عن إيثار التنعم، وكل ما يفضي إليه طول الأمل، هذا الترك قبل آية السيف وَمَا اَهْلَكْنَا مِنْ زائدة، أهل قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ أجل مَّعْلُوْمٌO محدود للهلاك، والواو؛ إما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، أو حالية مَا تَسْبِقُ مِنْ زائدة أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُوْنَO عنه، أنث الأمة أولا، وذكر ثانيا حملا على اللفظ والمعنى وَقَالُوْا أي: كفار مكة يَا أَيُّهَا الَّذِيْ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ القرآن في زعمه إِنَّكَ لَمَجْنُوْنٌO حيث تدعي أنه أنزل عليك الذكر لَوْ مَا تَأْتِيْنَا أي: هلا جئتنا بِالْمَلَائِكَةِ يشهدون على دعواك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في قولك: إنني نبي تنزيلا متلبسا بحكمة، أو بالوحي، أو بالعذاب. المشركون إِذًا إذ نزّلوا، أي: الملائكة مُنْظَرِيْنَO مؤخرين إِنَّ نَحْنُ تاكيد لاسم إن، أو ضمير فصل نَزَّلْنَا الذِّكْرَ القرآن وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَO من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان، وقيل: الضمير للنبي عليه السلام وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رسلا فِيْ شِيَعِ الْأَوَّلِيْنَO في فرقهم، جمع شيعة؛ وهي الفرقة، إذا اتفقوا على طريقة ومذهب وَمَا كان يَأْتِيْهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO كاستهزاء قومك بك، فيه تسلية للنبي عليه السلام كَذَالِكَ كما أدخلنا التكذيب في قلوب هؤلاء نَسْلُكُهُ ندخله فِيْ قُلُوْبِ الْمُجْرِمِيْنَO أي: كفار مكة لَا يُؤْمِنُوْنَ بِهِ بالله، أو بالذكر، أو بالنبي عليه السلام وَقَدْ خَلَتْ مضت [ص391] سُنَّةُ الْأَوَّلِيْنَO سنة الله في الأولين، إن من كذب عذب، أفلا يعتبرون حالهم عن حالهم؟ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ على المقترحين بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوْا فِيْهِ يَعْرُجُوْنَO يصعدون، ويرون من العيان ما يرون لَقَالُوْا من غلو العناد إِنَّمَا سُكِرَتْ أَبْصَارُنَا حبست وسدت فما نراه، لا حقيقة له، بل شيء نتحائل بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُوْرُوْنَOع من محمد عليه السلام وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوْجًا منازل للنجوم، اثنا عشر مختلفة الهيئات والخواص وَزَيَّنَّهَا بالكواكب لِلنَّاظِرِيْنَO وَحَفِظْنَاهَا بالشهب مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيْمٍO قيل: كانوا لا يحجبون عن السماوات كلها، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السماوات كلها إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ أي: المسموع فَأَتْبَعَهُ لحقه شِهَابٌ شعلة نار ساطعة مُّبِيْنٌO ظاهر للمبصرين وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت؛ لئلا يتحرك بأهلها وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُوْنٍO معلوم مقدر وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيْهَا مَعَايِشَ ما يعاش به من الثمار والحبوب والملابس وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِيْنَO عطف على

معيش، أي: جعل لكم العيال والعبيد والدواب والأنعام، والرازق للكل هو الله تعالى، وأنتم تظنون أنكم ترزقونهم وَإِنْ مِّنْ زائدة شَيْءٍ ينتفع به العباد إِلَا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ بحسب التقدير والإيجاد وَمَا نُنَزِّلُهُ بينكم إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُوْمٍO على حسب المصالح والحكم وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ حوامل بالسحاب، جمع لاقحة، بمعنى ناقة [ص392] حاملة، ضدها العقيم فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السحاب مَاءً مطرا فَأَسْقَيْنَاكُمُوْهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِيْنَO أي: ليست خزائنه بأيديكم، بل نحن الخازنون وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيْتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُوْنَO الباقون بعد انعدام الخلائق، كالوارث للميت وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِيْنَ مِنْكُمْ أي: من لدن آدم وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِيْنَO أي: المتأخرين منكم إلى يوم القيامة وجودا أو إسلاما أو جهادا أو طاعة وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ للجزاء إِنَّهُ حَكِيْمٌ بحشرهم عَلِيْمٌOع بحصرهم وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ آدم مِنْ صَلْصَالٍ أي: من طين يابس؛ له صلصلة، أي: صوت إذا نقر كائن مِّنْ حَمَإٍ من طين أسود، وتغير من طول مكث الماء، فصار ذا نتن مَسْنُوْنٍO أي: مصور، أو مصبوب كالجواهر المذابة في القوالب ليتصور، في الأول كان ترابا، فعجن بالماء، فصار طينا، فمكث، فصار حماء، فخلص، فصار سلالة، فصور، وييس، فصار صلصالا، فلا تدافع في الآيات وَالْجَانَّ أي: أبا الجان هو كآدم للإنسان، أو هو إبليس خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ أي: قبل خلق آدم مِنْ نَّارِ السَّمُوْمِO من نار الحرّ الشديد، لا دخان لها، تنفذ في المسام، أشد من هذه النار سبعين درجة وَاذكر إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّيْ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُوْنٍO فَإِذَا سَوَّيْتُهُ أتممته وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ أجريت فيه الروح، المضاف إليه تعالى للشرف فَقَعُوْا لَهُ سَاجِدِيْنَO أمر من وقع يقع، أي: اسقطوا على الأرض بالجبهة، وقيل: سجود انحناء فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُوْنَO إِلَّا إِبْلِيْسَ الظاهر أنه استثناء [ص393] منقطع، لأنه ليس من جنس الملائكة، فيلزم عليه أن غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا، وقيل: كان بينهم، فغلب اسم الملك عليه، ثم استثنى أَبَى امتنع إبليس أَنْ يَّكُوْنَ مَعَ السَّاجِدِيْنَOقَالَ يَا إِبْلِيْسُ مَا لَكَ فِي أَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّاجِدِيْنَO أي: أيّ غرض لك في إبائك السجود، وحرف الجر مع أن يحذف كثيرا قَالَ لَمْ أَكُنْ لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُوْنٍO أي: لا ينبغي لي سجوده قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من الجنة، أو من السماوات فَإِنَّكَ رَجِيْمٌO مطرود من الرحمة وَّإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ هو الطرد عن الرحمة، ولا عذاب معه إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِO يوم الجزاء، أما في ذلك اليوم فعليك ما تنسى اللنعة معه من العذاب قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِيْ أخرني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَO أي: الناس للمجازات، ولا موت بعد ذلك قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَO من المؤخرين إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِO المسمى فيه أجلك في علم الله، فأجيب أحد شطري الدعاء، إذ هو النفخة الأولى فيموت، ويبعث بالثانية، ويجوز أن يكون يوم الدين، ويوم البعث، ويوم الوقت المعلوم يوم القيامة، واختلاف العبارات

لاختلاف الاعتبارات قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِيْ أي: رب أقسم بإغوائك إياي لَأُزَيِّنَنَّ المعاصي لَهُمْ لبني آدم فِيْ الْأَرْضِ في الدنيا وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَO إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَO أي: المؤمنين، بكسر اللام وفتحها، وهو بدل من عبادك قَالَ تعالى: هَذَا تخليص المخلصين صِرَاطٌ حق عَلَيَّ أن أراعيه، وقيل: بمعنى إليّ مُسْتَقِيْمٌO لا انحراف عنه إِنَّ عِبَادِيْ أي: المؤمنين لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ قوة إِلَّا لكن [ص394] مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَO الكافرين وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ الغاوين والمغوين أَجْمَعِيْنَO تأكيد للضمير لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ أطباق، وإدراك لِكُلِّ بَابٍ طبق مِّنْهُمْ من أتباع إبليس جُزْءٌ نصيب مَّقْسُوْمٌOع أعلاها للموحدين من العصاة، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصائبين، والخامس للمجموس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ بساتين وَّعُيُوْنٍO تجري فيها، يقال لهم: أُدْخُلُوْهَا بِسَلَامٍ سالمين من كل خوف آمِنِيْنَO من كل فزع وَنَزَعْنَا مَا فِيْ صُدُوْرِهِمْ مِّنْ غِلٍّ حقد في الدنيا إِخْوَانًا حال، عن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَO لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم لَا يَمَسُّهُمْ فِيْهَا نَصَبٌ تعب وَّمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِيْنَO أبدا، وتمام النعمة بالخلود نَبِّئْ عِبَادِيْ اخبرهم أَنِّيْ أَنَا الْغَفُوْرُ للمؤمنين الرَّحِيْمُO بهم وَأَنَّ عَذَابِيْ للعصاة هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيْمُO المؤلم وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَO كانوا ملائكة اثنى عشر أو عشرة، أو ثلاثة، واحد منهم جبرائيل، وهو اسم جنس إِذْ دَخَلُوْا عَلَيْهِ فَقَالُوْا هذا اللفظ سَلَامًا قَالَ أي: إبراهيم إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُوْنَO خائفون؛ لامتناعهم من الطعام إذ عرض عليهم، أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت قَالُوْا لَا تَوْجَلْ لاتخف إِنَّا نُبَشِّرُكَ استيناف بِغُلَامٍ هو إسحاق، كما في سورة هود عَلِيْمٍO قَالَ أَبَشَّرْتُمُوْنِيْ بالولد عَلَى أَنْ مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ على بمعنى مع فَبِمَ [ص395] فبأيّ شيء عجيب تُبَشِّرُوْنَO بفتح النون، وحذف المفعول، والنون نون الجمع قَالُوْا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ بالصدق واليقين، لا لبس فيه فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْقَانِطِيْنَO الآئسين قَالَ إبراهيم: وَمَنْ يَّقْنَطُ لا يقنط مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّوْنَO الكافرون، وإنما الاستبعاد عادة قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ شأنكم أَيُّهَا الْمُرْسَلُوْنَO قَالُوْا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِيْنَO أي: قوم لوط إِلَّا آلَ لُوْطٍ أي: أهله، فهو مستثناء منقطع لعدم دخوله في المجرمين، أو متصل من ضمير في مجرمين، أي: إلى قوم لوط، قد أجرموا كلهم إلا آل لوط، فإنهم أرسلوا إليهم للعذاب إِنَّا لَمُنَجُّوْهُمْ أَجْمَعِيْنَO إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِيْنَOع الباقين في العذاب، وليس باستثناء من الاستثناء، لأن ذلك فيما إذا اتحد الحكم؛ وهاهنا مختلفان، أي: الإرسال والنجاة، فلا يكون في قوة، قولنا: إلا آل لوط إلا امرأته فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوْطٍ ذاته الْمُرْسَلُوْنَO قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُوْنَO لا أعرفكم، لا أنتم من الحضر، ولا عليكم زيّ السفر، فأخاف الشر منكم قَالُوْا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوْا فِيْهِ يَمْتَرُوْنَO أي:

بعذاب؛ كانوا يشكون فيه إذ تتوعدهم به يكذبونك وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ باليقين وَإِنَّا لَصَادِقُوْنَO في الإخبار بنزول العذاب فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ بآخره وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ سر خلفهم وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لئلا يقع وقفة في مواصلة السير، أو رقة في القلب بحال المعذبين وَّامْضُوْا حَيْثُ تُؤْمَرُوْنَO الشام، أو مصر وَقَضَيْنَا وأوحينا إِلَيْهِ ذَالِكَ الْأَمْرَ وهو أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ آخرهم مَقْطُوْعٌ أي: يستاصلون عن آخرهم مُّصْبِحِيْنَO حال، أي: داخلين وقت الصباح وَجَاءَ أَهْلُ [ص396] الْمَدِيْنَةِ وهي سدوم[1]؛ قرية لوط يَسْتَبْشِرُوْنَO طمعا في الفاحشة؛ لما سمعوا إن في بيت لوط عليه السلام مردانا حسانا؛ وهم كانوا ملائكة قَالَ لوط عليه السلام في دفعهم عند مطالبتهم إياهم إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِيْ فَلَا تَفْضَحُوْنِO لأن إساءتهم إساءتي وَاتَّقُوا اللهَ في ضيفي وَلَا تُخْزُوْنِO لا تذللون بإذلال ضيفي بالفاحشة، أو لا تخجلوني فيهم قَالُوْا أَوَلَمْ نَنْهَكَ يا لوط عليه السلام عَنِ الْعَالَمِيْنَO أي: نهيناك أن تجير أحدا من العالمين، أو تدفع عنهم أيدينا، أو تضيف الغرباء، وكان لوط يقوم بالنهي عن المنكر، إذا تعرضوا لأحد، ويحجر بينهم وبين المتعرض له قَالَ لوط عليه السلام هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِيْ تزوجوهن، وكانت المصاهرة بين المؤمنين والكفار جائزة إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَO قاضين الشهوة لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِيْ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُوْنَO قالت الملائكة للوط عليه السلام: عمرك قسمنا؛ إن قومك لفي الغواية يتحيرون، فكيف يسمعون وعظك؟ أو خطاب لمحمد عليه السلام؛ أن القريش من الغواية في غمه، فالجملة اعتراضية فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ صيحة جبرائيل عليه السلام مُشْرِقِيْنَO داخلين وقت شروق الشمس وبزوغها فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا أي: قرى لوط سَافِلَهَا رفعها جبرائيل عليه السلام على جناحه إلى السماء، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيْلٍO طين متحجر طبخ بالنار إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ دالة على توحيده لِّلْمُتَوَسِّمِيْنَO للمتفرسين، يعرفون باطن الشيء بسمة ظاهرة وَإِنَّهَا أي: هذه القرى، أي: آثارها لَبِسَبِيْلٍ مُّقِيْمٍO ثابت، يسلكه قريش في طريق الشام يندرس بعد، أفلا يعتبرون بهم حالهم؟ إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَO للاعتبار وَإِنْ مخففة، وضمير الشأن اسمها [ص397] كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الفيضة؛ قريب مدين، وهم أصحاب شعيب لَظَالِمِيْنَO أنفسهم بتكذيب شعيب عليه السلام فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بأن أهلكناهم لشدة الحر وَإِنَّهُمَا

---

1 – سدوم: قصبة قرى قوم لوط. وهي بين الحجاز والشام. كانت أحسن بلاد الله، وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً، والآن عبرة للناظرين. وتسمى الأرض المقلوبة، لا زرع بها ولا ضرع ولا حشيش، وبقيت بقعة سوداء، فرشت فيها حجارة، ذكر أنها الحجارة التي أمطرت عليهم وعلى عامتها كالطابع. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، (ت: 682هـ). آثار البلاد وأخبار العباد: (دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر). ص: 203.

قرى قوم لوط[1]، وأيكة[2]؛ أصحاب شعيب عليه السلام لَبِإِمَامٍ مُّبِيْنٍO٤ لبطريق واضح، سمي به الطريق ومطمر البنّاء، لأنهما مما يؤتم به وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِيْنَO واد بين المدينة والشام، هم ثمود؛ أمة صالح، كذبوه، وتكذيبه تكذيب الأنبياء الآخر، لاشتراكهم في أمر التوحيد، أو إياه ومن معه من المؤمنين وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا مثل تخليق الناقة من الصخرة، أو آيات كتاب نبيهم فَكَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَO لا يتفكرون فيها وَكَانُوْا يَنْحِتُوْنَ ينقبون، أو يبنون من الحجارة مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا آمِنِيْنَO من آفات البيت، أو تحميهم من عذاب الله على زعمهم فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ جبرائيل عليه السلام مُصْبِحِيْنَO حال دخولهم في وقت الصباح فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ ما دفع عنهم العذاب مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO من توثيق المحال، وادخار الأموال وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا خلقا متلبسا بِالْحَقِّ فلا يدوم الكذب والباطل بينهما وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فينتقم ممن كذب الرسل، وسميت القيامة ساعة لتوقعها كل ساعة فَاصْفَحِ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الصَّفْحَ الْجَمِيْلَO اعرض عنهم إعراضا؛ لا جزع فيه، قيل: هو منسوخ بآية السيف إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّقُ لكل شيء الْعَلِيْمُO بكل شيء وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِيْ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيْمَO عطف الكل على الجزء، أو أحد الوصفين على الآخر، والمراد من السبع هي آيات [ص398] الفاتحة، أو الطوال، أو الأسباع، والمثاني من التثنية، لأنها تثني في الصلاة، أو من الثناء الكاملة عليه تعالى بصفاته، أو على القرآن بالبلاغة والإعجاز، أو النزول لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ من أمتعة الدنيا أَزْوَجًا مِّنْهُمْ أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس، فإن ما أعطيناك من القرآن أعظم النعماء وأجلّها وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ بتمتعهم به وإن لم يؤمنوا وَاخْفِضْ أَلِنْ جَنَاحَكَ جانبك لِلْمُؤْمِنِيْنَO فقرائهم وَقُلْ للكفرة إِنِّيْ أَنَا النَّذِيْرُ الْمُبِيْنُO من عذاب الله كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِيْنَO متعلق بقوله: ولقد آتيناك سبعا، أي: أنزلنا السبع المثاني، كما أنزلنا الكتب على اليهود والنصارى، فهم آمنوا ببعض التوراة والإنجيل، وكفروا

---

1 – لوط: هو لوط بن هاران بن تارخ. بعث إلى أهل سدوم، فكانوا أهل كفر بالله وركوب الفاحشة. قال مجاهد: كان بعضهم يجامع بعضا في المجالس. قال العلماء بالسير: كان لوط يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الفاحشة، ولا يزجرهم وعيده، ولا يزيدهم إلا عتوا، فسأل الله تعالى أن ينصره عليهم. الجوزي: المرجع السابق. 282/1، 283.

2– الأيكة: الأيكة المذكورة في القرآن، التي كانت منازل قوم شعيب عليه السلام. الأيكة: الشجر الملتف. وأصحاب الأيكة: أهل مدين. وكانت منازلهم في فلسطين، وشمال تبوك، وعلى الضفة الشرقية لنهر الأردن. شُرَّاب: محمد بن محمد حسن. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: (ط–1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1411هـ). ص:40.

بعضهما، وقيل: متعلق بالنذير، أي: العذاب نازل بهم كما أنزلنا العذاب على اثنا عشر، اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، فقعدوا في كل مدخل متفرقين؛ لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال منهم: إنه ساحر لا تغتروا به، وقال الآخر: إنه كذاب، والآخر شاعر، والآخر كاهن، فكلهم هلكوا يوم بدر الَّذِيْنَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ النازل على محمد عليه السلام عِضِيْنَO أجزاءا، فقالوا: ما طابق التوراة والإنجيل نقبل، وما خالفهما نكذب به، جمع: عضة، أصلها: عضوة؛ فعلة من عضي الشاة، إذا جعله أعضاءا فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَO واحدا بعد واحد عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَOالربع عن قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في القرآن، أو في كتب الله فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فاجهر حجتك، وامض الأمر وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَO قبل فرض الجهاد، أو أمر [ص399] استهانة بهم، فلا تلتفت إلى ما يقولون إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِيْنَO بك، الذين آذوا النبي عليه السلام غاية الإيذاء، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة[1]؛ مات من نيل أصاب عرفا في عقبه، والعاص بن وائل[2]؛ مات من شوكة أصاب رجله فانتفخت، وعدي بن قيس[3]؛ مات بامتحاط

---

1 – الوليد بن المغيرة: هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له: العدل، لأنه كان عدل قريش كلها، كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. الأعلام: المرجع السابق. 122/8.

2 – العاص بن وائل: هو العاص بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. كان نديما لهشام بن المغيرة. وأدرك الإسلام، وظلّ على الشرك. ويعد من المستهزئين، ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارا وثنيين. وقيل في خبر موته: خرج يوما على راحلته، ومعه أبناء له، يتنزه، ونزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض، صاح، فطافوا فلم يروا شيئا. وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الأرض، فيكون هلاك العاص، حوالي سنة 620م. وكان ذلك في الأبواء بين مكة والمدينة. وكانت أمه، من بني بليّ من قضاعة، واسمها سلمى. الأعلام: المرجع السابق. 247/3.

3 – عدي بن قيس: هو عدي بن قيس السهمي، كان من المؤلفة قلوبهم. روى علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: كان المؤلفة قلوبهم ثلاثة عشر رجلا، ثمانية من قريش، وذكر منهم: عدي بن قيس السهمي. ابن الأثير: المرجع السابق. 16/4.

القيح، والأسود بن عبد المطلب[1]؛ عمت عيناه، والأسود بن عبد يغوث[2] مات بنطح رأسه بالشجرة وبضرب وجهه بالشوك الَّذِيْنَ يَجْعَلُوْنَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَسَوفَ يَعْلَمُوْنَO عاقبة أمرهم وَلَقَدْ للتحقيق نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُوْلُوْنَO من الاستهزاء والتكذيب فَسَبِّحْ متلبسا بِحَمْدِ رَبِّكَ أي: قل سبحان الله وبحمده وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِيْنَO المصلين وَاعْبُدْ رَبَّكَ دم على عبادته حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُOع الموت.

النحل مكية، وهي مائة وثمان وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

اَتَى أَمْرُ اللهِ لما استبطاء المشركون العذاب الموعود نزل، أي: قرب يوم القيامة، والتعبير بالماضي لتحققه فَلَا تَسْتَعْجِلُوْهُ قبل حينه، وإنه لا محالة واقع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تنزه وجلّ عَمَّا يُشْرِكُوْنَO به غيره يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ أي: جبرائيل عليه السلام وأعوانه بِالرُّوْحِ بالوحي، أو بالقرآن مِنْ أَمْرِهِ بإرادته عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وهم الأنبيا، أو محمد عليه السلام أَنْ مفسرة أَنْذِرُوْا اعلموا الناس، وخوفوهم أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوْنِO خافوني خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خلقا متلبسا بِالْحَقِّ لا بالعبث والباطل تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَO به غيره خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ جماد؛ ولا حركة لها فَاذَا هُوَ بعد أن صار قويا [ص400] خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌO شديد الخصومة ظاهر الجدال، يقول: ﴿مَنْ يُّحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ﴾[3] وَالْأَنْعَامَ الإبل والبقر والغنم، منصوب على شريطة التفسير خَلَقَهَا لَكُمْ يا جنس الإنسان فِيْهَا فِي الأنعام دِفْءٌ ما يدفؤ به من اللباس المتخذ من الصوف والوبر والشعر وَّمَنَافِعُ من النسل والدر

---

1 – الأسود بن عبد المطلب: أبو زمعة، هذا هو الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كني بابنه زمعة، وقتل زمعة بْن الأسود، وأخوه عُقَيْل بْن الأسود يوم بدر كافرين، وأبوهما الأسود، كان أحد المستهزءين. ذكروا أن جبرائيل رمى في وجهه بورقة فعمي. ابن عبد البر: المرجع السابق. 911/3.

2 – الأسود بن عبد يغوث: هو الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة. وهو ابن أخي آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه. وأنه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه، وقيل له: أنت أولى الناس بإتباع محمد ونصرته؛ فقال: والله ما فعلت ذلك وما كان بين جنبي قلب! بينا نقول: ابن أختنا، نصير إلى أن نقول: رسول الله، ما على هذا صبر! وكان الأسود من المستهزئين، وقتله جبرائيل عليه السلام بمكة. الأندلسي: المرجع السابق. ص:366.

3 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ سورة يس، الآية: 78.

والحمول والركوب وَمِنْهَا تَأْكُلُوْنَO وَلَكُمْ فِيْهَا جَمَالٌ زينة في أعين الناس حِيْنَ تُرِيْحُوْنَ تردون من المرعى إلى مراحها بالعشي وَحِيْنَ تَسْرَحُوْنَO تخرجونها إلى مرعى بالغداة وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ أحمالكم إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُوْنُوْا بٰلِغِيْهِ واصلين إليه إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إلا بجهدها إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌO بتيسير مصالح العيش وَّخلق الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيْرَ لِتَرْكَبُوْهَا وَزِيْنَةً مفعول له، ولو كان مأكولا لمنّ به، فإنه أعظم المنافع وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO من العجائب والغرائب، فمن خلق هذه الأنواع من المخلوقات يتعالى عن أن يشركون به غيره وَعَلَى اللهِ تفضلا قَصْدُ السَّبِيْلِ بيان مستقيم الطريق الموصل إليه تعالى، كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[1] وَمِنْهَا جَائِرٌ ومن السبيل سبيل مائل عن الاستقامة كالأهواء المختلفة، وأراد بها الجنس، ولهذا أقسمها إلى قصد وجائر وَلَوْ شَاءَ هدايتكم المستلزمة لاهتداءكم لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَOع إلى قصد السبيل هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ وهو متعلق بأنزل مِّنْهُ شُرَابٌ تشربونه وَّمِنْهُ شَجَرٌ ينبت بسببه فِيْهِ تُسِيْمُوْنَO ترعون دوابكم يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُوْنَ وَالنَّخِيْلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ لم يقل كل الثمرات، [ص401] لأن الكل ليست إلا في الجنة، وفي الدنيا بعض منها للتذكرة إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَةً على التوحيد لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO في صنعه وَسَخَّرَ لَكُمُ أي: لمنافعكم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُوْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ بإرادته إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO ذكر العقل، وجمع الآية، لأن الآثار العلوية أظهر دلالة وَسخر مَا ذَرَأَ خلق لَكُمْ فِي الْأَرْضِ من الحيوان والنبات مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ أصنافه، فإنها بالألوان تتخالف غالبا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَّذَّكَّرُوْنَO يتعظون وَهُوَ الَّذِيْ سَخَّرَ الْبَحْرَ ذلله للركوب عليه، والغوص فيه لِتَأْكُلُوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا هو السمك، يؤكل سريعا لتسارع الفساد إليه، لأنه أرطب اللحوم، وهو في ألوف ليس بلحم، فلا يحنث بأكله؛ من حلف: لا يأكل لحما وَّتَسْتَخْرِجُوْا مِنْهُ حِلْيَةً اللؤلوء والمرجان تَلْبَسُوْنَهَا وَتَرَى تبصر الْفُلْكَ السفن مَوَاخِرَ جواري فِيْهِ في البحر، تشقه بحيزومها، من المخر، وهو شق الماء وَلِتَبْتَغُوْا عطف على لتأكلوا مِنْ فَضْلِهِ تعالى بالتجارة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO الله على هذا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا ثوابت كراهة أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ تميل وتضطرب بكم وَجعل فيها أَنْهَارًا كالنيل وَّسُبُلًا طرقا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَO إلى مقاصدكم الدنيوية بالتجارات؛ والدينية بالفكر في الآيات وَجعل عَلَامَاتٍ يستدل بها على الطريق كالجبال وَبِالنَّجْمِ الثريا أو جنسه هُمْ يَهْتَدُوْنَO في الليالي إلى الطريق والقبلة أَفَمَنْ يَّخْلُقُ وهو الله كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ وهو الأصنام، جيء بمن، وهو لذي العقل بزعمهم [ص402] أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَO فساد ما تفعلون من الإيمان بالأصنام والكفر بالله وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا لا تضبطوها فضلا أن تشكروها إِنَّ اللهَ لَغَفُوْرٌ حيث لا يقطع مع التقصير

---

1 – سورة الليل، الآية: 12.

رَّحِيْمٌO حيث ينعم بعد التقصير وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَO من القول والفعل للقلب والجوارح وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام لَا يَخْلُقُوْنَ شَيْئًا وَّهُمْ يُخْلَقُوْنَO يصورون من الجمادات أَمْوَاتٌ لا أرواح فيهم غَيْرُ أَحَيَاءٍ تأكيد وَمَا يَشْعُرُوْنَ أي: الأصنام أَيَّانَ يُبْعَثُوْنَOع عبدتهم وسائر الخلائق إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ المستحق للعبادة وَّاحِدٌ لا نظير له في ذاته وصفاته فَالَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ قُلُوْبُهُمْ مُّنْكِرَةٌ للوحدانية وَّهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَO متكبرون عنها وعن الإقرار بها لَا جَرَمَ حقا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ فيجازيهم بذلك إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِيْنَO عن التوحيد، وهم المشركون، ونزل في نضر بن الحارث وأشياعه وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ مَّا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ على محمد صلى الله عليه وسلم قَالُوْا إضلالا للسائلين عن منزلة صلى الله عليه وسلم، هو أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أكاذيب الأمم السابقة، جمع أسطورة، وتسميته منزلا على آلهتكم، أو على الفرض فهو أساطير، لا تحقيق فيه لِيَحْمِلُوْا عاقبة الأمر أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً ذنوبهم لم يكفر منها شيء يَّوْمَ الْقِيَامَةِ وَليحملوا مِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْنَ يُضِلُّوْنَهُمْ أي: بعض ذنوب الذين أضلوهم الرؤساء، وهو حصة التسبب بِغَيْرِ عِلْمٍ بغير حجة وبرهان، [ص403] إن كان حالا عن ضمير الفاعل؛ وإن كان عن ضمير المفعول؛ فمعناه جاهلين، إن المضلين ضلال أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُوْنَOع فعلهم قَدْ مَكَرَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى أمر اللهُ لقلع بُنْيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ من أسسه فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَO لا علم لهم به، تمثيل حال الماكرين بالرسل؛ وإحاقة مكرهم بهم، كحال من بنى بيتا على الدعائم، وهو تحب القصر، فاستوصل القواعد، فخر السقف عليه، فهلك بما فعل، وجمهور المفسرين على أن نمرود بن كنعان بني الصرح ببابل[1]، طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل: فرسخان ليصعد إلى السماء، وليقاتل أهلها، فأرسل الله الريح والزلزلة فهدمتاه، فخر عليه وعلى قومه، فهلكوا طرا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيْهِمْ يذلهم الله وَيَقُوْلُ على لسان الملائكة: أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تُشَاقُّوْنَ تخالفون المؤمنين فِيْهِمْ قَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ من الأنبياء أو من علماء كل أمة، تعظهم في الله أو من الملائكة إِنَّ الْخِزْيَ الذل

1- بابل: باءان موحدتان بينهما ألف، وآخره لام: جاءت في قوله تعالى: وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ. قلت: هي مدينة العراق العظيمة ذات التأريخ المجيد، المشهورة بحدائقها: حدائق بابل المعلقة. وكانت إحدى عجائب الدنيا القديمة السبع. وقد اندثرت بابل، ولكن آثارها لا زالت باقية. يؤمها مئات السياح يوميا. تقع آثار بابل بين النهرين، وهي إلى الفرات أقرب، في الجنوب من بغداد، وإلى الشرق من كربلاء، بجوار مدينة الحلة، والطريق الغربية بين بغداد والبصرة تمر بآثار بابل. الحربي: عاتق بن غيث بن زوير، البلادي، (ت: 2010هـ). معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: (ط-1، دار مكة، مكة المكرمة، 1402هـ / 1982م). ص:39.

والفضيحة الْيَوْمَ يوم القيامة وَالسُّوْءَ العذاب عَلَى الْكَافِرِيْنَO الذين لم يسمعوا وعظنا، ولم يهتدوا بنا الَّذِيْنَ تَتَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيْٓ أَنْفُسِهِمْ بالكفر فَأَلْقَوُا السَّلَمَ الانقياد والصلح عند الموت، قائلين: مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوْءٍ من شرك، فرد عليهم أهل العلم بقولهم: بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم بما عملتم فَادْخُلُوْا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِيْنَO مأواهم جهنم وَقِيْلَ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا الشرك مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوْا أنزل خَيْرًا لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا [ص404] بالإيمان والعمل حَسَنَةٌ ثواب، وآمن لهم في الآخرة وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها، قال تعالى: وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِيْنَO دار الآخرة، هي جَنَّاتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُوْنَهَا تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيْهَا مَا يَشَاءُوْنَ كَذَالِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِيْنَO الَّذِيْنَ تَتَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِيْنَ عن أدناس الكفر يَقُوْلُوْنَ أي: الملائكة لمن أشرف على الموت من الله سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ويقال لهم في الآخرة: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO أي: بعملكم هَلْ يَنْظُرُوْنَ أي: ما ينتظر هؤلاء الكفرة، لأن يعترفوا بالإيمان والتوحيد وقتا من الأوقات إِلَّا وقت أَنْ تَاتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بقبض الأرواح أَوْ يَاتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ أي: عذابه، أو القيامة كَذَالِكَ مثل تكذيبهم وشركهم فَعَلَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ بإهلاكهم وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO يفعلون ما يستحقون به هذا الجزاء فَأَصَابَهُمْ سَيِّآتُ مَا عَمِلُوْا أي: جزاء أعمالهم السيئة وَحَاقَ أحاط بِهِمْ مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO[ع] جزاء استهزاءهم وَقَالَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا من أهل مكة استهزاءا، ولو كان حقا في نفس الأمر لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُوْنِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا من البحائر والسوائب مِنْ دُوْنِهِ مِنْ شَيْءٍ فإشراكنا وتحريمنا بمشية الله، فهو راض به عنا، ولا حاجة لبعثة الرسل والتكاليف، لأن ما شاء تحقق ووجب، وما لم يشأ انتفى وامتنع، ولم يعلموا أن الله لا يرضى بعباده الكفر، فالكفر بمشيته وإرادته لا شبهة فيه؛ إلا أنه غير مرضي له، فبعثوا بالأوامر المرضية والنواهي الغير المرضية كَذَالِكَ فَعَلَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ [ص405] أي: كذبوا رسلهم فيما جاؤا به فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُO لا الهداية الموصلة وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيْ كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُوْلًا كما بعثنا في هذه الأمة أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وحّدوه وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ أي: طاعتها فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللهُ فآمن وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ لزمت عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ في علمه تعالى فلم يؤمن فَسِيْرُوْا يا كفار مكة فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَO أهلكوا مع ديارهم إِنْ تَحْرِصْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام عَلَى هُدَاهُمْ أي: هدى كفار مكة فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ يُّضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَO يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم؛ من الكفر في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فهم من القسم الثاني وَأَقْسَمُوْا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أي: غاية الجهد في أمر الإيمان، عطف على قال الذين أشركوا لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَّمُوْتُ قال: ردا عليهم؛ بَلَى يبعثهم، وعد وَعْدًا عَلَيْهِ حق حَقًّا وَّلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: أهل

مكة لَا يَعْلَمُوْنَO حقية وعد البعث لِيُبَيِّنَ متعلق بيبعث، المفهوم من بلى لَهُمُ الَّذِيْ يَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِ في التوحيد والبعث مع المؤمنين وَلِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّهُمْ كَانُوْا كَاذِبِيْنَO في إنكارهم، والمؤمنون هم الصادقون في إقرارهم إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أي: أردنا إيجاده أَنْ نَّقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُO ع فهو يكون، أي: كل شيء ممتثل القول في الوجود فكل مقدور، إذا كان إيجاده بهذه السهولة، فكيف البعث؟ أي: الإعادة، هو أهون من الإيجاد وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا هم النبي والمؤمنون فِي اللهِ في حقه ولوجهه مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوْا من كفار قريش [ص406] لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا لننزلنهم فيها مباءة حَسَنَةً هي المدينة الطيبة وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أي: الجنة أَكْبَرُ أعظم لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَO أي: المؤمنون لزادوا في الاجتهاد، أو الكفار لرغبوا في الدين الَّذِيْنَ صَبَرُوْا على مفارقة الوطن وأذي المشركين والمجاهدة، والتقدير أو أعني وكلاهما مدح وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَO فكفاهم حق كفاية، قالت قريش: الله أعظم من أن يكون له بشر رسولا، فنزلت: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا لا ملائكة نُّوْحِيْ إِلَيْهِمْ إن شككتم فيه فَسْئَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ علماء التوراة والإنجيل، وهم ثقتكم ليعلموكم إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO ذلك أرسلناهم بِالْبَيِّنَاتِ الحجج الواضحة وَالزُّبُرِ الكتب وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ القرآن لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ من الحلال والحرام والتوحيد والبعث وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَO النصف فيما نزل إليهم لينتفعوا به أَفَأَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوا مكرات السَّيِّئَاتِ أي: كفار مكة في دار الندوة في النبي صلى الله عليه وسلم، أو في ضد الناس عن الإيمان، أو الذين احتالوا لهلاك الأنبياء أَنْ يَّخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ كقارون أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَO أي: بغتة من السماء، كقوم لوط، أو من غير تقدير في البال، كهلكى بدر أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِيْ تَقَلُّبِهِمْ أي: يأخذ الله إياهم في أسفارهم ومتاجرهم فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَO بفائتين العذاب أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ على مخافة بهلاك أقوام قبلهم، فيتخوفون فيأتيهم العذاب وهم متخوفون خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾(1)، أو تنقص في أنفسهم وأموالهم حتّى يهلك الجميع، التخوف: التنقص على لغة هزيل فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌO حيث لم [ص407] يعاجل بالعقوبة أَوَلَمْ يَرَوْا استفهام إنكار إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ذي ظل، بيان الموصولة يَّتَفَيَّأُ يتميل ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِيْنِ أول النهار وَالشَّمَائِلِ آخر النهار، جمع شمال، يتفيؤ، أي: عن جانبيه أو يمين الفلك هو جانب الشرقي، لأن ظهور الكواكب منه، وشماله وهو الجانب الغربي؛ المقابل له، فإن الظلال في أول النهار يبتدئ من المشرق، واقعة على الربع الغربي من الأرض، وعند الزوال من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض، وتوحيد اليمين، وجمع الشمال، لاعتبار لفظ شيئ، ومعناه كتوحيد الضمير

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 26.

في ظلاله وجمعه في قوله، وهم داخرون سُجَّدًا للهِ حال، أي: متواضعين لله وَهُمْ دَاخِرُوْنَO صاغرون منقادون، وجمع العقلاء للتغليب، أو لأن الدخور من أوصافهم وَللهِ يَسْجُدُ ينقاد انقيادا إراديا أو طبعيا مَا عبر بما ليعم العقلاء وغيرهم فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ بيان لهما، وهي نسمة لها، دبيب: وهي الحركة الجسمانية، أو لما في الأرض وَّالْمَلَائِكَةُ خصت بالذكر تفضيلا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَO لا ينكرون عبادته يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ القاهر مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَOع السجدة به وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوْا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ تأكيد للعدد إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُوْنِO خافوني لا غيري وَلَهُ ملكا وخلقا وعبيدا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّيْنُ الطاعة وَاصِبًا حال، أي: لازما، وقيل: وله الجزاء دائما، والعامل فيه معنى الظرف أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُوْنَO والحال أن لا ضار ولا نافع إلا هو، فالاستفهام إنكاري وَمَا بِكُمْ أيها الناس! مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ لا من غيره ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ الفقر والمرض فَإِلَيْهِ تَجْئَرُوْنَO تتضرعون برفع الأصوات ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْكُمْ [ص408] من للتبعيض بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُوْنَO لِيَكْفُرُوْا بِمَا آتَيْنَاهُمْ من نعمة الكشف، كأنهم جعلوا شركهم معلولا لكفران النعمة فَتَمَتَّعُوْا أمر تهديد فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَO جزاء صنيعتكم وَيَجْعَلُوْنَ لِمَا لَا يَعْلَمُوْنَ ألوهيتهم، أي: الأصنام نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الأنعام والحرث، فقالوا : ﴿هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾[1] تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُوْنَO أن الأصنام ذووا النصيب كالله سبحانه، وإن الله أمرهم بذلك، وأنهم آلهة وأهل للتقرب إليها ليتقرب وَيَجْعَلُوْنَ للهِ الْبَنَاتِ قالت خزاعة وكنانة: الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ تنزيها له عن كل ما لا يليق بجنابه وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُوْنَO أي: البنون وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ أخبر بِالْأُنْثَى أي: بولادتها ظَلَّ صار أو دام النهار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مغتما من الكآبة، وحياءا من الناس وَّهُوَ كَظِيْمٌO ممتلئ غما وغيظا من المرأة يَتَوَارَى يستخفي مِنَ الْقَوْمِ من قومه مِنْ أجل سُوْءِ مَا بُشِّرَ بِهِ عرفا محدثا نفسه أَيُمْسِكُهُ أي: المبشر به بلا قتل ولكن عَلَى هُوْنٍ وذل أَمْ يَدُسُّهُ يخفيه فِي التُّرَابِ ويئده فيقتله بإهالة التراب عليه أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُوْنَO حكمهم هذا حيث ينسبون إليه تعالى ما هذا شأنه عندهم، وتذكير الضمائر لرعاية لفظ ما لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ الصفة القبيحة، وهي أد هم البنات خشية الإملاق مع الاحتياج إليها في التناسل وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الصفة الحسنة، وهو الاستغناء عن العالمين، والنزاهة عن صفات المخلوقين، وأنه لا إله إلا هو وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب في ملكه بإنفاذ حكمه في كل حال الْحَكِيْمُOع في إمهال العباد إلى الآجال وَلَوْ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورة الانعام، الآية: 137.

يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ في الدنيا بِظُلْمِهِمْ بمعاصيهم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا على الأرض مِنْ دَابَّةٍ نسمة، تدب عليها بشوم ظلمهم وَّلٰكِنْ يُّؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أي: [ص409] وقت الموت فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُوْنَ عنه سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَO عليه وَيَجْعَلُوْنَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُوْنَ لأنفسهم وتشريك الرياسة، واستهزاء الرسل والبنات، والأموال الرذيلة، والأصنام الكريمة وَتَصِفُ تقول أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ هو أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى أي: الجنة عند الله إذا رجعوا إليه على فرض البعث لَا جَرَمَ حقا أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُوْنَO مقدمون إلى النار، معجلون إليها تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رسلا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ السيئة، فرأوها حسنة فَهُوَ أي: الشيطان وَلِيُّهُمُ ولي الكفار، أو كفار قريش الْيَوْمَ في الدنيا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ القرآن إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُم للناس الَّذِي اخْتَلَفُوْا فِيْهِ من أمر الله كالبعث وغيره وَهُدًى وَّرَحْمَةً عطف على محل لتبين، وهما: فعل الله، وهو فعل المخاطب، جيئا مجردين عن اللام منصوبين، وجيئ محلي بها لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا باليبس إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً دالة على البعث لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَOع سماع إنصاف وتدبر وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً اعتبارا من الجهل إلى العلم نُسْقِيْكُمْ مِّمَّا فِيْ بُطُوْنِهِ أي: من بعض ما في بطون الأنعام، وهو اسم جمع، عدّه سيبويه في المفردات، قد يراعي لفظه كما ههنا، وقد يراعي معناه كما في سورة المؤمنون مِنْ ابتدائية بَيْنَ فَرْثٍ وَّدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا سهل المرور في الحلق لِّلشَّارِبِيْنَO قالوا: البهيمة إذا أكلت العلف يستقر في الكرش، ويحصل له انهضام، فالكبد يصيره بجذب صفوة المأكول بعد هضم آخر دما، وبعض أجزاءه لبنا، فيبيض بمجاورة [ص410] لحومها العذبة البيض، فهو متولد بين الفرث، أي: ثقل الكرش، وهو للأنعام كالمعدة للآدمي، وبين الدم الذي هو أعلاه لا طعم ولا رائحة من الفرث، ولا لون من الدم فيه، فهو القادر الحكيم البديع وَنسقيكم مِنْ عصير ثَمَرَاتِ النَّخِيْلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُوْنَ مِنْهُ من عصيرهما سَكَرًا كلام مستأنف، والسكر مصدر، سمي به الخمر، وهذا قبل تحريمها وَّرِزْقًا حَسَنًا النخل والدبس، وقيل: من ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا، فلا حاجة إلى شيء من التقديرات إلا كلمة ثمر إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً دالة على قدرته لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO يتدبرون وَأَوْحَى ألهم رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ مفسرة اتَّخِذِيْ التأنيث باعتبار النحلة، أو معنى الجمعية في الجنس مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا وَّمِنَ الشَّجَرِ بيوتا وَمِمَّا يَعْرِشُوْنَO لك أو لأنفسهم بيوتا، وكلمة من للتبعيض، وضمير الجمع للناس ثُمَّ كُلِيْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ مرّها وحلوّها فَاسْلُكِيْ فادخلي سُبُلَ رَبِّكِ طرقا ألهمك ربك في عمل العسل، أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبله تعالى لا تضلين فيها ذُلُلًا حال من السبيل، أي: ذللها وسهلها لك، أو من فاعل اسلكي، أي: أنت ذلل منقادة لما أمرت به يَخْرُجُ مِنْ بُطُوْنِهَا شَرَابٌ عسل مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ أبيض

من الشباب، وأصفر من الكهول، وأحمر من الشيب فِيْهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ قيل: من بعض الأمراض، وعن ابن مسعود رضي الله عنه[1]: العسل شفاء من كل داء، وحديث الاستطلاق يؤيده إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً دالة على عجائب ملكه، وأنه واحد لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO يتدبرون في صنائعه فيؤمنون وَاللهُ خَلَقَكُمْ وكنتم عدما محضا ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ عند انقضاء آجالكم وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ أخسه؛ خمس وسبعون، أو ثمانون، أو تسعون [ص411] لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا أي: لينسى المعلوم بعد إن كان عالما به، أو لا يزيد على ما علم، قال عكرمة: من قراء القرآن لم يصر بهذه الحالة إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بما قدر قَدِيْرٌOع على ما أراد، وشاء وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فمنكم غني وفقير، ومنكم مالك ومملوك فَمَا الَّذِيْنَ فُضِّلُوْا {أي: الأغنياء}[2] بِرَادِّيْ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أي: ليس الملاك المفضلون في الرزق معطي رزقهم على المملوكين، بأن يقتسموا بينهم على السواء، فيصير المملوك مثل المالك فَهُمْ فِيْهِ سَوَاءٌ أي: الملاك الأغنياء لا يردون رزقهم على المملوكين؛ ليتساووا في الرزق، فكيف يشركون مماليك إليه في ملكه؟ ويحكمون بالمساواة أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُوْنَO ينكرون حيث يجعلون له شركاء وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جنس أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَّجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِيْنَ خلق حواء من الضلع الأيسر من آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء وَحَفَدَةً أولاد الأولاد، أو خدما يسرعون في الخدمة وَّرَزَقَكُمْ مِّنْ الطَّيِّبَاتِ من الثمار والحبوب والحيوان أَفَبِالْبَاطِلِ بالأصنام وشفاعتها يُؤْمِنُوْنَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ أي: الإسلام هُمْ يَكْفُرُوْنَO وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ من غيره تعالى مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ المطر وَالْأَرْضِ النبات شَيْئًا بدل من رزقا وَّلَا يَسْتَطِيْعُوْنَO أي: الآلهة الباطلة لا يقدرون على شيء من ذلك فَلَا تَضْرِبُوْا لِلّهِ الْأَمْثَالَ أي: لا تجعلوا لله أشباها في الألوهية، تشركونهم به تعالى إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أن لا مثل له وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO ذلك ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا بدل من مثلا مَّمْلُوْكًا غير حر لَّا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ من التصرف لعدم ملكه وَّمَنْ أي: [ص412] حرّا رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَّجَهْرًا أي: يتصرف فيه كيف يشاء هَلْ يَسْتَوُوْنَ أي: العبد والحر، فالصنم كالعبد المحجور العاجز، وهو تعالى كالحر المتصرف في ملكه الْحَمْدُ لِلّهِ وحده بَلْ

---

1 – ابن مسعود رضى الله عنه: كان عبد الله بن مسعود من هذيل. ورهطه منهم: بنو عمرو بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل. وكان من حلفاء بنى زهرة. ويكنى: أبا عبد الرحمن. وشهد مع رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– بدرا، وبيعة الرّضوان، وجميع المشاهد. وكان على قضاء الكوفة، وبيت مالها، لعمر، وصدرا من خلافة عثمان. ثم صار إلى المدينة، فتوفى بها سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع. ابن قتيبة: المرجع السابق. 249/1.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

أَكْثَرُهُمْ أي: كفار مكة لَا يَعْلَمُوْنَO عاقبة الإشراك بالله وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ بدل من مثلا أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ولد أخرس لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ من الفهم والإفهام وَّهُوَ كَلٌّ ثقيل عَلَى مَوْلَاهُ من يلي أمره ويعوله أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُّ يصرفه ويرسله يَأْتِ بِخَيْرٍ لَا أي: لاينجح ولا يكفي مهما، فهو مثل الكافر والصنم هَلْ يَسْتَوِيْ هُوَ الأبكم وَمَنْ يَّأْمُرُ بِالْعَدْلِ ينطق بالحق والصواب فهو مثل المؤمن، أو الله سبحانه وَهُوَ في نفس الأمر عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍOع لا إعوجاج فيه وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: ما غاب عن الناس فيهما وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ أي: قيامها في القرب والسهولة والسرعة إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها؛ مقدار متعارف في القلة أَوْ هُوَ أي: أمرها أَقْرَبُ لأنه بلفظ كن فيكون، فهو أنيّ لكونه دفعة من غير تدريج إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ الهاء مزيدة للتأكيد، كما في إهراق، وشذت زيادتها في المفرد لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا من حقوق المنعم الخالق، جملة حالية وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ أي: الإسماع وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ من فؤاد، كالأغربة من غراب، جمع القلة استعمل في الكثرة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعمة إعطاء آلات الإدراك والعلم ودفع الجهل أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مذللات للطيران بخلق الأجنحة فِيْ جَوِّ السَّمَاءِ هواءها المتعالي من الأرض مَا يُمْسِكُهُنَّ عند قبض الأجنحة وبسطها؛ أن يقعن على الأرض، [ص413] إذ لا دعامة ولا علاقة لها إِلَّا اللهُ بقدرته الكاملة، فإن ميل الأثقال إلى المركز بالطبع إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَاتٍ دالة على كمال قدرته لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO بالله وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوْتِكُمْ سَكَنًا موضعا تسكنون فيه، كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر وَّجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُوْدِ الْأَنْعَامِ بُيُوْتًا قباب الأدم تَسْتَخِفُّوْنَهَا للحمل والنقل يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وقت سفركم وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ حضركم وَمِنْ أَصْوَافِهَا أي: الضأن وَأَوْبَارِهَا أي: الإبل وَأَشْعَارِهَا أي: المعز أَثَاثًا متاعا للبيت، كالبسط والأكسية وَّمَتَاعًا شيئا يتمتعون به إِلَى حِيْنٍO مدة البلا والرثاثة وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ من البيوت والشجر والغمام ظِلَالًا يقيكم حر الشمس وَّجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا جمع كن، أي: ما يستر، كالكهف والغار والسرداب وَّجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيْلَ قميصا ثيابا تَقِيْكُمُ الْحَرَّ والبرد، واكتفى بأحد ضدين، لأن الوقاية من الحر أهم من البرد، إذ البرد هناك قليل وَسَرَابِيْلَ وقميصا تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ أي: شدة الحرب، أي: دروعا من حديد وجواشن يرد عنكم سلاح الأعداء، والسربال أعم يقع على ما كان من حديد أو غيره كَذَالِكَ كما أتم هذه النعماء يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ فيما تحتاجون إليه لَعَلَّكُمْ يا أهل مكة تُسْلِمُوْنَO تنظرون في النعم، فتؤمنون بالله تعالى فَإِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا عن الإسلام فَإِنَّمَا عَلَيْكَ يا محمد!عليك الصلاة والسلام الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُO وقد فعلت، والهداية أمر من لديه، هذا قبل الأمر بالقتال يَعْرِفُوْنَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُوْنَهَا أي: يقرون أنها من عند الله تعالى، ثم يعبدون الأصنام المستلزم لإنكار نعمة

المنعم الحقيقي وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُوْنَO٨ لا يعلمون أنها [ص414] منه تعالى وَاذكر يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيْدًا وهو نبيهم يشهد بما لها وعليها ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ في الاعتذار لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا إذ لا حجة معهم ولا عذر وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُوْنَO ولا يطلب منهم العتبى، أي: الرجوع إلى ما يرضى به الله وَإِذَا رَأَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ أي: النار فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ العذاب بعد الدخول فيها وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَO يمهلون عنه قبله وَإِذَا رَأَى الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا شُرَكَاءَهُمْ من الشياطين والأصنام في النار قَالُوْا مقرين بالخطاء، أو مستضعفين للعذاب رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِيْنَ كُنَّا نَدْعُوْهم، نعبدهم أو نطيعهم مِنْ دُوْنِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ أجاب الشركاء بهذا القول إِنَّكُمْ لَكَاذِبُوْنَOالثلاثة في إنكم تعبدوننا بل عبدتم أهواءكم، أو في تسميتكم شركاء الله أو في أننا حملناكم على الكفر، بل أنفسكم حملتكم على الكفر وَأَلْقَوْا أي: المشركون إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ يوم القيامة السَّلَمَ الاستسلام لأمر الله تعالى بعد الإباء في الدنيا وَضَلَّ عَنْهُمْ غاب وبطل مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَO إن آلهتهم يشفعون وينصرون الَّذِيْنَ كَفَرُوْا في أنفسهم وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ ومنعوا الناس عن دينه زِدْنَاهُمْ عَذَابًا للصد فَوْقَ الْعَذَابِ للكفر بِمَا كَانُوْا يُفْسِدُوْنَO لصدهم الناس وَاذكر يَوْمَ نَبْعَثُ فِيْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيْدًا عَلَيْهِمْ بخيرهم وشرهم، وهو نبيهم المبعوث مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام شَهِيْدًا عَلَى [ص415] هَٰؤُلَاءِ أي: على قومك، ولا يبعد أن يقال على شهداء كل قوم، فإنه صلى الله عليه وسلم شهيد الشهداء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ القرآن تِبْيَانًا بيانا واضحا لِّكُلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه من أمر الشريعة، فإن السنة والإجماع والقياس كلها متخذة من الكتاب وَّهُدًى من الضلالة وَّرَحْمَةً وَّبُشْرَى بالجنة لِلْمُسْلِمِيْنَO٨ الموحدين إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وبين الله وَالْإِحْسَانِ إكمال الواجبات بالنوافل، أو الحضور وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى إعطاءهم ما يحتاجون إليه وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ الذنوب المفرطة في القبح كالزنا وَالْمُنْكَرِ الشرعي من الكفر والمعاصي وَالْبَغْيِ الظلم للناس، خصت اهتماما بذكرها؛ فإن منشاءها القوة الشهوية والغضبية والوهمية، فهي أجمع آية في القرآن للخير والشر، وصارت سبب إسلام عثمان بن مظعون[1]، فإنها تبيان لكل شيء يَعِظُكُمْ بالأمر والنهي لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَO تتعظون

---

1 – عثمان بن مظعون: هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، ويكنى أبا السائب، وأمه سخيلة بنت العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح. وكان لعثمان من الولد عبد الرحمن والسائب، وأمهما خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية. انطلق عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعا في ساعة واحدة. وهاجر عثمان بن مظعون إلى أرض الحبشة الهجرتين. ابن سعد: المرجع السابق. 301/3.

وَأَوْفُوْا بِعَهْدِ اللهِ أيّ عهد كان إِذَا عَاهَدْتُّمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيْدِهَا توثيقها بذكر اسم الله وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيْلًا رقيبا، حيث حلفتم باسمه إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُوْنَO من البر والخبث؛ فيجازيكم به وَلَا تَكُوْنُوْا أيها القريش! كَالَّتِيْ أي: كالامرأة التي نَقَضَتْ غَزْلَهَا أي: مغزولها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ إحكام وإبرام للمغزول أَنْكَاثًا جمع نكث بالكسر، وهو ما ينكث من المفتول فتلة، حال من غزلها تَتَّخِذُوْنَ حال من ضمير تكونوا أَيْمَانَكُمْ أقسامكم دَخَلًا فسادا وخديعة [ص416] بَيْنَكُمْ تنقضونها أَنْ تَكُوْنَ أي: بأن تكون، أو لأن تكون، وكان تامة أُمَّةٌ هِيَ أي: الأمة أَرْبَى أكثر عددا، أو أوفر مالا مِنْ أُمَّةٍ شبه الناقض للعهد بامرأة، وشأنها هذا، أو المراد بالتي ربطة بنت سعد بن تيم القرشية كانت حمقاء، وتغزل مع جواريها طول النهار، ثم ينقضن ما غزلن، أي: لا تكونوا أيها القريش مثلها، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، وهو ما يدخل في الشيء وليس منه، بأن تنقضوها، لأن تكونوا جماعة كثيرة ناكثة العهد من جماعة قليلة، فإنهم إذا رأوا شوكة في أعادي حلفاءهم نقضوا عهدهم، وعاهدوا وحالفوا أعداءهم، ليكونوا جماعة كثيرة ذات الشوكة، يعني: إذا حالفتم جماعة المؤمنين؛ وهم اليوم قليل اوفوا بالعهود، ولا تغتروا بشوكة الكفار لتكونوا معهم ناكثين العهد عن المؤمنين إِنَّمَا يَبْلُوْكُمُ اللهُ بِهِ أي: يختبركم بالوفاء بالعهد، أو بكونهم أربي وَلَيُبَيِّنَنَّ الله لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَO في الدنيا من العهود وغيرها وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً مسلمة غير مختلفة وَّلٰكِنْ يُّضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO من المخالفات مع الله في الأوامر والنواهي وَلَا تَتَّخِذُوْا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ كرر ليتقرر عظم شأن هذا النهي فَتَزِلَّ قَدَمٌ واحدة فضلا عن الكثيرة عن محجة الإسلام بَعْدَ ثُبُوْتِهَا بعد ثبوت تلك القدم على محجة الإسلام وَتَذُوْقُوا السُّوْءَ العذاب بالقتل والأسر بِمَا صَدَدْتُّمْ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ صدود أنفسكم بالوفاء بالعهد، أو صدكم غيركم؛ لأنهم إذا نقضوا يكون هذا النقض سنة لغيرهم في نقضهم وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO في الآخرة وَلَا تَشْتَرُوْا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا [ص417] قَلِيْلًا عوضا يسيرا بأن تنقضوا لأجله إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ من الغنائم والثواب هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ مما تغترون به في الدنيا مما في أيديهم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO ذلك، فلا تنقضوا العهد مَا عِنْدَكُمْ من أغراض الدنيا يَنْفَدُ يفنى وَمَا عِنْدَ اللهِ من خزائن الرحمة بَاقٍ دائم؛ لا ينفد وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِيْنَ صَبَرُوْا على الوفاء بميثاق الإسلام واحتمال أذى المشركين أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO قيل: أحسن بمعنى حسن مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً بالقناعة والرضا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ أردت قرأته فَاسْتَعِذْ قل: أعوذ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِO المطرود إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ تسلط عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَO إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِيْنَ يَتَوَلَّوْنَهُ يتخذونه وليا، ويبتغون وساوسه وَالَّذِيْنَ

هُمْ بِهِ تعالى مُشْرِكُوْنَO وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ بالنسخ وإنزال غيرها على حسب مصالح العباد وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ عليهم بحكمة المنزل، والجملة معترضة قَالُوْا أي: الكفار للنبي عليه السلام إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ أي: كذاب، تقول من عندك للأصحاب سخرية، تارة تأمرهم؛ وتارة تنهاهم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO حكمة النسخ قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام نَزَّلَهُ أي: القرآن رُوْحُ الْقُدُسِ جبرائيل عليه السلام، المطهر من المآثم مِنْ رَّبِّكَ من عنده وأمره بِالْحَقِّ بالحكمة، متعلق بنزل لِيُثَبِّتَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَهُدًى وَّبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَO أي: نزل تثبيتا وإرشادا وبشارة لهم، ابتلاءا بالنسخ وَلَقَدْ للتحقيق نَعْلَمُ أَنَّهُمْ أي: الكفار يَقُوْلُوْنَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ [ص418] أي: القرآن بَشَرٌ عابش غلام حويطب، أو حبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي، أو خير ويسار كانا يصنعان السيف، ويقرءان التوراة والإنجيل، أو سلمان الفارسي رضي الله عنه[1] لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ يميلون قولهم عن الاستقامة إليه غير بيّن وَّهٰذَا القرآن لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِيْنٌO ذو بيان وفصاحة إِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ بالقرآن لَا يَهْدِيْهِمُ اللهُ ما داموا كافرين وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ إنه علمه بشر الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ بالقرآن، بأنه منه تعالى وَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُوْنَO في قولهم: إنما أنت مفتر، وإنما القرآن ليس منه تعالى، روي: أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا، وكان فيهم من أكره، فأجري كلمة الكفر على لسانه؛ وهو معتقد بالإيمان، كعمار. وأما أبواه ياسر وسمية، فقد صبرا على القتل، وما تكلما بكلمة الكفر، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عمارا كفر، فقال: كلا، إن عمارا يلي إيمانا من قرنه إلى قدمه، فأتي عمار وهو يبكي، وجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه، وقال: ما لك؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت، أما ما فعل أبواك فهو الأفضل، لأن في الصبر على القتل إعزاز الإسلام، وأشار تعالى إلى هذا بقوله: مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ من شرطية أو مبتداء والجزاء، أو الخبر محذوف، يدل عليه جواب من شرح، أي: فعليهم غضب من الله إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ على التلفظ به وتلفظ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلٰكِنْ مَّنْ شَرَحَ فتح ووسع بِالْكُفْرِ صَدْرًا أي: اعتقد فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO ذَالِكَ الوعيد لهم بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا واختاروها عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَO أُولٰئِكَ [ص419] الَّذِيْنَ طَبَعَ ختم اللهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فلا تدبروا ولا إصغاء ولا بصارة معهم وَأُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَO جزاء ما يعملون لَا جَرَمَ أي: حقا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ناصر لِلَّذِيْنَ هَاجَرُوْا من مكة إلى المدينة مِنْ

---

1 – سلمان الفارسي رضي الله عنه: هو سلمان أبو عبد الله الفارسي الرامهرمزي الأصبهاني سابق الفرس إلى الإسلام رضي الله عنه. صحب النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه. وتوفي سنة ست وثلاثين للهجرة. الصفدي: المرجع السابق. 192/15.

بَعْدِ مَا فُتِنُوْا بالعذاب والإكراه ثُمَّ جَاهَدُوْا المشركين بعد الهجرة وَصَبَرُوْٓا على الجهاد إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا أي: بعد هذه الأفعال الثلاثة، هي: الهجرة والجهاد والصبر، وقيل: بعد الفتنة لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO[ع] وقيل: خبر إن الأولى محذوف؛ دل عليه خبر الثانية. اذكر يَوْمَ تَأْتِيْ كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَّفْسِهَا أي: كل إنسان يعتذر بالمبالغة عن ذاته، لا يهم شأن غيره، أو يقول: نفسي نفسي وَتُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ جزاء مَّا عَمِلَتْ من خير أو شر وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO شيئا في ذلك وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا أي: جعل حال أهل القرية الذين أنعموا فكفروا بنعمه قَرْيَةً مكة كَانَتْ آمِنَةً من القتل والسبي مُّطْمَئِنَّةً لا باعث للانتقال عنها يَّأْتِيْهَا رِزْقُهَا رَغَدًا واسعا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ بلد فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّٰهِ بتكذيب النبي فَأَذَاقَهَا اللّٰهُ لِبَاسَ الْجُوْعِ حيث قحطوا سبع سنين وَالْخَوْفِ من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم، شبه إدراك الضررين واشتمالهما بالذوق، أي: الطعم المر وباللباس بِمَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَO من الشرك والتكذيب وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّنْهُمْ أي: محمد صلى الله عليه وسلم فَكَذَّبُوْهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ عذاب الجوع والخوف وَهُمْ ظَالِمُوْنَO على أنفسهم، قيل: وجّه رسول الله عليه السلام إلى مكة أيام القحط بطعام، ففرق بينهم، فقال الله سبحانه بعد أن أذاقهم الجوع فَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَّاشْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَO [ص420] إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ المسفوح وَلَحْمَ الْخِنْزِيْرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ ما رفع الصوت عند ذبحه بأسماء الأصنام فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَّلَا عَادٍ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ لما تجاوزوا رَّحِيْمٌO بكم وَلَا تَقُوْلُوْا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذَا حَلَالٌ وَّهٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوْا عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ بنسبة مخترعاتكم إلى الله، ما خبرية، أي: لا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة، في قولكم: ﴿مَا فِيْ بُطُوْنِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُوْرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[1] من غير إستناد ذالك الوصف إلى الوحي، أو مصدرية، والكذب منصوب بقوله تصف، وهذا حلال وهذا حرام متعلق بقوله لا تقولوا إِنَّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُوْنَO لهم في أفعال الجاهلية مَتَاعٌ نفع قَلِيْلٌ في الدنيا وَّلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا أي: اليهود حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ في آية سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِيْ ظُفُرٍ﴾[2] الآية وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بتحريم ذلك وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك التحريم

---

1 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. سورة الأنعام، الآية: 139.

2 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. سورة الأنعام، الآية: 146.

عقوبة ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ عَمِلُوا السُّوْءَ بِجَهَالَةٍ أي: جاهلين بالعواقب للذة الهوى لا لعصيان المولى، والسوء يعم الافتراء عليه تعالى وعلى غيره والشرك ثُمَّ تَابُوْا رجعوا مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ العمل القبيح وَأَصْلَحُوْا إلى الموت لغفور رحيم، حذف الخبر لدلالة ما بعده عليه إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO[ع] بتكفير الجرائم وتوثيق الغرائم إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّٰهِ إماما جامعا لخصائل الخير [ص421] مطيعا، أو حاز وحده ما يحوز الأمة من المحاسن حَنِيْفًا مائلا إلى ملة الإسلام عن الأديان وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO كما زعم قريش أنهم على ملة أبيهم، حذف النون تشبيها بحرف اللين شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ لا يتغذى إلا مع الضيف إِجْتَبَاهُ اصطفاه للنبوة وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO أي: ملة الإسلام وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً نبوة وأزواجا وبنين وأموالا، ومزيد الرحمة؛ إلى أن يقال: اللّهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وَّإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَO النائلين الدرجة العليا في الجنة ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ أي: دينه حَنِيْفًا مائلا إلى الحق من الباطل وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO كما زعموا إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ أي: فرض تعظيمه للعبادة عَلَى الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ على نبيهم، وهم اليهود، أمرهم بالعبادة في الجمعة، قالوا: لا، فاختاروا السبت؛ إلا شرذمة منهم، فشد عليهم فيه، وحرم الصيد فيه عليهم، فكانوا لا يصيدون وإعقابهم لم يصروا عنه فمسخوا وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بإثابة المطيع وتعذيب العاصي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO من أمره تعالى أُدْعُ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الناس إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ دينه بِالْحِكْمَةِ بالمقالة المحكمة الموضحة للحق المزيحة للشبهة، أي: بالقرآن للخواص وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ هو القول اللين مع خلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة للعوام وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ بالطريقة التي هِيَ أَحْسَنُ طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَO هذا قبل آية السيف وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ [ص422] صَبَرْتُمْ عن الانتقام لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِيْنَO نزلت لما قتل حمزة، ومُثّل به، فقال حين رآه: أما والذي أحلف به لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فصبر وكفّر عن يمينه، والمثلة حرام اتفاقا وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ بتوفيقه تعالى وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على الكفار إن لم يؤمنوا وَلَا تَكُ يا محمد! عليك الصلاة والسلامفِيْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُوْنَO أي: لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك على عدوك إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عن الكفر والمعاصي بالنصر وَّالَّذِيْنَ هُمْ مُّحْسِنُوْنَO[ع] بالصبر والطاعة.

بني إسرائيل مكية، مائة وإحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

سُبْحَانَ أصله: أسبّح الله سبحانا، ثم نزل منزلة الفعل، فسدّ مسدّه، ودلّ على التنزيه البليغ، أي: تنزيه الله تعالى عن جميع السوء، وقد يستعمل علَما للتسبيح، كعثمان للرجل، وحينئذ يقطع عن الإضافة، ولا ينصرف الَّذِيْ أَسْرَى سرى، وأسرى لغتان بمعنى بِعَبْدِهِ بمحمد صلى الله عليه وسلم لَيْلًا قيّده بالليل، والأسرى لا يكون إلا بالليل، للتأكيد، أو ليدل على القلة بتنوينه مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أي: من مكة، فإن في رواية من عين المسجد، وفي رواية من بيت أم هانئ رضي الله عنها[1]، ومكة يشتملهما، لأن كلها مسجد إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أي: البيت المقدس، مسيرة أربعين مراحل، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، والجمهور على أنه بالجسد في اليقظة، إذ لا فضيلة للحالم والنائم، وعن عائشة رضي الله عنها: ((وَاللهِ مَا فَقَدَ جَسَدُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ عُرِجَ بِرُوْحِهِ))[2]، وعن معاوية رضي الله عنه مثله، وتعجب القريش منه، واستحالتهم، إنما هو بعروجه بالجسد في اليقظة، وتصديق أبي بكر رضي الله عنه وتسميته بالصديق به ينادي عليه، واختلفوا في رؤية ربه.((وَرَأَيْتُ رَبِّيْ)). في مستدرك الحاكم[3]، وإني [ص423] يرى في حديث عائشة رضي الله عنها يتدافعان الَّذِيْ بَارَكْنَا حَوْلَهُ بالأنهار والثمار، ومهبط الوحي على الأنبياء لِنُرِيَهُ أي: محمدا صلى الله عليه وسلم مِنْ آيَاتِنَا عجائب قدرتنا في السماوات والأرض إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ لأقوال النبي عليه السلام الْبَصِيْرُO لأفعاله وَآتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِيْ إِسْرَاءِيْلَ أَلَّا تَتَّخِذُوْا أي: لئلا تتخذوا مِنْ دُوْنِيْ وَكِيْلًاO ربا، تكلون إليه أموركم، يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا في السفينة مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًاO في جميع الأحوال، لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله. وأنتم ذرية من آمن به فاجعلوه أسوة، كما جعل آباؤكم إياه أسوة، فإن رشد الأبناء باقتداء الآباء وَقَضَيْنَا أوحينا إِلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ فِي الْكِتَابِ أي: التوراة، وأقسمنا لَتُفْسِدُنَّ بالمعاصي فِي الْأَرْضِ أرض الشام مَرَّتَيْنِ أولهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرمياء، وثانيهما قتل يحيى وقصد قتل عيسى عليهما السلام وَلَتَعْلُنَّ لتستكبرن عن طاعة الله تعالى عُلُوًّا كَبِيْرًاO استكبارا عظيما، أو لتبغن بغيا عظيما فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

---

1 – أم هانئ: هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. واسمها فاختة. وكان هشام بن الكلبي يقول: اسمها هند. وفاختة عندنا أكثر. وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. ابن سعد: المرجع السابق. 120/8.

2 – (أ) الزمخشري: المرجع السابق. 647/2. (ب) النسفي: المصدر السابق. 245/2.

3 – الحاكم: المرجع السابق. كتاب الإيمان، وأما حديث معمر، رقم الحديث: 82. 83/1.

أُوْلَاهُمَا أي: وعد عقاب أولى مرتي الفساد بَعَثْنَا سلطانا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا سنجاريب[1] وجنوده، أو بخت نصر[2]، أو جالوت، قتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المساجد، وسبؤا منهم سبعين ألفا أُوْلِيْ بَأْسٍ شَدِيْدٍ أصحاب قوة في الحرب فَجَاسُوْا فترددوا للغارة خِلَالَ الدِّيَارِ وسطها وعد العقاب وَعْدًا مَّفْعُوْلًاO ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ الدولة والغلبة عَلَيْهِمْ بعد مائة سنة بقتل جالوت، أو بخت نصر وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَّبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيْرًاO جمع نفر، كعبد وعبيد، أو هو من ينفر مع الرجل من قومه، وقلنا: إِنْ أَحْسَنْتُمْ [ص424] بالطاعة أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ لا لغيركم وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا أسأتم، قيل: اللام بمعنى على، والحق أن المراد معنى الاختصاص، أي: لا لغيرها فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ المرة الْآخِرَةِ بعثناهم لِيَسُوْءُ أي: هؤلاء وُجُوْهَكُمْ أي: يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا، يظهر في وجوهكم أثره وَلِيَدْخُلُوا أي: القتلة الْمَسْجِدَ بيت المقدس فيخربوه كَمَا دَخَلُوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وخربوه وَّلِيُتَبِّرُوْا ليهلكوا مَاعَلَوْا غلبوا عليه تَتْبِيْرًاO إهلاكا، وقلنا في الكتاب عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَّرْحَمَكُمْ بعد المرة الثانية، إن تبتم توبة أخرى عن المعاصي وَإِنْ عُدْتُّمْ مرة ثالثة عُدْنَا إلى عقوبتكم مرة ثالثة، فعادوا بتكذيب محمد عليه السلام، فسلطه عليهم بقتل قريظة، ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم، وسلط المؤمنين عليهم إلى يوم القيامة وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِيْنَ حَصِيْرًاO سجنا محبسا إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِيْ لِلَّتِيْ للحالة، أو للطريقة، أو للملة التي هِيَ أَقْوَمُ أعدل وأصوب، وهي التوحيد والإيمان برسوله، والعمل بما جاء به وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أي: بأن لهم أَجْرًا كَبِيْرًاO وَّأَنَّ أي: بأن الَّذِيْنَ لَا يؤْمنوْنَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاOع أي: النار وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ أي: جنسه؛ على نفسه وأهله وماله وولده بِالشَّرِّ عند الغضب والضجر، أو بحسبان الخير دُعَاءَهُ أي: مثل دعاءه لهم بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُوْلًاO يسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه، ولا يتأنى تأنى تبصر في عاقبة الأمر وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ [ص425] دالتين على قدرتنا فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ الإضافة بيانية، أو آية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحو القمر حيث لم يخلق له نور، يرى الأشياء به، كما في الشمس ليسكنوا وليلبسوا وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ بالاكتساب وَلِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِيْنَ

---

1 – سنجاريب: سنجاريب من أهل ينوى، وفى الكشاف سنحاريب؛ يروى بالجيم وبالحاء المهملة. الدِّيار بَكْري: حسين بن محمد بن الحسن، (ت: 966هـ). تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: (دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر). 173/1.

2 – بخت نصر: هو بخت نصر بن نبو فلسر، ملك قبل إحراقه هيكل الرب وإخرابه أورشليم تسع عشرة سنة، وبعده أربعا وعشرين سنة. واسمه بالسريانية نبو خذ نصر، أعني عطارد ينطق. ابن العبري: المرجع السابق. ص:43.

وَالْحِسَابَ للأوقات بحركتهما واختلافهما وَكُلَّ شَيْءٍ يحتاج إلى التفصيل فَصَّلْنَاهُ بيناه تَفْصِيْلًاO تبيانا وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ أي: عمله وما قدر له؛ لزوم الطوق أو القلادة فِيْ عُنُقِهِ خص بالذكر، لأن اللزوم فيه أشد، قال مجاهد: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة؛ مكتوب فيها: إنه شقي أو سعيد، وكان العرب يتفأل ويتطير بالطيور؛ فكنى به خيره وشره وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا أي: مكتوبا يَّلْقَاهُ مَنْشُوْرًاO ليمكن قرأته، صفتان للمكتوب، أو الثاني حال عن الأول، يقال له: اِقْرَءْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الباء زائدة الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًاO حاسبا أو كافيا، والتذكير لأن الشهادة يتولاها الرجال، أو بتأويل النفس الشخص مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ لأنها تنفعه لا غيره وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لأنها تضره لا غيره وَلَا تَزِرُ تحمل نفس وَازِرَةٌ حاملة وِّزْرَ حمل أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ أحدا في الدنيا حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلًاO يبين له ما له وما عليه، فتقوم الحجة عليه وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أي: أهلها أَمَرْنَا بلسان الرسول مُتْرَفِيْهَا أي: متنعمي القرية، أي: رؤساها بالطاعة فَفَسَقُوْا فخرجوا عن الأمر فِيْهَا في الطاعة فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ بالعذاب فَدَمَّرْنَاهَا أهلكنا [ص426] أهلها تَدْمِيْرًاO إهلاكا وَكَمْ كثيرا أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُوْنِ من الأمم السابقة مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ كعاد وثمود وغيرهما وَكَفَى بِرَبِّكَ الباء زائدة بِذُنُوْبِ عِبَادِهِ خَبِيْرًا بَصِيْرًاO الجار والمجرور متعلق بخبيرا بصيرا، وإن كانت مخزونة في الصدور أو تحت الستور ومَنْ كَانَ يُرِيْدُ بعلمه الْعَاجِلَةَ في الدنيا عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُّرِيْدُ بدل من له بإعادة الجار ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ في الآخرة جَهَنَّمَ يَصْلٰهَا يدخلها مَذْمُوْمًا ملوما مَّدْحُوْرًاO مطرودا من الرحمة وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا العمل اللائق بها وَالحال هُوَ مُؤْمِنٌ بما جاء به الرسول فَأُولٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُوْرًاO مقبولا، يثاب عليه كُلًّا كل واحد من الفريقين؛ مريدي العاجلة والآجلة، فالتنوين للعوض، مفعول لقوله: نُّمِدُّ هٰٓؤُلَاءِ وَهٰٓؤُلَاءِ وهما بدل عن قوله كلا، أي: نجعل الآنف مددا للسالف، أي: مرة بعد أخرى بحيث لا ينقطع مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ متعلق بنمد، والعطاء اسم للمعطي وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوْرًاO ممنوعا عن عباده فضلا، آمنوا أولم يؤمنوا، عصوا أولم يعصوا، وإن عصوا اُنْظُرْ بعين الاعتبار كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الدنيا؛ في الرزق والجاه وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَّأَكْبَرُ تَفْضِيْلًاO من الدنيا، فالاعتناء بها دونها لَا تَجْعَلْ خطاب لكل مخاطب، أو لأمة محمد عليه السلام مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ فتصير مَذْمُوْمًا مَّخْذُوْلًاO ؏ اجتمع عليك الذم والخذلان، فلا مدح ولا نصرة لك وَقَضَى رَبُّكَ أمر قطعيا أَلَّا تَعْبُدُوْا أي: بأن لا تعبدوا إِلَّا إِيَّاهُ وَأن تحسنوا بِالْوَالِدَيْنِ [ص427] إِحْسَانًا إِمَّا إن شرطية، وما زائدة للتأكيد، ولذا أدخلت النون المؤكدة في الفعل؛ ولو أفردت، إن لم يصح دخولها، لا تقول: إن تكرمن، بل تقول: إما تكرمن يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا فاعل يبلغن أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ صوت تدل على التوبيخ والتضجر،

بكسر الفاء؛ لالتقاء الساكنين ونون لإرادة التنكير، أي: تضجر تضجيرا، ويدل النهي عن التضجر على النهى عن سائر أنواع الإيذاء دلالة وَّلَا تَنْهَرْهُمَا لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا○ جميلا لينا، بدل التأفيف والنهر وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ألن لهما جانبك الذليل مِنَ الرَّحْمَةِ أي: لرقتك عليهما وَقُلْ يا من له أبواه مسلمان رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِيْ رحماني حين كنت صَغِيْرًا○ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِيْ نُفُوْسِكُمْ من البر والعقوق في الوالدين إِنْ تَكُوْنُوْا صَالِحِيْنَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِيْنَ غَفُوْرًا○ أي: مع قصد الصلاح إن فرطت هنئه يؤذيهما، فأبتم إلى الله تعالى واستغفرتم منها، فإنه كثير الغفران للراجعين وَآتِ اعط ذَا الْقُرْبَى ذا القرابة حَقَّهُ من النفقة إن كانوا محارم فقراء وَآت الْمِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ حقهم من الزكاة وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيْرًا○ لا تفرق المال في غير الحل والمحل تفريقا، وقد أنفق أحد في خير كثيرا، فقال صاحبه: لا خير في الإسراف، قال: لا إسراف في الخير إِنَّ الْمُبَذِّرِيْنَ المسرفين كَانُوْا إِخْوَانَ الشَّيَاطِيْنِ أمثالهم في الشرارة وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوْرًا○ شديد الكفر لأنعمه، فكذلك أخوه المبذر وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ إن شرطية؛ وما زائدة للتأكيد، أي: إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياءا عن ردهم ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوْهَا طلبا من الله تعالى رزقا [ص428] ترجوه، إن يعطيك فتعطيهم فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُوْرًا○ لينا سهلا، وردهم ردا جميلا؛ عدة بالإعطاء عند إعطاء الله سبحانه إياك وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْمًا مَّحْسُوْرًا○ أمر بالاقتصاد بين الإسراف والتقتير، وتمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، أي: لا تمسك يدك عن الإنفاق كل المسك، ولا تمد يدك غاية المد في الإعطاء، فتقعد بعد الخصلتين ملوما على الأول محسورا على الثاني، أي: منقطعا لا شيء عندك، قيل: لقد خاطرت مسلمة وضرتها اليهودية في أنه صلى الله عليه وسلم أجود من موسى عليه السلام، فبعثت ابنها ليسأله قميصه الذي عليه، فدفع وقعد عريانا في الحجرة، فأقيمت الصلاة، فلم يخرج للصلاة، فنزلت: وَلَا تَجْعَلْ... إلخ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ أي: توسيع الرزق وتضييقه بيد الله تعالى، يعطيهم بقدر مصالحهم، ينبغي أن نحري على الاقتصاد إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيْرًا بَصِيْرًا○ع بمصالحهم وحوائجهم وَلَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ بناتكم بالوأد خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ مخافة فقر نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيْرًا○ إثما عظيما، وهو ضد الثواب وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى نهي عن الزنا بأبلغ الوجه إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً قبيحا وَسَاءَ سَبِيْلًا○ بئس طريقا هو وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ قتله إِلَّا بِالْحَقِّ المبيح للدم وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوْمًا من غير موجبة فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ لوارث المقتول سُلْطَانًا غلبة على القاتل في الاقتصاص منه فَلَا يُسْرِفْ الولي فِي الْقَتْلِ فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين، كعادة الجاهلية أو ثلاثة إِنَّهُ أي: الولي كَانَ مَنْصُوْرًا○ من الله عز وجل في الاقتصاص وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ إِلَّا بِالَّتِيْ [ص429]

بالطريقة التي هِيَ أَحْسَنُ بأن يحفظ ماله أو يثمره حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ثماني عشر سنة وَأَوْفَوْا بِالْعَهْدِ إذا عاهدتم الله أو الناس إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا○ عنه وَأَوْفُوا الْكَيْلَ أتموه إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِ بالميزان السوي المعتدل ذَالِكَ خَيْرٌ في الدنيا وَّأَحْسَنُ تَأْوِيْلًا○ أي: مآلا وعقبى، تفعيل من آل، إذا رجع وَلَا تَقْفُ أي: لا تتبع مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أي: لا تقل: رأيت وما رأيت، سمعت وما سمعت إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ الثلاثة كَانَ عَنْهُ مَسْئُوْلًا○ صاحبه، ما ذا فعل به؟ والجار والمجرور لا يمكن أن يكون قائما مقام الفاعل للمسؤل، لأنه لم يتأخر عن العامل وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا حال، أي: ذا مرح، وهو الاختيال والتكبر إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ لن تنقبها بالدوس والوطي وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُوْلًا○ الطول ضد العرض، أي: بتكبرك وتطاولك لا تبلغها أبدا، وقيل: قوة حال من الفاعل أو المفعول كُلُّ ذَالِكَ المذكور من الخصال الخمسة والعشرين من قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ﴾[1] وهو المذكور في ألواح موسى عليه السلام كَانَ سَيِّئُهُ أي: المنهي عنه من جملة المذكور، إضافة سيئ إلى ضمير كل عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوْهًا○ مبغوضا؛ لا مرضيا ذَالِكَ المذكور سابقا من قوله: لا تجعل مع الله تعالى مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَيا محمد! عليك الصلاة والسلام رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الموعظة التي فيه صلاح النفس وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ تعليم للأمة فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْمًا مَّدْحُوْرًا○ مطرودا عن الرحمة أَفَأَصْفَاكُمْ خصّكم يا أهل مكة رَبُّكُمْ بِالْبَنِيْنَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا بناتا لنفسه؛ على زعمكم إِنَّكُمْ لَتَقُوْلُوْنَ قَوْلًا عَظِيْمًا○ع [ص430] وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيْ هٰذَا الْقُرآنِ أي: كررنا الأمثال والوعد والوعيد لِيَذَّكَّرُوْا ليتعظوا وَمَا يَزِيْدُهُمْ ذلك إِلَّا نُفُوْرًا○ عن الحق واستماع القبول به قُلْ لهم لَّوْ كَانَ مَعَهُ تعالى آلِهَةٌ في نفس الأمر كَمَا يَقُوْلُوْنَ أي: المشركون إِذًا لَّابْتَغَوْا أي: طلب الآلهة الباطلة إِلَى ذِي الْعَرْشِ أي: الله سبحانه سَبِيْلًا○ طريقا إلى القتال والمغالبة سُبْحَانَهُ تنزيها له وَتَعَالَى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ من الشركاء معه عُلُوًّا تعاليا كَبِيْرًا○ عظيما تُسَبِّحُ لَهُ السَمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَإِنْ نافية مِّنْ شَيْيءٍ من الممكنات إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ينزهه عما لا يليق بجنابه متلبسا بحمده تسبيحا حاليا أو مقاليا وَلٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ أيها المشركون، تعسر الإدراك لاختلاف اللغات، واختلال النظر في الآيات، ولو تفقهوا لاعترفوا بالتوحيد إِنَّهُ كَانَ حَلِيْمًا غير عاجل في العقوبة غَفُوْرًا○ لمن تاب وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لَايُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُوْرًا○ إذا ستر أو مستورا من حجاب آخر، أو لا يرى وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً جمع كنان، أي: الستر كراهة أَنْ يَّفْقَهُوْهُ أو معناهم أن يفقهوه، دل على ضرب الكنان على القلب وَفِيْ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ سورة بني إسرائيل، الآية: 39.

آذَانِهِمْ وَقْرًا ثقلا يمنع السماع، فهم محرومون عن إدراك إعجازه؛ معنى ولفظا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرآنِ وَحْدَهُ من غير ذكر شركائهم وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ رجعوا على أعقابهم نُفُوْرًاO عنه، مصدر أو جمع نافر، يبتغون أن يذكر معه تعالى آلهتهم الباطلة نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُوْنَ القرآن بِهِ أي: بالهزل دون الجد إِذْ يَسْتَمِعُوْنَ وقت استماعهم إِلَيْكَ قرآنك وَإِذْهُمْ ذووا نَجْوَى [ص431] فهو مصدر أو جمع نجيئ، فلا حاجة إلى تقدير ذووا، أي: يتحدثون بينهم في أمرك إِذْ يَقُوْلُ الظَّالِمُوْنَ بدل عن قوله: إذ هم نجوى إِنْ تَتَّبِعُوْنَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًاO مخدوعا مغلوبا على عقله أُنْظُرْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كَيْفَ ضَرَبُوْا لَكَ الْأَمْثَالَ بالساحر والكاهن والشاعر والمجنون فَضَلُّوْا عن الهدى فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَبِيْلًاO الربع إلى الهدى وَمنكروا البعث قَالُوْا ءَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَّرُفَاتًا جمع رفت، أي: حطاما ءَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًاO حال، أي: المخلوقين بالتجديد قُلْ كُوْنُوْا حِجَارَةً أَوْ حَدِيْدًاO أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ يعظم فِيْ صُدُوْرِكُمْ عن قبول الحياة، كالسماوات والأرضين فضلا عن العظام والرفات؛ التي قامت بها الحياة مدة، فلا بد من إيجاد الروح فيكم على كل تقدير فَسَيَقُوْلُوْنَ مَنْ يُّعِيْدُنَا إلى الحياة قُلِ الَّذِيْ فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ولم تكونوا شيئا، فمن قدر على الإبداع قادر على الإعادة، بل هي أهون عليه عرفا فَسَيُنْغِضُوْنَ فسيحركون إِلَيْكَ رُؤُوْسَهُمْ تعجبا واستهزاءا وَيَقُوْلُوْنَ مَتَى هُوَ أي: البعث قُلْ عَسَى أَنْ يَّكُوْنَ قَرِيْبًاO يَوْمَ يَدْعُوْكُمْ بلسان إسرافيل من القبور فَتَسْتَجِيْبُوْنَ دعاءه مقارنا بِحَمْدِهِ قائلين: سبحانك اللّهم وبحمدك وَتَظُنُّوْنَ عند البعث إِنْ نافية لَّبِثْتُمْ في القبور، أو في الدنيا إِلَّا لبثا قَلِيْلًاOع لهول ما يتراءي من يوم القيامة وَقُلْ لِّعِبَادِيْ المؤمنين يَقُوْلُوا للمشركين الكلمة الَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ألين، لا خشونة فيها إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ يوقع الفساد بَيْنَهُمْ [ص432] إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِيْنًاO بيّن العداوة، جملة معترضة، والكلمة الحسنى هذه: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَّشَأْ يَرْحَمْكُمْ بالتوبة والإيمان أَوْ إِنْ يَّشَأْ يُعَذِّبْكُمْ بالموت على الخذلان وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيْلًاO حافظا، فتخبرهم على الإيمان، بل دارهم وأمر أصحابك بالمداراة، هذا قبل آية السيف وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وباستعداداتهم، فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء، فكيف قول القريش؟ يتيم أبي طالب صار نبيا، والجزع العراة أوليائه وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ كموسى عليه السلام بالكلام، وإبراهيم عليه السلام بالخلة، ومحمد عليه السلام بالإسراء وَّآتَيْنَا دَاوُوْدَ زَبُوْرًاO والمكتوب فيه: إن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وهو فعول بمعنى المفعول، كالحبوب، أو مصدر كالقبول، فيعرف وينكر، كالعباس وعباس قُلِ ادْعُوْا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ إنهم آلهتكم كالملائكة وعيسى وعزير عليهما السلام أو الجن مِّنْ دُوْنِهِ تعالى فَلَا يَمْلِكُوْنَ كَشْفَ الضُّرِّ من مرض أو فقر أو عذاب عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيْلًاO ولا يملكون تحويل حال من أحد إلى آخر أُولَئِكَ

مبتداء الَّذِيْنَ صفة المبتداء يَدْعُوْنَ أي: يعبدونهم آلهة يَبْتَغُوْنَ خبر، أي: يطلبون إِلَى رَبِّهِمُ عز وجل الْوَسِيْلَةَ القربة بالطاعة أَيُّهُمْ أَقْرَبُ بدل من واو، يبتغون أي: أقرب منهم عند الله يبتغي الوسيلة، فكيف لغير الأقرب؟ وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ كغيرهم من عباد الله، فكيف تدعونهم آلهة وتزعمونهم شركاء؟ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوْرًاO لكل ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وَإِنْ نافية مِّنْ أهل قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوْهَا بالموت للصالحة قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ [ص433] مُعَذِّبُوْهَا بشدة مقدمة الموت، كالقتل وغير ذلك للطالحة عَذَابًا شَدِيْدًا كَانَ ذَالِكَ فِي الْكِتَابِ اللوح المحفوظ مَسْطُوْرًاO وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ التي اقترحها أهل مكة من انقلاب الصفا ذهبا، وإحياء الموتى وغير ذلك إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا أي: بالآيات المقترحة الْأَوَّلُوْنَ كعاد وثمود، لما أرسلناها فأهلكناهم بتكذيبهم إياها، ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوها، واستحقوا الهلاك بالتكذيب، والمشية متعلقة بتمهيلهم لإتمام أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وَآتَيْنَا ثَمُوْدَ النَّاقَةَ باقتراحهم مُبْصِرَةً آية بينة ذات أبصار، أو جاعليتهم ذوي بصائر فَظَلَمُوْا بِهَا فكفروا بها وَمَا نُرْسِلُ الرسل متلبسين بِالْآيَاتِ المقترحة أو بغير المقترحة، كالقرآن وسائر المعجزات إِلَّا تَخْوِيْفًاO للتخويف عن نزول العذاب المستاصل فيؤمنون، أو عن عذاب الآخرة وَاذكر إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ في قبضة قدرته فبلغ ولاتخف منهم أحدا وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِيْ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ الرؤيا: إراءة الله تعالى مصارع القريش يوم بدر، والفتنة ضحكهم وسخرهم واستهزائهم بما أخبر النبي به، وقيل: الرؤيا هي الإسراء، والفتنة ارتداد من استعظمها، وبه تعلق من يقول: كان الإسراء في المنام، ومن يقول: في اليقظة، عبر الرؤيا بالرؤية، وإنما سمي رؤيا على قول المكذبين، حيث قالوا: رؤيا رأيتها استبعادا، أو الرؤيا أنه عليه السلام سيدخل مكة، والفتنة الصد بالحديبية وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُوْنَةَ آكلوها فِي الْقُرْآنِ أو في أبعد مكان من الرحمة، وهو أصل الجحيم، عطف على الرؤيا، أي: ما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، لما أخبر النبي: إن الشجرة الزقوم تنبت في أصل الجحيم، قالوا: الجحيم [ص434] تحرق الحجارة على قولك، فكيف تنبت فيها الشجرة؟ ولم يعلموا أنه يحمي وبر السمندر من النار وإحشاء النعامة من الجمر؛ فيقدر على خلقها معافاة عن أثر النار وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيْدُهُمْ تخويفا إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيْرًاOۖ وَاذكر إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا سجدة تحية لِآدَمَ فَسَجَدُوْا إِلَّا إِبْلِيْسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنَاO أي: من طين، فهو منصوب بنزع الخافض أو على الحال أو التمييز قَالَ أَرَأَيْتَكَ لا موضع للكاف من الإعراب، والمعنى اخبرني هٰذَا الَّذِيْ كَرَّمْتَ فضَّلت عَلَيَّ بأمر السجود، والحال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَارٍ وَّخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ﴾[1]، والله لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ سورة ص، الآية: 76.

لأستأصلن ذُرِّيَّتَهُ بالإغواء إِلَّا قَلِيْلًاO ممن عصمته قبل من كل ألف واحدا، وعلمه به أما لأنه رأى إنهم خلقوا شهوانية، أو أعلمه الله تعالى قَالَ اذْهَبْ امض بشأنك إلى النفخة الأولى فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ أي: جزاءهم وجزائك، فغلب المخاطب، تجازون جَزَاءً مَوْفُوْرًاO وافرا كاملا وَاسْتَفْزِزْ استخف مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ بالدعاء والوسوسة إلى المنكرات، والمزامير، والغناء، والنياحة وَأَجْلِبْ وصح من الجلبة، وهي الصياح ، أي: أجمع عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ بالراكب في المعاصي وَرَجِلِكَ الماشي فيها، فإن فعلا يجيئ بمعنى فاعل، كتعب وتاعب، والسعي في طلب الأمور؛ إنما يكون بالخيل والرجل، وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ المحرمة، كالغصب والربوا والسرقة وَالْأَوْلَادِ من الزنا وَعِدْهُمْ أي: قل لهم: لا بعث ولا جزاء، فافعلوا ماشئتم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوْرًاO الخطاء المموّه بالصواب إِنَّ عِبَادِيْ [ص435] أي: المؤمنين لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ قوة وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيْلًاO حافظا لهم منك، والأمر تهديد أو إهانة رَبُّكُمُ الَّذِيْ يُزْجِيْ يجري لَكُمُ الْفُلْكَ السفن فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوْا تطلبوا مِنْ فَضْلِهِ تعالى، من ربحه في التجارة إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًاO حيث سخر البحر، وجعل التجارة رابحة وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ خوف الغرق فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ إِلَّا إِيَّاهُ غاب عن أوهامكم كل من تدعونه في الحوادث إلا الله وحده فَلَمَّا نَجَّاكُمْ عن الغرق، وأوصلكم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن التوحيد بعد التشديد وَكَانَ الْإِنْسَانُ الكافر كَفُوْرًاO لأنعمه تعالى أَفَأَمِنْتُمْ به، أي: أنجوتم أَنْ يَّخْسِفَ تعالى بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ هذا عذاب من التحت أَوْ يُرْسِلَ عَلَيكُمْ حَاصِبًا من الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصاء، هذا عذاب من الفوق ثُمَّ لَا تَجِدُوْا لَكُمْ وَكِيْلًاO حافظا من عذابه أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُّعِيْدَكُمْ فِيْهِ في البحر تَارَةً أُخْرَى بإحداث الدواعي والحوائج فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا عاصفا، يكسر الفلك، أو القصف: هو الصوت الشديد مِنَ الرِّيْحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بكفركم بنعمة الإنجاء ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيْعًاO بهذا الإغراق نصيرا لكم مطالبا عنا بما فعلنا وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ فضلنا بالعقل والنطق والخط والصورة والقامة المعتدلة وتدبيرات المعاش والمعاد والاستيلاء لتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي وطهارتهم بعد الموت وغير ذلك وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ علي الدواب والسفن وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ من مكسوباتهم اللذائذ [ص436] وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًاOع أي: جنسهم؛ لا الأفراد، أو بعض الملائكة أفضل من البشر غير الأنبياء، والمراد من الكثير الكل، كقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُوْنَ﴾[1]

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يُلْقُوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُوْنَ﴾ سورة الشعراء، الآية: 223.

أي: كلهم، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾[1] أي: جميعهم، في الكشاف: (المراد بالأكثر الجميع)[2]، ومن بمعنى ما؛ ليعم وجه التفضيل، قال عليه السلام: ((الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ))[3]، لأنهم مجبوبون على الطاعة، ففيهم عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بلا عقل، وفي الآدمي كلاهما، فمن غلب عليه عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة؛ ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم، وخلق الكل له؛ وخلقه لنفسه، وذهب الشيخ الأكبر ابن العربي قدس سره إلى تفضيل الملائكة على الكل حتّى الأنبياء، مستندا بحديث: ((مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ))[4]، وهو ملاء الملائكة، والمذهب: فضل خواص البشر على خواص الملك؛ وعوام البشر على عوام الملك، وفضل خواص الملك على عوام البشر وَاذكر يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ بنبيهم أو بكتاب أعمالهم، فيقال: يا أمة فلان، أو يا صاحب الخير، أو يا صاحب الشر فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيمِيْنِهِ وهم السعداء فَأُولئِكَ يَقْرَءُوْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُوْنَ بتنقيص الأجر فَتِيْلًاO قدر قشرة النواة وَمَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهِ الدنيا أَعْمَى عن الحق فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى عن طريق النجاة وَأَضَلُّ سَبِيْلًاO أبعد طريقا منه، ونزلت في ثقيف، سألوه صلى الله عليه وسلم اختصاصهم بخصائل، يفتخرون بها على العرب، أن يكون الرباء لنا، لا علينا، وإن تحرم وادينا كما حرمت مكة، وإن قيل لك: لم فعلت هذا؟ قل: أمر ربي، فحينئذ نداخل أمرك، ونتبعك، أو قال قريش: لا نمكنك من استلام الحجر الأسود حتّى تلم بآلهتنا؛ وتمسها [ص437] بيدك، أو قالوا: اجعل آية رحمة آية عذاب وبالعكس، أي: الوعد وعيدا وبالعكس؛ حتّى نؤمن بك وَإِنْ كَادُوْا لَيَفْتِنُوْنَكَ عَنِ الَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مخففة بقرينة اللام، واسمها ضمير الشان، أي: قاربوا ليستنزلونك عن الأحكام، التي أوحيت إليك لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ غير الوحي وَإِذًا لو فعلت ذلك لَّا تَّخَذُوْكَ خَلِيْلًاO لأمثالك مرادهم وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ على الحق والعصمة لَقَدْ كِدْتَّ قربت تَرْكَنُ تميل إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًاO ركونا قليلا لشدة احتيالهم وإلحاحهم إِذًا لو ركنت أدني ركنة لَّأَذَقْنَاكَ عذابا ضِعْفَ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 36.

2 – الزمخشري: المرجع السابق. 346/2.

3 – البيهقي: المرجع السابق. فصل في معرفة الملائكة، الإيمان بالملائكة. رقم الحديث: 311/150.1.

4 – أبو نعيم: أحمد بن عبد الله، الأصبهاني، (ت: 430هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ). الفضيل بن عياض ومنهم الراحل من المفاوز والقفار إلى الحصون والحياض والناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون والرياض، ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد. 111/8.

عذاب الْحَيَاةِ وعذابا وَضِعْفَ عذاب الْمَمَاتِ بنسبة غيرك، إن فعل مثل هذا، فإن خطأ الخطير أخطر، وكان عليه السلام يقول: ((اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))[1] ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيْرًاO معينا، مانعا عن عذابنا، ونزل لما قال اليهود: إن كنت نبيا فالحق بالشام، فإنها أرض الأنبياء، فخرج مرحلة، فنزلت: فرجع وَإِنْ مخففة بقرينة اللام كَادُوْا لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِنَ الْأَرْضِ ليزعجونك بعداوتهم من أرض مكة لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا وَإِذًا لو أخرجوك لَّا يَلْبَثُوْنَ في أرض مكة خِلَافَكَ بعدك إِلَّا قَلِيْلًاO زمانا يسيرا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا منصوب على المصدر، أي: كل قوم أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم هلكوا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيْلًاOع تبديلا أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوْكِ الشَّمْسِ لزوالها إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ظلمتها، فاشتمل على الظهر والعصر والمغرب والعشاء وَقُرْآنَ الْفَجْرِ أي: صلاته إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوْدًاO تحضر ملائكة الليل؛ وملائكة النهار وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ بالقرآن، والتهجد: ترك الهجود؛ أي: النوم للصلاة، وهو من الأضداد نَافِلَةً لَّكَ زائدة لك [ص438] على صلاة الخمس المفروضة، غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك، لأنها تطوع لهم عَسَى أَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوْدًاO نصب على الظرف، أي: يبعثك يوم القيامة، فيقيمك مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وَقُلْ رَّبِّ أَدْخِلْنِيْ القبر مُدْخَلَ صِدْقٍ رضاك مطهرا عن الذنوب وَّأَخْرِجْنِيْ من القبر مُخْرَجَ صِدْقٍ رضاك مُلَقًّى بالكرامة وَّاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيْرًاO حجة، تنصرني على من خلفني أو ملكا وعزا ينصر الإسلام على الأديان كلها، وقيل: لما أمر بالهجرة أمر به، أي: ادخلني المدينة، واخرجني من مكة، لا أرى مكروها، ولا ألتفت إليها بالقلب، أو هو عام في كل مدخل ومخرج وَقُلْ عند دخول مكة وقت الفتح جَاءَ الْحَقُّ أي: الإسلام وَزَهَقَ الْبَاطِلُ أي: ذهب الشرك إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًاO مضمحلا في كل حين وآن، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما؛ فجعل يطعن بعود في يده في عين واحد واحد، ويقول هذا حتّى سقطت إلا صنم خزاعة؛ على سطح البيت، فقال لعلي: ((ارْمِ بِهِ))، فصعد، فرمي به، فكسر[2]، وكان من الصفر وَنُنَزِّلُ مِنَ

1- أبو نعيم: حلية الأولياء، المرجع السابق. وروى مسعر، عن إسماعيل السدي، وإسماعيل بن رجاء، وإسماعيل بن عبد الملك، وإسماعيل بن نشيط، مسعر بن كدام قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله تعالى: ومنهم المعظم للمعالي العظام، المعتصم بمنهج الصحابة والأعلام، المسلم مدته بمصاحبة الأعفة الكرام، المخروم لسانه عن الخنا بالأعنة، والفدام، المنظم نصائحه بترك المصاحبة والخصام , أبو سلمة مسعر بن كدام، رضي الله تعالى عنه، كان للحق ناصحا ودودا، وفي عبادة ربه كادحا كدودا. 237/7.

2 - البيضاوي: المرجع السابق. 265/3.

الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ من الضلالة وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ به وَلَا يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ لكفرهم به إِلَّا خَسَارًاO وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ بالصحة والسعة أَعْرَضَ عن الشكر وذكره تعالى وَنَا ثنى ولوّى بِجَانِبِهِ بعطفه، كأنه مستغن عن النعمة؛ مستبعد بأمره أو مستكبر وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ المرض والفقر كَانَ يَئُوْسًاO قنوطا من رحمة الله تعالى قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كُلٌّ منا ومنكم يَّعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ طريقته وناحيته، يشاكل حالة في الهدي والضلالة، أو جوهر [ص439] روحه، أو طبيعته، أو عادته، أو دينه فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيْلًاOع أسد طريقا وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ أي: اليهود قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيْ أوجده بكلمة كن، ولا يعلم إلا هو، أو من عالم الأمر؛ لا من عالم الخلق وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًاO بالنسبة إلى علمه تعالى وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ بالمحو عن الصدور والمصاحف ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيْلًاO يسترد المحفوظ المسطور إِلَّا رَحْمَةً لكن أبقيناه رحمة مِّنْ رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًاO قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَّأْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ في الفصاحة والبلاغة لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ جواب قسم محذوف، دل عليه اللام الموطئة للقسم، ولولا ها لجاز، أن يكون جواب شرط بلا جزم لكونه ماضيا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًاO معينا، فكيف قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾(1) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بينا بالتكرار لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ معنى هو كالمثل في وقوعه في النفس وغرابته وحسنه، أو مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ أي: أهل مكة إِلَّا كُفُوْرًاO أبى بمعنى النفي، فاستقام إلا، أي: لم يرضوا حالة من الحالات إلا حالة الجحود للحق، ولما غلبوا بالمعجزات الصادقة والآيات الباهرة بهتوا، فاقترحوا بالآيات وَقَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ أرض مكة يَنْبُوْعًاO عينا، ينبع منها الماء أَوْ تَكُوْنَ لَكَ جَنَّةٌ بستان مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا وسطها تَفْجِيْرًاO أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا قطعا، يعنون به قوله تعالى: [ص440] ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾(2) أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيْلًاO مقابلا وعيانا، حال من الله؛ وحال الملائكة محذوفة، أي: وبالملائكة قبلاء، أو بمعنى كفيلا، بما تقول شاهدا بصحة ما تدعيه أو جماعة حالا من الملائكة أَوْ يَكُوْنَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ ذهب أَوْ تَرْقَى تصعد فِي السَّمَاءِ بسلّم وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ لأجل رقيتك حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا من السماء؛ فيه تصديقك نَّقْرَؤُهُ قُلْ لهم سُبْحَانَ رَبِّيْ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ سورة الأنفال، الآية:31.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ سورة سبا، الآية: 9.

تعجب من اقتراحهم هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُوْلًاO ع مثل سائر الرسل، ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أهل مكة أَنْ يُّؤْمِنُوْا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى النبي أو القرآن إِلَّا أَنْ قَالُوْا إلا قولهم، فاعل منع أَبَعَثَ اللهُ الهمزة للإنكار بَشَرًا رَّسُوْلًاO لا ملكا رسولا قُلْ لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُوْنَ بالأقدام؛ ولا يطيرون بالأجنحة مُطْمَئِنِّيْنَ ساكنين فيها لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُوْلًاO ليوافق الداعي المدعو، ويناسب قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيْدًا بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ إني بلغت الرسالة؛ وأنتم كذبتم بها إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ المنذِرين والمنذَرين خَبِيْرًا بَصِيْرًاO عالما ببواطنهم وظواهرهم وَمَنْ يَّهْدِ اللهُ من وفقه الله عز وجل بقبول الهدى فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُّضْلِلْ من يخذله وساوس الشيطان فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ أنصارا يهدونهم مِنْ دُوْنِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ماشين بالسحب عَلَى وُجُوْهِهِمْ عُمْيًا وَّبُكْمًا وَّصُمًّا كما كانوا في الدنيا عميا عن آيات الله تعالى، وبكما عن قول الحق، وصما عن استماع الحق مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ أي: طفئت لهبها زِدْنَاهُمْ سَعِيْرًاO النصف توقدا [ص441] واشتعالا ذَالِكَ العذاب جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوْا بِآيَاتِنَا وَقَالُوْٓا منكرين للبعث ءَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَّرُفَاتًا جمع رفت ءَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًاO فإعادة العذاب لإنكار الإعادة؛ ليزيد تحسرهم على تكذيب البعث أَوَلَمْ يَرَوْا أولم يعلموا أَنَّ اللهَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مع هذه العظمة قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ من الإنسان وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيْهِ هو الموت، أو القيامة فَأَبَى الظَّالِمُوْنَ إِلَّا كُفُوْرًاO جحودا له مع وضوح الدليل قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُوْنَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْ سائر نعمه تعالى، أنتم فاعل بفعل محذوف، يفسره المذكور، ليفيد اختصاص الناس بالشح المبالغ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ لبخلتم خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ خشية أن يفنيه الإنفاق؛ فيفتقروا وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوْرًاO ع بخيلا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ عن ابن عباس رضي الله عنه: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وإفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل، وعن الحسن: الطوفان والسنين ونقص الثمرات؛ مكان الثلاثة الأخيرة فَسْئَلْ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ فقلنا له: سل بني إسرائيل من فرعون ليخلصهم، ويرسلهم معك إِذْ جَاءَهُمْ متعلق لقلنا المحذوف، أي: حين جاءهم، وقيل: الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم، أي: سل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون، أو عن الآيات ليظهر صدقك للمشركين فَقَالَ في الجواب لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّيْ لَأَظُنُّكَ يَا مُوْسَى مَسْحُوْرًاO مغلوب العقل قَالَ موسى عليه السلام لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ الآيات إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ حال، أي: بينات وعبرا؛ ولكنك تعاند وَإِنِّيْ لَأَظُنُّكَ لأعلمك يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوْرًاO هالكا، أو مصروفا عن الخير فَأَرَادَ فرعون [ص442] أَنْ يَّسْتَفِزَّ هُمْ يخرج موسى عليه السلام وقومه مِّنَ الْأَرْضِ أرض مصر، أو عن ظهر الأرض بالاستيصال فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيْعًاO وَّقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ

وَعْدُ الْآخِرَةِ الساعة جِئْنَابِكُمْ لَفِيْفًاO جميعا مختلطين وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ متلبسا بالحكمة؛ أنزلنا القرآن وَبِالْحَقِ نَزَلَ ولم يتطرق إليه تغيير وتبديل برصد الملائكة وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا لمن آمن بالجنة وَّنَذِيْرًاO لمن كفر بالنار وَقُرْآنًا منصوب بفعل يفسره فَرَقْنَاهُ فصلناه نجما نجما في ثلاثة وعشرين سنة، أو فرقنا فيه الحق عن الباطل لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ على مهل، فهو أدخل في الحفظ غير أجل وَّنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيْلًاO على حسب الحوادث والنوازل قُلْ لكفار مكة آمِنُوْا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوْا هو كما هو، لا يزيد حسنا بقبولكم، ولا ينقص بردكم، أو اختاروا لأنفسكم النعيم أو لا إِنَّ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ التوراة مِنْ قَبْلِهِ قبل نزول القرآن إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القرآن يَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًاO حال، الخرور: السقوط للأذقان، وعلى الأذقان، أي: للوجه وعلى الوجه، عبر بها، لأنها أقرب الأشياء إلى الأرض عند السجود، ومعنى على ظاهر، وأما معنى اللام؛ فكأنه جعل الخرور مختصا بالذقن وَّيَقُوْلُوْنَ سُبْحَانَ رَبِّنَا تنزيها له عن خلف الوعد إِنْ مخففة كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًاO من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزال الفرقان عليه وَيَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًاO[السجده] أي: القرآن يزيد العلماء لين قلب ورطوبة عين، وكرر الخرور لاختلاف الحالتين: السجود والبكاء، وكان عليه السلام يقول: يا الله يا رحمان، قالوا: تنهانا من أن نعبد إلهين اثنين، وأنت تدعو إلٰها آخر مع الله تعالى، [ص443] فنزلت: قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أي: سموه بأيّهما، أو نادوه بأيّهما، بأن يقولوا: يا الله يا رحمان أَيًّا مَّا حرف الشرط؛ وما زائدة تَدْعُوْا فهو حسن، دل على هذا الجزاء، قوله: فَلَهُ فلمسمّاه الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لدلالها على صفات الجلال، والإكرام وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ بقرأتك القرآن؛ فيها مخافة السب وَلَا تُخَافِتْ لا تستر بِهَا لينتفع أصحابك وَابْتَغِ واقصد بَيْنَ ذَالِكَ الجهر والمخافة سَبِيْلًاO طريقا وسطا وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا كما زعمت اليهود في عزير عليه السلام؛ والنصارى في عيسى عليه السلام وَّلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكِ كما زعم المشركون وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ أي: لم يذل، فيحتاج إلى ولي ينصره من الذل وَكَبِّرْهُ عظمه تَكْبِيْرًاO[ع] تعظيما عن جملة ما لا يليق بجنابه الأقدس.

سورة الكهف مكية، وهي مائة وعشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الْحَمْدُ تعليم للعباد؛ شكر المنعم، وهو الوصف بالجميل ثابت لِلَّهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ محمد صلى الله عليه وسلم الْكِتَابَ القرآن وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ أي: فيه عِوَجًاO تناقضا واختلافا، والجملة حالية قَيِّمًا حال ثانية مؤكدة، أو منصوب بمضمر، أي: جعله قيما مستقيما لِّيُنْذِرَ ليخوف الكافرين بَأْسًا عذابا شَدِيْدًا صادرا مِّنْ لَّدُنْهُ أي: من عنده تعالى، فيه تفخيم العذاب وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًاO أي: الجنة مَّاكِثِيْنَ فِيْهِ في الأجر أَبَدًاO وَّيُنْذِرَ منهم الَّذِيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًاO مَا لَهُمْ بِهِ بهذا القول مِنْ عِلْمٍ وَّلَا لِآبَائِهِمْ القائلين بمثل هذا القول، وانتفاء العلم بالشيء؛ إما للجهل بالطريق الموصل إليه، أو لأنه في نفسه محال، وهذا من القسم الثاني كَبُرَتْ {عظمت}[1]، والضمير يرجع إلى مقالتهم: قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا [ص444] كَلِمَةً نصب على التميز، وفيه معنى التعجب تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ من تسويل الشيطان، وينبغي أن لا يتفوه به أحد إِنْ نافية يَّقُوْلُوْنَ إِلَّا قولا كَذِبًاO فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ قاتل ومهلك نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا بِهٰذَا الْحَدِيْثِ بعد ما أعرضوا عنك، أو دخل الأسف في باطنك، تشبيه المتأسف بمن فارقته أعوانه، فهو يتحير على آثارهم أَسَفًاO مفعول له لباخع، وهو مبالغة في الحزن إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ من الحيوان والنبات والمعادن والأنهار زِيْنَةً لَّهَا ولأهلها لِنَبْلُوَهُمْ لنختبر نظارها أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاO فيها، أزهد عنها، وأقنع منها، وأسلم عن الاغترار بها وَإِنَّا لَجَاعِلُوْنَ مَا عَلَيْهَا من الزينة صَعِيْدًا ترابا مستويا كأرض ملساء جُرُزًاO مقطوع النبات عنها أَمْ حَسِبْتَ بل ظننت أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ هو الغار الواسع في الجبل وَالرَّقِيْمِ اللوح المكتوب، فيه أسماءهم {وقصتهم}[2]، وقيل: اسم جبل؛ أو واد فيه الكهف كَانُوْا مِنْ آيَاتِنَا آية عَجَبًاO اذكر إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ جمع فتى، بمعنى كامل الشباب، كانوا من أشراف الروم، دعاهم دقيانوس إلى الشرك، فأبوا، والتجاؤا هربا منه إِلَى الْكَهْفِ من خوف زوال الإيمان فَقَالُوْا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ من قبلك رَحْمَةً هي المغفرة والرزق، والأمن من الأعداء وَّهَيِّئْ اصلح لَنَا مِنْ أَمْرِنَا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار، أو أمرنا كله رَشَدًاO نكون بسبب ذلك الأمر راشدين، فمن صلة هيئ أو تجريدية، مثل: رأيت منك أسدا فَضَرَبْنَا حجابا عَلَى آذَانِهِمْ {من السماع}[3] فِي الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَدًاO أي: أنمناهم إنامة ثقيلة؛ سنين ذوات عدد ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ [ص445] أي: أيقظناهم لِنَعْلَمَ علم المشاهدة أَيُّ الْحِزْبَيْنِ منهم المختلفين في مدة اللبث أَحْصَى فعل ماض، أي: ضبط، وقيل: اسم تفضيل لِمَا لَبِثُوْا أَمَدًاOع غاية لأوقات لبثهم، الجار والمجرور متعلق بأمدا، وجملة أيّ الحزبين أحصى قائم مقام مفعولي نعلم، قيل: لما انتهبوا، قال قائل منهم: كم لبثتم؟ قالوا: يوما أو بعض يوم، قال السائل: ربكم أعلم، أي: تطاولتم في اللبث، فهذا أحصى أمد اللبث نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ بالصدق إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوْا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًىO يقينا بالله وتوحيده وَّرَبَطْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أي: قويناها بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران،

---

1 – في ج: علت بدل عظمت.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

كانوا من خواص دقيانوس، أمرهم بالسجود للأصنام إِذْ قَامُوْا فَقَالُوْا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَّدْعُوَا مِنْ دُوْنِهِ غيره إِلٰهًا وإن دعونا فرضا غير الله، أو سميناه إلها لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًاO أي: قولا ذا شطط، وهو البعد عن الحق هٰٓؤُلَاءِ مبتداء قَوْمُنَا عطف بيان اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً خبر، والجملة في معنى الإنكار لَوْلَا هلا يَأْتُوْنَ عَلَيْهِمْ على عبادتهم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ بحجة واضحة فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ لا أحد أظلم من المفتري عليه تعالى كَذِبًاO بنسبة الشريك إليه، وقال بعض الفتية لبعضهم: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوْهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ إِلَّا اللهَ كانوا مشركين؛ يعبدون الله والأصنام فَأْوُوْا إِلَى الْكَهْفِ التجاؤا إليه يَنْشُرْلَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ من رزقه وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًاO ما ترفقون، وتنتفعون به من غداء وعشاء توكلا على الله تعالى [ص446] وَتَرَى يا محمد! عليك الصلاة والسلام الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَّزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ أي: تميل عن كهفهم، الزور: الميل، منه زاره؛ إذا مال إليه، والزور بمعنى الكذب، لأنه ميل عن الصدق ذَاتَ الْيَمِيْنِ أي: ناحية وجهة من الكهف، ذات اسم اليمين وَإِذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ تتركهم وتقطعهم ذَاتَ الشِّمَالِ ناحية وجهة من الكهف ذات اسم الشمال وَهُمْ فِيْ فَجْوَةٍ مِّنْهُ في متسع من الكهف، أي: وسطه، ينالهم روح الهواء؛ وبرد النسيم، ولا يحسون كرب الغار، ويحجبهم عن حر الشمس ذَالِكَ أي: حفظهم من الشمس مع عموم شعائها أو إيواءهم إلى الكهف بهذا الشأن، أو إخبارك قصتهم مِنْ آيَاتِ اللهِ من باب الكرامة بهم، أو من دلائل قدرته تعالى، وقيل: كان الكهف جنوبيا، أي: داخله يذهب إلى الجنوب؛ وبابه شماليا في مقابلة بنات النعش، وظهره إلى الكعبة، وكان في نواحي طرسوس[1]؛ التي خرجوا منها، وهي من البلاد الشمالية، ويمين الكهف وشماله بنسبة يمين الجائي إلى باب الكهف من خارج وشماله، فالشمس إذا طلعت؛ وكان مدارها مدار السرطان، تقابل جانبه الأيمن الذي يلي المغرب، وإذا غربت تقابل جانبه الأيسر الذي يلي المشرق، ولا تدخل الشمس في فجوة، وتقع شعائها على جانبيه، يعدل الهواء، ويحلل العفونة مَنْ يَّهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًاO ثناء من الله عليهم بما تأملوا في الآيات، وانتفعوا بها، وذم لفاقده وَتَحْسَبُهُمْ خطاب لكل من رائيهم أَيْقَاظًا جمع يقظ، لفتح عيونهم وَّهُمْ رُقُوْدٌ نيام، جمع راقد وَّنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِيْنِ وَذَاتَ الشِّمَالِ يوم عاشوراء، وقيل تقليبتان في السنة؛ لئلا يأكل الأرض لحومهم وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ حكاية الحال، فيعمل باسط في معموله ذِرَاعَيْهِ

---

1 – طرسوس: وهي في الإقليم الرابع. وبعدها عن خط المغرب، ثمان وخمسون درجة. وعن خط الاستواء ست وثلاثون درجة. بناها الرشيد سنة سبعين ومائة. وبها نهر جار؛ يأتي من بلاد الروم، ويشق في وسطها. وأهلها أخلاط من الناس. وخراج دمشق وكورها يبلغ ستمائة ألف دينار، وخراج طرسوس، ثلاثمائة ألف دينار. المنجم: المرجع السابق. ص: 62.

[ص447] يديه بِالْوَصِيْدِ بالفناء، أو العتبة لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ لهربت مِنْهُمْ فِرَارًا مصدر من غير لفظه وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًاO خوفا، تميز، قيل: غزا معاوية الروم، فمر به، فأراد الدخول، فمنعه ابن عباس، فدخل جماعة بأمره عليهم، فأحرقتهم الريح وَكَذَالِكَ كما أنمناهم نومة ثقيلة بَعَثْنَاهُمْ أيقظناهم لِيَتَسَاءَلُوْا بَيْنَهُمْ عن مدة اللبث؛ ليعلموا قدرته قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوْا أي: طائفة منهم لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ بغالب الظن قَالُوْا أي: طائفة أخرى منهم رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ إنكارا على القائلين باليوم وبعضه، استدل ابن عباس رضي الله عنه على أن عددهم سبعة، لأن القائل واحد والغالطون والمحققون جمعان؛ وأقل الجمع ثلاثة فَابْعَثُوْا أَحَدَكُمْ يمليخا بَوَرِقِكُمْ بفضتكم هٰذِهِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ أي: الطرَسوس؛ بفتح الراء فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أي: أطعمة المدينة أو أهلها أَزْكَى أحل أو أطيب أو أكثر أو أرخص طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ قيل: حمل النفقة للمسافر من شأن المتوكلين على الله وَلْيَتَلَطَّفْ وليتكلف، اللطف في الإشراء حتّى لا يغبن، أو في الإخفاء حتّى لا يعرف وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًاO ولا يصيرن سبب الشعور بكم إِنَّهُمْ {أي: أهل القرية}[1] إِنْ يَّظْهَرُوْا يطلعوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوْكُمْ لأن الرجم أخبث القتلة أَوْ يُعِيْدُوْكُمْ يصيروكم فِيْ مِلَّتِهِمْ إكراها وَلَنْ تُفْلِحُوْا إِذًا إن عدتم في ملتهم أَبَدًاO وَكَذَالِكَ كما أنمنا وأيقظنا أَعْثَرْنَا اطلعنا عَلَيْهِمْ قومهم لِيَعْلَمُوْا أَنَّ وَعْدَ اللهِ بالبعث حَقٌّ ثابت، فإن من قدر على إرقادهم مدة طويلة وإيقاظهم [ص448] بعد ذلك؛ يقدر على إحياء الموتي وَّأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ لا شك فِيْهَا فهم بأمر الفتية على دليل على البعث بعد الموت إِذْ معمول أعثرنا يَتَنَازَعُوْنَ أي: أهل الزمان بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ أمر الفتية في بناء البنيان حولهم، أو المسجد إذ ماتوا، أو في أنسابهم وأحوالهم، ومدة غيبتهم عن أظهر الناس، أو أمر دينهم، والضمير لأهل الزمان، فالكفار ينكرون البعث، والمؤمنون يعتقدونه، ثم بعضهم قالوا: البعث: إنما هو للروح لا للجسد، وبعضهم: لكليهما، فاطلعهم ليرتفع الاختلاف، ولتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة؛ فيها أرواحها؛ كما كانت قبل الموت فَقَالُوا حين أماتهم الله: ابْنُوْا عَلَيْهِمْ على حولهم بُنْيَانًا للحفظ والستر، كما فعل بتربة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ليسكن الناس ويتخذوه قرية، أو مسجدا يصلي الناس فيه رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ اعتراض من الله ردا على الخائضين في أمرهم في عهدهم، أو عهد النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ الَّذِيْنَ غَلَبُوْا عَلَى أَمْرِهِمْ أمر الفتية؛ وهم المؤمنون لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًاO على باب كهفهم مسجدا، قيل: المبعوث بالورق اتاهم، بأنه وجد كنزا دقيانوسية؛ والملك ذلك اليوم نصراني موحد، فرفع إليه، فقص عليه القصص، وقد شاع بينهم أن فتية فرُّوا بدينهم من دقيانوس، فانطلق الملك لمؤمن وكافر إلى الغار، ورأوهم، واستودعوا، وماتوا، فدفنهم الملك في

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط أ، والتصويب من ب و ج.

الكهف، وبني مسجدا علي باب الغار، وقيل: قال الفتي المبعوث بالورق مكانكم، حتّى أدخل أوّلا، فدخل، فسد المدخل، فبنوا ثَمّ مسجدا سَيَقُوْلُوْنَ أي: الخائضون في أمرهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم لبعض، هم ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ اسمه قطمير وَيَقُوْلُوْنَ بعض منهم: داخل تحت السين بحكم العطف، هم: خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ظنا في الغيبة عنهم، مفعول له، [ص449] أو يرمون رميا بما لم يشهدوا، والقولان لنصارى نجران وَيَقُوْلُوْنَ أي: المؤمنون، وفي إفراد هذا القول عن تحت رجما بالغيب؛ إشارة إلى ارتضاءه وصحته سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ الجملة صفة سبعة، والواو زائدة لتأكيد، يصوق الصفة بالموصوف، وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر، أسماؤهم: يمليخا ومكشلينيا ومشلينا؛ كانوا هم عن يمين الملك، وعن يساره مرنوش وبرنوش وشاذنوش، وكان الملك يستشير هؤلاء الستة، والسابع الراعي؛ الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم، واسمه كفيشيططيونس؛ قيل: يانوش؛ وقيل: مرطونس، واسم مدينتهم أفسوس[1]؛ واسم كلبهم قطمير قُلْ رَّبِّيْ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيْلٌ قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من القليل، وذكرهم سبعة، وقيل: الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب، والقليل منهم فَلَا تُمَارِ فِيْهِمْ لا تجادل أهل الكتاب في شأن الفتية إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا مما أوحي إليك من حالهم من غير تجهيل لهم، أو مراءا بمشهد الناس ليظهر صدقك وَّلَا تَسْتَفْتِ فِيْهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًاO ع أي: لا تسأل في شأن الفتية سؤال المسترشد أحدا من اليهود والنصارى؛ لكفاية الوحي إليك، وسأله صلى الله عليه وسلم أهل مكة بإشارة اليهود عن حال الفتية وذي القرنين[2] والروح، فقال: أخبركم به غدا؛ ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ الوحي عليه بضعة عشر يوما حتّى شق عليه، فنزل: وَلَا تَقُوْلَنَّ لِشَيْءٍ لأجل شيء إِنِّيْ فَاعِلٌ ذَالِكَ غَدًاO أي:

1 – أفسوس: مدينة مشهورة بأرض الروم، وهي مدينة دقيانوس الجبار؛ الذي هرب منه أصحاب الكهف، وبين الكهف والمدينة مقدار فرسخين، والكهف مستقبل بنات نعش لا تدخله الشمس، فيه رجال موتى لم يتغيروا، وعددهم سبعة: ستة منهم نيام على ظهورهم، وواحد منهم في آخر الكهف مضطجع على يمينه، وظهره إلى جدار الكهف. وعند أرجلهم كلب ميت؛ لم يسقط من أعضائه شيء، وهو باسط ذراعيه بالوصيد كافتراش السباع، وعلى الكهف مسجد؛ يستجاب فيه الدعاء، يقصده الناس، وأهل المدينة يرون بالليل على الكهف نوراً عظيماً، ويعرفون أن ذلك النور من سكان الكهف. القزويني: المرجع السابق. ص:498، 499.

2 – ذي القرنين: قال الضحّاك: هو قيصر القياصرة، وكان رجلاً صالحاً، وملك مشارق الأرض ومغاربها، وزعم مقاتل: أنّه كان نبيا؛ يوحى إليه، وطاف في الأرض. وقال ابن إسحاق: حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم؛ أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر، اسمه مرزبان ابن مدربة اليوناني؛ من ولد يونان بن يافث بن نوح. المقدسي: المطهر بن طاهر، (ت: نحو 355هـ). البدء والتاريخ: (مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون سنة النشر). 79/3.

فيما يستقبل إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللّٰهُ أي: إلا متلبسا بمشيته تعالى، قائلا: إن شاء الله وَاذْكُرْ رَّبَّكَ أي: مشيته، قل: إن شاء الله إِذَا نَسِيْتَ إذا فرط النسيان لذلك، أي: إذا نبهت عليه تداركها بالذكر ما دمت في مجلس الذكر، [ص450] قاله الحسن رضي الله عنه وأكثر الفقهاء، وقال ابن عباس رضي الله عنه: ((وَلَوْ بَعْدَ سَنَةٍ مَا لَمْ يَحْنِثْ))[1] وَقُلْ عَسَى أَنْ يَّهْدِيَنِ رَبِّيْ يدلني لِأَ قْرَبَ في الدلالة على نبوتي، وأظهر عليها مِنْ هٰذَا من قصة أصحاب الكهف رَشَدًاO دلالة وهداية على صحة نبوتي، وقد فعل الله سبحانه حيث أوحي إليه أعظم من ذالك كقصص الأنبياء المتباعد عنه أيامهم والأخبار بالغيوب والنوازل إلى قيام الساعة وَلَبِثُوْا أحياءا فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِيْنَ بدل عن ثلاث مائة وَازْدَادُوْا تِسْعًاO مفعول به قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ ممن اختلفوا في لبثهم بِمَا لَبِثُوْا مدة لبثهم لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: علم ما غاب فيهما أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ صيغتا التعجب، أي: ما أبصر وما أسمع بكل موجود، وهما في حقه تعالى مجازا، والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء مَا لَهُمْ أي: لأهل السماوات والأرض مِّنْ دُوْنِهِ مِنْ وَّلِيٍّ ناصر وَّلَا يُشْرِكُ الله فِيْ حُكْمِهِ أَحَدًاO لغنائه عن الشركاء وَاتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُوْنِهِ مُلْتَحَدًاO ملتجأ، رؤساء الكفرة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نحَّ هؤلاء الموالي؛ صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم؛ من فقراء المسلمين، حتّى نجالسك، نزل: وَاصْبِرْ واحبس نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يعبدون رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ بعبادتهم وَجْهَهُ تعالى لاغيره وَلَا تَعْدُ تجاوز عَيْنَاكَ عَنْهُمْ إلى غيرهم من الأغنياء، نهى عن تجاوز نظره عن رثاثة زي الفقراء إلى طراوة زي اللاأغنياء تُرِيْدُ زِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حال من كاف الخطاب وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا كأمية بن خلف أو عيينة بن حصين وأصحابهما في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وَاتَّبَعَ هَوَاهُ في الشرك [ص451] وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًاOالثلاثة إسرافا وتجاوزا عن الحد، وتقدما على الحق وَقُلِ لهم الْحَقُّ أي: الإسلام أو القرآن مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَّمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ أمر تهديد إِنَّا أَعْتَدْنَا هيئنا لِلظَّالِمِيْنَ للكافرين نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا معرب سرابرده، أي: فسطاط النار، تشبيه في الإحاطة وَإِنْ يَّسْتَغِيْثُوْا يستمطروا من شدة العطش يُغَاثُوْا يمطروا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ وهو دردي الزيت، أو المذاب من الجواهر الأرضية يَشْوِي الْوُجُوْهَ من حره إذا قرب بِئْسَ الشَّرَابُ ذلك وَسَاءَتْ النار مُرْتَفَقًاO متكاءا حاصلا من نصب المرفق تحت الخد، ذكر مشاكلة لما سيأتي وحسنت مرتفقا وإلا فأي ارتفاق في النار إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًاO الجملة خبر إن بوضع الظاهر موضع الضمير، لاتحاد من أحسن عملا؛ والذين آمنوا أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمُ

---

1 – البيضاوي: المصدر السابق. 278/2.

الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ جمع أسورة؛ جمع سوار، نكر لإبهام حسنها مِنْ ذَهَبٍ من الأولى للابتداء، والثانية للتبيين وَّيَلْبَسُوْنَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ رقيق الديباج وَّإِسْتَبْرَقٍ غليظه مُّتَّكِئِيْنَ فِيْهَا عَلَى الْأَرَائِكِ كما هو شأن المتنعمين، جمع أريكة: وهي السرير في الحجلة؛ التي تزين للعروس نِعْمَ الثَّوَابُ الجنة وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًاO ع متكئا وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا أي: مثّل حال الكافرين والمؤمنين بحال رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا اسمه قطروس؛ وكان كافرا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ كروم وَّحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَّجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًاO جمعا بين الفواكه [ص452] والقوت كِلْتَا مبتداء؛ مفرد، يدل على معنى التثنية الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ خبر مبتداء أُكُلَهَا ثمرها وَلَمْ تَظْلِمْ مِّنْهُ شَيْئًا لم تنقص شيئا من الثمر وَّفَجَّرْنَا أجرينا خِلَالَهُمَا نَهَرًاO وَّكَانَ لَهُ ثَمَرٌ مال كثير من الذهب والفضة وغيرهما فَقَالَ صاحب الجنتين لِصَاحِبِهِ اسمه يهوذا؛ كان مؤمنا وَالحال هُوَ قطروس يُحَاوِرُهُ يراجع الكلام مع يهوذا في الفخر أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَّأَعَزُّ نَفَرًاO أنصارا من ذكور العشيرة؛ ينفرون معه دون الإناث وَدَخَلَ قطروس مع صاحبه يهوذا جَنَّتَهُ إحدى جنتيه أو الكل، كان روضة واحدة، فصّلهما النهر وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ضرّها بالكفر قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيْدَ تهلك هٰذِهِ الجنة أَبَدًاO أي: دائما لا تنعدم وَّمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً كائنة، أي: لا تأتي أبدا وَّالله لَئِنْ رُّدِدْتُّ رجعت إِلَى رَبِّيْ كما تزعم أنت يا يهوذا لَإِجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًاO مرجعا لكرامتي عليه؛ ومكانتي عنده قَالَ لَهُ لقطروس صَاحِبُهُ يهوذا وَهُوَ يُحَاوِرُهُ يراجعه في الكلام جوابا أَكَفَرْتَ بِالَّذِيْ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ أي: أصلك آدم منه ثُمَّ خلقك مِنْ نُّطْفَةٍ مني ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًاO كملك إنسانا ذكرا بالغا لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّيْ أي: أنت كافر؛ ولكن أنا مؤمن، أنا أقول هو الله ربي، أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون، وحذفت وأدغمت النون في مثلها بعد الإسكان، وهو ضمير الشأن، والجملة خبر أن، والعائد ياء ربي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّيْ أَحَدًاO وَلَوْلَا أي: هلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ عند إعجابك بها هذا مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ أي: الأمر ماشاء الله، أو ما شاء الله كان. فكلمة ما موصولة، أو شرطية. في الحديث: ((مَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ، [ص453] فَيَقُول عِنْد ذَلِكَ: مَا شَاءَ اللَّه لَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ يَرَ فِيهِ مَكْرُوهًا))[1] إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَّوَلَدًاO أي: ترني، فالياء وأقل مفعولا ترى، وأنا ضمير الفصل فَعَسَى رَبِّيْ أَنْ يُّؤْتِيَنِ في الدنيا أو العقبى خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ جمع حسبانة، أي: الصواعق فَتُصْبِحَ فتصير صَعِيْدًا زَلَقًاO أرضا ملساء؛ لا يثبت عليها القدم أَوْ يُصْبِحَ عطف على يرسل؛ لا على تصبح مَاؤُهَا غَوْرًا غائرا؛ ذاهبا في الأرض فَلَنْ تَسْتَطِيْعَ لَهُ طَلَبًاO فضلا إن تجد وَأُحِيْطَ بِثَمَرِهِ أي: أهلك فَأَصْبَحَ الكافر يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ظهر البطن على طبق انقلاب الحال، أو يضرب إحداهما على

---

1 – (أ) الجلالين: المرجع السابق. 386. (ب) الشربيني: المرجع السابق. 378/2.

الأخرى ندما عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيْهَا في عمارتها وَهِيَ الجنة خَاوِيَةٌ ساقطة عَلَى عُرُوْشِهَا الموضوعة للكروم، بأن سقطت العروش على الأرض؛ والكروم عليها وَيَقُوْلُ لما علم أن ما أتى، إنما هو من جهة الكفر يَا لَيْتَنِيْ لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيْ أَحَدًاOوَلَمْ تَكُنْ لَّهُ للكافر فِئَةٌ جماعة يَّنْصُرُوْنَهُ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًاO بنفسه في دفع الهلاك عنها هُنَالِكَ في ذلك المقام، أو تلك الحالة، أو يوم القيامة الْوَلَايَةُ بالفتح؛ النصرة والتولي، وبالكسر؛ السلطان والملك للهِ لا لغيره الْحَقِّ صفة؛ المرفوع، أو المجرور هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا تميز وَّخَيْرٌ عُقْبًاOع تميز، بمعنى العافية وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أي: واذكر لقومك صفة الحياة مثل ماء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ خالط بسببه بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه، أو اختلط النبات بالماء فأثر فيه فيروي فَأَصْبَحَ فصار النبات هَشِيْمًا يابسا متفرقا [ص454] تَذْرُوْهُ الرِيَاحُ تطيره وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ من الإنشاء والإفناء مُّقْتَدِرًاO اَلْمَالُ وَالْبَنُوْنَ زِيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يتحمل بهما فيها؛ لا في القبر، ولا في الحشر وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا جزاءا وَّخَيْرٌ أَمَلًاO أن يأمل آمل فيصيبه في الآخرة حقا بخلاف الآمال الكاذبة، في الحديث: ((البَاقِيَاتُ الصَّالِحَات: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ))[1]، وقيل: أي: أعمال الخيرات كلها، أو الصلاة الخمس وصيام رمضان وأعمال الحج والكلام الطيب وَاذكر يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ نذهب بها عن وجه الأرض فيصير هباءا منبثا وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً عن كل غاطية من الجبال والأشجار والعمارات وَّحَشَرْنَاهُمْ أي: الناس فَلَمْ نُغَادِرْ فلم نترك مِنْهُمْ أَحَدًاO عن الحشر وَعُرِضُوْا يوم القيامة عَلَى رَبِّكَ صَفًّا مصطفّين، لا يحجب أحد أحدا كالجند المعروض على السلطان. قلنا لهم: لَقَدْ جِئْتُمُوْنَا بالبعثة كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فرادى حفاة عراة غرلا؛ لا شيء معكم من الدنيا بَلْ زَعَمْتُمْ أيها المنكرون للبعث، ويل للخروج من قصة إلى قصة أَنْ مخففة، أي: أنه لَّنْ نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًاO وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث أو مكان الحساب وَوُضِعَ الْكِتَابُ صحائف الأعمال في يمين المؤمن، وشمال الكافر فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ خائفين مِمَّا فِيْهِ من الذنوب وَيَقُوْلُوْنَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ لا يترك صَغِيْرَةً وَّلَا كَبِيْرَةً من المعاصي إِلَّا أَحْصَاهَا حصرها وضبطها وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِرًا مثبتا في [ص455] الكتاب وَلَا يَظْلِمُ بازدياد عقوبة، أو نقصان مثوبة رَبُّكَ أَحَدًاOع وَاذكر إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا سجود انحناء؛ لا وضع جبهته على الأرض لِآدَمَ تحية له فَسَجَدُوْا إِلَّا إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

---

1 - مالك بن أنس: الأصبحي، المدني، (ت: 179هـ). موطأ الإمام مالك: رواية: محمد بن الحسن الشيباني، (ط-2، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، بدون سنة النشر). باب: غسل اليدين في الوضوء، رقم الحديث: 1001.

فخرج عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ بالسجود، قيل: الجن نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: منقطع، إذ إبليس والجن له ذرية؛ ولا ذرية للملك، ومن يقول بالاتصال يزعم أن تسمية الذرية مجازا أَفَتَتَّخِذُوْنَهُ وَذُرِّيَّتَهُ الهمزة للإنكار والتعجب، والخطاب لآدم وذريته أَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ أعداء حال، ومن ذريته: لاقيس موسوس الطهارة، وولهان موسوس الصلاة، والأعور صاحب الزنا، وشبر صاحب المصائب، ومسوط صاحب الأراحيف، وداسم يأكل ويشرب ويدخل مع من لم يسم الله تعالى. بِئْسَ لِلظَّالِمِيْنَ بَدَلًاO أي: بئس البدل من الله؛ لمن استبدله، فأطاعه، وترك طاعة الله تعالى مَا أَشْهَدْتُّهُمْ أي: إبليس وذريته خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّيْنَ عَضُدًاO أعوانا، وضع المظهر موضع المضمر؛ للذم بالإضلال، أي: وما أحضرناهم عند ذلك، وما شاورنا معهم فيه، ولا اعتضدنا بهم في خلق هذه الأشياء، فكيف تجعلونه وذريته شركائي؟ قد تفردت في خلق الأشياء، فافردوني في العبادة وَيَوْمَ يَقُوْلُ الله للكفار نَادُوْا بصوت عال شُرَكَائِيَ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ ليمنعوكم من عذابي فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَّوْبِقًاO مهلكا، من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا، أو البرزخ البعيد بينهم وبين الملائكة وعزير عليه السلام وعيسى عليه السلام، هم في أعلى الجنان، وهؤلاء في قعر جهنم وَرَأَى [ص456] الْمُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا فأيقنوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوْهَا واقعون فيها وَلَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصرِفًاO ع معدلا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بيّنّا فِيْ هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مثلا مِنْ جنس كُلِّ مَثَلٍ يحتاجون إليه ليتعظوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ أي: الكافر أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًاO أي: الخصومة في الإنسان أكثر من خصومة كل ما يأتي منه، أو أكثر شيء فيه الخصومة وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أي: كفار مكة أَنْ يُّؤْمِنُوْا مفعول ثان إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى أي: الكتاب، أو الرسول وَيَسْتَغْفِرُوْا رَبَّهُمْ إِلَّا انتظار أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِيْنَ أي: الهلاك في الدنيا أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًاO أي: أنواعا، جمع قبيل، في الآخرة وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ إِلَّا مُبَشِّرِيْنَ للمؤمنين وَمُنْذِرِيْنَ للكافرين وَيُجَادِلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالْبَاطِلِ باقتراح الآيات تعنتا مع وضوح المعجزات، أو قولهم: أ جعل الآلهة إلها واحدا؟ إن هذا لشيء عجاب، وأ بعث الله بشرا رسولا؟ وأمثال ذلك لِيُدْحِضُوْا ليزيلوا بِهِ الْحَقَّ الرسالة، أو القرآن وَاتَّخَذُوْا آيَاتِيْ وَمَا أُنْذِرُوْا به من العقاب هُزُوًاO سخرية وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ولم يتذكر وَنَسِيَ جزاءا مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ من الكفر والمعاصي إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً جمع كنان، أي: أغطية كراهة أَنْ يَّفْقَهُوْهُ وَفِيْ آذَانِهِمْ وَقْرًا ثقلا عن استماع الحق وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى أي: الإيمان فَلَنْ يَّهْتَدُوْا إِذًا بهذا الجعل وإن كنت حريصا على إيمانهم أَبَدًاO وإفراد الضمائر وجمعها رعاية لفظة من ومعناه وَرَبُّكَ الْغَفُوْرُ البليغ في المغفرة ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوْا في الدنيا [ص457] لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ فيها بَلْ لَّهُمْ مَّوْعِدٌ هو يوم القيامة، أو يوم بدر لَّنْ يَّجِدُوْا مِنْ دُوْنِهِ مَوْئِلًاO منجي

من وال، أي: نجى وَأهل تِلْكَ الْقُرَى قوم عاد وثمود وقوم لوط أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوْا {مثل أهل مكة}[1] وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًاO وقتا معينا، كما لأهل مكة يوم بدر، في الحديث: كان موسى عليه السلام في مصر خطيبا، فسئل أيّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه، فأوحى إليه أن الخضر أعلم منك، قال: كيف لي به؟ قال: خذ السمكة في مكتل، وسر إلى مجمع البحرين، فحيث فقدت؛ فهو ثم، فحمل يوشع بن نون، وانطلقا حتّى أتيا الصخرة، ونام موسى عليه السلام، فاضطرب الحوت، وخرج منه، فسقط في البحر، واتخذ سبيله في البحر سربا، فلما استيقظ نسي الإخبار به، وجاوزا بقية اليوم والليلة حتّى جاء وقت الغداء، قال موسى عليه السلام لفتاه يوشع آتنا غداءنا، فذكر حديث الحوت، فرجعا، وقيل: كان الخضر في أيام أفريدون، ومقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى زمان موسى عليه السلام وَاذكر إِذْ قَالَ مُوْسَى لِفَتَاهُ يوشع بن نون؛ يتعلم عند موسى عليه السلام لَا أَبْرَحُ لا أزال أسير حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًاO أو أسير دهرا طويلا، وقيل: ثمانون سنة، وهو ملتقي بحر الروم وبحر فارس؛ مما يلي المشرق، وعد فيه ملاقاة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، واسمه بليان، وإنما سمي خضرا؛ لأنه أينما يصلي يخضر ما حوله فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا بين البحرين نَسِيَا حُوْتَهُمَا نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى عليه السلام تذكيره، أو على المجاز كقتل بنو فلان فَاتَّخَذَ الحوت المملوح النازل على شاطئ عين الحياة بإصابة روح الماء، أو رشاشة ماءها حين توضأ منها يوشع سَبِيْلَهُ بجعل الله تعالى فِي الْبَحْرِ سَرَبًاO مثل السرب، وهو الشق الطويل الغير النافذ، فاستتر فيه، وكان الماء عليه كالطاق وجمد [ص458] ما تحته، وقيل: بمعنى المسلك، وفي البحر حال منه، أو من السبيل فَلَمَّا جَاوَزَا من مجمع البحرين سائرين إلى وقت الغداء من اليوم الثاني قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا هو ما يؤكل أول النهار لَقَدْ لَقِيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا متجاوزا عن مجمع البحرين، لأن الموعد كان مجمعهما نَصَبًاO تعبا قَالَ يوشع أَرَءَيْتَ تنبه إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ التي كانت في مجمع البحرين وموعده فَإِنِّيْ نَسِيْتُ ذكر الْحُوْتَ وَمَا أَنْسَانِيْهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ بإلقاء الخواطر في القلب أَنْ أَذْكُرَهُ بدل اشتمال من ضمير الحوت وَاتَّخَذَ الحوت سَبِيْلَهُ فِي الْبَحْرِ سبيلا عَجَبًاO يتجب منه موسى عليه السلام ويوشع، الظرف مفعول ثان لاتخذ قَالَ موسى عليه السلام ذَالِكَ أي: فقد الحوت مَا الذي كُنَّا نَبْغِ نطلبه به، فإنه علامة على وجود الخضر عليه السلام فَارْتَدَّا فرجعا عَلَى آثَارِهِمَا الطريق الذي جاءا فيه قَصَصًاO يقصان قصصا، يتبعان آثارهما اتباعا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا أي: الخضر عليه السلام راقدا في ثوبه، أو جالسا في البحر آتَيْنَاهُ رَحْمَةً نبوة، أو ولاية، أو طول حياة مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا قبلنا عِلْمًاO معلوما من المغيبات قَالَ لَهُ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

مُوْسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ من الله رُشْدًاO علما؛ ذا رشد، وهو إصابة الخير، والرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا، فيجوز أن يتعلم من غيره ما ليس من الدين، وينبغي أن يطلب العلم وإن بلغ ما بلغ، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه قَالَ خضر عليه السلام إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًاO عن الإنكار والسؤال وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًاO تميز أو مصدر، أي: لم تخبر خبرا عن حقيقته، أي: ظاهرها مناكير؛ وأنت نبي مرسل، وباطنها لم تحط به خبرك قَالَ سَتَجِدُنِيْ [ص459] إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا عن الإنكار والسؤال لما لم يجد من نفسه ثقة عليه، ومن دأب الأنبياء والأولياء الاستثناء في الأمور وَّلَا أَعْصِيْ لَكَ أَمْرًاO تأمرني به قَالَ خضر عليه السلام فَإِنِ اتَّبَعْتَنِيْ فَلَا تَسْئَلْنِيْ لا تفاتحني بالسؤال عَنْ شَيْءٍ ينكره بعلمك الظاهر حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًاO[ع] أي: حتّى أفتح لك رعاية لأدب المتعلم مع المعلم فَانْطَلَقَا فمشيا على ساحل البحر حَتَّى إِذَا رَكِبَا بلا نول فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا أي: الخضر عليه السلام بفأس لوحا أو لوحين من جانب البحر، وأخذ موسى عليه السلام ليسده بثيابه قَالَ له موسى عليه السلام أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًاO عظيما قَالَ الخضر عليه السلام أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًاO قَالَ موسى عليه السلام لما رأى أن الماء لم يدخلها لَا تُؤَاخِذْنِيْ بِمَا نَسِيْتُ التسليم لك؛ وترك الإنكار عليك وَلَا تُرْهِقْنِيْ مِنْ أَمْرِيْ عُسْرًاO أي: لا تغشني عسرا من أمري، يسر عليّ، ولا تعسر عليّ متابعتك، وعاملني بالعفو واليسر فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا وجيها لم يبلغ؛ يلعب معه الصبيان فَقَتَلَهُ عقيب اللقاء بأمر الله تعالى، ذبحه بالسكين بعد الاضجاع أو اقتلاع رأسه بالقتل، أو ضرب رأسه بالجدار وجزًا، إذا قَالَ له موسى عليه السلام أَقَتَلْتَ نَفْسًا ذَكِيَّةً لم يبلغ حد الحلم بِغَيْرِ نَفْسٍ بلا قصاص لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًاO أنكر من الأول أو أقل من الأمر.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ زاد لك ههنا إذ لا عذر هنا، ويمكن تدارك الخرق بالسد، ولا تدارك للقتل إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ صَبْرًاOقَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا بعد هذه المرّة فَلَا تُصَاحِبْنِيْ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَّدُنِّيْ من قبلي عُذْرًاO في مفارقتك لي [ص460] فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ هي إنطاكية أو الأبلّه؛ وهي أبعد أرض الله من السماء اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا طلبا منهم الطعام ضيافة فَأَبَوْا أَنْ يُّضَيِّفُوْهُمَا لكونهم لياما فَوَجَدَا فِيْهَا في القرية جِدَارًا طوله مائة زراع، وقيل: هذا ارتفاعه يُّرِيْدُ أَنْ يَّنْقَضَّ لميلانه فَأَقَامَهُ الخضر بيده قَالَ موسى عليه السلام لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًاO جُعلا حتّى يستدفع به الضرورة الملجئة إلى السؤال، ولم يضيفونا معه قَالَ له الخضر وقت السؤال الثالث هٰذَا الوقت فِرَاقُ

بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ أي: سببه، والعطف سوّغ إضافة بين إلى غير المتعدد سَأُنَبِّئُكَ قبل الفراق بِتَأْوِيْلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًاO أَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِيْنَ عشرة: خمسة منهم زمني، وخمسة منهم يَعْمَلُوْنَ فِي الْبَحْرِ مواجرة فَأَرَدْتُّ أَنْ أَعِيْبَهَا بالخرق وَكَانَ وَرَاءَهُمْ خلفهم إذا رجعوا أو أمامهم الآن مَّلِكٌ اسمه جلندي؛ كان كافرا يَّأْخُذُ كلَّ سَفِيْنَةٍ صالحة غير معيبة غَصْبًاO منصوب على المصدرية لبيان نوع الأخذ وَأَمَّا الْغُلَامُ اسمه الحسين فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِيْنَا من كلام الخضر عليه السلام، أو كلام الله تعالى سبحانه أَنْ يُّرْهِقَهُمَا يغشيهما طُغْيَانًا وَّكفْرًاO بأنعمهما بعقوقه وسوء صنيعه، أو بالله عز وجل لمحبتهما به، فيتبعانه في ذالك إن عاش فَأَرَدْنَا أَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ من ذالك الولد زَكَاةً طهارة ونقاءا؛ تميز وَّأَقْرَبَ منه رُحْمًاO رحمة وبرا بوالديه، فأبدل الله إياهما جارية، تزوجها نبي، فولدت نبيا أو سبعين نبيا، أو ولد مؤمنا مثل الأبوين وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ اسمهما أصرم وصريم يَتِيْمَيْنِ فِي الْمَدِيْنَةِ المذكورة وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا قيل: هو مال مدفون [ص461] من الذهب والفضة، أو ألواح النصائح وَكَانَ أَبُوْهُمَا قيل: الجد السابع صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَا أَشُدَّهُمَا أي: الحلم وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مفعول له لأراد مِّنْ رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ المذكور من الخرق والقتل والإقامة عَنْ أَمْرِيْ اختياري بل بإلهام الله تعالى لي ذَالِكَ المذكور تَأْوِيْلُ مَا لَمْ تَسْطِعْبمعنى لم تستطع، أي: لم تطق عَّلَيْهِ صَبْرًاOع وَيَسْئَلُوْنَكَ أي: اليهود، أو مشركوا مكة عَنْ قصة ذِي الْقَرْنَيْنِ طاف قرني الدنيا المشرق والمغرب ، وعاش قرنين، أو له ضفيرتان، أو لتاجه قرنان، اسمه إسكندر، ولم يكن ملكا ولا نبيا قُلْ سَأَتْلُوْا عَلَيكمْ مِّنْهُ ذِكرًاO إِنَّا مَكنَّا لَهُ استويناه فِي الْأَرْضِ بتسهيل السير، وقد وجد في الكتب إن أحدا من أولاد سام يشرب من عين الحياة، فيخلد، فجعل يسير في طلبها، والخضر عليه السلام وزيره وابن خالته فظفر وشرب، ولم يظفر ذو القرنين وَآتَيْنَاهُ مِنْ كلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه في تصرف ملكه سَبَبًاO طريقا موصلا إليه من علم وقدرة وسائر ما له دخل في التسبب فَأَتْبَعَ فلحق واقتفي سَبَبًاO يوصله نحو المغرب حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ موضع غروبها من نهاية عمارة المغرب وَجَدَهَا في رأي العين وإلا فهي أعظم من كرة الأرض مائة ونيفا وستين مرة تَغْرُبُ فِيْ عَيْنٍ حَمِئَةٍ ذات حمأة؛ وهي الطين الأسود وَّوَجَدَ عِنْدَهَا عند العين قَوْمًا كافرين؛ عراة عن الثياب قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ بالإلهام أو بلسان نبي إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ بالقتل مع الإصرار على الكفر وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيْهِمْ حُسْنًاO بالأسر، أو عرض الإسلام؛ وتعليم الشرائع بعد الإيمان قَالَ ذو القرنين أَمَّا مَنْ ظَلَمَ [ص462] بعد دعوتي إياه إلى الإسلام فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ بقتله ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكرًاO منكرا، فهو معذب في الدارين وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الفعل الْحُسْنَى وَسَنَقُوْلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًاO سهلا، الزكاة والخراج وغير ذالك ثُمَّ أَتْبَعَ سلك سَبَبًاO طريقا نحو المشرق حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

وَجَدَهَا تَطْلُعُ من آفاق الأرض أولا عَلَى قَوْمٍ هم الزنج لَّمْ نَجْعَلْ لَّهُمْ مِّنْ دُوْنِهَا أي: الشمس سِتْرًاO بناءا وسقفا لعدم تحمل أرضهم البناء، بل لهم أسراب يغيبون فيها عند طلوع الشمس، ويظهرون عند ارتفاعها، أو لباسا، عن مجاهد: السود منهم أن لا يلبسون الثياب، فهم أكثر من أهل الدنيا أمر ذي القرنين كَذَالِكَ أي: كما قلنا وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ من الجنود والآلات والأسباب؛ بحيث لا يحيطه إلا علمنا به خُبْرًاO علما، فهو منصوب بالمصدرية ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًاO سلك طريقا نحو الجبلين حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ أي: الجبلين بمنقطع بلاد الترك مما يلي المشرق وَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمَا أي: وراءهما قَوْمًا هم الترك لَّا يَكَادُوْنَ يَفْقَهُوْنَ قَوْلًاO من القائل، أي: لا يفهمون إلا بجهد وإشارة؛ لغرابة لغتهم قَالُوْا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوْجَ وَمَأْجُوْجَ من ولد يافث من قبيلة الترك، وهما اسمان عجميان لقبيلتين؛ فلم ينصرفا؛ يسكنان الجبل والديلم مُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ يأكلون الناس، ويخرجون أيام الربيع، فلا يتركون خضرا إلا أكلوه، ولا يابسا إلا حملوه، طوال بالطويل المفرط، وقصار بالقصير المفرط، ولا يموت أحدهم حتّى ينظر ألف ذكر من صلبه؛ كلهم قد حمل السلاح فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا جُعلا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّاO حاجزا لا يصلون إلينا [ص463] قَالَ مَا مَكَنِّيْ فِيْهِ رَبِّيْ خَيْرٌ أي: ما جعلني ربي فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون من الخراج، أجعل لكم السد تبرعا فَأَعِيْنُوْنِيْ بِقُوَّةٍ لما أطلبه منكم من عملة البناء، والصياغ والآلات والأسباب أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًاO حاجزا حصينا، والردم أكبر من السد آتُوْنِيْ زُبَرَ الْحَدِيْدِ قطعه حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ جانبي الجبلين، وجعل الأساس من الصخور والنحاس المذاب من الماء إلى وجه الأرض، والبنيان من زبر الحديد، جعل فيها الحطب والفحم ووضع المنافيخ قَالَ انْفُخُوْا فنفخوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ أي: الحديد نَارًا كالنار في الأوصاف قَالَ آتُوْنِيْ أُفْرِغْ عَلَيْهِ على الحديد المحمى قِطْرًاO فهو من باب تنازع الفعلان، وعمل الثاني، والقطر: النحاس المذاب، فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا كالجبل، طوله مائة فراسخ فَمَا اسْطَاعُوْا أي: يأجوج ومأجوج، حذفت التاء للخفة أَنْ يَّظْهَرُوْهُ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته وَمَا اسْتَطَاعُوْا أي: يأجوج ومأجوج لَهُ نَقْبًاO لصلابته قَالَ ذوالقرنين هٰذَا السد والاقتدار والتمكين على تسوية السد، يمنع خروج المفسدين رَحْمَةٌ مِّنْ رَّبِّيْ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّيْ قرب بعثهم جَعَلَهُ أي: السد دَكَاءَ مدكوكا، أي: أرضا مستوية وَكَانَ وَعْدُ رَبِّيْ بالبعث حَقًّاO كائنا، لا خلاف فيه، قال تعالى: وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يوم خروجهم يَّمُوْجُ يختلط فِيْ بَعْضٍ لكثرتهم أو الخلق يوم القيامة يختلط وَّنُفِخَ فِي الصُّوْرِ أي: القرن فَجَمَعْنَاهُمْ جميع الخلائق في عرصات القيامة جَمْعًاO وَّعَرَضْنَا جَهَنَّمَ أظهرنا وقربناها يَوْمَئِذٍ يوم القيامة [ص464] لِّلْكَافِرِيْنَ عَرْضَاO الَّذِيْنَ بدل من الكافرين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِيْ غِطَاءٍ عَنْ ذِكرِيْ أي: القرآن، فعموا عن الاهتداء وَكَانُوْا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ

بخلاف الصم؛ فإن لهم استطاعة السمع إذا صيح سَمْعًاO ع عن النبي بغضا وعداوة أَفَحَسِبَ أفظن الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنْ يَّتَّخِذُوْا عِبَادِيْ أي: الملائكة وعيسى وعزير، مفعول أول للاتخاذ مِنْ دُوْنِيْ أَوْلِيَاءَ أي: أربابا، مفعول ثان له، وإن مع صلته قائم مقام مفعولي حسب، وقيل: المفعول الثاني لحسب محذوف، أي: أفحسب الذين كفروا اتخاذهم عبادي أولياء نافعهم، أو لا أعاقب عليه إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِيْنَ نُزُلًاO هي معدّ لهم، كما يعد للضيف النزل قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالًاO تميز، جمع، لتنوع هؤلاء هم أهل الكتاب والرهبان الَّذِيْنَ ضَلَّ بطل وضاع سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ يظنونO اَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعًا يجازون عليه بأحسن الأجزية أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ بدلائل توحيده من الأنفسي والآفاقي وَلِقَائِهِ بالبعث والحساب والثواب والعقاب فَحَبِطَتْ بطلت أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًاO قدرا ذَالِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ عطف بيان لجزائهم بِمَا كَفَرُوْا وَاتَّخَذُوْا آيَاتِيْ وَرُسُلِيْ هُزُوًاO أي: بكفرهم واتخاذهم آياتي ورسلي مهزوا بهما إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ في علم الله جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ وسط الجنة وأعلاها، والإضافة للبيان، أصله: الجامع للكرم والنخل نُزُلًاO منزلا خَالِدِيْنَ فِيْهَا لَا يَبْغَوْنَ عَنْهَا حِوَلًاO أي: حال كونهم لا يطلبون عن الجنة تحويلا إلى مكان آخر، رضوا بما أعطوا قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ أي: ماء جنسه مِدَادًا [ص465] لِّكَلِمَاتِ رَبِّيْ الدلالة على الحكم، والمراد بالمداد ما يكتب به الكلمات لَنَفِدَ الْبَحْرُ لتم ماء البحر قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ تتم كَلِمَاتُ رَبِّيْ وَلَوْ جِئْنَا زدنا بِمِثْلِهِ بمثل ماء البحر مَدَدًاO قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا هو إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْا يأمل لِقَاءَ رَبِّهِ بالرضى فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا لله لا لغيره وَّلَا يُشْرِكْ جليا وخفيا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًاO ع

سورة مريم مكية، ثمان وتسعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

كٓهٰيٰعٓصٓO الله أعلم بمراده، هذا ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ مفعول رحمة زَكَرِيَّاO عطف بيان له إِذْ ظرف رحمة نَادَى دعا رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّاO دعاءا أبعد عن الرياء، كما هو الأمر، أو لضعفه، أو لئلا يلام بطلبه في غير أوان، فإنه كان له مائة وعشرون سنة؛ ولامرأته ثمان وتسعون سنة، قيل: كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين قَالَ رَبِّ إِنِّيْ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّيْ أي: ضعف جميع بدني وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وانتشر الشيب، وفشا كانتشار النار، وفشوها في الأحطاب وَّلَمْ أَكُنْ قبل هذا بِدُعَائِكَ أي: دعائي إياك؛ فإضافة المصدر إلى المفعول رَبِّ شَقِيًّاO خائبا عن إجابة الدعاء، يقال: سعد فلان؛ إذا ظفر لحاجة، وشقي؛ إذا خاب، لم ينلها، فلا تخيبني بعد هذا وَإِنِّيْ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَّرَائِيْ الذين يلوني

في النسب؛ كبني العم، وكانوا أشرار بني إسرائيل، فخافهم أن يغيروا الدين بعده، فطلب عقبا صالحا من صلبه، يقتدي به وَكَانَتِ امْرَأَتِيْ عَاقِرًا لا تلد فَهَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ عندك وَلِيًّا○ ابنا، يلي أمرك من بعدي يَّرِثُنِيْ صفة وليا وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوْبَ بن [ص466] إسحاق علما ونبوة، أي: يصلح، لأن يوحي إليه وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا○ مرضيا عندك، فأجاب دعاءه، فقال: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اِسْمُهُ يَحْيَى تولى تعالى بتسميته تشريفا له لَمْ نَجْعَلْ لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا○ مسمى بيحيى، فيه إشارة بأن الاسم الجديد جدير بالتسمية قَالَ رَبِّ أَنَّى كيف يَكوْنُ لِيْ غُلَامٌ ليس باستبعاد بل استكشاف الوهب في الشيب، أو يعاد الشيب وَّكَانَتِ امْرَأَتِيْ عَاقِرًا عقيما وَّقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ مائة وعشرون سنة له؛ ولامرأته ثماني وتسعون سنة عِتِيًّا○ أصله: عتيوا، قلبت الواو ياءا، فأدغمت، أي: تحولا وضعفا في المفاصل، ونهاية في السن، يبسا في البدن قَالَ الملك المبشر: الأمر في العادة كَذَالِكَ كما قلت قَالَ رَبُّكَ هُوَ أي: خلق الغلام منكما مع هذه النعوت عَلَيَّ هَيِّنٌ بأن أرد عليك قوة الجماع، وأعطي لها فتقا في الرحم للعلوق وَّقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكَ شَيْئًا○ وكنت معدوما قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّيْ آيَةً أعلم بها سرعة وقوع ما بشرتني به قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ أي: تمنع من الكلام؛ فلا تطيقه ثَلَاثَ لَيَالٍ وأيام سَوِيًّا○ حال من الفاعل، لا تكلم، أي: بلا علة من خرس وبكم، وإنما منع من التكلم ليشتغل بالذكر والشكر؛ بالدوام من غير فصل فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ من المسجد، وهم ينتظرون ليصلوا فيه علي العادة، ولم يقدر على التكلم فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ قيل: كتب على الأرض، وقيل: أشار بالإصبع أَنْ مفسرة سَبِّحُوْا نزهوا، أي: صلّوا لله تعالى بُكْرَةً أول النهار وَّعَشِيًّا○ آخره على العادة، وبعد سنين من ولادته؛ قال تعالى: يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ التوراة [ص467] بِقُوَّةٍ بجد وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ النبوة صَبِيًّا○ وهو ابن ثلاثة سنين وَّآتيناه حَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا رحمة من عندنا في حق سائر العباد؛ سيما الوالدين وَزَكَاةً طهارة من الذنوب، أو صدقة على الوالدين، أو ما يتصدق به على سائر المحتاجين وَكَانَ تَقِيًّا○ مطيعا، روي أنه لم يعمل خطية، ولم يهم بها وَّبَرًّا بَوَالِدَيْهِ محسنا إليهما؛ غير عاص فيهما وَلَمْ يَكنْ جَبَّارًا متكبرا عَصِيًّا○ عاصيا لربه وَسَلَامٌ أمان منا عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ من أن يمسه الشيطان وَيَوْمَ يَمُوْتُ من فتّاني القبر وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا○ع من الفزع الأكبر، أي: في هذه الأيام المخوفة عليه أمان وسلام من كل خوف وَاذْكرْ فِي الْكِتَابِ القرآن مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ أي: حين انفصلت وعزلت مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا○ شرقي بيت المقدس، أو دارها فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُوْنِهِمْ حِجَابًا سترا؛ لتغتسل من الحيض فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا جبرائيل لحياة الدين بوحيه، سمي به فَتَمَثَّلَ لَهَا بعد ما لبست الثياب بَشَرًا سَوِيًّا○ آدميا تام الخلق قَالَتْ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كنْتَ تَقِيًّا○ تتقي الله؛ فتنتهي عني بتعوذي، أو على المبالغة، أي: إن كنت متورعا فأعوذ، فكيف إذا لم تكن متورعا؟ وقيل:

اسم رجل معروف بالفسق قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُوْلُ رَبِّك لِأَهَبَ لَك غُلَامًا زَكِيًّاO طاهرا من الذنوب قَالَتْ أَنَّى يَكوْنُ لِيْ غُلَامٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ بتزوج وَّلَمْ أَكُ بَغِيًّاOالربع فاجرة؛ أبغي قضاء الشهوة من كل رجل، قيل: أصله بغوي، على فعول، فقلبت الواو ياءا، وأدغمت، وكسرت العين اتباعا، وقالوا: فعيل بمعنى مفعول، ولذا ترك التاء قَالَ جبرائيل عليه السلام: الأمر كَذَالِك كما قلت، أو الأمر مضى على تحقق، يولد غلام منك من غير أب [ص468] قَالَ رَبُّك هُوَ إعطاء الولد من غير أب عَلَيَّ هَيِّنٌ سهل، ليظهر به قدرتنا وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً على القدرة الكاملة لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا لمن آمن بنا وَكَانَ خلقه أَمْرًا مَّقْضِيًّاO في علمه، فنفخ في جيب درعها، فوصلت النفحة إلى بطنها فَحَمَلَتْهُ وأحست بالحمل مصورا، ومدة الحمل والتصوير والولادة ساعة، وقيل: في ساعة حملت، وفي ساعة صور، وفي ساعة وضعت. وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود لثمانية غيره، وهي بنت ثلاثة عشر سنة، ومضت لها الحيضتان فَانْتَبَذَتْ اعتزلت بِهِ مَكَانًا قَصِيًّاO بعيدا من أهلها؛ لخوف الملامة فَأَجَاءَهَا فجاء بها، أو ألجأها، وهو منقول من جاء الْمَخَاضُ ألم وضع الحمل إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ساقها؛ لتعتمد عليه، وكانت يابسة، وكان زمان الشتاء قَالَتْ يَالَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هٰذَا الأمر وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنْسِيًّاO شيئا متروكا في الذكر؛ لمكان تهمة البغاء فَنَادَاهَا جبرائيل، أو عيسى عليهما السلام تسلية لشدة ما لقيت مِنْ تَحْتِهَا تحت النخلة، وكان جبرائيل عليه السلام أسفل من مكانها، أو تحت ذيل مريم أَلَّا تَحْزَنِيْ عن عدم الماء والطعام، وأن مفسرة قَدْ جَعَلَ رَبُّك تَحْتَك بقربك، أو تحت حكمك سَرِيًّاO جدولا صغيرا كان انقطع، وقيل: سيدا؛ هو عيسى عليه السلام وَهُزِّيْ إِلَيْك حركي إلى نفسك بِجِذْعِ النَّخْلَةِ الباء زائدة تُسَاقِطْ عَلَيْك رُطَبًا جَنِيًّاO طريا فَكلَيْ من الرطب الجني وَاشْرَبِيْ من ماء السري وَقَرِّيْ عَينًا بالولد الرضي، منصوب على التميز فَإِمَّا أصله إن ما المزيدة، فأدغمت تَرَيِنَّ حذفت لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها إلى الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا يسأل عن حالك فَقُوْلِيْ بالإشارة إِنِّيْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا صوم [ص469] الصمت، وقد نهي عنه في شريعتنا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّاO آدميا فَأَتَتْ بِهِ بعيسى عليه السلام بعد أيام النفاس قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ حال، فرأوه قَالُوْا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّاO عجيبا؛ بقطع العادة، إذ الولد من غير أب خرق عادة يَاأُخْتَ هَارُوْنَ وكان رجلا صالحا عليه السلام أخاها من أبيها، أو أخ موسى عليه السلام، وكانت من أعقابه، وبينهما ألف سنة، أو رجل مشهور بالصلاح، أو بالطلاح، شبهوها به في الصلاح، أو شتموها لشهرته في الفساد مَا كَانَ أَبُوْك عمران امْرَءَ سَوْءٍ زانيا وَّمَا كَانَتْ أُمُّك حنة بَغِيًّاO زانية فَأَشَارَتْ لهم إِلَيْهِ أن كلموه قَالُوْا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ وجد فِي الْمَهْدِ صَبِيًّاO حال قَالَ عيسى عليه السلام برفع الصوت؛ وهو ابن أربعين ليلة، أو ابن يوم إِنِّيْ عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكتَابَ الإنجيل

وَجَعَلَنِيْ نَبِيًّاO في المهد، وكلامه معجزته، أو الأخبارات سبقت في قضائه، أو مجاز بالأول وَّجَعَلَنِيْ مُبَارَكًا نفّاعا للخلق أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِيْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّاO مدة حياتي وَّجعلني بَرًّا بِوَالِدَتِيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِيْ جَبَّارًا متكبرا شَقِيًّاO عاقا وَالسَّلَامُ أي: الأمان من الله عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ بعدم مسيس الشيطان وَيَوْمَ أَمُوْتُ عن فتنة ملكين في القبر وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّاO عن الفزع الأكبر ذَالِكَ الذي قال: إِنِّيْ عَبْدُ اللهِ...إلخ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ هو قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِيْ فِيْهِ يَمْتَرُوْنَO من المرية، أي: يشكون فيه، أو من المراء حيث اختلفوا، فقالت اليهود: إنه ساحر كذاب، والنصاري يقولون: إنه الله، أو ولده مَا كَانَ ما ينبغي لِلّٰهِ أَنْ يَّتَّخِذَ مِنْ [ص470] وَّلَدٍ سُبْحَانَهُ تنزيها له عن الولد إِذَا قَضَى أراد أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُO كعيسى حدث بكلمة كن من غير أب وَقل إِنَّ اللهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ هٰذَا المذكور صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌO إلى الجنة فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ بعد الرفع، كانوا ثلاثة أحزاب، فإن أعلم زمان النصارى يعقوب ونسطور وملكاء، فقال يعقوب عليه السلام: هو الله، هبط من السماء، ثم صعد إليه. وقال نسطور: كان ابن الله، أظهره ما شاء الله، ثم رفعه إليه. وقال ملكاء: كان عبدا نبيا، فيتبع قوم كلا من هذه الثلاثة فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا من الأحزاب مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيْمٍO شهود يوم القيامة أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ بهم، فعلا التعجب يَوْمَ يَأْتُوْنَنَا أي: أعجب يا مخاطب في سمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما وعميا، حيث لا ينفع لهم السمع والبصر ذالك اليوم أصلا لٰكِنِ الظَّالِمُوْنَ أي: لكنهم، فأقيم الظاهر مقام الضمير الْيَوْمَ في الدنيا فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO حيث صموا وعموا عن كلمة الحق وَأَنْذِرْهُمْ كفار مكة يَوْمَ الْحَسْرَةِ للمسيء على ترك الإحسان في الدنيا إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ فرغ من الحساب، وحكم بثواب المطيع، وعذاب المسيء وَالحال هُمْ كانوا فِيْ غَفْلَةٍ وَّالحال هُمْ كانوا لَا يُؤْمِنُوْنَO إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا نتفرد بالملك بإهلاك العقلاء؛ الذين يدعون وراثة الأرض وغيرهم. وذكر من تغليبا، أو من بمعنى ما وَإِلَيْنَا يُرْجَعُوْنَOع للجزاء وَاذْكُرْ لهم فِي الْكِتَابِ القرآن إِبْرَاهِيْمَ أي: قصته إِنَّهُ كَانَ صِدِّيْقًا مبالغة في الصدق، والمراد فرط صدقه، وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته نَّبِيًّاO إِذْ قَالَ بدل من إبراهيم، أو من خبر إن لِأَبِيْهِ آزر يَاأَبَتِ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ [ص471] وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِيْ عَنْكَ شَيْئًاO أي: لا يكفيك من نفع وضرر يَا أَبَتِ إِنِّيْ قَدْ جَاءَنِيْ مِنَ الْعِلْمِ بالوحي مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيْ أَهْدِكَ أرشدك صِرَاطًا سَوِيًّاO مستقيما يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ لا تطعه، فإن عبادة الأصنام من تسويله إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّاO كثير العصيان يَاأَبَتِ إِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ إن لم تتب فَتَكُوْنَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّاO قرينا في النار قَالَ آزر أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ اٰلِهَتِيْ يَا إِبْرَاهِيْمُ فتعييبها لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ عما تقول فيّ وفي أصنامي لَأَرْجُمَنَّكَ

بالحجارة، أو بالكلام القبيح فاحذرني وَاهْجُرْنِيْ مَلِيًّا زمانا طويلا من الملاوة قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سلام متاركة، أي: لا أصيبك بمكروه بعد ذالك بل سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ وقد استغفر عند ستر حاله، فلما تبين له أنه عدوا لله تبرأ منه، أو الاستغفار للكفار طلب التوفيق لما يوجب مغفرتهم إِنَّهُ كَانَ بِيْ حَفِيًّا ملطفا مكرما؛ فيجيب دعائي وَأَعْتَزِلُكُمْ من أرض بابل إلى الشام وَمَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ من الأصنام وَأَدْعُوْا رَبِّيْ أعبده عَسَى أَلَّا أَكُوْنَ بِدُعَاءِ رَبِّيْ لعبادته شَقِيًّا ضائع السعي، كما شقيتم بعبادة الأصنام، وفي تقدير الكلام بكلمة عيسَى هضم النفس والتواضع فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ولدا وَيَعْقُوْبَ نافلة؛ ليستأنس بهما وَكَلَّا منهما جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ للثلاثة مِّنْ رَّحْمَتِنَا المال والولد وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ ثناءا حسنا، وهو قول [ص472] المؤمنين: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم عليه السلام عَلِيًّا ع رفيعا مشهورا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوْسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا أخلصه الله في الفتح، أو أخلص العبادة لله في الكبر وَّكَانَ رَسُوْلًا نَّبِيًّا والفرق بينهما بالكتاب وعدمه كموسى عليه السلام، فإن معه الكتاب ويوشع لا كتاب معه، بل هو يعمل بالتوراة وَنَادَيْنَاهُ كلمناه ليلة الجمعة؛ إني أنا الله مِنْ شجرة كانت في جَانِبِ الطُّوْرِ اسم جبل بين مصر ومدين الْأَيْمَنِ بالنسبة إلى موسى عليه السلام؛ حين ذهابه من مدين إلى مصر وَقَرَّبْنَاهُ مكانته لا مكانا نَجِيًّا حال، أي: مناجيا، بأن أسمعه الله كلامه بلا واسطة وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا من نعمتنا أَخَاهُ هَارُوْنَ بدل أو عطف بيان من أخاه نَبِيًّا حال، والموهوب هو نبوة الأخ؛ وإلا فهو أكبر منه سنا وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيْلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ حيث وعد الصبر من نفسه على الذبح فوفي، وإنه كان مشهورا به وَكَانَ رَسُوْلًا إلى حيّ من أحياء اليمن، يقال لهم: جرهم؛ وهم أصهار إسماعيل عليه السلام نَّبِيًّا مبشرا ومنذرا لهم وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ قومه بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهٖ مَرْضِيًّا أصله مرضوا، قلبت الواوان يائين؛ والضمة كسرة وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ كلمة عجمية، اسمه أخنوح؛ جد أب نوح عليه السلام، أول مرسل بعد آدم عليه السلام، وشيث عليه السلام وأول من خط بالقلم، وخاط اللباس، ونظر في علم النجوم والحساب، واتخذ الموازين والمكائيل والأسلحة إِنَّهُ كَانَ صِدِّيْقًا نَّبِيًّا أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وَّرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا النبوة، أو السماء الرابعة أو الخامسة أو السادسة أو السابعة أو الجنة بعد أن أذيق الموت، وأورد على النار أُولٰئِكَ [ص473] المذكورون في السورة من زكريا إلى إدريس عليهما السلام، مبتداء والشرطية خبر، وما بينهما صفة المبتداء وصفة النبيين الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّنَ بيان لهم مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ أي: إدريس عليه السلام؛ فإنه قريب منه وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوْحٍ من ذرية سام، أي: إبراهيم عليه السلام وَّمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم

السلام وَإِسْرَائِيْلَ ومن ذرية يعقوب عليه السلام، موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام؛ لأن مريم من ذريته وَمِمَّنْ هَدَيْنَا أي: من جملة من هديناهم إلى محاسن الإسلام وَاجْتَبَيْنَا من الأنام إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوْا سُجَّدًا وَّبُكِيًّاO السجدة سقطوا على وجوههم ساجدين وباكين، فكونوا أيها المحمديون مثلهم، وأصله بكوي، قلبت الواو ياءا، والضمة كسرة فَخَلَفَ مِنْم بَعْدِهِمْ خَلْفٌ بسكون العين، أولاد سوء، وبفتحها أولاد خير أي: اليهود والنصارى أَضَاعُوا تركوا الصَّلَاةَ المفروضة وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ من المعاصي وملاذ النفوس فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّاO أي: جزاء الضلالة الغي ضد الرشد، وقيل: واد في جهنم أعد للمصر على الزنا وشرب الخمر وأكل الربوا والعاق وشاهد الزور إِلَّا مَنْ تَابَ أي: لكن من رجع عن كفره وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًاO أي: لا ينقصون من الأجور شيئا جَنَّاتِ عَدْنٍ بدل من الجنة، والعدن: الإقامة، وهو علَم الَّتِيْ صفة جنات وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ حال، أي: غائبين عنها، أو غائبة عنهم إِنَّهُ الشأن كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّاO موعودة، أي: الجنة مأتية، وأصله مأتوه كمرمي لَا يَسْمَعُوْنَ فِيْهَا لَغْوًا فضول الكلام إِلَّا سَلَامًا أي: لكن يسمعون سلاما وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ [ص474] فِيْهَا بُكْرَةً وَّعَشِيًّاO على مقدار طرفي النهار من الدنيا، وإلا ليس فيها نهار ولا ليل بل ضوء ونور، أو المراد الدوام تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِيْ نُوْرِثُ مِنْ عِبَادِنَا نجعلها ميراث أعمالهم، ونبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كالميراث، أو يرثون من الكفار المساكن؛ التي كانت لهم لو آمنوا، فإن الكفر موت حكمي مَنْ كَانَ تَقِيًّاO من الشرك، روي أنه تأخر الوحي أياما حين لم يستثن في جواب المشركين، لما سألوه عن قصة ذي القرنين وأصحاب الكهف والروح، قال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل عليه السلام: ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزل: وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ حكاية قول جبرائيل عليه السلام، أي: نزولنا في الأحايين وقتاً غب وقت ليس إلا بأمر الله تعالىلَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْنَا أي: أمامنا من أمور الآخرة وَمَا خَلْفَنَا من أمور الدنيا وَمَا بَيْنَ ذَالِكَ أي: أمامنا وخلفنا أي: له علم الجميع فكل حركة وسكون وإعلام وإغفال إنما هو بإذنه وإرادته وعلمه وَكَانَ رَبُّكَ نَسِيًّاO ناسيا لك بترك الوحي أياما، هو رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَينَهُمَا أو بدل فَاعْبُدْهُ فاثبت على عبادته وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ على المشاق لأجل عبادته هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّاOع مثلا في الاسم، أي: الله عز وجل، فهو المعبود بالحق، فلا بد يعبد ويصطبر وَيَقُوْلُ الْإِنْسَانُ أبي بن خلف، أو وليد بن المغيرة ءَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّاO الاستفهام بمعنى النفي، ما للتأكيد، أي: لا أخرج حيا إذا مت، كما يقول محمد عليه السلام أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ أي: أ يقول ذالك؟ ولا يذكر حال النشأة الأولي وَلَمْ يَك شَيْئًاO أي: موجودا فَوَ رَبِّكَ الواو للقسم لَنَحْشُرَنَّهُمْ [ص475] أي: المنكرين للبعث وَالشَّيَاطِيْنَ الواو بمعنى مع، أي: هم وهؤلاء في سلسلة

واحدة ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ من المحشر حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّاO نعتلهم، قاعدين على ركبتهم إهانة، وزنه فعول، أصله جثوو، أو جثوى؛ من جثى يجثو، أو يجثي، جمع جاث، كسجود جمع ساجد ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّاO ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِيْنَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّاO أي: لنخرجن من كل طائفة تابعة بغاو وأعتاهم فأعناهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار؛ على ترتيب شدة الجرأة على الرحمن، فنحن أعلم بالأشد، إنه أحق بالنار من الشديد دخولا بالتقدم وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا قيل: واصلها أو حاضرها أو مار عليها أو داخلها، وعليه علي وابن عباس رضي الله عنهم، وعليه جمهور أهل السنة كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا واجبا مَّقْضِيًّاO لا يتركه ألبتة ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِيْنَ اتَّقَوْا عن الشرك إلى الجنة وَّنَذَرُ الظَّالِمِيْنَ فِيْهَا جِثِيًّاO ونترك الكافرين فيها على الخلود، والعاصين على قدر الذنوب، قاعدين على الركب لما رأوا من شدة الهول عجزوا عن القيام وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ أي: الكافرين والمؤمنين آيَاتُنَا أي: القرآن بَيِّنَاتٍ حال كونها واضحات، وعجز الكفار عن معارضتها، أخذوا في الافتخار بالحظوظ الدينية والدنياوية قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مشركوا قريش؛ وقد زينوا بالملابس، ورجّلوا لشعورهم لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا أكثرهم عراة وحفاة شعثة أَيُّ الْفَرِيْقَيْنِ أنحن أم أنتم خَيْرٌ مَّقَامًا موضع القيام والمسكن وَّأَحْسَنُ نَدِيًّاO مجلسا يجلس القوم فيه للمصلحة، وصناديد العرب كانوا في الكفر وضعفاءهم [ص476] في الإسلام، فقاسوا زيادة فضلهم عند الله على ما أعطوا من زخارف الدنيا، فرد عليهم بالتهديد، فقال: وَكَمْ أَهْلَكنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَّرِءْيًاO أي: أهلكنا من القرون كثيرا؛ كانوا هم أحسن أثاث البيت وأحسن منظرا وهيئة، فعل من رأيت بمعنى مفعول، فكما أهلكناهم نهلك هؤلاء المترفين قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا أمر بمعنى الخبر، أي: مده وأمهله إمدادا وإمهالا؛ ليزداد طغيانا، غيّر إلى لفظ الأمر، ليدل على الوجوب والوقوع لا محالة كامأمور به المتمثل حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوْعَدُوْنَ وغاية المد، أوغاية قول الصناديد للضعفاء، وما بينهما اعتراض، أي: إذا رأوا رأي العين الموعود، وتفصيله إِمَّا الْعَذَابَ في الدنيا بالأسر أو القتل وَإِمَّا السَّاعَةَ القيامة وما فيها من الخزي والنكال، فهما بدلان عن قوله ما يوعدون فَسَيَعْلَمُوْنَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا منزلا، أي: الأمر على عكس ما قدروه وَّأَضْعَفُ جُنْدًاO أعوانا وأنصارا وَيَزِيْدُ اللهُ الَّذِيْنَ اهْتَدَوْا هُدًى عطف على قوله فليمدد، أي: يمدّهم في طغيانهم، ويزيد المؤمنين الهداية وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَّخَيْرٌ مَّرَدًّاO أي: الطاعات كلها، فدخل فيها فواضل الفرائض، وقول القائل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، على ما قالوا خير مثوبة عنده تعالى، وخير مرجعا وخير المرد تهكم؛ لقولهم: خير مقاما وأحسن نديا، إذ خير الباقي الذي يرجع إليه صاحبه أفضل من الخير الفاني أَفَرَءَيْتَ الَّذِيْ كَفَرَ

بِآيَاتِنَا وَقَالَ والله لَأُوْتَيَنَّ مَالًا وَّوَلَدًاO أي: في الآخرة بمعنى أخير بقصة هذا الكافر؛ عقيب حديثهم، إذ الرؤية طريق إلى العلم، وصحة الخبر عن المرئي، فاستعملوا أرأيت في معنى أخبر، [ص477] نزل في العاص بن وائل، كان لخباب بن الأرت عليه مال، فتقاضاه، فقال له: لا حتّى تكفر بمحمد عليه السلام، قال: لا؛ والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حيا ولا ميتا، ولا حين بعثت، قال: إذا بعثت جئني، فيكون لي ثمة مال وولد فأعطيتك اطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًاO موثقا، أي: ادعاءا أن يأتيه المال والولد في الآخرة، له طريقان: إما الاطلاع على الغيب، أي: اللوح المحفوظ، وإما عهد الله سبحانه له بهذا، أو كلاهما مفقودان، والهمزة للاستفهام، وهمزة الوصل محذوفة كَلَّا أي: لا يؤتي ذالك، فهو ردع عما صوره في نفسه سَنَكْتُبُ مَا يَقُوْلُ أي: سنظهر ما كتب عليه من قوله وإلا قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ﴾[1]، أي: الشديد في الكتابة وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّاO مصدر للتأكيد، أي: نزيد ونطول العذاب زيادة وطوالة له في الافتراء والاجتراء عليه تعالى وَّنَرِثُهُ مَا يَقُوْلُ وَيَأْتِيْنَ فَرْدًاO أي: نأخذه بما يقول بعد موته، إذ نبعّد مسمى ما يقول أي: المال والولد، ولا نعطي له شيئا مما تصور في نفسه، ويلقينا بلا مال وولد وَاتَّخَذُوْا أي: كفار قريش مِنْ دُوْنِ اللهِ آلِهَةً أصناما لِّيَكوْنُوْا لَهُمْ عِزًّاO معززين لشفاعتهم كَلاَّ ردع، أي: ليس الأمر كما ظنوا سَيَكفُرُوْنَ بِعِبَادَتِهِمْ أي: يقول الأصنام ما عبدتمونا وأنتم كاذبون، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوْا إِيَّانَا يَعْبُدُوْنَ﴾[2]، أو يقول الكفار: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3] وَيَكوْنُوْنَ أي: الأصنام أو الكفار عَلَيْهِمْ على الكفار أو الأصنام ضِدًّاOع عدوا، أو ضد الغير، أي: ذلا، والضد يقع على الواحد والجمع، أو أعوانا في تعذيبهم أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ سطانهم عَلَى الْكفِرِيْنَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّاO تغويهم إغواءا، وتغريهم إغراءا، واللّزّ [ص478] والهزّ أخوان، ومعناهما التهيّج فَلَا تَعْجَلْ في طلب العذاب عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نُعُدُّ لَهُمْ أنفاسهم التي ينتفسون بها في الدنيا إلى الوقت المعهود للفناء، أو أعمالهم للجزاء عَدًّاO يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِيْنَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْدًاO جمع وافد، راكبين على نوق الجنة ونجائبها وَّنَسُوْقُ الْمُجْرِمِيْنَ سوق الأنعام إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًاO جمع وارد، عطاشا لَا يَمْلِكوْنَ أي: العباد الشَّفَاعَةَ في حق العصاة إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًاO بدل عن واو، يملكون

---

1 ـ سورة ق، الآية: 18.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ سورة القصص، الآية: 63.

3 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 23.

فهو في محل الرفع، أو منصوب على حذف المضاف، أي: ألا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء، والعهد: هو شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: ما يتساهل به الشفاعة، وهو الإيمان أولا، والعمل الصالح ثانيا على ما وعد الله، أو إذن منه تعالى فيها لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾[1] وَقَالُوا أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًاO لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّاO قبيحا عظيما في المعصية، الإدّ: العجب، أو العظيم المنكر، والإدّة: الشدة والثقل تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ يتشققن مِنْهُ من عظم هذا القول وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ تنخسف وَتَخِرُّ الْجِبَالُ تسقط هَدًّاO مفعول مطلق، أي: كسرا، أو قطعا، أو هدما، والهدة: صوت الصاعقة من السماء أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًاO مجرور بدل من ضمير منه، قال تعالى: وَمَا يَنْبَغِيْ لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًاO إِنْ نافية كلُّ مَنْ نكرة موصوفة بقوله: فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّاآتَى الرَّحْمٰنِ أي: يأتيه يوم القيامة عَبْدًاO حال، أي: خاضعا ذليلا منقادا مقرا بالعبودية، والملائكة وعزير وعيسى عليهما السلام منهم، والبنوة والعبودية تتنافيان، [ص479] لأنه يعتق الابن إذا ملكه الأب لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّاO أي: حصر وأحاط بعلمه أشخاصهم ونفوسهم وأعمالهم وَكلُّهُمْ آتِيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًاO بلا مال وولد وناصر إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّاO فيما بينهم وبين الله تعالى، أو فيما بينهم فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ أي: القرآن بِلِسَانِكَ العربي لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِيْنَ الله وَتُنْذِرَ تخوف بِهِ القرآن قَوْمًا لُّدًّاO جمع ألد، أي: شديد الخصومة في الباطل، أي: كفار مكة وَكَمْ أَهْلَكنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل هَلْ تُحِسُّ تجد وتدرك مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكزًاOع النصف صوتا خفيفا، ومنه الركاز، أي: هلكوا، فلم يبق لهم أثر، وكذالك هؤلاء يهلكون.

سورة طٰهٰ مكية، هي مائة وثلاثون وخمس آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

طٰهٰO الله أعلم بمراده مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الْقُرْآنَ لِتَشْقَىO لتتعب لفرط التأسف على كفرهم، أو من طول القيام في الليل حتّى تورمت قدماك إِلَّا لكن أنزلناه تَذْكرَةً به لِّمَنْ يَّخْشَىO يخاف الله، أو مآله إلى الخشية، أو حال تَنْزِيْلًا بدل عن تذكرة، إذا جعل حالا، أو نزل

1 – (أ) جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ سورة النبأ، الآية: 38. (ب) جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ سورة طه، الآية: 109.

تنزيلا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىO جمع العلياء؛ تأنيث الأعلى الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ هو في الأصل سرير الملك اسْتَوَىO استواءا يليق بجنابه، قال علي رضي الله عنه: الاستواء غير مجهول، والتكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، لأنه تعالى كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل خلق [ص480] المكان، لم يتغير عما كان لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىO هو التراب الندي، أو الصخرة تحت الأرضين السبع وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ برفع صوتك في الدعاء، والذكر به، فلا حاجة إليه فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ما أسررته إلى غيرك وَأَخْفَىO ما أسررته في نفسك؛ فلا تجهد نفسك بالجهر اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أي: هو واحد بحسب الذات، وإن افترقت عبارات صفاته رد لهم، حيث قالوا: إنك تدعو آلهة كثيرة؛ حين سمعوا أسمائه لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىO تأنيث أحسن وَهَلْ بمعنى قد أَتَاكَ حَدِيْثُ مُوْسَىO خرج من مدين، يريد مصر لزيارة أمه، فولد لأهله في الطريق ابن في ليلة مظلمة مثلجة، وقد ضل الطريق، وتفرقت ماشيته، وصلد زنده إِذْ رَأَى نَارًا في زعمه؛ وهو نور فَقَالَ لِأَهْلِهِ لامرأته امْكُثُوْا أقيموا مكانكم إِنِّيْ آنَسْتُ أبصرت نَارًا لَّعَلِّيْ إنما ذكر كلمة الرجاء لعدم تيقنه بالوفاء آتِيْكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ شعلة في رأس عود، أو فتيلة أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًىO هاديا؛ يهديني على الطريق فَلَمَّا أَتَاهَا أي: النار وجدها نارا بيضاء، تتوقد من شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العناب، أو العَوسَجُ ولم يجد عندها أحدا نُوْدِيَ من جميع الجهات، وسمع بجميع أعضائه يَا مُوْسَىO قال: من المتكلم؟ فقال تعالى: إِنِّيْ أَنَا رَبُّكَ تأكيد، أو فصل، أو مبتداء فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ انزعهما ليصيب قدميك بركة من الوادي المقدس، أو كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ، أو لأن الحفوة لتعظيم الله إِنَّكَ بِالْوَادِ المُقَدَّسِ المبارك المطهر طُوًىO اسم للوادي، منصرف وغير منصرف، لأنه مكان وتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية، فخلعهما، وألقاهما من وراء الوادي وَأَنَا اخْتَرْتُكَ للنبوة [ص481] فَاسْتَمِعْ لِمَايُوْحَىO للذي يوحي إليك إِنَّنِيْ أَنَا اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وحدني فَاعْبُدْنِيْ فأطعني وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِيْO فيها من غير نسيان إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أريد أُخْفِيْهَا أستر عن الناس ليكونوا على وجل منها، أو أظهر قربها بعلاماتها لِتُجْزَى متعلق بآتية كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىO به من خير وشر فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا الخطاب لموسى عليه السلام، والمراد قومه، أي: فلا يصرفنكم عن الإيمان بها مَنْ لَّا يُؤْمِنْ بِهَا بالساعة وَاتَّبَعَ هَوَاهُ في الإنكار عنها فَتَرْدَىO فتهلك بذالك الانصداد وَمَا تِلْكَ بِيَمِيْنِكَ يَا مُوْسَىO ما مبتداء وتلك خبر، ويمينك حال، والاستفهام للتقرير ليقع المعجزة بها، والتوطين لئلا يهول والإيناس ودفع الوحشة والهيبة بالمكالمة قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا أعتمد عَلَيْهَا عند المشي والوثوب وعلى رأس القطيع وَأَهُشُّ أهبط أوراق الشجرة بِهَا لتسقط عَلَى غَنَمِيْ فيأكلها وَلِيَ فِيْهَا مَآرِبُ جمع مأربة؛ بحركات الثلاث في الراء، بمعنى

الحاجة أُخْرَىO كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام، والقياس أخر فوجهه، إما تأويل الجماعة، أو حفظ الفاصلة والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا قَالَ أَلْقِهَا يَامُوْسَىO فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ اسم للجنس، والثعبان أعظم، والجان أسرع تَسْعَىO تمشي سريعا، تبلع الشجر والصخر قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ منها سَنُعِيدُهَا سِيْرَتَهَا الْأُوْلَىO منصوب بنزع الخافض، أي: إلى سيرتها الأولى، بمعنى حالتها الأولى وَاضْمُمْ ادخل يَدَكَ اليمنى، أي: كفها إِلَى جَنَاحِكَ جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط تَخْرُجْ بَيْضَاءَ حال، أي: لا أدمة فيها، لها شعاع كشعاع الشمس؛ يغشي البصر مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ برص آيَةً حال أُخْرَىO للنبوة، فعلنا ذالك [ص482] لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الآية الْكُبْرَىO أو صفة آياتنا، وإذا أراد الرجوع إلى ما كان من الأدمة ضمها إلى جناحه، كما تقدم واخرجها إِذْهَبْ رسولا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىO؏ جاوز عن العبودية إلى دعوى الربوبية قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِيْ صَدْرِيْO وسعه؛ ليعمل المشاق في أمر الرسالة وَيَسِّرْ لِيْ أَمْرِيْO في الإبلاغ وَاحْلُلْ عُقْدَةً حدثت من وضع جمرة في فيه في صغره، ولعل تبييض يده كان لذالك مِّنْ لِّسَانِيْO يَفْقَهُوْا قَوْلِيْO يفهموا ما أقول عند تبليغ الرسالة وَاجْعَلْ لِّيْ وَزِيْرًا معينا يتحمل الثقل أو ملجأ يعتصم برأيه، وقيل: أصله: أزيرا من الآزر، بمعنى: القوة، فعيل بمعنى مفاعل، كالجليس والعشير مِّنْ أَهْلِيْO هَارُوْنَ مفعول ثان أَخِيO عطف بيان اشْدُدْ بِهِ أَزْرِيْO قوّ به ظهري وَأَشْرِكْهُ فِيْ أَمْرِيْO وهو الرسالة كَيْ نُسَبِّحَكَ تسبيحا كَثِيْرًاO وَّنَذْكُرَكَ ذكرا كَثِيْرًاO إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًاO عالما بأحوالنا قَالَ قَدْ أُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ فعل بمعنى المفعول، أي: أعطيت مسؤلك يَا مُوْسَىO وَلَقَدْ مَنَنَّا أنعمنا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى في وقت آخر قبل هذا إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ إلهاما أو مناما عند قتل فرعون أمثال موسى عليه السلام مخافة زوال الملك مَا يُوْحَىO أَنِ اقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوْتِ فَاقْذِفِيْهِ فِي الْيَمِّ بدل عما يوحي، أي: ألقيه أولا في التابوت، فألقي ذالك التابوت في النيل فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ الجانب، لأن الماء يسحله، أي: يقشره، والصيغة أمر ومعناها الخبر يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّيْ وَعَدُوٌّ لَّهُ وهو فرعون وَبعد أخذه إياك أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّيْ لحبك فرعون؛ ومن رآك وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيْO لتربي على علمي وحفظي ورعايتي إِذْ تَمْشِيْ أُخْتُكَ مريم لتتعرف حالك، وقد أجمع المراضع [ص483] ولم تتقبل أنت ثدي إحداهن فَتَقُوْلُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَّكْفُلُهُ يضمه إلى نفسه، والتذكير للفظ من فَرَجَعْنَاكَ فرددناك إِلَى أُمِّكَ كما وعدنا بقولنا: ﴿إِنَّا رَادُّوْهُ إِلَيْكِ﴾[1] كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بلقاك وَلَا تَحْزَنَ على الفراق وَقَتَلْتَ نَفْسًا كافرا قبطيا، فاغتممت بقتله من جهة فرعون، أو من جهة الله فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ بالذهاب من مصر إلى مدين، أو

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص، الآية: 7.

بالاستغفار وَفَتَنَّاكَ فُتُوْنًا اختبرناك بالإيقاع في الشدائد، ثم التخليص عنها اجتباءا، وقيل: الفتنة: المحنة، وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة، والفتون مصدر كالقعود، أو جمع فتنة، أي: فتناك ضروبا من الفتن فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ عشرا فِيْ أَهْلِ مَدْيَنَ اسم مدينة شعيب عليه السلام بثمانية مراحل من مصر ثُمَّ جِئْتَ في الوادي الأيمن عَلَى قَدَرٍ يَامُوْسَىO أي: على مقدار الرسالة؛ وهو أربعون سنة، قال وهب: فر من فرعون وهو ابن اثنى عشر سنة، ومكث عند شعيب عليه السلام ثماني وعشرين سنة، عشرا مهر الصفوراء، وثماني عشر بعدها، حتى ولد له أولاد وَاصْطَنَعْتُكَ اصطفيك لِنَفْسِيْO للرسالة إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوْكَ بِآيَاتِيْ التسع إلى القبط وَلَا تَنِيَا من الوني، وهو الفتور والتقصير، أي: لا تفترا فِيْ ذِكْرِيْO رسالتي إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىO تجاوز عن العبودية إلى الربوبية فَقُوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا في وعظ الرجوع عما ادعى لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىO كلمة الترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى إنه لا يرجع، وفائدة الإرسال إلزام الحجة وقطع المعذرة، أي: لا يتعظ في الرجوع بالتأمل للصادق، أو يرحب من الله أن يأخذه كما يقولان قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا يعجل بالعقوبة قبل تمام الدعوة والمعجزة أَوْ أَنْ يَّطْغَىO أن [ص484] تجاوز الحد في الإساءة، أو إليه، أو يزداد طغيانا قَالَ تعالى: لَا تَخَافَا إِنَّنِيْ مَعَكُمَا بالعون والحفظ أَسْمَعُ وَأَرَىO ما يقول ويفعل فَأْتِيَاهُ أي: فرعون فَقُوْلَا إِنَّا رَسُوْلَا رَبِّكَ إليك فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اطلقهم إلى الشام وَلَا تُعَذِّبْهُمْ باستعمالك إياهم في المشاق كالحفر والبناء وحمل الأثقال وبقتل الأولاد والاستعباد والاسترقاق قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ حجة على رسالتنا مِّنْ رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ من عذاب الله عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىO الرسول وكتابه إِنَّا قَدْ أُوْحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ في الدارين عَلَى مَنْ كَذَّبَ الرسل وَتَوَلَّىO وأعرض عنهم قَالَ فرعون فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَا مُوْسَىO خاطبهما، ونادى أحدهما رعاية لجمع الرسالة والأصل والتبع قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ أَعْطَى كلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، فقدم المفعول الثاني للاهتمام بالحاجات، أو أعطى كل نوع من المخلوقات تعينا وشكلا؛ ليستكمل به كل كمال ممكن في علمه تعالى له ثُمَّ هَدَىO أرشد الارتفاق بما أعطى ليتوصلوا إلى منافع الدارين قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُوْنِ الْأُوْلَىO ما حال الأمم السابقة من السعادة والشقاوة قَالَ موسى عليه السلام عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ مكتوب فِيْ كِتَابٍ لوح محفوظ لَا يَضِلُّ رَبِّيْ لا يغيب ربي عن شيئ، ولا يخطئ مكانه وَلَا يَنْسَىO مجازاتهم الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا فراشا وَّسَلَكَ سهّل وحصّل لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا طرقا وَّأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مطرا فَأَخْرَجْنَا بِهِ التفات للافتنان، أو أتم به وصف نفسه منة على عباده أَزْوَاجًا أصنافا مِّنْ نَّبَاتٍ مصدر سمي به النبات فيه الواحد والجمع سواء شَتَّىO جمع شتيت، مختلف [ص485] الألوان والطعوم والقدر والمنفعة والأغراض كُلُوْا منها وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ لدلالات لِّأُوْلِي النُّهَىOع

لذوي العقول، جمع نهية، لأنه ينهى عن المحظورات، أو ينتهي إليه في الأمور مِنْهَا من الأرض خَلَقْنَاكُمْ أي: أباكم آدم وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ عند الدفن وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ عند البعث تَارَةً مرة أُخْرَىO كما أخرجناكم أول مرة وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ أي: أبصرنا فرعون آيَاتِنَا كُلَّهَا التسع فَكَذَّبَ الآيات وَأَبَىO التوحيد؛ زاعما أنها سحر قَالَ أَجِئْتَنَا يا موسى عليه السلام لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا من مصر بِسِحْرِكَ يَا مُوْسَىO ويكون لك الكبرياء بعد ذالك فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ يعارض سحرك فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وعدا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا منصوب بنزع الخافض سُوًىO مسافة الجانبين فيه سواء قَالَ موسَى مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّيْنَةِ أي: يوم العيد، كان السؤال عن المكان؛ وأجاب عن الزمان، لأنه يتحقق به المكان أيضا وَأَنْ يُّحْشَرَ يجمع النَّاسُ ضُحًىO ضحوة؛ ليشيع وينكشف الأمر فَتَوَلَّى فأدبر فِرْعَوْنُ عن موسى عليه السلام معرضا فَجَمَعَ كَيْدَهُ السحرة وآلاتهم، وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: أربع مائة، أو سبعين ألفا ثُمَّ أَتَىO بهم الموعد قَالَ لَهُمْ للسحرة مُوْسَى وَيْلَكُمْ ألزمكم الله الويل لَا تَفْتَرُوْا عَلَى اللهِ كَذِبًا بالإشراك، أو لا تدعوا آياته سحرا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ فيهلككم به، والسحت والإسحات بمعنى الإعدام، وانتصب على جواب النهي وَقَدْ خَابَ خسر مَنِ افْتَرَىO على الله تعالى كذبا فَتَنَازَعُوْا أي: السحرة في أمر موسى وأخيه عليهما السلام أَمْرَهُمْ [ص486] حكمهم بَيْنَهُمْ قالوا: هذا الكلام لا يأتي من الساحر، وقيل: ساحر مثلنا وَأَسَرُّوا النَّجْوَىO من فرعون وأهله ما ذكروا في موسى وهارون عليهما السلام قَالُوْا لأنفسهم إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ إن مخففة، واللام فارقة بين النافية والمخففة يُرِيْدَانِ أَنْ يُّخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ من مصر بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيْقَتِكُمُ بدينكم وشريعتكم الْمُثْلَىO الفضلى، تأنيث الأمثل بمعنى الأشرف والأفضل فَأَجْمِعُوْا كَيْدَكُمْ اجعلوه مجمعا عليه، لا يختلف بعضكم بعضا فيما يكاد به ثُمَّ ائْتُوْا صَفًّا مصطفين، لأنه أهيب عند الرائين وَقَدْ أَفْلَحَ فاز الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىO غلب على موسى قَالُوْا أي: السحرة بحسن الأدب معه يَامُوْسَى اختر إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عصاك أوّلا وَإِمَّا أَنْ نَّكُوْنَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىO قَالَ بَلْ أَلْقُوْا فألقوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ أصله: عصوو، قلبت الواوان يائين، وكسرت العين والصاد يُخَيَّلُ إِلَيْهِ إلى موسى عليه السلام مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا حيّات تَسْعَىO على بطونها، لطخوا بالزنيق، وبحرارة الشمس اضطربت فَأَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوْسَىO أي: أحس وأدرك موسى عليه السلام الخوف، إما للبشرية، وإما لأن لا يلتبس أمر المعجزة، والنبي بالسحر والساحر لتجانسهما، فلا يؤمنون به تعالى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىO عليهم بالغلبة وَأَلْقِ مَا فِيْ يَمِيْنِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوْا ألق عصاك تبتلع الحبال إِنَّمَا صَنَعُوْا كَيْدُ سَاحِرٍ المراد الجنس، فلذا لم يجمع وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىO فألقى موسى عليه السلام عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ساجدين لله تعالى قَالُوْا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُوْنَ وَمُوْسَىO قَالَ فرعون

آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ أنا لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيْرُكُمُ لمعلمكم الَّذِيْ عَلَّمَكُمُ [ص487] السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ حال، أي: اليد اليمني والرجل اليسرى وَّلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِيْ أي: على جُذُوْعِ النَّخْلِ لطولها، وهو أول من صلب وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أي: أنا، أو رب موسى عليه السلام أَشَدُّ عَذَابًا من الآخر وَّأَبْقَىO أي: وأدوم، أي: فرعون على المؤمن، أو الله سبحانه على تارك الإيمان قَالُوْا لَنْ نُّؤْثِرَكَ نختارك عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدالة على صدق موسى عليه السلام في دعواه وَالَّذِيْ فَطَرَنَا عطف على ما جاءنا أو قسم، ويقال: نؤثرك جوابه مقدم عليه فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فاحكم بما شئت، واصنع أيما أدرت إِنَّمَا تَقْضِيْ بما تقضي هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَاO أي: فيها، وهي فانية وزائلة، والآخرة خير وأبقى إِنَّاآمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا الكفر والمعاصي وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ قيل: رأوا موسَى نائما؛ يحفظه عصاه، فقالوا: ما هو بساحر، لأنه إذا نام الساحر بطل سحره، فكرهوا معارضته، فأكره فرعون عليها وَاللهُ خَيْرٌ وَّأَبْقَىO[الثلاثة] منك ثوابا للمطيعين، وعذابا للعاصين، قال تعالى: إِنَّهُ ضمير الشأن مَنْ يَّأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا كافرا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوْتُ فِيْهَا فيستريح بالموت وَلَا يَحْيَاO حياة ينتفع بها وَمَنْ يَّأْتِهِ مُؤْمِنًا بأن مات على الإيمان قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ بعد الإيمان من العبادات فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىO جمع العليا، مؤنث أعلى جَنَّاتُ عَدْنٍ بدل من الدرجات تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَذَالِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىO[ع] تطهر من الشرك، بقول: لا إله إلا الله وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيْ اخرج بني إسرائيل ليلا من مصر فَاضْرِبْ اجعل لَهُمْ طَرِيْقًا فِي الْبَحْرِ بضرب العصا على البحر يَبَسًا يابسا لَّا تَخَافُ دَرَكًا إدراكا [ص488] من فرعون وجنوده وَّلَا تَخْشَىO الغرق، فخرج بسبعين ألف واستعاروا حلي القبط فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُوْدِهِ فركب فرعون أثرهم في ست مائة ألف فَغَشِيَهُمْ أي: فرعون وجنوده مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْO لا يعلم كنهه إلا الله، فغرقوا وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ عن سبيل الرشاد وَمَا هَدَىO إلى طريق السداد، حيث استعبدهم، فعبدوه مع ما قال وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، فكأنه تهكم به يَابَنِيْ إِسْرَائِيْلَ النداء لهم بعد النجاة، بإضمار قلنا، أو نداء لمن كان من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ فرعون وَوَاعَدْنَاكُمْ أي: واعدنا موسى عليه السلام ليختار من بينكم سبعين رجلا، يحضرون معه، ونزل التوراة لتعلموا وتنتفعوا بها في الدارين جَانِبَ الطُّوْرِ الْأَيْمَنَ صفة الجانب وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ ترنجبين وَالسَّلْوَىO الطير السمائي في التيه كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ حلالات مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيْهِ بكفران النعمة وإنفاقها في المعاصي فَيَحِلَّ فيجب عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ وَمَنْ يَّحْلِلْ غَضَبِيْ عَلَيْهِ فَقَدْ هَوَىO هلك أو سقط في النار وَإِنِّيْ لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ عن الشرك وَآمَنَ بتوحيده تعالى وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىO استقام عليه إلى موته وَمَا أَعْجَلَكَ استفهام إنكار عَنْ قَوْمِكَ يَا

مُوْسَىO ذهب موسى لأخذ الكتاب والشريعة بسبعين نفرا في الميقات، فسبقهم في الطلوع على الجبل، فخاطب الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾[1] لأن فيه إيهام التعظيم عليهم قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِيْ خلفي، يأتون بالقرب مني، ولا يُعدّ في العرف هذا تقدما وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىO لتزداد عني رضا، لا للعجب والتكبر قَالَ سبحانه فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ أوقعناهم في الفتنة، وهم غير السبعين الذين كانوا استخلفوا مع هارون [ص489] مِنْ بَعْدِكَ أي: بعد خروجك من بينهم وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّO فعبدوا العجل، وهو من بني إسرائيل، منسوب إلى القبيلة السامرة، وكان منافقا فَرَجَعَ مُوْسَى بعد أخذ الكتاب إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ عليهم أَسِفًا شديد الحزن بما فعلوا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا صدقا، إنه يعطيكم التوراة: فيها ألف سورة، في كل سورة ألف آية، يحمل أسفارها سبعون جملا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ مدة مفارقتي إياكم أَمْ أَرَدْتُّمْ أَنْ يَّحِلَّ يجب عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ بعبادة العجل فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِيْO وعدوه أن يقيموا على الإيمان من بعده قَالُوْا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا مثلثة الميم، بأن ملكنا أمرنا، أي: بأمرنا واختيارنا وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا أثقالا مِّنْ زِيْنَةِ الْقَوْمِ من حلي القبط، استعاروا من القبط ليلة الخروج بعلة العرس، أو العيد، ثم لم يردوها فَقَذَفْنَاهَا في النار، إذ لم يكن في الشرائع من قبل حل الغنائم، وإنما هي خاصة النبي الكريم فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّO ما كان عنده فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا من حفر خبأ فيها قالب عجل، فانصاغت عجلا مجوفا، طرح في فيه تراب موضع قوائم فرس جبرائيل عليه السلام؛ حيزوم، وهو فرس حياة، أخذه يوم الغرق، فحيي، فخار، وكان جَسَدًا لحما ودما لَّهُ خُوَارٌ صوت كما يكون للعجاجيل فَقَالُوْا أي: السامري ومن تبعه هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوْسَى فَنَسِيَO موسى عليه السلام ربه هاهنا، وطلب الرب عند الطور، أو نسي السامري إظهار الإيمان أَفَلَا يَرَوْنَ أفلا يعلمون أَنْ مخففة، أي: أنه لَّا يَرْجِعُ العجل إِلَيْهِمْ قَوْلًا إذا دعوه، أي: لا يجيبهم، وقيل: ما خار إلا مرة وَّلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًاOع فكيف يتخذونه إلها [ص490] وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُوْنُ مِنْ قَبْلُ أي: قبل رجوع موسى عليه السلام إليهم يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ابتليتم بالعجل، فلا تعبدوه وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ لا العجل فَاتَّبِعُوْنِيْ في عبادته وَأَطِيْعُوْا أَمْرِيْO في ترك عبادة العجل قَالُوْا لَنْ نَّبْرَحَ نزال عَلَيْهِ على العجل وعبادته عَاكِفِيْنَ مقيمين حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوْسَىO من الطور، هل يعبده أم لا؟ قَالَ موسى عليه السلام حين رجع يَاهَارُوْنُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوْاO بعبادة العجل أَلَّا تَتَّبِعَنِ لا مزيدة، أي: أن تتبعني في الغضب الله، والمقاتلة في الله تعالى ، أو أن تأتيني عقبي، وتلحقني وتخبرني أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيْO من القيام بمصالحهم، والخروج عند فسادهم، فأخذ بيمينه شعر رأسه وبشماله لحيته غضبا غيرة في الله عز وجل

---

1 – سورة طه، الآية: 83.

قَالَ هارون يَبْنَؤُمَّ ذكر الأم للاستعطاف لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِيْ وَلَا بِرَأسِيْ إِنِّيْ خَشِيْتُ أَنْ تَقُوْلَ إذا قاتلت بعضهم ببعض فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ حزب للسامري، وحزب لي وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِيْO لم تنتظر أولم تحفظ قولي، هو قوله: ﴿وَاخْلُفْنِيْ فِيْ قَوْمِيْ وَأَصْلِحْ﴾[1]، ثم أقبل موسى عليه السلام على السامري قَالَ موسى فَمَا خَطْبُكَ ما أمرك يَاسَامِرِيُّO قَالَ السامري بَصُرْتُ نظرت بِمَا لَمْ يَبْصُرُوْا بِهِ قال موسى عليه السلام: وما هو؟ قال: رأيت جبرائيل عليه السلام على فرس الحياة، فألقي في نفسي أن أقبض من أثره، ومن شأنه أنه ما ألقي على شيء إلا صار له روح ولحم ودم فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ فرس الرَّسُوْلِ فَنَبَذْتُهَا ألقيتها في صورة العجل المصاغ وَكَذَالِكَ سَوَّلَتْ زينت لِيْ نَفْسِيْO أن أفعل حين طلبوا وراءك إلها يعبدونه، اعترف بالخطاء واعتذر منه قَالَ موسى عليه السلام فَاذْهَبْ من بيننا مطرودا فَإِنَّ لَكَ عقوبة فِي الْحَيَاةِ ما عشت أَنْ تَقُوْلَ لمن أراد مخالطتك جاهلا [ص491] بحالك لَا مِسَاسَ لا يمسني أحد ولا أمسه، وإذا مسه أحد أو مس أحدا حم الماس والممسوس، وقيل: هذه الخصلة موجودة ألآن في أولاده، وأراد موسى عليه السلام قتله فمنعه الله منه لسخائه وَإِنَّ لَكَ في الآخرة مَوْعِدًا على الشرك والفساد لَّنْ تُخْلَفَهُ لن تعاب عنه، بل تبعث إليه، وينجز وعده وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِيْ ظَلْتَ عَلَيْهِ أصله ظللت عليه، أي: دمت، فحذفت الأولى تخفيفا عَاكِفًا مقيما تعبده لَنُحَرِّقَنَّهُ بالنار بعد الذبح ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ لنذرينه ولنبثنه فِي الْيَمِّ نَسْفًاO تذرية وبثا، فشرب بعضهم من الماء حبا له، فظهرت صفرة الذهب على شفاههم إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذِيْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عَلْمًاO أي: وسع علمه كل شيء كَذَالَكَ أي: كما قصصنا عليك يا محمد! عليك الصلاة والسلام هذه القصة نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ من الأمم وَقَدْ آتَيْنَاكَ أعطيناك مِنْ لَّدُنَّا ذِكرًاO قرآنا مشتملا على الأقاصيص مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فلم يؤمن به فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًاO حملا ثقيلا من الإثم، ينقض الظهر، ويورث البهر خَالِدِيْنَ فِيْهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًاO تميز مفسر للضمير في ساء، والمخصوص محذوف تقديره، ساء الحمل حملا وزرهم، واللام للبيان جمع بين الوحدة والجمع؛ رعاية للفظ من، ومعناه يَّوْمَ يُنْفَخُ بدل عن يوم القيامة فِي الصُّوْرِ في القرن نفخة ثانية وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًاO أي: عميا، حال، كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾[2]، لأن

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ سورة الاعراف، الآية: 142.

2 –جزء من الآية، وتمامها ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ سورة بني إسرائيل، الآية: 97.

حدقة من يذهب نور بصره ترزق يَّتَخَافَتُوْنَ بَيْنَهُمْ يتشاورون في البين إِنْ لَّبِثْتُمْ في القبور، أو الدنيا إِلَّا عَشْرًاO أياما ولياليها، استقصار المدة اللبث لشدة ما في البعث نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُوْلُوْنَ إِذْ يَقُوْلُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيْقَةً أعد لهم قولا إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًاOع بالنظر إلى مدة الآخرة، استرجاح بقول: من استقصر المدة جدا، فإنه أبصر [ص492] بشدائد اليوم وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ سأل رجل من ثقيف: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ وقيل: هو في حكم، سيسألونك، أي: أن سألوك، ولذا قرن الجواب بالفاء، بخلاف السؤالات الآخر فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّيْ نَسْفًاO يفت فتا كالرمل، ثم يطير بالرياح، كما يذري الطعام فَيَذَرُهَا فيترك الأرض، أو مقار الجبال قَاعًا مستويا صَفْصَفًاO أجزائها على صف واحد، أي: ملساء لَّا تَرَى فِيْهَا عِوَجًا انخفاضا وَّلَا أَمْتًاO ولا ارتفاعا يَوْمَئِذٍ يَّتَّبِعُوْنَ أي: الناس الدَّاعِيَ إلى المحشر، أي: إسرافيل يقول: هلموا إلى عرض الرحمن لَا عِوَجَ لَهُ أي: لا يعوج له مدعو، بل يستوون إليه، ولا يقدرون الانحراف عن صوته وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ سكنت له إجلالا وهيبة فَلَا تَسْمَعُ عنه ذهابهم إلى المحشر إِلَّا هَمْسًاO الصوت الخفي كتحريك الشفاة، أو صوت الخفي للأقدام، كصوت أخفاف الإبل السائر يَوْمَئِذٍ لَّا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا أي: شفاعة مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ في الشفاعة وَرَضِيَ الرحمن لَهُ للمشفوع قَوْلًاO في شفاعة الشافع له، أو قول المشفوع: لا إله إلا الله يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ من أمور الآخرة وَمَا خَلْفَهُمْ من أمور الدنيا وَلَا يُحِيْطُوْنَ بِهِ عِلْمًاO أي: بما علم الله أو بالله وَعَنَتِ الْوُجُوْهُ ذلت وخضعت، أي: أصحاب الوجوه لِلْحَيِّ الْقَيُّوْمِ أي: الذي لا يموت الدائم القائم بتدبير الخلائق وَقَدْ خَابَ خسر، ويئس من رحمة الله مَنْ حَمَلَ إلى الموقف ظُلْمًاO شركا وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ الطاعات وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا إن يزاد في سيئاته وَّلَا هَضْمًاO كسرا أو نقصا من حسناته وَكَذَالِكَ عطف على كذالك نقص أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَّصَرَّفْنَا كررنا فِيْهِ مِنَ الْوَعِيْدِ ليصير الاجتناب ملكه لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ عن الشرك والمعاصي أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ [ص493] القرآن، أو الوعيد ذِكْرًاO بما تقدم من الأمم السابقة لعلهم يعتبرون، أو يحدث في قلوبهم عظمة وشرفا للإيمان بالله تعالى فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ عما يقول الظالمون وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ أي: بقرأته مِنْ قَبْلِ أَنْ يُّقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ أي: قبل أن يفرغ جبرائيل عليه السلام من إبلاغه؛ مخافة النسيان، أو نهي عن التبليغ المجمل قبل البيان وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِيْ عِلْمًاO بزيادة الوحي وما أمر الرسول بطلب زيادة شيء إلا العلم وَالله لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ وصيناه بعدم الأكل قبل وقوعه فَنَسِيَ فترك أبوهم آدم العهد، فكان أساس بني آدم على العصيان والنسيان وَلَمْ نَجِدْ أي: لم نعلم لَهُ لآدم عَزْمًاOع قصد مخالفة عهدنا وَاذكر إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ سجود انحناء؛ لا وضع الجبهة فَسَجَدُوْا إِلَّا إِبْلِيْسَ أبا الجان، كان مصاحبا لهم في تعبد الله أَبَىO أي: أظهر الإباء، فلا يقدر له

مفعول أو أبي السجود؛ قائلا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1] فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىO أي: فلا يكون الشيطان سببا لإخراجكما، فتشقى أنت، فتتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز، اقتصر على شقاءه، لأن الرجل يسعى للمرأة أو لحفظ الآي إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوْعَ فِيْهَا في الجنة وَلَا تَعْرَىO عن الملابس وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ لا تعطش فِيْهَا وَلَا تَضْحَىO لا تصيبك حر فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فأنهى الوسوسة قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ يخلد من يأكلها وَمُلْك لَّا يَبْلَىO لا يفني فَأَكَلَا آدم وحواء [ص494] مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا عوراتهما وَطَفِقَا شرعا يَخْصِفَانِ يلزقان عَلَيْهِمَا على سوء اتهما مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ للتستر وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغْوَىO أي: ضل عن الرأي والعصيان؛ مخالفة الأمر والنهي، فإن كان عمدا فيكون ذنبا؛ وإن لم يكن بالعمد يقال زلة، والغي ضد الرشد ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ قرّبه إليه واصطفاه فَتَابَ عَلَيْهِ فقبل توبته وَهَدَىO إلى الاعتذار والاستغفار قَالَ اهْبِطَا يا آدم وحواء مع ذريتكما مِنْهَا من الجنة جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ يا ذرية آدم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بالتظالم في المعاش والدين فَإِمَّا أصله إن ما، فأدغمت نون الشرطية في ما الزائدة يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى شريعة فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ في الدنيا وَلَا يَشْقَىO في الآخرة وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِيْ أي: شريعتي فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكًا ضيقا، مصدر؛ يوصف به المذكر والمؤنث، أي: يسلب عنه القناعة والتوكل، ويسلط عليه الحرص والشح، وقيل: عذاب القبر وَّنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىO بصره، أو عن الحجة قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًاO في الدنيا قَالَ تعالى الأمر كَذَالِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا فلم تؤمن بها وَكَذَالِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى في النار، مثل نسيانك آياتنا في الدنيا وَكَذَالِكَ كما جزينا معرض الشريعة نَجْزِيْ مَنْ أَسْرَفَ أشرك وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ حشره أعمى وما يتبعه أَشَدُّ وَأَبْقَىO من العيش الضنك أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ الله لكفار قريش كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُوْنِ من الأمم الماضية بتكذيب الرسل يَمْشُوْنَ فِيْ مَسَاكِنِهِمْ عند سفرهم إلى الشام إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىOع [ص495] لذوي العقول أو استيصالهم؛ إنما كان بتكذيب الرسل وآيات الله وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ من أن جزاء الكفار في الآخرة لَكَانَ العذاب لِزَامًا لازما عليهم في الدنيا، مصدر لَازَمَ، وصف به مبالغة وَّأَجَلٌ مُّسَمًّىO عطف على كلمة؛ وهو القيامة فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَ فيك، منسوخ بآية السيف.وَسَبِّحْ صل بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ أي: صلاة الصبح وَقَبْل غُرُوْبِهَا صلاة العصر، وقيل: صلاة الظهر والعصر وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ومن ساعاته، بالفتح والمد، جمع أني بالكسر والقصر فَسَبِّحْ صلاة المغرب والعشاء، وقيل: العشاء والمغرب وَأَطْرَافَ النَّهَارِ عطف على محل من آناء الليل، أي: صل الظهر، لأن وقتها تدخل بزوال الشمس، فهو

---

1 – جزء من الآية، وتمامها ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ سورة الزمر، الآية: 76.

طرف النصف الأول؛ وطرف النصف الثاني، وقيل: أطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب، وقدم عبادة الليل لأنها أحمر لَعَلَّكَ تَرْضَى مما تنال من ثواب الصلوات وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ لا تطوّل نظر عينيك استحسانا وإعجابا في المنظور إليه، وبداهة النظر معفو إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ أصنافا من الكفرة مثل الوثني والكتابي زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا منصوب على الذم، أي: زينتها وبهجتها لِنَفْتِنَهُمْ أي: لنبتليهم فِيْهِ هل يؤمنون أم لا؟ أو لتعذبهم في الآخرة بسببه وَرِزْقُ رَبِّكَ لك من النبوة والهداية والحلال الكافي في الدنيا، أو نعيم الآخرة خَيْرٌ وَّأَبْقَىO مما أوتوه في الدنيا وَأْمُرْ أَهْلَكَ أمتك، أو أهل بيتك بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيهَا واصبر، أي: دم على الصلاة لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا لا نكلفك الترزيق لنفسك وأهلك نَحْنُ نَرْزُقُكَ وإياهم، ففرغ بالك لأمر الآخرة وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى حسنها، أي: الجنة لأهل التقوى وَقَالُوْا أي: مشركوا [ص496] مكة لَوْلَا هلا يَأْتِيْنَا محمد عليه السلام بِآيَةٍ مقترحة تدل على صحة نبوته مِّنْ رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ زبدة وتقاوة أو بيان مَا فِي الصُّحُفِ الْأُوْلَىO من الأحكام العلمية والعملية في التوراة والإنجيل والزبور، فإن القرآن آية على نبوته صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة من جميع المعجزات؛ برهان ما في سائر الكتب، فسائر الكتب مفتقرة إليه، وهو برهان لنفسه لإعجاز وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ أي: قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، أو نزول القرآن لَقَالُوْا يوم القيامة رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّزِلَّ في القيامة وَنَخْزَىO في جهنم قُلْ لهم كلٌّ منا ومنكم مُّتَرَبِّصٌ منتظر، ما يؤل إليه الأمر فَتَرَبَّصُوْا فَسَتَعْلَمُوْنَ في القيامة مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ الطريق المستقيم وَمَنِ اهْتَدَىO[ع] من الضلالة، أ نحن؟ أم أنتم.

سورة الأنبياء مكية، مائة وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

اقْتَرَبَ أي: قرب بنسبة ما مضى لِلنَّاسِ منكري البعث من كفار مكة حِسَابُهُمْ ومجازاتهم يوم القيامة وَهُمْ فِيْ غَفْلَةٍ عنه مُّعْرِضُوْنَO عن التأهب لذلك اليوم مَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ شيء من القرآن مِنْ رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ من حيث اللفظ، أو من حيث النزول شيئا فشيئا ليكرر التنبيه عن الغفلة إِلَّا اسْتَمَعُوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُوْنَO يستهزؤن به لَاهِيَةً غافلة، حال قُلُوْبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى بالغوا في إخفاء الكلام الَّذِيْنَ بدل من واو، أسروا ظَلَمُوْا هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أي: ما محمد إلا كأحد من الناس؛ يأتي بالسحر أَفَتَأْتُوْنَ السِّحْرَ أ فتتبعونه؟ وتحضرونه وَأَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَO إنه سحر لا غير [ص497] قَالَ محمد صلى الله عليه وسلم رَبِّيْ يَعْلَمُ الْقَوْلَ أي: قول كل قائل سرا وجهرا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيْعُ

لأقوالهم الْعَلِيْمُO بضمائرهم بَلْ إضراب عن السحر قَالُوْا إن القرآن أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ تخاليط للأحلام رآها في النوم فحسبها وحيا بَلِ إضراب عن أضغاث الأحلام افْتَرَاهُ من عند نفسه على الله بَلْ هُوَ شَاعِرٌ والقرآن شعر، لاحقيقة له فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كالعصا واليد وإبراء الأكمه وإحياء الموتى والناقة كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُوْنَO أي: كما أتي من قبله من الأنبياء، فإن الإرسال متضمن للإتيان مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ أهل قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بتكذيبها ما أتاها من الآيات المقترحة أَفَهُمْ يُؤْمِنُوْنَO بعد إتيان الآية المقترحة، ولا ينكثون كما نكثوا من قبلهم، أي: لا يؤمنون وينكثون عن العهد كأسلافهم وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلامإِلَّا رِجَالًا لا ملائكة كما زعموا نُّوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ علماء التوراة والإنجيل إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO أحوال السلف، إن الأنبياء عليهم السلام كانوا بشرا، وإن الآيات المقترحة من كذب بها هلك، وأنتم أقرب بالقبول عنهم؛ لا عن المؤمنين وَمَا جَعَلْنَاهُمْ أي: النبيين عليهم السلام جَسَدًا لَّا يَأْكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوْا خَالِدِيْنَO في الدنيا ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ أي: صدقناهم في الوعد بالإنجاء فَأَنْجَيْنَاهُمْ من العذاب وَمَنْ نَّشَاءُ ممن آمن بهم وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِيْنَO المكذبين لهم لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ يا معشر قريش كِتَابًا فِيْهِ ذِكْرُكُمْ شرفا أو معاشا ومعادا أو لغة أَفَلَا تَعْقِلُوْنَOع تؤمنون وَكَمْ قَصَمْنَا كسرنا بالانفكاك، أي: أهلكنا [ص498] مِنْ أهل قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً كافرة وَّأَنْشَأْنَا خلقنا بَعْدَهَا بعد هلاكها قَوْمًا آخَرِيْنَO فسكنوا مساكنهم فَلَمَّا أَحَسُّوْا استشعر المهلكون بَأْسَنَا أي: بمقدمة العذاب إِذَا هُمْ مِّنْهَا من القرية يَرْكُضُوْنَO يهربون، ويسرعون في الخروج عنها طلبا للنجاة، قالت الملائكة استهزاءا لهم: لَا تَرْكُضُوْا وَارْجِعُوْا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيْهِ أنعمتم به وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُوْنَO غدا عن ما وقع على قريتكم، فتجيبوا على مشاهدة ويقين، أو يقصدون في الإندية بالعون في النوازل قَالُوْا يَا وَيْلَنَا نداءا للهلاك، تعال ادركني هذا أوانك إِنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَO بالكفر والقتل إذ لم يروا وجه النجاة، وقيل: أهل حصور من قرى اليمن[1]؛ قتلوا نبيهم، فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم، فنادى مناد من السماء: يا

---

1 – اليمن: بالتحريك، إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، قال ابن عباس: تفرّقت العرب فمن تيامن منهم سمّيت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وقال الأصمعي: اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشّحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة. وقيل: حدّ اليمن من وراء تثليث وما سامتها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن تجمع ذلك كله، والنسبة إليهم يمنيّ ويمان، مخففة، والألف: عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان، وقال سيبويه: وبعضهم يقول يمانيّ، بتشديد الياء. الحموي: المرجع السابق. 447/5.

لثأرات الأنبياء، فندموا، وقالوا: يا ويلنا فَمَا زَالَتْ تِّلْكَ الكلمات هم زال دَعْوَاهُمْ يدعون بها، ويرددونها، خبر زال حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيْدًا مثل كلاء محصود بالمناجيل خَامِدِيْنَO ميتين كالنار الخامدة وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِيْنَO حال عن الفاعل، اللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له، أي: بل خلقناها آية على كل كمال قدرتنا، وتوحيدنا، ونظما لأمور العباد معاشا ومعادا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَّتَّخِذَ لَهْوًا ما يتلهى به مثل الزوجة والبنين، كأنه رد على النصارى لَّا تَّخَذْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا من قدرتنا، أو مما يليق بنا من المجردات، أو مثل الحور والولدان إِنْ كُنَّا فَاعِلِيْنَO ذلك اللهو، ولسنا أن نتخذ إذ هو محال في حقنا بَلْ إضراب من ذلك الاتخاذ، أي: بل من شأننا نَقْذِفُ نرمي ونسلط بِالْحَقِّ القرآن، أو الإسلام عَلَى الْبَاطِلِ الشيطان [ص499] والكفر فَيَدْمَغُهُ فيكسره ويشجه فَإِذَا هُوَ الباطل زَاهِقٌ ذاهب وهالك وَلَكُمُ الْوَيْلُ العذاب الشديد يا معشر قريش[1] مِمَّا تَصِفُوْنَO الله من الزوجة والولد وَلَهُ خلقا وملكا وعبيدا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ منزلة وقدرا لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ لا يتعظمون عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُوْنَO أي: لا ينقطعون ولا يعيون يُسَبِّحُوْنَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُوْنَO لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل، فتسبيحهم كالتنفس منا؛ جار على الدوام أَمِ اتَّخَذُوْا بمعنى بل، وهمزة الإنكار آلِهَةً متخذة مِّنْ الْأَرْضِ كالذهب والفضة والحجر هُمْ يُنْشِرُوْنَO يحيون الموتى، ومن شأن الألوهية لزوم الإحياء، وإن لم يصرحوا به لآلهتهم لَوْ كَانَ فِيْهِمَا في السماوات والأرض آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ غير الله لَفَسَدَتَا أي: السماوات والأرض عن النظام لوجود التمانع، كما هو العادة عند تعدد الحاكم فَسُبْحَانَ اللهِ تنزيها له تعالى رَبِّ الْعَرْشِ المحيط بجميع الأجسام عَمَّا يَصِفُوْنَO الله من الشريك له وغيره مما لا يليق بجنابه لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لأنه مالك الملك وَهُمْ يُسْئَلُوْنَO لأنهم العبيد أَمِ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً أعاده لزيادة إفادة، أي: الشرك منكر عقلا كما مرَّ، ونقلا أيضا قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ على الشرك عقلا ونقلا في كتاب من كتب الله تعالى هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ من أمتي وهو القرآن وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِيْ من الأمم، وهي الكتب السماوية، فهاتوا حجة من هذه

---

1 – قريش: قبيلة عظيمة اختلف في تسميتها ونسبتها، فقالوا: قريش من القرش، وهو الكسب والجمع. وقالوا: التقريش التفتيش، فكان يقرش (أي: فهر ابن مالك) عن خلة كل ذي خلة، فيسدها بفضله، فمن كان محتاجا أغناه، ومن كان عاريا كساه، ومن كان طريدا آواه، ومن كان خائفا حماه، ومن كان ضالا هداه. وقيل: الصحيح انها سميت لاجتماعها من قولهم فلان يتقرش مال فلان أي يجمعه شيئا الى شيء. وأما نسبتها فقالوا: قريش ولد مالك ابن النضر بن كنانة. وقالوا: هم من ولد فهر بن مالك، ورجحه الزبير بن بكار، وغيره. واعتمد جمهور النسابين، ان أبا قريش هو النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: المرجع السابق. 947/3.

الكتب على جواز الشرك بالله أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ الْحَقَّ ولا يميزون بين الحق والباطل، أي: التوحيد والشرك فَهُمْ مُّعْرِضُوْنَO عن النظر الموصل إلى الحق وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ [ص500] إِلَّا نُوْحِيْ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُوْنِO أي: وحدوني وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ القائل الخزاعة، قالوا: إن الملائكة بنات الله تعالى بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُوْنَO مقربون لَا يَسْبِقُوْنَهُ بِالْقَوْلِ أي: الملائكة يتبعون قوله، فلا يشفعون من غير أمره، كما زعمت الكفرة؛ أنهم شفعاؤهم وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُوْنَO فالقول والفعل منهم يتبع أمر الله تعالى يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ يعلم الله عز وجل عملهم المقدم والمؤخر وَلَا يَشْفَعُوْنَ أي: الملائكة إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى الله عنه أن يشفع وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ تعالى مُشْفِقُوْنَO خائفون وَمَنْ يَّقُلْ مِنْهُمْ من الملائكة، أو من الخلائق إِنِّيْ إِلٰهٌ مِّنْ دُوْنِهِ فَذَالِكَ القائل نَجْزِيْهِ جَهَنَّمَ كَذَالِكَ نَجْزِي الظَّالِمِيْنَOع الكافرين؛ الذين وضعوا الألوهية في غيره تعالى أَوَلَمْ يَرَ أي: لم يعلم الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا أي: جماعة السماوات، وجماعة الأرضين رَتْقًا غلقا حقيقة واحدة، أقيم المصدر موضع المرتوقتين فَفَتَقْنَاهُمَا ففتحنا وشققناهما بالحركات المختلفة والكيفيات المتنوعة فصارت سماوات وأراضي، أو الرتق: بعدم الأمطار وعدم النبات والفتق بضدهما، فحينئذ المراد سماء الدنيا والأرض العلياء، وجمعهما حينئذ بالنظر إلى الآفاق وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فالحيوان والنبات من الماء أَفَلَا يُؤْمِنُوْنَO بتوحيدنا؛ بعد ما رأوا هذه الدلائل وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا ثوابت، من رسا: إذا ثبت، مخافة أَنْ تَمِيْدَ تتحرك وتضطرب بِهِمْ وقيل: أصله لأن لا تميد بهم وَجَعَلْنَا فِيْهَا في الأرض، أو في الرواسي فِجَاجًا طرقا واسعة، جمع فج سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَO إلى المطالب في الأسفار [ص501] وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوْظًا عن السقوط، أو عن الشياطين بالشهب وَّهُمْ أي: الكفار عَنْ آيَاتِهَا من الشمس والقمر والنجوم مُعْرِضُوْنَO بعدم الكفر؛ ليعلموا أن الصانع واحد لا شريك له وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ تنوين عوض، أي: كلهم فِيْ فَلَكٍ عن ابن عباس رضي الله عنه: أي: في سماء، فالمراد الجنس، والجمهور على أن الفلك موج مكفوف عن السقوط؛ مستدير كالطاحونة تحت السماء يَّسْبَحُوْنَO يجرون كمجرى السابح على الماء، ولهذا الوصف جمع، جمع العقلاء، قال الكفار: إن محمدا سيموت، ونحن نفرغ عن مهمه، ونستريح، فنزل: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ البقاء الدائم في الدنيا أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُوْنَO الدائمون كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ أي: مرارة مفارقتها عن جسدها في الدنيا وَنَبْلُوْكُمْ نعاملكم معاملة الممتحن بِالشَّرِّ كالفقر والمرض وَالْخَيْرِ كالغني والصحة فِتْنَةً مفعول له، أو مصدر من غير لفظه أي: أ تصبرون؟ وتشكرون أو لا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَO فنجازيكم، مر النبي صلى الله عليه وسلم بأبي جهل، فضحك، وقال: هذا نبي بني عبد مناف، نزل: وَإِذَا رَآكَ الَّذِيْنَ

كَفَرُوْا إِنْ يَّتَّخِذُوْنَكَ إِلَّا هُزُوًا مهزوا به، قائلين: أَهٰذَا الَّذِيْ يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ أي: يعيب، فإن العدو لا يذكر بخير وَالحال هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ أي: بهذا الاسم، أو بتوحيده، أو بقرآنه منكرون، فهم أحق بأن يهزء بهم، نزل في استعجالهم العذاب خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ كأن العجلة ركبت في طينته؛ لكثرة عجلته في الأحوال سَأُورِيْكُمْ آيَاتِيْ نقماتي ومواعيدي بالعذاب، والخطاب يمثل نضر بن الحارث فَلَا تَسْتَعْجِلُوْنِO فيه [ص502] قبل حينه، فأراهم القتل والأسر في البدر، وإنما منع عن التي ركبت فيه لما أعطاه من القدرة لقمعها كالشهوة وَيَقُوْلُوْنَ أي: كفار مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ أي: القيامة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في قولكم، يعنون النبي عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم لَوْ يَعْلَمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا حِيْنَ لَا يَكُفُّوْنَ عنهم، لا يمنعون عَنْ وُّجُوْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُوْرِهِمْ حين أحاطتهم النار من قدام وخلف وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَO بدفع العذاب عنهم، كما استعجلوه، وما كفروا، وما استهزؤا لكن جهلهم جرَّءهم على هذا بَلْ تَأْتِيْهِمْ الساعة بَغْتَةً فجأة فَتَبْهَتُهُمْ فتحيرهم فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ رَدَّهَا دفعها وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَO يمهلون بالتأخير وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فيه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فَحَاقَ أحاط بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ جزاءا مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَOع فكذا يحيق بمستهزئيك جزاء فعلتهم قُلْ مَنْ يَّكْلَؤُكُمْ يحفظكم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ عذاب الرَّحْمٰنِ إن نزل بكم بَلْ هُمْ أي: الكفار عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ أي: القرآن مُعْرِضُوْنَO أَمْ بمعنى بل مع الهمزة للإنكار لَهُمْ آلِهَةٌ أي: بل أ لهم آلهة؟ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُوْنِنَا أي: أ لهم من يمنعهم من العذاب؟ يتجاوز منعنا وحفظنا، أو يمنعهم من عذاب كائن من عندنا، أو يمنعهم منه غيرنا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ أي: آلهتهم نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ إذ توقد النار بهم، فكيف ينصرون غيرهم؟ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُوْنَO يجارون ويحفظون، يقال: صحبك الله، أي: حفظك وأجارك بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ بالنعماء استدراجا حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ فاغتروا بذلك، وظنوا أنهم دائمون على ذلك بأمل كاذب أَفَلَا يَرَوْنَ [ص503] أي: الكفار أَنَّا نَأْتِى الْأَرْضَ أي: أرض الكفرة نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أي: يأتي حكمنا أرضهم، وينقص بنقص أهلها وبركتها بسبب استيلاء أهل الإسلام جوانب أرضهم أَفَهُمُ الْغَالِبُوْنَO لا بل رسول الله والمؤمنون هم الغالبون بنصر الله قُلْ لهم إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ من الله؛ لا من قبل نفسي وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُوْنَO أي: هم كالصم لترك العمل بما سمعوا من الداعي المخوف وَلَئِنْ مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ وقعة خفيفة ودفعة يسيرة مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ المنذر به لَيَقُوْلُنَّ يَا وَيْلَنَا تعال! أدركنا هذا أوانك إِنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَO أقروا به ولا ينفع وَنَضَعُ الْمَوَازِيْنَ جمع ميزان، وإنما جمع للتعظيم لشأنه الْقِسْطَ أي: ذوات القسط، أو مبالغة لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لأجل أهلها فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا من نقص حسنة، أو زيادة سيئة وَإِنْ كَانَ الشيء مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أي: وزنها، والخردلة: يضرب بها المثل في القلة أَتَيْنَا بِهَا أحضرنا بموزون الحبة،

أو تأنيث ضمير المثقال للمضاف إليه وَكَفَى بِنَا حَاسِبِيْنَO عالمين حافظين، إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى وَهَارُوْنَ الْفُرْقَانَ التوراة؛ الفارق بين الحق والباطل وَضِيَاءً يستضاء به وَّذِكْرًا عظة لِّلْمُتَّقِيْنَO الله الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ بالقلب، أو في الخلوات وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ القيامة مُشْفِقُوْنَO خائفون وَهٰذَا القرآن ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ كثير الخير أَنْزَلْنَاهُ على محمد صلى الله عليه وسلم أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُوْنَOع الربع جاحدون؛ كونه من عند الله سبحانه وتعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيْمَ رُشْدَهُ هداه مِنْ قَبْلُ من قبل موسى، أو محمد عليهما السلام، [ص504] أو قبل بلوغه وَكُنَّا بِهِ عَالِمِيْنَO أي: بأنه أهل لذلك إِذْ قَالَ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيْلُ الأصنام الَّتِيْ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُوْنَO مقيمون على عبادتها، فلما عجزوا عن إقامة البرهان قَالُوْا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا للأصنام عَابِدِيْنَO فاقتديناهم قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ بعبادتها فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO بيّن قَالُوْا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ بالجد في هذا القول أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِيْنَO النازلين فيه قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ المستحق للعبادة رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مالكهما الَّذِيْ فَطَرَهُنَّ خلقهن من غير سبق مثال وَأَنَا عَلَى ذَالِكُمْ الذي قلت لكم، أي: التوحيد مِّنَ الشَّاهِدِيْنَO وَقال في السرّ تَاللهِ لَأَكِيْدَنَّ لأجتهدن وأدبرن حتّى أكسر أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوْا ذهابكم إلى المصلى يوم عيدكم مُدْبِرِيْنَO عن الأصنام فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا أي: فتاتا بفأس، جمع: جذاذة، بمعنى: قطعة، أو جذيذان؛ كسر الجيم، أي: مجذوذ، كزجاج وخفاف؛ جمع: زجاجة وخفيف إِلَّا كَبِيْرًا لَّهُمْ للأصنام أو الكفرة، فعلّق الفأس بعنقه لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ إلى الكبير يَرْجِعُوْنَO فيعلمون أن الكبير جذهم، فلما رجعوا ورأوا قَالُوْا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِيْنَO لجرأته على الآلهة المعظمة عندنا قَالُوْا أي: بعضهم سَمِعْنَا فَتًى يَّذْكُرُهُمْ يعيبهم يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيْمُO قَالُوْا أي: نمرود وأشراف قومه فَأْتُوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ أي: بمراء منهم لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُوْنَO بما سمعوا منه، أو بفعله، أو يحضرون عقوبتنا له قَالُوْا بعد إتيانه ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيْمُO فسكت عن [ص505] فعله قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هٰذَا توبيخا لهم، أن الإله العاجز الساكت لا يستحق العبادة، وهذا بدل، أو نعت فَسْئَلُوْهُمْ إِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَO فَرَجَعُوْا إِلَى أَنْفُسِهِمْ بالتفكر فَقَالُوْا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّٰلِمُوْنَO لا الجريّ لعبادتكم؛ من لا ينطق ولا يقدر على أن يدفع عن عنقه الفأس، فكيف يدفع عنا البأس؟ ثُمَّ نُكِسُوْا عَلَى رُؤُوْسِهِمْ أي: استقاموا في قولهم أوّلا؛ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُوْنَ، ثم انقلبوا، فجعلوا الرأس رجلا، والرجل رأسا، أي: عادوا إلى الكفر لَقَدْ عَلِمْتَ يا إبراهيم عليه السلام مَا هٰٓؤُلَاءِ يَنْطِقُوْنَO فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ إبراهيم عليه السلام أَفَتَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ إن عبدتموه شَيْئًا وَّلَا يَضُرُّكُمْO شيئا إن تركتموه أُفٍّ تبا وقبحا لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ صوت متضجر ضجره؛ ما رأى من ثباتهم على عبادة الأصنام بعد انقطاع عذرهم أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO إن من كان هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلٰها قَالُوْا

حَرِّقُوْهُ لأن التحريق أهول العقاب وَانْصُرُوْا آلِهَتَكُمْ بالانتقام منه إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَO ناصرين آلهتكم قُلْنَا يَا نَارُ كُوْنِيْ بَرْدًا وَّسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيْمَO أي: ابردي، فيسلم منك إبراهيم عليه السلام بسبب نزع ما طبعها عليه من الحر والإحراق، وكان الإضاءة والإشراق بحال، وعن ابن عباس رضي الله عنه: لو لم يقل سلاما لأهلكته ببردها، روي أنهم بنوا حظيرة بكوثى، واشعلوا نارا عظيمة، كادت تحرق الطير في الجو، ووضعوه في منجنيق محبوسا، فرموا به، وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل. ولو لم يقل ذلك لما نجى، كذا قال ابن عباس رضي الله عنه، وقال جبرائيل عليه السلام: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: فاسئل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وما احترقت النار إلا وثاقه؛ معجزة له وَأَرَادُوْا بِهِ كَيْدًا [ص506] مكرا بالإحراق فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِيْنَO في مرادهم، وكل الله عليهم البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ودخلت بعوضة في دماغ نمرود، فأهلكته وَنَجَّيْنَاهُ أي: إبراهيم عليه السلام وَلُوْطًا ابن أخيه هارون عليه السلام من العراق إِلَى الْأَرْضِ الَّتِيْ بَارَكْنَا فِيْهَا لِلْعَالَمِيْنَO بكثرة الأنهار والأشجار والأثمار وانبعاث أكثر الأنبياء منها، فنزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما مسيرة يوم وليلة وَوَهَبْنَا لَهُ لإبراهيم عند سؤاله الولد إِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ نَافِلَةً زائدة على السؤال، هو ابن إسحاق وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِيْنَO أنبياء وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يقتدي لهم، بتحقيق الهمزتين، وقلب الثاني بالياء، جمع إمام يَّهْدُوْنَ الناس بِأَمْرِنَا بوحينا إلى ديننا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ مصدر بحذف التاء تخفيفا، وإقامة المضاف إليه مقامها وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ أي: أن تفعل وتقام وتؤتي وَكَانُوْا لَنَا عَابِدِيْنَO لا لغيرنا، فيا عرب! اقتدوا بآبائكم وَلُوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم وَّعِلْمًا بالأحكام وَّنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ من أهلها؛ اسمها سدوم الَّتِيْ كَانَتْ تَّعْمَلُ أهلها الأعمال الْخَبَائِثَ من اللواطة، والضراط، والرمي بالبندق للمارة، واللعب بالطيور إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمَ سَوْءٍ مصدر ساءه، ضد سره فَاسِقِيْنَO خارجين عن طاعة الله وَأَدْخَلْنَاهُ فِيْ رَحْمَتِنَا في أهل رحمتنا، أو في جنتنا بالنجاة عن قومه إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَOع وَاذكر نُوْحًا إِذْ نَادَى أي: دعا على قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّارًا﴾[1] مِنْ قَبْلُ أي: قبل إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ الذين كانوا في السفينة مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِO الغرق أو تكذيب قومه إياه وَنَصرْنَاهُ منعناه مِن أذىالْقَوْمِ [ص507] الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا الدالة على رسالته وتوحيد الله إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِيْنَO وَاذكر قصة دَاوُوْدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ بدل منهما فِي الْحَرْثِ الزرع، أو الكرم إِذْ نَفَشَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ النفش: انتشار الغنم ليلا بلا راع وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ داؤد عليه السلام وسليمان عليه السلام وصاحب الحرث وصاحب الغنم شَاهِدِيْنَO أي:

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ سورة نوح، الآية: 26.

كان بمراء منا وبعلمنا فَفَهَّمْنَاهَا أي: الحكومة الصائبة سُلَيْمَانَ وَكُلًّا منهما آتَيْنَا حُكْمًا نبوة وَّعِلْمًا بالشرائع. روي أن الغنم أفسدت ليلا الحرث، فتحاكما إلى داؤد عليه السلام، فحكم برقاب الغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان عليه السلام: – وهو ابن أحد عشر سنة – الأرفق أن أهل الحرث ينتفعون بالألبان والأولاد والأصواف، وأهل الغنم يصلحون ما أفسد من الحرث، ثم يترادان. هذا ما كان في شريعتهم. أما في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعند أبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه: لا ضمان ليلا ونهارا؛ إذا لم يكن معها راع أو سائق أو قائد. ويجب الضمان ليلا عند الشافعي رحمة الله عليه. وَّسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ معه إذا سبح، أو يسرن معه من السياحة وَالطَّيْرَ كذلك سخرنا للتسبيح وَكُنَّا فَاعِلِيْنَO هذه الغرائب مع الأنبياء، وإن كان عجبا عندكم وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَّكُمْ هو اللباس، أي: الدرع لِتُحْصِنَكُمْ صنعة اللبوس مِّنْ بَأْسِكُمْ حربكم مع أعدائكم، وهو أول من صنعها، وكانت قبلها صفائح، فخلقها وسردها فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُوْنَO استفهام بمعنى الأمر، أي: اشكروا نعمة الصون والحفظ وَسخرنا لِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ عَاصِفَةً إن أراد شدة الهبوب، ورخاءا إن أراد رخوتها تَجْرِيْ بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِيْ بَارَكْنَا فِيْهَا أي: الشام المباركة بكثرة الأنهار [ص508] والأشجار والأثمار، وكان منزله بها، وتحمله الريح من النواحي إليها وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِيْنَO فنجزيها على مقتضي الحكمة وَسخرنا مِنَ الشَّيَاطِيْنِ مَنْ يَّغُوْصُوْنَ لَهُ بأمره في البحار لاستخراج الدر وغيرها وَيَعْمَلُوْنَ عَمَلًا دُوْنَ ذَالِكَ سوي الغوص، وهو بناء المحاريب والتماثيل والجفان والقدور والقصور، وقيل: أعلى عملهم الغوص، لأن فيه جمعا بين الضدين الماء والنار؛ لناريتهم وما سواه دون أعمالهم وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِيْنَO من إفساد ما عملوا، لأن جبلتهم إفساد المعمول قبل ولوج الليل؛ إن لم يشتغلوا بغيره، أو من أن يزيغوا عن أمره وَاذكر أَيُّوْبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ دعاه أَنِّيْ بأني مَسَّنِيَ الضُّرُّ بالفتح الضرر مطلقا، وبالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال، روي أن أيوب كان روميا من ولد عيص بن إسحاق له سبع بنين وسبع بنات، وثلاثة آلاف بعير، وسبعة آلاف شاة، وخمس مائة فدان، يتبعها خمس مائة عبد، لكل عبد امرأة وولد، فابتلى الله بفقد جميع ماله وأولاده، وتمزيق جسده، والناس هجروه كلهم إلا امرأته، وضيق معيشته ثلاث أو سبع أو ثماني عشر سنين، قيل: أخبار عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض للصلاة، وليس من باب الشكوى، وقيل: شكى الله تلذذا بالنجوي لأمته تضررا بالشكوى وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَO قيل: هو الاسم الأعظم فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَّآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ بإحياء أولاده وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ استيلادا منه، أو النوافل من الأولاد، وأمطرت عليه السحابتان؛ إحديهما الذهب والأخرى الورق رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا في شان أيوب، مفعول له وَذِكْرَى لِلْعَابِدِيْنَO وعظة للصابرين وَاذكر إِسْمَاعِيْلَ وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ الكفل النصيب من الله

تعالى، أو تكفّل بالقيام والصيام [ص509] ليلا ونهارا فوفّي به كُلٌّ من هؤلاء مِّنَ الصَّابِرِيْنَO الموصوفين بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِيْ رَحْمَتِنَا نبوتنا، أو نعمة الآخرة إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِيْنَO لها وَاذكر ذَا النُّوْنِ صاحب الحوت، أي: يونس بن متى عليه السلام[1] إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا غضبان على قومه إذ احتمل منهم كآبة وشدة، أو أغضبهم مفارقة لخوفهم حلول العذاب عندها، ولم يأمره الله بهذا الذهاب فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ من القدر لا من القدرة، أي: لن نقضي عَلَيْهِ بما يحبسه في بطن الحوت، أو بالعقوبة، أو لن نضيقه ببطن الحوت فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أي: فدعا في ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أَنْ أي: بأنه لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَO في ذهابي بلا إذن من بين قومي فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ غم الظلمات، أو غم ترك الأدب، أو الوحشة والوحدة، أو حر بطنه وَكَذَالِكَ كما نجيناه نُنْجِي الْمُؤْمِنِيْنَO من كروبهم إذا استغاثوا بنا داعين بهذا الاسم أو غيره، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ))[2] وَاذكر زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ فَرْدًا بلا ولد، يرثني، وإن تركتني وحيدا لا أبالي وَّالحال أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِيْنَO الباقي بعد فناء كل وارث فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ولدا وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ أتت بالولد بعد العقم إِنَّهُمْ أي: الأنبياء كَانُوْا يُسَارِعُوْنَ يبادرون فِي الْخَيْرَاتِ الطاعات، ولذا أجيبوا إذا دعوا وَيَدْعُوْنَنَا رَغَبًا فينا وَّرَهَبًا منا وَكَانُوْا لَنَا خَاشِعِيْنَO متواضعين في العبادات وَاذكر الَّتِيْ أَحْصَنَتْ حفظت فَرْجَهَا من أن [ص510] ينال فَنَفَخْنَا فِيْهَا في مريم، أي: في جيب درعها مِنْ رُّوْحِنَا من جهة جبرائيل عليه السلام، أو أجرينا في ذاتها روح عيسى عليه السلام، والإضافة للشرف وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا مجموعا آيَةً لِّلْعَالَمِيْنَO لأنها ولدت من غير فحل، وإنه ابن من غير أب إِنَّ هٰذِهِ أي: ملة الإسلام أُمَّتُكُمْ أي: ملتكم ودينكم، والخطاب لكافة الناس أُمَّةً وَّاحِدَةً غير متفرقة، كل الأنبياء كانوا عليها، فينبغي أن تكونوا أيها الناس عليها وَّأَنَا رَبُّكُمْ ربا واحدا فَاعْبُدُوْنِOع فوحدوني وَتَقَطَّعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ بغى على الذين تفرقوا في دينهم، وجعلوه قطعا وأحزابا كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُوْنَO فنجازي على حسب عملهم فَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لا جحود لِسَعْيِهِ بحرمان الثواب، بل هو مشكور مقبول وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُوْنَO نأمر الحفظة بالكتابة في صحائف الأعمال وَحَرَامٌ ممتنع الوجود عَلَى أهل قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُوْنَO إلى

---

1 – يونس بن متى عليه السلام: هو يونس بن متى، ومتى أبوه، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب. كان يونس بعد سليمان. وبعض العلماء تجعل بينهما أيوب، وتقديم أيوب على ما اخترنا أوضح. الجوزي: المرجع السابق. 395/1.

2 – البيضاوي: المرجع السابق. 59/4.

الله عند البعث، بل يرجعون ألبتة، وقيل: ممتنع على أهل قرية أهلكناها؛ أنهم يرجعون إلى الدنيا بالحياة، ولا مزيدة حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوْجُ وَمَأْجُوْجُ أي: سد هما، مهموزتين وغير مهموزتين، اسمان أعجميان بقبيلتين من الإنسان، قالوا: الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج، يكسّرون السد، ويخرجون قريب القيامة، وحتّى هي التي يحكي بعدها الكلام، وعلى ما قيل غاية الامتناع رجوعهم إلى الدنيا وَهُمْ أي: الناس المسوقون إلى المحشر، أو يأجوج ومأجوج مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ شرف يَّنْسِلُوْنَO يسرعون وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ أي: القيامة فَإِذَا هِيَ ضمير قصة، أو مبهم تفسيره، الأبصار شَاخِصَةٌ حائرة [ص511] أَبْصَارُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من هول ما هم فيه، جواب الشرط، وإذا للمفاجأة، وهي سد مسد الفاء، فإذا كانت معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط، يقولون: يَا وَيْلَنَا تعال أدركنا قَدْ كُنَّا فِيْ غَفْلَةٍ مِّنْ هٰذَا اليوم بَلْ كُنَّا ظَالِمِيْنَO بعبادة الأصنام، لأنها وضع الشيء في غير محله إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ قيل: الخطاب لأهل مكة، وما الأصنام، وإن عم فيعم ما؛ ليشتمل إبليس وأعوانه، فمن عبد عزيرا وعيسى عليهما السلام والملائكة طاعة مِنْ دُوْنِ اللهِ غير الله حَصَبُ جَهَنَّمُ حطبها ووقودها المرمية إليها أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُوْنَO داخلون لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ الأصنام آلِهَةً كما زعم المشركون مَّا وَرَدُوْهَا وَكُلٌّ فِيْهَا في جهنم خَالِدُوْنَO لَهُمْ للعابدين فِيْهَا في جهنم زَفِيْرٌ أنين وَّهُمْ فِيْهَا لَا يَسْمَعُوْنَO ما يسر هم ، وقيل: لا يسمعون شيئا لشدة غليانها، صاروا صما، وأيضا في السماع أنس؛ ولم يعطوا إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى أُولٰئِكَ عَنْهَا عن جهنم مُبْعَدُوْنَO نزل في جواب ابن الزبعري[1]، حيث قال: اليهود عبدوا عزيرا، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة، فينبغي أن يكونوا داخلين في النار، أي: الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى السعادة والتوفيق للطاعة، والبشارة بالجنة، هم: عزير عليه السلام والمسيح والملائكة، وإن لم يتناولهم كلمة ما، لكنهم أهل العناد فزيد في البيان، وقيل: المراد المؤمنون كلهم سيما المبشرون، يؤيده أنه قام علي رضي الله عنه {على منبر}[2] خطيبا، وقرء هذه الآية، وقال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد[3]، وعبد الرحمن بن عوف، وابن الجراح[1] رضوان الله عليهم أجمعين. لَا يَسْمَعُوْنَ حَسِيْسَهَا

---

1 – ابن الزبعري رضي الله عنه: هو عبد الله بن الزبعري بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسّان أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر له بحلة. الزركلي: المرجع السابق. 87/4.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من الأصل.

3 – سعيد بن زيد رضي الله عنه: هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النبي صلى الله عليه

صوت النار، مبالغة في الإبعاد وَهُمْ [ص512] فِيْ مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ من النعيم خَالِدُوْنَO والشهوة: طلب النفس اللذة لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ النفخة الثانية وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ أي، تستقبلهم مهنئين، قائلين: هٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَO بثوابه يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ طيًّا كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ طي السماء: تكوير نجومها ومحو رسومها، أو ضد النشر، أي: الجمع، أي: كطي الطومار على المكتوب، فاللام بمعنى على، أو كطي الملك، المسمى بالسجل، بصحائف أعمال الدين عند موتهم، فاللام زائدة، وقيل: السجل اسم كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ من عدم نُّعِيْدُهُ بعد الإعدام، فالبداء والإعادة مماثلان في المقدورية، الضمير إلى أول خلق، أي: إيجاده، والجار والمجرور يتعلق بنعيد، وما مصدرية وَعْدًا عَلَيْنَا منصوب بفعل مقدر، أي: وعدنا وعدا علينا، أو يقال: نعيده في معنى الوعد وعدا علينا، يؤكد هذا الوعد المفهوم من نعيده إِنَّا كُنَّا فَاعِلِيْنَO ما وعدنا وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُوْرِ كتاب داؤد عليه السلام مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أي: التوراة، أو المراد من الزبور جنس الكتاب، ومن الذكر: اللوح المحفوظ أَنَّ الْأَرْضَ أرض الشام يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُوْنَO أي: أمة محمد عليه السلام، أو أرض الجنة، يرثها كل عبد صالح من كل أمة إِنَّ فِيْ هٰذَا القرآن لَبَلَاغًا لكفاية في دخول الجنة لِّقَوْمٍ عَابِدِيْنَO موحدين محمديين وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً للرحمة لِّلْعَالَمِيْنَO الثقلين، لأنه جاء مما سعد من يتبعه، ويضيع نصيبه من يخالفه، أو رحمة لمن طاع بالثواب في الدارين، ولمن عصى بتأخير العذاب أو الكائنات، لأنه عليه السلام العلة الغاية لإيجاد العالم، فالوجود رحمة أوّلية قُلْ للكفار [ص513] إِنَّمَا يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ أي: التوحيد مقصود عليه من وحيه في أمر الإله فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَO استفهام بمعنى الأمر، أي: أسلموا، ووحّدوا فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد والإسلام فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ أي: أعلمتكم بالتوحيد مستوين نحن وأنتم في كلمة التوحيد، أو أعلمتكم بأمر الحرب لتتأهّبوا له كما نتأهب له وَإِنْ أي: ما أَدْرِيْ أَقَرِيْبٌ أَمْ بَعِيْدٌ مَّا تُوْعَدُوْنَO أي: القيامة إلا أني أعلم بأنها كائنة لا محالة، والتعيين عند الله إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ منكم في حق الإسلام والمسلمين وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُوْنَO من الأحقاد في البواطن

وسلم. وهو أحد العشرة المبشرين، وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك وحصار دمشق. وولاه أبو عبيدة دمشق. مولده بمكة، ووفاته بالمدينة. الزركلي: المرجع السابق. 94/3.

1 – ابن الجراح: هو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، الفهري، المكي، أحد السابقين الأولين، أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة، كاد أبو بكر وعمر أن يولياه الخلافة، لما كان فيه من الكمال والسيادة ومعرفته بالأمانة. عبد الملك بن محمد: أبو سعد، النيسابوري، (ت: 407هـ). شرف المصطفى: (ط-1، دار البشائر الإسلامية، مكة، 1424هـ). 50/6.

والصدور في حقهما وَإِنْ أي: ما أَدْرِيْ لَعَلَّهُ أي: تأخير الموعود فِتْنَةٌ اختبار لَّكُمْ كيف تصنعون؟ وَمَتَاعٌ تمتيع إِلَى حِيْنٍO آجالكم قَالَ النبي عليه السلام رَبِّ احْكُمْ بيني وبين أهل مكة بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ العطيف على الخلائق الْمُسْتَعَانُ المطلوب عونه عَلَى مَا تَصِفُوْنَOع النصف الله بما لا يليق بجنابه من اتخاذ الولد والبنات، والنبي بالساحر، والقرآن بالشعر، والإسلام بأن الشوكة رأسا للكفر، وإن الإسلام أياما ارتفع، ثم ينخفض دائما.

سورة الحج مدنية، ثمان وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا آيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ أي: عذابه؛ فأطيعوه إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ الحركة الشديدة الناشئة؛ قريب الساعة بعد طلوع الشمس من مغربها شَيْءٌ عَظِيْمٌO هائل، ليس الناجي منه إلا من تدرع بالتقوى يَوْمَ تَرَوْنَهَا الزلزلة، أو الساعة تَذْهَلُ تغفل بسببها كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ أي: عن الرضيع، أو أرضاعها [ص514] وَتَضَعُ كُلُّذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا قبل تمامه وَتَرَى أيها الناظر النَّاسَ سُكَارَى أي: شبيهين بهم؛ بما رأوا من أنواع الأهوال وَمَا هُمْ بِسُكَارَى على الحقيقة وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌO فأذهب الخوف عقولهم وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ هو نضر بن حارث، أو أبي بن خلف، أو كل مخاصم بالهواء فِي اللهِ في دينه، يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا بعث بِغَيْرِ عِلْمٍ وَّيَتَّبِعُ في هذا الجدال كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيْدٍO متكبر، متمرد كُتِبَ عَلَيْهِ قضي على الشيطان أَنَّهُ ضمير الشأن مَنْ تَوَلَّاهُ أحبّه، واتبعه فَأَنَّهُ أي: الشيطان يُضِلُّهُ عن سواء السبيل وَيَهْدِيْهِ يوصله إِلَى عَذَابِ السَّعِيْرِO أي: النار يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فانظروا أطوار أنفسكم فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ أباكم آدم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ خلقناكم؛ ذريته مِنْ نُّطْفَةٍ مني ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ الدم الجامد ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ لحمة؛ قدر ما يمضغ مُّخَلَّقَةٍ مصورة؛ تامة الخلق وَّغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ أي: غير تامة الخلق، قالوا: إن الله خلق المضغ متفاوتة، فسرى هذا التفاوت في أخلاقهم وصورهم وطولهم وقصرهم لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ بهذا التدريج كمال قدرتنا على البعث وَنُقِرُّ نثبت فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ثبوته من الذكر أو الأنثى، وما لم نشاء يسقط الرحم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وقت الولادة ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ من الرحم، أي: كل واحد أو المراد الجنس ثُمَّ نعمركم بالتربية لِتَبْلُغُوْا أَشُدَّكُمْ أي: الكمال والقوة، وهو بين الثلاثين إلى الأربعين وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّى عند بلوغ الأشد، أو قبله، أو بعده وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ أخسه، يعني: الهرم والخرف لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا المسلوب العلم الجديد، أو [ص515] القديم. قال عكرمة رضي الله عنه: من قرء القرآن؛ لم

يصر بهذه الحالة وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً يابسة فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ تحركت وَرَبَتْ ارتفعت، وزادت وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍO أي: كل صنف حسن؛ يسر به الناظر، ومن زائدة ذَالِكَ المذكور من خلق الإنسان، وإحياء الأرض حاصل بِأَنَّ اللهَ بسبب أنه هُوَ الْحَقُّ الثابت الموجود وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى كالأرض وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَّأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبِ شك فِيْهَا لأن التغير مقدمة فناء الكل وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُوْرِO كما وعد من غير خلف، ونزل في أبي جهل؛ كان يصف الله سبحانه مما لا يليق بجنابه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ فِي صفات اللهِ بَغَيْرِ عِلْمٍ ضروري وَّلَا هُدًى ولا علم استدلالي؛ يهدي إلى المعرفة وَّلَا كِتَابٍ مُّنِيْرٍO ولا علم منشأة الوحي الظاهر ثَانِيَ عِطْفِهِ حال، والعطف الجانب عن يمين أو شمال، أي: لاويا عنقه عن طاعته تعالى؛ متكبرا في نفسه عن الإيمان لِيُضِلَّ النَّاسَ متعلق بيجادل عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ قتل يوم بدر وَّنُذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيْقِO أي: النار، يقال له: ذَالِكَ أي: عذاب الدارين بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ أي: الكفر والتكذيب، وفي ذكر اليد إشارة إلى أن أكثر الأفعال بكسبها وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِOع مبالغة النفي، لا نفي المبالغة، وقيل: أتي بالمبالغة لاقترانه بصيغة الجمع، أو القليل منه تعالى بمنزلة الكثير منا، وقيل: الظلام بمعنى ذي ظلم، قيل: ناس من الأعاريب ذهبوا إلى المدينة مهاجرين، فكان أحدهم إذا رآى سلامة في نفسه وماله يطمئن بالإيمان؛ وإن رآى سقما وفقرا ينقلب على وجهه، نزل فيهم: [ص516] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ أي: انحراف واضطراب، أو طرف من الدين؛ لا وسطه، أي: لا يطمئن بل هو شاك في دينه فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ كالصحة والغناء إِطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ كالمرض والفقر إِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ارتد إلى الكفر خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بالقتل والحرق ذَالِكَ أي: خسران الدارين بعد الارتداد هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُO البين يَدْعُوْا أي: يعبد مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: غير الله مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ أي: ضما؛ لا يضره إن لم يعبده، ولا ينفعه إن عبده ذَالِكَ الدعاء هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيْدُO عن المقصود، مستعار من ضلال التيه يَدْعُوْا لَمَنْ ضَرُّهُ محققا بعبادته أَقْرَبُ مِنْ نَّفْعِهِ مخيلا لَبِئْسَ الْمَوْلَى أي: الناصر وَلَبِئْسَ الْعَشِيْرُO أي: الصاحب، يعني الصنم جماد، لا يضر ولا ينفع في نفسه، والكافر العابد له يعتقد شفاعته في القيامة، وإذا لم ير أثرها في الآخرة بل ضررا من حيث إضاعة الوقت في الدنيا؛ والنكال في العقبى، يقول ذلك، فلا تدافع في الآيتين إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ من الأوامر والنواهي، وعبدوه بكل حال جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُO من إكرام المطيع، وإهانة العاصي مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّنْ يَّنْصُرَهُ أي: الرسول اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ ذاته بِسَبَبٍ أي: بحبل إِلَى السَّمَاءِ أي: سقف بيته، أو ما كان عاليا كالشجرة، فيشد عنقه بذلك السبب، ويختنق ثُمَّ لْيَقْطَعْ

نفسه؛ بحبس مجاريه بالاختناق فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ أي: التخنيق؛ وإنما سماه كيدا استهزاءا مَا يَغِيْظُO منها، أي: نصرة الله الرسول، أي: فليتصوّر [ص517] في نفسه إن فعل ذلك هل يذهب هذا الفعل نصرة الله الرسول التي يغيظ منها، أي: لا يذهب، والحاصل أنه ليس في يده ما يذهب به غيظ من نصرة الله ورسوله وَكَذَالِكَ مثل ما أنزلنا الآيات السابقة أَنْزَلْنَاهُ أي: القرآن، حال كونه آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ واضحات وَّأَنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يُّرِيْدُO هداه إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا أي: اليهود وَالصَّابِئِيْنَ عبدة النجوم من اليهود، أو من النصارى وَالنَّصَارٰى وَالْمَجُوْسَ عبدة النار وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌO عالم علم مشاهدة أَلَمْ تَرَ أي: تعلم أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ يخضع، أي: ينقادبإرادته مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة سوى الخضوع المشترك، أو مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف، أي: حق عليه الثواب بقرينة قوله: وَكَثِيْرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ بكفره السجود وَمَنْ يُّهِنِ اللهُ أي: يضله ويشقيه فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ هاد ومسعد إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُOالسجدة من الإهانة والإكرام هٰذَانِ خَصْمَانِ المؤمنون والكافرون بأصناف أربعة مذكورة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا﴾[1] اخْتَصَمُوْا فِيْ رَبِّهِمْ ذاتا وصفة فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ قدرت على قدر جثتهم إحاطة النار يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوْسِهِمُ الْحَمِيْمُO الماء الحار جدا يُصْهَرُ يذاب بِهِ مَا فِيْ بُطُوْنِهِمْ وَالْجُلُوْدُO أي: ظاهرا وباطنا وَلَهُمْ مَّقَامِعُ جمع مقمعة، هي ما يقمع به إذا يكف يعنف، أي: سياط مختصة بهم مِنْ حَدِيْدٍO كُلَّمَا أَرَادُوْا أَنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا من النار مِنْ أجل غَمٍّ فخرجوا، أو بدل من قوله منها أُعِيْدُوْا فِيْهَا من تلك المقامع [ص518] وَقيل لهم: ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِOع الغليظ من النار إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ جمع أسورة، جمع سوار مِنْ ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤًا منصوب، عطف على محل من أساور، أو مجرور عطف على ذهب بالترصيع وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌO هو المحرم في الدنيا لبسه على الرجال وَهُدُوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ في الدنيا، أي: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وفي الآخرة الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ وَهُدُوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيْدِO المحمود نفسه، هو الإسلام في الدنيا؛ والجنة في العقبى إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَيَصُدُّوْنَ يمنعون الناس دائما عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه وَعن دخول الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أي: مكة؛ يوم الحديبية الَّذِيْ جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أي: مستويا الْعَاكِفُ فِيْهِ وَالْبَادِ أي: المقيم والمسافر الغريب يستويان فيه، فلا يدخل أرض مكة تحت ملك أحد، فلا يباع ولا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 62.

يجار، وخبر أن محذوف بقرينة جزاء الشرط، أي: نذيقهم من عذاب أليم، وإن أريد نفس البيت فهو قبلة للعاكف والباد جميعا، فهما سواء فيه وَمَنْ يُّرِدْ فِيْهِ بِإِلْحَادٍ الباء زائدة، أي: ميلا عن الحق بِظُلْمٍ بسبب ظلم، بأن ارتكب منهيا؛ ولو شتم الخادم نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍO ع أو المفعول محذوف ليعم، أي: يرد مراد، أما بالميل عن القصد بسبب الظلم فهي للسببية وَاذكر إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أي: عيناه وبيناه، أي: جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة، مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة، وقد رفع البيت أيام الطوفان، وكان من ياقوته حمراء إلى السماء، فأعلم الله مكانه بريح أرسلت، فكنست مكان البيت، فبناه على أسسه القديم، وقلنا له: أَنْ لَّا تُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا وَّطَهِّرْ بَيْتِيَ من الأصنام، والقذر [ص519] لِلطَّائِفِيْنَ وَالْقَائِمِيْنَ المقيمين بمكة، أو القائمين في الصلاة وَالرُّكَّعِ جمع راكع السُّجُوْدِO جمع ساجد وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ نادهم بِالْحَجِّ بالقصد البليغ يَأْتُوْكَ رِجَالًا جمع راجل، أي: مشاة قدم للفضل وَّعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ وراكبين على بعير ضعيف ضني يَّأْتِيْنَ صفة لكل ضامر مِنْ كُلِّ فَجٍّ سبيل عَمِيْقٍO بعيد، فطلع أبا قبيس[1]، وقال: ربكم بنَى بيتا، وأوجب عليكم طوافه، والتفت يمينا وشمالا وشرقا غربا، فأجابه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، من وفق له قائلا: اللّهم لبيك لِّيَشْهَدُوْا مَنَافِعَ لَهُمْ ليحضروا منافع دنيوية ودينية؛ مختصة بهذه العبادة وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عند ذبح القرابينفِيْ أَيَّامٍ مَّعْلُوْمَاتٍ عشر ذي حجة عند أبي حنيفة؛ وعليه أكثر المفسرين وابن عباس رضي الله عنهما. وأيام النحر عند صاحبيه عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ الإبل والبقر والضأن والمعز، ينحر يوم العيد وأيام التشريق فَكُلُوْا أمر للإباحة مِنْهَا من لحومها؛ إذا كانت من هدي التطوع والمتعة والقران، لأنه دم نسك، فأشبه الأضحية. ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الذي أصابه البؤس، أي: الشدة الْفَقِيْرَO المحتاج ثُمَّ لْيَقْضُوْا تَفَثَهُمْ عطف على قوله يذكروا اسم الله، أي: ليزيلوا وسخهم بقص الشوارب والأظفار وحلق الرأس ونتف الإبط واستحداد العانة عند التحليل، وقيل: قضاء المناسك كلها في الحج وَلْيُوْفُوْا نُذُوْرَهُمْ مواجب حجهم من الهدايا والضحايا وَلْيَطَّوَّفُوْا بِالْبَيْتِ الْعَتِيْقِO طواف الزيارة والإفاضة، به يتم الحج، وهو ركن ثالث، والأول إحرام، والثاني وقوف بعرفة. والعتيق: القديم، لأنه أول بيت، أو الكريم، ومنه: عتاق الخيل، أي: كرائمها، وعتاق الرقيق خروجه إلى كرامة الحرية، أو عتيق من الغرق بالرفع عند الطوفان، أو من أيدي الجبابرة ذَالِكَ دين الله، أو الشأن، [ص520] والأمر ذلك المذكور وَمَنْ يُّعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ جمع حرمة، وهي ما لا يحل

1 – أبا قبيس: أبو قبيس: هو الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس. وهو اليوم مكسو بالبنيان. ويقولون: الواقف على أبي قبيس يرى الطائف، وليست الطائف المدينة المشهورة، وإنما يريدون: الطائف حول البيت. شُرَّاب: المرجع السابق. 222/1.

هتكه من الحج، أو غيره فَهُوَ أي: فتعظيمها، أي: العلم بوجوب مراعاتها، والقيام بأدائها، والحفظ عن فواتها خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ في الآخرة وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ أي: أكلها بعد الذبح إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ تحريمه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ...﴾[1] فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ من للبيان وَاجْتَنِبُوْا قَوْلَ الزُّوْرِO الشرك بالله، أو شهادة الزور حُنَفَآءَ للهِ حال، أي: مخلصين له غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهِ حال وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ سقط مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ تدركه بسرعة، فتفرق أجزائه، وتميز، وتأكل أَوْ تَهْوِيْ بِهِ الرِّيْحُ تسقط به العاصف فِيْ مَكَانٍ سَحِيْقٍO بعيد عن الغياث، لا يرجي خلاصه. الأمر ذَالِكَ وَمَنْ يُّعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ أي: الهدايا، وتعظيمها أن يختار عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان، مشعورة بالطعن في السنام، وقيل: الشعائر: جملة المناسك وتعظيمها، إتمامها من غير ترك أدب من الآداب، لكن قوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ﴾[2] يقوي الأول فَإِنَّهَا أي: فإن تعظيمها مِنْ أفعال ذوي تَقْوَى الْقُلُوْبِO فإنها مراكز التقوى لَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ من الركوب وشراب ألبانها عند الضرورة من غير إضرار إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أي: إلى أين ينحر؟ ثُمَّ مَحِلُّهَا أي: وقت وجوب ذبحها منتهية إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِOع أي: الحرم كله وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أي: لجماعة السالفة المؤمنين جَعَلْنَا مَنْسَكا بالكسر؛ موضع قربان، وبالفتح؛ مصدر لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ دون غير الله عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ عند ذبحها، ونحرها فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ فَلَهٗ أَسْلِمُوْا انقادوا له، لا لغيره وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِيْنَO المطمئنّين، المتواضعين [ص521] الَّذِيْنَ بيان المخبتين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ خافت قُلُوْبُهُمْ هيبة منه وَالصَّابِرِيْنَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ من البلايا والمحن وَالْمُقِيْمِي الصَّلَاةِ في أوقاتها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO يتصدقون وَالْبُدْنَ جمع بدنة، وهي الإبل والبقر عندنا جَعَلْنَاهَا جعلنا نحرها وذبحها لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللهِ أعلام دين الله لَكُمْ فِيْهَا خَيْرٌ خير الدنيا بالركوب، وشرب ألبانها ضرورة، وخير العقبى بالجزاء الأحسن فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا على البدن عند نحرها صَوَافَّ قائمات، قد صففن أيديهن وأرجلهن فَإِذَا وَجَبَتْ سقطت جُنُوْبُهَا على الأرض، وسكنتحركاتها بالموت فَكُلُوْا مِنْهَا إن شئتم وَاطْعِمُوا الْقَانِعَ المتعفف عن السؤال وَالْمُعْتَرَّ أي: السائل المتعرض كَذَالِكَ مثل ما أمرناكم بالنحر سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ وإلا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة المائدة، الآية: 3.

2 – جزء من الآية، وتمامها:﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ سورة الحج، الآية: 33.

لم تطيقوا لعظمها وقوتها خلقة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO إنعامي عليكم، قيل: أهل الجاهلية يلطخون جدران الكعبة بدماء القرابين، قربة إلى الله؛ فهمّ به المسلمون، فنزلت: لَنْ يَّنَالَ اللهَ لُحُوْمُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ النية، بامتثال أوامره بعد الإيمان بالله تعالى كَذَالِكَ سَخَّرَهَا أي: البدن لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عند الذبح عَلَى مَا هَدَاكُمْ أرشدكم وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِيْنَO المخلصين، المتمثلين بأوامره بالثواب إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ فتنة المشركين عَنِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ في أمانات الله كَفُوْرٍO[ع الثلاثة] بنعمائه أُذِنَ رخص بالقتال لِلَّذِيْنَ لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يُقَاتَلُوْنَ قاتلهم المشركون بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوْا من كفار قريش وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ أي: نصر المؤمنين لَقَدِيْرٌO كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم [ص522] مضروبين مشجوجين يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا؛ فإني لم أومر بالقتال معهم بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية، حتّى نزل: أُذِنَ لِلَّذِيْنَ... فهذه أول آية نزلت في الجهاد، وكان ذلك بعد الهجرة، هم الَّذِيْنَ أو مجرور بدل للذين أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ يعني مكة بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَّقُوْلُوْا رَبُّنَا اللهُ أي: بغير موجب غير التوحيد وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أي: المشركين بالمؤمنين لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ لرهبان النصارى وَبِيَعٌ كنائسهم وَّصَلَوَاتٌ بمعنى: كنائس اليهود وَّمَسَاجِدُ للمؤمنين يُذْكَرُ فِيْهَا أي: في هذه المواضع اسْمُ اللهِ كَثِيْرًا فانقطع البركة بتخريبها، أي: لولا تسليط المؤمنين عليهم لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم، وعلى متعبداتهم، فقتلوهم، وهدموها وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَّنْصُرُهُ من ينصر دينه إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ على نصر أوليائه عَزِيْزٌO على انتقام أعدائه الَّذِيْنَ مرفوع بتقديرهم، أو منصوب على البدلية من؛ من ينصره، أو مجرور بدل من الذين أخرجوا، إن جعل بدلا من المجرور في للذين إِنْ مَّكَنَّاهُمْ فِيْ الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُوْرِO مرجعها إلى حكمه وتقديره وَإِنْ يُّكَذِّبُوْكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوْحٍ نوحا وَّعَادٌ هودا وَّثَمُوْدُO صالحا وَقَوْمُ إِبْرَاهِيْمَ إبراهيم عليه السلام وَقَوْمُ لُوْطٍO لوطا عليه السلام وَّأَصْحَابُ مَدْيَنَ شعيبا عليه السلام وَكُذِّبَ مُوْسَى من القبط؛ لا من بني إسرائيل فَأَمْلَيْتُ أمهلت لِلْكَافِرِيْنَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِO أي: إنكاري عليهم؛ حيث أبدلتهم بالنعم نقما، والحياة هلاكا، أي: كان [ص523] واقعا موقعه، هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي: فلك أسوة بهم فَكَأَيِّنْ أي: كم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ أهلها بكفرهم فَهِيَ خَاوِيَةٌ هابطة، ساقطة عَلَى عُرُوْشِهَا سقفها، اي: الجدران على السقف هابطة ساقطة وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ لهلاك أهلها وَّقَصْرٍ مَّشِيْدٍO مجصّص؛ حال عن السكّان أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ أي: كفّار مكّة في تجاراتهم إلى الشام فَتَكُوْنَ لَهُمْ قُلُوْبٌ يَّعْقِلُوْنَ بِهَا ما نزل بالمكذّبين قبلهم أَوْ آذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَا أخبارهم بالإهلاك فَإِنَّهَا ضمير قصة لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوْبُ الَّتِيْ فِي

الصُّدُوْرِO ومن هلك؛ إنما هلك بعمي أبصار القلوب وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ الأجل استهزاءا وَلَنْ يُّخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ بإنزال العذاب وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوْنَO بيان لتأنيه في الأخذ، وتناهي صبره حتّى استقصر المدد الطوال، أو استطالة أيام العذاب في الآخرة حقيقة، أو تطويلمدة الشدائد الدنيوية، كما قيل: سِنة الفراق سَنة، وسَنة الوصال سِنة وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا أي: كم من قرية مثلكم في الكفر، ثم أخذتهم بالعذاب، فقيسوا حالكم عليهم وَإِلَيَّ الْمَصِيْرُOع المرجع، فأجازيهم على حسب أعمالهم قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أهل مكة إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO بين الإنذار فَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ من الذنوب وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌO حسن، هي الجنة وَالَّذِيْنَ سَعَوْا فِيْ آيَاتِنَا بالرد والإبطال مُعَاجِزِيْنَ سابقين علينا في أمورنا بزعمهم، فائتين [ص524] عنا بإنكار البعث والعذاب في الآخرة أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِO أي: النار الموقدة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ صاحب شريعة مجددة وَّلَا نَبِيٍّ يعمه، ومن بعث لتقرير شرع سابق إِلَّا إِذَا تَمَنَّى حدث في نفسه، أو قرء أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيْ أُمْنِيَّتِهِ في حديثه، في نفسه، أو قرأته فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فيذهب الله بما يلقيه في الأمنية، ويبطله ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ يثبتها ويحفظها عن الزيادة والنقصان وَاللهُ عَلِيْمٌ بأحوال عباده حَكِيْمٌO بما يفعل بهم، أي: ما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث في نفسه ما يهويه؛ ألقى الشيطان بالوسوسة في حديث نفسه ما يوجب شغلا بالدنيا، قال عليه السلام: و((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً))[1] فيبطل الله ما ألقاه الشيطان، ثم يحكم ويثبت آياته ليستغرق في أمره تعالى، وقيل: بمعنى قرئ، وكان صلى الله عليه وسلم في ناديهم فنزلت سورة النجم، فقرءها عليهم، فلما بلغ: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[2]، أجرى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. ففرح المشركون؛ حتّى سجدوا مع المؤمنين؛ لما سجدوا في آخرها، ثم نبه جبرائيل، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم به، فسلّى بهذه الآية رسوله، والمحققون لا يتلقونه بالقبول، لأنه إن كان عمدا فكفر، وإن أجرى الشيطان جبرا فقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[3] يدافعه، أو سهوا وغفلة، فقيل: باعتماد قوله عليه السلام، وأيضا قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾[4]، وقوله: ﴿لَا يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْ

---

1 – (أ) الرازي: المرجع السابق. 154/25. (ب) البيضاوي: المرجع السابق. 75/4.

2 – سورة النجم، الآية: 20.

3 – جزء من الآية، وتمامها:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ سورة الحجر، الآية: 42.

4 – جزء من الآية، وتمامها:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر، الآية: 9.

بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1]، يبطله غاية ما يقال أنه عليه السلام سكت على قوله: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[2]، فتكلم الشيطان متصلا بصوت يشابه صوته صلى الله عليه وسلم، فظنوا أنه يتكلم، وفي زمانه عليه السلام [ص525] يسمع كلماته، ويوم أحد قال بأعلى صوت: إن محمدا قد قتل، ويوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّيْ جَارٌ لَّكُمْ﴾[3]، ذلك الإلقاء من الشيطان لِيَجْعَلَ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً امتحانا لِّلَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ شك، أي: المنافقين وَّالْقَاسِيَةِ قُلُوْبُهُمْ أي: الكافرين، فيزدادوا به شكا على شك وَإِنَّ الظَّالِمِيْنَ أي: المنافقين والمشركين لَفِيْ شِقَاقٍ خلاف بَعِيْدٍO عن الحق وَّلِيَعْلَمَ عطف على ليجعل الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ علم التوحيد والشرائع أَنَّهُ أي: القرآن الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوْا بِهِ بالقرآن فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوْبُهُمْ أي: تطمئن بالانقياد والخشية وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO إلى النظر الصحيح والتأويل الحق في دين الإسلام وَلَا يَزَالُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فِيْ مِرْيَةٍ شك مِّنْهُ من القرآن حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ساعة الموت، أو أشراط القيامة، أو نفسها بَغْتَةً فجأة أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيْمٍO عن أن يكون للكفار فرح فيه هو يوم بدر، وعن الضحاك: يوم عقيم: القيامة، والساعة أشراطها الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ يوم تزول مريتهم، أي: يوم القيامة لِلّهِ وحده، لا منازع له فيه يَحْكُمْ بَيْنَهُمْ يقضي بين أهل الإيمان والكفر بما ذكر بعده فَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ جَنَّاتِ النَّعِيْمِO فضلا من الله وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌOع عدلا من الله، روي أن طوائف من الأصحاب، قالوا: يا نبي الله! هؤلاء الذين قتلوا، قد علمنا ما أعطاهم من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله: وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا من أوطانهم مجاهدين [ص526] فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوْا في الجهاد أَوْ مَاتُوْا هتف أنفهم لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا لا ينقطع أبدا؛ هو رزق الجنة وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَO لأن ترزيق غيره تعالى مجازي لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا إدخالا يَّرْضَوْنَهُ هو إدخال الجنة وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيْمٌ بالأحوال حَلِيْمٌO بالإمهال في الأمر ذَالِكَ الذي قصصنا عليك وَمَنْ عَاقَبَ جازي في الأشهر الحرم، وإنما سمّي الجزاء عقابا؛ لأنه سبب عن العقاب بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهِ قوتل في الأشهر الحرم ثُمَّ بُغِيَ ظلم عَلَيْهِ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ سورة حم السجدة، الآية: 42.

2 – سورة النجم، الآية: 20.

3 – جزء من الآية، وتمامها:﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الانفال، الآية: 48.

أي: على المجازي لَيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ لينصرن الله المجازي المظلوم إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ عن المؤمنين لقتالهم في الأشهر الحرم، أو بترك الأولى، أي: العفو والصلح بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ﴾[1] غَفُوْرٌO بستر العيوب ذَالِكَ نصر المظلوم بِأَنَّ اللّٰهَ بسبب أنه تعالى بالقدرة والغلبة يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِيْ النَّهَارِ يدخل الليل في النهار فيزيد النهار بقدرته بأجزاء الليل وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ويدخل النهار في الليل فيزيد الليل بقدرته بأجزاء النهار وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ بما يقولون بَصِيْرٌO بما يفعلون، ولا يشغله شأن عن شأن ذَالِكَ أي: خلق الملوين، وإحاطة ما في البين بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ الثابت في دعوى الإلٰهية وَأَنَّ مَا يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ دُوْنِهِ أي: الأصنام هُوَ الْبَاطِلُ الزائل وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُO أعلى وأكبر من كل شيء، فله الصفات الكاملة أَلَمْ تَرَ تعلم أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مطرا فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً بالنبات إِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ بعباده، فأحاطهم فضله وعلمه خَبِيْرٌO بما يليق بهم لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِلكا ومُلكا وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ عن عباده الْحَمِيْدُOع المحمود قبل كل حامد من عباده أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ [ص527] من الأرض من البهائم للركوب في البر وَالْفُلْكَ حال كونها تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهٖ تعالى وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ ويحفظها من أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فتهلكوا إِلَّا بِإِذْنِهٖ إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوْفٌ بتسخير ما في الأرض، وإمساك السماء رَّحِيْمٌO بجلب المنافع، ودفع المضار. عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: إن اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية، أي: من قوله: ﴿وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا ... رَحِيْمٌ﴾[2](يستجاب لقاريها ألبتة)، كذا في المدارك[3]. وَهُوَ الَّذِيْ أَحْيَاكُمْ في أرحام أمهاتكم ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ عند انقضاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ عند البعث إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُوْرٌO لنعم الله وجحود لها لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكا شريعة هُمْ نَاسِكُوْهُ عاملوه فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فلا يجادلنك أرباب جميع الأديان فِي الْأَمْرِ في أمر الدين، أو أمر الذبح، إذ قالوا كفار خزاعة: ما قتل الله

---

1 – جزء من الآية، وتمامها:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الشورى، الآية: 40.

2 – ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَO لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌO ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌO ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌO ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُO أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌO لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُO أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌO﴾. سورة الحج، الآيات: 58 – 65.

3 – النسفي: المرجع السابق. 452/2.

أحق أن تأكلوه مما قتلتم، فإنهم مكايدون لا المناظرون وَادْعُ الناس إِلَى عبادة رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيْمٍO طريق قويم وَإِنْ جَادَلُوْكَ في أمر الدين سفها وتعنتا فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم به، أي: ادفع جدالهم بهذا القول، وهذا وعيد وإنذار برفق، يجاب به كل متعنت، هذا قبل آية السيف اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ أيها الناس! يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَO من الشرائعأَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِيْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَالِكَ الموجود فيهما مثبت فِيْ كِتَابٍ هو اللوح المحفوظ إِنَّ ذَالِكَ علم الموجود عَلَى اللهِ يَسِيْرٌO سهل وَيَعْبُدُوْنَ أي: المشركون مِنْ دُوْنِ اللهِ غير الله مَا أصناما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا حجة وبرهانا على حقيقة هؤلاء وَّمَا لَيْسَ لَهُمْ للمشركين [ص528] بِهِ عِلْمٌ أي: ليس لمعبودية معبوداتهم دليل سماوي، ولا دليل عقلي وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ بالشرك مِنْ نَّصِيْرٍO يمنع عذاب الله عنهم إذا نزل وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا أي: القرآن بَيِّنَاتٍ واضحات تَعْرِفُ يا محمد! صلى الله عليك وسلم فِيْ وُجُوْهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ أي: الإنكار، والعبوس يَكَادُوْنَ يَسْطُوْنَ السطو: الوثب، والبطش بِالَّذِيْنَ أي: بضرب الذين يَتْلُوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا هم النبي وأصحابه قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَالِكُمْ أي: مما تريدون في حق تلاوة القرآن، كأن سائل سأل؛ وما هو؟ فقيل هو: النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَبِئْسَ الْمَصِيْرُOع النار يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ أي: بين لعبادة الكفار الأصنام حال فَاسْتَمِعُوْا لَهُ إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ تعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ وهم ثلاث مائة وستون صنما لَنْ يَّخْلُقُوْا ذُبَابًا أي: مستحيل عنهم خلقه، وهو اسم جنس، واحده ذبابة، خص الذباب بالذكر لمهانته وضعفه وَّلَوِ اجْتَمَعُوْا أي: معبودات القريش لَهُ لخلق الذباب وَإِنْ يَّسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا من العسل والطيب، الذين يتلطخون به رؤس الأصنام لَّا يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ أي: الأصنام لا يقدروا على تخليصه؛ واسترداده من هذا الخلق الأقل الأذل، فكيف وصفوها بالألوهية؟ ضَعُفَ الطَّالِبُ أي: الأصنام، أو العابد وَالْمَطْلُوْبُO الذباب، أو المعبود مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ما عرفوه وما عظموه حق معرفته وعظمته، حيث أشركوا به تعالى ما ليس له قدرة مثل قدرة الذباب إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌO غالب، فكيف الضعيف المغلوب يشاركه في الألوهية؟ [ص529] أنكروا رسالة البشر، وقالوا: أ أنزل عليه الذكر من بيننا اللهُ يَصْطَفِيْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كجبرائيل عليه السلام وغيره رُسُلًا وَّمِنَ النَّاسِ كمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ لأقوالهم بَصِيْرٌO بأفعالهم، أي: بما يجري بين الرسل والأمم يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ من أمر الدنيا وَمَا خَلْفَهُمْ من أمر العقبى وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُO يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO(السجدة عند الشافعي) كانوا يصلون أول الإسلام من غير ركوع وسجود، فأمروا بهما، أو معناهما: صلوا، ومعنى: واعبدوا: وحدوا، أو واقصدوا وجه الله لا غيره، وفعل الخير صلة الأرحام ومكارم الأخلاق، وكلمة الترجي يشير إلى أن الثقة إنما هي على

فضل الله لا على ما يفعلون وَجَاهِدُوْا جهادين: أصغر، وأكبر فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ باستفراغ الطاقة، أصله جهادا فيه حقا، أي: لله تعالى هُوَ اجْتَبَاكُمْ اختاركم لنصرة دينه وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ من ضيق، فأباح لكم التيمم والقصر والفطر، وأكل الميتة والكفارات في حقوق الله، والأروش والديات في حقوق العباد مِلَّةَ أَبِيْكُمْ منصوب على الاختصاص، أعني بالدين: ملة أبيكم إِبْرَاهِيْمَ وكل نبي كأب أمته، قال عليه السلام: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ))[1]. وإبراهيم أو محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا معنى أبيكم هُوَ أي: الله سبحانه سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ في الكتب المتقدمة، أو إبراهيم في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ﴾[2] وَفِيْ هٰذَا القرآن لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدًا عَلَيْكُمْ يوم القيامة، أنه بلّغكم رسالة ربكم وَتَكُوْنُوْا أيها المحمديون! شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إن رسلهم بلغتهم رسالة ربهم فَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ داوموا [ص530] عليها وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوْا بِاللهِ ثقوا به، لا بأعمالكم هُوَ مَوْلَاكُمْ ناصركم فَنِعْمَ الْمَوْلَى هو يرزق مع العصيان وَنِعْمَ النَّصِيْرُOع هو يوفق للتوبة والطاعات.

سورة المؤمنون مكية، وهي مئة ثماني عشر آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُوْنَO قد للتحقيق، والفلاح والظفر للمطلوب، والنجاة عن المرهوب، والمؤمن من نطق بالشهادتين بمواطاة القلب الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ جنس صَلَاتِهِمْ خَاشِعُوْنَO خائفون بالقلوب، ساكنون بالجوارح وَالَّذِيْنَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ كلام ساقط، بلا فائدة، معتد بها مُعْرِضُوْنَO بشغلهم بالجد وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكَاةِ للتزكية فَاعِلُوْنَO أي: للمال مؤدون، واللام لتقوية العمل وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ الفرج: يطلق على سوءة المرء والمرأة حَافِظُوْنَO في كل حال إِلَّا دالين أو قوامين عَلَى أَزْوَاجِهِمْ زوجاتهم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أي: السرارى، ولشيوع الملك في غير العقلاء، قال: ما دون من فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

1 – النسائي: أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن، الخراساني، (ت: 303هـ). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: (ط–2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ / 1986م). كتاب الطهارة، النهي عن الاستطابة بالروث، رقم الحديث: 38/1.

2 – جزء من الآية، وتمامها:﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سورة البقرة، الآية: 128.

مَلُوْمِيْنَO لا لوم إن لم يحفظوا عنها فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَالِكَ الزوجات والسرارى فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعٰدُوْنَO المجاوزون عن الحلال إلى الحرام، كالمتعة والاستمناء باليد وغيرها، واللواطة والتفخيذ ووطي الحيوانات وَالَّذِيْنَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ فيما بينهم، أو بين الله وبينهم رَاعُوْنَO قائمون بالحفظ والإصلاح وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى أنواع صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَO بالأوقات أُولٰئِكَ الجامعون لهذه الأوصاف [ص531] هُمُ الْوَارِثُوْنَO الأحقاء بالتسمية الوارثين دون غيرهم الَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ أي: يستحقون الْفِرْدَوْسَ هو أعلى طبقات الجنان بأعمالهم، أو من الكفار بتقويتهم إياه عن أنفسهم، في الحديث: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ))[1] هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ أي: آدمِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِيْنٍO أي: من خلاصته ثُمَّ جَعَلْنَاهُ أي: نسله نُطْفَةً منيا فِيْ قَرَارٍ مستقر، يعني الرحم مَّكِيْنٍO حصين ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ صيّرناها عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا أي: دما جامدا، ثم لحما، قدر ما يمضغ، ثم صلبة بيضاء فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا بإثباته عليها ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ المذكور خَلْقًا آخَرَ يباين الخلق الأول؛ حيث انقلب الجماد حيوانا فَتَبَارَكَ اللهُ تعالى الله قدرة وعلما أَحْسَنُ الْخَالِقِيْنَO بدل، أو خبر مبتداء محذوف، أي: هو أحسن المقدرين؛ وليس بصفة، لأنه نكرة، وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من من، قيل: عبد الله بن سعد كاتب الوحي نطق به بعد أن كتب ما نزل في الأطوار، فقال عليه الصلاة والسلام: ((اكْتُبْ هَكَذَا نَزَلَتْ))[2] فارتد ظانا إنه يوحى إليه مثل ما يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولحق بمكة، ثم أسلم يوم الفتح، وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة، لأن ارتداده بالمدينة، وهذه السورة مكية ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَالِكَ المذكور لَمَيِّتُوْنَO عند انقضاء الآجال ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُوْنَO للجزاء وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ جمع طريقة، هي السماوات السبع، وهي طرق للملائكة ومتقلّباتهم [ص532] وَمَا كُنَّا عَنِ مصالح الْخَلْقِ غَافِلِيْنَO بإمساكها عن الوقوع، وبالأمطار؛ وإخراج النبات منه لترزيقهم وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ يكفيهم فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ رحمة وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُوْنَO فيموتون مع دوائهم عطشا، فاشكروا ليبقى هذا العطاء فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ بالماء جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيْهَا فَوَاكِهُ كَثِيْرَةٌ غير هما وَّمِنْهَا من الجنات تَأْكُلُوْنَO صيفا وشتاءا وَشَجَرَةً أي: الزيتون، عطف على جنات تَخْرُجُ مِنْ طُوْرِ سَيْنَاءَ طور سيناء مركّبا، اسم جبل بفلسطين، أو بين مصر وأيلة، أو سيناء وسينون وسينين مكسور السين، ومفتوحها اسم قرية، أضيف الطور إليها، وهي غير منصرف للتعريف والعجمة، أو التأنيث بتأويل

---

1 – ابن ماجة: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم الحديث: 4341. 1453/2.

2 – النسفي: المرجع السابق. 462/2.

البقعة تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ الباء للتقوية، وقال الزجاج رحمه الله تعالى[1]: الباء للحال، أي: تنبت ومعها الدهن، وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِيْنَO إدام لهم؛ يصبغ اللقمة إذا غمست فيه وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ الإبل والبقر والغنم لَعِبْرَةً يعتبرون بها ويستدلون بها نُسْقِيْكُمْ مِّمَّا فِيْ بُطُوْنِهَا من اللبن السائغ وَلَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ كَثِيْرَةٌ من الأصواف والأوبار والأشعار وَّمِنْهَا تَأْكُلُوْنَO لحومها وَعَلَيْهَا في البر وَعَلَى الْفُلْكِ في البحر تُحْمَلُوْنَO في أسفاركم وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ أي: وحدوه مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُوْنَO تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ أي: الأشراف لعوامهم مَا هٰذَا أي: نوح عليه السلام [ص533] إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يأكل ويشرب ويجامع يُرِيْدُ أَنْ يَّتَفَضَّلَ يطلب الفضل عَلَيْكُمْ ويتشرف ويترسل وَلَوْ شَاءَ اللهُ رسالة لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً لا بشرا مَّا سَمِعْنَا بِهٰذَا برسالة البشر، أو بالتوحيد فِيْ آبَائِنَا الْأَوَّلِيْنَO الأمم السابقة إِنْ أي: ما هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ جنون فَتَرَبَّصُوْا فانتظروا بِهِ بهذا الرجل حَتَّى حِيْنٍO يموت، أو يحصل له الإفاقة عن الجنون قَالَ رَبِّ انْصُرْنِيْ عليهم بهلاكهم بِمَا كَذَّبُوْنِO بسبب تكذيبهم إياي فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مجيبا دعاءه أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ السفينة بِأَعْيُنِنَا أي: بحفظنا ومراءنا وَوَحْيِنَا وأمرنا فَإِذَا جَاءَ وعد أَمْرُنَا بإهلاكهم وَفَارَ التَّنُّوْرُ للخباز بالماء؛ علامة للطوفان فَاسْلُكْ فادخل فِيْهَا في السفينة مِنْ كُلٍّ نوع زَوْجَيْنِ ذكر وأنثى اثْنَيْنِ تأكيد، وزيادة بيان وَأَهْلَكَ زوجك، وأبناءك، ومن آمن معك إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بهلاكهم مِنْهُمْ وهو ابنه كنعان، وإحدى زوجتيه، قيل: كانوا في السفينة ست رجال ونسائهم، وقيل: جميعهم ثمانية وسبعون، وقيل: ثمانون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء وَلَا تُخَاطِبْنِيْ بالنجاة فِي حق الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا كفروا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُوْنَO لا محالة فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ تمكنتم عليها راكبين عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَO الكافرين وَقُلْ عند النزول منها رَّبِّ أَنْزِلْنِيْ مُنْزَلًا مصدر، أو مكان مُّبَارَكًا بتتابع الخيرات، وكثرة الأولاد وَّأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِيْنَO إِنَّ فِيْ ذَالِكَ في نجاة الموحدين، وهلاك المشركين لَآيَاتٍ وَّإِنْ [ص534] كُنَّا لَمُبْتَلِيْنَO مخففة من مثقلة، وضمير الشأن محذوف، أي: لمصيبين قومه ببلاء، أو ممتحنين قومه بهذا الإرسال ثُمَّ أَنْشَأْنَا خلقنا مِنْ بَعْدِهِمْ بعد قوم نوح قَرْنًا آخَرِيْنَO أي: قوما، أو أهل قرن، وهم عاد؛ قوم هود، وهو الأصح، وقيل: ثمود؛ قوم صالح فَأَرْسَلْنَا فِيْهِمْ رَسُوْلًا هودا عليه السلام مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ أي:

1- الزجاج رحمه الله تعالى: بفتح الزاى والألف بين الجيمين الأولى مشددة، هذا الاسم لمن يعمل الزجاج، والمشهور بهذه النسبة أبو إسحاق إبراهيم ابن السري بن سهل النحويّ، الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب. أبو سعد: المرجع السابق. 273/6.

بأن عبدوه مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُوْنَO ع عقابه، فتؤمنون وَقَالَ الْمَلَاءُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ بالمصير إليها وَأَتْرَفْنَاهُمْ نعمنا هم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا النبي صلى الله عليه وسلم إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُوْنَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُوْنَO وَالله لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُوْنَO مغبوتون، جواب قسم؛ يدل على جواب الشرط أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَّعِظَامًا أَنَّكُمْ تأكيد لمكان الفصل بالظرف مُّخْرَجُوْنَO من الأجداث للحساب هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ اسم فعل، بمعني بعد، أي: بعد التصديق أو الوقوع لِمَا تُوْعَدُوْنَO من البعث والجزاء، واللام إن كانت زائدة فهو فاعل إِنْ أي: ما هِيَ الحياة إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنَحْيَا يموت بعض، ويولد بعض وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَO بعد الموت إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا بدعوى النبوة، وخبر البعث وَّمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِيْنَO قَالَ رَبِّ انْصُرْنِيْ بِمَا كَذَّبُوْنِO قَالَ عَمَّا قَلِيْلٍ عن زمان قليل، وما زائدة، أو نكرة موصوفة، بمعنى شيء، أو زمن وقليل بدل من ما، والله لَّيُصْبِحُنَّ ليصيرن نَادِمِيْنَO على الكفر والتكذيب [ص535] فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ بالعدل فَجَعَلْنٰهُمْ غُثَاءً كالتبن، الذي يطرحه الماء إلى الطرف فيسود ويبلي فَبُعْدًا إهلاكا، أو بعدا عن رحمة لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO ثُمَّ أَنْشَأْنَا خلقنا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوْنًا آخَرِيْنَO أقواما، قوم صالح ولوط وشعيب مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا بأن يموت قبله وَمَا يَسْتَأْخِرُوْنَO عن الأجل، ذكر الضمير رعاية للمعنى ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاً متواترين، واحدا بعد واحد بزمان طويل، يتبع بعضهم بعضا، من الوتر؛ وهو الفرد، قلبت الواو تاءا، كتراث في وارث، والألف للتأنيث، كسكرى، لأن الرسل جماعة، لا ينون لمنع الصرف؛ ومن صرف جعل ألفه للإلحاق، كأرطى، وعلى الكل منصوب على الحال كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُوْلُهَا كَذَّبُوْهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا في الإهلاك وَّجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيْثَ يسمر بها، ويتعجب منها، جمع أحدوثة، وهي ما يتحدث بها تلهيا وتعجبا فَبُعْدًا عن الرحمة، أو هلاكا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَO ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوْسَى وَأَخَاهُ هَارُوْنَ بِآيَاتِنَا التسع وَسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍO بيّن إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوْا عن قبول الإيمان ترفعا كَانُوْا قَوْمًا عَالِيْنَO متكبرين، وقاهرين على بني إسرائيل فَقَالُوْا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا أي: بنو إسرائيل لَنَا عَابِدُوْنَO مطيعون فَكَذَّبُوْهُمَا فَكَانُوْا مِنَ الْمُهْلَكِيْنَO بالغرق وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة بعد هلاك فرعون لَعَلَّهُمْ أي: قوم موسى عليه السلام يَهْتَدُوْنَO به وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ أي: عيسى عليه السلام وَأُمَّهُ مريم آيَةً ولم يقل آيتين، لأن ولادته من غير فحل آيتهما وَّآوَيْنَاهُمَا أي: جعلنا منزلهما إِلَى رَبْوَةٍ أرض مرتفعة، وهي [ص536] بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أو مصر ذَاتِ قَرَارٍ وَّمَعِيْنٍO ع بيان الربوة، أي: ذات مستقر مستوية، وذات ماء ظاهر، مفعول، أي: مدرك بالعين؛ من عان يعين، أو فعيل من الماعون، وهي المنفعة يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كل رسول نودي في زمانه بهذا الحكم،

فهو كما مر مجمع عليه، فهو صلى الله عليه وسلم أحق أن يعمل به، فكان عليه السلام يأكل من الغنائم، وعيسى عليه السلام من غزل أمه كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ الحلالات، أو المستلذات، فالأمر للتكليف، أو الإباحة وَاعْمَلُوْا صَالِحًا على وفق الشرائع إِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌO وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ دينكم الإسلام أُمَّةً وَّاحِدَةً دينا واحدا، منصوب على الحالية وَّأَنَا رَبُّكُمْ وحدي فَاتَّقُوْنِO فخافوني عن المخالفة فَتَقَطَّعُوْا أي: أهل الكتاب أَمْرَهُمْ أي: أمر دينهم بَيْنَهُمْ زُبُرًا جمع زبور، خربا خربا، فاختلف اليهود والنصارى وغيرهم في أمر دينهم، وجعلوا الدين الواحد أديانا مختلفة كُلُّ حِزْبٍ فرقة بِمَا لَدَيْهِمْ من الدين، أو الرأي فَرِحُوْنَO مسرورون، معتقدين أنهم على الحق فَذَرْهُمْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كفار مكة فِيْ غَمْرَتِهِمْ غفلتهم حَتَّى حِيْنٍO حتّى موتهم أَيَحْسَبُوْنَ أَنَّمَا ما بمعنى الذي نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَّبَنِيْنَO نُسَارِعُ نعاجل لَهُمْ به، خبر أن، أي: العائد محذوف في الخبر فِي الْخَيْرَاتِ مجازات لأعمالهم بَلْ لَّا يَشْعُرُوْنَO أن هذه المسارعة منا بالكرامة ليست مجازات لأعمالهم الخبيثة، بل على سبيل الاستدراج والتمهيل والإغفال إِنَّ الَّذِيْنَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ من خوفه مُّشْفِقُوْنَO خائفون من عذابه وَالَّذِيْنَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ أي: القرآن يُؤْمِنُوْنَO يصدقون به [ص537] وَالَّذِيْنَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُوْنَO معه غيره وَالَّذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَاآتَوْا يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وَّقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ خائفة أن لا يقبل منهم أَنَّهُمْ يقدّر لام الجرّ قبل أنَّ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُوْنَO وخبر إِنَّ الَّذِيْنَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ... إلخ أُولٰئِكَ يُسَارِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا لأجلها سَابِقُوْنَO في علم الله، أو في الطاعة، أو الثواب، أو الجنة وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا بأوصاف مسارعي الخيرات إِلَّا وُسْعَهَا قدر طاقتها، فمن لم يستطع على القيام في الصلاة فليجلس. ومن لم يستطع على الصوم فليفطر؛ تسهيلا على النفوس وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَّنْطِقُ بِالْحَقِّ اللوح المحفوظ، أو صحيفة الأعمال يبين حالاتهم بالعدل وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بنقصان الثواب، أو زيادة العذاب بَلْ قُلُوْبُهُمْ أي: قلوب الكفار فِيْ غَمْرَةٍ حيرة جهالة وغفلة مِّنْ هٰذَا القرآن، أو مما عليه المسارعون في الخيرات وَلَهُمْ أَعْمَالٌ خبيثة مِّنْ دُوْنِ ذَالِكَ سوى الشرك هُمْ لَهَا عَامِلُوْنَO فيعامل معهم حسب أعمالهم حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيْهِمْ منعميهم بِالْعَذَابِ الجوع؛ حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ))[1]، فقحطوا حتّى أكلوا الجيف والعظام

---

1 – (أ) البخاري: المصدر السابق. كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، رقم الحديث: 804. 160/1.

(ب) ابن ماجة: المرجع السابق. كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر، رقم الحديث: 1244. 394/1.

المحرقة، أو القتل يوم بدر إِذَا هُمْ يَجْئَرُوْنَO يستغيثون بالصراخ، يقال لهم: لَا تَجْئَرُوا لا تستغيثوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا من جهتنا لَا تُنْصَرُوْنَO بدفع العذاب عنكم قَدْ كَانَتْ آيَاتِيْ أي: القرآن تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُوْنَO ترجعون، قهقرى إلى الكفر مَسْتَكْبِرِيْنَ حال من [ص538] تنكصون، مستكبرين عن الإيمان وأهله بِهِ بالبيت الحرام، قائلين: لا يظهر علينا أحد، لأنا أهل الحرام آمنين بخلاف سائر الناس في مواطنهم، أو بالقرآن المدلول عليه بآياتي، ومعنى الاسكتبار حينئذ التكذيب بالقرآن، يجوز أن يتعلق الباء بقوله: سَامِرًا يقصون بالليالي طعن القرآن بالسحر والشعر تَهْجُرُوْنَO تعرضون عن القرآن، وتهزؤن في شأنه، والهجر بالضم: الفحش أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ القرآن حتّى يومنؤا بأنه من عند الله، ومن أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِيْنَO من الكتاب والرسول، فإنه قد جاءهم الكتاب والرسول فأمنوا بهما كإسماعيل عليه السلام وأعقابه كانوا يصدقون الكتاب والرسول، فلم يقتدوا بآباءهم أَمْ لَمْ يَعْرِفُوْا رَسُوْلَهُمْ بأوصاف يستحق بها الرسالة كالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الإخلاق، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أحاط بها، بما لا مرتد عليه فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُوْنَO مع فيه من جميع الأوصاف بغيا وحسدا وعنادا أَمْ يَقُوْلُوْنَ بِهِ جِنَّةٌ وليس كذلك بل أرجحهم عقلا وأوثقهم ذهنا بَلْ للانتقال جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ بالقرآن المشتمل على التوحيد والشرائع وَأَكْثَرُهُمْ إذ بعضهم عرفوا الحق؛ ولم يؤمنوا استنكافا أو خوفا من المشركين كأبي طالب وغيره لِلْحَقِّ كَارِهُوْنَO وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أي: الله أو القرآن أَهْوَاءَهُمْ كما يقولون بالشركاء والولد والبنات لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وغير ذوي العقول تابعهم لوجود التمانع عند تعدد الحاكم بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ بالقرآن الذي فيه [ص539] ذكرهم وشرفهم، لأن الرسول منهم والكتاب بلغتهم فَهُمْ عِنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُوْنَO لايلتفتون إليه أَمْ تَسْئَلُهُمْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام خَرْجًا أي: جزاء مؤنة إبلاغ فَخَرَاجُ رَبِّكَ فعطاءه في الدارين خَيْرٌ لك من خرجهم إياك وَّهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَO فيه تقرير الخيرية وَإِنَّكَ لَتَدْعُوْهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍOالربع طريق مستقيم، أي: دين الإسلام وَإِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ الحق لَنَاكِبُوْنَO لعادلون. لما أخذهم الله تعالى بالقحط حتّى أكلوا العلهز، قال أبو سفيان: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، وإنك تزعم إنك بعثت رحمة للعالمين، فنزلت: وَلَوْ رَحِمْنَا هُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ بأهل مكة مِّنْ ضُرٍّ قحط سبع سنين لَّلَجُّوْا لتمادوا فِيْ طُغْيَانِهِمْ ضلالتهم يَعْمَهُوْنَO يترددون وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ بالقتل في البدر فَمَا اسْتَكَانُوْا لِرَبِّهِمْ فما ابتهلوا بل أقاموا على عتوهم، استبكان استفعل من الكون، أي: انتقل من كون إلى كون، كاستحال، أي: انتقل من حال إلى حال وَمَا يَتَضَرَّعُوْنَO حَتَّى ابتدائية إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيْدٍ وهو

الجوع، فإنه أشد من القتل والأسر إِذَا هُمْ فِيْهِ مُبْلِسُوْنَO٤ آئسون من كل خير وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَ أي: خلق لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ القلوب قَلِيْلًا مَّا ما مزيدة، لتأكيد القلة تَشْكُرُوْنَO الله بسبب صرفكم، هذه الآيات في غير مصرفها وَهُوَ الَّذِيْ ذَرَأَكُمْ خلقكم ونشركم بالتناسل [ص540] فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO تبعثون وَهُوَ الَّذِيْ يُحْيِ وَيُمِيْتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بالتعاقب أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO فتستدلوا به على وجود الصانع، وتوحيده، وقدرته على البعث بَلْ قَالُوْا من غير تدبر وتفكر مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُوْنَO قَالُوْا أي: الأولون ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَO ليس الأمر كذلك لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا البعث مِنْ قَبْلُ أي: قبل مجيئ محمد صلى الله عليه وسلم إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO جمع أسطورة، كالأعاجيب جمع أعجوبة، أي: أكاذيب الأولين، وقيل: جمع أسطار جمع سطر قُلْ لهم لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهَا من الخلق، أجيبوا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO خالقها ومالكها سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ لأنهم مقرون، بأنه الخالق قُلْ أَفَلَا تَذَكَرُوْنَO إذاً، إن القادر على البدء قادر على الإعادة، وهو وحيد، لا يشرك به شيء من مخلوقاته قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ معناه: لمن السماوات السبع؟ ولمن العرش العظيم؟ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِO أي: فلك الأفلاك سَيَقوْلُوْنَ لِلّٰهِ السؤال يقتضي الله بدون الجارة لكن جيئ بها نظرا إلى المعنى، أي: السماوات والعرش العظيم لمن؟ وقس عليه الثاني قُلْ أَفَلَا تَتَّقُوْنَO عن الشرك وإنكار البعث قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ الواو والتاء للمبالغة، فينبئ عن عظم الملك وَّهُوَ يُجِيْرُ يغيث ويحمي وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ أي: لايغاث عليه، ولا يحمى عنه، لانه يصرف في ملكه كيف يشاء إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُوْنَO تخدعون عن الحق والرشد، والخادع هو الشيطان، وهوأهم بَلْ [ص541] أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ لنفي الشريك والولد والبنات صدقا وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَO في إثبات الأباطيل مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَّلَدٍ وَّمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا أي: إذ لو كان معه إلٰه لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ ومنع استيلاء غيره وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مغالبة، كما ترى في ملوك الدنيا سُبْحَانَ اللّٰهِ تنزيها له عَمَّا يَصِفُوْنَO الله به عَالِمِ الْغَيْبِ صفة الله وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى فتعظم عَمَّا يُشْرِكُوْنَO٤ من الأصنام وغيره قُلْ رَّبِّ إِمَّا أدغمت نون إن الشرطية في ميم ما الزائدة تُرِيَنِّيْ مَا يُوْعَدُوْنَO به من العذاب في الدنيا، أو في الآخرة رَبِّ معترضة للتأكيد فَلَا تَجْعَلْنِيْ جزاء الشرط فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO أي: إن كان لابد أن تريني من عذابهم، فلا تجعلني قريبا لهم، فتدركني النقمة بشومهم وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ من العذاب لَقَادِرُوْنَO فلا وجه للضحك والإنكار على الوعد إِدْفَعْ بِالَّتِيْ بالخصلة هِيَ أَحْسَنُ وهي الصفح والإعراض السَّيِّئَةَ أذا هم، قيل: هذا منسوخ بآية السيف نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُوْنَO لي ولك فنجازيهم عليه وقت الجزاء وَقُلْ رَّبِّ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِO نزغاتها بالوساوس للمعاصي، جمع همزة، وهي الخنس كما

تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي وَأَعُوْذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوْنِO في أموري أو حولي لسوء محضرهم حَتَّى إبتداية إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ فرأى مقري الرهب والرغب قَالَ هربا عن الرهب وطلبا للرغب رَبِّ ارْجِعُوْنِO ردني إلى الدنيا، والجمع للتعظيم في مخاطبة الله، كما يخاطب الملوك لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا شهادة أن لا إله إلا الله [ص542] فِيْمَا تَرَكْتُ أي: في الدنيا كَلَّا كلمة ردع، أي: لا رجوع أصلا إِنَّهَا أي: رب ارجعون كَلِمَةٌ هُوَ الكافر الميت قَائِلُهَا حسرة وندامة وَمِنْ وَّرَائِهِمْ أمامهم بَرْزَخٌ حاجز حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَO ولا رجوع بعده إلا إلى الحشر فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يتفاخرون بها يَوْمَئِذٍ وَّلَا يَتَسَاءَلُوْنَO بعضهم عن بعض لشدة الهول، وقد يفيقون في بعض مواطن القيامة، فيتساءلون بينهم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَّتَسَاءَلُوْنَ﴾[1] فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ بالحسنات، جمع موزون فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO الفائزون وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ بالسيئات فَأُولَئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ فهم فِيْ جَهَنَّمَ خَالِدُوْنَO تَلْفَحُ تحرق وُجُوْهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيْهَا كَالِحُوْنَO الكلوح: تقلص الشفتين عن الأسنان، أي: عايسون، ويقال لهم: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِيْ من القرآن تُتْلَى عَلَيْكُمْ في الدنيا فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُوْنَO قَالُوْا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا أي: ملكتنا شِقْوَتُنَا أي: الشقاوة الأزلية وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّيْنَO لسبق القول فينا بالضلالة رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا من النار فَإِنْ عُدْنَا إلى المخالفة فَإِنَّا ظَالِمُوْنَO قَالَ قال الله تعالى بلسان الملائكة في جوابهم بعد مضى قدر الدنيا مرتين: اخْسَئُوْا اسكتوا سكوت ذلة وهوان فِيْهَا في جهنم وَلَا تُكَلِّمُوْنِO في الإخراج بعد هذا غير الشهيق والزفير إِنَّهُ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْ عِبَادِيْ أي: المهاجرون؛ منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان رضي الله عنهميَقُوْلُوْنَ رَبَّنَاآمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِيْنَO [ص543] فَاتَّخَذْتُمُوْهُمْ سِخْرِيًّا مصدر بمعنى الهزء حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِيْ صاروا بسبب إنساءكم تذكيري وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُوْنَO استهزاءا بهم إِنِّيْ جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوْا على أذيكم النعيم المقيم أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُوْنَO بمطالبهم قَالَ تعالى بلسان مالك: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ في الدور والقبور عَدَدَ سِنِيْنَO تمييز قَالُوْا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ استقصار الأيام الراحة، أو شدة العذاب أذهلت، أو الخلود يستحقره فَسْئَلِ الْعَادِّيْنَO الحساب المحصين أعمال الخلائق وأعمارهم قَالَ تعالى لهم بلسان مالك: إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيْلًا مما تقولون لَّوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO تفاوت ما بين الماكثين في الديار وفي النار، فإن ما مضى أقصر من بعض اليوم، كما بقي لكم من الخلود في النار أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَا كُمْ عَبَثًا بلا حكمة، ولا تكليف، ولا سؤال معكم وَّأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُوْنَO بعدم البعث في ظنكم فَتَعَالَى اللهُ عن العبث الْمَلِكُ الْحَقُّ صاحب الملك الثابت من غير زوال لَا إِلَهِ إِلَّا هُوَ رَبُّ

---

1 – سورة الصافات، الآية: 27.

الْعَرْشِ الْكَرِيْمِO صاحبه، لأنه أكرم الأكرمين، أو تنزل الرحمة منه فهو الكريم وَمَنْ يَّدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا أٰخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ معترضة بين الشرط والجزاء، أي: لا حجة له بهذا الدعوى فَإِنَّمَا حِسَابُهُ جزاؤه عِنْدَ رَبِّهِ الفاء جزائية إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُوْنَO لا يفوزون إلى المقصود وَقُلْ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ فيه زيادة على المغفرة وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِيْنَOع أفضلهم رحمة، لأنها كافية.

سورة النور مدنية، وهي ستون وأربع آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص544] هذه سُوْرَةٌ جامعة لجملة آيات مترجمة من سور المدنية أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا أي: أحكامها وَأَنْزَلْنَا فِيْهَا آيَاتٍ دلائل بَيِّنَاتٍ واضحات لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَO تتعظون الزَّانِيَةُ وَالزَّانِيْال موصولة؛ متضمنة لمعنى الشرط، ولذا دخلت الفاء في الخبر، والمراد: حر غير بالغ عاقل مسلم، له نكاح صحيح ودخول، لأن المحصن حكمه الرجم فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ الجلد: بالفتح؛ ضرب الجلد، بالكسر وتعريب عام، منسوخ بالآية، لأن الجزاء اسم للكافي، هذا عندنا، وعند الشافعي رحمه الله تعالى يزاد تغريب عام بالسنة وَّلَا تَأْخُذْكُمْ أيها الحكام بِهِمَا رَأْفَةٌ رحمة فِيْ استيفاء دِيْنِ اللهِ أي: حكمه، بأن تتركوا أو تخففوا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أي: البعث، ففي هذا الشرط تحريص على ما قبله، فهو الجزاء أو دال عليه وَلْيَشْهَدْ ليحضر عَذَابَهُمَا موضع الحد طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَO أقلها ثلاثة، أو أربعة، أو من أربعة إلى أربعين؛ ليحصل التشهير الزَّانِيْ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً أي: لا يرغب إلا فيهما، لا في صالحة وَّالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا أي: لا يرغب فيها إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ لا صالح، فإن المشاكلة علة الألفة؛ والمخالفة سبب المنافرة. نزل في فقراء المهاجرين، قصدوا نكاح بغايا المشركين، وهن مؤسرات؛ لينفقن عليهم، فالتحريم خاص لهم، أو عام، ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾[1]، وفي الآية تزهيد في نكاح البغايا، إذ الزنا عديل الشرك في القبح، وللإيمان قرين العفاف والتحصن وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَO لأنه تسبب للطعن في الصلاح والنسب وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ بالزنا الْمُحْصَنَاتِ والمحصنين ثُمَّ لَمْ يَأْتُوْا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ أو يشهدون [ص545] على الزنا، وفي غير الزنا يكفيه اثنان فَاجْلِدُوْهُمْ ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً إن كان القاذف حرا لَا تَقْبَلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً في شيء أَبَدًا فرد الشهادة من تتمة الحد، ويتعلق باستيفاء الحد وبعضه، وعند الشافعي يتعلق بنفس القذف وَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO مستأنف حكاية حال الرامين عند الله إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا استثناء من الفاسقين، وهو كلام موجب فنصب، وعند الشافعي رحمه الله تعالى استثناء

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة النور، الآية: 32.

من الجملة الثانية فيجر بدلا عن الضمير في لهم مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ القذف وَأَصْلَحُوْا أحوالهم فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لهم قذفهم رَّحِيْمٌO بإلهام التوبة وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ أَزْوَاجَهُمْ بالزنا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ للرامين شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ بدل من شهداء فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ بالرفع على أنه خبر، فشهادة أحدهم، وقيل: بالنصب، لأنه في حكم المصدر بالاضافة إلى المصدر، والعامل فيه المصدر، أي: شهادة أحدهم إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِيْنَO فيما رمى زوجة من الزنا وَالشهادة الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ على الرامي إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَO فيما رماها من الزنا وَيَدْرَؤُوْا ويدفع عَنْهَا عن المرأة الْعَذابَ الحبس أو حد الزنا أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ أي: الزوج لَمِنَ الْكَاذِبِيْنَO فيما رماني به من الزنا وَالْخَامِسَةَ عطف على أربع شهادات بالله أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا على الزوجة إِنْ كَانَ الزوج الرامي مِنَ الصَّادِقِيْنَO فيما رماني به من الزنا، ولم يقل لعنة الله؛ كما قال الزوج لكثرة جريها على ألسنتهن، فيمكن التجاسر عنها باللعن؛ بخلاف الغضب؛ ليكون رادعا لهن [ص546] وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بالستر لفضحكم وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ يقبل توبة العباد حَكِيْمٌOع في تبيين الحق والحكم. روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق، فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي، فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان المعطل السلمي رضي الله عنه[1] بعيره، وساقه حتّى أتاهم بعد ما نزلوا، فهلك فيَّ من هلك، فاعتللت شهرا، وكان عليه الصلاة والسلام يسأل: كيف أنت؟ ولا أرى منه لطفا، كنت أراه حتّى عثرت خالة أبي؛ أم مسطح رضي الله عنها[2]، فقالت: تعس مسطح فأنكرت عليها، فأخبرتني بالإفك، فلما سمعت ازددت مرضا، أبت عند أبوي، لا يرقاء بي دمع، ولا أكتحل بنوم حتّى قال عليه السلام: ((ابْشِرِي يَا حَمْرَاءُ! فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ))[3]، فقلت: بحمد الله

---

1 – صفوان المعطل السلمي رضي الله عنه: هو صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعي بن هلال بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، يكنى: أبا عمرو الذكواني، مات بشمشاط، وهو ابن بضع وستين، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ما علمت منه إلا خيرا. الأصبهاني: المرجع السابق. 1499/3.

2– أم مسطح رضي الله عنها: هي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. وأمها ريطة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. تزوجها أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فولدت له مسطحا من أهل بدر وهندا. وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها. ابن سعد: المرجع السابق. 182/8.

3 – ذكر المؤلف كلمة "يا حميراء"، وفي الحديث "يا عائشة" لفظه للبخاري. ((ابْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ)). (أ) البخاري: المرجع السابق. كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ

لا بحمدك، فقرء: إِنَّ الَّذِيْنَ جَاءُوْا بِالْإِفْكِ هو الصرف لغة، والمراد أسوء الكذب بقذف عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين عُصْبَةٌ جماعة من العشرة الى أربعين، وكذالك عصابة منهم عبد الله بن أبي؛ رأس المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت رضي الله عنه[1]، ومسطح بن أثاثة رضي الله عنه[2]، أمه، وأم أبي بكر رضي الله عنهما[3]، أختان من أب وأم، وحمنة بنت جحش رضي الله عنها[4] مِّنْكُمْ أيها المؤمنون! والمراد: سوي العصبة، أي: الذين ساءهم الإفك، وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون المؤمنين لَا تَحْسَبُوْهُ الضمير إلى الإفك شَرًّا لَّكُمْ عنده تعالى بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ للثواب على الغم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ من العصبة مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ على حسب خوضه في الإفك؛ فمنهم من سكت، ومنهم من تكلم، ومنهم من ضحك وَالَّذِيْ تَوَلّٰى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي بن سلول تحمل معظم الإفك، فإنه قال: إذا مر صفوان بهودجها عليه وهو في قومه، والله ما نجى منها، وما نجت منه مِنْهُمْ من العصبة [ص547] لَهُ عَذَابٌ عَظِيْمٌO بالنار في الآخرة، وفي الدنيا بحد القذف، والطرد، وشهرة صفة النفاق لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوْهُ أي: الإفك ظَنَّ الْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا صلاحا وعفافا، كعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وَّقَالُوْا هٰذَا إِفْكٌ مُّبِيْنٌO كذب بيّن، لا يليق بها لَوْلَا هلا جَاءُوْا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ كما هو دأب شهداء الزنا، إن كانوا صادقين في دعواهم فَإِذْ لَمْ يَأْتُوْا

رَحِيمٌ﴾، رقم الحديث: 4757. 107/6. (ب) الترمذي: المرجع السابق. أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة النور، رقم الحديث: 3180. 332/5.

1 – حسان بن ثابت رضي الله عنه: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اهجهم وجبريل معك. ثم قال اللهم أيده بروح القدس. مات أيام قتل على بن أبى طالب بالمدينة؛ وهو بن مائة وعشرين سنة. سنه وسن أبيه وجده سواء. البُستي: المرجع السابق. ص: 32.

2 – مسطح رضي الله عنه: هو مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف كنيته أبو عبادة ممن شهد بدرا توفى بالمدينة سنة أربع وثلاثين وهو بن ست وخمسين سنة. البُستي: المرجع السابق. ص: 32.

3 – أم أبي بكر رضي الله عنهما: هي أم الخير بنت صخر أم أبي بكر الصديق، واسمها: سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، توفي أبو بكر فورثه أبوه أبو قحافة، وأم الخير، ثم توفيت أم الخير قبل أبي قحافة، أسلمت في أول الدعوة مع ابنها أبي بكر رضي الله عنهم. أبو نعيم: المرجع السابق. 3490/6.

4 – حمنة بنت جحش رضي الله عنها: هي، وأختها أم حبيبة بنت جحش، وهي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم. وكانت حمنة زوج مصعب بن عمير، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدا وعمران ابني طلحة. ابن الأثير: المرجع السابق. 69/6.

بِالشُّهَدَاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللهِ في حكمه وشريعته هُمُ الْكَاذِبُوْنَO في دعوى الإفك، فهم القاذفون حقا وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا بتوفيق التوبة وَالْآخِرَةِ بالعفو لَمَسَّكُمْ فِيْ مَا أَفَضْتُمْ فِيْهِ أي: خضتم فيه عَذَابٌ عَظِيْمٌO إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُوْلُوْنَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ أي: يأخذه بعض من بعض، ويرويه راو عن راو، لإشاعة الفاحشة خائضين قائلين: هل بلغك حديث عائشة رضي الله عنها؟ حتّى شاع وَّتَحْسَبُوْنَهُ خوضكم في عائشة رضي الله عنها هَيِّنًا صغيرة وَّهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيْمٌO كبيرة وَلَوْلَا أي: هلّا إِذْ سَمِعْتُمُوْهُ بأول سماع الإفك قُلْتُمْ مَّا يَكُوْنُ ما ينبغي لَنَا أَنْ نَّتَكَلَّمَ بِهٰذَا الإفك لبعده عن مظان المؤمنين سُبْحَانَكَ تعجبا من عظم الأمر هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيْمٌO كذب عظيم، يهبت السامع يَعِظُكُمُ اللهُ ينهاكم الله أَنْ تَعُوْدُوْا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إلى آخر الحياة إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO تتعظون بذلك وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ في الأمر والنهي وَاللهُ عَلِيْمٌ بسر المأمور والمنهي حَكِيْمٌO على وفق علمه بمصالح العباد [ص548] إِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ أي: القبيح جدا فِي الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ فِي الدُّنْيَا بالحد، ولقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم في عبد الله بن أبي وحسان ومسطح وَالْآخِرَةِ بالنار وَاللهُ يَعْلَمُ ما في صدورهم من الإفشاء والإشاعة وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَO وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ أيها الخائضون وَرَحْمَتُهُ لعجل لكم العذاب وَأَنَّ اللهَ رَءُوْفٌ حيث أظهر براءة المقذوفة رَّحِيْمٌOع النصف حيث غفر جناية القاذف بعد إقامة الحد، والتوبة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْالَا تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ طرق تزئينه بالوساوس في إصغاء قول الإفك وَمَنْ يَّتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ أي: الشيطان يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ القبيح المفرط وَالْمُنْكَرِ ما لا ترضيه الشرع وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بالتوبة مَا زَكَى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ما طهر من دنس إثم الإفك إلى آخر الدهر وَّلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّيْ يطهر مَنْ يَّشَاءُ من الذنوب وَاللهُ سَمِيْعٌ بأقوالكم عَلِيْمٌO بنياتكم. حلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن لا ينفق على ابن خالته مسطح المسكين المهاجر البدري؛ لما خاض في الإفك بعد إن كان منفقا عليه، وكذلك ناس من الصحابة حلفوا أن لا يتصدقوا على الخائضين في الإفك، نزل فيهم: وَلَا يَأْتَلِ أي: لا يحلف؛ افتعال من الإلية، أو لا يقصر من الألو أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ في الدين، فيه دليل على شرف أبي بكر رضي الله عنهمن بين الصحابة رضي الله عنهم وَالسَّعَةِ في الدنيا أَنْ يُّؤْتُوْا أي: لا يؤتوا؛ إن كان من الإلية أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِيْنَ وَالْمُهَاجِرِيْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَلْيَعْفُوْا ليستروا ما فرط منهم وَلْيَصْفَحُوْا لتعرضوا [ص549] عن الجفاء والعقوبة أَلَا تُحِبُّوْنَ أَنْ يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ أي: ليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم، فقال أبو بكر رضي الله: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورد إلى مسطح نفقته وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO فتأدّبوا بآدابه إِنَّ الَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ بالزنا الْمُحْصَنَاتِ العفائف الْغَافِلَاتِ عن الفواحش وخطورها الْمُؤْمِنَاتِ بالله ورسوله لُعِنُوْا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ بعدوا عن رحمته تعالى وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO إن أريد بالمحصنات أزواج النبي عليه السلام، فالقاذف ملعون؛ تاب أو لم يتب، قاله ابن عباس رضي الله عنه، مبالغة في أمر الإفك، وإن أريد مطلق العفائف فالقاذف ملعون إن لم يتب، ولو فتشت وعيد القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في الإفكين في عائشة رضي الله عنها يَّوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ظرف لمعنى استقر المفهوم من قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾[1] وَأَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO من القول والفعل يَوْمَئِذٍ يُّوَفِّيْهِمُ اللهُ دِيْنَهُمُ حسابهم وجزاءهم الْحَقَّ الثابت؛ الذي كانوا يشكون فيه وَيَعْلَمُوْنَ عند ذلك أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِيْنُO لارتفاع الشكوك في ذلك اليوم اَلْخَبِيْثَاتُ من الأزواج، أو الكلمات لِلْخَبِيْثِيْنَ من الناس وَالْخَبِيْثُوْنَ من الناس لِلْخَبِيثَاتِ منهما وَالطَّيِّبَاتُ من الأزواج، أو الكلمات لِلطَّيِّبِيْنَ من الناس وَالطَّيِّبُوْنَ من الناس لِلطَّيِّبَاتِ منهما أُولٰئِكَ الطيبون والطيبات؛ منهم صفوان ومنها عائشة رضي الله عنها مُبَرَّءُوْنَ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ الخبيثون والخبيثات لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌOع افتخرت عائشة رضي الله عنهابأشياء؛ منها: خلقت طيبة عند طيب، ووعدت مغفرة ورزقا كريما [ص550] يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوْتًا غَيْرَ بُيُوْتِكُمْ لسكني حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوْا تستأذنوا بتسبيحة، أو تكبيرة، أو تحميدة، أو تنحنح وَتُسَلِّمُوْا عَلَى أَهْلِهَا فيقول: السلام عليكم، ((أَ أَدْخُلُ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنْ أُذِنَ دَخَلَ، وَإِلَّا رَجَعَ))، كذا في الحديث[2]. وإن تلاقيا يقدم التسليم، وإلا فالاستيذان والتسليم ذَالِكُمْ الاستيذان والتسليم خَيْرٌ لَّكُمْ من الأمور، أي: الدخول بغير إذن وتحية؛ كما في الجاهلية لَعَلَّكُمْ تَذَكَرُوْنَO تتعظون فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوْا فِيْهَا في البيوت أَحَدًا يأذن لكم فَلَا تَدْخُلُوْهَا ولو كان بكم حاجة إلى الدخول حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيْلَ لَكُمُ بعد الاستيذان ارْجِعُوْا فَارْجِعُوْا هُوَ الرجوع أَزْكَى لَكُمْ خير لكم من القعود على الباب وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ من الدخول بإذن وبلا إذن عَلِيْمٌO فيجازيكم به لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوْابُيُوْتًا غَيْرَ مَسْكُوْنَةٍ فِيْهَا مَتَاعٌ منفعة لَّكُمْ كالخانات والربط وحوانيت التجار، فإنها موضوعة للاستكنان من الحر والبرد وإيواء السلعة والرحال والبيع والشراء وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ تظهرون وَمَا تَكْتُمُوْنَO تخفون من الصلاح والفساد، وعيد لمن دخل للفساد، وتطلع العوارت قُلْ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصارِهِمْ زائدة أو للتبعيض، عمن لا يحل لهم النظرة إليها وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُمْ عن الزنا، وما لا يجوز ذَالِكْ الحصر من البصر والفرج أَزْكَى خير لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَO من هذين العضوين وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عمن لايحل لهن نظرة وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ عمن

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة، الآية: 7.

2 – البيضاوي: المرجع السابق. 103/4.

لايحل فعله بها وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ [ص551] أي: مواضعها من حلي، أو كحل، أو خضاب إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عادة؛ وهو الوجه والكف والقدم وَلْيَضْرِبْنَ وليضعن بِخُمُرِهِنَّ جمع خمار عَلَى جُيُوْبِهِنَّ الواسعة حتّى يغطين بها ما يبدء من صدورهن وما حواليها وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ أي: موضعها من الرأس والصدر والساق إِلَّا لِبُعُوْلَتِهِنَّ لأزواجهن؛ جمع بعل أَوْ آبَائِهِنَّ دخل فيهم الأجداد أَوْ آبَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ بصيرورتهم محارم أَوْ أَبْنَائِهِنَّ ويدخل فيهم النوافل أَوْ أَبْنَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ فقد صاروا محارم أيضا أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيْ أَخَوٰتِهِنَّ ويدخل فيهم النوافل، وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة أَوْ نِسَائِهِنَّ أي: الحرائر أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أي: الإماء لا العبيد، خصيا كان العبد أو فحلا، وعن عائشة رضي الله عنها إنه يشملهما أَوِ التَّابِعِيْنَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ الحاجة مِنَ الرِّجَالِ يتبعون الناس لفضل الطعام، ولا حاجة لهم إلى أمور النساء، كالمغفل؛ الذي لا يشتهي النساء، مثل البله والشيوخ والصلحاء، وفي العنين والخصي والمخنث والمجبوب خلاف أَوِ الطِّفْلِ جنس، فصلح أن يراد به الجمع، فلذا وصف بقوله: الَّذِيْنَ لَمْ يَظْهَرُوْا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أي: لم يطلعوا عليها وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِيْنَتِهِنَّ من سماع قعقعة خلخالها وَتُوْبُوْا إِلَى اللهِ جَمِيْعًا إذ لا يخلو عبد عن تقصيره في أوامره ونواهيه أَيُّهَ الْمُؤْمِنُوْنَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO ترجوا الفوز والنجاة وَأَنْكِحُوا ندبا الْأَيَامَى مِنْكُمْ [ص552] مقلوب أيايم، كيتامى جمع يتيم، أيم: وهو الغرب ذكرا كان أو أنثي، بكرا كان أو ثيبا وَالصَّالِحِيْنَ أي: المؤمنين مِنْ عِبَادِكُمْ غلمانكم وَإِمَائِكُمْ جواريكم إِنْ يَّكُوْنُوْا أي: أهل خطبة من المخاطب والمخطوبة فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ يوسعهم مِنْ فَضْلِهِ بالكفاية والقناعة، أو باجتماع الرزقين وَاللهُ وَاسِعٌ لاينفد نعمته عَلِيْمٌO بالبسط والقبض لأهلهما وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِيْنَ لَا يَجِدُوْنَ نِكَاحًا أي: ليجتهد في العفة بغض النظر والصوم؛ الذين لا يجدون المهر والنفقة حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ سأل صبيح مولاه خويطبا أن يكاتبه، فأبى، فنزلت: وَالَّذِيْن يَبْتَغُوْنَ الْكِتَابَ أي: المكاتبة مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من العبيد والإماء فَكَاتِبُوْهُمْ ندبا إِنْ عَلِمْتُمْ فِيْهِمْ خَيْرًا أمانة وديانة، أو حيلة، أو قدرة على الكسب، فيجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لإطلاق الأمر وَّآتُوْهُمْ أيها المؤمنون سهما من الزكاة مِّنْ مَّالِ اللهِ الَّذِيْ آتَاكُمْ كان لابن أبي ست جوار؛ أكرههن على البغاء؛ للطمع في المال والأولاد، وضرب عليهن الضرائب، فشكت اثنان منهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت: وَلَا تُكْرِهُوْا فَتَيَاتِكُمْ إمائكم عَلَى الْبِغَاءِ الزناء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعففا، شرط للإكره، فإنه لا يوجد بدونه، فالطيعة للبغاء لا يتصور فيها الإكراه؛ وإن جعل شرطا للنهي لا يلزم من عدم إرادة التحصن جواز الإكراه؛ لجواز أن يكون ارتفاع النهي بارتفاع المنهي عنه لِّتَبْتَغُوْا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أي: الأجور والأولاد وَمَنْ يُّكْرِهْهُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُوْرٌ [ص553] رَّحِيْمٌO لهن وبهن، أو لهم وبهم،

إذ تابوا ولعل الإكراه كان دون مرتبة اعتبرتها الشريعة، وهي التي يخاف منها التلف على النفس أو العضو، فعلي هذا كانت آثمة مستحقة للمغفرة والرحمة، أو لأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ في هذه السورة آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ موضحات للأحكام والحدود فيها وَّمَثَلًا عجبا من قصة الإفك مِّنَ جنس قصص الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَO مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِيْ دِيْنِ اللهِ﴾[1] وأمثاله اللهُ نُوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ النور في الأصل كيفية تدرك بتوسطها المبصرات، وبهذا المعنى لا يصدق عليه تعالى إلا بذو، أو على تجوز، أي: ذو نور السماوات والأرض، أو منور هما، أو موجد هما، قال ابن عباس رضي الله عنه: هادي السماوات والأرض مَثَلُ نُوْرِهِ صفة هداية في قلب المؤمن كَمِشْكَاةٍ كصفات الكوة الغير النافذة في الجدار فِيْهَا مِصْبَاحٌ أي: سراج، وقيل: الأنبوبة موضع الفتيلة المشتعلة فيها مصباح، أي: الفتيلة المشتعلة اَلْمِصْبَاحُ فِيْ زُجَاجَةٍ قنديل من الزجاج اَلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ كالمشتري والزهرة دُرِّيٌّ منصوب إلى الدر لفرط الضياء والصفاء يُّوْقَدُ المصباح مِنْ ابتدائية، زيت شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ كثيرة المنافع، أو نابتة في أرض مباركة؛ هي أرض الشام زَيْتُوْنَةٍ بدل من شجرة لَّا شَرْقِيَّةٍ وَّلَا غَرْبِيَّةٍ بل وسطية، هي أرض الشام، وأجود الزيتون فيها، وقيل: دائما الشمس تطلع عليها؛ لا عند الشروق فقط، لا عند الغروب فقط يَّكَادُ زَيْتُهَا دهنها يُضِيْءُ لصفائه [ص554] وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُوْرٍ أي: نور متضاعف، قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت، فنور الهدى ممثل بهذا النور؛ الذي تناصر فيه الأمور المذكورة، أو يقال: نور الإيمان يضيئ؛ ولو لم تمسسه نور الأعمال الصالحة يَهْدِي اللهُ لِنُوْرِهِ الممثل مَنْ يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ تقريبا إلى أفهامهم ليؤمنوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO فِيْ بُيُوْتٍ متعلق بقوله: كمشكوة، أو يوقد، وفيها تكرير، وفيه تأكيد أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهُ أي: في مساجد، أمر أن تبني، أو تعظم ويتلى فيها كتابه، أو اسمه بالتوحيد يُسَبِّحُ لَهُ فِيْهَا بِالْغُدُوِّ مصدر بمعنى الغدوات وَالْآصَالِO العشاء، وهي ما بعد الزوال، جمع أصل، جمع أصيل، فصلاة الغد الفجر، والباقي في الآصال رِجَالٌ لَّا تُلْهِيْهِمْ لا يشغلهم، صفة الفاعل تِجَارَةٌ أي: شراء وَّلَا بَيْعٌ أو المراد تجارة السفر، وبيع الحضر عَنْ ذِكْرِ اللهِ بالقلب، أو اللسان وَإِقَامِ الصَّلَاةِ أصله أقوام، الواو صارت ألفا، فحذفت إحدى الألفين للالتقاء، فبقي أقام، فأدخلت التاء عوضا، فلما أضيف أقيمت الإضافة مقام التاء، فأسقطت وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُوْنَ يَوْمًا أي: يوم القيامة تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ وَالْأَبْصَارُO تضطرب وتتغير لما فيه من الهول لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ متعلق بيَخَافُوْنَ، وقيل: يُسَبِّحُ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة النور، الآية: 2.

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوْا أحسن جزاء العمل وَيَزِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ الثواب الزائد على عملهم تفضلا وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍO ضيق وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ هو شعاع يرى في الفلاة في نصف النهار في شدة الحر، يشبه الماء الجاري، يقال: ماء يسرب، أي: يجري بِقِيْعَةٍ أرض مستوية، وقيل: جمع قاع، أي: فلاة يَّحْسَبُهُ الظَّمْآنُ يظنه العطشان مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أي: الماء المتوهم لَمْ يَجِدْهُ شيئا [ص555] مما حسبه، فخاب في شدة الحاجة وَّوَجَدَ اللّٰهَ أي: جزاء الله عِنْدَهُ عند الكافر بالعذاب، أو بالمحاسبة فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ جازاه وافيا كاملا وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِO لا يشغله حساب عن حساب، فأعمال الكفار لا تنفعهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون، قيل: نزل في عتبة بن ربيعة بن أمية كان في الجاهلية يترهب ملتمسا للدين، فلما جاء الإسلام كفر أَوْ كَظُلُمَاتٍ عطف على كسراب، فأعمالهم في الحسرة مثل المذكور في البطلان، وفقد نور الوجدان، مثل ظلمات، أو في الآخرة والدنيا كائنة فِيْ بَحْرٍ لُّجِّيٍّ عميق، منسوب إلى اللج، وهو معظم الماء يَّغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ أي: غشي البحر ومن فيها، أو من فيه موجان، وهو ما ارتفع من الماء، وعلى الفوقاني سحاب، هذه ظُلُمَاتٌ ظلمة البحر، والموج الأول، والموج الثاني، والسحاب بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ الواقع في البحر يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا أي: لم يقرب أن يراها فضلا عن إن يراها وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوْرًا هداية فَمَا لَهُ مِنْ نُوْرٍO ع اهتداء أَلَمْ تَرَ تعلم علما يوازي العيان في الإيقان أَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ بينهما صَافَّاتٍ باسطات الأجنحة أو يصففها كُلٌّ قَدْ عَلِمَ الضمير لكل، أو الله صَلَاتَهُ وَتَسْبِيْحَهُ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُوْنَO وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فإنه خالقهما؛ ولما فيهما من الكائنات وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُO مرجع الكل أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُزْجِيْ سَحَابًا جمع سحابة أي: السيوق بريح برفق إلى حيث يريد ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ بحيث يجعل القطع قطعة واحدة، وتذكير الضمير باعتبار لفظه ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا متراكما بعضها فوق [ص556] بعض فَتَرَى الْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ من فتوقة، جمع خلل، كجبال وجبل وَيُنَزِّلُ مِنَ ابتدائية السَّمَاءِ الغمام مِنْ جِبَالٍ من ماء جامد كالجبال، بدل من قوله من السماء كائنة فِيْهَا في السماء مِنْ بَرَدٍ بعض برد مفعول ينزل، أو من بيانية، وبردا مفعول ينزل محذوف فَيُصِيْبُ بِهِ بالبرد مَنْ يَّشَاءُ تعذيبه وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَّنْ يَّشَاءُ رحمته يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِO أي: لمعانه يخطف الأبصار الناظرة إليه يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يصرف فيها بالطول والقصر والحر والبرد والتعاقب إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِO الناظرة فيعلم بالبصيرة أنه موجود قديم عالم شائ قدير، لا يحتاج إلى شيء وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ كل حيوان يدب على الأرض، خلق من نطفة مختصة بذلك النوع فَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِيْ عَلَى بَطْنِهِ أي: يزحف، وإنما سمي الزحف مشيا للمشاكلة بالماشين كالحيّات والحوت والهوام وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِيْ عَلَى رِجْلَيْنِ

كالإنس والطير وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِيْ عَلَى أَرْبَعٍ كالبهائم، ويندرج فيها ماله أكثر منه كالعناكب يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO لَقَدْ أَنْزَلْنَاآيَاتٍ أي: القرآن مُّبَيِّنٰتٍ واضحات وَاللهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO دين الإسلام الموصل إلى درك الحق، بشر المنافق، خاصم يهوديا في أرض فدعاه إلى كعب بن الأشرف، ويقول محمد صلى الله عليه وسلم يحيف علينا، واليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: مغيرة خاصم عليا كرم الله وجهه، فأبى أن يحاكمه إلى الرسول عليه السلام، نزلت: وَيَقُوْلُوْنَ باللسان من [ص557] غير مواطات القلب آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُوْلِ وَأَطَعْنَا حكمهما ثُمَّ يَتَوَلَّى ثم يعرض عن انقياد هما فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذٰلِكَ القول وَمَا أُولٰئِكَ القائلون بِالْمُؤْمِنِيْنَO المخلصين وَإِذَا دُعُوْا إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وعليهم الحق لغيرهم إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُوْنَOوَإِنْ يَّكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ على غيرهم يَأْتُوْا إِلَيْهِ إلى الرسول مُذْعِنِيْنَO منقادين، مسرعين في الطاعة لعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم متصلب في إيصال الحق إلى أهله أَفِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ كفروظلم أَمِ ارْتَابُوْا أم شكوا في أمانته؛ لما رؤا منه ما يزائل وثوقهم بحكومته أَمْ يَخَافُوْنَ أَنْ يَّحِيْفَ اللهُ يظلم عَلَيْهِمْ وَرَسُوْلُهُ على الاحتمال وهذان الشقان الآخران لما أبطلهما منصب نبوته عليه الصلاة والسلام تعين الأول فقال: بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَOع الثلاثة على أنفسهم، وعلى الناس بإبطال حقوقهم بالإعراض عن حكومة النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ أي: اللائق بهم، خبر كان إِذَا دُعُوْا إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَّقُوْلُوْا اسم كان سَمِعْنَا قوله وَأَطَعْنَا أمره وَأُولٰئِكَ حينئذ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO الناجون وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ في الفرائض وَرَسُوْلَهُ في السنن وَيَخْشَ اللهَ على الذنوب في الماضي وَيَتَّقْهِ في المستقبل فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُوْنَO الجنة وَأَقْسَمُوْا بِاللهِ أي: المنافقون إنكارا للامتناع عن حكمه جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ وغايتها، وهو القسم بالله تعالى لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ بالخروج لَيَخْرُجُنَّ عن الديار والأموال قُلْ لَّا تُقْسِمُوْا على الكذب المطلوب منكم طَاعَةٌ مَّعْرُوْفَةٌ خالصة بلا ارتياب، لا اليمين الكاذبة [ص558] والطاعة النفاقية إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَO قُلْ أَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ على محمد صلى الله عليه وسلم مَا حُمِّلَ من تبليغ الرسالة، وقد أدى وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ من الامتثال بأوامره ونواهيه، وقد أعرضتم وَإِنْ تُطِيْعُوْهُ أي: محمدا صلى الله عليه وسلمتَهْتَدُوْا وَمَا عَلَى الرَّسُوْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ التبليغ للرسالة الْمُبِيْنُO البين وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّٰلِحَاتِ وأقسم لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أي: ليجعلنهم الله خليفة بدلا عن الكفار في أرضه كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كما جعل بني إسرائيل في المصر والشام بعد إهلاك الجبابرة وَلَيُمَكِنَنَّ أي: وليثبتن لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وهو الإسلام حيث أظهره على الأديان كلها وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ من الكفار أَمْنًا وقد أنجز الله وعده بفتح البلاد، وتوفيق الرشاد يَعْبُدُوْنَنِيْ

لَا يُشْرِكُوْنَ بِيْ شَيْئًا جملة مستأنفة، أو حالية وَمَنْ كَفَرَ بأنعم الله بَعْدَ ذَالِكَ الإنعام فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO وأول من كفر بهذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه؛ حيث اقتتلوا مع كونهم إخوانا وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO عطف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مُعْجِزِيْنَ الله عن إدراكهم فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ مرجعهم وَلَبِئْسَ الْمَصِيْرُOع هي، روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مدلج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه[1] إلى عمر رضي الله عنه ليدعوه وقت الظهيرة؛ وهو نائم، وقد انكشف ثوبه عنه، فقال عمر رضي الله عنه: لوددت أن الله عزوجل نهَى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعة علينا إلا بإذن، ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أنزل إليه: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا [ص559] رجالا ونساءا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِيْنَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عبيدا وإماءا وَالَّذِيْنَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ الاحتلام مِنْكُمْ أي: من الأحرار؛ وهم الأطفال ثَلَاثَ مَرَّاتٍ في ثلث أوقات في اليوم والليلة، مرة مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ومرة وَحِيْنَ تَضَعُوْنَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيْرَةِ القيلولة؛ بيان للحين وَمرة مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ هي أوقات ثلاث خلل، يختل فيها لتستركم، فإن العورة لغة الخلل، ومنه أعور لمختل العين لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ على المماليك والأطفال جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ بعد الأوقات الثلث طَوَّافُوْنَ لحوائج البيت عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ علة ترك الاستيذان فيهما وراء المرات المذكورة كَذَالِكَ كما بين حكم الاستيذان يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الأحكام الآخر وَاللهُ عَلِيْمٌ بمصالح العباد حَكِيْمٌO بما يريد وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ أي: الأحرار، لا المماليك الْحُلُمَ الاحتلام فَلْيَسْتَأْذِنُوْا في جميع الأوقات للدخول كَمَااسْتَأْذَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ أي: الأحرار البالغون كَذَالِكَ مثل ما مضي يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ أحكامه وَاللهُ عَلِيْمٌ بأحكام يليق بكم حَكِيْمٌO بمصالحكم وَالْقَوَاعِدُ جمع قاعد، لأنها من الصفات المختصة بالنساء، أي: العجائز؛ التي قعدن عن الحيض والحمل مِنَ النِّسَاءِ الَّتِيْ لَا يَرْجُوْنَ لا يطمعن نِكَاحًا أي: في النكاح فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ إثم في أَنْ يُّضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ أي: الثياب الظاهرة، كالجلباب والملحفة واللفافة والقناع غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ [ص560] حال، كونهن غير مظهرات بِزِيْنَةٍ أمرن بإخفائها، كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك وَأَنْ يَّسْتَعْفِفْنَ بعدم الوضع خَيْرٌ لَّهُنَّ لأنه أبعد من التهمة وَاللهُ سَمِيْعٌ لأقوالهم عَلِيْمٌO بضمائرهن لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْمَرِيْضِ حَرَجٌ وَّلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ حرج أَنْ تَأْكُلُوْا مِنْ بُيُوْتِكُمْ دخل فيه بيوت الأبناء، وبيوت الأزواج أَوْ بُيُوْتِ

---

1 – مدلج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه: هو مدلج بن عمرو السلمي، أحد حلفاء بني عبد شمس، ويقال: مدلاج بن عمرو. شهد بدرا هو وأخواه: ثقف، ومالك ابنا عمرو، شهد مدلاج سائر المشاهد مع رسول الله، وتوفي سنة خمسين. ابن الأثير: المرجع السابق. 127/5.

آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوْتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحَهُ جمع مفتح، أي: هي في أيديكم للحفظ أَوْ بيوت صَدِيْقِكُمْ من صدقكم في مودته، وهو يطلق على الواحد والجمع، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر؛ وإن لم يحضروا، إذا علم رضاهم به بإذن أو قرينة غير بيت الولد والعبد، ففيه نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة بيوت الأحباء والأقرباء، أو من يدفع إليهم المفاتح، ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو؛ وخلفهم على المنازل، وما فيها مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوْا جَمِيْعًا مجتمعين أَوْ أَشْتَاتًا متفرقين، جمع شتيت، نزلت في بني ليث، كانوا يتحرجون عن الأكل وحده، وقيل: قوم من الأنصار، إذا لم يجدوا من يؤاكلوه تركوا الأكل فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوْتًا من البيوت المذكورة، أو بيوتا خالية، أو مساجد فَسَلِّمُوْا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إن كانت فارغة، قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم السلام، وإن كانت مالية؛ فمعنى على أنفسكم: على أهلها؛ الذي هو منكم دينا وقرابة تَحِيَّةً مصدر [ص561] منصوب من سلموا، مثل قعدت جلوسا مِّنْ عِنْدِ اللهِ ثابتة من أمره تعالى مُبَارَكَةً طَيِّبَةً زيد في خيرها وطيبها كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ يفصل معالم الدين لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO ع تفهمون إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَإِذَا كَانُوْا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ كالجمعة والأعياد، أو الحرب، أو المشاورة، وصلاة الاستسقاء لَّمْ يَذْهَبُوْا بعذر حَتَّى يَسْتَأْذِنُوْهُ لما علموا أن الذهاب عن أمر جامع خيانة عظيمة عند الله إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَأْذِنُوْكَ في الذهاب أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوْكَ في الذهاب لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ أمرهم فَأْذَنْ لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ بالانصراف وَاسْتَغْفِرْلَهُمُ اللهَ فيه إشارة إلى أن الاستيذان عن أمر جامع لا يلائم الفتوة، قيل: نزلت يوم الخندق لرجوع المنافقين من غير استيذان إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO لَا تَجْعَلُوْا دُعَاءَ الرَّسُوْلِ أي: نداءه بَيْنَكُمْ للاجتماع كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فتفرقوا من غير إذن، بل انتظروا إلى إذنه، أو لا تجعلوا نداءه بالاسم، كنداءكم بعضكم لبعضكم بالاسم، فلا ينبغي أن يقولوا: يا محمد، بل يا رسول الله، يا نبي الله بالتعظيم والتبجيل، وخفض الصوت قَدْ يَعْلَمُ اللهُ قد للتحقيق الَّذِيْنَ يَتَسَلَّلُوْنَ مِنْكُمْ لِوَاذًا أي: يخرجون قليلا قليلا من المسجد في الخطبة، يستتر بعضكم بعضا، أو يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه؛ كأنه تابعه فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أمر الله ورسوله أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ محنة في الدنيا، كالقتل والأسر، أو الزلازل، أو تسليط سلطان جابر، أو إسباغ النعمة استدراجا، وأمثال ذلك أَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ في الآخرة أَلِيْمٌO أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [ص562] قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ من الوفاق والنفاق وَيعلم يَوْمَ يُرْجَعُوْنَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا من الخير والشر وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ع لا يخفى عليه خافية.

سورة الفرقان مكية، سبع وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

تَبَارَكَ تزايد عن كل شيء في الصفات والأفعال، كلمة تعظيم، لا يستعمل إلا لله وحده، والمستعمل منه الماضي الَّذِيْ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ القرآن؛ الفارق بين الحق والباطل عَلَى عَبْدِهِ محمد صلى الله عليه وسلم لِيَكُوْنَ الفرقان، أو العبد لِلْعَالَمِيْنَ الجن والإنس نَذِيْرًاO منذرا مخوفا الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا كما زعمت اليهود والنصارى في عزير وعيسى عليهما السلام وَّلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكِ كما زعمت الثنوية وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ولا شبهة لمن يقول: إنه تعالى شيء، و{القرآن}[1] شيء، فيجب كونهما مخلوقين، لأن الفاعل لجميع صفاته لا يكون مفعوله مع أن لفظ شيء مختص بما يصح أن يخلق بقرينة وخلق فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْرًاO فهيأه لما قصد ترتبه عليه من الآثار، أو للبقاء إلى أجل مسمى، أي: وحيد في الخلق، لا كما يقول المجوس: خالق الخير يزدان، وخالق الشر أهرمن وَاتَّخَذُوْا أي: الكافرون، لا ندارجهم تحت العالمين مِنْ دُوْنِهِ اٰلِهَةً أصناما لَّا يَخْلُقُوْنَ شيئا وَّهُمْ يُخْلَقُوْنَ وَلَا يَمْلِكُوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا دفعه وَّلَا نَفْعًا جلبه وَّلَا يَمْلِكُوْنَ مَوْتًا إماتة حي وَّلَا حَيَاةً إحياء ميت وَّلَا نُشُوْرًاO بعثا بعد الموت وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا النضر بن الحارث وأصحابه إِنْ نافية هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ كذب افْتَرَاهُ اخترعه محمد صلى الله عليه وسلّم [ص563] وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُوْنَ أي: اليهود، يلقون إليه الأخبار الماضية، وهو يعبر عنها بعبارته، وقيل: عداس[2] ويسار[3] وأبو فكيه الرومي فَقَدْ جَاءُوْا ظُلْمًا وَّزُوْرًاO كفرا وكذبا وَقَالُوْا أيضا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَ أكاذيبهم، جمع أسطورة اكْتَتَبَهَا انتسخها لنفسه من ذلك القوم فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ تقرء على محمد صلى الله عليه وسلم بُكْرَةً غداوة وَّأَصِيْلًاO عشيا، ليحفظها ثم يتلوه علينا قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام ردًّا لقولهم: أَنْزَلَهُ الَّذِيْ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إذ المنزل يشتمل على علم الغيب، فلا بد أن يكون من عند الله، إذ الغيب لا يعلمه إلا هو إِنَّهُ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO بستر الذنوب، وإمهال العقوبة المستوجبة بالمكابرة لعلهم يتوبون وَقَالُوْا مَالِ هٰذَا الرَّسُوْلِ ذكروا سخرية يَأْكُلُ الطَّعَامَ كما نأكل وَيَمْشِيْ فِي الْأَسْوَاقِ كما نمشي، ولا فرق بيننا بينه لَوْلَا هلّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوْنَ مَعَهُ نَذِيْرًاO

---

1 – في أ و ب: الفرقان بدل القرآن.

2 – عداس: هو مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس. من أهل نينوى الموصل، كان نصرانيا له ذكر في صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ابن الأثير: المرجع السابق. 4/4.

3 – يسار: هو كان نوبياً وهو الذي قتله العرنيون حين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطعوا رجليه ويديه، وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه. المقدسي: المرجع السابق. 23/5.

يصدقه، فيعلم صدقه أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ من السماء يستظهر به، ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش أَوْ تَكُوْنُ لَهُ جَنَّةٌ كالمياسير منا يَّأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُوْنَ الكافرون للمؤمنين إِنْ نافية تَتَّبِعُوْنَ أنتم إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًاO مقلوب العقل أُنْظُرْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كَيْفَ ضَرَبُوْا بيّنوا لَكَ الْأَمْثَالَ الأشباه فَضَلُّوْا عن الهدي فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنِ إلى الهداية سَبِيْلًاO تَبَارَكَ تكاثر خير الَّذِيْ إِنْ شَاءَ جَعَلَ وهب لَكَ خَيْرًا في الدنيا بالعجلة مِّنْ ذَالِكَ مما قالوا من الكنز والجنة جَنَّاتٍ بدل من خير تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوْرًاO بَلْ كَذَّبُوْا بِالسَّاعَةِ أي: عجبا منهم أن كذبوك، وأعجب منه أنهم كذبوا القيامة؛ المقطوع بها، التي أخبر بها [ص564] الأنبياء؛ الذين خلوا من قبلك وَأَعْتَدْنَا هيئنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيْرًاO نارا شديدة إِذَا رَأَتْهُمْ أي: كانت بمرائ منهم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوْا لَهَا تَغَيُّظًا صوت غليانها، كالغضبان؛ إذا غلي صدره غضبا وَّزَفِيْرًاO صوتا يسمع من جوفها بخلق الحياة فيها، أو بحذف المضاف، أي: لزبانيتها وَإِذَا أُلْقُوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا لزيادة العذاب، فإن السعة راحة مُّقَرَّنِيْنَ قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوْرًاO هلاكا، يقال لهم: لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوْرًا وَّاحِدًا وَّادْعُوْا ثُبُوْرًا كَثِيْرًاO لتنوع العذاب قُلْ لهم أَذَالِكَ الوعيد الموحش خَيْرٌ لكم أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ كَانَتْ في علمه تعالى لَهُمْ جَزَاءً وَّمَصِيْرًاO لَهُمْ فِيْهَا مَا يَشَاءُوْنَ خَالِدِيْنَ كَانَ ما يشاؤن عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُوْلًاO سأله المؤمنون، أو الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾[1]، و﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[2] وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ الملائكة وعزير وعيسى عليهما السلام والجن والأصنام والنجوم والنار فَيَقُوْلُ الله للمعبودين ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِيْ هٰؤُلَاءِ بأمركم إياهم للعبادة أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيْلَO بأنفسهم لإهمال النظر، وعن محذوفة قَالُوْا سُبْحَانَكَ تنزيها لك عما لايليق بجنابك مَا كَانَ يَنْبَغِيْ أي: ما يستقيم لَنَا أَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُوْنِكَ مِنْ زائدة أَوْلِيَاءَ مفعول نتخذ وَلٰكِنْ مَّتَّعْتَهُمْ بأنواع النعم، فاستغرقوا في الشهوات وَآبَاءَهُمْ من قبل كذلك حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوْا قَوْمًا بُوْرًاO هلكي فَقَدْ كَذَّبُوْكُمْ خطاب للعبدة بالالتفات [ص565] بِمَا تَقُوْلُوْنَ فَمَا تَسْتَطِيْعُوْنَ أيها الكفار صَرْفًا دفعا للعذاب عنكم وَّلَا نَصْرًا لأنفسكم وَمَنْ يَّظْلِمْ يشرك مِّنْكُمْ أيها الناس نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيْرًاO شديدا في الآخرة بالخلود وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ أحدا مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَيَمْشُوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ إلا رجالا آكلين وماشين، وإن مكسورة لأن اللام في

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 194.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة المؤمن، الآية: 8.

الخبر وأنت مثلهم، وقيل فيك؛ ما قيل فيهم وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ابتلاءا، فالغني فتنة للفقير، والصحيح للمريض، والشريف للوضيع، فعلى الأول شكر وعلى الثاني صبر أَتَصْبِرُوْنَ علة للجعل، أي: لنعلم أيكم يصبر وأيكم يجزع وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيْرًاO٤ بشكرهم، وكفرهم، وصبرهم، وجزعهم، فيجازيهم به.

وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ لا يأملون لِقَاءَنَا بالخير عند البعث، أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة لَوْلَا هلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ بالرسالة، أو بالشهادة بها أَوْ نَرَى رَبَّنَا في الدنيا عيانا، فيقول: إن محمدا صلى الله عليه وسلم رسولي، والله لَقَدِ اسْتَكْبَرُوْا فِيْ شأن أَنْفُسِهِمْ حيث أرادوا لها رؤيته تعالى في الدنيا وَعَتَوْا تجاسروا عُتُوًّا كَبِيْرًاO تجاسرا عظيما، إذ تجاسروا على هذا القول العظيم فهم بأقصى مراتب العتو. اذكر يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ أي: ملائكة الموت في الدنيا، أو العذاب يوم القيامة لَا بُشْرَى بالجنة يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِيْنَ للكافرين وَيَقُوْلُوْنَ أي: الكفره حنيئذ هذه الكلمة استعاذة بالله تعالى من رؤيتهم حِجْرًا مَّحْجُوْرًاO أي: منعا ممنوعا على عاداتهم في كل أمر مكروه ولقاء عدوّ، أو الملائكة حراما [ص566] محرّما عليكم البشرى، ووصف الحجر بالمحجور للتاكيد، تقول: ليل لائل، وموت مائيت وَقَدِمْنَا أي: عمدنا وقصدنا إِلَى مَا عَمِلُوْا مِنْ عَمَلٍ خير كقرى الضيف، وصلة الأرحام وإغاثة الملهوف فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوْرًاO متفرقا يرى في الشمس؛ لاينتفع به، أي: أحبطناه لفقد مما هو شرط اعتباره؛ وهو التوحيد أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا مكانا يستقر فيه للمتحادث وَّأَحْسَنُ مَقِيْلًاO مكانا، يأوي إليه الاستراحة بالأزواج في نصف النهار على التشبيه وَيَوْمَ تَشَقَّقُ بحذف التاء السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ الذي فوق السماوات؛ وهو اثقل منها، فإذا ألقي عليها انشقت بثقله، وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُوْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِيْ ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[1] وهو الغمام الأبيض وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ بصحائف أعمال العباد تَنْزِيْلًاO الْمُلْك يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ الثابت لِلرَّحْمٰنِ وحده، ويزول ملك كل مالك وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِيْنَ عَسِيْرًاO يسيرا للمؤمنين وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ أي: يحسر على ما فات منه يَقُوْلُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ في الدنيا مَعَ الرَّسُوْلِ محمد صلى الله عليه وسلم سَبِيْلًاO والمراد من الظالم الجنس، وأما عقبة بن أبي معيط يكثر المجالسة معه عليه الصلاة والسلام، فدعاه إلى الضيافة، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إلى أن ينطق بالشهادتين، ففعل، فعاتبه

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ سورة البقرة، الآية: 210.

صديقه أبي بن خلف، وقال: صبأت، قال: لا ولكن ليأكل طعامي؛ وهو في بيتي، قال: لا أرضى منك إلا أن تطاء قفاه، وتبزق في وجهه، ففعل ذلك، فقال عليه السلام: لا ألقاك خارجا من مكة؛ إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر، فأمر عليّا رضي الله عنه بقتله، وطعن النبي صلى الله عليه وسلم [ص567] أبيًّا يوم أحد، فرجع، ومات بمكة يَا وَيْلَتَى أصله: يا ويلتي، أي: هلكتي أدركني هذا أوانك، فالياء صارت ألفا، كما في صحارى لَيْتَنِيْ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا أي: أبيًّا، أو شيطانا خَلِيْلًاO لَقَدْ أَضَلَّنِيْ عَنِ الذِكْرِ الإيمان، أو القرآن بَعْدَ إِذْ جَاءَنِيْ وَكَانَ الشَّيْطَانُ أي: إبليس، أو خليله لِلْإِنْسَانِ خَذُوْلًاO مبالغا في الخذلان وَقَالَ الرَّسُوْلُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوْا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوْرًاO متروكا وَكَذَالِكَ كما ابتليت بعداوة قومك جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنْ الْمُجْرِمِيْنَ من المشركين؛ فأصبر كصبرهم وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا لك؛ طريق قهرهم وَّنَصِيْرًاO على أعدائك وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من القريش، أو اليهود لَوْلَا هلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً حال، كالكتب الثلاثة كَذَالِكَ أي: أنزلناه متفرقا لِنُثَبِّتَ بِهِ لنقوي بإنزاله بالتفريق فُؤَادَكَ بالحفظ والوعي وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًاO آتينا به شيئا بعد شيء بتمهيل لتيسر الحفظ، ولم يكن حاله صلى الله عليه وآله وسلم مثل موسى وعيسى وداؤد عليهم السلام، حيث كان أميا، وهم كانوا يكتبون ويقرءون ما ألقي إليهم جملة واحدة وَلَا يَأْتُوْنَكَ بِمَثَلٍ بسؤال عجيب قادح في نبوتك إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ بالجواب الدافع وَأَحْسَنَ تَفْسِيْرًاO بأحسن بيان من مثلهم. هم الَّذِيْنَ يُحْشَرُوْنَ عَلَى وُجُوْهِهِمْ أي: مقلوبين، وفي الحديث: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف؛ صنف على الدواب، وصنف على أرجلهم، وصنف على وجوههم إِلَى جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا منزلة ومكانة وَّأَضَلُّ سَبِيْلًاOع أخطاء طريقا، أي: إنما بعثهم على هذه الأسولة، ظنهم شرارة مكانه صلى الله عليه وسلم وتذليلهم سبيله وتحقيرهم مكانة ومنزلة، ولا يعلمون أن أنفسهم شرا مكانا وأضل سبيلا دون مكانه وسبيله [ص568] وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُوْنَ وَزِيْرًاO يرجع إليه مع نبوته، ولا منافات بين النبوة والوزارة فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ أهلكناهم تَدْمِيْرًاO هلاكا وَقَوْمَ نُوْحٍ لَّمَّا كَذَّبُوْا الرُّسُلَ لطول مكثه، كأنه رسل أو تكذيبه تكذيب لغيره؛ لا شتراكهم في التوحيد أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ أي: قصتهم لِلنَّاسِ آيَةً أي: اعتبارا وَأَعْتَدْنَا هيئنا لِلظَّالِمِيْنَ عَذَابًا أَلِيْمًاO في الآخرة وَّعَادًا أي: دمرنا عادا وَّثُمُوْدَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ هم قوم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيبا، فكذبوه، فبيناهم حول الرس؛ وهي البير غير المطوية، فأنهارت، فخسفت بهم وبديارهم. وقيل: الرس قرية بفلج اليمامة، كانت فيها بقايا ثمود، فقتلوا نبيهم. وقيل: بئر أنطاكية[1]؛ قتلوا فيها حبيب النجار. وقيل: هم أصحاب حنظلة بن

---

1 – أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخفّفة: مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد

صفوان[1]، ابتلى قومه بطير عظيم، كان فيه من كل لون، سموه عنقاء؛ لطول عنقها، فدعا عليه النبي، فاحترقت بصاعقة؛ نزلت من السماء، ولم يبقى لها نسلا، ثم قتلوا النبي، فأهلكوا. وقيل: هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود وَقُرُوْنًا أي: أمما بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيْرًاO قيل: القرن أربعين سنة، وقيل: سبعون، وقيل: مائة وعشرون وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا فتتنا وأهلكنا تَتْبِيْرًاO تفتيتا وإهلاكا، وكلا الأول منصوب؛ بما دل عليه ضرب المثل، أي: أنظرنا، والثاني بقوله تبرنا أي: كفار القريش في تجاراتهم إلى الشام سدوم قوم لوط الَّتِيْ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ مطر الحجارة أَفَلَمْ يَكُوْنُوْا يَرَوْنَهَا فيتعظون بها بَلْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ نُشُوْرًاOلا يتوقعون أو لا يأملون النشور [ص569] والبعث للثواب، كما يأمل المؤمنون، أو لا يخافون بلغة التهامة وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ نافية يَتَّخِذُوْنَكَ إِلَّا هُزُوًا موضع هزء، أو مهزوا به، قائلين: أَهٰذَا الَّذِيْ بَعَثَ اللهُ رَسُوْلًاO احتقارا برسالتك إِنْ مخففة من مثقلة، أي: إنه كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ اٰلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا على الآلهة بصرفنا عنها وَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ حِيْنَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيْلًاO هم زعموا أنه صلى الله عليه وسلم على الضلالة، وغدا يعلمون أنهم أضل سبيلا أَرَءَيْتَ اخبرني مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أي: أطاع الهوى، وبني دينه عليه، قدم المفعول الثاني لاتخذ للعناية به، ومن بصلته مفعول أول أرءيت، والثاني قوله: أَفَأَنْتَ تَكُوْنُ عَلَيْهِ وَكِيْلًاO حفيظا، تمنعه عن الشرك والمعاصي، والاستفهام الأول للتقرير والتعجب، والثاني للإنكار أي: بل أ تحسب، فهو ترق في المذمة أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلًاOع لأنها تنقاد من يربيها، وتميز من يحسن إليها؛ ممن يسيئ إليها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يميزون، قيل: للملائكة روح وعقل، وللبهائم نفس وهوى، وللإنس جمع

وأمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والطّيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، وسعة الخير؛ بينها وبين حلب يوم وليلة، لها سور وفصيل، ولسورها ثلاثمائة وستون برجا، وله خمسة أبواب، يصعد إلى السور مع الجبل إلى أعلاه، ثم ينزل من الجهة الأخرى، ويحيط بها وبمزارعها. وفى الجبل من داخل السور قلعة كبيرة، والجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها إلا فى الساعة الثانية. وبها كانت مملكة الروم، وبها بيع كثيرة، ومشهد حبيب النّجار فيها. ابن شمائل: المرجع السابق. 125/1.

1 – حنظلة بن صفوان: قيل: بعثه الله الى أصحاب الرس، وهم قوم ابتلاهم الله بطير عظيم، لها عنق طويل، من أحسن الطير كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها، وكانت تسكن جبلهم؛ الذى يقال له: فتح أو دمخ مصعده فى السماء ميل. وكانت تنقض على صبيانهم، فتخطفهم اذا أعوزها الصيد، ويقال لها عنقاء مغرب، لانها تغرب بكل ما اختطفته، وانقضت على جارية قد ترعرعت وضمتها الى جناحين لها صغيرين غير جناحيها الكبيرين، ثم ذهبت بها فضربتها العرب مثلا، فقالوا: طارت به العنقاء، فشكوا الى نبيهم حنظلة بن صفوان، فدعا عليها، فأصابتها الصاعقة، فأهلكتها، ثم انهم قتلوا حنظلة، فأهلكوا. البكري: المرجع السابق. 200/1.

بينهما، فمن غلب عقله على هواه فهو أفضل من الملائكة، ومن عكس عليه الأمر فهو أدنى من الأنعام أَلَمْ تَرَ إِلَى صنعة رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وهو أطيب الأحوال، لا نور ولا ظلمة فيه، وهو قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُوْدٍ﴾[1] في وصف الجنة، وقيل: أصله ألم تر إلى الظل؛ كيف مد ربك؟ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا دائما، لا يزول بالشمس ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيْلًاO بوقوع شعائها على بعض الأجزاء [ص570] دون بعض، فتميز بالشمس، وتعرف الأشياء بالأضداد ثُمَّ قَبَضْنَاهُ أي: الظل الممدود إِلَيْنَا إلى حيث أردنا قَبْضًا يَّسِيْرًاO أي: قليلا قليلا حسب ارتفاع الشمس، وثم في الموضعين لتفاصيل مبادي أوقات ظهورها وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ظلامه لِبَاسًا مشابها باللباس في الستر وَّالنَّوْمَ سُبَاتًا قطعا لأعمالكم لترتاح الأبدان وَّجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوْرًاO ذا نشور لكسب المعاش وَهُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا مبشرات، جمع بشر بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهٖ قدام مطره وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السحاب مَاءً طَهُوْرًاO بليغا في الطهارة، وقيل: يتطهر به كالوضوء لِّنُحْيِيَ بِهٖ بَلْدَةً مَّيْتًا يستوي المذكر والمؤنث فيه، أو البلدة في تأويل المكان وَّنُسْقِيَهُ أي: الماء جمع إنسان، فأصله أناسين، قلبت النون ياءا، وأدغمت، أو جمع إنسي كَثِيْرًاO وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ أي: هذا القول: وهو مد الظل وجعل الليل والنهار وإرسال الرياح وإحياء البلدان، والسقي بَيْنَهُمْ بين الناس في القرآن وسائر الكتب السماوية، أو صرفنا الماء في البلدان في أوقات وصفات مختلفة من وابل وطل وجود ورذاذ وقطقط وديمة لِيَذَّكَّرُوْا ليتفكروا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ كل شيء إِلَّا كُفُوْرًاO كفران النعمة، بقولهم: مطرنا بنوء كذا؛ جاهدا أن يكون والأنواء والأمطار من خلق الله، وهذا كفر، وإن راى أن الله خالقها والأنواء أمارات عليها لم يكفر كن بعثناك إلى كافة الناس ليعظم أجرك فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ في أهواءهم وَجَاهِدْهُمْ بِهٖ بالقرآن جِهَادًا كَبِيْرًاO فإن الجهاد بالحجج والدلائل مع السفهاء أكبر من الجهاد بالسيف بالأعداء أو جهاد جملة القرى عليك وَهُوَ الَّذِيْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ [ص571] أرسل وخلاهما متجاورين هٰذَا أي: أحدهما عَذْبٌ فُرَاتٌ شديد العذوبة قامع للعطش وَّهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ شديد الملوحة لايسكن العطش وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حاجزا وَّحِجْرًا مَّحْجُوْرًاO سترا ممنوعا عن الاختلاط وإدراك العيون أو تنافرا بليغا، كأنه يقول: كل واحد لصاحبه ما يقول المتعوّذ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ الذي جزء طين في تخمير آدم أو المني بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا أي: ذوي نسب، أي: ذكورا ينسب إليهم وَّصِهْرًا ذوات، أي: إناثا، يناكح بهن، وقيل: النسب المحرمات والصهرا المحللات وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيْرًاO على ما يشاء وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا أي: أصناما لَا يَنْفعُهُمْ إن عبدوها وَلَا يَضُرُّهُمْ إن تركوها وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى معصية رَبِّهٖ ظَهِيْرًاO معينا، يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا لمن أطاع

---

1 – سورة الواقعة، الآية: 30.

وَّنَذِيْرًاO لمن كفر قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على التبليغ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا فعل مَنْ شَاءَ اَنْ يَّتَّخِذَ اِلَى رَبِّهٖ سَبِيْلًاO وَتَوَكَلْ ثق في كل أمر عَلَى الْحَيِّ الَّذِيْ لَا يَمُوْتُ كيلا يكلك على الذي يموت وَسَبِّحْ نزهه متلبسا بِحَمْدِهٖ وَكَفٰى بِهٖ بِذُنُوْبِ عِبَادِهٖ خَبِيْرًاO أي: كفى الله في جزاء أعمالهم، خبيرا بذنوب عباده الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ في مدة مقدارها ستة أيام من أيام الدنيا، إذ لا ليل ولا نهار حين خلقهما. وعن مجاهد أوّلها يوم الأحد وآخر يوم الجمعة عدل عن كن ليعلم الإناة في الأمور ثُمَّ اسْتَوٰى إستواءا يليق بجنابه وشانه عَلَى الْعَرْشِ وهو فلك الأفلاك اَلرَّحْمٰنُ بدل عن ضمير استوى، أو خبر مبتداء محذوف، [ص572] أي: هو الرحمن فَسْئَلْ بِهٖ خَبِيْرًاO باسم الرحمن رجلا خبيرا يخبرك، أنه من صفاته، أو أنه هل يعرف من ينكره، وكانوا يقولون: ما نعرف الرحمن غير رحمن اليمامة، أي: مسليمة الكذاب، أو فاسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك الحقيقة، وهو الله تعالى سبحانه، أو جبرائيل عليه السلام، أو من وجد هذا المعنى في الكتب السماوية وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ اسْجُدُوْا لِلرَّحْمٰنِ القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم قَالُوْا وَمَا الرَّحْمٰنُ ما نعرفه حتّى نسجده أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا يا محمد! عليك الصلاة والسلام وَزَادَهُمْ هذا القول منه صلى الله عليه وسلم نُفُوْرًاO ع السجدة عن الإيمان عنادا، لأنهم كانوا عارفين باللغة، إنه فعلان من الرحمة؛ مبالغة فيها، صفة لله تعالى تَبَارَكَ أي: تعالى الَّذِيْ جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوْجًا هي اثنا عشر لسبعة سيارة، للشمس والقمر: بيتان؛ الأسد والسرطان، وللخمسة الباقية عشرة، للمريخ: الحمل والعقرب، وللزهرة: الثور والميزان، وللعطارد: الجوزاء والسنبلة، وللمشتري: القوس والحوت، وللزحل: الجدي والدلو، ثم للنار ثلثة: الحمل والأسد والقوس، وللماء ثلثة: السرطان والعقرب والحوت، وللهواء: الجوزاء والميزان والدلو، وللأرض: الثور والسنبلة والجدي، على ما تقرر في محله. وقيل البروج: هي النجوم الكبار بظهورها وَّجَعَلَ فِيْهَا سِرَاجًا شمسا وَّقَمَرًا مُّنِيْرًاO وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لدرك ما فات من الخير في الآخر لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَّذَّكَّرَ يتدبر في الاختلاف والتسخير، فتعرف قدرة القادر وحكمته أَوْ أَرَادَ شُكُوْرًاO لنعمه وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ مبتداء الَّذِيْنَ يَمْشُوْنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا حال، أي: هيّنين بالسكينة والتواضع وَّإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُوْنَ بما يكرهون قَالُوْا سَلَامًاO يسلمون في [ص573] ذلك القول من الإثم والأذى وَالَّذِيْنَ يَبِيْتُوْنَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا جمع ساجد وَّقِيَامًاO جمع قائم، أي: في الصلاة وَالَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًاO أي: لزاما، لأن الغريم يلازم إِنَّهَا أي: جهنم سَاءَتْ بمصُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًاO هي وَالَّذِيْنَ إِذَا أَنْفَقُوْا على العيال لَمْ يُسْرِفُوْا لم يجاوزوا حد الكرم وَلَمْ يَقْتُرُوْا لم يضيقوا ضيق الشح. في الحديث: ((مَنْعُ الْحَقِّ إِقْتَارٌ، وَإِعْطَاءُ غَيْرِ الْحَقِّ إِسْرَافٌ))[1]،

---

1 – ذكر المؤلف بالكلمات المترادفة، ولفظه للمدارك: [مَنْ مَنَعَ حَقًّا فَقَدْ قَتَرَ، وَمَنْ أَعْطَى فِيْ غَيْرِ حَقٍّ فَقَدْ

قال قائل للشجاع الكرماني قدس سره: إذ بذل الجهد في العطاء؛ "لاخير في الإسراف"، قال: "لا إسراف في الخير" وَكَانَ بَيْنَ ذَالِكَ بين الإقتار والإسراف قَوَامًاO وسطا، عدلا وَالَّذِيْنَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخرَ وَلَا يَقْتُلُوْنَ النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ قتلها إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ المذكور يَلْقَ أَثَامًاO جزاء الإثم يُضَاعَفْ بدل من يلق، ويخلد عطف عليه لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فعلى المشرك لشركه عذاب الشرك، وعلى معاصيه عذاب آخر وَيَخْلُدْ فِيْهِ حفص يشبع مبالغة في الوعيد، والعرب يمد للمبالغة؛ مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع، كذا في المدارك[1]. مُهَانًاO ذليلا إِلَّا مَنْ تَابَ عن الشرك وَآمَنَ بمحمد صلى الله عليه وسلم وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بعد التوبة فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّآتِهِمْ حَسَنَاتٍ يمحو بالتوبة السيئات، ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا للسيئات رَّحِيْمًاO بتوفيق الحسنات وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوْبُ يرجع إِلَى اللهِ مَتَابًاO مرضيا ماحيا للعذاب، محصلا للثواب وَالَّذِيْنَ لَا يَشْهَدُوْنَ لا يحضرون الزُّوْرَ فضلا عن فعله، فإن المحاضرة مشاركة [ص574] وَإِذَامَرُّوْا بِاللَّغْوِ الكلام القبيح مَرُّوْا كِرَامًاO معرضين، مكرمين أنفسهم عن التلوث به وَالَّذِيْنَ إِذَا ذُكِّرُوْا بِآيَتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا لم يسقطوا عَلَيْهَا صُمًّا بل واعين وَّعُمْيَانًاO بل مستبصرين وَالَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ للمتقين، ومن بيانية، أو إبتدائية وَّاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامًاO في الخير يقتدي بهم، والمراد الجنس، فهو في مقام أئمة، وكذلك الغرفة أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ على مواضع الجنة بِمَا صَبَرُوْا على الطاعات، وهذا خبر لقوله: وعباد الرحمٰن ...إلخ، وقوله: الذين يمشون صفة المبتداء، أو هي خبره، وأولئك يجزون الغرفة مبتداء، وخبر وَيُلَقَّوْنَ فِيْهَا تَحِيَّةً وَّسَلَامًاO دعاء بالتعمير والسلامة من الملائكة، أو بعضهم لبعض خَالِدِيْنَ فِيْهَا حَسُنَتْ الغرفة مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًاO قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لأهل مكة مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّيْ أي: ما يصنع بوجودكم لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ أي: دعائه إياكم إلى الإسلام، أو عبادتكم لله تعالى، فإن شرف الإنسان بالعبادة والطاعة، أو لا يعتد بكم، وكيف يعبأ بكم؟ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ الرسول بما أخبربه من عنده تعالى فَسَوْفَ يَكُوْنُ جزاء التكذيب لِزَامًاO ع الربع يحيق بكم، أو قد قتل في البدر سبعون منكم، ويكبّكم في النار في الآخرة.

أَسْرَفَ] النسفي: المصدر السابق. 549/2.

1 – النسفي: المرجع السابق. 550/2.

سورة الشعراء مكية، مائتان وست أو سبع وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

طٰسٓمّٓO الله أعلم بمراده تِلْكَ هذه الآيات آيَاتُ الْكِتَابِ آيات من القرآن الْمُبِيْنِO المظهر للأحكام لَعَلَّكَ بَاخِعٌ قاتل نَّفْسَكَ غما من أجل أَلَّا يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَO إِنْ نَّشَأْ إيمانهم نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً ملجئة فَظَلَّتْ أي: فتظل أَعْنَاقُهُمْ لَهَا للآية خَاضِعِيْنَO منقادين [ص575] وصف الأعناق بالخضوع، فجمعت جمع العقلاء وَمَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ مجدد إنزاله إِلَّا كَانُوْا عَنْهُ مُعْرِضِيْنَO بإعراض جديد فَقَدْ كَذَّبُوْا بمحمد صلى الله عليه وسلم فَسَيَاتِيْهِمْ فسيعلمون أَنْبَاءُ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَ أي: أخبار المستهزء من أنه حق أم باطل أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ كثيرا أَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ صنف من النبات كَرِيْمٍO محمود؛ كثير المنفعة، إما فرادى، أو مع الآخر إِنَّ فِيْ ذَالِكَ الأنبات لَآيَةً على التوحيد، وكمال القدرة وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO في علمه تعالى، وقيل: كان زائدة وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ في الانتقام من الكفرة الرَّحِيْمُOع لمن آمن منهم وَاذكر إِذْ نَادَى دعا رَبُّكَ مُوْسَى ليلة النار أَنِ أي: ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO رسولا حيث كفروا، وقتلوا، واستعبدوا بقية السلف قَوْمَ فِرْعَوْنَ عطف بيان للقوم الظالمين أَلَا يَتَّقُوْنَO الله فيوحدونه، استيناف بالاستفهام الإنكاري قَالَ موسى عليه السلامرَبِّ إِنِّيْ أَخَافُ الخوف: غم يلحق بما سيقع أَنْ يُّكَذِّبُوْنِO وَيَضِيْقُ صَدْرِيْ بتكذيبهم إياي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِيْ بأداء الرسالة لعقدة اللسان من النار، أو حبسه فيه بسبب الحمية؛ مما فعلوا ببني إسرائيل، وانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه فَأَرْسِلْ الوحي في تشريك الرسالة إِلَى هَارُوْنَO وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ أي: جزاءه على زعمهم فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُوْنِO قصاصا قبل أداء الرسالة، وهذا استعانة منه عليه السلام في تتميم الأمر لا تعلل قَالَ تعالى كَلَّا ارتدع يا موسى! عليه السلام عما تظن فَاذْهَبَا أنت وهارون بِآيَاتِنَا إِنَّ مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُوْنَO مقاولتكم فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُوْلَا إِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO أفرد، لأنه بمعنى الرسالة [ص576] وقد يثني فهو بمعنى المرسل، أو كل منا رسول رب العالمين أَنْ أَرْسِلْ أي: خل مَعَنَا إلى فلسطين من الشام بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO فأدناه، فعرف فرعون موسى قَالَ فرعون أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيْدًا في منازلنا صغيرا وَّلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِك سِنِيْنَO قيل: ثلثين سنة، ثم خرج إلى مدين عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوا إلى الله ثلثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِيْ فَعَلْتَ قتل القبطي بالوكز وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَO بنعمتي قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا أي: حينئذ وَّأَنَا مِنَ الضَّالِّيْنَO أي: الناسين أو الجاهلين، إنه ينجر إلى قتل القبطي، وكان من غير عمد فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ إلى مدين لَمَّا خِفْتُكُمْ أن تقتلوني فَوَهَبَ لِيْ رَبِّيْ حُكْمًا علما ونبوة وَّجَعَلَنِيْ

مِنَ الْمُرْسَلِيْنَO وَتِلْكَ أي: التربية، وقيل: أ تلك بهمزة الإنكار نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا أي: تمن بها عَلَيَّ ظاهرا، وهي في الحقيقة نقمة، إذ تربيتك مسببة عن تعبيدك بني إسرائيل؛ وتقتيل أبناءهم، فإنه السبب لو قوعي إليك من حجر أبويّ، وحصولي في تربيتك، فهذه النقمة تسميها نعمة أَنْ عَبَّدْتَّ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO الجملة خبر مبتداء محذوف، أو بدل من نعمة قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِيْنَO أيّ شيء هو في الحقيقة؟ ولما استحال جواب الحقيقة ذكر الأفعال قَالَ موسى عليه السلام مجيبا: هو رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوْقِنِيْنَO محصلين العلم بالاستدلال، فهذا القول في الجواب يكفيكم قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ من أشراف قومه؛ وكانوا خمس مائة اَلاَ تَسْتَمِعُوْنَO إنه يجيب عن الأفعال؛ وسؤالي عن الحقيقة، أو عجبا إنه يثبت الحدوث للقديم، [ص577] أو يثبت آلها غيري؛ وإنه عجيب قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِيْنَO إنما قال ذلك تهيجا لغيظه، وإن كان داخلا فيما قبل وإنه في الحدوث ظاهر قَالَ إِنَّ رَسُوْلَكُمُ الَّذِيْ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُوْنٌO ذكر الرسالة إستهزاءا منه، أي: جن عقله، لأنه يثبت إلٰها غيري الفرد الحقيقي لا يعرف إلا بالصفات والأفعال، ولا سبيل إليه بدون الحقيقة قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِيْ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَO عدل عن المحاجة لعدم الظفر بها إلى التهديد، فإن سجنه كان حفرة في الأرض، ضيق الفم، لا يبصرولا يسمع فيها المسجون حتّى يموت فيه قَالَ موسى عليه السلام أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِيْنٍO أي: أ تفعل بي؟ ولو جئتك ببرهان بيّن على رسالتي قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في دعواك؛ فاحضره فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِيْنٌO عظيم، قال فرعون: فهل غيرها؟ ، من جيبه من تحت الظهر فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِيْنَOع لا أدمة فيها؛ يغشي الأبصار قَالَ لِلْمَلَاءِ حَوْلَهُ منصوب لفظا بالظرفية، ومحلا على الحالية إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيْمٌO فالق في السحر يُّرِيْدُ أَنْ يُّخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُوْنَO يشيرون في أمره قَالُوْا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ أخر أمرهما وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ شرطا حَاشِرِيْنَO جامعين يَأْتُوْكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيْمٍO يغلب موسى عليه السلام فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيْقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوْمٍO لما وقت به من ساعات اليوم المعلومة وهووقت [ص578] الضحى من يوم الزينة، أي: العيد وَقِيْلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُوْنَO لما بهرهم المعجز، ظن فرعون استبطاءهم في الإجتماع، فحث عليه بهذا لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوْا هُمُ الْغَالِبِيْنَO أي: نرجو غلبة السحرة، فنتبع السحرة؛ لا موسى عليه السلام في الدين فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوْا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِيْنَO تعيين الأجر مشعر بصعوبة الغلبة، أو اهتمام لشأنها قَالَ نَعَمْ لكم أجر وَزيادة إِنَّكُمْ إِذًا حينئذ لَّمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَO قَالَ لَهُمْ مُّوْسَى أَلْقُوْا مَا أَنْتُمْ مُّلْقُوْنَO بعد ما قالوا: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَّكُوْنَ نَحْنُ الْمُلْقِيْنَ﴾[1] فَأَلْقَوْا

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية:

حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ من كل سبعون ألفا وَقَالُوْا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ كما هو شأن الجاهلية إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُوْنَO فَأَلْقَى مُوْسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ تبتلع مَا يَأْفِكُوْنَO ما يقلبونه عن وجهه بالتمويه فَأُلْقِيَ السَّحَرَةَ سَاجِدِيْنَO لما شاهدوا من العصا؛ ما ليس في السحر رَبِّ الْعَالَمِيْنَO رَبِّ مُوْسَى وَهَارُوْنَO قال فرعون قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ لموسى عليه السلام قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيْرُكُمُ الَّذِيْ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ الناقص، وغلب بالتام فَلَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ جزاء الإيمان مني لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ اليد اليمني والرجل اليسرى من كل، أو من أجل خلاف ظهر منكم وَّلَأُوصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِيْنَO قَالُوْا لَا ضَيْرَ لا ضرر لنا بهذا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَO راجعون إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَلَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أي: بأن كنا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِيْنَO[ع] من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد، فأصبحوا سحرة؛ وأمسوا شهداء وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوْسَى [ص579] أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيْ إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُوْنَO يتبعكم فرعون وجنوده، روي أن ليلة الخروج مات في كل بيت من القبط ولد، فاشتغلوا بموتاهم حتّى خرج موسى عليه السلام بقومه حين أخبر بسيرهم ليلا فِي الْمَدَائِنِ كان له ألف مدينة، واثنا عشر ألف قرية حَاشِرِيْنَO جامعين العساكر بعنف، قائلين: أي: بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى عليه السلام لَشِرْذِمَةٌ قَلِيْلُوْنَO لطائفة قليلون، بالنسبة إلى جنود فرعون، إذ روي أنه خرج؛ ومقدمته سبع مائة ألف، والكل كانوا سبعة آلاف ألف، وموسى ومن معه ستمائة ألف وسبعين ألفا وَإِنَّهُمْ أي: المؤمنون لَنَا لَغَائِظُوْنَO لفاعلون ما يغيظنا، ويضيّق صدورنا بالخروج من مصر، وحملهم حليّنا وَإِنَّا لَجَمِيْعٌ حَاذِرُوْنَO أي: نحن قوم من عاداتنا الحذر واليقظان في الأمور فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جِنَّاتٍ بساتين وَّعُيُوْنٍO أنهار جارية في الدور وَّكُنُوْزٍ من الذهب والفضة، لم يعط منها حق الله، ولم ينفق في طاعته وَّمَقَامٍ كَرِيْمٍO مجلس حسن كَذَالِكَ أخرجناهم كما ذكرنا وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO بعد إغراق العدو فَأَتْبَعُوْهُمْ أي: اتبع فرعون وجنوده موسى ومن يتبعه مُّشْرِقِيْنَO داخلين وقت الشروق فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ تقارب البسط والقبط؛ ورأى كل واحد منهما الآخر قَالَ أَصْحَابُ مُوْسَى إِنَّا لَمُدْرَكُوْنَO أي: يدركنا فرعون وقومه؛ وأمامنا البحر، فأين النجاة؟ قَالَ موسى عليه السلام ثقة بالله كَلَّا لن يدركوكم، فإن الله وعدكم الخلاص إِنَّ مَعِيَ رَبِّيْ بالحفظ والنصرة سَيَهْدِيْنِO طريق النجاة فَاَوْحَيْنَآ اِلَى مُوْسَى اَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ القلزم، أو السبيل فضرب [ص580] فَانْفَلَقَ فانشق البحر اثنا عشر فرقا على عدد الأسباط فَكَانَ كلُّ فِرْقٍ تفرق منه كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِO كالجبل الضخيم، سلكوا بينها؛ لم يبتل سرج راكب، ولا لبده، فأدخلنا ها بني إسرائيل وَأَزْلَفْنَا قرّبنا منهم ثَمَّ حيث انفلق البحر الْآخَرِيْنَO فرعون وقومه وَأَنْجَيْنَا مُوْسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِيْنَO على هيئة دخلوه ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِيْنَO دخلوه فرعون وقومه

.115

بانطباق البحر؛ عند خروج بني إسرائيل بأسرهم، ودخول القبط كلهم في البحر إِنَّ فِيْ ذَالِكَ في إنجاء السبط، وإغراق القبط لَآيَةً عبرة لمن بعدهم وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO إذ لم يؤمن غير آسية امراة فرعون، ومريم؛ التي دلت على قبر يوسف في البحر، وحزبيل مؤمن آل فرعون وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ في الانتقام من العدو الرَّحِيْمُO بإنجاء المحب وَاتْلُ عَلَيْهِمْ على كفار مكة نَبَأَ خبر إِبْرَاهِيْمَO إِذْ قَالَ بدل من نبأ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُوْنَO قَالُوْا نَعْبُدُ أَصْنَامًا صرحوا بالفعل؛ افتخارا به فَنَظَلُّ فندوم، أو نقيم نهارا لَهَا للأصنام عَاكِفِيْنَO عابدين؛ زادوا في الجواب لوثوقهم في هذا العمل قَالَ إبراهيم هَلْ يَسْمَعُوْنَكُمْ أي: دعاءكم إِذْ تَدْعُوْنَO أَوْ يَنْفَعُوْنَكُمْ إن عبدتم أَوْ يَضُرُّوْنَO إن تركتم عبادتها قَالُوْا ما نعبدها طمعا وخوفا بَلْ وَجَدْنَاآبَاءَنَا كَذَالِكَ يَفْعَلُوْنَO ففعلنا مثلهم بالتقليد من غير نظر إلى السمع والنفع والضرر قَالَ إبراهيم أَفَرَءَيْتُمْ أي: ألم تتاملوا؟ فرأيتم مَّا أي: أصناما كُنْتُمْ لها تَعْبُدُوْنَO أَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُوْنَO [ص581] الأولون، فإن التقدم لا يدل على الصحة، ولا ينقلب به الباطل حقا فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيْ إِلَّا لكن رَبَّ الْعَالَمِيْنَO فإني أعبده لا غيره، صور الأمر في نفسه تعريضا، فإنه أنفع في النصح، أي: تتضررون أنتم أيها العابدون فوق ما يتضرر الرجل من جهة العدو الَّذِيْ خَلَقَنِيْ فَهُوَ يَهْدِيْنِO يهديني لأمر المعاش والمعاد وَالَّذِيْ هُوَ يُطْعِمُنِيْ وَيَسْقِيْنِO وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِO وَالَّذِيْ يُمِيْتُنِيْ ثُمَّ يُحْيِيْنِO متراخيا عند النفخة الثانية وَالَّذِيْ أَطْمَعُ أرجو أَنْ يَّغْفِرَلِيْ خَطِيْئَتِيْ قيل: قوله: ﴿إِنِّيْ سَقِيْمٌ﴾[1] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ﴾[2] وقوله: ﴿هَذَا رَبِّيْ﴾[3] للشمس، وقوله: هي أختي ؛ للسارة، والحق أنها ما هي إلا معاريض كلام، وهي جائزة، وليست بخطايا؛ يستغفر عنها، والاستغفار منه تواضع لربه، وتعليم للأمة يَوْمَ الدِّيْنِO يوم الجزاء رَبِّ هَبْ لِيْ حُكْمًا كمالا في العلم والعمل وَّأَلْحِقْنِيْ بِالصَّالِحِيْنَO بالنبيين وَاجْعَلْ لِّيْ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِيْنَO حسن صيت، وذكر خير إلى يوم القيامة وَاجْعَلْنِيْ مِنْ وَّرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيْمِO من جملة الفائزين إليها وَاغْفِرْ لِأَبِيْ بالهداية؛ إن كان الدعاء قبل موت أبيه، وإن كان بعده فاعتمد على تقية من نمرود، أولم يمنع بعد من الاستغفار للكفار إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّيْنَO طريق الحق وَلَا تُخْزِنِيْ الإخزاء من الخزي، بمعنى الهوان يَوْمَ يُبْعَثُوْنَO يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَّلَا بَنُوْنَO أحدا إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍO من الشرك والنفاق، فإن ماله وبنيه ينفعان له، أو لا ينفعان إلا مال وأبناء لمن سلم قلبه معهما؛ لصرفه

1 – جزء من الآية، وتمامها :﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ سورة الصافات، الآية: 89.

2 – جزء من الآية، وتمامها :﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: 63.

3 – جزء من الآية، وتمامها :﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 78.

المال في الله وإرشاده البنين ما كرمني به الله، وقيل: منقطع، أي: لا ينفعان؛ لكن النافع سلامة القلب وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَO أي: قربت لهم [ص582] وَبُرِّزَتِ الْجَحِيْمُ لِلْغَاوِيْنَO أظهرت للكافرين وَقِيْلَ لَهُمْ أَيْنَمَا شفعاؤكم على زعمكم كُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَOمِنْ دُوْنِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُوْنَكُمْ يدفعون العذاب عنكم أَوْ يَنْتَصِرُوْنَO بدفعه عن أنفسهم فَكُبْكِبُوْا فِيْهَا هُمْ وَالْغَاوُوْنَO أي: الألهة والعبدون لهم، والمعنى: نكسوا، أي: طرح بعضهم على بعض، قيل: تكرير الكب لتكرير معناه، كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى في جهنم؛ حتّى يستقر في قعرها وَجُنُوْدُ إِبْلِيْسَ أَجْمَعُوْنَO أتباعه، ومن أطاعه من الثقلين كلهم قَالُوْا أي: الغاوون وَالحال هُمْ فِيْهَا يَخْتَصِمُوْنَO مع معبوداتهم تَاللهِ إِنْ مخففة، والضمير المحذوف اسمها كُنَّا لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO إِذْ نُسَوِّيْكُمْ نعد لكم في العبادة أيها الأصنام بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُوْنَO الأباليس، أو رؤساهم، أو آباءهم الأولون فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِيْنَO كما للمؤمنين شفعاء من الملائكة والأنبياء والأوليا وَلَا صَدِيْقٍ صادق في الوداد كما لهم حَمِيْمٍO من الاحتمام، وهو الإهتمام، أي: الذي يهمه أمرنا، ووحد لقلته حتّى قيل: هو اسم لا معنى له، ويجوز أن يراد به الجمع، كالعدو فَلَوْ للتمني أَنَّ لَنَا كَرَّةً رجعة إلى الدنيا فَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO جواب لو، وقيل: شرطية، والجزاء محذوف، أي: لفعلنا كيت وكيت إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور من قصة إبراهيم عليه السلام وقومه لَآيَةً للاعتبار وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ قوم إبراهيم عليه السلام مُّؤْمِنِيْنَO ولو آمن بعضهم وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ على انتقام مكذبيه الرَّحِيْمُOع على مؤمنيه كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوْحٍ الْمُرْسَلِيْنَO هو مؤنث بدليل قويمة، وقيل: تذكيره وتانيثه لفظا [ص583] ومعنى، وجمع المرسلين لاشتراك الكل في التوحيد، أو بطول مكثه فيهم، قيل: ولد نوح في زمن آدم عليه السلام، وقيل: بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة آباء؛ بعث بعد الأربعين، وقيل: خمسين، وقيل: مائة وخمسين إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوْهُمْ نسبا نُوْحٌ أَلَا تَتَّقُوْنَO الله عز وجل إِنِّيْ لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO وكان مشهورا بالأمانة فيهم، كمحمد عليه السلام فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO فيما آمر من التوحيد والطاعة وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على التبليغ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ ثوابي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَO فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO كرر ليقرر قَالُوْا ءَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُوْنَO الأقلون مالا ومهابة قَالَ وَمَا عِلْمِيْ بِمَا كَانُوْا أي: مؤمني يَعْمَلُوْنَO إخلاصا أو طمعا، والله أعلم بسرائرهم، ولا تفتيش عليّ، إنما الحكم على الظواهر إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّيْ لَوْ تَشْعُرُوْنَO أن الله يحاسبهم على ما في قلوبهم وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمؤْمِنِيْنَO من حولي بطمع إيمانكم إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO والهادي حقا هو الله قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ عما تقول يَا نُوْحُ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَرْجُوْمِيْنَO بالحجارة، أو الشتم قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِيْ كَذَّبُوْنِOالنصف فَافْتَحْ فاحكم، مأخوذ من الفتاحة، بمعنى الحكم بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا حكما وَّنَجِّنِيْ

وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO من الغرق، قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِO المملو من الناس والحيوان والطير ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ أي: بعد إنجاءهم الْبَاقِيْنَO من قومه إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً وَّمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُOع [ص584] كَذَّبَتْ عَادُنِ الْمُرْسَلِيْنَO في الأصل اسم أب القبيلة، والمراد القبيلة إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوْهُمْ نسبا هُوْدٌ أَلَا تَتَّقُوْنَO الله في تكذيب رسله إِنِّيْ لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِ وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَO أَتَبْنُوْنَ بِكُلِّ رِيْعٍ شرف، ومكان مرتفع اٰيَةً بناءا علما للمارة، أو برج حمام تَعْبَثُوْنَO تلعبون، لا تحتاجون إليها؛ إذ كانوا يهتدون بالنجوم في الأسفار، وقيل تفتخرون بها، أو تسخرون بالمارة، والجملة حالية وَتَتَّخِذُوْنَ مَصَانِعَ مآخذ الماء تحت الأرض، أو قصور مشيدة، أو حصونا لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَO كأنكم غير ميتين في الدنيا وَإِذَا بَطَشْتُمْ بالسوط أو السيف بَطَشْتُمْ جَبَّارِيْنَO بلا رأفة، وقصد تأديب، ونظر في العاقبة فَاتَّقُوا اللهَ في ذلك بترك هذه الأشياء وَاَطِيْعُوْنِO فيما أمرتكم بالتوحيد وَاتَّقُوا الَّذِيْ أَمَدَّكُمْ أنعم عليكم بِمَا تَعْلَمُوْنَO ثم فصل أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَّبَنِيْنَO وَجَنَّاتٍ وَّعُيُوْنٍO بساتين وأنهار إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO أن عصيتموني بكفران النعمة قَالُوْا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِيْنَO إِنْ هٰذَا الذي تخوفنا، أو ما نحن عليه إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِيْنَO عاداتهم كانوا يلفقون مثله أو دينهم وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَO على ما نحن عليه فَكَذَّبُوْهُ أي: هودا فَأَهْلَكْنَا هُمْ بريح صرصر عاتية إِنَّ فِيْ ذَالِكَ في إهلاكهم لَآيَةً لمن يعتبر وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ في الانتقام الرَّحِيْمُOع لمن تاب كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ الْمُرْسَلِيْنَO [ص585] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوْهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُوْنَO الله إِنِّي لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَO أَتُتْرَكُوْنَ همزة الإنكار فِيْ مَا هَاهُنَا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمِنِيْنَO من العذاب فِيْ جَنَّاتٍ وَّعُيُوْنٍO وَّزُرُوْعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا ما يخرج من النخل، كنصل السيف هَضِيْمٌO لطيف ليّن وَتَنْحِتُوْنَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا تنقبون للبيتوتة فَارِهِيْنَO حال، أي: حاذقين في هذا الفن الفراهة والكياسة والنشاط فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO وَلَا تُطِيْعُوْا اَمْرَ الْمُسْرِفِيْنَO الكافرين الَّذِيْنَ يُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ بالظلم وَلَا يُصْلِحُوْنَO بالعدالة، أي: فسادهم متمحض، لا يشوب بنوع من الصلاح قَالُوْا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِيْنَO الذين سحروا كثيرا حتّى غلب على عقولهم مَا أَنْتَ أيضا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في الدعوى الرسالة قَالَ صالح هٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ نصيب من الماء وَّلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُوْمٍO فلا مزاحمة بينكم وبين الناقة وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوْءٍ بضرب وعقر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيْمٍO تعظم العذاب فيه فَعَقَرُوْهَا العاقر: قذار، عقر برضائهم فَأَصْبَحُوْا نَادِمِيْنَO على العقر خوفا من نزول العذاب، لا ندم توبة

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ الموعود، فهلكوا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَاٰيَةً لمن له نظر الاعتبار وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُOع كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطِنِ الْمُرْسَلِيْنَO إِذْ قَالَ لَهُمْ [ص586] أَخُوْهُمْ لُوْطٌ أَلَا تَتَّقُوْنَO الله عز وجل إِنِّيْ لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO فَاتَّقُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعٰلَمِيْنَO أَتَأْتُوْنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِيْنَO أ تطأون الذكور مع وجود الإناث من الناس؟ أو أنتم مخصوصون بهذا الفعل من بين العالمين وَتَذَرُوْنَ مَا خَلَقَ لَكمْ رَبُّكُمْ مِّنْ قبل أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمُ عَادُوْنَO حد العدالة قَالُوْا لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ عن الوعظ يَا لُوْطُ لَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِيْنَO من بلدتنا قَالَ لوط إِنِّيْ لِعَمَلِكُمْ هذا مِّنَ الْقَالِيْنَO المبغظين، القلي: البغض الشديد، يقلي القلب والفؤاد والكبد رَبِّ نَجِّنِيْ وَأَهْلِيْ مِمَّا يَعْمَلُوْنَO من عذاب ما يعملونه فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ بناته ومن معه أَجْمَعِيْنَO إِلَّا عَجُوْزًا امرأة لوط، كانت راضية بفعلهم فِي الْغَابِرِيْنَO أي: مقدرة في الباقين، في العذاب، والاستثناء لمشاركة اسم الأهل ثُمَّ دَمَّرْنَا أهلكنا الْآخَرِيْنَO وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا حجارة فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِيْنَO مطرهم، والمراد جنس الكافرين إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً للاعتبار وَمَا كَانَ أَكثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُOع كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيكَةِ الغيظة؛ ناعم الشجر بقرب مدين[1] الْمُرْسَلِيْنَO إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ هو مبعوث إلى مدين وأصحاب الأيكة، وقيل: هم أهل المدين التجاؤا إلى الغيظة لشدة الحر، ولم يكن منهم؛ فلم يقل أخوهم أَلَا تَتَّقُوْنَO الله إِنِّيْ لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيْعُوْنِO [ص587] وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعٰلَمِيْنَO أَوْفُوا الْكَيْلَ أتموه وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُخْسِرِيْنَO الناقصين الكيل، فالمنهى هو الكيل الطفيف، لا الزائد، والوافي وَزِنُوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِO الميزان السوي، إن كان من القسط بمعنى العدل؛ فوزنه فعلاس، وإلا رباعي؛ وزنه فعلال وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ لا تنقصوا دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَO لا تجاوزوا في الإفساد بإهلاك الزروع وقطع الطريق والإغارة، العثي: أشد الفساد، ومفسدين حال مؤكدة وَاتَّقُوا الَّذِيْ خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِيْنَO الخلق الماضين، يعني من تقدمهم من الخلائق، عطف على كم قَالُوْا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِيْنَO وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا الواو لإفادة المعنيين المنافيين للرسالة، مبالغة للتكذيب، وترك في قصة ثمود لإفادة معنى واحد، وهو كونه مسحرا وَإِنْ أي: إنهم نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِيْنَO فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كسَفًا جمع

---

1 – مدين: وهي في الإقليم الثالث. وبعدها عن خط المغرب، إحدى وستون درجة، وعن خط الاستواء، تسع وعشرون درجة، وهي بين حدود الشام وحدود مصر. وهي مدينة شعيب عليه السلام. وفيها كهفه الذي كان يأوي إليه بغنمه. وفيها جبال كثيرة، وفيها كهوف ومغارات تحت الأرض، فيها عظام بالية، عليها رواسخ مبنية. المنجم: المرجع السابق. ص: 91.

كسفة، بمعنى قطعة مِّنَ السَّمَاءِ من السحاب عقوبة إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في دعوى الرسالة قَالَ رَبِّيْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُوْنَO فيجازيكم به فَكَذَّبُوْهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ سحابة أظلتهم بعد حر شديد في سبعة أيام، فأمطرت عليهم نارا، فاحترقوا إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO إِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةً لمن يعتبر بها وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ في الانتقام الرَّحِيْمُOع لمن تاب وَإِنَّهُ أي: القرآن لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُO على وحي الله، لا يزيد ولا ينقص عَلَى قَلْبِكَ [ص588] روحك لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَO بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍO واضح وَإِنَّهُ لَفِيْ زُبُرِ الْأَوَّلِيْنَO أي: أن ذكر التنزيل على محمد صلى الله عليه وسلم مثبت في الكتب السماوية؛ التوراة والإنجيل والزبور أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ لكفار مكة آيَةً على رسالته صلى الله عليه وسلم أَنْ يَّعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَO كعبد الله بن سلام وغيره وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِيْنَO جمع أعجم، أو أعجمي، فخفف فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ على كفار مكة مَّا كَانُوْا بِهِ مُؤْمِنِيْنَO إما لعدم فهمهم لغة العجم، أو لاستنكافهم متابعة العجم، وإن كان بلغة العرب إعجازا فتمهلوا للجحود عذرا، وسموه سحرا كَذَالِكَ سَلَكْنَاهُ أدخلنا التكذيب فِيْ قُلُوْبِ الْمُجْرِمِيْنَO فبأيّ وجه دبر أمرهم، لا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب؛ عند قرأتك يا محمد! عليك الصلاة والسلام عليهم القرآن لَا يُؤْمِنُوْنَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيْمَO عند الموت، فيؤمنوا إيمان بأس غير مقبول فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فجأة وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO بإتيانه فَيَقُوْلُوْا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُوْنَO ممهلون تحسرا وتأسفا، قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى: أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُوْنَO أَفَرَءَيْتَ أي: اخبرني إِنْ مَّتَّعْنٰهُمْ سِنِيْنَO ولو عمر الدنيا ثُمَّ جَاءَهُمْ مَّا كَانُوْا يُوْعَدُوْنَO من العذاب مَا أَغْنَى عَنْهُمْ في دفع العذاب عنهم مَّا كَانُوْا به يُمَتَّعُوْنَO بتطاول الزمان في طيب المعاش وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُوْنَO رسل مذكرون ذِكْرَى أي: تذكرة وعظة لهم [ص589] منصوب بالمصدرية؛ لتقارب الإنذار والذكر، أو حال، أي: ذوي تذكرة، أو مفعول له وَمَا كُنَّا ظَالِمِيْنَO بإنزال العذاب قبل الإنذار. قال المشركون: الشياطين تلقى القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، رد بقوله: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ بالقرآن الشَّيَاطِيْنُO وَمَا يَنْبَغِيْ لَهُمْ أن يتنزلوا به وَمَا يَسْتَطِعُوْنَO ذلك إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لكلام الملائكة لَمَعْزُوْلُوْنَO لمحجوبون بالشهب، ولا يلقيه إلا الملائكة، لأنهم مشتمل على المغيبات فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَكُوْنَ مِنَ الْمُعَذَّبِيْنَO إن فعلت ما دعوك إليه؛ تهديد للغير على أكد وجه وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَO بنو عبد المطلب وهاشم وعبد مناف صعد الصفا، وناداهم الأقرب فالأقرب، قال: لا أملك لكم من الله تعالى شيئا، وإنما النجاة بالاتباع لا بالقرابة وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO ليّن جانبك للتابعين من العشيرة أو غيرها، الطائر وقوعا يكسر جناحيه ونهوضا يرفع، فاستعير خفض الجناح للانحطاط والتواضع فَإِنْ

عَصَوْكَ في الاتباع فَقُلْ إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَO من الشرك وَتَوَكَّلْ فوض أمرك عَلَى الْعَزِيْزِ الغالب على الأعداء الرَّحِيْمِO على الأخلاء الَّذِيْ يَرَاكَ حِيْنَ تَقُوْمُO إلى الصلاة متهجدا وَيرى تَقَلُّبَكَ {قياما وقعودا}[1] فِي السَّاجِدِيْنَO المصلين، وفيه إشارة إلى الجماعة إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ لأقوالكم الْعَلِيْمُO بنيّاتكم، ونزل جوابا لقول المشركين: إن الشياطين تلقى السمع على محمد صلى الله عليه وسلم هَلْ أُنَبِّئُكُمْ يا كفار مكة عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ بحذف التاء الشَّيَاطِيْنُO تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ كذاب أَثِيْمٍO فاجر، مثل: مسيلمة الكذاب [ص590] والكهنة: جمع كاهن يُلْقُوْنَ السَّمْعَ أي: الأفكون يلقون السمع إلى الشياطين، فهو صفة كل أفاك أثيم، أو حال من الشياطين، أي: ملقين السمع إلى الملائكة قبل أن يرجموا بالشهب أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُوْنَO يضمون إلى ما سمعوا من الملائكة أو الشياطين كذبا كثيرا، أو نزل في من قال: هو الشاعر، تبعته الغواة وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَO أي: ليس القرآن من الشعر، فإن الشعراء كما يقولون يتبعهم الغواة السفهاء، وأصحاب محمد وأتباعه ليسوا كذلك أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ أي: الشعراء فِيْ كلِّ وَادٍ من الكلام يَّهِيْمُوْنَO يخوضون مدحا وهجاءا، لا حقيقة لهما، والأباطيل لا يلتفت إليها وَأَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ مَا لَا يَفْعَلُوْنَO إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ من الشعراء، كعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وحسان بن ثابت رضي الله عنه، وكعب بن زهير رضي الله عنه، وكعب بن مالك رضي الله عنه، وأمثالهم. فإن شعرهم حكمة، لا يقولون إلا بالخير وَذَكَرُوا اللّٰهَ كَثِيْرًا وَّانْتَصَرُوْا بهجوهم الكفار مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوْا بهجو الكفار لهم وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا من الشعراء وغيرهم أَيَّ مُنْقَلَبٍ مرجع يَّنْقَلِبُوْنَOع يرجعون بعد الموت.

سورة النمل مكية، أربع وتسعون آية.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

طٰسٓ الله أعلم بمراده تِلْكَ أي: آيات السورة آيَاتُ الْقُرْآنِ وَآيات كِتَابٍ مُّبِيْنٍO أي: اللوح المحفوظ هُدًى وَّبُشْرَى حال، كونها هادية ومبشرة بالجنة لِلْمُؤْمِنِيْنَO بالقرآن الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ كما ينبغي وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ كما هو حقها وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَO ضمير الفصل، والإيقان: هو العلم الاستدلالي إِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ القبيحة في أعينهم، فرأوها حسنة فَهُمْ يَعْمَهُوْنَO يتحيرون، لا يدركون ما يتبعها من ضر [ص591] أو نفع أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ لَهُمْ سُوْءُ الْعَذَابِ كالقتل والأسر يوم بدر وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُوْنَO لفقدان المثوبة، ووجدان العقوبة

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

وَإِنَّكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ لتؤتاه مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ عَلِيْمٍO[الثلاثة] اذكر إِذْ قَالَ مُوْسَى ذاهبا من مدين إلى مصر لِأَهْلِهٖ لزوجته إِنِّيْ آنَسْتُ نَارًا بصرتها من بعيد سَاٰتِيْكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ بحال الطريق، وقد ضلها أَوْ آتِيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ بشعلة نار في فتيلة، أو عود لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَO تستدفؤن بها من البرد، والصلا: النار العظيمة، والطاء من التاء فَلَمَّا جَاءَهَا نُوْدِيَ موسى عليه السلام علاأَنْ مخففة، أي: بأنه، أو مفسرة بُوْرِكَ قدس، أو جعل فيه البركة والخير مَنْ فِي النَّارِ أي: في مكانها، أي: موسى عليه السلام وَمَنْ حَوْلَهَا حول مكانها من الملائكة، أو العكس وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO من جملة ما نودي به، تنزيه الله تعالى ذاته عن كل نقصان يَا مُوْسَى إِنَّهُ ضمير الشأن أَنَا مبتداء اللهُ خبره الْعَزِيْزُ الغالب القادر على ما بعد عن الأوهام، كتقليب العصا حية الْحَكِيْمُO في أمره وفعله وَنودي أن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَاٰهَا تَهْتَزُّ يتحرك بالاضطراب كَأَنَّهَا جَانٌّ حية خفيفة وَّلّٰى موسى عليه السلام مُدْبِرًا لخوف وثوب الحية عليه وَّلَمْ يُعَقِّبْ لم يرجع بعد أن ولّٰى يَا مُوْسَى لَا تَخَفْ منها إِنِّيْ لَا يَخَافُ من شيء لَدَيَّ الْمُرْسَلُوْنَO حين الوحي إليهم؛ بكمال استغراقهم فيه تعالى إِلَّا لكن مَنْ ظَلَمَ نفسه ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا أي: تاب [ص592] بَعْدَ سُوْءٍ فَإِنِّيْغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO أقبل توبته، وأغفره، وأرحمه وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِيْ جَيْبِكَ طوق القميص تَخْرُجْ بَيْضَاءَ نيرة تبهر ضياء الشمس مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ آفة، كالبرص، وأدخل يدك البيضاء فِيْ جملة تِسْعِ آيَاتٍ مرسلا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهٖ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فَاسِقِيْنَO خارجين إلى الكفر فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً واضحة قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO ظاهر وَجَحَدُوْا بِهَا لم يقروا بها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ أي: قلوبهم بأبلغ اليقين، إنها من عند الله ظُلْمًا منصوب بجحدوا وَّعُلُوًّا تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَO[ع] بالإغراق والإحراق في الدنيا والآخرة وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُوْدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا أيّ علم؟ أي: علما بالقضاء ومنطق الطير وغير ذلك، فعرفا كون العلم نعمة وَقَالَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيْرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَO الذين لم يأتوا علما، أولم يأتوا مثل علمهما، وفضّل عليهما كثيرا من عباده وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُوْدَ العلم والنبوة، أو الملك دون سائر بنيه؛ وكانوا تسعة عشر، أي: أعطى مثل أبيه، وإلا فالنبوة والعلم لا يورث قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ فهم كلامه، ضمير الجمع لعادة الملوك، أو له ولأبيه، والنطق والمنطق في العرف ما يعبر به عن ما في الضمير، وكل صوت الحيوان يطلق عليه النطق على التشبيه وَأُوْتِيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تؤتي الأنبياء والملوك إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِيْنُO كان معسكره مائة فرسخ في مائة فرسخ، للجن والإنس والطير والوحوش على سواء، وكان له ثلاث مائة [ص593] منكوحة، وسبع مائة سرية في ألف بيت؛ من قوارير على الخشب والبساط منسوج من الذهب والأفريشم فرسخا في فرسخ، ومنبره في طاقه مرصعا، وحوله ست مائة ألف

كرسي من ذهب وفضة للأنبياء والعلماء، وتظله الطير بأجنحتها، وترفع ريح الصبا البساط، فيسير مسيرة شهر في يوم، وزاده الله ملكا؛ حيث يلقي الريح إليه كل كلام يتكلم به أحد في أيّ ناحية، قال حراس: لقد أوتي آل داؤد ملكا عظيما، فنزل سليمان عليه السلام، ومشى إليه، وقال له: لا تتمن ما لا تقدر عليه لسبحة واحدة يقلبها الله خير مما أوتي آل داؤد، إن هذا لهو الفضل المبين وَحُشِرَ أي: جمع لِسُلَيْمَانَ جُنُوْدُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَO الوزع: المنع، أي: يمنعون عن السير حتّى يجتمعوا فيساقوا سوقا واحدا حَتَّى إِذَا أَتَوْا مشرفا عَلَى وَادِ النَّمْلِ أي: بلغوه، جمع نملة، وهو بالطائف، أو الشام قَالَتْ نَمْلَةٌ عرجاء؛ ملكة النمل، اسمها منذرة أو طاخية، قد أحست بصوت جند سليمان عليه السلام، ولا تعلم أنهم في الهواء يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوْا مَسَاكِنَكُمْ نزلت منزلة العقلاء في الخطاب لَا يَحْطِمَنَّكُمْ لا يكسرنكم سُلَيْمٰنُ وَجُنُوْدُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO بهلاككم، لأن الأنبياء معصومون عن الظلم، وجنوده عدول فَتَبَسَّمَ أولا ضَاحِكًا آخرا متعجبا، أو فرحا مِّنْ قَوْلِهَا أي: النملة، وقد سمع قولها من ثلاثة أميال، أو التبسم: هو ضحك الأنبياء، فهو حال مؤكدة وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيْ اجعلني أزع شكرك عندي بحيث لا أنفك عنه، وقيل: ألهمني وحقيقة كفني عن الأشياء إلا أن شكرك أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَك الَّتِيْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ لأن ماالهما له وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِيْ الجنة بِرَحْمَتِك لا بصالح عملي فِيْ زمرة [ص594] عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَO الأنبياء والأولياء وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ طلب، وتعرف، فلم يجد فيها الهدهد، الذي من خواصه إنه كان يرى الماء تحت كما يرى الماء في الزجاجة، ويدل بنقره فيها، فكان يخرجه الشياطين للصلاة وغيرها، إذ كان قنقن عسكره، فظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ منقطعة، بمعنى بل، أَكَانَ مِنَ الْغَائِبِيْنَO فلما تحقق إنه غاب، قال: والله لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيْدًا بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، فلا تمنع عن الهوام أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْلَيَأْتِيَنِّيْ بِسُلْطَانٍ ببرهان مُّبِيْنٍO بيّن العذر، فلا عذاب ولا ذبح فَمَكَثَ الهدهد غَيْرَ بَعِيْدٍ من الزمان من خوف سليمان فَقَالَ بعد الاستعفاء أَحَطْتُّ أطلعت في الغيبة عنك بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ لم تطلع عليه ابتلاءا من الله لسليمان عليه السلام مع جلالة قدره؛ أن يكافحه الهدهد بهذا الكلام، وكان التكبر من مقتضيات العلم إلا من حفظه الله وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَاٍ من صرف جعل قبيلة سميت باسم الجد، ومن لم يصرف أول بالبلدة والقبيلة بِنَبَاٍ بخبر يَّقِيْنٍO محقق إِنِّيْ وَجَدْتُّ امْرَأَةً بلقيس بنت شراحيل؛ ملكة أرض اليمن، ولم يكن له ولد غيرها، فملكت، وكانت مجوسية؛ تعبد الشمس تَمْلِكُهُمْ أهل سباء، أو بتأويل القوم وَأُوْتِيَتْ حال مقدرة مِنْ كلِّ شَيْءٍ يحتاج إليه الملك وَّلَهَا عَرْشٌ سرير عَظِيْمٌO بالنسبة إلى قدرها، قيل: كان ثمانين ذرعا في ثمانين، وطوله في الهواء ثمانون، وكان مكلا بأنواع الجواهر، وعليه سبعة أبيات، على كل بيت باب

مغلق، وقد أخفى الله سبحانه حالها على سليمان عليه السلام مع قربه منها لحكمة؛ إذ كان نازلا بصنعاء[1]، وهي بمازن[2]، وبينهما ثلاثة أميال، كما أخفي مكان [ص595] يوسف على يعقوب لحكمة وَجَدْتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُوْنَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ أي: التوحيد فَهُمْ لَا يَهْتَدُوْنَO أَلَّا يَسْجُدُوْا أي: فصد هم، لأن لا يسجدوا، وقيل: لا مزيدة، وأن يسجدوا في محل النصب بمفعولية، يهتدون بإسقاط إلى لِلهِ الَّذِيْ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مصدر بمعنى المفعول، يعلم كل خفية في السماء والأرض، أو المطر والنبات وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُوْنَ في قلوبكم وَمَا تُعْلِنُوْنَOالسجدة بألسنتكم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِO بالنسبة إلى جميع الأجسام والأجرام قَالَ سليمان للهدهد سَنَنْظُرُ نتأمل أَصَدَقْتَ فيما أخبرت أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَO فكتب، وقال للهدهد إِذْهَبْ بِّكِتَابِيْ هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ إلى بلقيس وقومه ثُمَّ تَوَلَّ تنحَّ عَنْهُمْ إلى مكان قريب؛ تتواري فيه فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُوْنَO يرجع بعضهم إلى بعض القول، فألقي في حجرها؛ وجندها حولها، فخافت، فطالعت، ثم قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّيْ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيْمٌO مختوم إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO أَلَّا تَعْلُوْا عَلَيَّ وَأْتُوْنِيْ مُسْلِمِيْنَOع منقادين. صورة الكتاب كانت هكذا: من سليمان عليه السلام بن داؤد عليه السلام إلى بلقيس ملكة سبأ[3]، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد! فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين. وختم بالمسك. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا وكانوا ثلث مائة وثلثة عشر رجلا، كل واحد على عشرة الآف أَفْتُوْنِيْ أشيروا عليّ فِيْ أَمْرِيْ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً [ص596] قاضية أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنِO تحضرون قَالُوْا في الجواب: نَحْنُ أُولُوْا قُوَّةٍ بالأجساد والأعداد وَّأُولُوْا بَأْسٍ شَدِيْدٍ في الحرب، فكأنهم

---

1 – صنعاء: بفتح الصاد وسكون النون بعدها عين مهملة وبالمد؛ صنعاء اليمن مدينة مشهورة حصينة، ينسب إليها خلق كثير من أئمة العلماء، وآئمة الحديث، وغيرهم، وصنعاء الشام كانت عند دمشق، وخربت الآن، وينسب إليها أيضا نفر، منهم: أبو الأشعث الصنعاني، وعبد الرزاق بن عمر الصنعاني. زين الدين: محمد بن موسى بن عثمان، أبو بكر، الهمداني، (ت: 584هـ). الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة: (تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ). ص: 606.

2 – مازن: بالزاي المكسورة، والنون، وهو بيض النمل، ويجوز أن يكون فاعلا من مزن في الأرض إذا مضى فيها لوجهه، والمازن: ماء معروف. الحموي: المرجع السابق. 41/5.

3 – سبأ: وهي في الإقليم الثاني. وبعدها عن خط المغرب، خمس وستون درجة، وذلك من الأميال، أربعة آلاف ومائتان وتسعون ميلا. وبعدها عن خط الاستواء، سبع عشرة درجة، وذلك من الأميال، ألف وثمانون ميلا. وبها معادن الذهب. وهي مدينة بلقيس، وبها كان عرشها، وآثارها باقية من الأساطين التي كانت عليها، حتى اقتطعت في زمان سليمان بن داود عليهما السلام. المنجم: المرجع السابق. 51/1.

أشاروا بالقتال وَّالْأَمْرُ موكول إِلَيْك فَانْظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَO بالصلح والقتال، فنطيعك قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً عنوة وقهرا أَفْسَدُوْهَا بالتخريب، فيه ترنيف رأيهم بالمقابلة، حيث أدّعوا القوة والبأس الشديد وَجَعَلُوْا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً هذه عاقبة الحرب وَكَذَالِكَ يَفْعَلُوْنَO اي: الملوك استمرارا وَإِنِّيْ مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ إلى سليمان عليه السلام وجنوده بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَO بحذف ألف الاستفهامية مع حرف الجر، إن كان ملكا يقبل ويتصرف، وإن كان نبيا لا يرضى إلا بالمتابعة في الدين، فأرسل ألفا من الخدم: نصفهم الوصفاء؛ زي الوصائف، وبالعكس، وخمس مائة لبنة من الذهب، ومن الفضة مثلها، وتاجا مكللا بالدرر واليواقيت، وحقة فيها درة عذرا، وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رسلا، وأمّرت عليهم المنذر بن عمرو، وأوصته: إن نظر إليك غضبان فلا تبال؛ إنه ملك، وإن لان بشاشا فتأدب بين يديه؛ وإنه نبي. وطلبت إعجازا منه عليه السلام التميز في أهل الخدمة ذكورا وإناثا، وثقب الدرة مستويا، وسلك الخرزة خيطا، وأقبل الهدهد بخبرها، فأمر سليمان عليه السلام الجن بضرب اللبنات ذهبا، وفرشوها سبعة فراسخ، وأحبس الدواب عليها، وهو على السرير المكلل، والكراسي من جانبيه للأناسي، والشياطين قوام صفوفا، والوحوش والطيور والسباع والهوام كذلك فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمٰنَ فلما دنى القوم، ورأو الدواب تروث على لبنات الذهب رموا ما معهم في الهدايا، فأخذ كتابها، فأمر الأرضة، فأخذت شعره، ونفذت في الدرة، [ص597] ودودة بيضاء وأخذت بفيها خيطا، ونفذت في الخرزة، ودعا بالماء فالجارية تبذله من يد إلى يد، ثم يضرب وجهها، والغلام كما يأخذ يضرب بالوجه، ورد الهدايا قَالَ بطلاقة الوجه أَتُمِدُّوْنَنِ خطاب للرسول ومن معه بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ من النبوة والملك خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ شيئا من زخارف الدنيا بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ اسم ما يهدي، كالعطية اسم المعطي تَفْرَحُوْنَO لقصور نظركم إلى الدنيا إِرْجِعْ أيها الرسول إِلَيْهِمْ بهديتهم فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُوْدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا لا طاقة المقابلة لهم وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا من بلد هم سبأ أَذِلَّةً وَّهُمْ صَاغِرُوْنَO مهانين إسراءا، إن لم يؤمنوا، فلما رجع رسلها إليها بهدايا؛ جعلت سريرها في قصر، هو في سبعة قصور مغلقة الأبواب، وعليها حراسا، وتجهزت للمسير إلى سليمان عليه السلام لتنظر بما يدعوها إليه في اثنا عشر ألف، قيل: تحت كل قبل ألوف كثيرة، فلما قربت قدر فرسخ شعر بها قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِيْنِيْ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَّأْتُوْنِيْ مُسْلِمِيْنَO ليقيم شاهد النبوة، وليميز عقلها، هل تدرك أم لا بعد التغير؟ وقيل: إذا أتت مسلمة لم يحل أخذ مالها إلا برضاها، ولا يخفى ما فيه من البعد قَالَ عِفْرِيْتٌ مِّنَ الْجِنِّ خبيث مارد، اسمه: ذكوان أَنَا آتِيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ محل الحكومة وَإِنِّيْ عَلَيْهِ على حمله لَقَوِيٌّ أَمِيْنٌO على الجواهرك التي ركزت فيه، قال سليمان عليه السلام: أريد أعجل منه قَالَ الَّذِيْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ اللوح المحفوظ، أو جنس الكتب

المنزلة، وهو آصف بن برخيا، قيل: خضر عليه السلام، وقيل: جبرائيل عليه السلام، وقيل: ملك أو سليمان عليه السلام لنفسه، وكان آصف يعلم الاسم الأعظم؛ الذي إذا دعَى به أجاب، وهو ياحي ياقيوم، أو يا ذا الجلال والإكرام، [ص598] أو يا إلهنا وإله كل شيء إلها وأحدا لا إله إلا أنت أَنَا آتِيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَّرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ هو تحريك الأجفان للنظر، والمراد هو النظر، أي: ترسل طرفك إلى نحو السماء، أو نحو اليمين، فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك، فدعا به، فغار العرش في الأرض، ونبع عند مجلسه فَلَمَّا رَاٰهُ مُسْتَقِرًّا حاضرا ساكنا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا التمكين على الإحضار في هذه المدة مِنْ فَضْلِ رَبِّيْ غير استحقاق لِيَبْلُوَنِيْ ليمتحنني ءَأَشْكُرُ بهذه النعمة أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ يعود ثواب الشكر إليها، فإن الشكر قيد للنعمة الموجودة؛ وصيد للنعمة المفقودة وَمَنْ كَفَرَ النعمة فَإِنَّ رَبِّيْ غَنِيٌّ عن شكره كَرِيْمٌO بفضله على من يكفر نعمته قَالَ نَكِّرُوْا أي: غيّروا حتّى تنكر؛ إذا رأت لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِيْ إلى معرفة العرش، أو الجواب الصائب حين سئلت، أو الإيمان بالله تعالى أَمْ تَكُوْنُ مِنَ الَّذِيْنَ لَا يَهْتَدُوْنَO قصد بذلك اختبار عقلها، قيل: كانت بلقيس بنت جنية، خافت الأجنة أن يتزوجها، فتقضي إليه بإسرارهم، وأن يولد منها ولد يجتمع فيه فطنة الجن والإنس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد، فقالوا: إن في عقلها سخافة، وأيضا هي شعراء الساقين ورجلها، كحافر الحمار، فأمتحن بتنكر العرش عقلها، وبالصرح الممرد الساق والقدم. والمحققون قالوا: لا ينبغي أن يحمل عليه لأن الاحتيال لرؤيته ساق الأجنبية لا يجوز، بل لاستعظام شوكة، وتحقق نبوته، بني الصرح فَلَمَّا جَاءَتْ قِيْلَ أَهٰكَذَا عَرْشُك أي: أ مثل هذا عرشك؟ شبه الأمر عليها؛ زيادة في الامتحان في العقل قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَأجابت بالتشبيه، ولم تقل: هو هو، [ص599] ولا لبس به لكمال عقلها وَأُوْتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِيْنَO تتمة كلامها، أي: أوتينا العلم بالله وكمال قدرته، وبصحة نبوتك قبل هذه المعجزة؛ بما تقدم من الآيات. ويمكن أن يكون كلام سليمان وقومه، أي: أوتينا العلم بالله تعالى وقدرته من قبل علمها بالله وبرسوله، وكنا مسلمين وَصَدَّهَا عن الإيمان بالله جل جلاله وعبادته مَا كَانَتْ تَّعْبُدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الشمس إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِيْنَO قِيْلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ القصر، أو عرصة الدار؛ التي بناها من زجاج شفاف، تحتها الماء، فيها الحيتان وغيرها فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَّكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا للخوض فرآهما حسنا، كما يكونان للإنسان إلا أنهما ذاتا شعر، فأزاله بالنورة قَالَ سليمان إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مملس مِّنْ قَوَارِيْرَ ودعاها إلى الإسلام قَالَتْ رَبِّ إِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ إلى الآن بعبادة الشمس وَأَسْلَمْتُ كائنة مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَOع فنكحها وأقرها في ملكها، ويزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، ومَلِك وهو ابن ثلثة عشرة سنة، ومات

وهو ابن ثلث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لملكه وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ نسبا صٰلِحًا بدل أَنِ اعْبُدُوا اللهَ أي: بأن وحدوه فَإِذَا هُمْ فَرِيْقَانِ من المؤمنين والكافرين يَخْتَصِمُوْنَO قَالَ للكفرة يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُوْنَ بِالسَّيِّئَةِ بالعذاب الموعود، حيث قلتم: ﴿يَا صَالِحُ أْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ﴾[1] قَبْلَ الْحَسَنَةِ التوبة والرحمة لَوْلَا هلا تَسْتَغْفِرُوْنَ اللهَ قبل نزول العذاب لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ أصله تطيّرنا، قلبت [ص600] الطاء عن التاء، فأدغمت، وأجلبت همزة الوصل وَبِمَنْ مَّعَك من المؤمنين، أي: تشأمنا بكم، حيث قحطوا عند مبعثه لشامة التكذيب قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ أي: شؤمكم الذي هو سبب العذاب كائن عند الله هو قدره، أو أعمالكم مكتوبة عندالله تعالى بها ينزل بكم ما ينزل بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُوْنَO تختبرون بالخير والشر وَكَانَ فِي الْمَدِيْنَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ أي: في مدينة ثمود؛ وهي الحجر، تسعة رجال ساعين في عقر الناقة، ورهط جمع لا واحد له، وهي في الثلاثة إلى العشرة يُّفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُوْنَO أي: يفسدون فساد البحت، لا صلاح معه قَالُوا أي: قال بعضهم لبعض تَقَاسَمُوْا تحالفوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ لنباعثن صالحا وَأَهْلَهُ من آمن ليلا، أي: لنقتلنهم بالليل ثُمَّ لَنَقُوْلَنَّ لِوَلِيِّهِ أي: لولي دمه مَا شَهِدْنَا ما حضرنا مَهْلِك أَهْلِهِ هلاك أهله وَإِنَّا لَصَادِقُوْنَO في ما ذكرنا وَمَكَرُوْا مَكرًا في قتل صالح وأهله وَّمَكَرْنَا مَكرًا وجازيناهم بعقوبة معجلة وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO ما وقع بهم. كان صالح عليه السلام يصلي في شعب قرية ثمود، فذهبوا ليقتلوه في مسجده في الحجر في شعب، فوقع صخرة، فطبقت {عليهم}[2] فم الشعب، فهلكوا، والباقون بالصيحة فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ أهلكناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِيْنَO فَتِلْكَ بُيُوْتُهُمْ خَاوِيَةٌ خالية، أو ساقطة أعلاها على أسفلها بِمَا ظَلَمُوْا إِنَّ فِيْ ذَالِك لَآيَةً لعبرة لِّقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَO قدرتنا وَأَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا صالح ومن معه وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَO الشرك، وهم كانوا أربعة آلاف، نجوا من العذاب مع صالح وَاذكر [ص601] لُوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ إتيان الذكور وَأَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَO هذه الشناعة بالقلب أو بالباصرة، فهم كانوا يباشرون في المجلس من غير تستر أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُوْنِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُوْنَO عواقب أفعالكم، أو حكمة الله، فإنه خلق الأنثى للذكر، لا الذكر للذكر، ولا الأنثى للأنثى فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوْا أَخْرِجُوْا آلَ لُوْطٍ أهله مِّنْ قَرْيَتِكمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُوْنَO عن العمل القذر، أو قالوا استهزاءا بهم فَأَنْجَيْنَاهُ لوطا من العذاب وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا أي: قدرنا كونها مِنَ الْغَابِرِيْنَO الباقين في

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 77.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة الأصل، والتصويب من ب و ج.

العذاب وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا حجارة مكتوبا عليها اسم صاحبها فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِيْنَO ع مطرهم قُلِ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الْحَمْدُ للهِ على هلاك الأمم الطاغية الخالية وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِيْنَ اصْطَفَى اللهُ خَيْرٌ لمن يعبده عَمَّا يُشْرِكوْنَO به، أي: أم الأصنام خير للكفار، ومعلوم أنه لا خير فيها أصلا، وإنما هو تهكم بحالهم.

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أم الأولى متصلة، وهذه منقطعة، بمعنى بل، والهمزة التقريرية وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ جمع حديقة، وهو البستان المحوّط ذَاتَ بَهْجَةٍ لم يقل ذوات؛ بتأويل الحدائق بالجماعة، أي: ذات حسن مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوْا شَجَرَهَا أي: محال من الغير إنبات شجر الحدائق ءَإِلٰهٌ مَّعَ اللهِ أ غيره يقرن به في العبودية، [ص602] أي: لا بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَّعْدِلُوْنَO عن التوحيد، يشركون بالله غير الحق أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا لا تميد بأهلها وَّجَعَلَ خِلَالَهَا وسطها، مفعول ثان أَنْهَارًا مفعول أول للجعل وَّجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ جبالا، تمنع الحركة وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ المالح، والعذب حَاجِزًا برزخا، لا يخالط أحدهما بالآخر ءَإِلٰهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO التوحيد، فلا يؤمنون به أَمَّنْ يُّجِيْبُ الْمُضْطَرَّ افتعال من الضرورة، وهي الحالة المحوجة إلى اللجاء إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوْءَ الضرر وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ الإضافة بمعنى في، يخلف كل قرن؛ القرن الذي قبله، أو المراد بالخلافة: التسلط والملك ءَ إِلٰهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا زائدة، لتقليل القليل تَذَكَّرُوْنَO تتعظون أَمَّنْ يَّهْدِيْكُمْ فِيْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا، وبمعالم الأرض نهارا وَمَنْ يُّرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا من البشارة بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أي: قدام المطر ءَإِلٰهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَO أَمَّنْ يَّبْدَؤُا الْخَلْقَ ينشأه ثُمَّ يَعِيْدُهُ بعد الفناء، ولسطوع براهين الإعادة، نزلوا منزلة غير المنكر وَمَنْ يَّرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ المطر وَالْأَرْضِ النبات ءَ إِلٰهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ على تأثير غير الله تعالى في شيء من الأشياء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوى الشرك، وسألوه عن الساعة، فنزل: قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من الإنس والجن والملك الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ لكنه يعلمه، وتعالى الله أن يكون ممن في السماوات، ولكنه جاء على لغة بني تميم، حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجري المتصل، فيجوزون النصب والرفع في المنقطع أيضا وَمَا يَشْعُرُوْنَ [ص603] أي: الكفار كغيرهم أَيَّانَ متى يُبْعَثُوْنَO بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ أصله تدارك، قلبت التاء دالا، فأدغمت، وأجلبت الهمزة للوصل، أي: تكامل وانتهي وتلاحق وتلاصق علمهم فِي شأن الْآخِرَةِ أي: في كينونتها بالآيات، والأسباب الدالة على أن الساعة آتية، ولا يعلمونها لفرط جهلهم بَلْ هُمْ فِيْ شَكٍ في حيرة مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُوْنَO ع بالقلب،

أصله عميون، نقلت ضمة الياء بعد حذف كسرة الميم إليها للاستثقال، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا في إنكار البعث ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُوْنَO أحياءا من القبور لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا البعث نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم إِنْ هٰذَا الخبر إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أكاذيبهم، جمع أسطورة، ما سيطر من الكذب قُلْ سِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَO أي: الهلاك، فينزل بهم ما نزل بهم وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ على تكذيبهم وَلَا تَكُنْ فِيْ ضَيْقٍ حرج ضار مِّمَّا يَمْكُرُوْنَO أي: من مكرهم، فأنا ناصرك عليهم وَيَقُوْلُوْنَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ أي: وعد العذاب إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في أن العذاب نازل بالمكذب قُلْ عَسَى أَنْ يَّكُوْنَ رَدِفَ قرب لَكُمْ اللام زائدة بَعْضُ الَّذِيْ تَسْتَعْجِلُوْنَO وهو عذاب يوم بدر وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ فَضْلٍ أي: إفضال عَلَى النَّاسِ ومن فضله تأخير العذاب لعلهم يتوبون وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أكثر الكفار لَا يَشْكُرُوْنَO نعمة التأخير؛ لإنكارهم وقوعه وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ تخفيصُدُوْرُهُمْ وَمَا يُعْلِنُوْنَO [ص604] في أمر عداوتك وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ خافية فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِيْ كِتَابٍ لوح محفوظ مُّبِيْنٍO ظاهر، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، كما في العافية و العاقبة والذبيحة والنطيحة، أو للمبالغة؛ إن قصد المعنى الوصفي إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ أي: اليهود والنصرى؛ الموجودين في زمن محمد صلى الله عليه وسلم أَكْثَرَ الَّذِيْ هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO كحال عزير والمسيح، فإنهم تحزبوا إحرابا، فتشاجروا وتلاعنوا بينهم وَإِنَّهُ أي: القرآن لَهُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَO إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِيْ بَيْنَهُمْ في القيامة بِحُكْمِهِ بعدله وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب في إمضاء قضاءه الْعَلِيْمُO بحال المقضي له، والمقضى عليه فَتَوَكَّلْ يا محمد! صلى الله عليك وسلم عَلَى اللهِ ولا تبال بالأعداء إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِيْنِO الدين الواضح إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى فإن الكفار في حكم الموتى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ كلا مفعولي تسمع إِذَا وَلَّوْا أي: الصم مُدْبِرِيْنَO لأنه إذا تباعد عن الداعي كان أبعد عن إدراك صوته وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ جمع أعمي عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ ما يجدي إسماعك إِلَّا مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُوْنَO مخلصون بتوحيده تعالى وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ قبيل البعث والعذاب أَخْرَجْنَا من المسجد الحرام أو الصفا لَهُمْ دَابَّةً اسمها: جساسة مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أي: الموحدين، في الحديث: ((طُوْلُهَا سِتُّوْنَ ذِرَاعًا، وَلَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمُ، وَرِيْشٌ، وَجَنَاحَانِ))[1]. قيل: يتكلم بالعربية، وينقطع بخروجها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر بعد ذلك أَنَّ النَّاسَ أي: بأن الكفار، مفعول تكلم كَانُوْا بِآيَاتِنَا [ص605] أي: بخروجي، فإنها آية من آيات الله، وتقدير الكلام: بآيات ربنا، أو هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك لَا يُوْقِنُوْنَOع وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ من للتبعيض، أي: من الأمم فَوْجًا زمرة مِّمَّنْ للبيان

---

1 – البيضاوي: المرجع السابق. 167/4.

يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوْزَعُوْنَO يجمعون بحبس المقدم للمؤخر ، ثم يدفعون جمة إلى المحشر للحساب حَتَّى إِذَا جَاءُوْا موقف الحساب والسؤال قَالَ تعالى لهم: أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِيْ المنزلة على رسلي بادي الرأي وَلَمْ تُحِيْطُوْا بِهَا عِلْمًا بأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب عَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO أصله: أم ما ذا، فأدغم، أي: ما الذي كنتم تعملون غير التكذيب؟ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أي: حال العذاب بهم بِمَا ظَلَمُوْا فَهُمْ لَا يَنْطِقُوْنَO إذ لا حجة لهم ذلك اليوم، أو لشدة العذاب، ذهلوا عن الاعتذار أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا خلقنا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوْا فِيْهِ عن المكاسب وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ليبصروا فيه طرق المكاسب، فجعل وصفهم وصف النهار للمبالغة إِنَّ فِيْ ذَالِكَ الاختلاف لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO بالبعث والعذاب وَاذكر يَوْمَ يُنْفَخُ النافخ إسرافيل النفخة الأولى فِي الصُّوْرِ وهي مثل القرن، أو جمع صورة فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أي: خاف خوفا يفضي إلى الموت، وصيغة الماضي للتحقيق إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ من الملائكة وخزنة الجنة والنار ومن فيهما من الشهداء وموسى عليه السلام وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِيْنَO أي: الجميع يأتون الموقف ذليلين وَتَرَى الْجِبَالَ وقت النفخة تَحْسَبُهَا جَامِدَةً قائمة في مكانها لعظمها، لا تتبين حركتها وَّهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ في السرعة، إذا ضربته الريح؛ فيصير كالعهن المنفوش، ثم يصير هباءا منبثا على وجه الأرض صُنْعَ اللهِ أي: صنع الله صنعا، [ص606] مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة بعد حذف عامله، وإضافة المصدر إلى الفاعل الَّذِيْ أَتْقَنَ أحكم كُلَّ شَيْءٍ صنعه إِنَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَفْعَلُوْنَO مَنْ جَاءَ يوم القيامة بِالْحَسَنَةِ أي: لا إله إلا الله فَلَهُ خَيْرٌ حاصل مِّنْهَا من جهتها، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالُهَا﴾[1]، وفي الحديث: ((إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ))[2]، أو الخبرية، لما حصل له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني، واسم التفضيل على أصل معنى الفعل وَهُمْ ألجاؤن بها مِّنْ فَزَعٍ شديد، مفرط الشدة، وهو خوف النار يَّوْمَئِذٍ يوم القيامة آمِنُوْنَO وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ الشرك فَكُبَّتْ وَجُوْهُهُمْ فِي النَّارِ ألقيت نفوسهم بالخرور على الوجوه، يقال لهم: هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا جزاء مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO من الشرك والمعاصي في الدنيا إِنَّمَا مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ مكة الَّذِيْ حَرَّمَهَا كرمها بالخواص، يأمن من ألجأ إليه، ولا يعضد شوكها، ولا يصاد صيدها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ من الدنيا والآخرة وَّأُمِرْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَO المنقادين له تعالى وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ أي: أن أواظب على تلاوته، أو اتباعه فَمَنِ اهْتَدَى بتوحيده فَإِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهِ لرجوع

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية: 161.

2 – جزء من الحديث، وتمامه: ((الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا)). البخاري: كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، رقم الحديث: 41. 17/1.

{منفعة}[1] اهتدائه إليها وَمَنْ ضَلَّ عن الإيمان فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا نذير مِنَ الْمُنْذِرِيْنَO والهادي حقيقة هو الله تعالى، وليس عليّ إلا البلاغ، قيل: هذا قبل آية السيف وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيْكُمْ آيَاتِهِ من نقمات الله كوقعة بدر، أو خروج دابة الأرض، أو انشقاق القمر، أو الدخان فَتَعْرِفُوْنَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَOع وإنما يمهلهم لوقت معلوم.

سورة القصص مكية، ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص607] طٰسٓمّٓO الله أعلم بمراده بذلك تِلْكَ هذه الآيات من هذه السورة آيَاتُ من الْكِتَابِ الْمُبِيْنِO المظهر للحلال والحرام نَتْلُوْا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَإِ مُوْسَى وَفِرْعَوْنَ نقص عليك من خبرهما بِالْحَقِّ حال، أي: محققين في الإخبار لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO سبق في علمنا إيمانهم، لأنهم المنتفعون دون غيرهم إِنَّ فِرْعَوْنَ اسمه قالون، كان فارسيا من اصطخر، لقب به لتفرعنه عَلَا فِي الْأَرْضِ أرض مصر وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا فرقا، يشيعونه ما يريد، ويطيعونه يَّسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ هم بنو إسرائيل يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ لما قاله بعض الكهنة: أن يولد في بني إسرائيل مولود، يذهب ملكك على يده. ويظهر من حمقه، لأنه إن كان الكاهن صادقا فلا ينفع الذبح، وإن كان كاذبا فما معنى القتل وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ للخدمة إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَO بالقتل والتألُّه وَنُرِيْدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً في الدين وَّنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِيْنَO لملك فرعون وَنُمَكِّنَ نسلط لَهُمْ فِيْ الْأَرْضِ أرض مصر، أو الشام وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُوْدَهُمَا مِنْهُمْ من بني إسرائيل مَّا كَانُوْا يَحْذَرُوْنَO من ولادة المولود، وذهاب ملكه به، والحذر التوقي من الضرر وَأَوْحَيْنَا بالإلهام، أو الرؤيا، أو بأخبار الملك، وليس هذا وحي رسالة إِلَى أُمِّ مُوْسَى أَنْ هذه مفسرة أَرْضِعِيْهِ ما استطعت الإخفاء، وكان ثلاثة أشهر فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بأن يحس الجيران صوته، فيرفعون إلى فرعون فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ أي: النيل[2] وَلَا تَخَافِيْ عن غرقه وَلَا

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – النيل: نيل مصر. قيل هو تعريب نيلوس، فليس فى الدنيا نهر يصبّ من الجنوب إلى الشمال إلّا هو، ولا أطول منه؛ لأنّ طوله فى بلاد الإسلام مسيرة شهر وشهرين فى بلاد النوبة، وأربعة أشهر فى الخراب، حيث لا عمارة؛ إلى أن يخرج إلى بلاد القمر خلف خطّ الاستواء. وابتداء مدّه يكون فى أيام الحرّ حيث تنتهى مدود الأنهار فى جميع الأرض وتنقص. وذلك فى بؤونة من شهور القبط، فى آخره تبتدئ زيادته إلى حدّ معلوم، فيفتح ماؤه على أراضى مصر حتى يروى جميعها، وكلما خرج من تحت الماء شىء من الأرض زرع حتى يعم الزرع أراضى مصر كلها. ابن شمائل: المصدر السابق. 1413/3.

تَحْزَنِيْ بفراقه، والفرق [ص608] بينهما؛ أن الخوف: غم عن مكروه متوقع، والحزن: غم عن مكروه واقع إِنَّا رَادُّوْهُ إِلَيْكِ لتربيته وَجَاعِلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَO روي أن فرعون ذبح تسعين ألف وليد في طلب موسى عليه السلام، والقابلة المؤكلة بحبالَى بني إسرائيل، فلما رأته دخل حبه قلبها، ما وجدته في غيره، قالت لأم موسى عليه السلام: احفظيه، ما أقتله، فخرجت، ثم دخل عيون فرعون، فطاش عقلها، فلفته في خرقة، ووضعته في التنور المسجر، وما أحست ما تفعل به، فطلبوه، فلم يلقوا شيئا، فخرجوا، وهي لا تدري مكانه، فسمعت بكائه من التنور، فرأت قد جعلها الله بردا وسلاما، فلما ألحّ فرعون في طلب الولد؛ أن أوحي الله إليها: أن تلقيه في البحر، فالقيه في التابوت المطلى بالقار الممهد ليلا فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ أعوانه صبحة تلك الليلة لِيَكُوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا وَّحَزَنًا قيل: هي لام العاقبة والصيرورة، وفي الكشاف: لام كي للتعليل[1] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وزيره وَجُنُوْدَهُمَا كَانُوْا خَاطِئِيْنَO مذنبين، أو في كل شيئ، وفي تربية العدو أيضا وَإِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ آسية؛ حين هموا بقتله، لما برأت ابنتها البرصاء بريقه، وتفطنوا أنه هو الذي تحذر منه، واستجازوا في قتله من فرعون، فأجازهم، هو قُرَّةُ عَيْنٍ لِّيْ وَلَكَ فقال فرعون: لك، لا لي، وفي الحديث: ((لَوْ قَالَ كَمَا قَالَتْ لَهَدَاهُ اللهُ كَمَا هَدَاهَا))[2] لَا تَقْتُلُوْهُ أيها الغواة عَسَى أَنْ يَّنْفَعَنَا لمخائل اليمن فيه، حيث ارتضع من إبهاميه لبّنا، وتنور ما بين عينيه، وأبرء من ريقه أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا نتبنّاه، لأنه أهل، لأن يكون ولدا للملوك وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO عواقب أموره في الالتقاط، ورجاء النفع وتبنّيه وَأَصْبَحَ أي: صار فُؤَادُ أُمِّ مُوْسَى فَارِغًا خاليا عن الفكر؛ لما سمعت باتّخاذهما إياه ولدا، أو خاليا عن العقل؛ للحسرة من وقوعه في يد فرعون إِنْ مخفّفة من مثقّلة [ص609] كَادَتْ لَتُبْدِيْ لتظهر لفرط الفرح، أو الضجرة بِهِ بأمر موسى عليه السلام لَوْلَا أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا بالصبر؛ لأبدته لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO بوعد الله، وهو: ﴿إِنَّا رَادُّوْهُ إِلَيْكِ﴾[3] وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ أي: مريم قُصِّيْهِ اتبعي أثره؛ لتعلمي خبره فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ بعد وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO إنها أخته وَحَرَّمْنَا منعنا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ المحضرة، فلم يمص مصة من ثدي مِنْ قَبْلُ قبل رده إلى أمه، أو قصها أثره فَقَالَتْ أخته؛ لما رأت تحننهم عليه: هَلْ أَدُلُّكُمْ أرشدكم عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَّكْفُلُوْنَهُ لَكُمْ اي: موسى عليه السلام بالإرضاع وغيره وَهُمْ لَهُ نَاصِحُوْنَO فَرَدَدْنَاهُ من يومه إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بلقائه وَلَا تَحْزَنَ حينئذ بفراقه وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَّلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَOع

---

1 – اللام في لِيَكُوْنَ هي لام كي التي معناها التعليل. الزمخشري: المرجع السابق. 394/3.

2 – النسفي. المصدر السابق. 630/2.

3 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص، الآية: 7.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ثلاثين سنة، جمع شدة، كنعم، وأنعم وَاسْتَوَى بأربعين سنة آتَيْنٰهُ حُكْمًا نبوة وَّعِلْمًا بالدين، فإن الأنبياء؛ كما قيل: بعثوا على رأس أربعين إلا عيسى عليه السلام، ويحيَى عليه السلام على قول وَكَذَالِكَ مثل ما فعلنا بموسى عليه السلام وأمه نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَO وَدَخَلَ موسى الْمَدِيْنَةَ أي: مصر بعد أن غاب عنه مدة عَلَى حِيْنِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا من وقت القيلولة أو بين العشائين، وذلك لأنه لما شهب وعقل أخذ يتكلم بالحق، وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل المدينة إلا على تغفل بهم فَوَجَدَ فِيْهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ يختصمان هٰذَا مِنْ شِيْعَتِهٖ ممن شايعه على دينه، أي: الإسرائيلي وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهٖ أي: القبطي، يضرب القبطي الإسرائيلي ليحمل حزمة الحطب إلى مطبخ فرعون فَاسْتَغَاثَهُ بالإعانة [ص610] الَّذِيْ مِنْ شَيْعَتِهٖ عَلَى الَّذِيْ مِنْ عَدُوِّهٖ فَوَكَزَهُ بجمع الكف، أو بأطراف الأصابع مُوْسَى فَقَضَى عَلَيْهِ فقتله، ودفنه في الرمل قَالَ هٰذَا القتل بغير قصد مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ لكونه مستأمنا فيهم، أولم يؤمر بالقتل إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِيْنٌO بيّن العداوة قَالَ رَبِّ إِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ بالقتل الخطاء فَاغْفِرْلِيْ زلتي فَغَفَرَ لَهُ زلته إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ بإقالة الزلل الرَّحِيْمُO بإزالة الخجل قَالَ رَبِّ أقسم بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ أي: بإنعامك عليّ بالمغفرة؛ لأتوبن فَلَنْ أَكُوْنَ ظَهِيْرًا {معينا}[1] لِّلْمُجْرِمِيْنَO أي: فرعون وجنوده فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِيْنَةِ خَائِفًا يَّتَرَقَّبُ ينتظر جزاء قتله، أي: الاستقادة، أو الأخبار، وما يقال فيه فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ {أي: الإسرائيلي}[2] يَسْتَصْرِخُهُ يستغيثه على قبطي آخر قَالَ لَهُ مُوْسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِيْنٌO إذ صرت سببا للقتل فَلَمَّا أَنْ زائدة أَرَادَ أَنْ يَّبْطِشَ بِالَّذِيْ بالقبطي الذي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا أي: لموسى والإسرائيلي المستصرخ قَالَ الإسرائيلي يَا مُوْسَى أَتُرِيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِيْ لما سمع منه إنه قال إنك لغوي مبين كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا من القبط بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيْدُ إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ تطاول على الناس، ولا تنظر إلى عواقب الأمور وَمَا تُرِيْدُ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْمُصْلِحِيْنَO في كظم الغيظ، وقد شاع حديث قتله، وقد خفي عليهم قاتله، فلما سمع القبطي هذا الكلام أخبر فرعون: إن القاتل هو موسى عليه السلام، فهموا بقتله وَجَاءَ رَجُلٌ مؤمن من آل فرعون؛ ابن عم فرعون مِّنْ أَقْصَى الْمَدِيْنَةِ من آخرها يَسْعَى يسرع في مشيه من طريق آخر؛ أقرب إليه قَالَ يَا مُوْسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُوْنَ [ص611] بِكَ يتشارون فيك لِيَقْتُلُوْكَ فَاخْرُجْ من المدينة إِنِّيْ لَكَ مِنَ النَّاصِحِيْنَO في أمر الخروج فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَّتَرَقَّبُ ينتظر لخوف طالب، أو عون الله إياه قَالَ رَبِّ نَجِّنِيْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَOع قوم فرعون وَلَمَّا تَوَجَّهَ أقبل تِلْقَاءَ مَدْيَنَ جهتها، وهي قرية سميت باسم مدين؛ ابن إبراهيم من مصر إليها؛ مسيرة ثمانية أيام، وكان لا يعرف الطريق، فظهر له

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

ثلاث طرق، فأخذ الوسط بدلالة ملك في يده عنزة، والطالبون أخذوا في الآخرين، فلم يدركوه، ولم يكن مدين تحت فرعون قَالَ عَسَى رَبِّيْ أَنْ يَّهْدِيَنِيْ سَوَاءَ السَّبِيْلِO وسطه، ومعظمه وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ بيرها وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً جماعة مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوْنَ مواشيهم وَوَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَزُوْدَانِ تمنعان وتطردان أغنامها من الماء، كيلا يختلط بأغنامهم قَالَ موسى عليه السلام مَا خَطْبُكُمَا ما شأنكما قَالَتَا لَا نَسْقِيْ حتّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ جمع راع، أي: يرجع الرعاة مواشيهم عن حول البير وَأَبُوْنَا شَيْخٌ كَبِيْرٌO حالا، أو سنا، لا يقدر على التسقية، إبداء عذر وإظهاره في توليهما السقي بأنفسهما فَسَقَى لَهُمَا من تلك البير بدلو؛ لا ينزعها إلا أربعون، أو من بير أخري، ورفع عنها حجرا كبيرا؛ لا يرفعه إلا عشرة ثُمَّ تَوَلَّى أتي إِلَى الظِّلِّ شجرة سمرة من شدة الحر، وهو جائع فَقَالَ رَبِّ إِنِّيْ لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قليل، أو كثير فَقِيْرٌO سائل فَجَآءَتْهُ إِحْدٰهُمَا صفراء؛ كبيرتهما، أو صفوراء؛ صغيرتهما تَمْشِيْ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ واضعة كم درعها على وجهها حياءا، تأخرت عن موسى بأمره؛ دالة على طريق بيتها قَالَتْ إِنَّ أَبِيْ يَدْعُوْكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ما مصدرية، [ص612] أجاب منكرا في نفسه أخذ الأجر ومبتغيا بركة رؤية الشيخ فَلَمَّا جَاءَهُ وتعشّى معه بعد أن ذكر أن لا يجعل الطعام جعلا عليه وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ مصدر بمعنى المفعول، أي: المقصوص قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO إذ لا سلطان لفرعون على أهل مدين قَالَتْ إِحْدَاهُمَا هي التي ذهبت لطلبه يأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ اتخذه أجيرا للرعي إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِيْنُO لما رأته من رفع الحجر الكبير، أو الدلو الكبير، وحكمة بالمشي خلفه حين ضربت الريح ثوبها، فكشفت ساقيها، مع هذا صوب رأسه حين جاءته إلى أن دخل عليه قَالَ شعيب إِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ صغيرة، أو كبيرة عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِيْ نفسك فتكون أجيرا في رعي غنمي، والغنم كانت للمزوجة ثَمَانِيَ حِجَجٍ سنين، هذا استدعاء العقد، لأنه لو كان عقدا؛ لقال: قد أنكحتك، أو لاختلاف الشرائع فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ تبرعا، لا إلزام بالإتمام عليك وَمَا أُرِيْدُ أَنْ أَشُقَّ بإلزام إتمام العشر عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَO الاستثناء للتبرك قَالَ موسى عليه السلام ذَالِكَ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ما زائدة الْأَجَلَيْنِ العشرة، أو الثماني قَضَيْتُ فرغت منه فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ لطلب الزيادة وَاللّٰهُ عَلَى مَا نَقُوْلُ وَكِيْلٌOع أي: الله على المشارطة شهيد، قيل: قضى أقصى الأجلين، ومكث عنده عشرا آخر، ثم عزم على الرجوع، فأمره ليلا أن يدخل بيتا، ويأخذ عصا منه، وقد توارث الأنبياء عصا آدم من آس الجنة إلى شعيب عليه السلام، فوقعت في يد موسى عليه السلام من جملة عصي كانت في بيته من الأنبياء، مكررة سبع مرات، فعلم أن لموسى شأنا، فأعطاه إياها لطرد السباع عن غنمه، فلما أصبح دخل [ص613] في مرعى، كثير العشب، فإذا فيه تنين، وقد أقبل فحاربته العصا حتّى قتله، وعادت إلى

جنب موسى عليه السلام دامية، فارتاح به موسى، ووهب له شعيب أدرع ذلك العام، ودرعاءه، فأوحي في المنام أن يضرب بالعصا مستقى الغنم، ففعل وسقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء، ووفى بشرطه فَلَمَّا قَضَى أوفي مُوْسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِه بإذن أبيها إلى مصر آنَسَ رأي من بعيد مِنْ جَانِبِ الطُّوْرِ اسم جبل نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوْا إِنِّيْ آنَسْتُ شاهدت نَارًا لَّعَلِيْ آتِيْكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أي: بخبر الطريق، وقد ضله أَوْ جَذْوَةٍ قطعة جمر، أو عود غليظ في رأسه نار أوّلا مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُوْنَO تستدفؤن بها، من الصلي، والطاء من تاء الافتعال فَلَمَّا أَتَاهَا نُوْدِيَ مِنْ شَاطِيءِ الْوَادِ أي: جانبه الْأَيْمَنِ بالنسبة إلى موسى عليه السلام فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ يتكلم الله فيها مِنَ الشَّجَرَةِ بدل اشتمال من شاطئ الوادي بإعادة الجار، وهي شجرة عناب، أو عليق، أو عوسج أَنْ مفسرة يَّا مُوْسَى إِنِّيْ أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَO وَأَنْ أَلْقِ أي: نودي أن الق عَصَاكَ فألقاها، فصارت ثعبان، فاهتزت فَلَمَّا رَاَهَا تَهْتَزُّ تتحرك كَأَنَّهَا جَانٌّ حية صغيرة في غاية الاضطراب، فالعصاء لها صفتان: جثة؛ كأنها ثعبان، وحركة؛ كأنها جان وَّلَّى مُدْبِرًا هاربا منها وَّلَمْ يُعَقِّبْ لم يرجع إلى العصا، فقيل له: يَا مُوْسَى أَقْبِلْ إلى العصا وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِيْنَO من مخاوف الثعبان أُسْلُكْ يَدَكَ ادخلها فِيْ جَيْبِكَ في طوق قميصك تَخْرُجْ بَيْضَاءَ لها شعاع الشمس؛ يبهر العين مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ عيب برص وَّاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ بإدخال اليد اليمنى تحت العضد اليسرى وعكسه [ص614] للوقاية عن الحية، أو بإدخالها في الجيب لإظهار جرأة في وجه العدو مِنَ الرَّهْبِ أي: إذا أراك الخوف اضمم إليك جناحك، ففيه الوقاية عن الخوف، والجلادة على وجه العدو وضبط النفس، وقيل: من الرهب الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر باليد بالجناح، لأنها للإنسان كالجناح للطير فَذَانِكَ العصا واليد، وهما مؤنثان إلا أنه ذكر لتذكير الخبر بُرْهَانَانِ حجتان، برهان: فعلان، وقيل: فعلال مِنْ رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فَاسِقِيْنَO خارجين عن دائرة الاعتدال قَالَ رَبِّ إِنِّيْ قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا أي: القبطي السابق فَأَخَافُ أَنْ يَّقْتُلُوْنِO بها وَأَخِيْ هَارُوْنُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّيْ لِسَانًا أبين لسانا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْئًا معينا يُّصَدِّقُنِيْ يعينني بزيادة البيان، مرفوع بصفة ردأ، والجواب محذوف، أي: يظهر غلبتي، أو مجزوم بجواب أرسله إِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يُّكَذِّبُوْنَO ولساني لا يطاوعني في المحاجة قَالَ تعالى سَنَشُدُّ نقوي عَضُدَكَ قوة الشخص بقوة يده، وقوتها بقوة العضد بِأَخِيْكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا على الأعداء فَلَا يَصِلُوْنَ إِلَيْكُمَا باستيلاء، أو احتجاج بِآيَاتِنَا الباء للسببية، أو اذهبا بآياتنا، أو متعلق بغالبون، أو نجعل غلبته بآياتنا، أو للقسم، والجواب فلا يصلون أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُوْنَO فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوْسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ واضحات قَالُوْا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى مختلق، لم يفعل مثله من قبل، أو مفترى على الله، بأنه معجزة منه، أو موصوف

بالافتراء، مثل سائر أنواع السحر وَّمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا كائنا فِيْ زمان آبَائِنَا الْأَوَّلِيْنَ O [ص615] وَقَالَ مُوْسَى رَبِّيْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى النبوة مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُوْنُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ العاقبة المحمودة في دار الآخرة، أو خير الخاتمة في دار الدنيا إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُوْنَ O وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَاءُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرِيْ فَأَوْقِدْ لِيْ يَا هَامَانُ عَلَى الطِّيْنِ فاطبخ لي الآجرّ، وهو أوّل من اتخذ الآجرّ، فأمر هامان بوجهه يتضمن تعليم الصنعة، وتعظم نفسه فَاجْعَلْ لِّيْ صَرْحًا قصرا عاليا لَّعَلِّيْ أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوْسَى أنظر إليه، ظنا منه إنه تعالى جسم في السماء، أو اجعل قصرا رصدا نترصد به أوضاع الكواكب، يدل على بعثة نبي وَإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِيْنَ O في ادعاء إله آخر، والرسالة منه وَاسْتَكْبَرَ تعظم هُوَ وَجُنُوْدُهُ فِي الْأَرْضِ أرض مصر بِغَيْرِ الْحَقِّ بالباطل، لأن الكبرياء له تعالى، لا لغيره وَظَنُّوْا علموا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُوْنَ O فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُوْدَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فطرحناهم مع كثرتهم، كرمية كف فِيْ الْيَمِّ البحر المالح، أو في النيل فغرقوا فَانْظُرْ يا محمد! صلى الله عليك وسلم كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْنَ O في الدنيا، وأما في الآخرة فهم في أشد العذاب، فحذر قومك بالاعتبار وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً في الضلال يَّدْعُوْنَ الناس إِلَى أعمال أهل النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُوْنَ O لا يدفع عنهم العذاب وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً طردا عن الرحمة، أو لعن الناس بعدهم وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوْحِيْنَ O ع المطرودين، أو بسواد الوجه، وزرقة العين وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُوْنَ الْأُوْلَى قوم نوح وهود ولوط بَصَائِرَ لِلنَّاسِ حال، أي: أنوارا للقلوب، يفرق به [ص616] بين الحق والباطل وَهُدًى إرشادا وَّرَحْمَةً لمن عمل به لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ O يتّعظون وَمَا كُنْتَ يا محمد! صلى الله عليك وسلم بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ من موسى عليه السلام، أي: المكان الذي ناجي فيه ربه؛ إما الوادي، أو الطور إِذْ قَضَيْنَا أوحينا إِلَى مُوْسَى الْأَمْرَ أي: أمر الرسالة وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِيْنَ O الحاضرين هناك، فتخبر بها الناس وَلٰكِنَّا أوحينا إليك لتجدد من الدين ما خفي، لأنا أَنْشَأْنَا بعد موسى عليه السلام قُرُوْنًا مختلفة فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أي: أعمارهم، واندرست العلوم التوراتية، ووقع التحريف، فأرسلناك مبينا للأحكام المحرفة والقصص وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا مقيما فِيْ أَهْلِ مَدْيَنَ شعيب وأمته تَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا تتعلم منهم قصتهم فتخبر بها وَلٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِيْنَ O إياك إلى الناس بأخبارنا وأحكامنا وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّوْرِ الجبل إِذْ نَادَيْنَا موسى عليه السلام، بأن خذ الكتاب بقوة وَلٰكِنْ أرسلناك رَّحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا أهل مكة مَّا أَتَاهُمْ ما أتي أهل مكة مِّنْ نَّذِيْرٍ مِّنْ قَبْلِكَ في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام؛ وهو خمس مائة وخمسون سنة لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ O وَلَوْلَا أَنْ تُصِيْبَهُمْ مُصِيْبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ فَيَقُوْلُوْا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُوْلًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ O لولا الأولى امتناعية، والثانية تحضيضية، والجواب محذوف، والفاء الأولى عاطفة، والثانية جواب لولا؛

لكونها في حكم الأمر، أي: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم: ربنا! هلا أرسلت إلينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها بمتابعة الرسول، ونكون من المصدقين، لما أرسلناك [ص617] ولعجّلنا عذابهم، إنما أرسلناك قطعا لعذرهم، وإلزاما للحجة عليهم، وإمهالا للتوبة فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا أي: القرآن قَالُوْا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوْتِيَ مُوْسَى أي: اليد والعصا، أو الكتاب جملة اقتراحا أَوَلَمْ يَكْفُرُوْا أي: كفار مكة أو أمثالهم بِمَاأُوْتِيَ مُوْسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوْا في موسى عليه السلام وهارون عليه السلام سِحْرَانِ تَظَاهَرَا بحذف المضاف، أو المبالغة، أو كفار مكة بما أوتي موسى، قالوا في موسى ومحمد عليهما السلام، أو التوراة والقرآن تعاونا بالخوارق، أو بالتوافق وَقَالُوْا تغليظا للإنكار إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُوْنَO قُلْ يا محمد! صلى الله عليك وسلم فَأْتُوْا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا من التوراة و{القرآن}[1] أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في قولكم فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَكَ دعائك بإتيان الكتاب إلا هدى فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُوْنَ أَهْوَاءَهُمْ الباطلة لا كتابا مثلهما، ولا أهدى منهما وإلا لآتوا وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ أي: لا أضل أحد ممن اتبع الباطل بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ حال للتأكيد، أو التقييد. فإن هوى النفس قد يوافق الحق، لكن هواهم لا يوافقه قط إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَOع وَلَقَدْ وَصَّلْنَا أي: بينا متواصلا متتابعا في الإنزال لَهُمُ الْقَوْلَ أي: القرآن لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَO يتعظون. نزل في أهل الإنجيل؛ الذين جاؤا من الحبشة اثنان وثلاثون، ومن الشام ثمان، وكانوا أربعين؛ آمنوا بالقرآن أَلَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ قبل القرآن، أي: الإنجيل هُمْ بِهِ بالقرآن يُؤْمِنُوْنَO وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القرآن قَالُوْا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ قبل نزوله [ص618] مُسْلِمِيْنَO به وبمحمد عليه السلام أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوْا مرة بالإيمان بالإنجيل، ومرة بالإيمان بالقرآن، أو بالقرآن قبل النزول وبعده، أو بتحمل أذي أهل الكتاب، وأذى المشركين وَيَدْرَؤُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ يدفعون بالطاعة المعصية وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO يتصدقون وَإِذَا سَمِعُوا للَّغْوَ الشتم والأذى عن المشركين أَعْرَضُوْا عَنْهُ وَقَالُوْا اللاغين لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ أمان عَلَيْكُمْ منا لا نقابلكم بمثل ما فعلتم سلام متاركة وتوزيع لَا نَبْتَغِي صحبة الْجَاهِلِيْنَO إِنَّكَ لَا تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ يخلق الاهتداء في مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ عالم بِالْمُهْتَدِيْنَO الجمهور على أنها نزلت في عمه عليه السلام أبي طالب، حيث قال بعد الدعوة عند احتضاره: أكره أن يقال خرع عند الموت، وقيل: اخترت النار على العار، ونزل في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد المناف وَقَالُوْا إِنْ نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ يا محمد! صلى الله عليك وسلم مع علمنا بأنك رسول نُتَخَطَّفْ نخرج مِنْ أَرْضِنَا أي: مكة، قال الله تعالى في جوابهم: أَوَلَمْ نُمَكِنْ لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا أي: مكنا

---

1 – في ب و ج: الفرقان بدل القرآن.

الكفار في الحرم الآمن عن القتال والغارة مع كفرهم، فيكف مع التوحيد؟ يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ يجلب إلى الحرم ثمرات أكثر شيء من كل أوب رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا مصدر من معنى يجبى، أي: يرزق، أو مفعول له، أو حال وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO جهلة، لا يتفكرون أن الأمان مع التوحيد أتم، وأن هذا الرزق من لدنه، ولو علموا لما خافوا التخطف وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيْشَتَهَا أي: بالغ أهلها في سرور العيش، ولم يحافظ حقوق الله تعالى [ص619] فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا أي: تلك المساكن التي رأيتم في أسفار الشام؛ من آثار قرى ثمود وشعيب وهود ولوط، ما سكن فيها لشامة المعاصي من المسافرين وأبناء السبيل إلا يوما أو ساعة وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِيْنَO لعدم خلف متصرف وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى في كل حين حَتَّى يَبْعَثَ فِيْ أُمِّهَا أعظمها رَسُوْلًا يَّتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا لإلزام الحجة عليهم، وقطع المعذرة عنهم وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُوْنَO بتكذيب الرسل وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ من أسباب الدنيا الفانية فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِيْنَتُهَا أياما معدودة قلائل وَمَا عِنْدَ اللهِ من الثواب خَيْرٌ وَّأَبْقَى دائم أَفَلَا تَعْقِلُوْنَOع أن الباقي خير من الفاني أَفَمَنْ وَّعَدْنَاهُ الفاء للتفريع وَعْدًا حَسَنًا بالجنة فَهُوَ لَاقِيْهِ الفاء للسبب، أي: مدركه كَمَنْ مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِيْنَO للحساب والعذاب وصلى النار وَاذكر يَوْمَ يُنَادِيْهِمْ فَيَقُوْلُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَO إنهم شركائي قَالَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بدخول النار من رؤساء الضلالة رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِيْنَ أَغْوَيْنَاهُمْ أي: التابعون لنا أَغْوَيْنَاهُم كَمَا غَوَيْنَا أي: فغووا غيا مثل ما غوينا، أي: بالاختيار بمحض التسويل والوسواس تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوْا هؤلاء العابدون إِيَّانَا يَعْبُدُوْنَO بل يعبدون أهوائهم، أي: ما فعلنا بهم إلا التسويل والوسواس من دون الإكراه، وإنما غووا بأهوائهم واختيارهم، نحن نتبرء إليك منهم؛ ومما احتاروا من أحد الشركاء لك وَقِيْلَ [ص620] يومئذ للمشركين: ادْعُوْا شُرَكَاءَكُمْ من الأصنام لتخلصكم عن النار فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوْا يَهْتَدُوْنَO في الدنيا، ما رأوا في الآخرة هذا العذاب وَاذكر يَوْمَ يُنَادِيْهِمْ الله تعالى فَيَقُوْلُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِيْنَO إليكم حين أبلغوا الرسالة فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ أي: خفيت عليهم الأخبار؛ في الجواب لا تهتدي تلك الأخبار إليهم، وأصل الكلام: فعموا عن الأخبار، أو الحجج، أو الجواب لكن عكس مبالغة يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُوْنَO بينهم لفرط الدهشة، أو استواء كل في العجز عن الجواب فَأَمَّا مَنْ تَابَ عن الشرك وَآمَنَ بالتوحيد وَعَمِلَ صَالِحًا أي: ثبت شرعيته فَعَسَى أَنْ يَّكُوْنَ مِنَ الْمُفْلِحِيْنَO الناجين، وكلمة عسى في أكرم الأكرمين تحقيق، ونزلت جوابا لوليد بن المغيرة؛ حيث قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ

عَظِيمٍ﴾[1]، يريد به نفسه، وأبا مسعود الثقفي وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ما يشاء مَا كَانَ لَهُمُ للمشركين الْخِيَرَةُ الاختيار في أمر، وبمعنى التخيير، كالطيرة بمعنى التطير، وبمعنى المتخير، كقولهم محمد خيرة الله سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَO أي: عن إشراكهم وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ تستر صُدُوْرُهُمْ من الكفر وَمَا يُعْلِنُوْنَO بألسنتهم في شان رسوله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُوْلَى وَالْآخِرَةِ في الدنيا والعقبى وَلَهُ الْحُكْمُ القضاء بين العباد وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO بالبعث والنشور قُلْ يا محمد لأهل مكة أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا السرد: التتابع، والميم زائدة، وزنه فَعْلٌ، تقول: من الأشهر الحرم [ص621] ثلاثة سرد، أي: شوّال وذو القعدة وذو الحجة، وواحد فرد، أي: رجب إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِيَاءٍ أي: بنهار أَفَلَا تَسْمَعُوْنَO سماع تدبر يزيل إشراككم قُلْ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُوْنَ فِيْهِ أَفَلَا تُبْصِرُوْنَO منافع الضوء أكثر مما يقابله، واستفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر، ولذا خص الأكثر بالأكثر، والأقل بالأقل وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ لف ونشر مرتب، أو كل واحد من الحالتين؛ لكل واحد من الزمانين، كما قاله الزجاج وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO نعم الله فيهما وَاذكر يَوْمَ يُنَادِيْهِمْ أي: ربهم فَيَقُوْلُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَO أعاد ليشعر أن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك، كما رحمته من التوحيد، أو ليبتني عليه قوله: وَنَزَعْنَا أخرجنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيْدًا أي: نبي الأمة فَقُلْنَا للأمم هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ على الإشراك فَعَلِمُوْا أَنَّ الْحَقَّ أي: التوحيد لِلّٰهِ تعالى وَضَلَّ غاب عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَOع في الدنيا من الألوهية والشفاعة لغيره إِنَّ قَارُوْنَ لا ينصرف للعجمة والتعريف كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوْسَى ابن عمه وابن خالته، وآمن بموسى عليه السلام، ويقال له: المنور؛ لحسن صورته، وكان أقرءهم للتوراة فَبَغَى عَلَيْهِمْ الجاه، أي: طلب أن يكونوا تحت أمره، وقيل: أمَّره فرعون على بني إسرائيل قبل هذا، فبغى عليهم، أي: فتكبر عليهم وظلمهم وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوْزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ جمع مفتح؛ بالكسر: وهو ما يفتح به، وكانت من جلود قدر إصبع، وقيل بالفتح؛ بمعنى الخزانة [ص622] لَتَنُوْءُ تثقل بِالْعُصْبَةِ التاء للتعدية، أي: الجماعة الكثيرة، وقيل: سبعون، أو أربعون، أو عشرة أُولِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ أي: المؤمنون من بني إسرائيل لَا تَفْرَحْ بالدنيا فرح بطر إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَO بها وَابْتَغِ واطلب فِيْمَآ آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ بالإنفاق والزكاة وَلَا تَنْسَ لا تترك نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا أي: قدر ما يكفيك ويصلحك، وما زاد فالنفقة في سبيل الله، واجعل دنياك بالإنفاق مزرعة الآخرة وَأَحْسِنْ بالصدقة على الناس أو بالشكر كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ

---

1 – سورة الزخرف، رقم الآية: 31.

فِي الْأَرْضِ بالمعاصي إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المفْسِدِيْنَO قَالَ في الجواب: إِنَّمَا أُوْتِيْتُهُ أعطيته عَلَى عِلْمٍ عِنْدِيْ أي: فضلت بعلم التوراة، وكان بعد موسى وهارون عليهما السلام أعلمهم بالتوراة، وقيل: علم الكيمياء وعلم المكاسب كالتجارة والزراعة أَوَلَمْ يَعْلَمْ فيما تلا من التوراة أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُوْنِ من الأمم مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَّأَكْثَرُ جَمْعًا للمال وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُوْنَO أي: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم سؤال استعلام لعلمه تعالى بكل شيئ، فيدخلهم النار فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِيْ زِيْنَتِهِ بالركبان والتجمل بالملابس والأفراس والبغال متحلين قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أي: رغبتهم في اليسار من المؤمنين يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ قَارُوْنُ فهذا غبطة، لا حسد إِنَّهُ لَذُوْ حَظٍّ نصيب عَظِيْمٍO من الدنيا وَقَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ بأحوال الآخرة للمتمنين وَيْلَكُمْ أي: أدرككم ويلكم؛ دعاء بالهلاك ثَوَابُ اللهِ في الآخرة خَيْرٌ مما أوتي قارون [ص623] لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا أي: كلمة النصح، وهي ثواب الله خير لمن آمن إِلَّا الصَّابِرُوْنَO على الطاعات وعن الشهوات فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ روي أنه كان يؤذي موسى عليه السم كل حين، وهو يداريه للقرابة حتّى صالحه عن كل ألف على واحد في الزكاة فحسب، فاستكثر، فأراد أن يفضحه بين بني إسرائيل؛ ليرفضوه، فرشي بغية لترميه بنفسها، فلما خطب يوم العيد: من سرق قطعناه، ومن زنى غير محصنين جلدناه، ومن زنى محصنا رجمناه، قال قارون: ولو كنت؟ قال: لو كنت، فأحضر البغية، فناشدها موسى عليه السلام بالله تعالى، فأقرت بالجعل، فخر موسى عليه السلام باكيا شاكيا إلى ربه، فأوحي الله تعالى إليه: مر الأرض بما شئت، قال: يا أرض خذيه، فخذيه ثم خذيه؛ وهو يتضرع إليه في كل أخذة، حتّى انطبقت عليه، فقال تعالى: استرحمك مرارا، فلم ترحم، فوعزتي لو استرحمني لرحمته. فقال بنو إسرائيل: إنما أهلكه ليرث مال قارون، فدعى حتّى خسف بداره مع كنوزه، ويهوي كل يوم قامة رجل مع كنوزه، فإذا يستقيم رجلاه على الأرض السابعة تقوم القيامة فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَّنْصُرُوْنَهُ بدفع العذاب عنه مِنْ دُوْنِ اللهِ وَمَاكَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِيْنَO الممتنعين من عذاب الله وَأَصْبَحَ صار الَّذِيْنَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ منزلته بِالْأَمْسِ متعلق بتمنوا، أي: تمنوا في الوقت القريب يَقُوْلُوْنَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ وي اسم فعل، بمعنى أعجب أنا، وكلمة الندم، والتنبيه على الخطاء، والكاف بمعنى اللام، أو كلمة التشبيه، أي: ما أشبه الأمر، إن الله يبسط ويوسع، ويقدر ويقبض لَوْلَا أَنْ مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا بصرف ما كنا نتمناه بالأمس لَخَسَفَ بِنَا مثل قارون وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُوْنَOع بنعمته تعالى [ص624] تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ أي: الجنة نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيْدُوْنَ عُلُوًّا بغيا وقهرا وفخرا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا كما أراد فرعون وقارون وَالْعَاقِبَةُ المحمودة

لِلْمُتَّقِيْنَO الله مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ((عَشَرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ))، كما في الحديث[1] وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّآتِ إِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO إِنَّ الَّذِيْ فَرَضَ أوجب عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أي: تلاوته في التبليغ والعمل به لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ أي: المقام المحمود، أو مكة قُلْ في جواب الذين قالوا: إنك في ضلال: رَّبِّيْ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO وَمَا كُنْتَ تَرْجُوْا أَنْ يُّلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا لكن ألقي إليك رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا معينا لِّلْكَافِرِيْنَO في إعلاء كلمة الكفر وَلَا يَصُدُّنَّكَ أصله: يصدوننك، حذفت نون الرفع بالجازم، والواو الفاعل بالتقاء الساكنين، أي: لا يمنعك هؤلاء الكفار عَنْ العمل بموجب آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ الآيات إِلَيْكَ وَادْعُ الناس إِلَى رَبِّكَ بتوحيده وعبادته وَلَا تَكُوْنَنَّ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد أهل دينه مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO بالإعانة والتأكيد وَلَا تَدْعُ تعبد مَعَ اللهِ إِلَهًا اٰخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ذاته تعالى لَهُ الْحُكْمُ القضاء النافذ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَOع الثلاثة بالبعث والنشور.

سورة العنكبوت مكية، تسع وتسعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمّٓO الله أعلم بمراده أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُّتْرَكُوْا أَنْ يَّقُوْلُوْا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَO الحسبان كالظن في قوة الوقوع، [ص625] والمعنى: أ حسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا، فالترك أول مفعولية، والثاني أن يقولوا غير مفتونين من تتمة الترك، بل يمتحنهم الله بالمجاهدة والمهاجرة ورفض الشهوات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال. نزل في الذين جزعوا عن أذي المشركين، وقيل: في عمار؛ قد عذب في الله، أو مهجع؛ أصيب لهم يوم بدر فقتل، فجزع عليه أبواه وامرأته: وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ بأنواع الفتن فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ علم مشاهدة الَّذِيْنَ صَدَقُوْا في الإيمان وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِيْنَO فيه أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّآتِ أَنْ يَّسْبِقُوْنَا يفوتونا، بأن لم نقدر على مجازاتهم بالسيئات، أم منقطعة، بمعنى بل، ومعنى الإضراب، إن الثاني أبطل من الأول، ويسبقونا سد مسد المفعولين؛ لاشتماله على المسند والمسند إليه سَاءَ مَا يَحْكُمُوْنَO كلمة ما مرفوع؛ فاعل ساء، أو منصوب؛ على أنه تميز للفاعل المضمر في ساء، أي: ساء حكما يحكمونه، والمخصوص بالذم محذوف، أي: حكمهم هذا مَنْ كَانَ يَرْجُوْا يأمل أو يخاف لِقَاءَ اللهِ ثوابه في الجنة، أو عذابه في جهنم فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ المضروب لهما لَآتٍ فليبادر بالعمل وَهُوَ السَّمِيْعُ بأقوالهم الْعَلِيْمُO بأعمالهم وَمَنْ جَاهَدَ بالصبر على شدائد الإسلام فَإِنَّمَا

1 – قد مرّ تخريجه.

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لرجوع منفعة الجهاد إليها إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ طاعة الْعٰلَمِيْنَO والأوامر والنواهي إنما هي لمنفعة العباد وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ بحسناتهم وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِيْ كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أي: بحسن العمل الصالح، أو أحسن جزاء أعمالهم وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أي: أمرنا للإنسان أن يفعل بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا برا وَقلنا إِنْ جَاهَدَاكَ أي: الوالدان لِتُشْرِكَ [ص626] أيها الإنسان بِيْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ بألوهية عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا في هذا الأمر، إذ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، وحمنة أم سعد بن أبي وقاص لما سمعت بإسلامه؛ حلفت: أن لا تأكل ولا تشرب حتّى يرتد، ولبثت ثلاثة أيام كذلك، فشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية. والتي في لقمان، والتي في الأحقاف إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ يا أبناء آدم فَأُنَبِّئُكُمْ فأجازيكم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِيْ الصَّالِحِيْنَO عند أجزيتهم، والصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى الأنبياء والمرسلين وَمِنَ النَّاسِ أي: المنافقين مَنْ يَّقُوْلُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوْذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ أذى هم كَعَذَابِ اللهِ أي: ظهر جزع منه كجزعه عن عذابه وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ غنيمة مِّنْ رَّبِّكَ لَيَقُوْلُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فآتونا نصيبا كنصيبكم أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِيْ صُدُوْرِ الْعَالَمِيْنَO من الإيمان والنفاق وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا لام قسم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِيْنَO فيجازي بما استحق الفريقان وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّبِعُوْا سَبِيْلَنَا ديننا في الإشراك، وإنكار البعث وَلْنَحْمِلْ خَطٰيٰكُمْ أي: اتبعونا، فإنا حينئذ نحمل آثامكم، أمر بمعنى الخبر وَمَا هُمْ بِحَامِلِيْنَ مِنْ خَطَايَاهُمْ بيان شيء مِّنْ زائدة شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَO في هذا القول، إذ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ أُخْرَى﴾[1] وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا بقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا وبإضلال مقلديهم مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ سؤال توبيخ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَOع [ص627] عليه تعالى بالأباطيل، واللام في الفعلين للقسم وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيْهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِيْنَ عَامًا كان عمره ألفا وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين سنة، ولبث في القوم تسع مائة وخمسين بالدعوة، وعاش بعد الطوفان ستين سنة فَأَخَذَهُمُ الطُّوْفَانُ الماء الكثير، طاف بهم، فغرقوا فيه وَهُمْ ظَالِمُوْنَO بالكفر فَأَنْجَيْنَاهُ أي: نوحا وَأَصْحَابَ السَّفِيْنَةِ كانوا ثمانية وسبعين نفسا، نصفهم ذكور ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح: سام وحام ويافث ونساؤهم وَجَعَلْنَاهَا آيَةً عبرة لِّلْعَالَمِيْنَO لمن بعدهم من الناس وَاذكر إِبْرَاهِيْمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوْهُ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO علم تمييز بين الخير والشر إِنَّمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَوْثَانًا وَّتَخْلُقُوْنَ إِفْكًا تصنعون كذبا في تسمية هذه الأجسام آلهة إِنَّ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فَابْتَغُوْا فاطلبوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوْهُ وَاشْكُرُوْا لَهُ

---

1 – سورة النجم، الآية: 38.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO فاستعدوا للقائه وَإِنْ تُكَذِّبُوْا أي: تكذبوني فَقَدْ كَذَّبَ الرسل أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُوْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُO وقد تم أمره أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ عطف على جملة أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق إِنَّ ذَالِكَ الإعادة عَلَى اللهِ يَسِيْرٌO سهل قُلْ سِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ على كثرتهم ثُمَّ اللهُ الذي أنشأ النشأة الأولى يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ [ص628] قَدِيْرٌO يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَاءُ تعذيبه بتمكينه مظاهر الشر وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَاءُ رحمته بتمكينه مظاهر الخير وَإِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَO تردون، وترجعون وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ربكم عن إدراككم هربا فِي الْأَرْضِ وَلَا هربا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ وَّلِيٍّ يتولى أموركم وَّلَا نَصِيْرٍOع يمنعكم عن عذابه وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللهِ الدالة على وحدانيته وَلِقَائِهِ بالبعث أُولَئِكَ يَئِسُوْا مِنْ رَّحْمَتِيْ جنتي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO بالنار فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ عند دعاء إبراهيم عليه السلام إياهم إلى الإيمان إِلَّا أَنْ قَالُوا أي: بعضهم لبعض اقْتُلُوْهُ أَوْ حَرِّقُوْهُ فاتفقوا على تحريقه فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ حين قذفوه فيها، ولم ينتفع أحد من النار في ذلك اليوم لذهاب حرها إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ دالة على كمال قدرته تعالى لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO وَقَالَ إبراهيم إِنَّمَا ما كافة اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ مفعول له، والبين اسم للظرف، أو مفعول ثان لاتخذتم، أي: اتخذتم الأوثان سبب مودة بينكم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالاجتماع على الضلال ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ ينكر بَعْضُكُمْ أي: الأتباع بِبَعْضٍ بالقادة وَّيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ أي: الأتباع بَعْضًا أي: القادة وَّمَأْوَاكُمُ النَّارُ الخطاب للعابد والمعبود، والتابع والمتبوع وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَO مانعين عن عذاب الله فَآمَنَ لَهُ لإبراهيم لُوْطٌ هو أول من آمن وصدقه بما رآى من أمر النار، وهو ابن أخت إبراهيم عليه السلام وَقَالَ إبراهيم عليه السلام إِنِّي مُهَاجِرٌ من كوثى[1]؛ وهي من سواد الكوفة إلى حران مع لوط وسارة زوجته، ومن حران إلى فلسطين، وهي قرية من قرى الشام، ونزل لوط في سدوم؛ ولذا [ص629] قيل: لكل نبي هجرة، ولإبراهيم عليه السلام هجرتان إِلَى رَبِّيْ أي: إلى الشام؛ التي أمر ربي بها إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الْحَكِيْمُO في صنعه وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ولدا من سارة بعد ثبوت عقرها، وبعد تولد إسماعيل من هاجرة؛ أمة سارة وَيَعْقُوْبَ ولد إسحاق، ولم يذكر إسماعيل السلام لشهرة أمره وَجَعَلْنَا فِيْ ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ فكل الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام من ذريته وَالْكِتَابَ جنسه ليشمل الأربعة وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا بالصلاة والسلام عليه إلى انقراض الدنيا، والذكر الجميل له في كل أديان، وبقاء ضيافة عند قبره، وليس ذلك لغيره وَإِنَّهُ فِي

1 – كوثى: قرية بسواد العراق قديمة. ينسب إليها إبراهيم الخليل، عليه السلام، وبها كان مولده وطرح في النار بها، ولذلك قال أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه: من كان سائلاً عن نسبنا فإنا نبط من كوثى. القزويني: المرجع السابق. ص: 449.

الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَO ينال الدرجات العلى وَاذكر لُوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ الفعل المبالغة في القبح؛ النزو على إدبار الرجال مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِيْنَO أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُوْنَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُوْنَ السَّبِيْلَ على السابلة بفعلتكم الفاحشة بمن يمر في السبيل، أو بالقتل والنهب كما هو شأن قطاع الطريق، أو يقطعون سبيل النسل بما ليس بحرث وَتَأْتُوْنَ فِيْ نَادِيْكُمُ الْمُنْكَرَ أي: في مجلسكم الفواحش، والنادي لا يقال إلا أن يكون فيه أهله، والمنكر كالجماع، والضراط، والسب، والغيبة، والنميمة، والخذف بالحصى، والرمي بالبنادق، ومضغ العلق، والفحش في المزاح والفرقعة، والسواك بين الناس فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ عند التخويف والترهيب عما يفعلونه إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في استقباح أفعالنا، واستجلاب العذاب عليها قَالَ رَبِّ انْصُرْنِيْ بإنزال العذاب عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِيْنَOع وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيْمَ بِالْبُشْرَى ببشارة إسحاق ولدا، ويعقوب عليه السلام نافلة قَالُوْا إِنَّا مُهْلِكُوْا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ اسمها سدوم، وكانت على مسيرة يوم وليلة من موضع [ص630] إبراهيم عليه السلام إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوْا ظَالِمِيْنَO قَالَ إبراهيم عليه السلام إِنَّ فِيْهَا لُوْطًا وهو بريء عن الظلم قَالُوْا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيْهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِيْنَO الباقين في العذاب وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوْطًا سِيْءَ بِهِمْ أي: مجيء الرسل وحصول المساءة، كأنهما حصلا للوط بهم في زمان واحد، لأن كلمة أن صلة لتأكيد الفعلين، واتصالهما مرتبا؛ وذلك لحسن الملائكة؛ وسوء فعلهم بحسان الوجوه وَضَاقَ لوط عليه السلام بِهِمْ بسببهم ذَرْعًا طاقة، وقيل: صدرا وَّقَالُوْا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ لما رأوا فيه أثر الضجرة من نزول العذاب على القرية؛ وهو مع أهل بيته فيها إِنَّا مُنَجُّوْكَ وَننجي أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِيْنَO إِنَّا مُنْزِلُوْنَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا عذابا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَO بسبب فسقهم وَلَقَدْ تَّرَكْنَا مِنْهَا من القرية آيَةً بَيِّنَةً هي آثار خرابها لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO يعتبرون وَأرسلنا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ خافوه، أو فعلوا ما ترجون به الثواب في الآخرة والعاقبة وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِيْنَO قاصدين الفساد، حال مؤكدة لعاملها فَكَذَّبُوْهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة الشديدة، أو صيحة جبرائيل عليه السلام فَأَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جَاثِمِيْنَO باركين على الركب، ميتين وَأهلكنا عَادًا وَّثَمُوْدَ وَقَدْ تَّبَيَّنَ لَكُمْ هلاكهم مِّنْ مَّسَاكِنِهِمْ بالحجر واليمن وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ من الكفر والمعاصي فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ المستقيم وَكَانُوْا مُسْتَبْصِرِيْنَO [ص631] قادرين على الاستبصار، لكن أهملوه وَأهلكنا قَارُوْنَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوْسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوْا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوْا سَابِقِيْنَO فائتين العذاب فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا أي: ريحا عاصفة؛ ذات حصباء، كقوم لوط عليه السلام وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ كثمود وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ

الْأَرْضَ كقارون وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا كقوم نوح عليه السلام، وفرعون وأتباعه وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ليهلكهم بغير ذنب وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO بالإتيان الذنوب؛ المقتضية للعذاب مَثَلُ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كالأصنام للانتفاع كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوْتِ إِتَّخَذَتْ بَيْتًا للحر والبرد ولم ينفع؛ إذ لا يدفعها، ولا يفي ما يفي البيوت وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوْتِ أضعفها لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوْتِ لا يدفع الحر والبرد، كذلك الأصنام، لا انتفاع منها لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَO شناعة الاتخاذ ما عبدوها إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُوْنَ الذي يعبدونه مِنْ دُوْنِهِ أي: غير الله مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيْزُ فيجازيهم بما فعلوا الْحَكِيْمُO في أفعاله وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ليفهموا شناعة ما يباشرونه وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُوْنَO المتدبرون على ما ينبغي في عواقب الأمور خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ لا باطلا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَOع لأنهم المنتفعون.

اتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ تقربا إلى الله بحفظ ألفاظه، واستكشاف معانيه، ليظهر بالتكرار ما لم يظهر وَأَقِمِ الصَّلَاةَ دم عليها إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ [ص631] وَالْمُنْكَرِ أي: أن مراعاتها ينجر إلى النهي عنهما، أو ماداموا فيها تنهى عنهما وَلَذِكْرُ اللهِ أي: الصلاة أَكْبَرُ من سائر الطاعات، أو مطلق الذكر أكبر، كما في الأحاديث، أو ذكره تعالى إياك أكبر من العكس، أو أكبر من أن يفهمه فاهم، أو من أن يبقي مع الذكر معصية وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُوْنَO فيجازيكم بها وَلَا تُجَادِلُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ أي: بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم، وقيل: منسوخ بآية السيف إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ فأفرطوا العناد، وآذوا رسول الله، أو أثبتوا له تعالى الولد والشريك، فاستعملوا معهم الغلظة، أو المعنى لا تجادلوا أهل الذمة المؤدين الجزية إلا بالمجادلة؛ التي هي أحسن إلا الذين أبوا الجزية، ونبذوا الذمة، فجادلوهم بالسيف إلى أن يسلموا؛ أو يقبلوا الجزية وَقُوْلُوْا أيها المؤمنون! في المجادلة التي هي أحسن: آمَنَّا بِالَّذِيْ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَّنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَO قال عليه السلام: ما حدثكم أهل الكتاب؛ فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوهم، وإن كان حقا لم تكذبوهم وَكَذَالِكَ كما أنزلنا عليهم الكتاب أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ أي: القرآن، أو مثله في تصديق الكتب السماوية فَالَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ التوراة يُؤْمِنُوْنَ بِهِ بالقرآن كعبد الله بن سلام وأضرابه وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ أهل مكة مَنْ يُّؤْمِنُ بِهِ بالقرآن، أو المتقدمون كلهم كانوا يؤمنون به، ومن الحاضرين منهم من يؤمن به وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا بعد ظهور، أن القرآن من عند الله والجائي به محق إِلَّا الْكَافِرُوْنَO اليهود

والمتوغلون ككعب بن أشرف وأضرابه [ص633] وَمَا كُنْتَ تَتْلُوْامِنْ قَبْلِهِ قبل القرآن مِنْ كِتَابٍ وَّلَا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنِكَ إِذًا أي: إذ كنت قاريا كاتبا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُوْنَO أي: اليهود أو مشركو مكة لعله تعلمه، أو التقط من كتبهم بَلْ هُوَ أي: القرآن اٰيتٌ بَيِّنَاتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْعِلْمَ أي: يحفظونه، فلا يقدر أحد على التحريف فيه وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَآ إِلَّا الظَّالِمُوْنَO المكابرون بالحجة وَقَالُوْا أي: اليهود لَوْلَا أي: هلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ على محمد آيَاتٌ مِّنْ رَّبِّهِ مثل: ناقة صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، ومائدة عيسى عليه السلام قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ ينزلها كما يشاء، لا أملكها وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ في ما طلبوا أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ دائما، وإنما بخلاف الآيات السابقة إِنَّ فِيْ ذَالِكَ الكتاب الباقي مد الدهور لَرَحْمَةً وَّذِكْرَى لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَOع لا لقوم يتعنتون. روي أن كعب بن أشرف وأصحابه قالوا: يا محمد! من يشهد لك بأنك رسول الله؟ فنزلت: قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ شَهِيْدًا يدعوني إلى الله إياكم، وبتكذيبكم إياها يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالي وحالكم وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا بِالْبَاطِلِ أي: بغير الله وَكَفَرُوْا بِاللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO في شرائهم الباطل بالحق وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ بقولهم: ﴿امْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1] وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى هو يوم القيامة، أو وقت موتهم لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عاجلا وَلَيَاْتِيَنَّهُمْ الوقت الموعود بَغْتَةً فجأة وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO [ص634] به يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَO يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُوْلُ الله سبحانه ذُوْقُوْا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO أي: جزاءه يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ أَرْضِيْ وَاسِعَةٌ فهاجروا إلى بلد؛ تتمكنوا فيه العبادة فَإِيَّايَ لا غيري فَاعْبُدُوْنِO والمعنى فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها، نزلت في ضعفاء مكة من المؤمنين كانوا في ضيق من إظهار الإسلام كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُالْمَوْتِ أي: مرارته، فاستعدوا له قبل حلوله ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَO للجزاء بعد البعث وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ لننزلنهم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا علالي جمع عليّة تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ مقدرين الخلود فِيْهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِيْنَO هم الَّذِيْنَ صَبَرُوْا على أذية المشركين، والهجرة للدين وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَلُوْنَO لا على غيره. قالوا: كيف الهجرة؛ ولا معيشة لنا فيما هاجرنا إليه؟ نزلت جوابا: وَكَأَيِّنْ أي: كم مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا لا يطيق أن تحمل الرزق لضعفها، ولا يدخر الرزق من الدوآب إلا الإنسان والفارة والنملة أَللهُ يَرْزُقُهَا أي: الضعفاء وَإِيَّاكُمْ أيها الأقوياء! وَهُوَ السَّمِيْعُ لأقوالكم في خشية من الفقر الْعَلِيْمُO بما في ضمائركم منه وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أي: الكفار مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُوْنَO يصرفون من التوحيد إلى

1- جزء من الآية، وتمامها: ﴿امْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾ سورة الأنفال، الآية: 32.

الإشراك مع هذا الإقرار اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ويقبض، ويقتر [ص635] إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO يعلم ما به الصلاح للعباد، وما به الفساد وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ مع ذلك الإقرار يشركون قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ على نعمة التوحيد بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَO ع لا يتدبرون وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَّلَعِبٌ للصبيان، يجتمعون عليه، ويتفرقون عنه قريبا وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ بمعنى الحياة، مصدر، حيي يحيى، أصله حييان، قلبت الثانية بالواو، وفي بناء فعلان، الذي فيه الاضطراب، مبالغة في الحياة؛ التي بمعنى الحركة، وفي حمل المصدر أيضا مبالغة، كأنها في ذاتها حياة لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَO حقيقة الدارين؛ لما اختاروا الفاني على الباقي فَإِذَا رَكِبُوْا فِي الْفُلْكِ أي: الكفار دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ الدعاء كالموحدين فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُوْنَO بالله لِيَكْفُرُوْا كي يكفروا نعمة النجاة بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوْا بالاجتماع على عبادة الأصنام فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَO عاقبة الأمر حين يعاقبون أَوَ لَمْ يَرَوْا لم يعلموا أَنَّا جَعَلْنَا مكة حَرَمًا آمِنًا مصونا عن القتل والسبي فيه والتعدي وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ يختلسون قتلا وسبًّا مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ أي: غير الله يُؤْمِنُوْنَ وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَكْفُرُوْنَO وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا بالإشراك أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ بالقرآن، أو بالرسول لَمَّا جَاءَهُ أَ لَيْسَ فِيْ جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِيْنَO المفتري والمكذب منهم وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا في حقنا جهادا أكبر أو أصغر لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا الموصلة إلى رضانا وَإِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَO ع [ص636] بالإعانة.

سورة الروم مكية، وهي ستون آية.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمّٓO الله أعلم بمراده غُلِبَتِ الرُّوْمُO فِيْٓ أَدْنَى الْأَرْضِ المراد من الأرض؛ أرض العرب، وأدناها، وأقربهم إلى عدوهم طرف الشام. اجتمع فارس والروم بين الجزيرتين؛ الأذرعات وبصرى، والبادي في الغزو فارس؛ وملكه كسرى، اسمه أبرويز[1]، فغلبت فارس الروم، ومن استماع هذا الخبر حزن المؤمنون، وفرح أهل مكة، وشمتوا أذهم، وفارس ليسوا من أهل الكتاب، بل عبدة الأصنام وعبدة النار، والمسلمون والروم أهل الكتاب، ففرحوا بأنهم يظهرون على المسلمين؛ كما ظهر هؤلاء عليهم.

1 – أبرويز: هو أبرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان، وكان من أشد ملوكهم بطشا، وأنفذهم رأيا، وأبعدهم غورا، وبلغ من البأس والنجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعفة الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه، ولذلك سمي أبرويز، وتفسيره بالعربية: المظفر. الطبري: تاريخ الطبري: المرجع السابق. 176/2.

فنزلت: فقال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن خلف المنافق: سيظهر الروم على الفارس. وخاطر على مائة قلائص في تسع سنين بعد أن خاطر على العشرة وثلاثة سنين، وأمره صلى الله عليه وسلم بالزيادة فيهما، ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تحقق هذه الغلبة، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه الخطر عن ذرية المنافق، وتصدق على الناس بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا قبل تحريم القمار، ومذهب أبي حنيفة ومحمد: أن العقود الفاسدة جائزة بين المسلمين والكفار في دار الحرب بهذه القصة وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ إضافة المصدر إلى المفعول سَيَغْلِبُوْنَO أي: الروم يغلبون على الفارس فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ هو من ثلاثة إلى التسع، فالتقي الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ من قبل مغلوبية الروم عن الفارس وَمِنْ بَعْدُ من بعد غالبيتهم على الفارس، أو قبل كل شيء وبعد كل شيئ، أي: كل بقضاء الله وقدره وَيَوْمَئِذٍ يوم استماع غلبة الروم على فارس يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَO كما فرح المشركون عند غلبة فارس بِنَصْرِ اللهِ متعلق بيفرح يَنْصُرُ مَنْ يَّشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ القاهر على الأعداء الرَّحِيْمُO الناصر [ص637] بالأولياء وَعْدَ اللهِ مصدر مؤكد لنفسه، لأن ما قبله في معنى الوعد، أي: انتصر الروم على فارس لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: أهل مكة لَا يَعْلَمُوْنَO بواطن الأمور يَعْلَمُوْنَ بدل من لا يعلمون ظَاهِرًا يعني أن للدنيا ظواهر وبواطن، وهم لا يعلمون إلا ظاهرا من ظواهرها، فيتمتعون بزخارف الدنيا، ويهملون النظر إلى بواطنها؛ التي حسبت من الآخرة مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالمكاسب المزخرفة النافعة في الدنيا وَهُمْ عن بواطنها الناعتة عَنِ الْآخِرَةِ التي هي باطنها هُمْ غَافِلُوْنَO ولم يدروا؛ أن الدنيا مزرعة الآخرة أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا أي: كفار مكة فِيْ أَنْفُسِهِمْ حتّى يحصل لهم اليقظان فيعلموها مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ بالحكمة وَأَجَلٍ مُّسَمًّى فيعدم الدنيا عند حلول الأجل وَإِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ عند البعث لَكَافِرُوْنَO لجاهدون أَوَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ كذبوا رسلهم مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوْا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَّأَثَارُوا الْأَرْضَ قلّبوا وجهها للحرث والغرس وغيرهما وَعَمَرُوْهَا أي: الذين خلوا أرضهم أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوْهَا أي: كفار مكة أرضها، لكونها غير ذي زرع، وفيه تهكم إذ لا بسط لهم؛ وهم يتفاخرون بالبسط وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ من غير ذنب وَلٰكِنْ كَانُوْا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَO حيث عملوا ما أدي إلى هلاكهم، وما سمعوا التذكير ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِيْنَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أي: عوقبوا في الدنيا بالدمار، وفي الآخرة بالنار، والسوأى تأنيث أسوء، كالحسنى، أو مصدر كالبشرى، نعت بها، والمراد جهنم، وهو اسم كان؛ وعاقبة خبره أَنْ أي: بأن [ص638] كَذَّبُوْا بِآيَاتِ اللهِ أي: القرآن وَكَانُوْا بِهَا يَسْتَهْزِءُوْنَOع اللهُ يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ بعد الموت ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُوْنَO

يسكت المشركون عن المحاجة، وييئسون عن الحجة وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا أي: معبوداتهم لم يشفعوا لهم وَكَانُوْا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِيْنَO منكرين وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يَومَئِذٍ يَّتَفَرَّقُوْنَO أي: كل من الطائفتين تتفرق بشأن لها فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِيْ رَوْضَةٍ أرض ذات أزهار وأنهار يُّحْبَرُوْنَO يسرون سرورا، تهللت به الوجوه، وقيل: هو السماع في الجنة وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ أي: البعث فَأُولٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُوْنَO مدخلون بالدوام من غير تخفيف فَسُبْحَانَ اللهِ حِيْنَ تُمْسُوْنَ وَحِيْنَ تُصْبِحُوْنَO أي: سبحوا، أو صلوا في دخول المساء والصباح، أي: المغرب والعشاء والفجر وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من أهليهما وَعَشِيًّا وَّحِيْنَ تُظْهِرُوْنَO أي: العصر والظهر، فاستوعبت هذه الآية الأوقات الخمس يُخْرِجُ الْحَيَّ الطائر أو الإنسان أو المؤمن مِنَ الْمَيِّتِ من البيضة أو النطفة أو الكافر وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ في عكوس الأمور المذكورة وَيُحْيِي الْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها وَكَذَالِكَ تُخْرَجُوْنَO؏ مثل ذلك الإخراج تخرجون أنتم من الأجداث. قال عليه السلام: ((مَنْ قَرَءَ فَسُبْحَانَ اللهِ ...، وَأَخِيْرَ سُوْرَةِ وَالصَّافَّاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوْبَةٍ، كُتِبَتْ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ نُجُوْمِ السَّمَاءِ، وَقَطَرِ الْأَمْطَارِ، وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ، وَتُرَابِ [ص639] الْأَرْضِ، وَمَنْ قَرَأَهُ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِيْنَ يُمْسِيْ أَدْرَكَ مَا فَاتَ فِيْهِمَا))[1]. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ بحسب الأصل أي: آدم ثُمَّ إِذَا للمفاجأة أَنْتُمْ بَشَرٌ من دم ولحم تَنْتَشِرُوْنَO على وجه الأرض وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا خلق حواء من الضلع الأيسر من آدم، والباقيات من النطف لِتَسْكُنُوْا إِلَيْهَا بسبب اتحاد الجنسية وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَّرَحْمَةً التواد والتراحم، وقيل: الجماع والولد، وقيل: هما من الله، والفرك والتباغض من الشيطان إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَرُوْنَO فيعلمون أن في خلق الأزواج والسكون والمودة والرحمة بقاء الدنيا وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ حيث علم كل صنف لغة، أو ألهم وضعها وَأَلْوَانِكُمْ مع اتحاد النطفة، ولو تشاكلت لوقع التجاهل والالتباس إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِيْنَO العاقلين بحِكَمه تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ أي: من آياته المنام للاستراحة والتقوية في الليل، وابتغاء الفضل في النهار، أو كلاهما منامان ومبتغى فيهما الفضل إِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَO سماع الاتعاظ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيْكُم أي: أن يريكم، أو نزل الفعل منزلة المصدر، كما في: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه الْبَرْقَ خَوْفًا للمسافر من الصواعق وَطَمَعًا للمقيم في المطر، أي: إرادة خوف وطمع وَّيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بالنبات بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO يتدبرون وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُوْمَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تثبت من غير عمد بِأَمْرِهِ بإرادته وحكمته ثُمَّ إِذَا شرطية دَعَاكُمْ

---

1 – النسفي: المصدر السابق. 695/2.

إسرافيل عليه السلام [ص640] بأمره تعالى للبعث دَعْوَةً مِّنْ الْأَرْضِ من القبور إِذَا للمفاجأة أَنْتُمْ تَخْرُجُوْنَO من قبوركم من غير توقف، وكلمة من متعلقة بفعل الشرط، لا بقوله تخرجون، إذ لا يعمل ما بعد إذا في ما قبلها وَلَهُ عبدا وملكا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُوْنَO مطيعون وَهُوَ الَّذِيْ يَبْدَؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ بعد الهلاك وَهُوَ أَهْوَنُ أيسر عَلَيْهِ على أصولكم، وإلا عنده سيَّان وَلَهُ لا لغيره الْمَثَلُ الوصف من التوحيد، أو القدرة العامة، أو الحكمة التامة، أو عدمية المثل له الْأَعْلَى الأرفع فِي ألسنة أهل السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ القاهر على كل مقدور الْحَكِيْمُOع الربع في كل فعل ضَرَبَ جعل لَكُمْ أيها المشركون مَثَلًا وصفا منتزعامِّنْ أحوال أَنْفُسِكُمْ وكلمة من ابتدائية، وهي، أي: أحوال أنفسكم أقرب الأمور منكم هَلْ استفهام بمعنى النفي لَكُمْ يا معشر الأحرار مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أي: بعض مماليككم مِّنْ زائدة لتأكيد الاستفهام شُرَكَاءَ فِيْ مَا رَزَقْنَاكُمْ من الأموال فَأَنْتُمْ ومماليككم فِيْهِ سَوَاءٌ في التصرف مع الاتحاد في جنس البشرية مع أن مكاسب المماليك يعود إلى الأحرار تَخَافُونَهُمْ أي: تخافون المماليك كَخِيْفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ من الأحرار، أي: كما يخاف بعض الأحرار عن بعض في تصرف المال، تخافون أنتم مماليككم، فإذا لم ترضوا بمشاركة عبيدكم لأنفسكم في أموالكم مع الاستواء في البشرية؛ فكيف ترضون لرب الأرباب أن تشركوه عبيده مع عدم المجانسة؟ كَذَالِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO فإن التمثيل يوضح المعاني بَلِ اتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بالإشراك أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ يرشدهم إلى الصواب فَمَنْ يَّهْدِيْ مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَO من العذاب فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفًا حال عن الدين، [ص641] أي: مائلا إلى الحق عن الباطل فِطْرَةَ اللّٰهِ الَّتِيْ فَطَرَ خلق النَّاسَ عَلَيْهَا أي: ألزموا دين الله؛ الذي خلق الناس عليه، لأن كل مولود يولد على فطرة الإسلام لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ لدينه ذَالِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ المستقيم وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: كفار قريش لَا يَعْلَمُوْنَO التوحيد بإغواء الشيطان، وتسلطه عليهم مُنِيْبِيْنَ حال من الضمير في ألزموا، عامل فطرة الله، أي: راجعين من الأباطيل إِلَيْهِ وَاتَّقُوْهُ وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَO مِنَ الَّذِيْنَ بدل من المشركين فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ بالاختلاف في المعبود على حسب الأهواء وَكَانُوْا شِيَعًا فرقا تشايع كل واحد منها إمامها كُلُّ حِزْبٍ طائفة منهم بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَO مسرورون بحسبان الباطل حقا وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ كفار مكة وغيرهم ضُرٌّ شدة مرض، أو قحط، أو غير ذلك دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيْبِيْنَ راجعين إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً نجاة من الضر إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُوْنَO في العبادة لِيَكْفُرُوْا أمر للتهديد، أو لام كي بِمَاآتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوْا أمر للوعيد فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَO ما جزاء الكفر أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا حجة، استفهام إنكار فَهُوَ يَتَكَلَّمُ يشهد، ويأمرهم بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُوْنَO وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً من الصحة والسعة فَرِحُوْا فرح بطر بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ شدة بِمَا

قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ لشوم معاصيهم إِذَا هُمْ يَقْنَطُوْنَO يئسون من رحمته تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ يوسع الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ يضيقه لمن يشاء، أي: بعد ما علموا أن الباسط والقابض هو الله، فما لهم يقنطون [ص642] بل ينبغي أن يرجوا الله تائبين من المعاصي، كما هو شأن المؤمنين إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَO إذ هم المنتفعون بها فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ من البر والصلة وَالْمِسْكِيْنَ وابْنَ السَّبِيْلِ والخطاب له عليه السلام ومن تبعه، وفيه دليل على وجوب نفقة المحارم، كما هو مذهب أبي حنيفة ذَالِكَ أي: إيتاء الحقوق خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ في الإنفاق وَجْهَ اللهِ ذاته، أي: رضاه أو ثوابه وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ رِّبًا هدية أو هبة، تقصدون بها أكثر مما أعطيتم، فسميت باسم المطلوب أو المراد زيادة محرمة لِيَرْبُوَا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ ليزيد فَلَا يَرْبُوْا أي: لا ثواب لهم عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ صدقة تُرِيْدُوْنَ بها وَجْهَ اللهِ لا سمعة ولا رياء ولا مكافاة فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُوْنَO للثواب اللهُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُمْ ممن أشركتم بالله من الأصنام مَنْ يَّفْعَلُ مِنْ ذَالِكُمْ من الخلق والرزق والإماتة والإحياء مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَOع ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ القحط، ومنع الأمطار، وقلة الماء في الأنهار، والموتان، وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات عن الزراعات والتجارات، وفشو الظلم بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ من المعاصي لِيُذِيْقَهُمْ بَعْضَ الَّذِيْ عَمِلُوْا أي: وبال بعض الأعمال في الدنيا، أما في الآخرة فيحيط بهم عقوبة جميع أعمالهم السيئة لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO إليه تعالى قُلْ لكفار مكة سِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ في تجاراتهم إلى الشام فَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ [ص643] الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلُ كعاد وثمود وقوم لوط كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِيْنَO فهلكوا بسخط الله وغضبه فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ الْقَيِّمِ المستقيم؛ الذي لا عوج فيه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ لا يقدر أحد أن يرده، فهو مصدر بمعنى الرد مِنَ اللهِ متعلق بيأتي يَوْمَئِذٍ يَّصَّدَّعُوْنَO يتفرقون إلى الجنة والنار مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ أي: وباله وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُوْنَO يسوّون منزلا في الجنة لِيَجْزِيَ أي: الله سبحانه، متعلق بيمهدون الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَافِرِيْنَO وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُّرْسِلَ الرِّيَاحَ الجنوب والشمال والصباء، وأما الدبور فريح العذاب مُبَشِّرَاتٍ بالمطر وَلِيُذِيْقَكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ مطره وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ عند هبوبها بِأَمْرِهِ بتكوينه وَلِتَبْتَغُوْا لتطلبوا تجارة البحر مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ يا أهل مكة تَشْكُرُوْنَO بهذه النعم وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوْهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ على صدق رسالتهم؛ فكذب طائفة، وآمن بعض فَانْتَقَمْنَا بالتدمير مِنَ الَّذِيْنَ أَجْرَمُوْا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَO بالإنجاء اللهُ الَّذِيْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ من الجهات فَتُثِيْرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ تارة متصلا بأحد وجه السماء فِيْ جهة السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ قليلا أو كثيرا وَيَجْعَلُهُ تارة كِسَفًا قطعا، جمع كسفة فَتَرَى الْوَدْقَ المطر يَخْرُجُ في الحالتين مِنْ خِلَالِهِ

وسطه فَإِذَا أَصَابَ بِهِ بالمطر أراضي مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَO يفرحون بالمطر على قدر اغتمامهم بفقده وَإِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْهِمْ [ص644] المطر مِنْ قَبْلِهِ تكرير للتأكيد، إشارة إلى تطاول زمان فقد المطر لَمُبْلِسِيْنَO لآئسين فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ من النبات والأشجار والأثمار كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَالِكَ القدير على إحياء الموات لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيْحًا أي: الدبور فَرَأَوْهُ أي: النبات أو السحاب مُصْفَرًّا بعد الاخضرار، فإن السحاب المصفر لا يمطر لَظَلُّوْا لصاروا مِنْ بَعْدِهِ بعد الاصفراء يَكْفُرُوْنَO بنعمة المطر، أي: هم دائما على الصفة المذمومة، إذا حبس المطر قنطوا، وإذا أرسل كفروا فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى أي: موتى القلوب، فلا تطمع القبول عنهم وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِيْنَO قيد به لشدة الاستحالة فيه، فإن المقبل قلما يدرك ببعض الحركات والإشارت بخلاف المدبر وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ قلوبا بالإشارة، سمّاهم عميا لفقد هم المقصود عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُّؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسلِمُوْنَOع منقادون للأحكام الإلهية اللهُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ ضُعْفٍ من ماء مهين ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً بالحلم ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَّشَيْبَةً حال، الشيخوخة والهرم يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من الضعف والقوة والشباب والشيب وَهُوَ الْعَلِيْمُ الْقَدِيْرُO وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ القيامة، إنما سميت القيامة ساعة؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو يجيئ بغتة، ويقال: في الساعة لمن يستعجل، ثم جعلت علما كالنجم للثرياء يُقْسِمُ يحلف الْمُجْرِمُوْنَ مَا لَبِثُوْا في الدنيا، أو في القبور غَيْرَ سَاعَةٍ استقبلوا الهول ذلك اليوم وطوله كَذَالِكَ مثل هذا الإفك في اللبث [ص645] كَانُوْا يُؤْفَكُوْنَO في البعث وَقَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيْمَانَ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين لَقَدْ لَبِثْتُمْ في الدنيا أو البرزخ، كما هو المقدر في قضائه وعلمه المثبت فِيْ كِتَبِ اللهِ أي: اللوح المحفوظ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ إن كنتم منكرين يوم البعث فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ الذي أنكرتموه وَلٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ في الدنيا لَا تَعْلَمُوْنَO حقيقة هذا اليوم فَيَوْمَئِذٍ أي: يوم القيامة لَا يَنْفَعُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا على أنفسهم مَعْذِرَتُهُمْ في إنكارهم البعث وَلَا هُمْ يُسْتَعْبُوْنَO أي: لايطلب منهم العتبى، أي: الرجوع إلى ما لا يرضي به الله وَلَقَدْ ضَرَبْنَا وصفنا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وصف للمنكرين للبعث، وما يقولون ذلك اليوم، وما يقال لهم فيه وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ لام قسم بِآيَةٍ من آيات الله في القرآن لَيَقُوْلَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِنْ أَنْتُمْ يا محمد وأصحابك إِلَّا مُبْطِلُوْنَO مزورون كَذَالِكَ مثل هؤلاء الذين كفروا يَطْبَعُ اللهُ يختم عَلَى قُلُوْبِ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَO التوحيد فَاصْبِرْ على عداوتهم وأذاهم إِنَّ وَعْدَ اللهِ بنصرك عليهم حَقٌّ وَّلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ لا يحملنك على الخفة، حتّى تترك الصبر؛ وتعجل بالدعاء عليهم الَّذِيْنَ لَا يُوْقِنُوْنَOع بالبعث والنشور.

سورة لقمان مكية، أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمٓ الله أعلم بمراده تِلْكَ هذه الآيات آيَاتُ الْكِتَابِ أي: القرآن، والإضافة بمعنى من الْحَكِيْمِO ذي الحكمة هُدًى وَّرَحْمَةً حالان ، والعامل معنى الإشارة في تلك لِلْمُحْسِنِيْنَO الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ [ص646] بِالْاٰخِرَةِ هُمْ تأكيد يُوْقِنُوْنَO أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO الفائزون. قيل: نضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم، يحدث بها القريش، قائلا: أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يحدث بعاد وثمود، وأنا برستم وأسفند يار، فنزلت: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّشْتَرِيْ لَهْوَ الْحَدِيْثِ ما يلهى عما يغني، نحو السمر بالأساطير؛ التي لا أصل لها لِيُضِلَّ الناس عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن الدخول في الإسلام، واستماع القرآن بِغَيْرِ عِلْمٍ بسوء عاقبة وَّيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ويتخذ السبيل سخرية، وأما ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما فكانا يقسمان أنه الغناء انتهى، فإنها مفسدة للقلب، منفدة للمال، مسخطة للرب. وعنه عليه السلام: ((وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْغِنَاءِ إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَيْطَانَيْنِ أَحَدُهُمَا عَلَى هَذَا الْمَنْكِبِ وَالْآخَرُ عَلَى هَذَا الْمَنْكِبِ فَلَا يَزَالَانِ يَضْرِبَانِهِ بِأَرْجُلِهِمَا حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْكُتُ))[1]. وفي البحر المواج للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي[2]: ما معناه: الغناء في أصل مذهب الحنفية حرام، ولكن علماء هذا المذهب أباحوها؛ لمصلحة دينية، أو الاشتراء بمعنى هو الاختيار، كقوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[3]، والإضافة بمعنى من، ولهو الحديث إن ارتد به هو المنكر فبيانية، أو أعم منه فتبعيضية أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌO ذو إهانة وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا أي: القرآن وَلَّى أعرض مُسْتَكْبِرًا متكبرا كَأَنْ في الأصل كأنه، فحذف

---

1 – (أ) الثعلبي: المصدر السابق. 310/7. (ب) البغوي: المرجع السابق. 585/3. (ج) الزمخشري: المصدر السابق. 491/3.

2 – القاضي: شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الزاولي، ولد بدولة آباد دهلي، وتتلمذ على القاضي عبد المقتدر، ومولانا خواجكي الدهلوي، وهو من تلامذة مولانا معين الدين العمراني، وفاق أقرانه، وسبق إخوانه. ومن مؤلفاته: البحر المواج بالفارسية وغير ذلك. توفي في سنة 849هـ، ودفن بجونفور في الجانب الجنوبي من مسجد السلطان إبراهيم الشرقي. القنوجي: محمد صديق خان بن حسن بن علي، أبو الطيب، (ت: 1307هـ). أبجد العلوم: (ط–1، دار ابن حزم، 1423هـ / 2002م). 695/1.

3 – جز من الآية، وتمامها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 16.

ضمير الشأن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيْ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ثقلا وصمما فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO ذكر البشارة للتهكم إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيْمِO خَالِدِيْنَ فِيْهَا حال من ضمير لهم وَعْدَ اللهِ حَقًّا منصوبان على المصدرية: الأول مؤكد لنفسه [ص647] لأن المذكور وعد، والثاني مؤكد لغيره لأن الثبات غير لازم للوعد وَهُوَ الْعَزِيْزُ يقهر الأعداء بعذاب أليم الْحَكِيْمُO في إثابة الأولياء بالنعيم المقيم خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ جمع عماد، وهي أسطوانة تَرَوْنَهَا كما قال، فالضمير إلى السماوات استشهادا برؤيتهم على غير معمودية، أو إلى العمد فهي صفة لها، أي: بل عمدها القوة والقدرة والإرادة له تعالى وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جبالا شوامخ كراهة أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ أن تضطرب بكم وَبَثَّ ونشر فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيْمٍO صنف نافع وهٰذَا المذكور خَلْقُ اللهِ مخلوقه فَأَرُوْنِيْ أمر تبكيت، أخبروني يا كفار مكة! مَاذَا خَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِ من الآلهة الباطلة حتّى أوجبت عندكم العبادة لها بَلِ الظَّالِمُوْنَ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍOع بيّن وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ بن باعورا؛ ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، أدرك داؤد عليه السلام، وأخذ منه العلم، وعاش ألف سنة، وتلمذ ألف نبي، وتلمذ به ألف نبي، قيل: هو نبي، وقيل: حكيم، وقيل: خُيِّر بينهما، فاختار الحكمة، والجمهور على أنه حكيم، كان خياطا أو نجارا أو راعيا، وكان يفتي بين بني إسرائيل الْحِكْمَةَ وهو استكمال الإنسان بالعلم والعمل على حسب الطاقة، وقلنا: أَنِ اشْكُرْ للهِ في مقابلة نعمة الحكمة، أو أن مفسرة للحكمة وَمَنْ يَّشكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ يعود نفعه إليه وَمَنْ كَفَرَ النعمة فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن العالمين، لا يحتاج إلى شكرهم حَمِيْدٌO حقيق بالحمد، وإن لم يحمده أحد وَاذكر إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ اسمه أسلم أو أنعم وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ تصغير إشفاق لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌO [ص648] إذ هو تسوية بين المنعم وغير المنعم وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيْهِ ببر والديه؛ خصوصا الأم حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ضعفا على ضعف، أولا بالحمل ، ثانيا بالطلق، وثالثا بالولادة، رابعا بالإرضاع وَفِصَالُهُ فطامه فِيْ انقضاء عَامَيْنِ قلنا: أَنِ اشْكُرْ لِيْ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيْرُOالنصف فأجازيك عليهما. نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه، ما طعمت ثلاثة أيام لإسلامه وَإِنْ جَاهَدٰكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِيْ تقليدا بهما مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوْفًا برا وصلة، وخلقا جميلا وَّاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ أي: رجع إليّ بالتوحيد والطاعة، أو المراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأن سعدا بدعوته دخل في الإسلام، وآمن ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ أيها التابع والمتبوع فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO في الدنيا يَا بُنَيَّ إِنَّهَا أي: الخصلة الحسنة، أو السيئة إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ تأنيثه باعتبار المضاف إليه مِنْ خَرْدَلٍ يضرب بها المثل في القلة فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ الصخرة التي عليها الأرض، أي: سجين، فيها تكتب أعمال الكفار أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ أي: في

أخفى مكان يَأْتِ بِهَا اللهُ فيحاسب بها، وعاملها إِنَّ اللهَ لَطِيْفٌ يصل عمله بكل خفي للطافته خَبِيْرٌO عالم بالكنه يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ استكمالا لنفسك وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ استكمالا لغيرك وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ في الاستكمالين إِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِO أي: من مغروماتها، ومفروضاتها، ومقطوعاتها وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ الصعر: داء يعتري للبعير، يلوي منه عنقه، أي: أقبل [ص649] بوجهك عليهم، ولا تولهم صفحة وجهك، كما يفعل المتكبرون وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا خيلاءا، أو فرحا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ كالماشي مرحا فَخُوْرٍO كالمصعر أُخر لحفظ الفواصل وَاقْصِدْ فِيْ مَشْيِكَ أي: توسط بين الدبيب كمشي النصارى، والإسراع كمشي اليهود وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ أي: اخفضه إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ أقبحها وأوحشها لَصَوْتُ الْحَمِيْرِOع أوله زفير، وآخره شهيق، كما لأهل النار. عن الثوري: صياح كل حيوان تسبيح إلا الحمار، فإنه يصيح لرؤية الشيطان أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ جعل سبب حصول منافعكم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ أوسع عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً محسوسة وَّبَاطِنَةً معقولة وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ هم بنوا الحارث من كفار مكة فِي اللهِ في توحيده وصفاته بِغَيْرِ عِلْمٍ مستفاد من دليل وَّلَا هُدًى من رسول وَّلَا كِتَابٍ مُّنِيْرٍO سماوي بل بالتقليد وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا فيه منع صريح من التقليد في الأصول أَ يتبعونه، والهمزة للإنكار، والتعجب وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيْرِO أي: موجباته وَمَنْ يُّسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ يفوض أمره إليه تعالى وَهُوَ مُحْسِنٌ موحد فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى تأنيث الأوثق، لا يخاف انقطاعه وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُوْرِO أي: مرجعها إليه تعالى وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ يا محمد كُفْرُهُ أي: لا يهمك كفر من كفر إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ [ص650] بِذَاتِ الصُّدُوْرِO فيجزيهم على حسب نياتهم نُمَتِّعُهُمْ قَلِيْلًا فإن ما يزول قليل بالنسبة إلى ما يدوم ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ نلجئهم في الآخرة إِلَى عَذَابٍ غَلِيْظٍO لا يجدون عنها محيصا وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لام قسم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ حذف نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين قُلِ الْحَمْدُ للهِ على ظهور الحجة عليهم، حيث أقروا بألسنتهم؛ أنه المستحق للعبادة لا غيره مع ذلك أشركوا به تعالى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO أن ذلك يلزمهم لسفاهتهم للهِ ملكا وعبيدا وخلقا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ عن حمد الحامدين الْحَمِيْدُO المستحق للحمد؛ وإن لم يحمدوه وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَّالبَحْرُ عطف علي محل اسم أن، أي: المحيط لسعته يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ أي: بعد نفاده سَبْعَةُ أَبْحُرٍ فاعل يمده مَا نَفِدَتْ ما تمت كَلِمَاتُ اللهِ أي: معلوماته، والأصل البحر مداد يمده سبعة أبحر مثله من بعد تمامه، فذكر يمده، يغني عن ذكر مداد، لأنه من قولك: مدَّ الدواة وأمدُّها إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ لا يعجزه شيء

حَكِيْمٌO لا يخرج شيء عن حكمه مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةٍ بكلمة كن، أو القليل والكثير سيَّان عند قدرته تعالى إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ لإنكارهم البعث بَصِيْرٌO بأعمالهم فيجازيهم بها أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُوْلِجُ يدخل اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ فيزيد وينقص كل بدخول زمانه فيه وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَّجْرِيْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى منتهي معلوم لمطلق السير، أو لسير السنة وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO ذَالِكَ [ص651] أي: سعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الثابت الهيئة وَأَنَّ مَا يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ الْبَاطِلُ الزائل، المعدوم الهيئة وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ شانا الْكَبِيْرُOع سلطانا أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ بإحسانه بجميع أسبابه لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ على المشاق شَكُوْرٍO لنعمائه وَإِذَا غَشِيَهُمْ غطّا هم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ من جبال أو سحاب أو غيرهما دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ أي: الدعاء بالنجاة، لا يدعون معه غيره فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ قائم على القصد، أي: التوحيد والإخلاص، متوسط بين الكفر والإيمان، منزجر بعض الانزجار وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا منها غشي الأمواج، والانجاء منها إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ غدّار، الختر: أشد الغدر، كأنه يغدر الفطرة السليمة كَفُوْرٍO للنعم يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِيْ لا يقضي فيه وَالِدٌ عَنْ وَّلَدِهِ وَلَا مَوْلُوْدٌ هُوَ جَازٍ قاض عَنْ وَّالِدِهِ شَيْئًا فمن قبض على الكفر لا يشفعه مؤمن؛ والدا كان أو مولودا إِنَّ وَعْدَ اللهِ بتثويب المؤمن، وتعذيب الكافر حَقٌّ ثابت، لا خلف فيه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بطيب العيش عن الإسلام وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ بعفوه، وإمهاله الْغَرُوْرُO الشيطان أو الدنيا أو النفس. سأل حارث بن عمرو عن الأشياء الخمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عَلْمُ السَّاعَةِ القيامة، متي تقوم؟ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ في أيامه المقدرة وَيَعْلَمُ مَا فِي [ص652] الْأَرْحَامِ أ ذكر أم أنثي؟، أو تام أو ناقص وَمَا تَدْرِيْ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا أي: ما تفعل من خير أو شر وَمَا تَدْرِيْ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوْتُ قيل: المنصور سأل في منامه ملكا عن أيام عمره، فأشار بأصابعه الخمس، فعبروا بخمس سنين، وبخمسة أشهر، وبخمسة أيام. وعبر أبو حنيفة: بأنه إشارة إلى ما في هذه الآية، فإن هذه العلوم لا يعلمها إلا هو إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بالغيوب خَبِيْرٌOع بالكائنين.

سورة السجدة مكية، وهي ثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الٓمٓO الله أعلم بمراده منه تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَO مبتداء وخبر، واعتراضية، أو خبران عنه أَمْ بل يَقُوْلُوْنَ افْتَرَاهُ أي: اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم، لا بَلْ هُوَ الْحَقُّ الثابت مِنْ رَّبِّكَ إضراب عن الإنكار، أي: ليس الأمر كما يقولون تعنُّتا لِتُنْذِرَ به قَوْمًا أي: العرب مَا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيْرٍ مِّنْ قَبْلِكَ صفة قوم لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَO بإنذارك اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ من يوم الأحد إلى الجمعة ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ استوى أمره، أو استولي عليه بإحداثه، أو هو استوي عليه استواءا يليق بشأنه مَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِهِ مِنْ وَّلِيٍّ ناصر وَّلَا شَفِيْعٍ يدفع العذاب إذا احتجتم إليهما أَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَO بموعظته يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أي: أمر الدنيا بأسباب نازلة مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ يصعد التدبير والأمر إِلَيْهِ تعالى، أي: إلى حيث يرضاه، أو إلى حيث أمره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيْ ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّيْ﴾[1] إني مهاجر إلى ربي، ومهاجر إلى الله فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوْنَO [ص653] من أيام الدنيا، أي: يوم القيامة كألف سنة الدنيا، وفي سورة سأل سائل: ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2]، وذَالِكَ لشدة أهواله على الكفار، ((وَأَمَّا عَلَى الْمُؤْمِنِ فَيَكُوْنُ أَخَفُّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوْبَةٍ؛ يُصَلِّيْهَا فِيْ الدُّنْيَا))، كما جاء في الحديث[3]، ذلك أي: مدبر أمر السماوات والأرض عَالِمُ الْغَيْبِ عن الخلق وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الرَّحِيْمُO على عباده الَّذِيْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ صفة كل شيئ، وحسنة إفاضة ما يستعده، ويليق به وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ يعني آدم مِنْ طِيْنٍO ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ذريته مِنْ سُلَالَةٍ علقة، أو من نطفة مِّنْ مَّاءٍ منيّ مَّهِيْنٍO ضعيف حقير ثُمَّ سَوَّاهُ قوّمه على ما ينبغي وَنَفَخَ أدخل فِيْهِ مِنْ رُّوْحِهِ أضاف إلى نفسه تشريفا، وأشار بأن له مناسبة بالربوبية، ولذا استأثره بعلمه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ الإسماع وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لتسمعوا ولتبصروا ولتفقهوا قَلِيْلًا مَّا زائدة تَشْكُرُوْنَO وَقَالُوْا القائل أبي بن خلف وأتباعه،

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ سورة الصافات، الآية: 99.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سورة المعارج، الآية: 4.

3 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، والحديث الكامل: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مَا طُولُ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنْ حَتَّى يَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا)). البيهقي: المرجع السابق. 556/1.

رضوا بقوله فأسند إليهم ءَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أي: غيبنا أو صرنا ترابا مختلطا بتراب الأرض، مرفوع التميز ءَإِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بالبعث وما يتبعه من تمام أحوال الآخرة كَافِرُوْنَO جاحدون قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِيْ وُكِلَ بِكُمْ أي: يقبض أرواحكم، من وكل بقبضها ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُوْنَOع للحساب وَلَوْ تَرَى أنت وكل من يحي منه الرؤية إِذِ الْمُجْرِمُوْنَ نَاكِسُوْا رُءُوْسِهِمْ مطأطؤها من الحياء والحزن عِنْدَ رَبِّهِمْ قائلين: رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا ما أنكرنا من البعث وَسَمِعْنَا منك تصديق رسلك فيما كذبنا هم فَارْجِعْنَا إلى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا الإيمان والطاعة [ص654] إِنَّا مُوْقِنُوْنَO بما أتي به الرسل، وجواب لو محذوف، أي: لرأيت أمرا فظيعا وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا من الاعتقاديات والعمليات وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ وجب القضاء مِنِّيْ وهو لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ دون الملائكة، لأنهم لا يعصون الله أَجْمَعِيْنَO يقول لهم خزنة جهنم: فَذُوْقُوْا العذاب بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا بترككم الإيمان بالله، وبهذا اليوم إِنَّا نَسِيْنَاكُمْ تركناكم في العذاب وَذُوْقُوْا عَذَابَ الْخُلْدِ الدائم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO من الكفر والمعاصي إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرُوْا وعظوا بِهَا خَرُّوْا سُجَّدًا تواضعا وشكرا على الإسلام وَسَبَّحُوْا نزهوا متلبسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَOالسجدة عن السجود والتسبيح تَتَجَافَى ترتفع وتتنحّي جُنُوْبُهُمْ أضلاعهم عَنِ الْمَضَاجِعِ عن فرش النوم يَدْعُوْنَ حال كونهم داعين عابدين رَبَّهُمْ خَوْفًا من عذابه وَطَمَعًا في رحمته، مفعول له، وهم المتهجدون وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO في وجوه الخير فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ لا ملك، ولا نبي مرسل مَا الذي أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ أي: ماتقر به أعينهم من الكرامة جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO في الخفاء، فأجزي لهم بالخفاء أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا في الجزاء، هما محمولان على لفظة من لَا يَسْتَوُوْنَO محمول على معنى من أَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى جنة يأوي إليها أرواح الشهداء، وهي على يمين العرش نُزُلاً وهو ما يعدُّ للضيف، ثم صار عاما بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO [ص655] وَأَمَّا الَّذِيْنَ فَسَقُوْا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوْا أَنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا من شدة العذاب أُعِيْدُوا فِيْهَا وَقِيْلَ لَهُمْ القائل خزنة جهنم: ذُوْقُوْا عَذَابَ النَّارِ الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَOوَلَنُذِيْقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى مصائب الدنيا، وقيل: عذاب القبر دُوْنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ أي: قبله لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO يتوبون، أو لعل من بقي منهم يرجع وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ وعظ بِآيَاتِ رَبِّهِ أي: القرآن ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِيْنَ سيما المعرضين مُنْتَقِمُوْنَOعوَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ التوراة فَلَا تَكُنْ فِيْ مِرْيَةٍ شك مِّنْ لِّقَائِهِ من لقائك الكتاب الذي أرسل إليك، أي: القرآن، أو لقاء موسى عليه السلام كتابه، أو لقائك موسى عليه السلام ليلة الأسراء، أو لقاء موسى عليه السلام ربه يوم القيامة وَجَعَلْنَاهُ موسى عليه السلام أو الكتاب هُدًى لِّبَنِيْ إِسْرَاءِيْلَOوَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَّهْدُوْنَ الناس إلى

شرائع التوراة بِأَمْرِنَا إياهم بذلك لَمَّا صَبَرُوْا على دينهم وعلى بلاء أعدائهم، أو عن المعاصي وَكَانُوْا بِآيَاتِنَا التوراة يُوْقِنُوْنَO إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ يقضي بَيْنَهُمْ بين الرسل وأممهم، أو بين المؤمنين والكافرين يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO من أمر الدين، فيظهر المحق عن المبطل أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ لأهل مكة كَمْ أَهْلَكْنَا كثرة إهلاكنا، فهي فاعل لم يهد بحسب المعنى، وقيل: للاستفهام، فلا يعمل فيه ما قبله، ومحله نصب من أهلكنا، فالفاعل هو الله مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُوْنِ كعاد وثمود وقوم لوط يَمْشُوْنَ أهل مكة في متاجرهم إلى الشام فِيْ مَسَاكِنِهِمْ [ص656] الخربة إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُوْنَO سماع اتعاظ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوْقُ الْمَاءَ المطر أو الأنهار إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ التي قطع نباتها فَنُخْرِجُ بِهِ بذلك الماء زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ من عصفه وحبه أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُوْنَOالثلاثة فيستدلون بهذا الاقتدار على قدرته على البعث وَيَقُوْلُوْنَ في تخاطب المؤمنين مَتَى هٰذَا الْفَتْحُ الفصل بالحكومة بيننا وبينكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في الوعد قُلْ لا يستعجلون بذلك اليوم يَوْمَ الْفَتْحِ أي: يوم القيامة، وإذا جاء لابد أن تصيروا إلى الإيمان، لما تشاهدون عذابه، وصدق الأنبياء، وثواب المؤمنين لَا يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِيْمَانُهُمْ في ذلك الوقت وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَO يمهلون للمعذرة فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إنزال العذاب بهم إِنَّهُمْ مُّنْتَظِرُوْنَOع موتك، أو غلبتهم عليك.

سورة الأحزاب مدنية، وهي ثلاثة وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ دم على التقوى وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ كأبي سفيان من مكة وَالْمُنَافِقِيْنَ كعبد الله بن أبي من مدينة، فيما يخالفون شريعتك إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيْمًا بخبث أعمالهم حَكِيْمًاO في تأخير الأمر بقتالهم وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ من إدامة التقوى، وعدم إطاعتهما إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ أنت وأمتك خَبِيْرًاO وَّتَوَكَّلْ وثق عَلَى اللهِ في جميع أمرك وَكَفَى بِاللهِ الباء زائدة وَكِيْلًاO حافظا، والأمة تتبع في ذلك مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ [ص657] أَزْوَاجَكُمُ الّٰٓئِيْ تُظَاهِرُوْنَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ أي: كما لم يجعل في الإنسان قلبين، كما زعم المنافقون: أن لمحمد عليه السلام قلبين، قلبا معكم وقلبا مع أصحابه. وأبو معمر أحفظ العرب يدعي أنه ذو القلبين، فرد هم الله أنه لم يخلق في الإنسان قلبين، لأن الثاني إما غير محتاج إليه، أو يؤدي إلى التضاد، وكذلك لم يحكم أن المرأة الواحدة تكون زوجة لرجل وأما له، لأن الخادمية والمخدومية لا يجتمع، وكذلك لم يحكم باجتماع الدعية والإبنية في رجل، لأن البنوة إصالة في النسب، والدعوة

إلصاق به، ولا يجتمع في شيء أصيل وغير أصيل، وفي هذين رد لمن جعل الظهار طلاقا، واستبعد نكاح زينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصة أن زيد بن حارثة من بني كلب سيء صغيرا، فاشتراه حكيم بن حزام[1] لعمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له، وطلبه أبوه وعمه، فخير، فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقه، وتبنّاه، وكانت تحته زينب بنت جحش، فلمّا طلقها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال المنافقون: تزوّج محمد امرأة ابنه، وهو ينهي عنه، فنزل ردّاً لهم. والأدعياء جمع دعيّ على وزن فعيل، بمعنى مفعول، وجمع على وزن أفعلاء شاذ، كأنه شبّه بفعيل بمعنى فاعل ذَٰلِكُمْ كل ما ذكر قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ لا حقيقة له في الخارج وَاللّٰهُ يَقُوْلُ الْحَقَّ ما له حقيقة؛ مطابقة له وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيْلَO سبيل الحق، وكانوا يقولون لزيد: زيد بن محمد، فنزل: أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ أي: لا يقولوا لزيد بن حارثة؛ زيد بن محمد هُوَ أَقْسَطُ أعدل عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوْا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ [ص658] فِي الدِّيْنِ وَمَوَالِيْكُمْ فيه، فقولوا يا أخي، ويا مولائي في الدين وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيْمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِ بالنسيان، أو سبق اللسان وَلٰكِنْ الجناح والإثم مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ بعد النهي وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا يعفو عن المخطي رَحِيْمًاO يقبل التوبة من المتعمد النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِيْنَ أحق في الإطاعة بهم مِنْ أَنْفُسِهِمْ في كل أمر، مثلا إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر ودعتهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر؛ فإطاعة النبي أولى بالمؤمنين من إطاعتهم أنفسهم، فهو أب المؤمنين وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ في حرمة النكاح، ووجوب تعظيمهن وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِيْ كِتَابِ اللهِ أي: اللوح المحفوظ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ من الأنصار وَالْمُهَاجِرِيْنَ أي: ذووا القرابات بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين، ومن المهاجرين بحق الهجرة، وكان المسلمون يتوارثون في صدر الإسلام بالولاية في الدين وبالهجرة؛ لا بالقرابة، ثم نسخ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوْا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوْفًا لكن فعلكم إلى أولياءكم في الدين معروفا جائز بحكم الوصية لا بحكم الوراثة كَانَ ذَالِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوْرًاO أي: التوارث بالأرحام مسطور في اللوح المحفوظ وَاذكر إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ يا محمد وَمِنْ نُّوْحٍ وَّإِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عهودهم بتبليغ الرسالة، ودعوتهم إلى الدين القيم، حين أخرجوا من صلب آدم، كالذر؛ فهي أصغر النمل وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًاO شديدا، هو اليمين بالله بالوفاء بما حملوا لِيَسْئَلَ الله الصَّادِقِيْنَ أي: [ص659]

1 – حكيم بن حزام: هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، صحابيّ، قرشيّ. وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين. مولده بمكة في الكعبة. شهد حرب الفجار، وكان صديقا للنّبيّ صلّى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها. وعمر طويلا، قيل: 120 سنة. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، عالما بالنسب. أسلم يوم الفتح. توفي بالمدينة. الزركلي: المصدر السابق. 269/2.

الأنبياء، أو المؤمنين عَنْ صِدْقِهِمْ دعوتهم أو تصديقهم تبكيتا لكافرين بالرسل وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِيْنَ عَذَابًا أَلِيْمًاO[٤] عطف على أخذنا يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ يوم الخندق، يقال له: يوم الأحزاب إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُوْدٌ من الكفار من قريش وغطفان وقريظة وبني النضير، وكانوا اثني عشر ألفا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا الصبا باردة في ليلة شتائية وَجُنُوْدًا لَّمْ تَرَوْهَا أن الملائكة وكانوا ألفا، يضربون بالتراب وجوههم، ويقطعون الأطناب، ويقلصون الأوتاد لانهزام المشركين، فانهزموا من غير قتال؛ إلا الترامي بالنبل والحجارة وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ من حفر الخندق، والثبات على نصرته عليه السلام بَصِيْرًاO إِذْ جَاءُوْكُمْ بدل من قوله إذ جاءتكم مِّنْ فَوْقِكُمْ من أعلى الوادي؛ جانب المشرق وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ من أسفلها؛ جانب المغرب وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ مالت من سننها حيرة، أو عدلت عن كل شيء إلا العدو وَبَلَغَتِ الْقُلُوْبُ الْحَنَاجِرَ رعبا، فإن الرية تنتفخ من شدة الروع والغضب، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى منتهي الحلقوم؛ المسمي بالحنجرة وَتَظُنُّوْنَ بِاللهِ الظُّنُوْنَاO المتنوعة بنوع النصر ونوع اللباس، والألف مزيدة تشبيها للفواصل بالقوافي هُنَالِكَ ابْتُلَيَ الْمُؤْمِنُوْنَ أي: اختبروا بالصبر على الإيمان، ليظهر المخلص عن غيره وَزُلْزِلُوْا حركوا بالخوف زِلْزَالًا شَدِيْدًاO تحريكا بليغا وَاذكر إِذْ يَقُوْلُ الْمُنَافِقُوْنَ وَالَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ ضعف يقين مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ إِلَّا غُرُوْرًاO أي: وعدا باطلا، مثل معتب بن قشير، قال وعد محمد صلى الله عليه وسلم فتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يبترز ما هذا إلا وعد غرورا [ص660] وَإِذْ قَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ من المنافقين، هم: عبد الله بن أبي وأصحابه يَا أَهْلَ يَثْرِبَ أرض مدينة، لم ينصرف للعلمية ووزن الفعل لَا مُقَامَ لَكُمْ لا إقامة لكم فَارْجِعُوْا من عسكر النبي إلى منازلكم، أو من الإسلام إلى الكفر وَيَسْتَأْذِنُ في الرجوع فَرِيْقٌ مِّنْهُمُ وهم بنو حارثة النَّبِيَّ بهذا العذر يَقُوْلُوْنَ إِنَّ بُيُوْتَنَا عَوْرَةٌ ذات خلل، أي: غير حصينة عن السراق والأعداء وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ بل حصينة إِنْ يُّرِيْدُوْنَ إِلَّا فِرَارًاO من القتال وَلَوْ دُخِلَتْ المدينة عَلَيْهِمْ على الفارين مِنْ أَقْطَارِهَا من جوانبها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ أي: الردة إلى الكفر، ومقاتلة المسلمين لَآتَوْهَا لأعطوها من غير عذر وَمَا تَلَبَّثُوْا بِهَا بالمدينة، أو بإجابة الفتنة إِلَّا يَسِيْرًاO قليلا، أي: العساكر المتحربة لو دخلت المدينة على الفارين من جوانبها، ثم سألت العساكر من الفارين؛ مقاتلة المسلمين والرجوع إلى الكفر؛ لأتوها من غير تعلل بعورة البيوت، وذلك لفرط حبهم بالكفر، وبغضهم الإسلام وَلَقَدْ كَانُوْا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّوْنَ الْأَدْبَارَ عن مواجهة الأعداء، وهم بنو حارثة، عاهدوا يوم أحد حين فشلوا، ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله، أو قبل يوم خندق، أو قبل نظرهم إلى الأحزاب، أن لا ينهزموا بعد ذلك وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُوْلًاO عن الوفاء به قُلْ يا محمد! صلى الله عليه وسلم إذا جاء آجالكم: لَنْ يَّنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُوْنَ في الدنيا إِلَّا قَلِيْلًاO بقية الآجال، أي:

إن حضر أجلكم لا ينفع الفرار، وإن لم يحضر وفررتم؛ لا تمتعون في الدنيا إلا قليلا، وطلب القليل باسم الفرار ليس بجميل قُلْ مَنْ ذَا الَّذِيْ يَعْصِمُكُمْ يمنعكم مِّن عذاب اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوْءً هلاكا وهزيمة أَوْ [ص661] من ثواب الله إن أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً فتحا ونصرة، أي: من يسدُّكم من مراد الله إن أراد سوءا، أو أراد رحمة وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ وَلِيًّا نافعا لليسر وَلَا نَصِيْرًاO دافعا للضر قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِيْنَ المنافقين المشغولين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْكُمْ من جماعتكم وَالْقَائِلِيْنَ لِإِخْوَانِهِمْ بحسب الظاهر، أي: المسلمين هَلُمَّ إِلَيْنَا تعالوا إلينا، ودعوا محمدا ودينه، وهذه لغة الحجاز، وبنو تميم يقولون هلموا في الجمع وَلَا يَأْتُوْنَ الْبَاسَ للمقاتلة إِلَّا قَلِيْلًاO رياءا وسمعة، ثم ينصرفون جمع شحيح، أي: بخلاء أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ بالعون فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ الحرب من العدو رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُوْنَ إِلَيْكَ في تلك الحالة تَدُوْرُ أَعْيُنُهُمْ يمينا وشمالا كَالَّذِيْ يُغْشَى عَلَيْهِ مِن سكرات الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ أي: زال، وجمعت الغنائم سَلَقُوْكُمْ استقبلوكم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ بمخاطبة شديدة أَشِحَّةً حال، أي: بخلاء عَلَى الْخَيْرِ أي: الغنيمة أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوْا حقيقة فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ بإضمارهم الكفر وَكَانَ ذَالِكَ الإحباط عَلَى اللهِ يَسِيرًاO يَحْسَبُوْنَ لجبنهم الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوْا ولم ينهزموا مع أنهم انهزموا وَإِنْ يَّأْتِ الْأَحْزَابُ كرة ثانية للقتال بعد الهزيمة يَوَدُّوْا أي: الفارُّون لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْنَ دخلوا في البادية فِي الْأَعْرَابِ السالمين عن القتال يَسْأَلُوْنَ عن قادم من المدينة عَنْ أَنْبَائِكُمْ في أمر القتال، هل غلبتم أو غلبوا؟ فهذا متمناهم في الكرة الثانية وَلَوْ كَانُوْا فَيْكُمْ حين القتال على خلاف المتمنى مَا قَاتَلُوْا إِلَّا قَلِيْلًاO[ع] رياءا، أوخوفا عن التعيير، لأحسبته لله [ص662] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ حالات رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ أي: خصلة يتاسي ويقتدي بها حَسَنَةٌ يثاب عند الله بفعلها في أمر القتال، فهي المباشرة بنفسه، والثياب في مواطن الحرب لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ أي: مائل ثواب الله وثواب القيامة أو يخافهما، قيل لمن؟ بدل من لكم، وفيه ضعف، لأنه لا يجوز البدل عن ضمير المخاطب، فهو متعلق بحسنة وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًاO في الخوف والرجاء وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُوْنَ الْأَحْزَابَ من الكفار قَالُوْا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ بالابتلاء والنصر وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ في الأخبارين وَمَا زَادَهُمْ ما رأوا إِلَّا إِيْمَانًا تصديقا بالله ومواعيده وَتَسْلِيْمًاO لأوامره وأقداره مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصله فيما عاهدوا، فحذفت وأوصل الفعل فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ أوفى نذره، أي: مات، فإن الموت نذر على رقبة كل حيوان، كحمزة ومصعب رضي الله عنهما وَمِنْهُمْ مَنْ يَّنْتَظِرُ كعثمان وطلحة وسعيد بن جبير رضي الله عنهم وَمَا بَدَّلُوْا العهد، فيه تعريض للمنافقين؛ حيث نقضوا العهد تَبْدِيْلًاO لِّيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِيْنَ بِصِدْقِهِمْ بوفاءهم العهد وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِيْنَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوْبَ عَلَيْهِمْ بتوفيق التوبة قبل الموت إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوْرًا

للعاصين رَحِيْمًاO بالمؤمنين وَرَدَّ اللهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إلى مواطنهم بِغَيْظِهِمْ بسبب عدم فتحهم على المسلمين لَمْ يَنَالُوْا خَيْرًا ظفرا على المؤمنين وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ الْقِتَالَ بالريح والملائكة وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا قادرا عَزِيزًاO غالبا وَأَنْزَلَ الَّذِيْنَ ظَاهَرُوْهُمْ عاونوا الأحزاب مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هم بنو قريظة [ص663] مِنْ صَيَاصِيْهِمْ جمع صئصئة، وهي ما يحصن به وَقَذَفَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف فَرِيْقًا رجالا من الكفار تَقْتُلُوْنَ أيها المؤمنون وَتَأْسِرُوْنَ فَرِيْقًاO منهم، أي: الإناث والذرارى. روي أن جبرائيل عليه السلام أتي صبيحة الليلة؛ التي انهزم الأحزاب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رجع المسلمون إلى المدينة على حيزوم، وعليه الغبار، فقال: أسرع لأمتك، والملائكة لم يضعوا السلاح، إن الله يأمركم بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إليهم، فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، فقال: تنزلون على حكمي، فأبوا، فقال: على حكم سعد بن معاذ، فرضوا به، فحكم بقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم ونساءهم، فكبر النبي عليه السلام، وقال: ((لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقُعَةٍ))[1]، فقتل منهم ست مائة، وأسر سبع مائة وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوْهَا بقصد القتال، وهي مكة أو الروم أو فارس أو خيبر أو كل أرض يفتح إلى يوم القيام وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرًاOع يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا وَزِيْنَتَهَا بالسعة وكثرة المال فَتَعَالَيْنَ أي: أقبلن بالإرادة والاختيار أُمَتِّعْكُنَّ بمتعة الطلاق؛ الدرع والخمار والملحفة، ويستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطي وَأُسَرِّحْكُنَّ أطلقكن سَرَاحًا جَمِيْلًاO من غير إضرار وبدعة وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ بإرادة الآخرة لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ من للتبيين أَجْرًا عَظِيْمًاO من الدنيا وما فيها، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فخيَّرها، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم اختارت جميعهن اختيارها، والمخيرة إن اختارت نفسها؛ فلها تطليقة بائنة عندنا، وعند الشافعي رجعية، وإن اختارت زوجها لم يقع شيئ، وعن علي كرم الله وجهه في إحدى الروايتين، وعن مالك واحدة رجعية. نزلت حين طلبت نساء النبي عليه السلام عنه السعة، لما رأين من نسوان اليهود في زينته يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ [ص664] مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ سيئة بليغة في القبح، أي: كبيرة مُّبَيِّنَةٍ ظاهرة قبحها يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ مثلَي عذاب غيرهن وَكَانَ ذَالِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرًاO

---

1 - ابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله، أبو أحمد، الخرساني، (ت: 251هـ). الأموال: (ط-1، تحقيق: أ.د. شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل، السعودية، 1406هـ / 1986م). رقم الحديث: 538. ص: 343.

وَمَنْ يَّقْنُتْ يدم على الطاعة مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ مثلَي ثواب غيرهن وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيْمًاO في الجنة زائدا على أجرها يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ أي: كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل، وأصل أحَد وَحْد، ثم وضع في النفي العام، مستويا فيه المذكر والمؤنث إِنِ اتَّقَيْتُنَّ أي: أردتن التقوى فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ أي: إذا حكمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجبن بقولكن خاضعا ليّناً، مثل كلام المرئيات فَيَطْمَعَ الَّذِيْ فِيْ قَلْبِهٖ مَرَضٌ فسق وَّقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوْفًاO حسنا خشنا من غير خضوع وَقَرْنَ أصله أقررن بكسر الراء وفتحها من القرار، حذفت الراء بعد نقل حركتها إلى القاف؛ مع الهمزة تخفيفا فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ لا تبخترن في المشية، بحذف إحدى التائين، أي: لاتظهرن المحاسن في المشي تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُوْلَى مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى، أي: قبل الإسلام، وكن يظهرن المحاسن للرجال في الكفر وبعد الإسلام، حتّى ورد النهي بقوله: ﴿وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ﴾[1] فالجاهلية الأولى جاهلية الكفر، وجاهلية الأخرى جاهلية الفسق والفجور في الإسلام، وقيل: ما بين آدم إلى ولادة إبراهيم الجاهلية الأولى، وما بين عيسٰى ومحمد عليهما السلام الجاهلية الأخرى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ إِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الإثم المدنس [ص665] لعرضكم؛ يا أَهْلَ الْبَيْتِ أي: نساء النبي وآله، وعنكم للتغليب، وقيل: علي وفاطمة وابناهما، على ما جاء في الحديث: ((خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ))﴾[2]، ويمسك الشيعة بالحديث على الحصر في الآية، وهو ضعيف، لأنه يقتضي إنهم أهل البيت، لا إنه ليس غيرهم وَيُطَهِّرَكُمْ عن الإثم بالتقوى تَطْهِيْرًاO وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِيْ

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة النور، الآية: 31.

2 – مسلم: المصدر السابق.كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2424، 1883/4. جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الاحزاب، الآية: 33.

بُيُوْتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ أي: القرآن وَالْحِكْمَةِ السنة إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيْفًا عالما بغوامض الأشياء خَبِيْرًاO٤ عالما بحقائقها. ولما نزل في نساء النبي ما نزل، قالت نساء المؤمنين ما نزلت فينا شيئ، فنزل: إِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ أي: الداخلين في السلم بعد الحرب المنقادين غير معاندين، أو المفوضين أمرهم إلى الله وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ المصدقين بالله ورسوله؛ فيما يجب تصديقهما وَالْقَانِتِيْنَ وَالْقَانِتَاتِ القنوت: الطاعة، أي: القائمين بها وَالصَّادِقِيْنَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِيْنَ وَالصَّابِرَاتِ على الطاعات، وعن المعاصي وَالْخَاشِعِيْنَ وَالْخَاشِعَاتِ المتواضعين بالقلوب، أو الخائفين وَالْمُتَصَدِّقِيْنَ فرضا ونفلا وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِيْنَ فرضا ونفلا وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِيْنَ فُرُوْجَهُمْ عن الحرام وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِيْنَ اللهَ كَثِيْرًا باللسان، والجنان وَالذَّاكِرَاتِ أي: الله أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَّأَجْرًا عَظِيْمًاO نزلت في عبد الله بن جحش رضي الله عنه[1]، وزينب بنت جحش رضي الله عنها خطبها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عين لزيد بن حارثة رضي الله عنه مولاه، وظنهما أنه خطب لنفسه؛ فكرها، فنزلت، ثم قالا رضينا يا رسول الله وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَّلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى [ص666] اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَمْرًا أَنْ يَّكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ اختيار غير ما اختاره النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ أَمْرِهِمْ شيئا وَمَنْ يَّعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِيْنًاO وَاذكر إِذْ تَقُوْلُ لِلَّذِيْ لزيد بن حارثة رضي الله عنه؛ متبنى النبي عليه السلام أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بتوفيق الإسلام وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بالإعتاق والتبني أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ لما وقع بصره عليه السلام عليها بعد حين، وقعت في نفسه، فقال: سبحان الله؛ مقلب القلوب، ثم ذكرت ذلك عند زيد، فوقع في نفسه طلاقها، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أريد فراقها لتعظمها عليّ بالشرف ولإيذائها إياي، فقال: امْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ في أمر طلاقها، إذ ما رأيت منها سوءا يوجبه وَتُخْفِيْ فِيْ نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيْهِ أي: تخفي في نفسك عن الناس نكاحها، والله مظهره بينهم وَتَخْشَى النَّاسَ أن يقولوا: زوج امرأة ابنه وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ الواو للحال، أي: إن قولك: امسك عليك زوجك؛ قول غير مطابق للقلب، فإن حكم قلبك الفرقة؛ لتنال بها نكاحها، والحال أن الله أولى أن تخشاه، فلا تقل ما ليس في قلبك، هكذا حققوا هذا المقام، وفيه ما لا يلائم بشانه صلى الله عليه وسلم، والأوفق أن يقال: أنه عليه السلام علم من الوحي الخفي، أنه سبحانه قرر خطبتها له صلى الله عليه وسلم، وفي الجاهلية مدخولة المتبنى؛ ما كانت جائزة للأب، فهو عليه السلام كان يخفي في

---

1 – عبد الله بن جحش رضي الله عنه: هو عبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب. أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان هو من المهاجرين الأولين ممن هاجر الهجرتين، وشهد بدرا، واستشهد يوم أحد، يعرف بالمجدع في الله، لأنه مثل به يوم أحد، وقطع أنفه. ابن عبد البر: المرجع السابق. 878/3.

نفسه هذا الحكم الإلهي، وخشي الناس إنكارهم هذا الأمر المفضي، فقال له سبحانه: وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، بأن تظهر هذا الحكم، وتمضي بحكمة، ولا تبالي بلومة لائم، حيث تقول له: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ؛ تخاف قالة الناس فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُوْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ حَرَجٌ فِيْ أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُوْلًاO [ص667] إذا همَّ شيئا، وبلغ حاجته، يقال: قضى منه وطره، أي: حاجته، أي: استوفى حقه بالطلاق والعدة، فالله سبحانه تولّى نكاحها، وأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه ليخطب، ليدفع حكم الجاهلية في نكاح أزواج الأدعياء؛ إذا قضوا منهن وطرا، أي: الطلاق والعدة، وكان مقضي الله مكوَّنا لا محالة مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيْمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ أي: أحلَّ له وقدر وهو نكاح زينب رضي الله عنها سُنَّةَ اللهِ أي: كسنته فِي الَّذِيْنَ خَلَوْا مضوا من الأنبياء، فهي منصوبة بنزع الخافض مِنْ قَبْلُ حيث وسع لهم في النكاح، كانت لداؤد عليه السلام مائة حرة وثلاث مائة سرية، ولسليمان عايه السلام ثلاث مائة حرة وسبع مائة سرية وَكَانَ أَمْرُ اللهِ فعله قَدَرًا مَّقْدُوْرًاO قضاءا مقضيا الَّذِيْنَ نعت للذين خلوا يُبَلِّغُوْنَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيْبًاO محاسب الأعمال والأفعال من الصغائر والكبائر مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ على الحقيقة، فتحرم عليه زوجته، ويدعي النبوة بالوراثة، وأما الطيب والطاهر والقاسم وإبراهيم رضي الله عنهم على قول من يعرفهما غيرهما فتوفوا صبيانا، ولو بلغوا فهم رجاله؛ لا رجالهم وَلٰكِنْ كان رَسُوْلَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ بفتح التاء؛ آلة الختم، وبكسرها؛ اسم فاعل وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ومنه: أنه لا نبي بعده عَلِيْمًاOع يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيْرًاOوَّسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً أول النهار وَأَصِيْلًاO آخره، لما فيهما من اجتماع ملائكة الليل والنهار هُوَ الَّذِيْ يُصَلِّيْ أي: يرحم عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ أي: يستغفرونكم لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ المخالفات المتنوعة إِلَى النُّوْرِ الموافقة وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًاO [ص668] فإن الصلاة هو الرحمة تَحِيَّتُهُمْ أي: تحية الله لهم يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ عند الموت، أو الخروج عن القبور، أو دخول الجنة سَلَامٌ يقول الله: السلام عليكم وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيْمًاO يعني الجنة يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا على الأمة وَمُبَشِّرًا لها وَنَذِيْرًاO لها وَدَاعِيًا إِلَى طاعة اللهِ بِإِذْنِهِ بأمره وتيسيره وَسِرَاجًا مُّنِيْرًاO يهتدي به في ظلمات الكفر، فراقب أحوال أمتك، أو ذا سراج؛ وهو القرآن وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللهِ فَضْلًا ثوابا كَبِيْرًاO عظيما وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَدَعْ أَذَاهُمْ أي: اترك مجازاة أذاهم حتّى تؤمر بأمر فيهم وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فإنه يكفيك وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلًاO مفوضا إليه، الباء زائدة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا نَكَحْتُم تزوجتم، وأصله: الوطي ثم استعير للعقد، لأنه طريق إليه الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوْهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوْهُنَّ تجامعوهن، والخلوة الصحيحة كالمس فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ

تَعْتَدُّوْنَهَا تستوفون عددها فَمَتِّعُوْهُنَّ إن لم يسم، ولم يفرض، وإلا فنصفه وَسَرِّحُوْهُنَّ خلوا سبيلهن سَرَاحًا جَمِيْلًاO من غير ضرار، ولا منع حق يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِيْ اٰتَيْتَ أُجُوْرَهُنَّ مهورهن؛ معجلة إذ هو الأفضل وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ ارجع إليك من الكفار بالسبي كصفية وجويرية وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِيْ هَاجَرْنَ مَعَكَ كلمة مع ليس للقران بل للوجود، مثل: ﴿أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾[1]، وعن أم هاني بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له، [ص669] لأني لم أهاجر معه وَأحللنا امْرَاةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَّهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَّسْتَنْكِحَهَا بطلب نكاحها بالرغبة بغير صداق، والشرط الثاني تفيد للشرط الأول في الإحلال، هي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها[2]، أو زينب بنت خزيمة رضي الله عنها[3]، أو أم شريك بنت جابر رضي الله عنها[4]، أو خويلة بنت حكيم رضي الله عنها[5]. وقال ابن عباس: هو بيان حكم

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة النمل، الآية: 44.

2 – ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها: هي ميمونة بنت الحارث، أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث، تزوجها في ذي القعدة سنة 7 هـ، في عمرة القضاء، بعد أن حل منها على الصحيح. فهؤلاء إحدى عشرة سيدة تزوج بهن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبنى بهن وتوفيت منهن اثنتان– خديجة وزينب أم المساكين– في حياته، وتوفي هو عن التسع البواقي. صفي الرحمن: المباركفوري (ت: 1427هـ). الرحيق المختوم: (ط–1، دار الوفاء، بيروت، بدون سنة النشر). ص: 435.

3 – زينب بنت خزيمة رضي الله عنها: زينب بنت خزيمة، أم المساكين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم. هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة العامرية، لم يختلفوا في نسبها، كانت تدعى أم المساكين في الجاهلية، وكانت تحت عبد الله بن جحش، قتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث، ولم تلبث عنده إلا يسيرا، شهرين أو ثلاثة، وتوفيت في حياته. ابن عبد البر: المرجع السابق. 1853/4.

4 – أم شريك بنت جابر رضي الله عنها: أم شريك بنت جابر الغفارية ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابن حبيب: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم. ابن الأثير: المصدر السابق. 339/7.

5 – خويلة بنت حكيم رضي الله عنها: هي خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال ابن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون. يقال: كنيتها أم شريك، ويقال لها خويلة بالتصغير، قاله أبو عمر. قال: وكانت صالحة فاضلة. وقال هشام بن الكلبي: كانت ممن وهبت نفسها للنبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، وكان عثمان بن مظعون مات عنها. العسقلاني: 116،117/8.

في المستقبل، ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة خَالِصَةً لَّكَ حال أو مصدر، أي: أخلص لك خالصة كالعافية والكاذبة مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ عقد النكاح بلفظ الهبة من غير صداق، كما ذهب إليه الشوافع، أو بغير المهر فقط كما هو عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا أوجبنا عَلَيْهِمْ على المؤمنين من الأحكام فِيْ أَزْوَاجِهِمْ بأن لا يزيدوا على أربع، ولا يزوجوا بغير مهر وشهود وولي، وغير ذلك من الحقوق في المعاش وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ اشتراءا، أو هبة، أو تركة. إن كانت تحل لمالكها، كالكتابية لا المجوسية والوثنية، والاستبراء قبل الوطي لِكَيْلَا يَكُوْنَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ضيق في النكاح، اللام متعلقة بخالصة، وما بينهما اعتراضية وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا لمن تجاوز عن أحكامه رَحِيْمًاO بتوفيق التوبة تُرْجِيْ تؤخر مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيْ تضم إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ قبل تترك وتضاجع وتطلق وتمسك ولا تقسم، وتقسم أو تترك، تزوج من شئت من نساء أمتك، وتزوج من شئت من نساء أمتك، قيل: ارجي منهن سودة رضي الله عنها[1]، وجويرية رضي الله عنها[2]، وصفية رضي الله عنها[3]، وميمونة رضي الله عنها، وأم حبيبة رضي الله عنها[4]، ويقسم لهن ما شاء كما شاء، وأوى

---

1 – سودة رضي الله عنها: هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك ابن حسل بن عدي بن النجار. تزوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ- هو أخو سهيل بن عمرو- وهاجرت معه إلى الحبشة ومات، فتزوجها رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم بعد موت خديجة رضى اللَّه عنها، وكان تزويجه بسودة وبناؤه بها في شهر رمضان سنة عشر من النبوة. وتوفيت سنة ثلاث وعشرين، وصلّى عليها عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه، وقيل: إنها توفيت في خلافه عثمان رضى اللَّه عنه، ولها نحو من ثمانين سنة، وكانت قد لزمت بيتها فلم تحج حتى توفيت. المقريزي: المرجع السابق. 6/ 33.

2 – جويرية رضي الله عنها: هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من خزاعة: إحدى زوجات النبي صلّى الله عليه وسلم تزوجها قبله مسافع بن صفوان وقتل يوم المريسيع سنة 6 هـ. وكان أبوها سيد قومه في الجاهلية، فسبيت مع بني المصطلق، فافتداها أبوها، ثم زوجها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان اسمها برة، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية، وكانت من فضليات النساء أدبا وفصاحة. وتوفيت في المدينة وعمرها 65 سنة. الزركلي: المصدر السابق. 148/2.

3 – صفية رضي الله عنها: هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة، ويقال: عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضر بن النحام بن ينحوم، ويقال: ينحون النضيرية، أم المؤمنين، من بنات هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام. وأمها برة بنت سموءل. سباها رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم عام خيبر في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة، ثم أعتقها وتزوجها، وجعل عتقها صداقها. يوسف بن عبد الرحمن: المرجع السابق. 210/35.

4 – أم حبيبة رضي الله عنها: هي أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم اسمها رملة، كانت من مهاجرات الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فمات عبيد الله

إليه عائشة رضي الله عنها، وحفصة رضي الله عنها، وأم سلمة رضي الله عنها، وزينب رضي الله عنها، وقيل: مع ذلك التخيير كان يسوي وَمَنِ ابْتَغَيْتَ طلبت إلى فراشك مِمَّنْ عَزَلْتَ طلقت بالرجعة، أو عزلت [ص670] من القسمة فَلَا جُنَاحَ ضيق عَلَيْكَ في شيء من الأمور التي ذكرت ذَالِكَ التخيير أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَاآتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ بالرفع، تأكيد لقول يرضين، أي: إنما خيرناك ليكون التخيير منا أقرب إلى قرة أعينهن، وعدم حزنهن، ويرضين بأيّ وجه تعاشرهن، إن سويت بينهن وجدن منك تفضلا، وإن رجحت بعضهن؛ علِمْن أنه بحكم الله، فتطمئن قلوبهن وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِيْ قُلوْبِكُمْ وعيد لمن لم يرض بمشية رسوله وَكَانَ اللهُ عَلِيْمًا لمن يستسلم بمشية رسوله حَلِيْمًاO في تأخير العذاب؛ عمن لم يرض بمشية رسوله لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ بعد التسع، فإنها نصاب أزواجه، كما أن الأربعة نصاب أزواج أمته وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ زائدة أَزْوَاجٍ تطلق واحدة منها، وتنكح أخرى مكانها وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ قيل: هي أسماء بنت عميس؛ امرأة جعفر بن أبي طالب، وقيل: هذه الآية منسوخة بالسنة أو بقوله: ﴿أَحْلَلْنَا﴾[1]، وترتيب النزول ليس على ترتيب الجمع إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِيْنُكَ وقد ملك بعد هن مارية، وولدت له إبراهيم، ومات وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيْبًاO ع حافظا، فلا تجاوزوا الحدود يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوْتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُّؤْذَنَ لَكُمْ في الدخول بالدعاء إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِيْنَ منتظرين إِنَاهُ وقت الطعام، أو إدراكه ونضجه، مصدر؛ أنا يأني وَلٰكِنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوْا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوْا فتفرقوا وَلَا تمسكوا مُسْتَأْنِسِيْنَ بعضكم ببعض لِحَدِيْثٍ بإطالة الجلوس، قيل: أَوْلَمَ على زينب بشاة وسويق وتمر، [ص671] فترادفوا أفواجا، وتفرق الناس بعد الأكل، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون، فأطالوا، فقام عليه السلام ليخرجوا، فطاف بالحجرات، وسلم عليهن، ثم رجع فإذا الثلاثة جلوس؛ يتحدثون، وكان عليه السلام شديد

عنها متنصرا، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وعقد له عليها النجاشي، وأمهر عنه أربعمائة دينار، وقيل: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنكح رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وذلك أن أمها صفية بنت أبي العاص أخت عثمان بن أبي العاص، عمة عثمان بن عفان، وقيل: ولي عقدة نكاحها خالد بن سعيد بن أبي أحيحة، وبعث بها النجاشي مع شرحبيل ابن حسنة، وتوفيت في ولاية معاوية رضي الله عنها سنة ثنتين، وقيل: أربع وأربعين. الأصبهاني: المصدر السابق. 3216/6.

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة الاحزاب، الآية: 50.

الحياء؛ فتولى، فلما رأوه متوليا خرجوا، فنزلت: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا...﴾[1] إِنَّ ذَالِكُمْ اللبث كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْي مِنْكُمْ من إخراجكم وَاللهُ لَا يَسْتَحِيْ مِنَ الْحَقِّ فإن إخراجكم حق، فلا يترك بيانه وَإِذَا سَأَلْتُمُوْهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوْهُنَّ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ ستر، والضمائر إلى نساء النبي بدلالة بيوت النبي، وقبل آية الحجاب نساء النبي يبرزن للرجال، وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن، حتّى قال: يدخل عليك البر والفاجر، يا رسول الله! فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت آية الحجاب ذَالِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ من الخطرات الشيطانية وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوْا رَسُوْلَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوْا أَزْوَاجَهُ المدخولة بها مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ذكر بعض أن محمدا يمنع التكلم إلا من وراء حجاب، ولئن مات محمد لأتزوجن فلانة، فنزلت، ونكح أشعث بن قيس[2] المستعيذة[3] في زمن عمر رضي الله عنه، فهمَّ برجمها، فأخبر أنه عليه السلام فارقها قبل المس، فترك من غير نكير إِنَّ ذَالِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ ذنبا عَظِيْمًاO إِنْ تُبْدُوْا شَيْئًا كنكاحهن باللسان أَوْ تُخْفُوْهُ في القلب فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًاO ولما نزل آية الحجاب؛ قال الأقارب، أفنحن يا رسول الله أيضا نكلمهن بالحجاب، فنزل: لَا جُنَاحَ إثم عَلَيْهِنَّ فِيْ آبَائِهِنَّ وكذا العم والخال وَلَا أَبْنَائِهِنَّ [ص672] وَلَا إِخْوَنِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَنِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخْوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ المؤمنات وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من الإماء والعبيد، وقيل: العبيد كالأجانب عند الجمهور وَاتَّقِيْنَ اللهَ فيما أمرتن به إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدًاO عالما بالحركات والخطرات إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا صَلُّوْا عَلَيْهِ قولوا: اللهم صلّ على محمد، أو صلّى الله عليه وَسَلِّمُوْا قولوا: اللهم سلّم على محمد عليه الصلوة

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ سورة الاحزاب، الآية: 53.

2 – أشعث بن قيس رضي الله عنه: هو أشعث بن قيس أبو محمد الكندي. له صحبة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث يسيرة. روى عنه قيس بن أبي حازم والشعبي وأبو وائل شقيق بن سلمة وعبد الرحمن بن عدي ومسلم بن هيصم وإبراهيم النخعي، وشهد اليرموك، وأصيبت عينه به، وسكن الكوفة، وشهد الحكمين بدومة الجندل. ابن عساكر: المرجع السابق. 116/9.

3 – المستعيذة: اسمها أميمة بنت النعمان ابن شراحيل. وذكر ابن مندة في كتابه المعرفة أنها أميمة بنت النعمان، وأنه يقال: إنها فاطمة بنت الضحاك، ويقال: إنها مليكة الليثية، والصحيح أنها أميمة، والله أعلم. النووي: المرجع السابق. 372/2.

والسلام، أو سلّم الله تعالى عليه تَسْلِيْمًاO يجوز الصلاة على غيره تبعا، ويكره استقلالا، لأنه في العرف صار شعارا لذكر الرسل عليهم السلام، ولذلك كره أن يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزا وجليلا، والصلاة واجبة مرة عند الطحاوي[1]، وعند الكرخي[2] كلما ذكر اسمه، وهو الأحوط، وعليه الجمهور إِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللهَ بإثبات الشريك والولد وَرَسُوْلَهُ بتكذيبه لَعَنَهُمُ اللهُ أبعدهم من الرحمة فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِيْنَاO ذا إهانة في الآخرة وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ برمي الشتم، كما فعلوا بعلي رضي الله عنه بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوْا بغير جناية؛ استحقوا بها الإيذاء فَقَدِ احْتَمَلُوْا تحملوا بُهْتَانًا كذبا وَّإِثْمًا مُّبِيْنًاOع ظاهرا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ يُدْنِيْنَ يقربن ويرخين عَلَيْهِنَّ على جسدهن إلا عين واحدة مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ جمع جلباب، وهو مثل الملحفة؛ يستر جميع البدن ذَالِكَ أي: إرخاء الجلباب على البدن أَدْنَى أقرب أَنْ يُّعْرَفْنَ يميزن من الإماء فَلَا يُؤْذَيْنَ الحرائر بالتعرض لهن، كما كان المنافقون يتعرضون للإماء في النخيل والغيطان وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا لما سلف منهن من ترك الستر والحجاب رَحِيْمًاO بهن بتعليم الآداب [ص673] لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لام قسم الْمُنَافِقُوْنَ عن نفاقهم وَالَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ فجور، كالزناة وَالْمُرْجِفُوْنَ فِي الْمَدِيْنَةِ بقولهم: أتاكم العدو، وسراياكم قتلوا أو هزموا؛ إيذاءا للمؤمنين، الرجفة: الزلزلة، والكواذب تتزلزل ولا تثبت لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ لنسلطنك عليهم، ولنأمرنك بقتالهم ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوْنَكَ لا يساكنونك فِيْهَا في المدينة إِلَّا زمانا قَلِيْلًاO بسبب الجلاء مَلْعُوْنِيْنَ مبعدين عن الرحمة، حال أو منصوب على الذم أَيْنَمَا ثُقِفُوْا وجدوا أُخِذُوْا وَقُتِّلُوْا تَقْتِيْلًاO التشديد يدل على التكثير سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ منصوب على المصدر، أي: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء؛ أن يقتلوا أينما وجدوا، وقتل هؤلاء المنافقين والمرجفين وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيْلًاOالربع بل يجري سنته على ما كان

---

1 – الطحاوي: هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، أبو جعفر الطحاوي الفقيه: ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين. وكان ثبتا فهما فقيها عاقلا، من طحا قرية في صعيد مصر، قال أبو سعيد بن يونس: توفي في ليلة الخميس مستهل ذي القعدة من سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ولم يخلف مثله. الجوزي: المرجع السابق. 318/13.

2 – الكرخي: هو معروف الكرخي أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، وهو من موالي علي بن موسى الرضا. وكان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم على ذلك ضرباً مبرحاً فهرب منه. وكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، ثم إنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا، ورجع إلى أبويه فدق الباب، فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف، فقيل له: على أي دين؟ فقال: على الاسلام، فأسلم أبواه. ابن خلكان: المصدر السابق. 232/5.

يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ وهم مشركوا مكة للاستهزاء، واليهود للامتحان، فإن الله عمى وقتها في التوراة أيضا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيْكَ أي: لا تعلم أنت لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُوْنُ توجد قَرِيْبًاO عن قريب من الزمان إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِيْنَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيْرًاO نار شديدة الإيقاد خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا لَا يَجِدُوْنَ وَلِيًّا حافظا عنها وَلَا نَصِيْرًاO دافعا للنار عنهم. اذكر يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوْهُهُمْ فِي النَّارِ أي: ذواتهم تدور في النار دوران بضعة في القدر؛ إذا غلّت يَقُوْلُوْنَ حال يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُوْلَاO فنتخلص من هذا العذاب وَقَالُوْا أي: الأتباع منهم رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا رؤساء الكفرة وَكُبْرَاءَنَا وعلمائهم فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيْلَاO زيادة الألف في الموضعين [ص674] لإطلاق الصوت رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ جزاء الضلال والإضلال وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيْرًاOع أشد اللعن وأعظمه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَكُوْنُوْا مع نبيكم كَالَّذِيْنَ أي: اليهود آذَوْا مُوْسَى كقارون قذفه بالزنا، وناس اتهمه بقتل هارون، وبعض قذفه بالبرص، وقوم بأدْرَةٍ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوْا كما برَّأ نبينا صلى الله عليه وسلم، بقوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ...﴾[1] وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيْهًاO ذا قربة ووجاهة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا تَّقُوْا اللهَ في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذيه، أو اتقوا الله فيما تخاضون من حديث زينب وَقُوْلُوْا قَوْلًا سَدِيْدًاO قاصدا إلى الحق بالصدق والصواب والعدل يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ يتقبل عنكم طاعاتكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًاO الجنة إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ أي: ما في فعله ثواب، وفي تركه عقاب عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ أي: الأجرام العظام بخلق الفهم والنطق فيها فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا لما رأت فيها من الثقل، فإن أداء الأفعال علي وفق مرضات الله أثقل من كل ثقيل وَأَشْفَقْنَ وخفن مِنْهَا أي: من حملها وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ أي: آدم حين عرض عليه إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْمًا على نفسه جَهُوْلًاO بكنه المحمول، وقيل: الأمانة: الطاعة، والحمل بمعنى الخيانة، فإن من يخون في الأمانة يكون ذمته حام لة بها إلى أن يؤديها إلى صاحبها، أي: عرضنا الطاعة على هذه الأجرام العظام، فأطاعت لله ايجادا وتكوُّنا في أيّ هيئة شاء الله، كما خانت طاعته تعالى، وأشفقن من خيانة الأمانة، وسكنت، واستقرّت [ص675] في التسليم، وخان الإنسان بالنفاق والشرك، وما استقر على ما فطر، وجبل من الإسلام، فالإنسان لا يساوي الجمادات بل أذل منها لِيُعَذِّبَ اللهُ تعليل لعرض الأمانة الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكَاتِ كلهم خائنين للأمانة وَيَتُوْبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لأدائهم الأمانة وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا للمؤمنين؛ لا تحملوا رَحِيْمًاOع بهم.

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ سورة الاحزاب، الآية: 40.

سورة السباء مكية،أربع وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الْحَمْدُ للهِ جميع المحامد له تعالى الَّذِيْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ كما له في الأولى، أي: الدنيا إلا أنه في الدنيا واجب، لأنها دار التكليف، لا هناك؛ بل سرورا وتلذذا وَهُوَ الْحَكِيْمُ في تدبير الأمور الْخَبِيْرُO بما في التقدير يَعْلَمُ مَا يَلِجُ يدخل فِي الْأَرْضِ كالماء والدفائن والأموات وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالنبات والفلزات وماء العيون وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كالملائكة والكتب والأرزاق والأنداء والصواعق وَمَا يَعْرُجُ يصعد فِيْهَا من الأبخرة والأدخنة والملائكة والدعوات والكلم الطيب وَهُوَ الرَّحِيْمُ بتوفيق الحسنات الْغَفُوْرُO بمحوالسيئات وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالبعث لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى إثبات ما نفوا وَرَبِّيْ للقسم لَتَأْتِيَنَّكُمْ إعادة المثبت مؤكدا عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ لا يغيب عَنْهُ مِثْقَالُ مقدار ذَرَّةٍ نملة صغيرة، أو جزء الغبار فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَالِكَ من مثقال ذرة وَلا أَكْبَرُ من مثقال ذرة إِلَّا فِيْ كِتَابٍ مُّبِيْنٍO اللوح المحفوظ لِيَجْزِيَ متعلق لتأتينكم الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ من كل قصور وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌO بلا تعب ومنة وَالَّذِيْنَ [ص676] سَعَوْا فِيْ إبطال آيَاتِنَا أي: القرآن مُعَاجِزِيْنَ مقدرين عجزنا بالبعث والتعذيب أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ سيء العذاب أَلِيْمٌO مؤلم وَيَرَى الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ من الصحابة، أو من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه، وكعب الأحبار وأتباعه الَّذِيْ أي: القرآن أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ أي: يعلم القرآن، هو الصدق وَيَهْدِيْ الله، أو القرآن إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِO أي: دين الله وَقَالَ تعجبا واستبعادا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بعضهم لبعض هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يُنَبِّئُكُمْ يحدثكم إِذَا مُزِّقْتُمْ قطعتم، وفرقتم جزءا عن جزء كُلَّ مُمَزَّقٍ نهاية تفريق بحيث صرتم ترابا إِنَّكُمْ لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍO افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنون، همزة الوصل؛ حذفت استغناءا عنها، قال تعالى ردّا لهم بَلِ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ وينكرون البعث فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيْدِO من الحق؛ لما فيهم من الافتراء والجنون أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أي: ما فوقهم وتحتهم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أ خلقها أشد أم البعث؟ إِنْ نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ كما فعلنا بقارون أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا قطعة مِّنَ السَّمَاءِ بسبب تكذيبهم الآيات، كما فعلنا بأصحاب الأيكة إِنَّ فِيْ ذَالِكَ النظر فيما بين أيديهم وخلفهم لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍO[ع] راجع إلى الحق وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُوْدَ مِنَّا فَضْلًا رسالة وكتابا وحسن الصوت. وقلنا: يَا جِبَالُ أَوِّبِيْ رجّعي مَعَهُ التسبيح وَالطَّيْرَ عطف على محل جبال وَأَلَنَّا من اللينة لَهُ الْحَدِيْدَO يتصرف في الحديد باليد،

فجعلناه في يده كالشمع أو العجين. وقلنا: أَنِ اعْمَلْ منه سَابِغَاتٍ [ص677] دروعات واسعات يجر لابسها على الأرض وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ في نسج الدروع بحيث يتناسب حلقها، وقيل: في مساميرها دقة وغلظة، وهو أول من اتخذها، كان يبيع بأربعة آلاف درهم، فينفق منها على نفسه وعياله، ويتصدق على الفقراء، ويكف عن بيت المال وَاعْمَلُوْا صَالِحًا خالصا إِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فأجازي بمثله، خطاب لداؤد ومن تبعه وَسخرنا لِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ الصبا غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَّرَوَاحُهَا شَهْرٌ أي: جريها بالغداة مسيرة شهر، وكذلك بالعشي وَأَسَلْنَا لَهُ باليمن عَيْنَ الْقِطْرِ عين النحاس المذاب، وكان ينبع كينبوع الماء من الينبوع في الشهر ثلاثة أيام، وقبل سليمان لا يذوب أصلا وَسخرنا مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَّعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهٖ بأمره وَمَنْ يَّزِغْ يعدل مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا بالطاعة له نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِO قيل: كان في يد ملك سوط نار، يضرب به؛ من زاغ عن أمره يَعْمَلُوْنَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِيْبَ قصورا حصينة، أو مساجد وَتَمَاثِيْلَ صور الحيوانات من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن حراما اتخاذ الصورة في شريعته وَجِفَانٍ جمع جفنة، أي: صحاف وكؤوس عظام كَالْجَوَابِ جمع جابية، بمعنى الحوض الكبير، يجتمع عليها ألف رجل على الطعام وَقُدُوْرٍ رَّاسِيَاتٍ ثابتات على الأثافي، لا تنزل لعظمها عنها. قلنا: إِعْمَلُوْا آلَ دَاؤُوْدَ شُكْرًا على ما أنعمتكم وَقليلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُO المتوفر على أداء الشكر فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ على سليمان الْمَوْتَ ومكث ميتا قائما على العصا حولا كاملا مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهٖ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ عصاه، لأنه ينسأ بها، أي: يطرد فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ علمت بعد التباس الأمر أَنْ مخففة لَّوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ الْغَيْبَ [ص678] مَا لَبِثُوْا فِي الْعَذَابِ الْمُهِيْنِO في العمل الشاق، قيل: أسس داؤد عليه السلام بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل تمامه، فوصّى به إلى سليمان، وأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عمره سنة، سأل أن يعمي عليهم موته؛ حتّى يفرغوا عنه، وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وابتداء بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه، وقصد أفريدون[1] أن يصعد كرسيه، فلما دنىٰ ضرب الأسدان ساقه، وكسراها، فلم يجسر أحد بعد ذلك أن يدنو منه لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لأولاد سبا بن يخشب، صرف بتأويل الحي، ومنع بتأويل القبيلة، كانوا بين زمان عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فِيْ مَسْكَنِهِمْ موضع سكناهم، وهو باليمن؛ قريب صنعاء آيَةٌ دالة على قدرة الله تعالى جَنَّتَانِ بدل عن آية عَنْ يَّمِيْنٍ أي: يمين بلدهم وَشِمَالٍ شمال بلدهم، قال نبيهم: كُلُوْا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ

---

1 – أفريدون: هو أفريدون بن أثغيان، وهو من ولد جم شيد. وقد زعم بعض نسابة الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الضحاك، وسلبه ملكه، وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم؛ الذي ذكره الله في كلامه العزيز. ابن الأثير: المرجع السابق. 77/1.

وَاشْكُرُوْا لَهُ على ما رزقكم من أرض سباء بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ لا سبَّاخ فيها ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا قمل وَرَبٌّ غَفُوْرٌO لمن شكر فَأَعْرَضُوْا عن الشكر فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء، أي: سيل أوديتهم المسموك فيها الماء، فأغرق جنتهم وأموالهم، أو الأمر الصعب، أو المطر الشديد، أو الجرذ الذي نقب عليهم السكر وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ سماهما جنتين؛ إما للمشاكلة، أو للتهكم ذَوَاتَيْ تثنية ذوات مقروٌّ على الأصل، ولامها ياء أُكُلٍ أي: ثمر خَمْطٍ مُرّ بشيع، أصله أكل أكل خمط، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه وَأَثْلٍ عطف على أكل، شجرة جيدة العود، يشبه طرفاء، لا ثمرة لها وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيْلٍO ولكراهته قلل ذَلِكَ التبديل جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوْا وَهَلْ نُجَازِيْ بمثل هذا الجزاء، أو هل نعاقب إِلَّا الْكَفُوْرَO البالغ [ص679] في الكفران للنعمة وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ بين سباء، يعني باليمن وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِيْ بَارَكْنَا فِيْهَا أي: قرى الشام قُرًى ظَاهِرَةً متواصلة من اليمن إلى الشام، يري بعضها من بعض للتداني والتقارب وَقَدَّرْنَا فِيْهَا السَّيْرَ يقيلون في قرية، ويبيتون في قرية أخرى، هكذا من اليمن إلى الشام، ولا يحتاجون إلى حمل زاد وماء سِيْرُوْا فِيْهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِيْنَO أي: مكناهم على السير بتسوية أسبابه، فكأنهم أمروا ولا قول ثمه، أي: متي شئتم سيروا آمنين عن كل بلية وعاهة فَقَالُوْا كفرانا للنعمة رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا أي: اجعلها مفاوزا ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء وَظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيْثَ ومثلا لمن بعدهم في ذلك وَمَزَّقْنَاهُمْ وفرقناهم كُلَّ مُمَزَّقٍ يضرب المثل بتفريقهم إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ عن المعاصي شَكُوْرٍO على النعم، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ على كفار سباء إِبْلِيْسُ ظَنَّهُ أي: حقق ظنه عليهم، أو وجده صادقا فَاتَّبَعُوْهُ إِلَّا فَرِيْقًا قليلا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَO المخلصين، فهم لم يتبعوه، ومن للبيان وَمَا كَانَ لَهُ لإبليس عَلَيْهِمْ على المتبعين الذين صار ظنه فيهم صدقا مِّنْ سُلْطَانٍ باستيلاء الوساوس إِلَّا لِنَعْلَمَ لتميز ظاهرا مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِيْ شَكٍّ أو لنعلم موجودا في الخارج؛ ما علمناه معدوما فيه، والتغير في المعلوم لا العلم، فيجازي كلا بما يستحق وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌOع رقيب قُلْ يا محمد لكفار مكة ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ أي: زعمتموهم آلهة من دونه لَا يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير أو شر فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ [ص680] فِيْهِمَا مِنْ شِرْكٍ في التخليق والتمليك وَمَا لَهُ تعالى مِنْهُمْ من الآلهة مِنْ ظَهِيْرٍO معين، فآلهتهم في غاية العجز، فبأي وصف استحقت للعبادة؟ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ تعالى إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ الله لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ جلي وكشف الفزع عَنْ قُلُوْبِهِمْ بإذن الشفاعة لهم قَالُوْا قال بعضهم لبعض استبشارا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا القول الْحَقَّ أي: الشفاعة لمن ارتضى وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُO لا علو ولا كبرياء ذلك اليوم إلا له، فليس لملك

ولا نبي أن يشفع إلا لمن ارتضىقُلْ مَنْ يَّرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ إنما الجواب من أيّ مجيب هو، هذا وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO كلمة الإنصاف من كل محق ومبطل، وفيه تعريض إلى ضلالهم قُلْ لَّا تُسْئَلُوْنَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُوْنَO إضافة الجرم إلى نفسه، والعمل إلى المخاطب أبلغ في الإنصاف قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ يحكم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ بإدخال المحق في الجنة، والمبطل في النار وَهُوَ الْفَتَّاحُ القاضي الحاكم الْعَلِيْمُO قُلْ أَرُوْنِي اعلموني الَّذِيْنَ أَلْحَقْتُمْ أي: الحقتموهم بِهِ تعالى شُرَكَاءَ في العبادة كَلَّا ردع عن الإلحاق، أي: ارتدعوا عن هذا القول والضلال بَلْ هُوَ اللهُ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الْحَكِيْمُO في التدبير وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ حال عن الكاف، والتاء للمبالغة بَشِيْرًا الجنة وَنَذِيْرًا بالنار وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَO فبالجهل خالفوا الحق وَيَقُوْلُوْنَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ بالعذاب، أو الجمع إِنْ كُنْتُمْ صَدِقِيْنَO قُلْ لَّكُمْ مِّيْعَادُ يَوْمٍ هو يوم القيامة، إضافة بيان ليتميز [ص681] عن مكان الوعد لَّا تَسْتَاخِرُوْنَ عَنْهُ سَاعَةً وَّلَا تَسْتَقْدِمُوْنَOع النصف أي: لا استمهال ولا استعجال فيه، سألوا بالتعنت لا الاسترشاد، فأجيبوا بالتهديد وحضور الفجأة، فينعدم التأخر والتقدم، فانطبقا وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أبو جهل وأشباهه لَنْ نُّؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ من التوراة والإنجيل، أو الإعادة للجزاء وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُوْنَ مَوْقُوْفُوْنَ محبوسون عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ۨالْقَوْلَ أي: يتقاولون، لرأيت أمرا عجبا يَقُوْلُ الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا أي: الأتباع لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا أي: الرؤس لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِيْنَO أي: لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لاهتدينا قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِيْنَO كافرين أنكروا صدهم، واثبتوا صد أنفسهم، أي: آثرتم الضلال بالتقليد؛ لا بتسويلنا، وإضافة بعد إلى؛ إذ اللازمة الظرفية للتوسع فيها وَقَالَ الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا بَلْ مَكْرُ كم إيانا في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أي: دائما إِذْ تَأْمُرُوْنَنَا أَنْ نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا أشباها وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ مخافة التعير من كل لكل لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ أي: الجحيم وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِيْ أَعْنَاقِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا جزاءا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO في الدنيا وَمَا أَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوْهَا أي: متنعموا القرية إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَO فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بما وصل إلى الأنبياء من مترف الأمة وَقَالُوْا أي: أهل الثروة [ص682] منهم نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَّأَوْلَادًا ممن آمن وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَO ظنوا أن السعة فيها من الإكرام، ومن أكرم في الدنيا لا يهان في العقبى، والضيق إهانة في الدنيا، فالمهان هنا لا يكرم هناك، فأبطل ظنهم بقوله: قُلْ إِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ يوسع الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مؤمنا كان، أو كافرا وَيَقْدِرُ ويضيق لمن يشاء مؤمنا كان أو كافرا، فالسعة والضيق ليسا من الإكرام؛ بل توفيق للإيمان، والطاعة إكرام، والكفر والنفاق والمعصية إهانة وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: كفار مكة

لَا يَعْلَمُوْنَO ع في الآخرة ذلك وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِيْ أي: بالخصلة التي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى قربى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا استثناء من كُمْ في تُقَرِّبُكُمْ، أي: الأموال المنفقة في سبيله؛ والأولاد الصالحة يقرب المؤمن عند الله زلفي، أو بمعنى لكن، ومن شرط وجزاؤه فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ المنتهى ((إِلَى عَشَرٍ فَمَا فَوْقَهُ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ))، كما في الحديث[1] بِمَا عَمِلُوْا في الدنيا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ من الجنة آمِنُوْنَO من المكاره وَالَّذِيْنَ يَسْعَوْنَ فِيْ آيَاتِنَا في القرآن بالرد والطعن مُعَاجِزِيْنَ مقدرين، عجزنا عن أخذهم أُولٰئِكَ فِيْ الْعَذَابِ مُحْضَرُوْنَO قُلْ إِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ امتحانا؛ أ يشكر أم يكفر؟ وَيَقْدِرُ لَهُ ابتلاءا؛ أ يصبر أم يجزع؟ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ في الخيرفَهُوَ يُخْلِفُهُ يعوّضه، إما عاجلا أوآجلا وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَO وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ أي: المشركين جَمِيْعًا ثُمَّ يَقُوْلُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَO قَالُوْا أي: الملائكة سُبْحَانَكَ تنزيها لك عن الشرك أَنْتَ وَلِيُّنَا أنت الذي نواليه مِنْ دُوْنِهِمْ فثبتوا بمعادات [ص683] الكفار؛ براءتهم من الرضاء بعبادتهم بَلْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ الْجِنَّ أي: الشياطين، من حيث إلا طاعة أو التصوير، فيعبدون تصويراتهم بتخييل الملائكة، أو دخولهم في أجواف أصنامهم أَكْثَرُهُمْ أي: الإنس أو كل المشركين بِهِمْ بالجن مُؤْمِنُوْنَO فَالْيَوْمَ لَايَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ المعبودون للعابدين نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا لأن الملك يومئذ لله الواحد القهار وَنَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا ذُوْقُوْا عَذَابَ النَّارِ الَّتِيْ كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُوْنَO في الدنيا وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات قَالُوْا مَا هٰذَا أي: محمد عليه الصلوة والسلام إِلَّا رَجُلٌ يُّرِيْدُ أَنْ يَّصُدَّكُمْ يمنعكم عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوْا مَا هٰذَا القرآن إِلَّا إِفْكٌ كذب مُّفْتَرًى على الله وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ للقرآن لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO بين؛ لعجزهم عن الإتيان بمثله وَمَاآتَيْنَاهُمْ كفار مكة مِنْ كُتُبٍ يَّدْرُسُوْنَهَا فيها برهان على صحة الشرك بالله وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيْرٍO يرشدهم إلى الشرك بالله، فمن أين حصل لهم هذه العقيدة الفاسدة؟ وَكَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ الرسل وَمَا بَلَغُوْا هؤلاء المكذبون اليوم مِعْشَارَ عشر مَا آتَيْنَاهُمْ من القوة وطول العمر وكثرة المال فَكَذَّبُوْا رُسُلِيْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِO ع إنكاري عليهم بالتدمير والإهلاك، فليحذروا من مثله فيصيبهم ما أصابهم قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ بخصلة واحدة إن فعلتموها أصبتم الحق، هي أَنْ تَقُوْمُوْا لِلّٰهِ لوجهه لا لجهة الحمية والعصبية، والمراد: التقليد من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقبيح الأمر الحق مَثْنَى اثنين اثنين، [ص684] فيعرض كل ما أدى إليه، فكره في حق رسول الله عليه الصلاة والسلام على صاحبه وَفُرَادَى واحدا واحدا، هل هو نبي؟ فيتفكر بالعدالة، والنصفة في حقه عليه السلام. والمقصود أن الازدحام والاجتماع يشوش الفكر، ويعمي البصائر، ويقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف

1 – قد مرّ تخريجه.

ثُمَّ تَتَفَكَّرُوْا بإمعان النظر مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ جنون، حمله على الإبلاغ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيْرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍO أي: إنذاره قدام يوم القيامة قُلْ لهم مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ على التبليغ فَهُوَ لَكُمْ معناه نفي مسألة الأجر رأسا، أي: ليس من الأجر شيء في مقابلة التبليغ، ولئن سألتكم أجرا فهو لكم إِنْ أَجْرِيَ ما ثوابي إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌO يعلم أني ما أطلب الأجر فيه إلا منه تعالى قُلْ إِنَّ رَبِّيْ يَقْذِفُ إلى أنبيائه بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوْبِO بدل من ضمير يقذف، أو خبر مبتداء محذوف قُلْ جَاءَ الْحَقُّ الإسلام، أو القرآن وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيْدُO الإبداء والإعادة من صفات الحي؛ فعدمهما كناية عن الهلاك، أي: هلك الباطل، أي: الشيطان أو الأصنام، قالوا في مخاطبة النبي عليه السلام: قد ضللت دين آبائك، نزل: قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ عن الحق فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِيْ إثم الضلال يرجع إلى نفسي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوْحِيْ إِلَيَّ رَبِّيْ وكان القياس وإن اهتديت فإنما اهتدي لها، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[1] فالتقابل بينهما بحسب المعنى، فإن الضلال بسبب نفس الأمارة، والهداية بتوفيق الله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ﴾[2]، إِنَّهُ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌO فيعامل بكل بما استحق وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوْا عند البعث، أو الموت لرأيت أمرا فظيعا فَلَا فَوْتَ لهم منا، أي: فلا نجاة بالهرب والتحصين عنه تعالى وَأُخِذُوْا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍO من الموقف إلى النار، أو من ظهر الأرض إلى بطنها. عطف على فَزِعُوْا، [ص685] أو فلا فوت وَقَالُوْا عند معاينة العذاب آمَنَّا بِهِ محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍO كيف لهم التناوش للتوبة؟ وقد بعد مكانها، أي: الدنيا عن الآخرة وَقَدْ كَفَرُوْا بِهِ بمحمد عليه السلام مِنْ قَبْلُ أي: في الدنيا وَيَقْذِفُوْنَ بِالْغَيْبِ عطف على قد كفروا، على حكاية الحال الماضية، أي: كانوا يقولون بالغيب، أي: لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، أو هو شاعر ساحر كذاب، أو جاء بالسحر والشعر وكهانة وأساطير الأولين مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍO عن الصدق والحق والصواب وَحِيْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ حجز بينهم وبين التوبة والإيمان ونفعهما لهم كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّنْ قَبْلُ أي: بأشباههم من الكفرة في سابق الأمم إِنَّهُمْ كَانُوْا فِيْ شَكٍّ من أمر الرسل والبعث مُرِيْبٍOع موقع للريبة، فيه رد لمن زعم أن الله لا يعذب عن الشك، نعت به للمبالغة، كليل لائل.

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ سورة الزمر، الآية: 41.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ سورة النساء، الآية: 79.

سورة فاطر مكية، خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما ومبدأهما جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا إلى عباده أُولِيْ أَجْنِحَةٍ ذويها، جمع جناح مَّثْنَى اثنين اثنين وَثُلَاثَ ثلاثة ثلاثة وَرُبَاعَ وأربعة أربعة، لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين، يمدهما بقوة يَزِيْدُ فِي الْخَلْقِ خلق الأجنحة وغيرها؛ من الزيادات الصورية والمعنوية؛ من حسن الوجه والصوت والشعر والخط والملاحة في العينين وقوة البطش وجزالة الرأي وطلاقة اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وغيرها مَا يَشَاءُ والتفاوت بالمشية؛ لابمقتضي ذواتهم إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ [ص686] مِنْ رَّحْمَةٍ كنبوة وعلم ورزق ومطر وأمن وصحة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ أي: يمنع ويحبس فَلَا مُرْسِلَ مطلق لَهُ مِن بَعْدِهِ بعد إمساكه وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُO يَا أَيُّهَا النَّاسُ أهل مكة اذْكُرُوْا لسانا وقلبا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بالمطر والنبات لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جملة مستأنفة، لا محل لها من الإعراب فَأَنَّى تُؤْفَكُوْنَO فمن أيّ وجه تصرفون عن توحيده إلى الشرك وَإِنْ يُّكَذِّبُوْكَ أي: أهل مكة في التوحيد والبعث فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فهم لك أسوة في هذا الأمر فتأس بتكذيبهم في الصبر وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُO فيجزي المكذِّب والمكذَّب بما يليق بهما يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ بالبعث والجزاء حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُم فلا تخدعنكم الْحَيَاةُ الدُّنْيَا عن طلب ثواب الآخرة الباقية باللذات الفانية وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ لا يخدعنكم بِاللهِ في حلمه وإمهاله الْغَرُوْرُO أي: الشيطان، بأن يقول: هو حليم، لا يؤاخذ مع الإضرار بالمعصية، وقادر على الأخذ؛ ما أخذ، فلا يأخذ أبدا، فإن للقهر والأخذ وقتا معينا، هو القيامة إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ في نفس الأمر، ما فعل بأبيكم فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا بعصيانه وطاعة الله إِنَّمَا يَدْعُوْا حِزْبَهُ أتباعه لِيَكُوْنُوْا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيْرِO الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ولم يجيبوه، بل عادوه لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ كَبِيْرٌOع أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ بالتمويه [ص687] فَرَآهُ حَسَنًا كمن لم يزين له، لايستويان فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ فالحكم له تعالى فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ على أهل الضلال، الذين زين لهم سوء أعمالهم حَسَرَاتٍ أي: للحسرات اغتماما، بأن لم يؤمنوا، أي: لا تهلك نفسك للحسرات على غيّهم وإصرار هم على التكذيب، فهي مفعول له، وعليهم متعلق بتذهب؛ لا بحسرات، فإن صلة المصدر لا تتقدم عليه إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَO فيجازيهم به وَاللهُ الَّذِيْ أَرْسَلَ الرِّيَاحَ قدام المطر فَتُثِيْرُ سَحَابًا تزعجه فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِتٍ لا نبات فيها فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا يبسها كَذَالِكَ النُّشُوْرُO قيل: من تحت

العرش يرش الماء شبيه المني على القبور، فتنبت به الأجساد مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْعِزَّةَ في الكونين فليطلب عند الله فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيْعًا لا عزة إلا لله إِلَيْهِ إلى محل القبول والرضا يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ لا إله إلا الله وأمثاله التي تدل على التوحيد، وحذفت التاء من الطيب، لأن الجمع الذي يفرق عن واحدة بالتاء، يذكر ويؤنث وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ العبادة الخالصة يَرْفَعُهُ يرفع الكلم الطيب إياه إلى محل القبول والرضا، فالرافع الكلم المرفوع العمل الصالح، لأنه لا يقبل إلا عن موحد، وقد يعكس الضمائر، فإن العمل يحقق الإيمان ويقويه، وقيل: الرافع هو الله أوالعمل الصالح، والمرفوع العمل أو العامل، فالكلم يصعد بنفسه وَالَّذِيْنَ يَمْكُرُوْنَ المكرات السَّيِّآتِ في دار الندوة في أمور ثلاثة: الحبس والقتل والنفي لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُوْرُO يهلك ويفسد، ولا ينفذ دون مكره تعالى بهم، فإنه نافذ حيث قتلوا في بدر وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ بخلق آدم منه ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ذكورا [ص688] وإناثا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثٰى وَلَا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَّلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِيْ كِتَابٍ في علم الله، أو اللوح المحفوظ. المعمر: طويل العمر، قيل: صاحب ستين، ومنقوص العمر دونه، ومن المحال أن يكون الطول والقصر في عمر واحد، ففيه تسامح ثقة بالإفهام، أي: لا يمد في عمر من صيَّره إلى الكبر، ولا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا، والضمير في عمره للمنقوص وإن لم يذكر بدلالة المقابلة عليه أو للعمر تسامحا إِنَّ ذَالِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرٌO أي: الزيادة والنقصان سهل عليه وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا أي: أحدهما عَذْبٌ حلوّ فُرَاتٌ يكسر العطش سَائِغٌ شَرَابُهُ يسهل الخداره وَهٰذَا الآخر مِلْحٌ أُجَاجٌ شديد الملوحة، يحرق لملوحته وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُوْنَ لَحْمًا طَرِيًّا سمكا وَّتَسْتَخْرِجُوْنَ من الملح، وقيل منهما حِلْيَةً الؤلؤ والمرجان تَلْبَسُوْنَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيْهِ مَوَاخِرَ جمع مأخرة، يقال: مخرت السفينة الماء أي: شقته لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO على هذه النعم يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ يدخله وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمْرَ كُلٌّ يَّجْرِيْ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يوم القيامة ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ مبتداء وأخبار مترادفة وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ أي: الأصنام مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ قِطْمِيْرٍO الجلد الرقيق؛ الذي يكون لفافة النواة إِنْ تَدْعُوْهُمْ أي: الأصنام لَا يَسْمَعُوْا دُعَاءَكُمْ لأنهم جماد وَلَوْ سَمِعُوْا فرضا مَا اسْتَجَابُوْا لَكُمْ لأنهم يتبرؤن يوم القيامة مما تدعون لهم من الألوهية وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُوْنَ بِشِرْكِكُمْ بإشراككم إياهم بالله تعالى وَأيها المفتون بأسباب الغرور لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيْرٍOع الثلاثة أي: لا يخبرك أحد مثل خبير عالم بالحقائق يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى [ص689] اللهِ في الوجود وما يتبعه وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ عن الأشياء كلها الْحَمِيْدُO المحمود بكل لسان في كل صنيعة إِنْ يَّشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيْدٍO وَمَا ذٰلِكَ الإنشاء والإفناء عَلَى اللهِ بِعَزِيْزٍO بممتنع وعسير وَلَا تَزِرُ ولا تحمل وَازِرَةٌ نفس إثمه وِزْرَ إثم نفس أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ نفس مُثْقَلَةٌ بالأوزار،

أي: الذنوب أحد إِلَى حِمْلِهَا ليحمل بعضها لاَ يُحْمَلْ مِنهُ شَيْءٌ وَّلَوْ كَانَ المدعو ذَا قُرْبَي قرابة النفس الداعية المثقلة الأول ناعت عن عدم مؤاخذة الله عن ذنب الغير، والثاني عن عدم الغياث لم يستغيث للخفة إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ غائبين عن عذابه، أو بالقلب، فإنهم هم المنتفعون بالإنذار وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ بالدوام وَمَنْ تَزَكَّى من الشرك فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ يؤل فائدة التزكى إلى نفسه وَإِلَى اللهِ الْمَصِيْرُO المرجع وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى الكافر وَالْبَصِيْرُO المؤمن وَلَا الظُّلُمَاتُ الكفر وَلَا النُّوْرُO الإيمان وَلَا الظِّلُّ الجنة وَلَا الْحَرُوْرُO النار وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ المؤمنون وَلَا الْأَمْوَاتُ الكفار إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَّشَاءُ هدايته وَمَآ أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُوْرِO أي: الكفار المشبهين بالموتى في عدم الاتعاظ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيْرٌO وليس عليك الإسماع إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بالهدى بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا بالوعد والوعيد وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ جماعة كثيرة في عصر واحد إِلَّا خَلَا مضى فِيْهَا نَذِيْرٌO يخوفهم وخامة طغيانهم وكذلك البشير وَإِنْ يُّكَذِّبُوْكَ يا محمد صلى الله عليه وسلم فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ رسلهم، حال كونهم [ص690] قد جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالمعجزات وَبِالزُّبُرِ بالصحف وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيْرِO التوراة والزبور والإنجيل ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عاقبتهم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِOع إنكاري عليهم بالعذاب أَلَمْ تَرَ تعلم أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا كالحمرة والصفرة وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ أي: ذو جُدَدُ جمع جدة، كمدد جمع مدة، أي: طرائق بِيْضٌ وَّحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا بالشدة والضعف وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌO جمع غربيب، تأكيد للسود المضمر، المفسر بالمظهر أي: سود: شديدة السواد وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَالِكَ كاختلاف ألوان الثمار والجبال، وبعد عد أعلام قدرته، قال: إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ لا الجهال، ككفار قريش إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ غالب على عقوبة العصاة، فينبغي أن يخشي عنه غَفُوْرٌO لمن أطاع إِنَّ الَّذِيْنَ يَتْلُوْنَ كِتَابَ اللهِ أي: القرآن وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا صدقة وَّعَلَانِيَةً زكاة يَّرْجُوْنَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُوْرَO لن تهلك لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُوْرَهُمْ متعلق بلن تبور وَيَزِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُوْرٌ لفرطاتهم شَكُوْرٌO لطاعاتهم وَالَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ من التوراة والإنجيل إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيْرٌ بَصِيْرٌO عالم بالبواطن والظواهر، فرآك أهلا للإيحاء، بمثل هذا المعجز إليكثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ أي: حكمنا بتوريثه منك الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا في أمتك فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ [ص691] قاصر العمل وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ يعمل غالبا وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يضم مع العمل التعليم والإرشاد بِإِذْنِ اللهِ بإرادته ذَالِكَ إيراثهم الكتاب هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيْرُO جَنَّاتُ عَدْنٍ يَّدْخَلُوْنَهَا أي: الأقسام الثلاثة يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤًا الأولى للتبعيض، والثانية للبيان وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌO للزينة واللينة وَقَالُوْا الْحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ خوف النار، أو هموم

الدنيا إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُوْرٌ لمن أساء شَكُوْرٌO لمن أطاع الَّذِيْ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ دار الإقامة لا بَراح عنها مِنْ فَضْلِهِ لا باستحقاقنا لَا يَمَسُّنَا فِيْهَا نَصَبٌ تعب ومشقة وَّلَا يَمَسُّنَا فِيْهَا لُغُوْبٌO كلال وأعياء من التعب وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى لا يحكم بالموت الثاني عَلَيْهِمْ فَيَمُوْتُوْا وفي الموت استراحة وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَالِكَ مثل ذلك الجزاء نَجْزِيْ كُلَّ كَفُوْرٍO وَهُمْ يَصْطَرِخُوْنَ يستغيثون فِيْهَا رَبَّنَا أَخرِجْنَا من النار نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِيْ كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا وقتا يَتَذَكَّرُ فِيْهِ مَنْ تَذَكَّرَ وهو الستون وَجَاءَكُمُ النَّذِيْرُ فَذُوْقُوْا فَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ نَّصِيْرٍO ع إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ما غاب عن الناس فيهما إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO بما في القلوب هُوَ الَّذِيْ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ يخلف بعضكم بعضا، أو الأمراء فَمَنْ كَفَرَ هذه النعمة فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وباله يرجع إليه وَلَا يَزِيْدُ الْكَافِرِيْنَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ [ص692] رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا شدة البغض وَلَا يَزِيْدُ الْكَفِرِيْنَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًاO للآخرة قُلْ أَرَئَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ أي: الذين أشركتموهم مع الله في العبادة الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ تعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام أَرُوْنِيْ اخبروني مَاذَا خَلَقُوْا أيّ جزء خلقوا؟ مِنَ الْأَرْضِ ليكون لهم شرك أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ مع الله فِي خلق السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَبًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ حجة مِّنْهُ من ذلك الكتاب على الشرك، بأن نطق كتاب الله على كونهم شركاء لله تعالى بَلْ إِنْ يَّعِدُ الظَّالِمُوْنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أي: الرؤساء للاتباع، بدل من الظالمون إِلَّا غُرُورًاO هو قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاءُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[1] إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُوْلَا يمنعهما عن الزوال وَلَئِنْ زَالَتَا فرض إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ بعد زوالهما أو بعد الله ، وقيل: بعد إمساكه، من الأولى زائدة؛ والثانية للابتداء إِنَّهُ كَانَ حَلِيْمًا في التمهيل غَفُوْرًاO لمن تاب وَأَقْسَمُوْا أي: كفار مكة بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ غاية الاجتهال في القسم بأغلظ اليمين لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيْرٌ لَّيَكُوْنُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ من واحدة من الأمم، أي: اليهود والنصارى وغيرهم، أو من الأمة؛ التي يقال في حقها، هي إحدى الأمم لفضلها على غيرها في الهدى والانقياد، كما يقال للداهية العظيمة؛ هي إحدى الدواهي، وقريش مكة لما سمعوا نكرة الأمم في أنبيائهم وملائهم، ولعن الله إياهم بهذه الخصلة، جهدوا في الأيمان المغلظة، لئن جاءهم النذير يهتدوا به هداية أفضل من واحدة منهم، أو من هداية أمة، يقال في حقها إنها إحدى الأمم فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيْرٌ [ص693] أي: محمد صلى الله عليه وسلم مَّا زَادَهُمْ مجيئه إِلَّا نُفُوْرًاO عن الحق اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ مفعول له وَمَكْرُ السَّيِّيءِ عطف عليه، أصله: وإن مكروا المكر السيئ، فحذف الموصوف استغناءا بوصفه، ثم أبدل أن مع الفعل بالمصدر، ثم أضيف المصدر إلى صفة

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة يونس، الآية: 18.

المصدر المحذوف وَلَا يَحِيْقُ لا يحيط المَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ أي: الماكر فَهَلْ يَنْظُرُوْنَ ينتظرون إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِيْنَ وهي تعذيب مكذبي رسلهم فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيْلًا بأن يعفو المكذبين وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيْلًاO بأن يؤاخذ غير المكذبين أَوَلَمْ يَسِيْرُوْ فِي الْأَرْضِ سائرهم إلى الشام واليمن والعراق فَيَنْظُرُوْا آثار هلاكهم كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوْا أَشَدَّ مِنْهُمْ من أهل مكة قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ يسبقه أو يفوته فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيْمًا قَدِيْرًاO وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوْا من المعاصي مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ظهر الأرض مِنْ دَابَّةٍ وَّلَكِنْ يُّؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى يوم القيامة فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيْرًاOع فيحكم فيهم بما هم أهل له.

سورة يٰسٓ مكية، اثنان وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يٰسٓO الله أعلم بمراده وَالْقُرآنِ قسم الْحَكِيْمِO المحكم، أو حكيم صاحبه إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَO جواب القسم عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO وهو الإسلام تَنْزِيْلَ منصوب بإقراء أو مصدر نزّل، {رد لمن أنكر إرساله}(1) الْعَزِيْزِ في ملكه الرَّحِيْمِO على خلقه لِتُنْذِرَ متعلق بمعنى لمن المرسلين قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاءُهُمْ ما نافية، والمراد منهم الأقربون، [ص694] أو موصولة مفعول ثان، أو مصدرية، أي: مثل إنذار آبائهم فَهُمْ غَافِلُوْنَO متعلق بالنفي أو لتنذر، لأنه علة الإنذار لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ أي: وجب القول بالعذاب عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ واصلة إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُوْنَO رافعون رؤسهم، فإن الحلقة التي ملتقي طرفي الغل تحت الذقن فيها رأس العمود الناشز عن الحلقة إلى الذقن، فلا يقدرون على أن يطأطؤن رؤسهم وَجَعَلْنَا مِنْ بَينِ أَيْدِيْهِمْ سَدًّا وَّمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ أي: غطينا أبصارهم بالغشاوة فَهُمْ لَا يُبْصِرُوْنَO كأنه تمثيل في عدم التفاتهم إلى الآيات الملجئة إلى الإيمان، وعدم ملاحظتهم بالكتاب الحاضر بين أيديهم، والكتب الآخر السماوية، نزلت من قبل وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَO الإنذار وعدمه سيَّان في عدم إيمانهم، لما طبع الله على قلوبهم إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ لأنه المنتفع وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ ولم يره أو بالقلب فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَّأَجْرٍ كَرِيْمٍO الجنة إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى بالبعث وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوْا ما أسلفوا أفعالهم من الخير والشر وَآثَارَهُمْ الطارية عليها من الحسنة والسيئة وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ضبطناه فِيْ إِمَامٍ مُّبِيْنٍOع في اللوح المحفوظ وَاضْرِبْ واجعل، ومثّل لَهُمْ مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ أي: إنطاكية، أي: اذكر هم قصة عجيبة؛ قصة أصحاب هذه القرية إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُوْنَO من

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب، ج، والتصويب من أ.

عيسى عليه السلام، وكانوا عبدة أوثان إِذْ أَرْسَلْنَا أرسل عيسى عليه السلام بأمرنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ يحيى ويونس عليهما السلام أو غيرهما فَكَذَّبُوْهُمَا فَعَزَّزْنَا فقوينا هما بِثَالِثٍ شمعون، روي أنهما لما قربا إلى المدينة رأيا راعيا يرعي – هو حبيب النجار[1]– سأل عن حالهما، قالا: نحن رسولا عيسى عليه السلام، [ص695] يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، قال: هل عندكم آية؟ فمسحا ابنا مريضا، كان له من سنتين، فقام معافا، فآمن حبيب، واستشفى كثير من الناس، فشفوا، وفشى الخبر، فدعا هما الملك، فقال: أ لكما إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم؛ من أوجدك وآلهتك، فحبسهما، ثم بعث شمعون، فدخل متفكرا، وخالط حواشي الملك، حتّى استأنسوا به، ورفعوا إلى الملك، فآنس به، فقال: أ سمعت قول المحبوسين؟ فقال لهما: من أرسلكما؟ قالا: الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال الملك: ما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فجعلا البذقتين، مقام الحدقتين، فصار ينظر بهما، فقال شمعون: أ رأيت لو سألت آلهتك حتّى تصنع مثل ذلك لك، وله الشرف، قال: ليس عنك سر آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تنفع ولا تضر، ثم طلب منهما إحياء غلام مات منذ سبعة أيام، فدعوا، فقام، فقال: إني دخلت سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا، فآمن الملك مع حواشيه فَقَالُوْٓا لمن لم يؤمن إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُوْنَO فلم يؤمنوا بالآخرة، فصاح عليهم جبرائيل عليه السلام، فماتوا قَالُوْا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ من وحي ورسالة عليكم إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُوْنَO قَالُوْا رَبُّنَا يَعْلَمُ جاري مجرى القسم إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُوْنَO زيد في التأكيد على حسب الإنكار وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ التبليغ الْمُبِيْنُO البين بالأدلة الواضحة، كإبراء الأكمه وإحياء الموتى قَالُوْا أي: أصحاب القرية إِنَّا تَطَيَّرْنَا تشأمنا بِكُمْ بانقطاع المطر لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوْا عما تقولون لَنَرْجُمَنَّكُمْ بالحجارة، أو بالشتم وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيْمٌO أي: الحريق قَالُوْا أي: رسل عيسى عليه السلام طَائِرُكُمْ شومكم مَّعَكُمْ هو الكفر ءَإِنْ ذُكِرْتُمْ وعظتم تطيرتم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَO مجاوزون عن [ص696] التوحيد إلى الشرك، فمن ثم أتاكم الشوم وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِيْنَةِ من أبعدها رَجُلٌ يَّسْعَى هو حبيب النجار، كان ينحت الأصنام لهم قبل ذلك، فلما آمن خفية كان يعبد الله في غار، وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ وبينهما ستة مائة سنة،

1 – حبيب النجار: القرية إنطاكية، وأن المرسلين رسل عيسى شمعون وبالوص، وثالثهم شمعان الصفا، فأدوهم الرسالة، فكذبوهم، فجاء حبيب النجار من أقصى المدينة، ونهاهم عن أذاهم، وأظهر إيمانه، ويقول إنه كان نحاتا للأصنام، فهداه الله. قال ابن عبّاس رضي الله عنه: فطرحوهم، ووطئوهم بأقدامهم حتى خرج قصبه من دبره، فوجبت له الجنة. وقال قتادة: خرقوا ترقوته، وسلكوا فيها سلسلة، وعلقوه من سور المدينة، فأهلكهم الله بالصيحة والهدة والرجفة. المقدسي: المصدر السابق. 130/3.

فلما سمع بتكذيب القوم الرسل، قال: أ تسألون أيها الرسل على ما جئتم به أجرا؟ قالوا: لا قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِيْنَO اتَّبِعُوْا مَنْ لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا على أداء الرسالة وَهُمْ مُّهْتَدُوْنَO

فقيل له: أ أنت على دينهم؟ قال: **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِيْ فَطَرَنِيْ** خلقني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO بعد الموت ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً إِنْ يُّرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّيْ شَفَاعَتُهُمْ أي: لا يدفع عني شفاعتهم في حقي شَيْئًا من العذاب وَلَا يُنْقِذُوْنِO من مكروه؛ إذا أراد الله بي مكروها إِنِّيْ إِذًا أي: إذا اتخذت الأصنام آلهة لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO ظاهر، فأخذوا أن يرجموه؛ فأسرع إلى الرسل، فقال: إِنِّيْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوْنِO فاستمعوا قولي، فرجموه فمات، فقبره في سوق أنطاكية[1]قِيْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ وذهب بعض إلى أنه دخلها حيا حيث رفعه الله تعالى حين أرادوا قتله قَالَ حبيب لما رأى نعيمها: يَا لَيْتَ قَوْمِيْ يَعْلَمُوْنَO بِمَا غَفَرَ لِيْ رَبِّيْ وَجَعَلَنِيْ مِنَ الْمُكْرَمِيْنَO بالجنة وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ قوم حبيب مِنْ بَعْدِهِ من بعد قتله، أو رفعه مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ لتعذيبهم، كما في الخندق أو البدر وَمَا كُنَّا مُنْزِلِيْنَO إذ لم يقتضي الحكمة للإنزال هناك إِنْ نافية كَانَتْ الأخذة بهم إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً من جبرائيل عليه السلام، تحقيرا لشأنهم فَإِذَا هُمْ خَامِدُوْنَO ميتون، كما تخمد النار يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ يا شدة الندم! أدرك العباد هذا أوانك إذ مَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا كَانُوْا بِهِ [ص697] يَسْتَهْزِءُوْنَO أَلَمْ يَرَوْا أي: أهل مكة كَمْ منصوب بأهلكنا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُوْنِ أي: الأمم السابقة أَنَّهُمْ أي: المهلكين إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُوْنَO وَإِنْ نافية كُلٌّ التنوين فيه للعوض، أي: كلهم لَمَّا بالتشديد، بمعنى إلا جَمِيْعٌ أي: مجموع لَّدَيْنَا أي: في الموقف مُحْضَرُوْنَOع للجزاء وَآيَةٌ لَّهُمُ على البعث الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا بالمطر وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا أي: الجنس فَمِنْهُ يَأْكُلُوْنَO وَجَعَلْنَا فِيْهَا في الأرض جَنَّاتٍ بساتين مِنْ نَّخِيْلٍ وَّأَعْنَابٍ وَّفَجَّرْنَا فِيْهَا مِنَ الْعُيُوْنِO من زائدة، أو المفعول محذوف، أي: ما ينتفعون به لِيَأْكُلُوْا مِنْ ثَمَرِهِ الضمير لله تعالى وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيْهِمْ ما موصولة، أي: ما عملت أيديهم من الغرس والسقي وغير

---

1 – أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخفّفة: مدينة هى قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والطّيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، وسعة الخير؛ بينها وبين حلب يوم وليلة، لها سور وفصيل، ولسورها ثلاثمائة وستون برجا، وله خمسة أبواب، يصعد إلى السور مع الجبل إلى أعلاه، ثم ينزل من الجهة الأخرى، ويحيط بها وبمزارعها. وفى الجبل من داخل السور قلعة كبيرة، والجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها إلا فى الساعة الثانية. وبها كانت مملكة الروم، وبها بيع كثيرة، ومشهد حبيب النّجار فيها. ابن شمائل: المرجع السابق. 125/1.

ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه، وقيل: ما نافية أَفَلَا يَشْكُرُوْنَO على هذه النعمة سُبْحَانَ الَّذِيْ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ أي: الأصناف كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ من الذكر والأنثى وَمِمَّا لَا يَعْلَمُوْنَO من المخلوقات العجيبة الغريبة في البحار والأودية وَآيَةٌ لَّهُمْ على القدرة الباهرة اللَّيْلُ نَسْلَخُ نزيل وننزع مِنْهُ النَّهَارَ لا ضوء فيه أصلا، كالشخص الزنجي أسود، إذ ما بين السماء والأرض ظلمة، يكتسي بعض الزمان ضوء الشمس، فإذا غابت أظلم فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُوْنَO داخلون في الظلام وَآية لهم الشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا لحد معين، ينتهي إليه دورها آخر السنة، أو المستقر: هو المغرب بحسب ما يترائ كل يوم ذَالِكَ الجري تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الغالب على مقدوره الْعَلِيْمِO بكل معلوم وَالْقَمَرَ منصوب بشريطة التفسير قَدَّرْنَاهُ أي: يسره مَنَازِلَ وهي ثمان وعشرون منزلا، ينزل القمر كل ليل في واحد منها، وفي آخرها دقّ واستقوس حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُوْنِ الْقَدِيْمِO كعود الشمراخ، [ص698] فعلون من الانعراج، بمعنى الانعطاف، القديم العتيق، المحول دق وانحنى وأصفر لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِيْ يتسهل لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ في وقت واحد وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ يأتي قبل انقضاء النهار وَكُلٌّ التنوين للعوض، أي: كلهم من الشموس والأقمار فِيْ فَلَكٍ يختص به يَسْبَحُوْنَO يسيرون وَآيَةٌ لَّهُمْ على القدرة الكاملة أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِO بهم، الذرية تقع على الأولاد والآباء، لأنها من الأضداد، فالفلك فلك التجار تحتمل أولادهم ونساءهم، أو فلك نوح يتحمل بآبائهم: سام وهام ويافث وأزواجهم وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ مثل الفلك مَا يَرْكَبُوْنَO من الإبل والبقر، فهي سفن البر، أو مثل سفينة نوح؛ سفنا لهم يركبونها وَإِنْ نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ في البحر فَلَا صَرِيْخَ مغيث لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُوْنَO ينجون عن الغرق إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا أي: لرحمة منا وَمَتَاعًا تمتعا إِلَى حِيْنٍO أجل وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّقُوْا مَا بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ مهالك الدنيا وَمَا خَلْفَكُمْ مهالك العقبى، أو نوازل الخالية وأمر الساعة، أو السماء والأرض، أو الذنوب المتقدمة والمتأخرة لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO لتكونوا على رجاء الرحمة، وجواب إذا محذوف، أي: أعرضوا، لأن ما بعده يدل عليه وَمَا تَأْتِيْهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَO من الأولى تأكيد للنفي، والثانية للتبعيض وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ لمشركي مكة أَنْفِقُوْا علينا، القائلون فقراء الصحابة رضي الله عنهم مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا استهزاءا أَنُطْعِمُ مَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO حيث تطلبون مخالفة المشية، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أهل الذنادقة كانوا بمكة، يقولون إذا سئل [ص699] عنهم: لا والله! أ يفقره الله ونطعمه نحن؟ وَيَقُوْلُوْنَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ أي: البعث إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO أيها المسلمون في دعوى البعث مَا يَنْظُرُوْنَ إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً أي: لا ينتظرون إلا نفخة أولى من إسرافيل تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُوْنَO يتعاملون بالخصومة بينهم، أدغمت تاء الافتعال في الصاد فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ تَوْصِيَةً فرصة

الإيصاء وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُوْنَ۝ ولا فرصة الرجوع إلى الأهل من الأسواق، بل يموتون حيث يسمعون الصيحة وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ كرة ثانية بعد مضى أربعين سنة من الأولى فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ القبور إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوْنَ۝ يسرعون قَالُوْا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا أنشرنا مِنْ مَّرْقَدِنَا مضجعنا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُوْنَ۝ كلام الملائكة، أو المتقين، أو الكفار بعضهم من بعض إِنْ كَانَتْ النفخة الثانية إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيْعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ۝ في الموقف للحساب فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَّلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ۝ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِيْ شُغُلٍ التنوين للتعظيم، كاقتضاض الأبكار، وضرب الأوتار، أو ضيافة الجبار فَاكِهُوْنَ۝ ناعمون متلذذون هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِيْ ظِلَالٍ جمع ظل، وهو الموضع الذي لا يقع عليه الشمس، أو جمع ظلة عَلَى الْأَرَائِكِ جمع أريكة، أي: السرائر مُتَّكِئُوْنَ۝ لَهُمْ فِيْهَا فَاكِهَةٌ وَّلَهُمْ مَّا يَدَّعُوْنَ۝ يفتعلون من الدعاء، أو ما يتمنون لهم سَلَامٌ قَوْلًا يقول الله لهم بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة مِّنْ جهة رَّبٍّ رَّحِيْمٍ۝وَامْتَازُوا انفردوا عن المؤمنين بعد الاختلاط في المحشر الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ۝ ويقول الله: أَلَمْ أَعْهَدْ أوص إِلَيْكُمْ يَا بَنِيْ آدَمَ [ص700] أَنْ لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ۝ وَّأَنِ اعْبُدُوْنِيْ وحدوني، وأطيعوني هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ۝ لايضل من سلك وَلَقَدْ أَضَلَّ الشيطان مِنْكُمْ جِبِلًّا خلقا كَثِيْرًا أَفَلَمْ تَكُوْنُوْا تَعْقِلُوْنَ۝ عداوته هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ۝ بها إِصْلَوْهَا الْيَوْمَ ادخلوها بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ۝ بكفركم وإنكاركم أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ يمنعهم من الكلام وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيْهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ۝ بعد جحودهم عن الشرك، وتحقق التخاصم، وشهادة الجيران والأهالي، والعشائر على شركهم، وتحلفهم: ربنا والله ما أشركنا وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ لأعميناهم، والطمس: تغفية شق العين حتّى تعود ممسوحة فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ الذي اعتادوا سلوكه، فيه حذف وإيصال، أي: فاستبقوا إلى الصراط فَأَنَّى يُبْصِرُوْنَ۝ فكيف يبصرون الطريق؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ قردة وخنازير أو حجارة عَلَى مَكَانَتِهِمْ في منازلهم فَمَا اسْتَطَاعُوْا مُضِيًّا ذهابا وَّلَا يَرْجِعُوْنَ۝ ولا رجوعا، والفعل للفواصل، وقيل: عن التكذيب، أو إلى ما مسخوا عنه وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِسْهُ نقلبه، التنكيس: جعل الشيء أعلاه أسفله فِي الْخَلْقِ فلا يزال ينقص قواه، ويزيد ضعفه أَفَلَا يَعْقِلُوْنَ۝ أن القادر على هذه التقاليب؛ قادر على تقليب البعث وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ كما يقولون وَمَا يَنْبَغِيْ لَهُ وما يصح له، وما يليق بحاله، وما جاء منه عليه السلام موزونا؛ فمن غير قصد إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة وَّقُرْآنٌ مُّبِيْنٌ۝ للأحكام لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا عاقلا مؤمنا وَّيَحِقَّ الْقَوْلُ بالعذاب عَلَى الْكَافِرِيْنَ۝ الميّتين أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا تولّينا [ص701] إحداثه بالقدرة وحيدا، لا يقدر عليه غيره أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُوْنَ۝ متصرفون فيها تصرف الملاك، أو ضابطون قاهرون وَذَلَّلْنَاهَا سخرناها لَهُمْ فَمِنْهَا

رَكُوْبُهُمْ مركوبهم وَمِنْهَا يَأْكُلُوْنَO لحمها وَلَهُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ بالجلود والأوبار والأصواف وَمَشَارِبُ من الألبان أَفَلَا يَشْكُرُوْنَO على إنعام الأنعام وَاتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ اٰلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَO بالشفاعة منهم لهم لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ أي: الآلهة نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ أي: الكفار للأصنام جُنْدٌ أعوان مُّحْضَرُوْنَO معهم في النار، لأنهم يجعلون وقودا للنار فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ لست مرسلا إِنَّا نَعْلَمُ بكسر الهمزة مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَO عداوة الباطن والظاهر أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌO شديد الخصومة في إنكار البعث. روي أن أبي بن خلف أتي بعظم رميم، يفته بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أ ترى الله يحيي هذا؟ قال عليه السلام: نعم، ويبعثك، ويدخلك النار وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا أمرا عجيبا؛ هو نفي القدرة على البعث وَنَسِيَ خَلْقَهُ خلق الإنسان المكرم من النطفة المهان قَالَ المنكر مَنْ يُّحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌO هو اسم لما بلى من العظام، غير صفة كالرمة والرفاة، ولذا لم يؤنث قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام يُحْيِيْهَا الَّذِيْ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌO لا يخفى عليه أجزاؤه، وإن تفرقت في البر والبحر الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ الذي يقطر بالماء، أي: المرخ والعفار نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوْقِدُوْنَO تقدحون مع المضادة بين [ص702] الماء والنار، فيقدر على إعادة الحياة بعد الموت بالتعقيب بالطريق الأولى أَوَ لَيْسَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مع كبر جسمهما بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ في الصغر بنسبتهما، أو مثل المبتدئين بَلَى هو قادر وَهُوَ الْخَلَّاقُ كثير الخلق الْعَلِيْمُO بكل شيء إِنَّمَا أَمْرُهُ شأنه إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أن يحدث أَنْ يَّقُوْلَ لَهُ كُنْ احدث فَيَكُوْنُO فيحدث بلا مهلة، عبَّر سرعة الإيجاد بكاف ونون، لا أنه هناك كاف ونون، أي: لا يثقل هذه الكلمة عليكم؛ فكذا لا يثقل عليه الإبداء والإعادة فَسُبْحَانَ الَّذِيْ بِيَدِهِ مَلَكُوْتُ مبالغة الملك، زيدت الواو والتاء للمبالغة كُلِّ شَيْءٍ وَّإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO ع في الآخرة.

سورة الصفت مكية، مائة واثنان وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالصَّافَّاتِ صَفًّاO أقسم بالملائكة الصافات في العبادة، أو انتظار الأمر فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًاO الزاجرات للسحاب سوقا، أو للأجرام العلوية والسفلية أن تميل إلى غير التدبير فَالتَّالِيَاتِ القرّاء لكتب الله، أو صحائف الأعمال ذِكْرًاO مصدر من معنى التاليات، أو المراد نفوس العمال من العلماء، الصافات أقدامهم في الصلوات، الزاجرات عن الكفر والمعاصي، والدارسات للشرائع، أو نفوس الغزاة في الصفوف، وزجر الخيول والاستهلال بالتكبيرات في المصاف، جواب القسم إِنَّ إِلٰهَكُمْ يا أهل مكة

لَوَاحِدٌO رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِO والمغارب، وهي ثلاث مائة وستون إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا القربي منكم، وإن كانت في الثامن، أي: الكرسي عند أهل الهيئة بِزِيْنَةٍ الْكَوَاكِبِO بدل من زينة، وقرئ بالإضافة، إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول، أو بيانية وَحفظنا حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ خبيث مَّارِدٍO خارج عن الطاعة لَا يَسَّمَّعُوْنَ أصله يتسمعون، أدغمت التاء في [ص703] السين، والتسمع تطلّب السماع إِلَى الْمَلَاءِ الْأَعْلَى أي: الملائكة، وتعديته بإلى لتضمنه معنى الإصغاء، لأن المعدي بنفسه يفيد الإدراك وَيُقْذَفُوْنَ يرمون بالشهب مِنْ كُلِّ جَانِبٍO أي: من جميع جوانب السماء دُحُوْرًا مصدر، أو الدحور مفعول له، أو حال، وهو الطرد وَلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌO دائم في الدنيا بالرجم، وفي العقبى بالنار إِلَّا استثناء من واو يسمّعون مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ أخذ بسرعة سرقة فَأَتْبَعَهُ لحقه شِهَابٌ ما يُرى كان كوكبا أنقض ثَاقِبٌO مضيئ يثقبه أو يحرقه أو يخبله، والمرجوم يتأذى به، ويبقى، فيرجع، وقيل: يحترق فَاسْتَفْتِهِمْ فاستخبر كفار مكة أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا من الملائكة، والسماوات والأرض وما بينهما إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ أي: أصلهم؛ هو آدم مِنْ طِيْنٍ لَّازِبٍO لاصق باليد، فالمادة قابلة ما فيه، والفاعل قادر، فإنكار البعث يوجب العجب بَلْ للانتقال عَجِبْتَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام من إنكار هم البعث وَيَسْخَرُوْنَO من تعجبك وَإِذَا ذُكِرُوْا وعظوا لَا يَذْكُرُوْنَO لا يتعظون وَإِذَا رَأَوْا آيَةً كشق القمر يَسْتَسْخِرُوْنَO يبالغون في السخرية وَقَالُوْآ حين رأوا آية إِنْ هٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO بيّن، وقالوا إنكارا للبعث ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا صرنا تُرَابًا وَّعِظَامًا بالية ءَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَO أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُوْنَO قُلْ نَعَمْ كل يبعث وَأَنْتُمْ دَاخِرُوْنَO مذللون صاغرون، إذا كان كذلك فَإِنَّمَا هِيَ ضمير مبهم؛ يفسره ما بعده زَجْرَةٌ صيحة وَّاحِدَةٌ من إسرافيل فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُوْنَO ينتظرون ما يفعل بهم بعد البعث وَقَالُوْا يَا وَيْلَنَا هلاكنا، أدركنا هذا أوانك هٰذَا يَوْمُ الدِّيْنِO يوم الذي ندان، ونجازي فيه، قالت الملائكة: هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بين الحق والباطل الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَOع في الدنيا أُحْشُرُوا خطاب الله سبحانه للملائكة الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أنفسهم إلى الموقف وَأَزْوَاجَهُمْ [ص704] وأشباههم من الشياطين أو نسائهم، والواو بمعنى مع وَمَا كَانُوْا يَعْبُدُوْنَOمِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام فَاهْدُوْهُمْ دلُّوهم، وسوقوهم إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيْمِOالربع طريق النار وَقِفُوْهُمْ عند الصراط إِنَّهُمْ مَّسْئُوْلُوْنَO عن أقوالهم وأفعالهم مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُوْنَO لا ينصر بعضكم بعضا، توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متناصرين في الدنيا بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُوْنَO منقادون أذلاء وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ الأتباع على الرؤساء يَتَسَاءَلُوْنَO يتخاصمون قَالُوْا أي: الأتباع إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُوْنَنَا عَنِ الْيَمِيْنِO عن القوة والغلبة، فتقسروننا على الضلال، أو حلفتم أنكم على الحق، فصدقنا حلفكم، وأتبعناكم قَالُوْا أي: الرؤساء بَلْ لَّمْ تَكُوْنُوْا

مُؤْمِنِيْنَO بالله وبالرسول، فكيف الإضلال منا؟ فإن الإضلال يقتضي سبق الهداية؛ ولم تكن وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ يقهركم على متابعتنا بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِيْنَO مثلنا من أول الأمر فَحَقَّ عَلَيْنَا جميعا قَوْلُ رَبِّنَا ﴿لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ﴾[1] إِنَّا لَذَائِقُوْنَO العذاب بذلك القول المقضى عليه فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِيْنَO دعوناكم إلى الغي، لأنا كنا غاوين، فأجبتم. ولو كان كل غواية لإغواء غاو حقيقة؛ فمن أغوينا؟ فضلال جميعنا كان أمرا مقضيا، لا محيص عنه فَإِنَّهُمْ أي: الأتباع والرؤساء يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُوْنَO باشتراك الغواية إِنَّا كَذَالِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِيْنَO أي: المشركين إِنَّهُمْ كَانُوْا إِذَا قِيْلَ لَهُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُوْنَO عن التوحيد، أو على أهله وَيَقُوْلُوْنَ أَئِنَّا لَتَارِكُوْا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُوْنٍO يعنون [ص705] محمدا صلى الله عليه وسلم بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ بالتوحيد؛ رد على المشركين وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِيْنَO الجائين بالتوحيد إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيْمِO بالشرك وَمَا تُجْزَوْنَ أيها الناس إِلَّا مثل مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَO فإنهم يضاعف أجورهم، فالاستثناء متصل، أو الخطاب للمشركين، والاستثناء منقطع بمعنى لكن أُولٰئِكَ لَهُمْ في الجنة رِزْقٌ مَعْلُوْمٌO فَوَاكِهُ ما يؤكل للتلذذ؛ لا الاقتيات، فإن أجسامهم مخلوقة للأبد، مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، أو معلوم، أي: منعوت بخصائص طيب الطعم والرائحة واللذة وحسن المنظر والمسمع، أو معلوم وقته بكرة وعشيا وَهُمْ مُّكْرَمُوْنَO بثواب الله فِيْ جَنَّاتِ النَّعِيْمِO عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَO التقابل في المجانسة والأنس وخير من المقارنة يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ زجاجي أو خمر؛ كذا عرف القرآن مِنْ مَّعِيْنٍO من شراب يجري على وجه الأرض كالماء في الأنهار، من عان الماء؛ إذا نبع بَيْضَاءَ صفة كأس لَذَّةٍ صفة بعد صفة، أي: لذيذة على المبالغة لِلشَّارِبِيْنَO بخلاف خمور الدنيا لَا فِيْهَا غَوْلٌ إهلاك عقل، وقيل: صداع وَّلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُوْنَO يسكرون بإذهاب عقولهم وَعَنْدَ هُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حابسات الأعين إلى غيرهم عِيْنٌO جمع عيناء، أي: واسعة العين كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُوْنٌO أي: بيض النعام؛ المخفوف بالريشة، المصون عن الغبار، والعرب يشبه النساء بهن في الصفاء والبياض، الضارب إلى نوع الصفرة، وهو أحسن الألوان للأبدان عندهم فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَّتَسَاءَلُوْنَO عما جرى عليهم في الدنيا، وهذه الحالة ألذّ اللذّات عند الشاربين.

ـــه وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إلا أَحَادِيْثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ[2] قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ من أهل الجنة،

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة هود، الآية: 119.

2 – (أ) النسفي: المرجع السابق. 124/3. (ب) البيضاوي: المصدر السابق. 10/5. (ج) الزمخشري: المرجع السابق. 44/4.

قيل: اسمه [ص706] يهودا إِنِّيْ كَانَ لِيْ قَرِيْنٌO جليس في الدنيا؛ ينكر البعث، قيل: اسمه قطروس يَّقُوْلُ ذلك القرين إنكارا أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِيْنَO بالبعث ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَإِنَّا لَمَدِيْنُوْنَO لمجزيون قَالَ ذلك القائل للأحباب في الجنة هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُوْنَO معي إلى النار، فننظر حاله فَاطَّلَعَ المسلم من بعض كوى الجنة فَرَآهُ رأى ذلك المسلم الكافر القرين في الدنيا المنكر للبعث فِيْ سَوَاءِ الْجَحِيْمِO في وسطها قَالَ تَاللهِ إن مخففة من مثقلة إِنْ كِدْتَّ قاربت لَتُرْدِيْنِO لتهلكني بإغوائك بإنكار البعث وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّيْ أي: إنعامه بالإيمان لَكُنْتُ مِنَ الْمحْضَرِيْنَO معك في سواء الجحيم، فيخاطب ذلك المسلم ملكا بحيث يسمع القرين، أَ نحن مخلدون في الجنة منعمون فيها؟ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِيْنَO إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُوْلَى التي وقعت في الدنيا، وهي متناولة لما في القبر وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَO بخلاف الكفار، فإنهم يتمنون فيه الموت لشدة العذاب، قيل لحكيم: ما شر من الموت؟ قال: الذي يتمني فيه الموت إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO لِمِثْلِ هٰذَا أي: لنيل مثل هذا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُوْنَO لا للحظوظ الدنيوية الفانية المشوبة بالآلام، ثم قال المسلم لقرينه المعذب بالنار؛ تقريعا له: أَذَالِكَ أي: نعيم الجنة خَيْرٌ نُّزُلًا تميز، وهو ما يعد للنازل من الطعام أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوْمِO المعدة لأهل النار إِنَّا جَعَلْنَاهَا جعلنا أنبات هذه الشجرة في النار فِتْنَةً لِّلظَّالِمِيْنَO حيث قالوا: النار تحرق الشجرة إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيْٓ أَصْلِ الْجَحِيْمِO في قعره، والأغصان ترتفع إلى الدركات طَلْعُهَا أي: حمل الزقوم شبه حملها بطلع التمر كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِيْنَO لتناهيها في الكراهة، وقبح المنظر، وقيل: الشياطين الحيات فَإِنَّهُمْ أي: الكفار لَآكِلُوْنَ مِنْهَا [ص707] لشدة الجوع فَمَالِئُوْنَ مِنْهَا الْبُطُوْنَO ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا لخلطا ومزجا مِّنْ ماء حَمِيْمٍO يقطع الأمعاء، وهو خارج الجحيم ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيْمِO بعد شرب الحميم، وأكل الزقوم إِنَّهُمْ أَلْفَوْا وجدوا آبَاءَهُمْ ضَآلِّيْنَO في نفس الأمر فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ آثار الآباء يُهْرَعُوْنَO يذهبون بالسرعة الشديدة، أي: تركوا الآيات والدلائل، واقتفوا بأهل الضلال، فانتهضوا حذوهم وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ قبل كفار قريش أَكْثَرُ الْأَوَّلِيْنَO من الأمم وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيْهِمْ من الرسل مُنْذِرِيْنَO فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنَO أي: الهلاك إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَOع فإنهم نجوا بالإخلاص وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحٌ فقوله: ﴿أَنِّيْ مَغْلُوْبٌ فَانْتَصِرْ﴾[1] فَلَنِعْمَ الْمُجِيْبُوْنَO أي: فوالله لنعم المجيبون نحن، أي: إنا أجبناه إجابة حسنة، والجمع للتعظيم وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِO وهو الغرق وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هم أبناء ثلاثة: سام وحام ويافث وأزواجهم، فهؤلاء الثلاثة آباء أهل الدنيا، فنوح كأنه آدم ثان هُمُ الْبَاقِيْنَO في الدنيا، لا غيرهم من أهل السفينة وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِيْنَO من الأنبياء والأمم المتأخرين، هذا الذكر الجميل، أي: قولهم:

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّيْ مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ سورة القمر، الآية: 10.

سَلَامٌ من الله عَلَى نُوْحٍ واستمرت هذه التحية له فِي الْعَالَمِيْنَO في الملائكة والثقلين جميعا إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO أي: الإحسان علة لخير جزائهم إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَO ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِيْنَO كفار قومه وَإِنَّ مِنْ شِيْعَتِهِ أي: فمن شايعه على أصول الدين، والتصلب فيه، وتحمل الأذى لَإِبْرَاهِيْمَO بينه وبين نوح ألفان وست مائة وأربعون سنة، وما كان بينهما إلا نبيّان: هود [ص708] وصالح عليهما السلام إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍO من آفات القلب، ومتعلق إذ اذكر، أو معنى المشايعة في شيعته، أي: جاء خالصا ومخلصا لله تعالى، أو لديغا، أي: حزينا إِذْ بدل من الأولى قَالَ لِأَبِيْهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُوْنَO أَئِفْكًا مفعول له، وهو أسوء الكذب آلِهَةً أي: الأصنام، مفعول به لتريدون دُوْنَ اللهِ تُرِيْدُوْنَO أي: أ تريدون آلهة من دون الله إفكا، قدم للعناية وللاهتمام فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO أ يتركهم بلا عقاب إذ عبدتم غيره فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوْمِO رائيا إلى السماء؛ هيئة متفكر، كيف يحتال من عند نفسه؟ ليفعل بالأصنام ما فعل في دفعهم، أو إيهاما لهم حيث كانوا نجامين، إنه استدل بإمارة على أنه يسقم فَقَالَ إِنِّيْ سَقِيْمٌO أي: سأسقم بالطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوي، ليتفرقوا من عنده بخوف العدوي، وليتركوه في بيت الأصنام وحيدا، وهذه الكلمة منه عليه السلام، بمعنى أن كل من في عنقه موت، فهو سقيم، فخرجوا إلى عيد لهم فَتَوَلَّوْا أعرضوا عَنْهُ مُدْبِرِيْنَO هاربين مخافة العدوي فَرَاغَ مال إِلَى آلِهَتِهِمْ وعندهم وضعوا الطعام للتبرك فَقَالَ إبراهيم عيله السلام استهزاءا أَلَا تَأْكُلُوْنَO فلم ينطقوا، فقال: مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُوْنَO فَرَاغَ مال عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِيْنِO بالقوة، فكسرها فَأَقْبَلُوْا إِلَيْهِ لما بلغ الخبر إليهم يَزِفُّوْنَO يسرعون المشي قَالَ توبيخا أَتَعْبُدُوْنَ مَا تَنْحِتُوْنَO بأيديكم وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَO أي: أعمالكم، فالكل مخلوق له تعالى، فكيف تأخذون المخلوق خالقا؟ فتعبدونه قَالُوا بينهم ابْنُوْا لَهُ أي: لأجله بُنْيَانًا من الحجر: طوله ثلاثون ذراعا؛ وعرضه عشرون، فاملؤه حطبا، واضربوه نارا، فإذا التهبت فَأَلْقُوْهُ فِي الْجَحِيْمِO النار الشديدة فَأَرَادُوْا بِهِ كَيْدًا تعذيبا فَجَعَلْنَا هُمُ الْأَسْفَلِيْنَO بجعل النار سلاما عليه ببردها وَقَالَ إِنِّيْ ذَاهِبٌ [ص709] من دار الكفر إِلَى رَبِّيْ حيث أمرني ربي؛ وهو الشام سَيَهْدِيْنِO إلى ما هو صلاح الدارين فيه رَبِّ هَبْ لِيْ مِنَ الصَّالِحِيْنَO للتبعيض، يعني الولد الصالح بقرينة الهبة فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيْمٍO يبلغ أوان الحلم، أو ذي حلم كثير، حيث صبر على الذبح واستسلم فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ العمل والإعانة في إشغاله، قيل: كان ابن سبع سنين أو ثلاثة عشر سنة، ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي، لأن صلة المصدر لا يتقدم، فهو بيان لمن قال: مع من؟ قال: مع أبيه قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْ أَذْبَحُكَ الظاهر أنه

خطاب لإسماعيل عليه السلام، لأنه قال عليه السلام: ((أَنَا ابْنُ الذَّبِيْحَيْنِ))[1]، يعني: إسماعيل عليه السلام وعبد الله، حيث نذر عبد المطلب، إن بلغ بنوه إلى عشر، يذبح آخرا منهم، ففداه بمائة إبل، ومن ثم الدية مائة إبل، وقيل: لإسحاق، ولم يقل رأيت، لأنه رأى مرة بعد مرة، ليلة التروية، فروّي فيه أ من الله أو من الشيطان؟ فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله، ثم رأى ليلة العيد أنه ينحره، ولذلك يسمى: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى من الرأي، وإنما شاوره مع الحتم، ليعلم ما عنده، إن جزع يثبت قدمه، وإن سلم يأمن عليه مع ما فيه من التهوين بتطوين النفس على البلاء وكسب مثوبة الانقياد قبل الفداء كيف؟ ورؤياء الأنبياء كالوحي في اليقظة، فلا مجال للتخلف قَالَ يَا أَبَتِ التاء عوض الياء افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ به سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَO على الذبح فَلَمَّا أَسْلَمَا انقادا لأمره تعالى وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِO صرعه على الشق بمنى عند الصخرة، فإن للإنسان جبينين بينهما جبهة، وأمرّ السكين على الحلق، فلم يعمل، فوضع على قفاه، فانقلب السكين وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَّا إِبْرَاهِيْمُO [ص710] قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا أي: حققت ما أمرناك بتسليم الولد للذبح والعزم عليه، والجواب محذوف، أي: كان ما كان من الاستبشار لهما مما ينطق به الحال، ولا يحيط به المقال، فشكر الله على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله إِنَّا كَذَالِكَ كما جزينا إبراهيم وإسماعيل نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِيْنُO حيث يتميز فيه المخلص عن غيره، أو المحنة البينة وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍO قدرا أو جثة كان في الجنة من هابيل، والفادي حقيقة إبراهيم، وأما النسبة المجازية فلأنه المعطي له والآمر به، واعلم أن الفداء تخليص من الذبح ببدل فما فعل إبراهيم أن تحقق به الذبح، فما معنى الفداء؟ وإن لم يتحقق فما معنى قوله ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[2]؟ وحله إن إبراهيم عليه السلام قد أتي بما يأتي به الذابح، وأما منع الشفرة فليس في اختياره، فهو بجميع أفعاله ذابح، لكن الله سبحانه وهب له الكبش، ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل عليه السلام، بدلا منه تكريما له بالفداء، وذلك ليس تنسيخ على ما قيل، لأن النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِيْنَO أي: أبقينا ثناءا حسنا عليه في لسان الآخرين، هو سَلَامٌ منا عَلَى إِبْرَاهِيْمَO كَذَالِكَ كما جزيناه نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَO وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ أي: بوجوده، فالذبيح غيره نَبِيًّا مِّنْ الصَّالِحِيْنَO هما حالان من إسحاق، أي: يوجد مقدارا بنبوته وصلاحيته وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ بكثرة الذرية وَعَلَى إِسْحَاقَ بخروج ألف من

---

1 – الحاكم: المصدر السابق. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر من قال إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، رقم الحديث: 4048. 609/2.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة الصافات، الآية: 105.

الأنبياء من صلبه، أوّلهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ على نفسه بالإيمان وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ بالكفر مُبِيْنٌO^ع بيّن الظلم وَلَقَدْ مَنَنَّا أنعمنا عَلَى مُوْسَى وَهَارُوْنَO بالنبوة [ص711] وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِO أي: الغرق، أو خدمة القبط وَنَصَرْنَاهُمْ على القبط فَكَانُوْا هُمُ الْغَالِبِيْنَO على فرعون وجنوده وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِيْنَO بليغ البيان؛ هي التوراة وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَO صراط أهل الإسلام وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا ثناءا حسنا فِي لسان الْآخِرِيْنَO سَلَامٌ عَلَى مُوْسَى وَهَرُوْنَO إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَO إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ إِلْيَاسَ بن ياسين من ولد هارون عليه السلام، أخي موسى عليه السلام، أو هو إدريس عليه السلام، كما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَO مرسل إلى قوم بعلبك إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُوْنَO تخافون الله أَتَدْعُوْنَ بَعْلًا تعبدونه؛ وهو علَم لصنم من ذهب، طوله عشرين ذراعا، وله أربعة أوجه، وموضعه بك من بلاد الشام، وقيل: إلياس عليه السلام، وكل بالفيافي، كما وكل الخضر عليه السلام بالبحار، والحسن يقول: قد هلك إلياس والخضرعليهما السلام. ولا نقول ما يقوله الناس: أنهما حيان وَتَذَرُوْنَ تتركون أَحْسَنَ الْخَالِقِيْنَO المقدرين اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِيْنَO منصوب على البدلية من أحسن فَكَذَّبُوْهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُوْنَO في النار إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَO وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ ثناءا حسنا فِي لسان الْآخِرِيْنَO سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِيْنَO أي: على إلياس ومن معه، فجمع على التغليب إِنَّا كَذَالِكَ كما جزيناه نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَO وَإِنَّ لُوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِيْنَO إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِيْنَO إِلَّا عَجُوْزًا هي امرأة لوط فِي الْغَابِرِيْنَO الباقين في العذاب ثُمَّ دَمَّرْنَا أهلكنا الْآخَرِيْنَO كفار قومه وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّوْنَ يا أهل مكة بالتجارات [ص712] إلى الشام عَلَيْهِمْ على آثارهم ومنازلهم مُّصْبِحِيْنَO وقت الصبح وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَO^ع ما حلّ بهم فاعتبروا وَإِنَّ يُوْنُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَO إِذْ أَبَقَ هرب بغير إذن المولى تعالى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِO من الناس، وكان عليه السلام وعد العذاب للقوم، فلما تأخر خرج كالمتشور، وقصد البحر، وركب السفينة، فلما توقفت فَسَاهَمَ فقارع مرة أو ثلاثا أهل السفينة المساهمة، إلقاء السهام على جهة القرعة، قرعوا، من أبق عن سيده؟ فخرج اسمه، فرمي بنفسه في البحر، أو ألقوه فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِيْنَO المغلوبين بالقرعة فَالْتَقَمَهُ الْحُوْتُ ابتلعه وَهُوَ مُلِيْمٌO مسيء مذنب، داخل في الملامة فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيْنَO من القائلين: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ﴾[1] لَلَبِثَ فِيْ بَطْنِهِ حيّا أو مقبورا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَO^النصف وقد لبث ثلاثة أو سبعة أو

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّيْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ﴾ سورة الانبياء، الآية: 87.

أربعين يوما، وقيل: التقم ضحوة، ولفظ عشية فَنَبَذْنَاهُ ألقيناه بِالْعَرَآءِ بالمكان الخالي عن الشجر والبناء، أي: الساحل وَهُوَ سَقِيْمٌO صار بدنه كبدن المولود يوم ولد بحرارة بطنه وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِيْنٍO وهي القرع، أي: الدباء على ساق معجزة، غطته بالأوراق حفظا عن الذباب إذ لا يجتمع عنده، وقيل: التين أو الموز وَأَرْسَلْنَاهُ قبل التقام الحوت إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ من أهل موصل، جملة حالية، وقد مقدرة أَوْ يَزِيْدُوْنَO على مائة ألف فَآمَنُوْا به وبما أرسلنا إليهم فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِيْنٍO إلى منتهى آجالهم فَاسْتَفْتِهِمْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كفار قريش أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ كما تزعمون للملائكة؛ أنها بنات الله وَلَهُمُ الْبَنُوْنَO معطوف على فاستفتهم أ هم أشد خلقا أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَّهُمْ شَاهِدُوْنَO حاضرون استهزاءا، أو تجهيل لهم [ص713] أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ كذبهم لَيَقُوْلُوْنَO وَلَدَ اللهُ الملائكة وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَO أَصْطَفَى الْبَنَاتِ بفتح الهمزة الاستفهامية، والوصلية محذوفة، أي: اختار البنات عَلَى الْبَنِيْنَO مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَO حكما فاسدا أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَO أنه تعالى منزه عن الولد أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِيْنٌO دليل واضح من كتاب سماوي على دعوٰيكم فَأْتُوْا بِكِتَابِكُمْ فأروني إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم وَجَعَلُوْا بَيْنَهُ تعالى وَبَيْنَ الْجِنَّةِ أي: الملائكة المستورة عن أعين الناس نَسَبًا نسب الولادة وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ أي: الملائكة إِنَّهُمْ أي: الكفار، القائلين بالولادة لَمُحْضَرُوْنَO في عذاب النار سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُوْنَO نتزيه له تعالى عن كل ما لا يليق بجنابه من الولد والصاحبة والنسب إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَO استثناء منقطع؛ من المحضرين، أي: لكن المخلصين ناجون منها فَإِنَّكُمْ يا أهل مكة وَمَا تَعْبُدُوْنَO من الأصنام مَا أَنْتُمْ وهم جميعا عَلَيْهِ تعالى متعلق بفاتنين بِفَاتِنِيْنَO مضلين للناس بالإغواء إِلَّا مَنْ سبق في علمه أنه هُوَ صَالِ الْجَحِيْمِO أي: داخل النار العظيم، أي: لستم تضلون أحدا إلا من هو داخل في سبق علمه في الجحيم، قال جبرائيل عليه السلام، وقيل: النبي عليه السلام وَمَا مِنَّا من معشر الملائكة ملك أحد إِلَّا لَهُ مَقَامٌ في المعرفة والعبادة وامتثال أمر الله تعالى في تدبير العالم مَعْلُوْمٌO معيّن لا يتجاوزه، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّوْنَO أقدامنا في الخدمة وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُوْنَO المنزهون عما لا يليق بجنابه الأقدس وَإِنْ مخففة من مثقلة بقرينة اللام كَانُوْا لَيَقُوْلُوْنَO أي: كفار مكة قبل البعثة لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كتابا مِّن كتب نزلت على الْأَوَّلِيْنَO لَكُنَّا عِبَادَ [ص714] اللهِ الْمُخْلَصِيْنَO لا كذبنا ولا خلفنا كما كذبوا وخالفوا، فإذا أنزل القرآن المعجز بالفصاحة فَكَفَرُوْا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَO عاقبة كفرهم وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِيْنَO أي: قوله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيْ﴾[1]، أو قوله: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُوْرُوْنَO على الأعداء وَإِنَّ جُنْدَنَا أي: المؤمنين لَهُمُ الْغَالِبُوْنَO

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة المجادلة، الآية: 21.

على الكفار فَتَوَلَّ أعرض عَنْهُمْ حَتَّى حِيْنٍO تؤمر بقتالهم وَأَبْصِرْهُمْ إذا نزل لهم العذاب فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَO عاقبة كفرهم في غلبة أمرك عليهم أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُوْنَO حيث يقولون استهزاءا: متى نزول العذاب؟ فَإِذَا نَزَلَ العذاب بِسَاحَتِهِمْ بفنائهم فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِيْنَO إذ وقت الغارة هو الصباح وَتَوَلَّ أعرض عَنْهُمْ حَتَّى حِيْنٍO وَّأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُوْنَO تكرار لتكرار التسلية سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ إضافة؛ لاختصاص الرب بها عَمَّا يَصِفُوْنَO من الولد والشريك وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَO أجمل لما في التفصيل من التطويل وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَOع يختم به مجالس الحسن.

سورة صٓ مكية، ثمان وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

صٓ الله أعلم بمراده منه وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِO البيان، الواو للقسم، والجواب محذوف، أي: ليس الأمر كما يقول أهل مكة من تعدد الآلهة بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة فِيْ عِزَّةٍ تكبر وَّشِقَاقٍO وخلاف لله ورسوله كَمْ كثيرا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ أمم ماضية فَنَادَوْا حين نزول العذاب وَلَاتَ حِيْنَ مَنَاصٍO لا هي المشبهة بليس، زيدت تاء التأنيث للتأكيد، كما في ثمه وربه، وخصت بلزوم الأحيان، أي: ليس الحين حين فرار عن ما نزل بهم وَعَجِبُوْا من أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ من أنفسهم، أي: محمد صلى الله عليه وسلم ينذر بالنار وَقَالَ الْكَافِرُوْنَ هٰذَا [ص715] سَاحِرٌ كَذَّابٌO فيما جاء به من المعجزات والقرآن أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَّاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌO بليغ في العجب وَانْطَلَقَ الْمَلَاءُ مِنْهُمْ من صناديد القريش حين اجتمعوا عند أبي طالب، وسمعوا منه صلى الله عليه وسلم قوله: لا إله إلا الله قائلين بينهم: أَنِ امْشُوْا عن هذا المجلس وَاصْبِرُوْا واثبتوا عَلَى اٰلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا التوحيد منه لَشَيْءٌ يُّرَادُO بنا مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا التوحيد فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ أي: ملة عيسى عليه السلام إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌO أي: كذب، اختلقه محمد عليه السلام ءَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ على محمد صلى الله عليه وسلم الذِكْرُ القرآن مِن بَيْنِنَا مع استواء النسب والشرف بَلْ هُمْ فِيْ شَكٍ مِّنْ ذِكْرِيْ أي: القرآن حيث يكذبون لمن جاء به بَلْ لَّمَّا يَذُوْقُوْا عَذَابِO أي: لم يذوقوا عذابي بعده، فإذا أذاقوا تصدقوا النبي عليه السلام؛ ولما ينفعهم أَمْ عِنْدَهُمْ عند كفار قريش خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيْزِ الْوَهَّابِO من النبوة وغيرها، يعطون لمن يشاءون، ويمنعون عمن يشاءون أَمْ لَهُمْ مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فإن كان لهم فَلْيَرْتَقُوْا فليصعدوا فِي الْأَسْبَابِO في المعارج والطرق؛ التي يتوصل بها إلى السماء، فيعطوا النبوة لمن شاؤا، أو ليمنعوا عمن شاؤا، وهم جُنْدٌ مَّا حقير، ما زائدة للتقليل هُنَالِكَ

إشارة إلى مرتبة آثروها لأنفسهم، حيث كذبوا القرآن والرسول، واستحقوا لأنفسهم صلاح الرسالة مَهْزُوْمٌ صفة جند مِّنَ الأحزاب صفة جند، أي: جند مكسور معدود الْأَحْزَابِO الهالكة التي تحزبوا على رسل الله من قبل، فكما هلكوا هؤلاء؛ كذلك يهلك هؤلاء، وهم جند في بدر ومصارعهم مهزوم عن قريب عن جند الإسلام من جملة الأحزاب الخارجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب، ففيه أخبار [ص716] بالغيب، فمن أين لهم التصرفات الإلهية؟ فلا تبال بأقوالهم كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوْحٍ وتأنيث القوم باعتبار المعنى وَعَادٌ وَّفِرْعَوْنُ ذُوالْأَوْتَادِO أي: ذوالملك الثابت بالأوتاد، كما أن البيت يثبت بالأوتاد كذلك ملكه بالأمراء، أو أوتاد اللعب يلعب بين يديه بها وبالحبال، أو كان يتد للمغضوب أربعة، فيشد أطرافه الأربعة بالأوتاد الأربع، فيضرب أو يتركه حتّى يموت وَثَمُوْدُ وَقَوْمُ لُوْطٍ وَّأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ هم قوم شعيب أُولٰئِكَ الْأَحْزَابُO الذين يأول حال أهل مكة إلى حالهم في الهلاك إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ أي: ما أحد منهم إلا كذب كلا من الرسل لاشتراك الجميع في التوحيد أو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع، ففي إيضاح التكذيب بعد الإبهام تسجيل بأشد التعذيب فَحَقَّ وجب عِقَابِOع وَمَا يَنْظُرُ هٰٓؤُلَاءِ الكفار في مكة إِلَّا صَيْحَةً وَّاحِدَةً نفخة القيامة مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍO بالفتح والضم، مقدار توقف بين الحلبتين لينزل اللبن إلى الضرع أو رجوع، وتزداد، أي: ما لها انتظار وتكرار وَقَالُوْا استهزاءا حين نزل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1] رَبَّنَا عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا من الجنة أو النار، أو صحائف أعمالنا ننظر فيها قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِO إِصْبِرْ يا محمد! صلى الله عليه وسلم عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُوْدَ ذَا الْأَيْدِ ذا القوة في العبادة، يصوم يوما ويفطر يوما، وينام ثلث الليل، ويقوم الثلثين أو نصفه إِنَّهٗٓ أَوَّابٌO رجّاع إلى مرضياته تعالى إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد يُسَبِّحْنَ بجانبه بالتسبيح بِالْعَشِيِّ وقت صلاة العشاء وَالْإِشْرَاقِO وقت صلاة الضحى، أي: طرفي النهار وَالطَّيْرَ حال كونها مَحْشُوْرَةً مجموعة إليه من كل جانب كُلٌّ لَّهُ أي: كل من الجبال والطير لداؤد أو هما مع داؤد [ص717] لله تعالى أَوَّابٌO رجّاع إلى طاعته وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وقوّينا ملكه بالهيبة والنصرة والكثرة، يحرسه يوم عبادته ثلاث وثلاثون ألف رجل وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ النبوة وَفَصْلَ الْخِطَابِO أي: علم القضاء، أو هو البيان الشافي، أو الفارق بين الحق والباطل وَهَلْ أَتَاكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام نَبَاءُ تحاكم الْخَصْمِ استفهام؛ فيه معنى التعجب والتشويق، يطلق الخصم على الواحد والجمع، لأنه في الأصل مصدر إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَO أي: إذ تصعدوا على سور المسجد، لما منعوا عن الدخول بالباب، ونزلوا إليه إذا كان في العبادة إِذْ دَخَلُوْا عَلَى دَاوُوْدَ من فوق في غير يوم القضاء

---

1 – سورة الانشقاق، الآية: 7،8.

فَفَزِعَ مِنْهُمْ وهم كانوا ملائكة بصورة الإنسان قَالُوْا لَا تَخَفْ نحن خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ بالعدل وَلَا تُشْطِطْ ولا تجاوز عن الحق وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِO وسطه؛ وهو العدل إِنَّ هٰذَا أَخِيْ دينا أو خلطة أو صحبة لَهُ تِسْعٌ وَّتِسْعُوْنَ نَعْجَةً وَّلِيَ نَعْجَةٌ وَّاحِدَةٌ النعجة أنثى من الضأن، وقد يكني بها المرأة، وهذا تصوير للمسئلة، فيجوز أن يفرض للملائكة ما فرض فَقَالَ صاحب الكثير أَكْفِلْنِيْهَا ملّكنيها حتّى أكفلها مثل ما أكفل ما تحت يدي وَعَزَّنِيْ غلبني فِي الْخِطَابِO المخاطبة والمحاجة أو الخطبة قَالَ داؤد لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ متضمنة إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ جمع خليط، أي: الشركاء بالأموال لَيَبْغِيْ أي: ليتعدي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيْلٌ مَّا هُمْ ما زائدة للإيهام، فقال الملكان: قضي الرجل على نفسه؛ صاعدين في صورتهما إلى السماء، فتبيّنه داؤد، فإنه خطب مخطوبة [ص718] أو رياءا، أو استنزله عن زوجته كما بين الأنصار والمهاجرين، وما يرويه القصاص في حقه عليه السلام، فقال علي كرّم الله وجهه: جلدته مائة وستين جلدة، إن حدث أحد مثلهم، لأنه حد الفرية على الأنبياء وَظَنَّ دَاؤُوْدُ أي: تيقن أَنَّمَا فَتَنَّاهُ أوقعناه في الفتنة، وامتحناه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ لترك الأحوط وَخَرَّ رَاكِعًا سقط ساجدا وَّأَنَابَOالسجدة رجع إلى الله فَغَفَرْنَا لَهُ ذَالِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى قربة بعد المغفرة وَحُسْنَ مَاٰبٍO مرجع، أي: الجنة يَا دَاؤُوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً لنا، أو للأنبياء الذين كانوا قبله فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ بما أمرك الله وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى هوى النفس فَيُضِلَّكَ الهوى عَنْ سَبِيْلِ اللهِ طريق الحق إِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ بِمَا نَسُوْا مصدرية يَوْمَ الْحِسَابِOع وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا عبثا، لا حكمة فيه ذَالِكَ أي: خلق الباطل ظَنُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنَ النَّارِO قيل: ويل اسم لواد في جهنم، قال كفار مكة: نعطي في الآخرة ما يعطون، أي: المسلمون، فنزل: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِيْنَ كَالْفُجَّارِO لا يستوي بينهما الحكيم، هذا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوْآ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ ليتعظ أُولُوا الْأَلْبَابِO وَوَهَبْنَا لِدَاؤُوْدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ سليمان إِنَّهُ أَوَّابٌO رجّاع إلى الله إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ظرف للأواب بِالْعَشِيِّ بعد الظهر الصَّافِنَاتُ الصافن من الخيل؛ الذي يقوم على ثلاث قوائم، وقامت [ص719] الأخرى على طرف الحافر، وهي من الصفات المحمودة في الخيل الْجِيَادُO جمع جواد، يسرع في جريه فَقَالَ إِنِّيْ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيْ أي: آثرت حب المال، وهو الخيل على صلاة العصر حَتَّى تَوَارَتْ استترت، أي: الشمس، يدل عليه لفظ العشي بِالْحِجَابِO لما تحجبها عن الأبصار رُدُّوْهَا أيها الناس! الصافنات، وقيل: أيها الملائكة! الشمس، لأصلي العصر عَلَيَّ فَطَفِقَ فشرع، وأخذ يمسح مَسْحًا بالسيف بِالسُّوْقِ جمع ساق وَالْأَعْنَاقِO جمع عنق، أي:

ذبحها، وقطع أرجلها تقربا إلى الله؛ حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها كفارة، أو شكرا، فعوضه الله تعالى خيرا منها، وأسرع، وهي الريح؛ كيف يشاء، وقيل: مسح باليد سوقها وأعناقها إعجابا واستحسانا وَلَقَدْ فَتَنَّا ابتلينا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَO في الحديث: أنه قال: لأطوفن بالليلة على سبعين امرأة؛ تأتي كل واحدة بفارس، مجاهد في سبيل الله. ولم يقل إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة، جاءت بشق رجل، فجيئ به على كرسيه، فوضع في حجرة، فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا أجمعون. فالنساء الاستثناء فتنة، وشق رجل هو جسد ألقى الله على كرسيه، ثم رجع إلى الاستغفار عما نسي، وقيل: هوى امرأة قتل أباها، وكانت لا يرقأ دمعها، فأمر الشيطان فتمثل لها صورة أبيها، فأخذت تعبدها، فأخبره آصف، فكسر الصورة، وكانت له أم ولد اسمها أمينة، كان يعطيها الخاتمة؛ التي يحكم بها، إذا دخل الخلاء، فتمثل شيطان، اسمه صخر بصورة سليمان عليه السلام، وأخذ منها خاتمه وتختَّم، ونفذ حكمه إلا في نساء سليمان، وخرج سليمان في غير هيئته، وطلب [ص720] منها الخاتمة، فلم تعرف وطردته، وقذف الشيطان الخاتم في البحر بعد أربعين يوما؛ عدد ما عبدت الصورة في بيته، فابتلع الخاتم سمكة، فوقعت في يد سليمان، فشق بطنها، وأخرج الخاتم، فتختم، فخر ساجدا، وعاد الملك، فالجسد هو الصخر، إذ هو جسد لا روح فيه، إذ هو متمثل لسليمان عليه السلام، والخطيئته هو التغافل عن حال أهل بيته، لأن اتخاذ الصورة والتماثيل كان في شريعته جائزا ، وسجودها بغير علمه لا يضره، وقال صاحب المدارك: وما يروي من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن أباطيل اليهود قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِيْ وتقدمه إجابة الدعاء وَهَبْ لِيْ مُلْكًا لَّا يَنْبَغِيْ لا يكون لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيْ أي: سوائي، ليكون معجزة لي، فلا حسد فيه إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُO ما شاء، ولمن يشاء فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيْحَ إجابة للدعاء وتَجْرِيْ بِأَمْرِهِ رُخَآءً لينة، مطيعة له حَيْثُ أَصَابَO أراد وَالشَّيَاطِيْنَ كُلَّ بَنَّآءٍ لأبنية عجيبة وَّغَوَّاصٍO لإخراج اللؤلؤ والمرجان وَآخَرِيْنَ منهم مردة مُقَرَّنِيْنَ بعضهم مع بعض مشدودين فِي الْأَصْفَادِO القيود، ليكفوا عن الشر هٰذَا الذي أعطيناك من الملك والبسطة عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ بالإعطاء لمن تريد أَوْ أَمْسِكْ عن الإعطاء عمن تريد بِغَيْرِ حِسَابٍO عليك لتفويض الأمر إليك، أو المراد منهما التخليص والتقييد للمردة وَإِنَّ لَهُ لسليمان عِنْدَنَا لَزُلْفَى قربة في الآخرة وَحُسْنَ مَآبٍOع الجنة مع أن له في الدنيا الملك وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوْبَ بن عيص إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّيْ أي: دعا ربه بأني مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ بتعب وضر وَّعَذَابٍO أي: ألم، قيل: أعجب بكثرة المال، أو عدم إغاثته حين استغاثه المظلوم، أو مداهنته في أكل مواشيه مال الكافر، أو قنوطه من الرحمة نظرا إلى أعظم مرضه، أو ابتلى [ص721] بلا سبق زلة لرفع الدرجات، قيل له: أُرْكُضْ اضرب بِرِجْلِكَ أرض

الجابية، فضرب فنبعت له عين، وقيل: عينان، فقيل: هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَّشَرَابٌO تغتسل وتشرب، فغسل وشرب، فذهب عنه داء الباطن والظاهر وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ جمعناهم بعد أن فرقناهم، أو الهبة بالإحياء بعد الإماتة وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ حتّى كان له ضعف ما كان أولادا رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرٰى لِأُولِي الْأَلْبَابِO عظة للعقلاء، قيل: ذهبت زوجته، فأبطأت، فحرج صدره، فحلف إن برئ يضربها مائة ضربة، فحلل الله يمينه بضرب الحزمة دفعة، وبها مائة عود من الأذخر وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا أي: حزمة من الحشيش فَاضْرِبْ بِّهٖ زوجتك وَلَا تَحْنَثْ في الحلف على الضرب إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا فيما أصابه في نفسه وأهله وماله وولده نِعْمَ الْعَبْدُ أيوب إِنَّهُ أَوَّابٌO رجّاع إلى الله تعالى وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ أُولِي الْأَيْدِيْ وَالْأَبْصَارِO أهل القوة في الطاعة، والتفقه في الدين إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ أي: بخصلة خالصة، هي ذِكْرَى الدَّارِO دار الآخرة دائما لشرف جوار الله وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ المختارين الْأَخْيَارِO جمع خير بالتشديد أو التخفيف، كأموات جمع ميّت أو ميت وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيْلَ وَالْيَسَعَ بن أخطوب، نبي، استخلفه إلياس عليه السلام على بني إسرائيل، واستبناه، واللام زائدة على يسع وَذَا الْكِفْلِ اختلف في نبوته ولقبه، قيل: كفل مائة نبي، فرأوا إليه من القتل أو كفل عمل رجل صالح يصلي مائة صلاة كل يوم وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِO هٰذَا ذِكْرٌ أي: ما تقدم ذكر شرف لهم وَإِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ من الأنبياء وغيرهم لَحُسْنَ مَآبٍO مرجع في الآخرة جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً [ص722] حال من جنت، لأنها معرفة بسبب الإضافة إلى العدن لَّهُمُ الْأَبْوَابُO مُتَّكِئِيْنَ فِيْهَا يَدْعُوْنَ فِيْهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيْرَةٍ وَّشَرَابٍO حالان من ضمير لهم، أو يدعون استيناف وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عن غير أزواجهن على الأزواج أَتْرَابٌO مستويات الأعمار؛ وهي ثلاثة وثلاثين سنة، جمع ترب هٰذَا مَا تُوْعَدُوْنَ لِيَوْمِ الْحِسَابِO[الثلاثة] فإن الحساب علة نفوذ هذه النعم بالجزاء إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّفَادٍO انقطاع هٰذَا المذكور للمؤمنين وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرَّ مَابٍO جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا يدخلونها فَبِئْسَ الْمِهَادُO الفراش هٰذَا العذاب فَلْيَذُوْقُوْهُ حَمِيْمٌ ماء حار، قاطع للأمعاء وَغَسَّاقٌO ما يسيل من صديد أهل النار، هذا مبتداء، وحميم مع ما عطف عليه خبر، وفليذوقوه اعتراض وَعذاب آخَرُ مِنْ شَكْلِهٖ أي: مثل المذكور وهو الحميم والغساق أَزْوَاجٌO صفة لآخر، أي: أصناف وأضراب، ويقال لهم عند دخول الرؤساء مع الأتباع في النار: هٰذَا أي: الأتباع فَوْجٌ أي: جمع مُّقْتَحِمٌ داخل بالشدة مَعَكُمْ أيها الرؤساء النار، فيقول الرؤساء لَا مَرْحَبًا بِهِمْ أي: لا سعة عليهم إِنَّهُمْ أي: الأتباع صَالُوا النَّارِO أي: داخلوه مثلنا بأعمالهم القبيحة قَالُوْا أي: الأتباع للرؤساء بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوْهُ أي: العذاب لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُO المقر جهنم قَالُوْا أي: الأتباع أيضا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا العذاب فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا أي: مثلين من العذاب فِي النَّارِO وَقَالُوْا أي: كفار مكة؛ وهم في

النار مَا لَنَا لَا نَرَى فِي جهنم رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ في الدنيا مِنَ الْأَشْرَارِO من الأرازل، كعمار وصهيب وسلمان وبلال رضي الله عنهما من فقراء المسلمين أَتَّخَذْنَاهُمْ الهمزة للاستفهام [ص723] الإنكاري، أي: أنكروا على أنفسهم في الاستسخار منهم، وهمزة الفعل محذوف سِخْرِيًّا بكسر السين وضمها، والياء للنسبة أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُO أي: مالت أبصارنا عن رؤيتهم، أم عديل لاتخذنا، أي: أيّ الأمرين فعلنا بهم الاستخار منهم أم تحقير هم، فإن زيغ البصر كناية عن التحقير إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ واجب الوقوع تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِOع بدل عن حق قُلْ لكفار مكة إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَّمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُO لخلقه رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا أي: الجوّ الْعَزِيْزُ الغالب على من نازع الْغَفَّارُO لمن خاضع قُلْ هُوَ أي: التوحيد نَبَؤٌ خبر عَظِيْمٌO في النفع أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُوْنَO مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَاءِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُوْنَO في أمر آدم عليه السلام، أي: ما درست من الكتب المتقدمة وما سمعت عن أمة متقدمة فإخباري عن تفاؤل الملائكة في آدم لم يكن إلا بالوحي إِنْ يُّوْحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO وما أوحي إليّ إلا لأني أرسلت لأنذرهم بالإنذار الظاهر، أو ما أوحي إليّ إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أقصر إِذْ قَالَ رَبُّكَ بدل عن قوله إذ يختصمون لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّيْ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِيْنٍO فَإِذَا سَوَّيْتُهُ أتممت خلقه وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ الإضافة لتشريف آدم، والروح جسم لطيف سار في أقطار البدن، يحي به الإنسان فَقَعُوْا لَهُ فخروا له، أمر من وقع يقع سَاجِدِيْنَO سجود تحية بالإنحناء، أو بإلصاق الجبهة بالارض لله تعالى، أو للتحية فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُوْنَO إِلَّا إِبْلِيْسَ هو أبو الجن، كان فيهم بصورتهم، يعلمهم إِسْتَكْبَرَ تعظم عن السجود وَكَانَ صار مِنَ الْكَافِرِيْنَO بالاستكبار على أمر الله، أو كان في [ص724] علمه تعالى منهم قَالَ يَا إِبْلِيْسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ بلا واسطة، أو توليت خلقه. فيه تشريف لآدم على كل مخلوق. كذلك أَسْتَكْبَرْتَ من غير التعالي أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِيْنَO قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ هذا هو المانع عن السجود، وذلك لأنك خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَّخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍO قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من الجنة، أو من السماوات، أو من صحبة الملائكة، أو من صورتهم فَإِنَّكَ رَجِيْمٌO مطرود عن الرحمة وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيْ طردي عن الرحمة بدون العذاب إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِO يوم القيامة، وأما فيه فيقترن مع اللعنة العذاب قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِيْ أمهلني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَO أي: الناس قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَO المهملين إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِO الوقت المعين عند الله تعالى للنفخة الأولى، ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه قَالَ فَبِعِزَّتِكَ بسلطانك وقهرك لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَO إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَO أخلصهم الله لنفسه؛ إذ أخلصوا قلوبهم لله قَالَ فَالْحَقُّ أي: أنا الحق، أو الحق مني وَالْحَقَّ أَقُوْلُO وقيل: الأول اسم القسم، منصوب بحذف أداة القسم ولأملئن جهنم جوابه، وقوله الحق أقول جملة

اعتراضية بين القسم وجوابه لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ من جنسك وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِيْنَO قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ الرسالة مِنْ أَجْرٍ جُعْل وَّمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِيْنَO المتصنعين بما لست من أهله؛ كما زعمتم إِنْ هُوَ أي :القرآن إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِيْنَO عظة الثقلين وَلَتَعْلَمُنَّ يا كفار مكة نَبَأَهُ نبأ القرآن؛ مما فيه من وعد ووعيد بَعْدَ حِيْنٍO٤ بعد الموت، أو بعد قيام الساعة، أو بعد غلبة الإسلام.

سورة الزمر مكية، خمس وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص725] تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مبتداء مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ في سلطانه الْحَكِيْمِO في تدبيره، خبره إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ متعلق بالإنزال، أو متلبسا بالحق فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّيْنَO من الشرك والرياء والعجب أَلَا حرف تنبيه لِلّٰهِ الدِّيْنُ الْخَالِصُ هو مستحق الدين الخالص عن كل شوب لا غيره وَكفار مكة الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ هم الأصنام، قالوا في معذرة الاتخاذ: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوْنَا إِلَى اللهِ زُلْفَى قربى، مصدر بمعنى القرب إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ يوم القيامة بَيْنَهُمْ بين الكفار والمسلمين فِيْ مَا هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ من أمر الدين بإبقاء الكفار في جهنم، وإدخال المؤمنين في الجنة إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ في نسبة الولد إليه تعالى كَفَّارٌO في علمه تعالى، إنه يختار الكفر لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا كما قالوا لَّا اصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ أي: لاتخذ من الممكنات ما يشاء، إذ لا واجب غيره تعالى، والولد يشبه الوالد، والممكن لا يشبه الواجب، فلا يمكن أن يتخذ ولدا سُبْحَانَهُ تنزيها له أن يتخذ ولدا هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُO فالألوهية يقتضي الوحدة، وقهر الغير أن يكون مثله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ يلف اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ فيزيد الليل شتاءا وَيُكَوِّرُ يلف النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ فيزيد النهار صيفا وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فلا يتحركان إلا على مداراتهما كُلٌّ يَّجْرِيْ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ليوم القيامة أَلَا هُوَ الْعَزِيْزُ على الأعداء الْغَفَّارُO للأولياء خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ أي: آدم فأخرج ذريته من ظهره كالذر، قيل: خلق حواء منها ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا أي: من تلك النفس الواحدة، أي: من قُصَيْرَاها زَوْجَهَا حواء وَأَنْزَلَ قضي وقسم لَكُمْ مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ذكرا [ص726] وأنثى؛ من الإبل والبقر والضأن والمعز يَخْلُقُكُمْ فِيْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ نطفة علقة مضغة عظاما عارية عظاما مكسوة لحما حيوانا مستويا فِيْ ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ظلمة البطن والرحم والمشيمة والصلب ذَالِكُمْ اللهُ الذي هذه أفعاله رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُصْرَفُوْنَO عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام إِنْ تَكْفُرُوْا عن الإيمان به فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وإن خلق كفر الكافر،

فالكفر مراد لا مرضي له وَإِنْ تَشْكُرُوْا لله على نعمة الإيمان يَرْضَهُ لَكُمْ والضمير للشكر وَلَا تَزِرُ ولا تحمل نفس وَازِرَةٌ وِّزْرَ حمل نفس أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO فلا يخفي عليه خافية وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ شدة دَعَا رَبَّهُ مُنِيْبًا راجعا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ أعطاه نِعْمَةً مِّنْهُ من عنده نَسِيَ ترك مَا كَانَ يَدْعُوْا إِلَيْهِ أي: من يتضرع إليه وهو الله، والمراد الضر مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ للهِ أَنْدَادًا أمثالا، أي: الأصنام لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ عن دينه قُلْ يا محمد! تهديدا تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيْلًا بقية أجلك آخرا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِO والعاصي خير أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ مطيع آنَآءَ اللَّيْلِ ساعاته سَاجِدًاوَّقَآئِمًا في الصلاة يَحْذَرُ الْآخِرَةَ أي: عذابها وَيَرْجُوْا رَحْمَةَ رَبِّهِ أي: الجنة قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ أي: يعملون بالعلم وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ أي: لا يعملون به، أو على التشبيه، أي: لايستويان، كما لا يستوي القانت والعاصي إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِOع بأمثال هذه البينات قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوْا رَبَّكُمْ أطيعوه لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا بالطاعات [ص727] حَسَنَةٌ لهم في الآخرة الجزاء الحسن وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ فليحصل الإحسان حيث يتيسر إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ على الشدائد في الله أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍO لا يحيطه محاسب قُلْ إِنِّيْ أُمِرْتُ أَنْ أي: بأن أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّيْنَO من غير شرك ورياء وَأُمِرْتُ بالإخلاص لِأَنْ أَكُوْنَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِيْنَO سابقهم في الدارين من هذه الأمة، أو القريش، ولتغائر الجهة جاز العطف قُلْ إِنِّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ بترك الإخلاص عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO لعظمة ما فيه، قالوا له عليه السلام: ألا تنظر إلى آبائك وأجدادك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى، فنزلت ردا لهم: قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِيْنِيْO فَاعْبُدُوْا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُوْنِهِ أمر تهديد، قالوا: خسرت بترك دين آبائك، نزلت: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِيْنَ الكاملين في الخسران بجميع أسبابه الَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ بالضلال وَأَهْلِيْهِمْ بالإضلال يَوْمَ الْقِيَامَةِ يدخلون النار بدل الجنة أَلَا ذَالِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُO البين لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ أطباق منها وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ أطباق منها، أي: أحاطت بهم ذَالِكَ العذاب يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ ليجتنبوا عما نهوا يَا عِبَادِ فَاتَّقُوْنِO أي: عن سخطي وَالَّذِيْنَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوْتَ فعلوت من الطغيان بتقديم اللام على العين للمبالغة في المصدر، والمراد جمع من الشياطين أَنْ يَّعْبُدُوْهَا بدل اشتمال من الطاغوت وَأَنَابُوْآ وأقبلوا إِلَى اللهِ تماما لَهُمُ الْبُشْرَى الجنة فَبَشِّرْ عِبَادِO الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ ما فيه فلاحهم أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِO أَفَمَنْ حَقَّ وجب عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ هي ﴿لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾(1) أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ [ص728] تخرج مَنْ فِي النَّارِO

1 – جزء من الآية وتمامها: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة هود، الآية: 119.

فلست مالك أمرهم، إنما المالك هو الله، تقدير الكلام: أنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب، فأنت تنقذه، كررت الهمزة لتأكيد الإنكار ومن في النار، موضع الضمير، فالآية جملة واحدة، أو قوله: أفأنت تنقذ جملة مستأنفة، والتقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه، أفأنت تنقذه؟ أي: لا يقدر أحد أن ينقذ الضال لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بالطاعة لَهُمْ في الجنة غُرَفٌ كوى مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ للتفرج مَّبْنِيَّةٌ بناء الأرض تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا من تحت الغرف؛ الفوقانية والتحتانية الْأَنْهَارُ أ تنظروا وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيْعَادَO أي: الوعد أَلَمْ تَرَ تعلم أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مطرا فَسَلَكَهُ فأدخله أمكنة حال كونها يَنَابِيْعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَالِفًا أَلْوَانُهُ أنواعه، أو كيفياته من الحمرة والصفرة والخضرة ثُمَّ يَهِيْجُ ييبس فَتَرَاهُ بعد الخضرة مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا فتاتا إِنَّ فِيْ ذَالِكَ الإبداء والإعادة لَذِكْرَى تذكرة بوحدانيته تعالى لِأُولِى الْأَلْبَابِOع أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ وسَّع صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فإن الصدر محل القلب، المنبع للروح الحيواني، المتعلق للنفس القابل للإسلام فَهُوَ عَلَى نُوْرٍ مِّنْ رَّبِّهِ فهو على هدايته منه تعالى، كمن طبع على قلبه فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ الصلبة قُلُوْبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللهِ أُولٰئِكَ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO الآية نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ أي: القرآن كِتَابًا حال، أو بدل مُّتَشَابِهًا بعضه ببعض في الإعجاز وغير ذلك مَثَانِيَ صفة كتاب، جمع مثنى، وهو جملة ذات تفاصيل، فجاز وصف الواحد بالجمع، أي: ثني، وكرر فيه الوعد والوعيد وغيرهما تَقْشَعِرُّ تقبض مِنْهُ من الكتاب [ص729] عند ذكر وعيده تعالى، والراء زائدة للإلحاق بالرباعي، أصله قشع جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ بالقلوب رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِيْنُ ترخو جُلُوْدُهُمْ وَقُلُوْبُهُمْ مطمئنة إِلَى ذِكْرِ رحمة اللهِ عند ذكر وعده تعالى، أو تقشعر من ترهيبات الكتاب جلود الخاشعين ربهم، ثم تلين من ترغيباته، وقلبهم في الحالتين ذاهبة إلى ذكر الله بالرهبة والرغبة ذَالِكَ الكتاب هُدَى اللهِ يَهْدِيْ بِهِ مَنْ يَّشَاءُ من عباده وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍO أَفَمَنْ يَّتَّقِيْ بِوَجْهِهِ سُوْٓءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يجعل وجهه ترسا، بقي به سوء العذاب بكون الأيدي مغلولة، كمن آمن منه بدخول الجنة وَقِيْلَ لِلظَّالِمِيْنَ ذُوْقُوْا جزاء مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَO كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ رسلهم فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَO من جهته؛ لا شعور لهم بها فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ الذل فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالمسح والخسف والقتل والسبي والإجلاء وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لأن عامته بالإحراق والدوام لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَO علم النظر؛ لقاسوا الدائم بالزائل، إنه في أيّ مرتبة منه، فآمنوا قبل حلوله وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ يحتاج إليه في الدين لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَO يتّعظون قُرْآنًا حال من هذا، مؤكدة معتمدة على الصفة، كقولك: جاءني زيد رجلا صالحا، أو منصوب بالمدح عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ اختلاف وتناقض، ويلزم منه الاستقامة لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَO عما نهوا ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا للمشرك والموحد رَجُلًا بدل من مثلا فِيْهِ

متعلق بشركاء، أي: في ذلك الرجل شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُوْنَ مختلفون [ص730] وَرَجُلًا سَلَمًا خالصا لِّرَجُلٍ فالعبد المشترك كالمشرك، والعبد الخالص كالموحد هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا تمييز، أي: صفة وحالا، فالأول: متحير في أداء الحقوق للموالي المختلفة، والثاني: متمثل بالمولى الواحد الْحَمْدُ للهِ وحده بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO نعمة التوحيد فيشركون بالله. الكفار استبطأوا موته عليه السلام؛ نزلت: إِنَّكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مَيِّتٌ أي: ستموت وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُوْنَO فلا شماتة بالموت للاشتراك ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُوْنَOع في المظالم.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ بنسبة الولد، والشريك له تعالى وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ بالقرآن إِذْ جَاءَهُ فجأة من غير توقف، وتميز بين الحق والباطل أَلَيْسَ الله فِيْ جَهَنَّمَ مَثْوًى مأوًى لِّلْكَافِرِيْنَO وَالَّذِيْ جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أي: الرسل والمؤمنون، فكلمة الذي للجنس المتناول بقرينة قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَO لَهُمْ مَّا يَشَاءُوْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ في الجنة ذَالِكَ جَزَاؤُا الْمُحْسِنِيْنَO لأنفسهم بالإيمان لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَءَ الَّذِيْ عَمِلُوْا فتكفير السيء أولى، أو بمعنى السيء وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ بمعنى حسن الَّذِيْ كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ استفهام إنكاري لتقرير الكفاية، والعبد هو النبي صلى الله عليه وسلم وَيُخَوِّفُوْنَكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام بِالَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِ أي: بالأصنام من دون الله تعالى، حيث قالوا: نخاف أن تقتلك أو تخبلك آلهتنا وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍO وَمَنْ يَّهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيْزٍ غالب على نصرة المظلوم ذِي انْتِقَامٍO من الظالم وَلَئِنْ اللام توطية القسم سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ [ص731] وَالْأَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ تعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ لمرض وفقر وغير ذلك هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ عني؟ لا. أَوْ أَرَادَنِيْ الله بِرَحْمَةٍ صحة وغني وغير ذلك هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ عني؟ لا. تأنيث الكلمتين بعد قوله: يخوفونك بالذين للتهكم بهم، واللات والعزى ومنات مؤنث قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَO قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوْا عَلَى مَكَانَتِكُمْ حالتكم إِنِّيْ عَامِلٌ على حالتي فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَO مَنْ يَّأْتِيْهِ عَذَابٌ يُّخْزِيْهِ يفضحه؛ هو يوم بدر وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيْمٌO دائم، عذاب النار في الآخرة إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ لأجل أبشارهم وإنذارهم متلبسا بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا فنفع الهداية وضر الغواية ينصرف إلى النفس وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍOع فتجبرهم على الهدى اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ يقبضها عن التصرف في الأبدان بقطع التعلق ظاهرا وباطنا حِيْنَ مَوْتِهَا وَالَّتِيْ لَمْ تَمُتْ يتوفاها فِيْ مَنَامِهَا ظاهرا؛ لا باطنا فَيُمْسِكُ الأنفس الَّتِيْ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ عن التصرف فيها

وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى أي: النائمة ليتصرف في اليقظة فيها إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وقت موتها إِنَّ فِيْ ذَالِكَ التوفي والإمساك والإرسال لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO في قدرته فيوقنون البعث والحشر. عن ابن عباس رضي الله عنهما إن في بني آدم نفسا وروحا، فالنفس به يتميز الإنسان ويعقل، والروح بها التنفس والحياة، فيتوفيان عند الموت، ويتوفى الأنفس وحدها عند [ص732] النوم أَمِ اتَّخَذُوْا بل ء أتخذوا، والهمزة للإنكار، أي: قريش مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: الأصنام شُفَعَآءَ عندالله قُلْ أَ يشفعون وَلَوْ كَانُوْا لَا يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا من الشفاعة وَلَا يَعْقِلُوْنَO إنكم تعبدونهم قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيْعًا فلا شفاعة لأحد إلا بإذنه لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ لا بالإشرك اشْمَأَزَّتْ انقبضت، ونفرت قُلُوْبُ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖ تعالى، أي: الأصنام وحدها، أو بالإشراك إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَO يفرحون قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خالقهما عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ يوم القيامة بَيْنَ عِبَادِكَ فِيْ مَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَO من أمر الدين وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أنفسهم بالشرك مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا وَّمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهٖ من قبل أنفسهم مِنْ سُوْٓءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا ظهر لَهُمْ مِّنَ اللهِ مَا أنواع عذاب لَمْ يَكُوْنُوْا يَحْتَسِبُوْنَO أي: يظنون وَبَدَا ظهر لَهُمْ جزاء سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا وَحَاقَ بِهِمْ أحاط بهم جزاءا مَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِؤُوْنَO فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا لا آلهتهم ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ أعطيناه فضلا نِعْمَةً إنعاما مِّنَّا قَالَ الداعي إِنَّمَا أُوْتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ على علم كسب بسبب تحصيله، أو على علم أنه مستحق هذا الإنعام بَلْ هِيَ أي: النعمة فِتْنَةٌ امتحان له، أيشكر أم يكفر؟ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أي: الناس لَا يَعْلَمُوْنَO هذه الفتنة؛ ولا يتنبهون بها قَدْ قَالَهَا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ الضمير إلى كلمة إنما أوتيته على [ص733] علم، كقارون وقومه رضوا بهذا القول منه فَمَا أَغْنَي عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO من متاع الدنيا، أي: لم ينفعهم، ووقع ما أراد الله بهم عليهم فَأَصَابَهُمْ سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوْا أي: جزاءها وَالَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْ هٰٓؤُلَآءِ أي: قريش سَيُصِيْبُهُمْ سَيِّآتُ مَا كَسَبُوْا أي: جزاءه وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَO بفائتين عن عذابنا، فقحطوا سبعا، وقتل صناديدهم في بدر، ثم وسعوا أَوَلَمْ يَعْلَمُوْٓا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ لمن يشاء إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَOع بأن الحوادث كلها لله قُلْ يَا عِبَادِيَ أي: المؤمنين، فإن لفظ العباد إذا أضيف إليه تعالى يرادبهم المؤمنون، لأنه هو عرف القرآن الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بالجناية عليها بالإفراط لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ لا تيأسوا من رحمته وتفضله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ سوى الشرك جَمِيْعًا ولو بعد تعذيب إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ بستر عظائم الذنوب الرَّحِيْمُO بكشف فظائع الكروب وَأَنِيْبُوْا إِلَى رَبِّكُمْ توبوا إلى الله وَأَسْلِمُوْا لَهُ وأخلصوا له العمل مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَO بدفعه وَاتَّبِعُوْا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ أي: القرآن، أو المأمور به، أو الناسخ، أو العزائم لا مقابلتها، أو المراد ألّا نجي

من عذاب الله، وهو الإسراع في التوبة، واستدامة الطاعة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً فجأة وَّأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَO وقت حلوله. كراهة أَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يَّا حَسْرَتَى ندامتي عَلَى مَا فَرَّطْتُ قصرت فِيْ جَنْبِ اللهِ في جانبه وحقه وأمره [ص734] وَإِنْ مخففة كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِيْنَO المستهزئين بدينه تعالى وأهليه أَوْ تَقُوْلَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِيْ إلى التوحيد لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَO الشرك والمعاصي أَوْ تَقُوْلَ حِيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِيْ كَرَّةً رجعة إلى الدنيا فَأَكُوْنَ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَO في الاعتقاديات والعمليات، فيقول الله: بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِيْ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ عن الإيمان بها وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَO وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِيْنَ كَذَبُوْا عَلَى اللهِ بإثبات النقائص، مثل الشريك والولد والفقر وغير ذلك وُجُوْهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِيْ جَهَنَّمَ مَثْوًى مأوًى لِّلْمُتَكَبِّرِيْنَO عن الإيمان بالله وَيُنَجِّى اللهُ من جهنم الَّذِيْنَ اتَّقُوْا عن الشرك بِمَفَازَتِهِمْ بسبب فوزهم إلى الفلاح، أو بمكان فوزهم من الجنة لَا يَمَسُّهُمُ السُّوْءُ أي: النار وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO فلهم راحة الأشباح والأرواح أَللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ من الذوات والأعمال وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌO حفيظ لَهُ مَقَالِيْدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جمع مقليد، أو مقلاد، أو أقليد، معرب أكليد على خلاف قياس كمذاكير، وقيل: لا واحد لها، والأصل فارسية، بيده مفاتيحهما لا تصرف لغيره، وعن عثمان رضي الله عنه:((أَنَّ الْمَقَالِيدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ))[1] من قالها أصاب خزائن خيرهما وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَOع قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ أي: الأصنام، مفعول أعبد تَأْمُرُوْنِّيْ أن أَعْبُد أَيُّهَا الْجَاهِلُوْنَO بتوحيده تعالى وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ من الرسل لَئِنْ أَشْرَكْتَ فرضا، وأفراد الخطاب [ص735] باعتبار كل واحد لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَO اللام الأولى توطية للقسم المحذوف، والثانية لام الجواب، وهو ساد مسد الجوابين بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِيْنَO على نعمة التوحيد وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ما عظموه حق عظمته، إذا أشركوا به، ودعوك إليه وَالْأَرْضُ جَمِيعًا أي: سبعا، حال قَبْضَتُهُ مرة من القبض، والمراد المقدار المقبوض بالكف يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ مجموعات بِيَمِيْنِهِ بقدرته، وقيل: بقسمه تعالى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَO وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ في الكرة الأولى فَصَعِقَ خرَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ بالموت، أو بالغشي إِلَّا مَنْ شَآءَ اللهُ قيل: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: حملة العرش،

---

1 -أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي، (ت: 745هـ). البحر المحيط: (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ). 217/9.

وقيل: الحور والولدان والرضوان وملائكة النار ومالك ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ في الصور مرة أُخْرَى فَإِذَاهُمْ قِيَامٌ قائمون يَنْظُرُوْنَO ما يفعل بهم، وبين النفختين أربعون عاما، والآية تدل على النفختين: للموت والبعث، والجمهور على أنها ثلاثة: للفزع والموت والبعث وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُوْرِ رَبِّهَا بالعدل، أو بنور من غير جسم مضيئة وَوُضِعَ الْكِتَابُ صحائف الأعمال وَجِايْءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَداءِ للأمم، قيل: أمة محمد عليه السلام، فإنهم شهداء النبيين بالإبلاغ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ بالعدل وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO شيئا وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ جزاءا مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُوْنَOع فلا حاجة له إلى شاهد، وتفصيل التوفية هذا وَسِيْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِلَى جَهَنَّمَ بالعنف زُمَرًا جماعات متفرقة، بعضها متقدمة عن بعض على حسب الشرارة حَتَّى إِذَا جَاءُوْهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وهي [ص736] سبعة وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ تقريعا وتوبيخا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ من جنسكم يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوْا في جوابهم: بَلَى إثبات لما نفي، أي: قد جاءت وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ قوله: ﴿لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ﴾[1] عَلَى الْكَافِرِيْنَO قِيْلَ ادْخُلُوْا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ مقدرين الخلود فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِيْنَO جهنم وَسِيْقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ باللطف إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا جماعات على تفاوت مراتبهم في الخير حَتَّى إِذَا جَآءُوْهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا مكروه بعد ذلك طِبْتُمْ طهرتم عن أدناس المعاصي فَادْخُلُوْهَا خَالِدِيْنَO مقدرين الخلود، ودخلوا وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ صَدَقَنَا وَعْدَهُ بالبعث والثواب وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ أي: تملكنا المستقر من الجنة بوراثة الأعمال، أو ملكنا بالتصرف كتصرف المالك فيما يرث نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعٰمِلِيْنَO الجنة وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّيْنَ حال، أي: محلقين مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ من زائدة، أو ابتدائية يُسَبِّحُوْنَ متلبسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ التذاذا وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ بإدخال بعضهم في الجنة، وبعضهم في النار وَقِيْلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَOع الربع القائلون المؤمنون، أو الملائكة على قضائه تعالى.

سورة المؤمن مكية، وهي خمس وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مبتداء مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِO خبره غَافِرِ الذَّنْبِ ساتره وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيْدِ الْعِقَابِ مشدده ذِي الطَّوْلِ الفضل والغناء لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيْرُO المرجع

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة هود، الآية: 119.

[ص737] مَا يُجَادِلُ فِيْ آيَاتِ اللهِ بالطعن وإدحاض الحق لالاستنباط حقائقها إِلَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة فَلَا يَغْرُرْكَ يا محمد! تَقَلُّبُهُمْ بالسلامة والتجارات المربحة فِي الْبِلَادِO في بلاد الشام واليمن، وتمهيلهم عن الأخذ، فإن عاقبتهم النار كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوْحٍ نوحا وَّالْأَحْزَابُ كعاد وثمود مِنْ بَعْدِهِمْ رسلهم وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُوْلِهِمْ لِيَأْخُذُوْهُ بالقتل والتعذيب وَجَادَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ ليزيلوه، ويبطلوه به فَأَخَذْتُهُمْ بالإهلاك، جزاءا لما هموا فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِO وَكَذَالِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ أي: ((لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ))[1] عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِO بدل من كلمة ربك الَّذِيْنَ مبتداء يَحْمِلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ الكروبيون، عطف على الذين يُسَبِّحُوْنَ ملابسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ خبره وَيُؤْمِنُوْنَ بِهِ بوحدانيته وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا ويقولون: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَّعِلْمًا أي: وسع علمك ورحمتك كل شيء فَاغْفِرْ لِلَّذِيْنَ تَابُوْا من الشرك والمعاصي وَاتَّبَعُوْا سَبِيْلَكَ دينك وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِO واحفظهم عنه رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِيْ وَعَدْتَّهُمْ إدخالها وَوعدت مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَاءِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ بالتوحيد إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الغالب في الإيفاء الْحَكِيْمُO في الوعد وَقِهِم عذاب السَّيِّآتِ في القيامة وَمَنْ تَقِ السَّيِّآتِ أي: عذابها يَوْمَئِذٍ يوم القيامة فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَالِكَ أي: دفع العذاب، أو الوقاية هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOع إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا [ص738] يُنَادَوْنَ من قبل الملائكة؛ إذا مقتوا أنفسهم يوم القيامة لَمَقْتُ اللهِ عداوته أنفسكم، والمقت: أشد البغض أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ في الدنيا، متعلق بالمقت الأول إِلَى الْإِيْمَانِ فَتَكْفُرُوْنَO قَالُوْا أي: الكفرة رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ الإماتة: جعل الشيء عادم الحياة ابتداءا أو تصييرا، كالتصغير والتكبير، فخلق ميتا، ثم أحيفي البطن، ثم أمات بانقراض الأجل، ثم أحي في البعث، أو أمات بالأجل، ثم أحي في القبر، ثم أمات فيه، ثم أحي في الحشر فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوْبِنَا وفهمنا، اعترارنا بما فعلنا في الدنيا فَهَلْ إِلَى خُرُوْجٍ من النار مِنْ سَبِيْلٍO طريق، والجواب: لا. ذَالِكُمْ أي: العذاب الذي أنتم فيه بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وحدته وَإِنْ يُّشْرَكْ بِهِ يجعل شريك له تُؤْمِنُوْا تصدقوا به فَالْحُكْمُ بالتعذيب السرمدي يومئذ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيْرِO من أن يشرك به شيء هُوَ الَّذِيْ يُرِيْكُمْ آيَاتِهِ الدالة على التوحيد وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا مطرا؛ هو سبب الرزق وَمَا يَتَذَكَّرُ ما يتعظ إِلَّا مَنْ يُّنِيْبُO يرجع عن الشرك إلى التوحيد فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ فاعبدوه بدين لا يشوبه شرك وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَO إخلاصكم من الشرك رَفِيْعُ الدَّرَجَاتِ عظيم الصفات، أو رافع السماوات بعضها فوق بعض، أو درجات المؤمنين في الجنة ذُو الْعَرْشِ خالقه ومالكه يُلْقِى الرُّوْحَ

---

1 –جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة هود، الآية: 119.

جبرائيل، أو الوحي يحي به القلوب مِنْ أَمْرِهِ من قوله، أو من ملكه المبلغ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أشعار؛ بأن النبوة عطائية لِيُنْذِرَ ليخوف الملقي عليه الناس يَوْمَ التَّلَاقِO أي: يوم ملاقات الأرواح بالأجساد عند البعث، أو الملائكة السماء والأرض، أو الخصماء [ص739] يَوْمَهُمْ بَارِزُوْنَ خارجون من القبور لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم وأثار أفعالهم، يقول الله سبحانه بعد زوال الأسباب وارتفاع الوسائط: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ فيجيب بنفسه للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِO وإلا فحقيقة الحال ناطقة به دائما الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ بنقص الثواب، وزيادة العقاب إِنَّ اللهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِO لأنه لا يشغله حساب عن حساب، قالوا: ((يُحَاسَبُ جَمِيْعُ الْخَلَائِقِ فِيْ قَدْرِ نِصْفِ النَّهَارِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا)) الحديث ورد فيه[1]، وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ الأزوف: القرب، والمراد القيامة لقربها إِذِ الْقُلُوْبُ يرتفع بانتفاخ الرية عن الخوف لَدَى الْحَنَاجِرِ جمع حنجرة، أي: الحلقوم، فلا يخرج ولا ترويح كَاظِمِيْنَ أصحاب القلوب ممتلين بالغم مَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ حَمِيْمٍ محب وَّلَا شَفِيْعٍ يُّطَاعُO صفة كاشفة لا احترازية يَعْلَمُ الله خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ مسارقة النظر إلى غير المحرم وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُO أي: القلوب وَاللهُ يَقْضِيْ بِالْحَقِّ بالصدق وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ أي: الأصنام لَا يَقْضُوْنَ بِشَيْءٍ فيه تهكم، إذ الجماد لا يتصف بالقضاء وعدم القضاء، فكيف يقال لهم الشركاء؟ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُOع لأقوالهم وأفعالهم أَوَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ كَانُوْا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوْا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً هم ضمير فصل، يقع بين المعرفتين، وأشد منهم لا يدخل عليه اللام، فأجري مجري المعرفة وَاٰثَارًا فِي الْأَرْضِ مثل القلاع والمدائن الحصينة [740] فَأَخَذَهُمُ اللهُ أهلكهم بِذُنُوْبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن عذاب اللهِ مِنْ وَّاقٍO يمنعهم عنه ذَالِكَ الأخذ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَّأْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالدلائل الواضحة، والمعجزات الظاهرة فَكَفَرُوْا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ متمكن مما يريد غاية تمكن شَدِيْدُ الْعِقَابِO يعاقب بالنار وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍO برهان بيّن إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ كان وزيره وَقَارُوْنَ كان من أعوانه فَقَالُوْا موسى عليه السلام سَاحِرٌ كَذَّابٌO يفتري بالرسالة والألوهية فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ بالصدق مِنْ عِنْدِنَا قَالُوْا اقْتُلُوْا أَبْنَاءَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهُ هم بنو إسرائيل وَاسْتَحْيُوْا نِسَاءَهُمْ استبقوا نسواهم للخدمة وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِيْنَ إِلَّا فِيْ ضَلَالٍO أي: في ضياع وهلاك وَقَالَ فِرْعَوْنُ لملائه ذَرُوْنِيْ اتركوني أَقْتُلْ مُوْسَى وكانوا يكفونه عن قتله، قائلين: إنه ليس الذي تخافه، بل ساحر يأتي بالشعبدة وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ليمنعه مني إِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يُّبَدِّلَ دِيْنَكُمْ من عبادتكم إياي أَوْ أَنْ يُّظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَO فيفسد تجارتكم بالخراب، فيبدل دنياكم وَقَالَ مُوْسَلما سمع حديث القتل إِنِّيْ عُذْتُ بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عن إذعان الحق لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِOع وَقَالَ

1 – قد مرّ تخريجه.

رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ابن عمة فرعون؛ حربيل، والظاهر سمعان، وقيل: حبيب، وقيل: من متعلق بيكتم أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلًا أَنْ يَّقُوْلَ أي: لأن يقول رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَّكُ [ص741] كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ أي: ضرره، لا يحتاج إلى قتله وَإِنْ يَّكُ صَادِقًا يُّصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِيْ يَعِدُكُمْ ألبتة، لأنه القدر الأقل، وليس فيه نفي إصابة الكل، أو المراد منه عذاب الدنيا إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ في القول كَذَّابٌO مفتري يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِيْنَ غالبين فِي الْأَرْضِ أرض مصر فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ عذابه إِنْ جَآءَنَا بقتل أوليائه، فلا تتعرضوا لبأس الله بقتلهم، وإنما أدرج نفسه معهم اعتبارا للقرابة، وتتميما للنصح قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيْكُمْ أشير إليكم إِلَّا مَا أَرَى استصوبه، أي: قتله، لا ما تقولونه فرأيي صواب ورأيهم خطاء وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيْلَ الرَّشَادِO ما أعلمكم إلا طريق الصواب بتواطي القلب واللسان وَقَالَ الَّذِيْآمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِO مثل عذاب أيام الأمم الماضية، حيث نزل على كل حزب، حزب منهم في وقت كل ما شاء الله مِثْلَ جزاء دَأْبِ حال قَوْمِ نُوْحٍ وَّعَادٍ وَّثَمُوْدَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ كقوم لوط؛ أهل مؤتفكة، وأصحاب الأيكة وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِO وَيَا قَوْمِ إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِO ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة، أو بالويل والثبور يَوْمَ تُوَلُّوْنَ عن الموقف مُدْبِرِيْنَ منصرفين إلى النار مَا لَكُمْ مِّن عذاب اللهِ مِنْ عَاصِمٍ مانع وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍO قال حربيل: هو من آل فرعون، وفرعون موسى ويوسف عليهما السلام واحد وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوْسُفُ بن يعقوب، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب مِنْ قَبْلُ أي: قبل موسى عليه السلام بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِيْ شَكٍ [ص742] مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أي: مات قُلْتُمْ من غير برهانلَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُوْلًا فلن تزالوا كافرين، حيث ضموا تكذيب المستقبل إلى تكذيب الحال كَذَالِكَ مثل إضلالكم يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مشرك مُّرْتَابٌO شاك في الأدلة الَّذِيْنَ بدل من الموصول، أو مبتداء بحذف المضاف يُجَادِلُوْنَ فِيْ آيَاتِ اللهِ في معجزاته بِغَيْرِ سُلْطَانٍ برهان أَتَاهُمْ كَبُرَ خبر مبتداء، أي: عظم جدالهم مَقْتًا غضبا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا كَذَالِكَ مثل إضلالهم يَطْبَعُ يختم اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍO ولعموم الضلال زاد لفظ الكل وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِيْ صَرْحًا بناءا ظاهرا عاليا لَّعَلِّيْ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَO الطرق أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ طرقها فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوْسَى جواب الترجي المشبهة بالتمني وَإِنِّيْ لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا في دعوى الرسالة، من إله غيري؟ ليرصد بالبناء العالي أحوال النجوم الدالة على حوادث الأرض، فيري هل يدل على إرسال رسول من الله، وأما الوصول إلى السماء بالبناء، فغاية في الجهل والغباوة وَكَذَالِكَ أي: مثل ذلك التزيين والصد زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوْءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيْلِ سبيل الرشاد وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِيْ تَبَابٍOع خسار وهلاك وَقَالَ الَّذِيْ آمَنَ من

آل فرعون يَا قَوْمِ اتَّبِعُوْنِ أَهْدِكُمْ سَبِيْلَ الرَّشَادِO طريقا يوصل إلى المقصود يَا قَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ يسير بسرعة الزوال وَّإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِO لخلودها مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا عدلا منه تعالى وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُوْنَ [ص743] الْجَنَّةَ يُرْزَقُوْنَ فَيْهَا بِغَيْرِ حِسَابٍO بغير موازنة العمل فضلا، وفي الخير يزيد إلى سبع مائة وَيَا قَوْمِ مَالِيْ أَدْعُوْكُمْ إِلَى النَّجَاةِ عن النار وَتَدْعُوْنَنِيْ إِلَى النَّارِOالنصف أي: سببها، والدعاء كالهداية في التعدية بإلى واللام تَدْعُوْنَنِيْ لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ تعالى مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ والمراد نفي المعلوم وَأَنَا أَدْعُوْكُمْ إِلَى الْعَزِيْزِ الْغَفَّارِO المستجمع لصفات الألوهية لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُوْنَنِيْ إِلَيْهِ لأن أعبده لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ مستجابة فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ كلمة لا ردٌّ لما دعوا إليه، جرم فعل بمعنى حق، وفاعله إنما تدعونني إليه إلخ، أي: وجب عدم دعوة مستجابة، أو استجابة دعوة، وقيل: جرم بمعنى كسب، وفاعله مستكن فيه، أي: كسب ذلك الدعاء إليه، أن لا دعوة له، ولا ردَّ كما مر، وقيل: جرم فَعَلٌ بمعنى القطع، أي: لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام، أي: لا ينقطع البطلان في وقت، فينقلب حقا، فلا نافية للجنس وَأَنَّ مَرَدَّنَا رجوعنا إِلَى اللهِ بالموت وَأَنَّ الْمُسْرِفِيْنَ في الضلال هُمْ أَصْحَابُ النَّارِO فَسَتَذْكُرُوْنَ صدق مَا أَقُوْلُ لَكُمْ من النصح عند معاينة العذاب فمكروا، وأوعدوا على المخالفة، فقال: وَأُفَوِّضُ أَمْرِيْ إِلَى اللهِ ليعصمني عن كل مكر سيّء إِنَّ اللهَ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِO فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّآتِ مَا مَكَرُوْا به من القتل وَحَاقَ نزل بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوْءُ الْعَذَابِO الماء والنار في الدنيا والعقبى أَلنَّارُ يُعْرَضُوْنَ الكفرة بأرواحهم في أجواف طير سود عَلَيْهَا على النار، يقال عرض الإمام الأساري على السيف، أي: يحرقون غُدُوًّا وَّعَشِيًّا أي: ما دامت الدنيا وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يقال لملائكة العذاب: أَدْخِلُوْا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِO عذاب جهنم، وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر وَاذكر إِذْ [ص744] يَتَحَاجُّوْنَ فِي النَّارِ فَيَقُوْلُ الضُّعَفَاؤُ لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا للرؤساء إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا خدماءا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا دافعون عنا نَصِيْبًا قسطا وجزءا مِّنَ النَّارِO قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا إِنَّا كُلٌّ أي: كلنا، فالتنوين تنوين عوض فِيْهَا في النار إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِO وَقَالَ الَّذِيْنَ فِي النَّارِ حين اشتداد العذاب لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوْا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا قدر يوم مِّنَ الْعَذَابِO قَالُوْا بعد مدة طويلة أَوَلَمْ تَكُ القصة تَأْتِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا بَلَى قَالُوْا تهكما بهم فَادْعُوْا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِيْنَ إِلَّا فِيْ ضَلَالٍOع ضياع وانعدام إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالغلبة وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْأَشْهَادُO أي: في الدارين، جمع شاهد، أي: الملائكة يشهدون للأنبياء بالإبلاغ، والمؤمنين بالإيمان، والكافرين بالإنكار يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِيْنَ مَعْذِرَتُهُمْ إذا اعتذروا وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ البعد عن الرحمة وَلَهُمْ سُوْءُ الدَّارِO عذاب دار الآخرة وشدته وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْهُدَى التوراة والمعجزات وَأَوْرَثْنَا بَنِيْ إِسْرَاءِيْلَ من بعد

موسى والْكِتَابَO أي: التوراة والإنجيل والزبور، لأن الكتاب جنس هُدًى للهداية، أو هاديا وَّذِكْرٰى لِأُولِى الْأَلْبَابِO فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ بالنصر للأحباء، والإهلاك للأعداء حَقٌّ وَّاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ تدارك فرطاتك بترك الأولى، وبالاستغفار ليُستَنَّ بك، أو لذنب أمتك وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِO أي: دم على التسبيح والتحميد، أو الصلاة الخمس، [ص745] أو أول النهار وآخره، إذ الواجب كان بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا إِنَّ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْٓ آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ أي: حجة من الله إِنْ نافية فِيْ صُدُوْرِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ طمع أن يعلوا عليك، وينحصر الرياسة لهم مَّا هُمْ بِبَالِغِيْهِ أي: لا يصلون إلى مطمعهم فَاسْتَعِذْ من شر هم بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُO للأقوال والأفعال لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ابتداءا أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ عادة وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ أي: كفار مكة لَا يَعْلَمُوْنَO فهم كالأعمى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيْرُ أي: المنكر للبعث، والمقر وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أي: الصالح وَلَا زائدة الْمُسِيْءُ الطالح قَلِيْلًا مَّا تَتَذَكَّرُوْنَO أي: اتعاظكم قليل جدا إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّارَيْبَ فِيْهَا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَO به وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُوْنِيْ اعبدوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ أثيبكم إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دٰخِرِيْنَOع صاغرين، ذليلين اَللهُ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ بالراحة لبرودته وظلامه ليستريح به المشاعر وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا يبصر فيه، والإسناد مجازي إِنَّ اللهَ لَذُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَO لجهلهم بالمنعم، أو النعمة ذَالِكُمُ اللهُ الذي خلقهما رَبُّكُمْ هو خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى فكيف تُؤْفَكُوْنَO تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟ كَذٰلِكَ مثل إفكهم يُؤْفَكُ الَّذِيْنَ كَانُوْا بِآيَاتِ اللهِ بمعجزاته يَجْحَدُوْنَO ينكرون، فإن الإنكار من غير فكر إفك [ص746] اَللهُ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا مستقرا وَّالسَّمَاءَ بِنَاءً سقفا فوقكم وَّصَوَّرَكُمْ خلقكم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ متناسب الأعضاء، قيل: لم يخلق حيوان أحسن من صورة الإنسان وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أي: اللذائذ ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ تزايد خيره رَبُّ الْعَالَمِيْنَO وما سواه مربوب هُوَ الْحَيُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوْهُ فاعبدوه مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ من الشرك والرياء، قائلين: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَO قُلْ إِنِّيْ نُهِيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ تعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ الدالة على التوحيد مِنْ رَّبِّيْ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَO انقاد له، وأخلص له ديني هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ أي: أباكم آدم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا أراد الجنس ثُمَّ يبقيكم لِتَبْلُغُوْا أَشُدَّكُمْ من الثلاثين إلى الأربعين ثُمَّ يبقيكم لِتَكُوْنُوْا شُيُوْخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفّٰى مِنْ قَبْلُ قبل إدراك وقت الشيوخة، أو وقت بلوغ الأشد وَيفعل ذلك لِتَبْلُغُوْا أَجَلًا مُّسَمًّى وقت الموت وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO برهان التوحيد هُوَ الَّذِيْ يُحْيِي وَيُمِيْتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا أراده فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُOع أي: يوجد عقيب الإرادة؛ التي هي معنى القول

المذكور؛ من غير توقف على المدة والمادة أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْآيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُوْنَO كيف ينكبون عن تصديقها؟ في تكراره ثلاثة تأكيد الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِالْكِتَابِ بالقرآن وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا من الكتب فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَO جزاء تكذيبهم إِذِ الْأَغْلَالُ كائنة فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ عطف على الأغلال [ص747] يُسْحَبُوْنَO أي: يجرُّون بها فِي الْحَمِيْمِ أي: جهنم ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُوْنَO يملاؤن، كالوقود في التنور، والمقصود تنوع العذاب ثُمَّ قِيْلَ لَهُمْ توبيخا وتبكيتا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُوْنَO مِنْ دُوْنِ اللهِ أي: أين الأصنام والأوثان الذين تشركوهم بالله؟ قَالُوْا ضَلُّوْا غابوا عَنَّا عن عيوننا، وذلك قبل أن يقارنهم بهم في التوقيد، أو غاب نفعهم بهم بَلْ قالوا لَمْ نَكُنْ نَّدْعُوْا نعبد مِنْ قَبْلُ شَيْئًا أنكروا عبادتهم لعدم كونهم شيئا، يعتد به لفقد النفع كَذَالِكَ مثل إضلال هؤلاء المكذبين يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِيْنَO حتّى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم ذَالِكُمْ الإضلال بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أي: الشرك، وإنكار البعث وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُوْنَO تتوسعون في الفرح أُدْخُلُوْا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى مأوى الْمُتَكَبِّرِيْنَO فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ بهلاك الكفار حَقٌّ فَإِمَّا ما زائدة لتاكيد الشرط نُرِيَنَّكَ في حياتك بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ أي: القتل والأسر فذاك أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل تعذيبهم فَإِلَيْنَا يُرْجَعُوْنَO فنعذبهم أشد العذاب يوم القيامة وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا، وعن علي رضي الله عنه: أن الله بعث نبيا أسود فهوممن لم يذكر قصته في القرآن وَمَا كَانَ لِرَسُوْلٍ أَنْ يَّأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فمقترحكم لا يأتي به إلا أن يشاء الله فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ عذابه قُضِيَ بين الرسل ومكذّبيهم [ص748] بِالْحَقِّ بالإنجاء والتعذيب وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُوْنَOع المقترحون في الآيات اللهُ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوْا مِنْهَا كالإبل والفرس وَمِنْهَا تَأْكُلُوْنَO مثل البقر والغنم وَلَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ من الدر والنسل والوبر والصوف والجلود وَلِتَبْلُغُوْا عَلَيْهَا حَاجَةً فِيْ صُدُوْرِكُمْ من السفر وحمل الأثقال وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ في البر والبحر تُحْمَلُوْنَO وَيُرِيْكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ الدالة على التوحيد تُنْكِرُوْنَO أَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الهلاك والخراب كَانُوْا أَكْثَرَ مِنْهُمْ من كفار مكة وَأَشَدَّ قُوَّةً منهم وَآثَارًا منهم فِيْ الْأَرْضِ يدل عليه مصانعهم وقصورهم وآثار أقدامهم فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَOفَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوْا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ من العقائد الباطلة، مستحقرين، مستهزئين على ما عند الرسل وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِؤُوْنَO أي: نزل بهم جزاء الاستهزاء فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا شدة عذابنا عند الموت، أو بعده قَالُوْا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِيْنَO أي: الأصنام فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا لامتناع قبول الإيمان عند رؤية العذاب الأخروي سُنَّةَ اللهِ مصدر

منصوب لفعل مقدر من لفظه الَّتِيْ قَدْ خَلَتْ مضت فِيْ عِبَادِهِ أن لا ينفع إيمان البأس وَخَسِرَ هُنَالِكَ وقت رؤيتهم العذاب، استعير للزمان الْكَافِرُوْنَO ع حيث لا يقدرون على التدارك.

سورة حمٓ السجدة مكية، أربع وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه تَنْزِيْلٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO مبتداء [ص749] كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ بينت أحكامها، خبره قُرْآنًا حال من كتاب عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ متعلق بفصلت يَعْلَمُوْنَO العربية بَشِيْرًا لمن آمن وَّنَذِيْرًا لمن كفر فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَO سماع قبول وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ جمع كنان، أي: أغطية مِّمَّا تَدْعُوْنَا إِلَيْهِ من التوحيد وَفِيْآذَانِنَا وَقْرٌ ثقل، صمم وَّمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ خلاف في العقائد فَاعْمَلْ على ما جئت به إِنَّنَا عَامِلُوْنَO الثلاثة على ما عندنا، فلا تعارض في البين قُلْ يا محمد!عليك الصلاة والسلام إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَّاحِدٌ فَاسْتَقِيْمُوْا إِلَيْهِ بالتوحيد وَاسْتَغْفِرُوْهُ عما صدر عنكم من الشرك وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِيْنَO لانحرافهم عن جادة التوحيد من الجهل الَّذِيْنَ لَا يُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ تاكيد كٰفِرُوْنَO إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍO ع لا يثقل به عليهم، أو غير مقطوع. قيل: نزل في المرضى والهرمى والزمنى؛ إذا عجزوا عن الطاعة، لهم أجر الأصحاء المطيعين قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُوْنَ بِالَّذِيْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ مقدار يَوْمَيْنِ تعليما للإناءة، أو الأحد والاثنين وَتَجْعَلُوْنَ لَهُ أَنْدَادًا شركاءا ذَالِكَ الذي خلقها في يومين رَبُّ الْعَالَمِيْنَO خلق الممكنات بأسرها وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت مِنْ فَوْقِهَا ليظهر منافعها للطلاب وَبَارَكَ فِيْهَا بكثرة الحيوانات والنباتات وَقَدَّرَ فِيْهَا أَقْوَاتَهَا أقوات أهلها، خص لكل نوع من الحيوان والنبات قوتا يصلحه فِيْ تمام أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أي: الثلاثاء والأربعاء استوت سَوَاءً لا يزيد ولا ينقص لِلسَّائِلِيْنَO عن القوت، أو مدة خلق الأرض وما فيها ثُمَّ اسْتَوَى قصد [ص750] إِلَى السَّمَاءِ ثم لبيان التفاوت، لا التراخي في المدة، لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[1] وَهِيَ دُخَانٌ ظلماني مادة، وقيل: بخار البحر ارتفعت فَقَالَ لَهَا للسماء وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا إلى مرادي منكما بإظهار ما استودعت فيكما من التأثير والتأثر طَوْعًا طائعين أَوْ كَرْهًا مكرهين، أي: وجوب وقوع المراد بإظهار كمال القدرة قَالَتَا أَتَيْنَا أي: حصلنا بما فينا من الأوضاع المختلفة، والكائنات المتنوعة طَائِعِيْنَO

1 – سورة النازعات، الآية: 30.

منقادين بالذات، ومثل هذا بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُوْنَ﴾[1] فَقَضَاهُنَّ الضمير إلى جنس السماء، أو مبهم مفسر، أي: فخلقهن بالإبداع سَبْعَ سَمَاوَاتٍ حال، أو تميز فِيْ مدة يَوْمَيْنِ الخميس والجمعة على ما قيل، وفي آخر ساعة الجمعة فرغ، وخلق آدم، وتقوم الساعة فيها وَأَوْحَى ألهم فِيْ كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا شأنها لأهلها وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا القربى بالنسبة إلى الأرض بِمَصَابِيْحَ بنجوم وَحِفْظًا مفعول مطلق، أو مفعول له، أي: حفظناها عن استراق الشياطين السمع بالشهب حفظا، أو زينا للحفظ عنه، والكواكب كلها كأنها تتلالاء على السماء الدنيا، وإلا فالثوابت في الثامن، والسيارات في السبع ذَالِكَ المذكور من خلق السماء والأرض والنجوم والجبال تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الغالب على تقديرهما الْعَلِيْمِO بما فيهما من التأثيرات والتأثرات فَإِنْ أَعْرَضُوْا أي: كفار مكة بعد هذا البيان عن الإيمان به تعالى بالتوحيد فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ خوّفتكم صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُوْدَO عذابا شديدا لوقوع كالصاعقة مثل عذاب نزل بهم بالشدة إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ مقلبين عليهم ومدبرين عنهم، أي: أحاطوا بهم من جميع الجوانب؛ متفقين بكلمة التوحيد، وما يروي منهم إلا الإعراض، أو هود وصالح حاضرَين بين أيديهم، وأخبرا عمن كانوا قبل مثل نوح، وأنذرا [ص751] بعذاب الآخرة أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللهَ أن مفسرة بمعنى أي، أو مخففة. أصله بأنه قَالُوْا للأنبياء ولَوْ شَاءَ رَبُّنَا إرسال الرسل لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ على زعمكم كَافِرُوْنَO وأنتم بشر مثلنا فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوْا تعظموا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بغير استحقاق وَقَالُوْا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً غرورا، وكان أحد يقلع الصخرة بيده، ويطرحها حيث يشاء أَوَلَمْ يَرَوْا يعلموا أَنَّ اللهَ الَّذِيْ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنهُمْ قُوَّةً فإنه قادر على ما لا يقدر عليه غيره وَكَانُوْا بِاٰيٰتِنَا أي: المعجزات يَجْحَدُوْنَO ينكرون فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا صَرْصَرًا باردة، أو كثير الصوت بلا مطر فِيْ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ مشؤمات عليهم، كانت في الأربعاء الأخير من شوال إلى الأربعاء، وما عذب قوم إلا في الأربعاء لِنُذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ الذل فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَايُنْصَرُوْنَO بدفع العذاب عنهم وَأَمَّا ثَمُوْدُ فَهَدَيْنَاهُمْ فبيناهم طريق الهدى فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى الضلالة عَلَى الْهُدَى فاختاروا الكفر على الإيمان فَأَخَذَتْهُمْ صٰعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُوْنِ المبالغ في الإهانة، أي: أهلكتهم شدة وقوع العذاب المهين بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO من الضلالة وَنَجَّيْنَا من الصاعقة الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَOع الله وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ كلهم إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَO يساقون جمعا، يحبس أولهم على آخرهم، والوزع: المنع والكف حَتَّى إِذَا مَا ما زائدة جَاءُوْهَا أي: النار شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُوْدُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO وَقَالُوْا لِجُلُوْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا [ص752] أوّل مرّة؛ لما يعظم عليهم شهادتها قَالُوْا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِيْ أَنْطَقَ كلَّ شَيْءٍ بالنطق الحالي

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ سورة يس، الآية: 82.

أو المقالي وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ من تتمة كلام الجلود، أو استيناف من كلام الله وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO عند الموت، فيقدر على الإعادة للجزاء وَمَا نافية كُنْتُمْ تَسْتَتِرُوْنَ أَنْ يَّشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ أي: سترتم عن الناس ارتكابكم الفواحش بالحيطان والحجب، وما سترتم عن أعضاءكم، وما ظننتم أنها يشهدون على أعمالكم القبيحة وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيْرًا مِّمَّا تَعْمَلُوْنَO فلذلك اجترأتم على الفواحش وَذَالِكُمْ مبتداء ظَنُّكُمْ بدل عن ذلكم الَّذِيْ ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ صفة الظن أَرْدَاكُمْ أهلككم، خبر المبتداء، أو ظنكم خبر أول، وأردى كم خبر ثان فَأَصْبَحْتُمْ فصرتم مِّنْ الْخَاسِرِيْنَO فَإِنْ يَّصْبِرُوْا على العذاب فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ لا خلاص عنها وَإِنْ يَّسْتَعْتِبُوْا يطلبوا العتبي، أي: الرضى بعد الإساءة فَمَا هُمْ مِّنَ الْمُعْتَبِيْنَO المرضيين، أو أن يسألوا الرجوع إلى ما يحبون، لم يحابوا وَقَيَّضْنَا قدرنا لَهُمْ للكفرة قُرَنَاءَ أخدانا من الشياطين فَزَيَّنُوْا لَهُمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ من أمر الدنيا، واتباع الشهوات وَمَا خَلْفَهُمْ من أمر الآخرة، بقولهم: لابعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وَحَقَّ وجب عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بالعذاب فِيْ جملة أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ قبل أهل مكة مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وقد عملوا مثلهم إِنَّهُمْ كَانُوْا خَاسِرِيْنَOع وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة لَا تَسْمَعُوْا لِهٰذَا الْقُرْآنِ عند قرأة النبي عليه السلام وَالْغَوْا فِيْهِ إيتوا بالخرافات، مثل الصياح والمشاجرة والمعارضة لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَO فيسكت عن قرأة القرآن فَلَنُذِيْقَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَذَابًا [ص753] شَدِيْدًا وَّلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِيْ كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أي: لنجزينهم أسوء العقوبات على أسوء أعمالهم، وهو الكفر ذَالِكَ العذاب الشديد، وأسوء الجزاء جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ عطف بيان لخبر ذلك لَهُمْ فِيْهَا في النار دَارُ الْخُلْدِ أي: النار دار الإقامة لهم، كقولك: في هذه الدار دار السرور، وتريد عينها جَزَاءً منصوب على المصدرية بِمَا كَانُوْا بِآيَاتِنَا أي: القرآن يَجْحَدُوْنَO ينكرون وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بعد دخول النار رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُوْنَا مِنَ الْأَسْفَلِيْنَO المدسوسين إذلالا وانتقاما، والمشددين العذاب بالنسبة إلينا إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللهُ أي: وحدوه ثُمَّ اسْتَقَامُوْا على العمل بمقتضي التوحيد تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عند الموت أَلَّا تَخَافُوْا أي: بأن لا تخافوا من الموت، وما بعده وَلَا تَحْزَنُوْا على الخلاف من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيهم وَأَبْشِرُوْا بِالْجَنَّةِ الَّتِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَO في الدنيا على لسان الرسل؛ لا كوعد الشياطين أولياءهم الكفرة، يحملهم على الشر في الدنيا، ويهملهم في الآخرة نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالحمل على الخير وَفِي الْآخِرَةِ بالشفاعة والنجاة وَلَكُمْ فِيْهَا في الجنة مَا تَشْتَهِيْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيْهَا مَا تَدَّعُوْنَO تطلبون نُزُلًا رزقا مهيئا لضيفان الجنة مِنْ غَفُوْرٍ رَّحِيْمٍOع نزل في النبي عليه السلام أو العلماء، وقيل: في المؤذنين المحتبسين وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ بالتوحيد وَعَمِلَ صَالِحًا خالصا وَّقَالَ إِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَO تفاخرا وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا الزائدة

السَّيِّئَةُ [ص754] في الجزاء، وحسن العاقبة إِدْفَعْ السيئة بِالَّتِيْ أي: بالخصلة التي هِيَ أَحْسَنُ أي: الزائد مطلقا، أو من بين الحسنات فَإِذَا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ قريب حَمِيْمٌO شقيق، الذي مبتداء، وكأنه خبره، أي: قابل الخصائل المذمومة بالمحمودة، وتكاف السيئة بالحسنة كالجهل بالعلم، والغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، والإحسان بعد العفو لمن أساء، والمدح بعد السكوت لمن يذم، تجد العدوّ كأنه ولي حميم وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وما يؤتي هذه الخصائل الحميدة إلا الذين حبسوا أنفسهم عن الانتقام وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍO نصيب وافر في الآخرة وَإِمَّا بإدغام نون؛ أن الشرطية في ميم، ما الزائدة يَنْزَغَنَّكَ يصرفنك عن الخصلة الحميدة مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ صارف من باب جَدَّ جدُّه فَاسْتَعِذْ بِاللهِ من شره، جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، يدفعه الله عنك إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ بالأقوال الْعَلِيْمُO بالأحوال وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوْا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ لأن المخلوقات لا يستحقه وَاسْجُدُوْا خالصا لِلّٰهِ الَّذِيْ خَلَقَهُنَّ أي: الأربع إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَO فهو أخص العبادات لا يستحقه إلا الله فَإِنِ اسْتَكْبَرُوْا عن سجود الله فَالَّذِيْنَ عِنْدَ رَبِّكَ أي: الملائكة يُسَبِّحُوْنَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُوْنَO[السجدة] لا يملُّون عن عبادته وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً يابسة؛ لا نبات فيها فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ تحركت وَرَبَتْ وانتفخت إِنَّ الَّذِيْ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتىَ أفلا تقاسون عليه لتعرفوا بالبعث؟ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO إِنَّ الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ يميلون فِيْآيَاتِنَا بالتكذيب والتحريف والطعن والتأويل لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا كيف ولا يخفى عليه خافية، فيجازيهم طبق إلحادهم أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ [ص755] أَمْ مَّنْ يَّأْتِيْآمِنًا يَّوْمَ الْقِيَامَةِ إِعْمَلُوْا مَا شِئْتُمْ تهديد شديد إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالذِّكْرِ بالقرآن لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيْزٌO منيع لَّا يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ التحريف والتناقض مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ من جهة من الجهات، أو لا يكذبه كتاب قبله وبعده تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ متقن أفعاله حَمِيْدٍO محمود في جميع فعاله مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيْلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فيه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لمن آمن وَذُوْ عِقَابٍ أَلِيْمٍO لمن كفر وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا كما طلبوا لَقَالُوْا في المعذرة عن امتثاله لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أي: بينت بلسان نفقهه ءَ كلام أَعْجَمِيٌّ وَّمخاطب أو رسول عَرَبِيٌّ استفهام إنكار قُلْ هُوَ أي: القرآن لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا هُدًى إرشاد الحق وَشِفَاءٌ لما في الصدور من الجهل والشك وَالَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ هو فِيْ آذَانِهِمْ وَقْرٌ ثقل؛ لا يسمعونه سماع قبول وَّهُوَ أي: القرآن عَلَيْهِمْ عَمًى أفلا يرون ما يرشده؟ أُولٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍO[ع] مثلهم مثل الذي يناديه مناد من مكان بعيد؛ فلا يسمع لبعده وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيْهِ تصديقا وتكذيبا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ فصول الخصومة في القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ في الدنيا وَإِنَّهُمْ لَفِيْ

شَكٍّ مِّنْهُ من كتاب الله مُرِيْبٍO موقع الريبة مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ نفعه يعود إلى نفسه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا فضررها يعود إلى نفسه وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِO الظلم مسلوب عنه بطريق المبالغة، أو المبالغة بالنظر إلى كثرة العبيد.

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ [ص756] أي: لا يعلمها غيره وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا جمع كم؛ بالكسر، أي: أوعيتها وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيْهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِيْ بزعمكم قَالُوْا آذَنَّاكَ أعلمناك الآن مَا مِنَّا مِنْ شَهِيْدٍO يشهد بالشركة، إذ بالمعاينة زالت الشبهة وَضَلَّ وغاب عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَدْعُوْنَ يعبدون مِنْ قَبْلُ هذا العيان وَظَنُّوْا أيقنوا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيْصٍO مهرب من العذاب لَا يَسْئَمُ الْإِنْسَانُ لا يمل الكافر مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ الصحة والغنى وَإِنْ مَّسَّهُ الشَّرُّ المرض والفقر فَيَئُوْسٌ قَنُوْطٌO من فضل الله كما هو شأن الكافر وَلَئِنْ لام قسم أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ أي: فرجا بعد شدة لَيَقُوْلَنَّ هٰذَا لِيْ بعملي واستحقاقي ولا يزول عني وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَّلَئِنْ لام قسم رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّيْ فرضا إِنَّ لِيْ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى قاس الآخرة على الدنيا، وادعى الاستحقاق، وما به لا يزول فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فلنجزينهم بِمَا عَمِلُوْا أي: بحقيقة ما عملوا؛ لينكشف عكس ما اعتقدوا وَلَنُذِيْقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍO شديد وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ عن الشكر وَنَأَى تباعد وانحرف بِجَانِبِهِ بنفسه تكبرا وتبخترا، ومكان الشيء وجهته وجانبه ينزل منزلة نفس الشيء وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ الضرر والفقر فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيْضٍO كثير، وكل عريض ينبغي أن يطول ولا عكس قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ كَانَ القرآن مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِيْ شِقَاقٍ بَعِيْدٍO أي: لا أحد أضل منكم، فأوقع من هو إلخ موقع الضمير المخاطبين لبيان حالهم إنهم في خلاف بعيد عن الحق سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا الدالة على كمال القدرة فِيْ الْآفَاقِ في أقطار السماوات والأرض على ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم [ص757] من نزول الحوادث وفتح الأماكن، أو عجائب الملك وَفِيْ أَنْفُسِهِمْ من فتح مكة، أو عجائب بدن الإنسان حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ الضمير للقرآن، أو الرسول، أو التوحيد، أو الله تعالى أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ الباء زائدة في الفاعل، والمفعول محذوف أَنَّهُ عَلَى كلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌO بدل منه، فشأنه أن يحقق كل ما أخبرت به أَلَا إِنَّهُمْ فِيْ مِرْيَةٍ شك مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ لإنكارهم البعث أَلَا إِنَّهُ بِكلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطٌOع علما وقدرة فيجازيهم بما {عملوا}[1].

1 – في ج فعلوا بدل عملوا.

سورة الشورى مكية، وهي ثلاث وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO عٓسٓقٓO الله أعلم بمراده منه، آيتان، ولذا فصلتا بخلاف كٓهٰيٰعٓصٓ كَذَالِكَ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني يُوْحِيٓ إِلَيْكَ في غيرها من السور وَإِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ من الرسل اللهُ فاعل يوحي الْعَزِيْزُ الغالب في ملكه الْحَكِيْمُO بما يقتضي مشيته لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ عبيدا وخلقا وملكا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيْمُO تَكَادُ تقرب السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ يتشققن مِنْ فَوْقِهِنَّ من جهتهن الفوقانية من عظمته تعالى، أو من نسبة الولد إليه تعالى، فمن التحت إلى الفوق مبالغة وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُوْنَ ملابسين بِحَمْدِ رَبِّهِمْ لما يرون من عظمته وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ من المؤمنين بالشفاعة، وإن أريد بالاستغفار السعي فيما يدفع الخلل ليصل كلٌّ إلى ما جُبِلَ عليه، يعم الكافر، بل مطلق الحيوانات والجمادات أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُO لمن استغفر له وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ أي: الأصنام اللهُ حَفِيْظٌ رقيب عَلَيْهِمْ لا يخفى عليه خافية من أعمالهم وأحوالهم، فنجازيهم على حسبها وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍO بتحصيل التوحيد إذ ما عليك إلا البلاغ وَكَذَالِكَ [ص758] مثل ذلك الإيحاء لمن قبلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنْذِرَ تخوف أُمَّ الْقُرَى أي: مكة وَمَنْ حَوْلَهَا سائر الناس وَتُنْذِرَ الناس يَوْمَ الْجَمْعِ أي: يوم يجمع فيه الأشباح والأرواح والعمال والأعمال لَا رَيْبَ فِيْهِ معترضة فَرِيْقٌ منهم فِي الْجَنَّةِ بعد جمعهم في الموقف وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِO في النار وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً على دين واحد: هو الإسلام وَلٰكِنْ يُّدْخِلُ مَنْ يَّشَاءُ فِيْ رَحْمَتِهِ أي: الإسلام وَالظَّالِمُوْنَ مَا لَهُمْ مِّنْ وَّلِيٍّ قريب وَّلَا نَصِيْرٍO يدفع عنهم العذاب أَمِ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ الأصنام، منقطعة بمعنى بل؛ للانتقال، وهمزة الإنكار، وإن أرادوا وليا بحق فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ الناصر وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOع وَمَا اخْتَلَفْتُمْ مع الكفار فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ من الأحكام فَحُكْمُهُ مردود إِلَى اللهِ يوم القيامة يفصل كما يشاء ذَالِكُمُ اللهُ رَبِّيْ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ في جميع الأمور وَإِلَيْهِ أُنِيْبُO أرجع فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ جنسكم أَزْوَاجًا أو خلق حوَّاء من ضلع الأيسر لآدم وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا أي: من جنسها، أو أصنافا؛ ذكورا وإناثا يَذْرَؤُكُمْ يكثر خلقكم، وفي الخطاب تغليب ذوي العقول على غيره فِيْهِ في هذا الجعل والتدبير بالأزواج لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الكاف أو كلمة مثل زائدة، أو المراد بالمثل الذات، كقولك: مثلك لا ينحل مبالغة وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُO لَهُ مَقَالِيْدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مفاتيحهما يَبْسُطُ الرِّزْقَ بالأمطار والأنبات لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ويضيقه إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO شَرَعَ [ص759] بيَّن لَكُمْ مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى أمر بِهِ نُوْحًا

هو أول أنبياء الشريعة وَالَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أَنْ أَقِيْمُوا الدِّيْنَ التوحيد والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر وسائر المتفقات؛ لا الشرائع، فإنها مختلفة، وهو بدل عن المشروع وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ فيما وصى به نوحا وإبراهيم وأوحى إلى محمد عليه الصلاة والسلام وهو التوحيد وسائر المعتقدات كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ من التوحيد اللهُ يَجْتَبِيْ يجتلب إِلَيْهِ إلى التوحيد مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِيْ إِلَيْهِ مَنْ يُّنِيْبُO يقبل على الطاعة وَمَا تَفَرَّقُوْا أي: أهل الأديان إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بحقيقة التوحيد بَغْيًا عنادا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ بالإمهال في {الجزاء}[1] إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى الموت أو القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالفعل حين افترقوا وَإِنَّ الَّذِيْنَ أُوْرِثُوْا الْكِتَابَ هم أهل كتاب زمان محمد صلى الله عليه وسلم، أو مشركي زمانه مِنْ بَعْدِهِمْ بعد أهل الكتاب المتقدمين لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ من كتابهم، أو من محمد، أو ما جاء به مُرِيْبٍO مقلق، موقع في الريبة فَلِذَلِكَ التوحيد فَادْعُ يا محمد الناس وَاسْتَقِمْ على الدعوة إلى التوحيد كَمَا أُمِرْتَ أو لأجل ذلك التفرق ادع إلى الاتفاق، واستقم عليها وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ الباطلة وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ عليَّ وعلى الذين من قبلي وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ من العلم والعمل اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ فكل مربوبة لَنَا أَعْمَالُنَا في المجازات وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ في المجازات لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكمْ لا خصومة بيننا وبينكم إذ تبين الرشد من الغي، ولم يبق للمحاجة مجال [ص760] سوى العناد، قيل في الآية متاركة، فيحمل على قبل الأمر بالجهاد، منسوخة بالسيف. وقيل: لا دلالة في الآية عليها؛ فلا نسخ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا يوم القيامة لفصل القضاء وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُO وَالَّذِيْنَ يُحَاجُّوْنَ فِي اللهِ أي: في دينه ليردوهم عنه إلى الكفر مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيْبَ لَهُ أي: استجاب الناس للدين حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ زائلة باطلة عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَّلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌO اللهُ الَّذِيْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ القرآن، أو كل كتاب سماوي بِالْحَقِّ متلبسا به وَالْمِيْزَانَ أي: الشرع، به يوازن حقوق الناس وَمَا يُدْرِيْكَ يعلمك لَعَلَّ السَّاعَةَ أي: إيتانها قَرِيْبٌO يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِهَا استهزاءا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مُشْفِقُوْنَ خائفون مِنْهَا وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهَا الْحَقُّ لا ريب فيها أَلَا إِنَّ الَّذِيْنَ يُمَارُوْنَ يجادلون فِي السَّاعَةِ لَفِيْ ضَلَالٍ بَعِيْدٍO كأنهم ينكرون المحسوس اللهُ لَطِيْفٌ بِعِبَادِهِ برّا كان أو فاجرا يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ من كل منهم ما يشاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُOع مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ثوابها نَزِدْ لَهُ فِيْ حَرْثِهِ إلى سبع مائة وما فوقها وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا رزقه المقسوم وَمَا لَهُ فِيْ الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيْبٍO لفساد نيته، ولكل امرئ ما نوى أَمْ منقطعة بمعنى بل لَهُمْ لكفار مكة شُرَكَاؤُا شياطين شَرَعُوْا أي: الشركاء لَهُمْ لكفار مكة مِنَ الدِّيْنِ الفاسد مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ كالشرك وإنكار البعث وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ يوم القيامة

1 – في ج الخير بدل الجزاء.

بالأجزية لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ في الدنيا بما استحقوا به وَإِنَّ الظَّالِمِيْنَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة [ص761] تَرَى الظَّالِمِيْنَ يوم القيامة مُشْفِقِيْنَ خائفين مِمَّا كَسَبُوْا من السيئات وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ أي: وباله لاحق بهم لا محالة وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِيْ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ أثره أمكنتها لَهُمْ مَّا يَشَاءُوْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ أي: ما للمؤمنين هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيْرُO ذَلِكَ أي: نعيم الجنة الَّذِيْ يُبَشِّرُ اللهُ به عِبَادَهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على تبليغ الرسالة والبشارة أَجْرًا قطُّ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيْ الْقُرْبَى لكن أسئلكم، فالاستثناء منقطع، معناه المحبة ثابتة أينما يتحقق القرابة، فتأخذونها بالوداد لا بالعناد، كما قيل: الأقارب كالعقارب، وله عليه السلام: ((فِيْ كُلِّ بَطْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَرَابَةٌ))[1]، فلكل ينبغي أن يأخذونه لمكان القرابة بالوداد لا العناد، فينقادون لقوله وفعله، وهو رأس الفلاح، وهذا قريب ممن قال: المودة في القربى أحب عمل يقربهم إلى الله، وقيل: سئل النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل: من قرابتك؟ من هؤلاء؟ قال: ((عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا رَضِي اللهُ عَنْهُمْ))[2] وَمَنْ يَّقْتَرِفْ يكتسب حَسَنَةً طاعة سيَّما حب آل النبي صلى الله عليه وسلم نَزِدْ لَهُ فِيْهَا حُسْنًا بمضاعفة الثواب إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لمن قصر في أوامر الله، وفي حب رسوله شَكُوْرٌO لمن أطاع أمره وأحب آل رسوله أَمْ يَقُوْلُوْنَ بل أ يقولون افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا بنسبة القرآن إليه تعالى فَإِنْ يَّشَاءِ اللهُ خذلانك يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ليجترئ على الافتراء، فإن الافتراء على الله لا يجترئ عليه إلا من هو مختوم القلب، الجاهل بالرب، وهو مستبعد في حقك جدا، [ص762] فأين أتت من الافتراء؟ أو أن يشاء يربط بالصبر على أذائهم وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ المنزلة على نبيه، وسقوط الواو من يمح الله في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾[3] إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO وَهُوَ الَّذِيْ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوْا عَنِ السَّيِّئَاتِ غير الشرك لمن يشاء بلا توبة، صغيرة كانت أو كبيرة وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُوْنَO وَيَسْتَجِيْبُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ أي: يجيب الله الذين آمنوا إذا دعوه، والسين لتوكيد الفعل، ويزيدهم على ما سألوا من فضله، وقيل: يستجيب للذين آمنوا وَالْكَافِرُوْنَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌO وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ جميعا لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ لظلم بعضهم على بعض، أو لتكبر وبطر. وهذا على الغالب وَلٰكِنْ يُّنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ

---

1 – (أ) الجلالين: المرجع السابق. ص: 642. (ب) الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (ط–2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ). 53/25.

2 – الطبراني: المعجم الكبير: المصدر السابق. رقم الحديث: 12259. 444/11.

3 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ سورة بني إسرائيل، الآية: 11.

مناسب شأنهم، قيل: نزلت حين تمنى أهل الصفة الغناء، وقيل: العرب عند الخصب تحاربوا وعند الجدب اطمأنوا، فنزلت: إِنَّهُ بِعَبَادِهِ خَبِيْرٌ بَصِيْرٌO يعلم الخفي والجلي من أحوالهم وَهُوَ الَّذِيْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوْا آئسوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ مطره أو إنعامه وَهُوَ الْوَلِيُّ المتولي بإحسان عباده الْحَمِيْدُO المحمود في كل فعاله وَمِنْ آيَاتِهِ من علامات قدرته خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فرق ونشر فِيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ أي: متحرك أو ما يدب على الأرض، ويصدق عليه إنه فيهما، أو فيهما بمعنى بينهما وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ في المحشر إِذَا يَشَاءُ قَدِيْرٌOع وَمَا أَصَابَكُمْ أيها المؤمنون! مِنْ مُّصِيْبَةٍ شدة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْكُمْ من الذنوب وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيْرٍO فلا يعاقب عليها وَمَا أَنْتُمْ أيها المشركون! بِمُعْجِزِيْنَ [ص763] الله هربا فِي الْأَرْضِ فائتين ما قضى عليكم من المصائب وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ غيره تعالى مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍO يدفع المصائب عنكم وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ أي: من آيات قدرته السفن الجارية فيه كَالْأَعْلَامِO كالجبال في العظم إِنْ يَّشَأْ يُسْكِنِ الرِّيْحَ فَيَظْلَلْنَ يصرن رَوَاكِدَ ثوابت عَلَى ظَهْرِهِ أي: ظهر البحر إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُوْرٍO في الشدة والرخاء أَوْ يُوْبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوْا أو يهلك أهلها بالذنوب وَيَعْفُ عَنْ كَثِيْرٍO فلا يغرقها وَيَعْلَمَ الَّذِيْنَ يُجَادِلُوْنَ فِيْآيَاتِنَا عطف على علة مقداره لينتقم منهم، وليعلم الذين مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيْصٍO مهرب من العذاب فَمَا أُوْتِيْتُمْ يا بني آدم مِنْ شَيْءٍ من أثاث الدنيا فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الفاء للحاظ معنى الشرطية، فيما أوتيتم تتمتعون به وتتركون وَمَا عِنْدَ اللهِ من ثواب الآخرة خَيْرٌ وَّأَبْقَى لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَO عن علي رضي الله عنه: تصدق أبو بكر بماله كله، فلامه جميع، فنزلت. وَالَّذِيْنَ مع ما بعده مجرور، عطف على الذين آمنوا يَجْتَنِبُوْنَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ موجبات الحدود، عطف البعض على الكل وَإِذَا مَا غَضِبُوْا هُمْ يَغْفِرُوْنَO يتجاوزون عن المغضوب وَالَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا لِرَبِّهِمْ إذا دعاهم الرسول إلى التوحيد وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ بالدوام وَأَمْرُهُمْ ذو شُوْرَى مصدر كالفُتْيا بمعنى التشاور بَيْنَهُمْ لا ينفردون برأي لفرط تدبرهم في عواقب الأمور وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَO في سبيله [ص764] وَالَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ الظلم هُمْ يَنْتَصِرُوْنَO ينتقمون عن الظالم وَجَزَاؤُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا سميت الثانية سيئة للتشاكل والازدواج فَمَنْ عَفَا عن ظالم وَأَصْلَحَ بينه وبين عدوه فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ في إبهام الأجر، دلالة على العظم إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَO البادين فيه وَلَمَنِ انْتَصَرَ انتقم بَعْدَ ظُلْمِهِ أي: ظلم الظالم إياه فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيْلٍO بالمعاتبة والمعاقبة إِنَّمَا السَّبِيْلُ المؤاخذة عَلَى الَّذِيْنَ يَظْلِمُوْنَ النَّاسَ وَيَبْغُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أي: يفعلون ما لايستحقون به أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO وَلَمَنْ صَبَرَ على الأذى، ولم ينتقم وَغَفَرَ وتجاوز إِنَّ ذَلِكَ الصبر والغفر منه لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُوْرِOع وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَّلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ يلي هدايته بعد إضلال الله وَتَرَى الظَّالِمِيْنَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُوْلُوْنَ هَلْ إِلَى

مَرَدٍّ رجعة إلى الدنيا مِنْ سَبِيْلٍO وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَا على النار خَاشِعِيْنَ خائفين مِنَ الذُّلِّ الهوان يَنْظُرُوْنَ إلى النار مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ضعيف بمسارقة النظر، ومن ابتدائية أو بمعنى الباء وَقَالَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ الْخَاسِرِيْنَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا خبر إن أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالخلود في النار أَلَا إِنَّ الظَّالِمِيْنَ فِيْ عَذَابٍ مُّقِيْمٍO دائم وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوْنَهُمْ بدفع العذاب عنهم مِّنْ دُوْنِ اللهِ غيره تعالى وَمَنْ يُّضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيْلٍO هداية اسْتَجِيْبُوْا لِرَبِّكُمْ إذا دعاكم الرسول إلى التوحيد والعبادة مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأتِيَ يَوْمٌ لَّامَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ أي: إذا أتي لا يرد، الجار والمجرور [ص765] متعلق بمردَّ، وقيل: بيأتي مَا لَكُمْ مِّنْ مَّلْجَإٍ مفرّ يَّوْمَئِذٍ وَّمَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيْرٍO أي: الإنكار لتدوين الأعمال وشهادة الجوارح فَإِنْ أَعْرَضُوْا عن الإجابة فَمَا أَرْسَلْنَاكَ يا محمد!عليك الصلاة والسلام عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا رقيبا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ هذا قبل آية السيف وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ أي: جنسه مِنَّا رَحْمَةً كالصحة والغناء فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ كالمرض والفقر بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ فَإِنَّ الْأَنْسَانَ كَفُوْرٌO للنعم رأسا للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَّشَاءُ إِنَاثًا صنفا واحدا وَّيَهَبُ لِمَنْ يَّشَاءُ الذُّكُورَO صنفا واحدا، ولا اعتراض لأحد أَوْ يُزَوِّجُهُمْ يقرهم ذُكْرَانًا وَّإِنَاثًا أي: يجمع لأحد بينهما وَيَجْعَلُ مَنْ يَّشَاءُ عَقِيْمًا لا ولد له إِنَّهُ عَلِيْمٌ بمصالح الناس قَدِيْرٌO على ما يقتضيه الحكمة وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُّكَلِّمَهُ اللهُ أي: ما صح له أن يلقي الله إليه الكلام إِلَّا وَحْيًا أي: أن يوحي إليه وحيا في المنام كأمر ذبح الولد لإبراهيم عليه السلام، أو الإلهام، كقوله عليه السلام: ((نَفَثَ فِيْ رُوعِيْ))[1] أَوْ إلا مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ كما وقع لموسى عليه السلام من الشجرة الطور، فإنه كان محجوبا عن رؤية الله أَوْ إلا أن يُرْسِلَ الله رَسُوْلًا ملكا، كجبرائيل فَيُوْحِيَ أي: ليكلم الملك المرسل إليه بِإِذْنِهِ أي: بإذن الله مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ عن صفات المحدثات حَكِيْمٌO في قضاء إرادته وَكَذَلِكَ مثل إيحائنا لغيرك من الأنبياء أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ أَمْرِنَا أي: قرآنا، لأنه يحي القلب أو جبرئيل لأنه الروح الأمين، أي: أرسلناه إليك بحكمتنا وإرادتنا مَا كُنْتَ تَدْرِيْ تعرف قبل الإيحاء مَا الْكِتَابُ القرآن وَلَا الْإِيْمَانُ الشرائع، أو الإيمان بالمنزل، أو [ص766] الذي طريقة السمع وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ الروح، أو الكتاب، أو

---

1 – (أ) الشافعي: محمد بن إدريس، أبو عبد الله، (ت: 204هـ). مسند الإمام الشافعي (ترتيب سنجر): (ط–1، ترتيب: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (ت: 745هـ). تحقيق: ماهر ياسين فحل، شركة غراس، الكويت، 1425هـ / 2004م). كتاب فضائل قريش وغيرهم وأبواب متفرقة ، باب منه: والإجمال في الطلب. 1798. 64/4. (ب) ابن أبي شيبة: المصدر السابق. كتاب الزهد ، ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الزهد ، 34332. 79/7.

الإيمان نُوْرًا نَّهْدِيْ بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيْ لتدعو الناس إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO صِرَاطِ اللهِ بدل من الأول الَّذِيْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيْرُ ترجع الْأُمُوْرُOع

سورة الزخرف مكية، تسع وثمانون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه وَالْكِتَابِ الْمُبِيْنِO الواو للقسم إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا جوابه لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO معانيه وَإِنَّهُ أي: القرآن فِيْ أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيْمٌO هما خبران لإن، والجملة عطف على إنا جعلنا، وفي أم الكتاب حال، ولدينا بدل منه، أي: القرآن رفيع الشان في كتب الله لإعجازه في البلاغة، وذو حكمة بالغة، لا ينسخه غيره، حال كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ مصونا لدينا أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أي: أنهملكم فيمسك عنكم القرآن إمساكا، فهو مصدر من غير لفظه، أو مفعول له، أي: إعراضا عنكم لأجل إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِيْنَO في الجهالة والضلالة وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِّنْ نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِيْنَOوَمَا يَأْتِيْهِمْ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO كما يستهزءون بك، فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ من المسرفين بَطْشًا كعاد وثمود وفرعون وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِيْنَO سلف في القرآن قصتهم وصفتهم وَلَئِنْ سَالْتَهُمْ أي: المشركين مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُوْلُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيْزُ الْعَلِيْمُOالَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا مستقرا وَّجَعَلَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا طرقا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَO [ص767] إلى المقاصد في الأسفار في مواضع من القرآن مقولتهم الله، وأما سرد هذه الصفات فكأنه لازم له وَالَّذِيْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ بقدر حاجتكم فَأَنْشَرْنَا فأحيينا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا لا نبات فيها كَذَالِكَ تُخْرَجُوْنَO من القبور وَالَّذِيْ خَلَقَ الْأَزْوَاجَ أصناف المخلوقات كلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ الْفُلْكِ السفن وَالْأَنْعَامِ كالإبل والفرس مَا تَرْكَبُوْنَO فيه، وتركبونه لِتَسْتَوُوْا عَلَى ظُهُوْرِهِ لتستقروا عليها، جمع المضاف رعاية لمعنى ما ثُمَّ تَذْكُرُوْا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ بالجنان وَتَقُوْلُوْا باللسان سُبْحَانَ الَّذِيْ سَخَّرَ ذلل لَنَا هٰذَا المركوب وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَO مطيقين وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَO فإن الركوب للنقل، وأعلى النقلة إلى الله وَجَعَلُوْا أي: الكفار لَهُ تعالى مِنْ عِبَادِهِ أي: الملائكة جُزْءًا حيث قالوا: الملائكة بنات الله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُوْرٌ جحود النعمة مُبِيْنٌOع بين جحوده أَمِ اتَّخَذَ أي: أ يقولون اتخذ مِمَّا يَخْلُقُ من العباد بَنَاتٍ لنفسه وَأَصْفَاكُمْ وخصَّكم بِالْبَنِيْنَOوَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ جعل له مَثَلًا شبها، فإن الولد يشبه الوالد ظَلَّ صار وَجْهُهُ مُسْوَدًّا مغير اللون بالاغتمام وَهُوَ كَظِيْمٌO ممتلئ قلبه من الكرب أَوَ أي: جعلوا له تعالى

أخس النوعين؛ هو مَنْ يُّنَشَّؤُا يربي فِي الْحِلْيَةِ الزينة وَهُوَ فِي الْخِصَامِ المجادلة سيفا ولسانا غَيْرُ مُبِيْنٍO مظهر، أي: البنات في بدو فطرتهن كانت في الحلي والزينة، في المعارك والمحادث غير ظاهرات، لما أحاطهن الضعف والنقصان في العقل والدين والبدن وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ وأكرمهم [ص768] عليه تعالى إِنَاثًا أنقضهم وأخسهم أَشَهِدُوْا خَلْقَهُمْ أ حضروهم عند تخليقهم، فإن الحكم بالأنوثة مما يعلم بالمشاهدة سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ سيظهر أثر شهادتهم في القيامة وَيُسْئَلُوْنَO عنها ثمه وَقَالُوْا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ فعبادتنا إياهم بمشيته تعالى ورضاه مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ أي: بما يقولون مِنْ عِلْمٍ فإن المشية لا يستلزم الرضا إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُوْنَO يتمحلون فيما يفعلون من الكفر تمحلا باطلا، أي: يكذبون أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابا يدل على جواز عبادة غير الله مِنْ قَبْلِهِ قبل إنزال القرآن فَهُمْ أي: الكفرة بِهِ بذلك الكتاب مُسْتَمْسِكوْنَO فيما يفعلون بَلْ قَالُوْا إذا سئلوا بأي دليل تعبدون غير الله إِنَّا وَجَدْنَاآبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ملة وَّإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّهْتَدُوْنَO بهم، فلا حجة معهم عقلا ونقلا غير التقليد وَكَذَالِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوْهَا متنعموها إِنَّا وَجَدْنَاآبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَّإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُوْنَO متبعون، فيه تسلية النبي عليه السلام قَالَ النذير أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ آبَائَكمْ أي: أ تتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى من ملة آباءكم قَالُوْا إِنَّا أُرْسِلْتُمْ أي: أنت ومن قبلك بِهِ كَافِرُوْنَOفَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بالاستيصال فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَOۘوَاذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِأَبِيْهِ اسمه تارخ، ولقبه آذر وَقَوْمِهِ إِنَّنِيْ بَرَاءٌ أي: بريئ، مصدر نعت به، ولذلك استوت فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث مِمَّا تَعْبُدُوْنَOإِلَّا الَّذِيْ استثناء منقطع، أو متصل بعموم كلمة ما، لأولي العلم وغيرهم، أو صفة ما، وإلا بمعنى غير فَطَرَنِيْ خلقني فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِO سيثبتني على الدين، أو يرشدني أعلاه [ص769] وَجَعَلَهَا أي: كلمة التوحيد كَلِمَةً بَاقِيَةً فِيْ عَقِبِهِ فلا يزال فيهم من يوحّد الله لَعَلَّهُمْ أي: أهل مكة يَرْجِعُوْنَO بدعاء الموحدين عن الباطل إلى دين أبيهم الحق بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ أي: مشركي زمان محمد صلى الله عليه وسلم وَآبَاءَهُمْ بمد العمر والنعمة حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ القرآن وَرَسُوْلٌ مُّبِيْنٌO مظهر للأحكام الشرعية وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ القرآن قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ وَّإِنَّا بِهِ كَافِرُوْنَO جاحدون وَقَالُوْا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٍO الوليد بن المغيرة في المكة، وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف، فهموا العظمة بالمال والجاه، ولم يعلموا أنها بالنفس الكريم المتخلق بأخلاق الله أَ هُمْ يَقْسِمُوْنَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نبوته نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيْشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أي: لم يباشروا القسمة إلا دون الذي هو الرزق الدنياوي، فكيف النبوة؟ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ في الغني وغيره دَرَجَاتٍ بالتفاوت لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا أجيرا في العمل، والياء للنسبة، فإن الحاجة بينهم ألجأت إلى التضام والتألف، فالمحتاج

إليه يأخذ المحتاج أجيرا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ أي: النبوة خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَO في الدنيا وَلَوْلَا كراهة أَنْ يَّكُوْنَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً مجتمعة علي الكفر، إذا رأى المؤمنون صنف الكفار في تنعم وسعة يرغبون إلى الكفر، لما عندهم من السعة والنعمة لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَّكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوْتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَّمَعَارِجَ ومدارج من فضة عَلَيْهَا يَظْهَرُوْنَO يعلون السطوح وَلِبُيُوْتِهِمْ أَبْوَابًا من فضة وَّسُرُرًا من فضة عَلَيْهَا يَتَّكِئُوْنَOوَجعلنا لهم زُخْرُفًا [ص770] أي: ذهبا وزينة، وذلك لعدم خطر الدنيا عند الله، فإنها مذ خلقت لم ينظر إليها سبحانه نظرة القبول، فهي أحقر من جناح بعوضة وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ إن نافية، كل ذلك المعدود سابقا لَمَّا أي: إلا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فيزول عن قريب وَالْآخِرَةُ الجنة خير عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَOع الله عن الشرك وَمَنْ يَّعْشُ ينعام ويعرض عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ أي: القرآن نُقَيِّضْ لَهُ نقدر له، ونسلط عليه شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌO لا يفارقه ما دام الإعراض قائما وَإِنَّهُمْ أي: الشياطين لَيَصُدُّوْنَهُمْ العاشين المعرضين عَنِ السَّبِيْلِ أي: عن طريق الهدى وَيَحْسَبُوْنَ أي: العاشون أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَO وليسوا كذالك حَتَّى إِذَا جَاءَنَا أي: العاشي يوم القيامة قَالَ العاشي لقرينه من الشيطان يَا لَيْتَ بَيْنِيْ وَبَيْنَكَ أيها القرين مثل بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ المشرق والمغرب فَبِئْسَ الْقَرِيْنُO أنت لي وَلَنْ يَّنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ يوم القيامة، أيها العاشون تمنيكم وندامتكم إِذْ ظَّلَمْتُمْ في الدنيا بالإشراك أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ يوم القيامة مُشْتَرِكُوْنَO كاشتراككم في الإشراك في الدنيا أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الفاقد لسمع القبول أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ الفاقد لبصر الاعتبار وَمَنْ كَانَ عطف على العمي فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍOفَإِمَّا إن شرطية، وما مزيدة، وأدغمت النون في الميم نَذْهَبَنَّ بِكَ أي: أن نتوفينك قبل تعذيبهم، فلا ترى شناعتهم في الدنيا فَإِنَّامِنْهُمْ مُّنْتَقِمُوْنَO في الدنيا وفي الآخرة، فسوف ترى وقاحة أمرهم هناك أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِيْ وَعَدْنَاهُمْ من العذاب قبل أن نتوفينك يوم بدر فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُوْنَO فلا يعجزوننا فَاسْتَمْسِكْ في العمل [ص771] بِالَّذِيْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ أي: القرآن إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO لا عوج فيه وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ أي: لشرف لَّكَ وَلِقَوْمِكَ إذ نزل بلغتكم وَسَوْفَ تُسْئَلُوْنَO عن القيام بحقوقه وَسْئَلْ أي: انظر وفحّص أديان مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُوْنِ الرَّحْمٰنِ اٰلِهَةً الأصنام وغيره يُعْبَدُوْنَOع كي يتبين، إن كلمة التوحيد مشتركة بين الرسل كلهم، والمقصود تقرير قريش على أنه ليس غيره معبودا وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ أي: القبط فَقَالَ إِنِّيْ رَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO فطلبوا البرهان على دعواه فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا التسع إِذَا هُمْ على الفجأة، من غير تأمل فيها مِنْهَا يَضْحَكُوْنَO يستهزءون وَمَا نُرِيْهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا التي مضت بخصوصة نوع من الإعجاز، ويمكن أن يكون كل واحدة واحدة موصوفة بالأكبرية وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ بالسنين والطوفان والجراد لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO أي: رجوعهم عن الكفر بعد معاينة أنواع العذاب مرجوّ وَقَالُوْا في

تخاطب نبيهم يَا أَيُّهَاالسَّاحِرُ إما لفرط الحماقة، أو المراد منه العالم الكامل ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ أن يكشف عنا أن آمنا، أو عهد أنه إذا دعاه يستجيب، أو عهد النبوة إِنَّنَا لَمُهْتَدُوْنَO إلى الإيمان، فدعا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكثُوْنَO ينقضون عهدهم بالإيمان وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِيْ قَوْمِهِ مخافة أن يؤمن أحد من معاينة كشف العذاب عن دعائه موسى عليه السلام قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِيْ مُلْك مِصْرَ وَهٰذِهِ الْأَنْهَارُ الأربعة: نهر الملك، نهر طولون، نهر دمياط، نهر تنيس تَجْرِيْ من النيل مِنْ تَحْتِيْ [ص772] من تحت قصري، أو أمري أَفَلَا تُبْصِرُوْنَO عظمتي فلا تركنوا إلى موسَى وآياته أَمْ بل أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هٰذَا الَّذِيْ هُوَ مَهِيْنٌ ضعيف وَّلَا يَكَادُ لا يقرب يُبِيْنُO الكلام لعقدة على لسانه فَلَوْلَا فهلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ كما هو عادتهم في التوقير أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِيْنَO متتابعين يشهدون لصدقه في دعوى الرسالة فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فطلب منه الخفة في مطاوعة أمر التكذيب فَأَطَاعَوْهُ في التكذيب إِنَّهُمْ كَانُوْا قومًا فَاسِقِيْنَOفَلَمَّاآسَفُوْنَا أ غضبونا بالإفراط بالعناد انْتَقَامْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ في النيل أَجْمَعِيْنَOفَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا قدوة لمن بعدهم في استحقاق العقاب مثل عقابهم وَمَثَلًا عظة لِّلْآخِرِيْنَOع لئلا يقدمون على مثل فعالهم، ولما نزل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] قال المشركون: رضينا أن يكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة، فإن كلهم قد عبدوا من دون الله، ردّ قولهم بقوله: وَلَمَّا ضُرِبَ جعل ابْنُ مَرْيَمَ عيسى عليه السلام مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ قريش مِنْهُ من هذا المثل يَصِدُّوْنَO يصيحون فرحا ظنا منهم وقوع الإلزام عليه عليه السلام، لأن الأصنام وعيسى وغيره في مرتبة واحدة، في قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فإن تقل: إن آلهتنا في جهنم فينبغي أن يكون عيسى أيضا في جهنم، وأنت لا تقول به وَقَالُوْا أي: قريش ءَ اٰلِهَتُنَا أي: الأصنام خَيْرٌ أَمْ هُوَ عيسى بل عيسى عندك خير من آلهتنا، فإذا كان عيسى حصب جهنم فليكن آلهتنا كذلك مَا ضَرَبُوْهُ هذا المثل لَكَ إِلَّا جَدَلًا خصومة وغلبة من غير قصد إظهار الحق، وإزاحة الباطل لعلمهم [ص773] بلغتهم، إن كلمة ما في قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُوْنَ﴾[2] لغير العاقل فلا يتناول عيسَى عليه السلام بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَO شداد الخصومة إِنْ هُوَ أي: ما عيسى عليه السلام إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بالنبوة وَجَعَلْنٰهُ مَثَلًا أي: أمرا عجيبا كالمثل، لأنه تولد من غير أب لِبَنِيْ إِسْرَائِيْلَOوَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكمْ مَّلَائِكَةً توليدا أو إبدالا، فإنه قادر على كلا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: 98.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: 98.

الأمرين فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُوْنَO يخلفونكم وَإِنَّهُ أي: عيسى عليه السلام أو القرآن لَعِلْمٌ أي: علامة لِّلسَّاعَةِ بنزوله يعلم قيامها، أو بنزول القرآن يعلم قيامها، لأنه نزل على نبي آخر الزمان فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا فلا تَشُكنّ فيها، قل يامحمد! عليك الصلاة والسلاموَاتَّبِعُوْنِ في التوحيد هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌOوَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ لا يصرفنكم عن التوحيد إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌOوَلَمَّا جَاءَ عِيْسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ بالكتاب والشرائع وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِيْ تَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِ من أحكام التوراة في أمر الدين، فإن الأنبياء لم يبعث لبيان أحكام الدنيا، ولذا قال عليه السلام في أمر النخل: ((أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ))[1] فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيْعُوْنِOإِنَّ اللّٰهَ هُوَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌO أي: العقيدة بالتوحيد والعمل بالشرائع طريق لا يضل به أحد فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ الفرق المتحربة مِنْ بَيْنِهِمْ من بين النصارى، فقال بعض: عيسى هو الله، وبعض: ابن الله، وبعض: ثالث ثلاثة فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيْمٍO أي: القيامة هَلْ ما يَنْظُرُوْنَ أي: كفار مكة إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فجأة وَّهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَO غافل بمشاغل الدنيا اَلْأَخِلَّاءُ جمع الخليل، أي: الأحباء في المعاصي يَوْمَئِذٍ يوم القيامة بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لكساد التعاون وانقطاع التعلق إِلَّا الْمُتَّقِيْنَO٤ المتحابين في الله على طاعته، فهذه الخلّة [ص774] هي الباقية، يقال لهم: يَا عِبَادِ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَOالَّذِيْنَ صفة العباد اٰمَنُوْا بِآيَاتِنَا وَكَانُوْا مُسْلِمِيْنَOاُدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُوْنَO تكرمون، خبر أنتم يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ جمع صحفة، بمعنى قصعة مِّنْ ذَهَبٍ وَّأَكْوَابٍ جمع كوب، كوز لاعروة له وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ أي: في الجنة مشتهي أنفسهم، وملاذ الأعين بالمشاهدة وَأَنْتُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَO فيه إتمام للنعمة وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِيْ أُوْرِثْتُمُوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO تشبيه جزاء العمل بالميراث في كونهما يخلفهما العامل، وقيل: كل نعيم لكافر يتوارث عنه المؤمن بإيمانه وإسلامه لَكُمْ فِيْهَا فَاكِهَةٌ كثيرة وافرة مِّنْهَا تَأْكُلُوْنَO ويقيم الخلف مقام المأكول، ولعل ذكر المطاعم والملابس مكررا في القرآن من بين أناعيم الجنة لما كان بالمؤمنين فاقة وتعرية إِنَّ الْمُجْرِمِيْنَ فِيْ عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُوْنَOلَا يُفَتَّرُ لا يخفف عَنْهُمْ وَهُمْ فِيْهِ مُبْلِسُوْنَO آئسون من النجاة وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوْا هُمُ الظَّالِمِيْنَO بإنكار الأنبياء وَنَادَوْا يَا مَالِكُ خازن النار، سل ربك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ أي: ليمتنا قَالَ مالك بعد مضي ألف سنة إِنَّكُمْ مَّاكِثُوْنَO دائمون في العذاب، قال تعالى: لَقَدْ جِئْنَاكُمْ يا أهل مكة! بِالْحَقِّ بالقرآن علي لسان رسولنا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُوْنَO لما فيه من أتعاب النفس وآداب الجوارح أَمْ أَبْرَمُوْا أحكموا أَمْرًا في كيد محمد عليه السلام فَإِنَّا

---

1 – مسلم: المرجع السابق. كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم الحديث: 2363، 1836/4.

مُبْرِمُوْنَO محكمون كيدنا في إهلاكهم أَمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ما يتحدثون به في النفس وَنَجْوَاهُمْ ما يتحدثون فيما بينهم، ويخفونه عن غيرهم بَلَى وَرُسُلُنَا الحفظة لَدَيْهِمْ يَكْتُبُوْنَO ما يفعلون قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فرضا فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِيْنَO وليستلزم المحال محالا [ص775] سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُوْنَO بنسبة الولد إليه فَذَرْهُمْ فاتركهم يَخُوْضُوْا في أباطيلهم وَيَلْعَبُوْا في دنياهم حَتّٰى يُلَاقُوْا يَوْمَهُمُ الَّذِيْ يُوْعَدُوْنَO فيه العذاب وَهُوَ الَّذِيْ هو فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ الجار والمجرور متعلق بإله وَّفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ معبود فيهما وَهُوَ الْحَكِيْمُ بتدبير الخلق الْعَلِيْمُO بمصالحهم وَتَبَارَكَ الَّذِيْ تعاظم لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ قيام السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَO بالبعث وَلَا يَمْلِكُ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يعبدونهم مِنْ دُوْنِهِ من دون الله، أي: الأصنام الشَّفَاعَةَ لأحد إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ الاستثناء منقطع أو متصل، أن عمهم وعيسى وعزير والملائكة شهدوا بوحدانيته تعالى، قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO بالقلوب، ما شهدوا به بألسنتهم وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ من العابدين والمعبودين مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُوْلُنَّ اللهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُوْنَO يصرفون عن الحق إلى الباطل وَقِيْلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُوْنَO بي، قيل: مصدر بمعنى القول، معطوف على الساعة، أي: علم قبل الرسول عليه السلام فَاصْفَحْ عَنْهُمْ أعرض عن دعوتهم آئسا عن إيمانهم وَقُلْ سَلَامٌ متاركة فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَO[ع] جزاء ما يفعلون.

سورة الدخان مكية، تسع وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه وَالْكِتَابِ الْمُبِيْنِO الواو للقسم إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أو ابتداء النزول فِيْ لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ كثيرة الخير، هي ليلة القدر، وقيل ليلة البراءة إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِيْنَOفِيْهَا يُفْرَقُ يفصل كلُّ أَمْرٍ حَكِيْمٍO محكم من الأرزاق والآجال [ص776] أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا أي: أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا بالتدبير والعلم إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِيْنَO رسلا من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ رأفة من الله بالمرسل إليهم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُO لأقوالهم وأحوالهم رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بدل من ربك إِنْ كُنْتُمْ يا أهل مكة مُوْقِنِيْنَO من أهل الإيقان في العلوم، أو في الإقرار، أو ممن يريد الإيقان، أو موقنين، بأنه ربهما فأيقنوا بأن محمدا عليه الصلاة والسلام رسوله لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيْتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِيْنَOبَلْ هُمْ فِيْ شَك يَّلْعَبُوْنَO فأين الإيقان منهم، فاستهزؤا بمحمد صلى الله عليه وسلم،

فقال: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ))[1] فَارْتَقِبْ فانتظر لهم يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِيْنٍO ظاهر، فأجدبت الأرض، واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدة المجائعة كهيئة الدخان بين السماء والأرض لضعف البصر من شدة الجوع أو ظلم الهواء عام القحط لقلة المطر وكثرة الغبر، قيل: أكلوا جيف الكلاب وعظامها، والعلهزاء ودخان السماء الذي هو من أشراط القيامة، يمكث أربعين يوما وليلة، فيصيب للمؤمن كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون سكرانا، يخرج الدخان من منخريه، وأذنيه، ودبره. ويكون رأسه كرأس الحنيذ، أو دخان يوم القيامة يَغْشَى النَّاسَ يحيط بهم، فقالوا: هٰذَا عَذَابٌ أَلِيْمٌOرَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُوْنَO بعد الكشف بالنبي وبما جاء به أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى كيف يتذكرون؟ ويوفون العهد وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مُّبِيْنٌO بيّن لهم أعظم الأذكار من الآيات والمعجزات ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوْا مُعَلَّمٌ مَّجْنُوْنٌO قال بعضهم: علّمه غلام أعجمي لبعض ثقيف، وقال بعضهم: هو مجنون إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ [ص٧٧7] القحط بدعائه صلى الله عليه وسلم، وإن كان من الأشراط فبدعاء الكفار يكشف كشفا أو زمانا قَلِيْلًا بعد أربعين، وإن كان من يوم القيامة فكشفه على الفرض أو التقدير إِنَّكُمْ عَائِدُوْنَO إلى ما يوجب العذاب، اذكر يا محمد! عليك الصلاة والسلام يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىأي: الأخذ بالقوة يوم القيامة، أو يوم بدر إِنَّا مُنْتَقِمُوْنَOوَلَقَدْ فَتَنَّا امتحنا قَبْلَهُمْ قبل المشركين قَوْمَ فِرْعَوْنَ بإرسال موسٰى عليه السلام وَجَاءَهُمْ رَسُوْلٌ كَرِيْمٌO على الله أَنْ أَدُّوْا أي: بأن أدوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ أي: بني إسرائيل أو أدوا إليَّ الإيمان، يا عباد الله! إِنِّيْ لَكُمْ رَسُوْلٌ أَمِيْنٌO على الوحي وَأَنْ وبأن لَّا تَعْلُوْا لا تتكبروا عَلَى اللهِ إِنِّيْآتِيْكُمْ بِسُلْطَانٍ ببرهان مُّبِيْنٍO بيّن على رسالتي، فتوعدوه بالرجم وَإِنِّيْ عُذْتُ التجأت بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُوْنِO تؤذونني شتما أو ضربا أو قتلا وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا لِيْ فَاعْتَزِلُوْنَO فاتركوا أذائي، فلم يتركوا فَدَعَا رَبَّهٗ بعد ما كذّبوه أَنَّ هٰٓؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُوْنَO مشركون فَأَسْرِ بِعِبَادِيْ لَيْلًا أي: يا موسى! عليه السلام أخرج بني إسرائيل من القبط ليلا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُوْنَO يتبعكم فرعون وجنوده وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ساكنا أو مفتوحا، يعبر القبط عبوركم، ويدخله وهو قد قصد التغيير بضرب العصا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُوْنَOكَمْ كثيرا تَرَكُوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَّعُيُوْنٍOوَّزُرُوْعٍ وَّمَقَامٍ كَرِيْمٍO أي: مجلس حسن وَّنَعْمَةٍ تنعم كَانُوْا فِيْهَا فَاكِهِيْنَO ناعمين، الأمر كَذَالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا أموالهم قَوْمًا آخَرِيْنَO أي: بني إسرائيل فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لأنهم ماتوا كفارا بخلاف المؤمن، إذ مصعد العمل من السماء ومصلاه من الأرض يبكي عند [ص778] فوت المؤمن وَمَا كَانُوْا مُنْظَرِيْنَOع ممهلين للتوبة وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِيْنِO هو قتل الأبناء، واستخدام النساء مِنْ فِرْعَوْنَ بدل من العذاب إِنَّهٗ

1 - البخاري: المصدر السابق. كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم ، رقم الحديث: 4774، 114/6.

كَانَ عَالِيًا متكبرا مِّنَ الْمُسْرِفِيْنَO في الشرارة وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ بني إسرائيل عَلَى عِلْمٍ منا بحالهم عَلَى الْعَالَمِيْنَO عقلاء زمانهم، أو لكثرة الأنبياء فيهم أنهم مختارون على الكل وَآتَيْنَاهُمْ مِّنْ الْآيَاتِ كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى مَا فِيْهِ بَلَاءٌ مُّبِيْنٌO نعمة ظاهرة، أو اختيار بيّن إِنَّ هَٰؤُلَاءِ كفار قريش لَيَقُوْلُوْنَOإِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُوْلَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِيْنَO يقولون ما هي الموتة التي بعد ها الحياة إلا الموت الأولى، أي: نحن كنا في أصلاب آبائنا نطفا ميتا، ثم بعثنا وما نحن بعد الموت الثاني بمبعوثين فَأْتُوْا بِآبَائِنَا أيها المدعون بالبعث والنشور إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم أَهُمْ خَيْرٌ أي: كفار مكة أقوياء؟ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وهو اسم ملك يقال له تبع الحميري، قال عليه السلام: ((مَا أَدْرِيْ أَكَانَ تُبَّعُ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَ نَبِيٍّ))[1] ولا شك إنه كان رجلا صالحا، ولكن قومه كانوا كافرين، ولذلك ذمهم دونه. وقيل: بني سمرقند أو هدمه، يعني: كفار قريش ليسوا في القوة مثلهم، ومع ذلك قد أهلكوا، فكيف بهم؟ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كعاد وثمود أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوْا مُجْرِمِيْنَO كافرين وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِيْنَO لاهين مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ بالجدّ أو بسببه، فإن الاستدلال بهما وبما بينهما على التوحيد والبعث والنشور والإيمان والطاعة حق وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أي: كفار قريش لَا يَعْلَمُوْنَO لقلة التدبر إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ بين الحق والباطل [ص779] مِيْقَاتُهُمْأَجْمَعِيْنَO يوم القيامة ميعاد جزائهم كلهم يَوْمَ لَا يُغْنِيْ لايدفع العذاب مَوْلًى أيّ مولي كان بالقرابة، أو الصداقة عَنْ مَّوْلًى عن أيّ مولي كان شَيْئًا من الإغناء وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَO الضمير إلى المولي الأول بلحاظ الكثرة المعنوية، أي: لا هم يمنعون عن العذاب إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللّٰهُ بالعفو وقبول الشفاعة، فيشفع بعض المؤمنين لبعضهم إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على أعدائه بما أراد من أمرهم الرَّحِيْمُOع بحال المؤمنين، حيث أقامهم مقام الشفاعة إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّوْمِO اسم شجرة صغيرة الورق، دفره مُرَّةٌ يكون بتهامة طَعَامُ الْأَثِيْمِO الكافر الذي كثر إثمه كأبي جهل وأضرابه كَالْمُهْلِ ما يذوب في النار كالفضة والنحاس، وقيل: دردي الزيت الأسود يَغْلِيْ فِيْ الْبُطُوْنِO بطون أكلته غليا كَغَلْيِ الْحَمِيْمِO الماء الشديد الحرارة في قطع الأمعاء والأكباد، ويقال للزبانية: خُذُوْهُ فَاعْتِلُوْهُ العتل: جر الشيء بالقهر، وأخذه بالمجامع والقود بالعنف والشدة إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيْمِO وسطها ثُمَّ صُبُّوْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيْمِO الإضافة بيانية، وقولوا له استهزاءا أو تهكما: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْكَرِيْمُO إِنَّ هٰذَا العذاب مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُوْنَO تشكون فيه إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ مَقَامٍ أَمِيْنٍO في محل يأمن صاحبه عن كل بلية فِيْ جَنَّاتٍ بدل عنه وَعُيُوْنٍO أي: في مستلذ المآكل والمشارب يَلْبَسُوْنَ مِنْ سُنْدُسٍ الحرير الرقيق وَإِسْتَبْرَقٍ الحرير الغليظ، معرب إستبر مُتَقَابِلِيْنَO لزيادة الاستيناس، فلا

---

1 –ابن عطية: المرجع السابق. 75/5.

يكون وجه أحد إلى قفاء آخر لدوران الأسرة بهم، الأمر كَذَالِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُوْرٍ عِيْنٍO بنساء بيضاء لونا وعظماء عينا، واختلف فيهن، أ هن [ص780] نساء الدنيا أو غيرهن؟ يَدْعُوْنَ يطلبون فِيْهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِيْنَO أي: كل فاكهة في أيّ زمان من غير ضرر يصيبهم بآكلها لَا يَذُوْقُوْنَ فِيْهَا في الجنة الْمَوْتَ دائما إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُوْلَى لكنها قد ذاقوها في الدنيا، فالاستثناء منقطع أو متصل، والضمير إلى الآخرة، والموت الدنيوية أول أحوال الآخرة، وقيل: إلا بمعنى بعد وَوَقٰهُمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِOفَضْلًا مِّنْ رَّبِّكَ أي: هذه العطيات المعدودة كلها من فضل الله من غير استحقاق له ذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOفَإِنَّمَا يَسَّرْنٰهُ سهَّلنا القرآن بِلِسَانِكَ بلغتك لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَO يتعظون فَارْتَقِبْ انتظر هلاكهم إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُوْنَOع هلاكك، هذا قبل آية السيف.

سورة الجاثية مكية، سبع وثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مبتداء، خبره مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِOإِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ على الوحدانية لِلْمُؤْمِنِيْنَOوَفِيْ خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ يفرق مِنْ دَابَّةٍ على وجه الأرض آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَO قيل: عطف على كم، أي: في خلق الإنسان، وخلق غيره من الحيوانات في أطوار مختلفة، دلائل على وجود الصانع المختار، وقيل: عطف على مدخول في، أي: خلق الإنسان، وبث الحيوانات وتنوعها واستجماعها، لما يتم به أمر معاش الإنسان، دلائل وجود الصانع وَفِي اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفِي مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ مطر، لأنه سبب الرزق فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ييبسها وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ جنوبا وشمالا، وقبولا ودبورا، وحارة وباردة آيَاتٌ على التوحيد والبعث لِقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَO [ص781] الدلائل، فيؤمنون بمدلولاتها تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوْهَا حال، أي: متلوة عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَ اللهِ بعد حديثه؛ وهو القرآن وَآيَاتِهِ حججه، وقيل: بعد آيات الله. وقدم اسم الله للمبالغة والتعظيم يُؤْمِنُوْنَOوَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ كذاب أَثِيْمٍO كثير الإثم يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ يقيم على كفره مُسْتَكْبِرًا عن آياته كَأَنْ أي: كأنه لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO البشارة استهزاءا وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا الضمير إلى الآيات كلها أو إلى شيئا، فإنه آية هُزُوًا أي: بادر بالاستهزاء أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌO ذو إهانة مِنْ وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمُ أي: أمامهم، وقد يقال: إنهم متواجهون إلى الدنيا بتمامهم، ولا يلتفتون إلى العقبى، فورآء وجههم جهنم، والورآئ: اسم للجهة؛ التي يواريها الشخص من خلف أو قدام وَلَا يُغْنِيْ أي: لا يدفع عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوْا من المال والأولاد شَيْئًا من عذاب الله وَلَا يدفع منه مَا اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ناصرين،

أي: الأصنام وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌO هٰذَا القرآن هُدًى وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ هو أشد العذاب أَلِيْمٌO مؤلم اللهُ الَّذِيْ سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيْهِ بِأَمْرِهِ بإذنه وَلِتَبْتَغُوْا تطلبوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارات وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَO ع بكونكم سالمين غانمين آئبين وَسَخَّرَ لَكُمْ لمنافعكم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ أي: سخرها حال كونهما كائنة منه تعالى إِنَّ فِيْ ذَالِكَ لَآيَاتٍ على التوحيد لِقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَO في صنائعه قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام [ص782] لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا يَغْفِرُوْا لِلَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ أَيَّامَ اللهِ أي: قل للمؤمنين، اغفروا للكفار الذين لا يتوقعون أو لا يخافون وقائع الله بأعدائه، نزل في عمر رضي الله عنه: شتمه رجل من بني الغفار، فهمَّ أن يبطش عليه، أي: الأحوط أن يعفو الغفاري، الذي لا يتوقع من جهله، أن يفعل الله بهم به ما فعل بأعدائه من الأمم السابقة، كعاد وثمود وفرعون وهامان، وقيل: هذا قبل آية السيف لِيَجْزِيَ الله بالجنة قَوْمًا أي: مؤمنين بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO هو الغفر لأذي الكفار، أو ليجزي أيَّ جزاء قوما، أيّ قوم بما كانوا يكسبون أيّ كسْب مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يعود نفعه إليها وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا إساءته ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُوْنَO فيجازي كلًّا بما يستحقه وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ الْكِتَابَ التوراة وَالْحُكْمَ به بين الناس وَالنُّبُوَّةَ لموسى وهارون عليهما السلام وغيرهما جمعا كثيرا وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ اللذائد، أو المن والسلوى وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِيْنَO حيث اتيناهم ما لم نؤت أحدا من عالمي زمانهم وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ آيات مِّنْ الْأَمْرِ من أمرالدين، أو أمر محمد صلى الله عليه وسلم فَمَا اخْتَلَفُوْا في ذلك الأمر إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بحقيقة الحال بَغْيًا حسدا وعداوة؛ حدثت بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِيْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَOثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ طريقة مِّنْ الْأَمْرِ أمر الدين فَاتَّبِعْهَا أي: الشريعة وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ لَايَعْلَمُوْنَO صدق بنوتك، قائلين: ارجع إلى دين آبائك، وهم رؤساء قريش إِنَّهُمْ لَنْ يُّغْنُوْا لن يدفعوا عَنْكَ مِن عذاب اللهِ شَيْئًا إن أصابك بعد لاتباعك آرائهم فرضا وَإِنَّ الظَّالِمِيْنَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ للتجانس بينهم وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِيْنَO الله هٰذَا [ص783] بَصَائِرُ لِلنَّاسِ أي: القرآن معالم أحكامهم وَهُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَO لطلبة اليقين في التوحيد والبعث أَمْ بمعني الهمزة الإنكارية حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّآتِ أَنْ نَّجْعَلَهُمْ في الآخرة كَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ أي: الذين كسبوا الكفر والمعاصي لا ينبغي أن يظنوا أن يصيرهم الله في العقبَى مثل المحسنين، كما في الدنيا سوَّاهم في الرزق والصحة سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ في عدم المؤاخذة ورغد العيش، أو هما سببان في البهجة والكرامة لهم، كما للمؤمنين، فسوآء منصوب على الحالية من الضمير في نجعلهم، وارتفاع محياهم ومماتهم بسوآئ، أو على البدلية من الكاف، فإنها معفول ثان للجعل سَاءَ مَا يَحْكُمُوْنَO ع ما مصدرية، حيث حكموا: أن بُعِثْنَا نحن فرضا؛ لنعطي من الخير ما

تعطون وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ليدل على قدرته ووحدانيته وَلِتُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ من المعاصي والطاعات وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بتنقيص ثواب، أو تضعيف عذاب أَفَرَءَيْتَ اخبرني مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰهُ أي: يجعل ما يهويه إلها يعبده وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ خذله على سابق علمه في الأزل فساد جوهر روحه أو باختياره الضلال مع العلم بقبحه وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ فلا يتعظ، ولا يتفكر وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فيهمل الآيات فَمَنْ يَّهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ بعد إضلاله أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَO تتعظون، أو يقال من يهديه غيره تعالى؛ أفلا يعلمون إن الهدايته حصر فيه تعالى وَقَالُوْا مَا هِيَ أي: الحياة إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا التي نحن فيها، ولا حيوة سواها، كما يقول به المؤمنون نَمُوْتُ نحن وَنَحْيَا بأولادنا أو يموت بعض ويحي بعض، أو نكون مواتا في [ص٧٨4] الأصلاب ويحي بعد ذلك، أو بالتناسخ كما هو مذهب أكثر عبدة الأوثان وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ أي: الزمان، وهو مدة بقاء العالم، فلا محدث لكائنة إلا الحركات الفلكية وَمَا لَهُمْ بِذَالِكَ مِنْ عِلْمٍ أي: ما يقولون به ليس أمرا ناشيا من العلم والحداقة والبرهان إِنْ ما هُمْ إِلَّا يَظُنُّوْنَO تقليدا بسلفهم في نسبة الحوادث إلى الزمان وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات الدلالة على خلاف معتقداتهم كالبعث مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ مستمسكهم يتثبتون به في المعارضة إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوْا بِآبَائِنَا إحياءا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوى البعث قُلِ اللهُ يُحْيِيْكُمْ بعد أن تكونوا نطفا في أصلاب الآباء ثُمَّ يُمِيْتُكمْ بقبض الأرواح عن تصرفها في الأبدان ثُمَّ يَجْمَعَكمْ بعد الإحياء والبعث إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ {في الجمع}[1]وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَOع أن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة، لكن الحكمة اقتضت إعادتهم يوم الجمع للجزاء وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تعميم للقدرة بعد التخصيص وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَّخْسَرُ الْمُبْطِلُوْنَO أي: يظهر لهم خسرانهم يوم القيامة، ويومئذ بدل منه وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ أهل دين جَاثِيَةً أي: مجتمعة، أو جالسة على الركب كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَىكِتَابِهَا أي: كتاب أعمالها، يقول الملائكة: أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO في الدنيا هٰذَا كِتَابُنَا أي: ديوان الحفظة يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ يشهد شهادة حقه إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ نكتب مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO أو الله سبحانه، فإضافة الكتاب إليه تعالى لأمره، ونستنسخ بمعنى نكتب فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِيْ رَحْمَتِهِ [ص785] في جنته ذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِيْنُO الظاهر وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فيقال لهم أَلَم تأتكم رسلي فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِيْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ تكبرتم عن الإيمان بها وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَOوَإِذَا قِيْلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ بالبعث وأحواته حَقٌّ وَّالسَّاعَةُ القيامة لَارَيْبَ فِيْهَا قُلْتُمْ مَّا نَدْرِيْ مَا السَّاعَةُ أيّ شيء هي؟ الساعة أمر غريب، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا أي: ما نحن إلا نظن ظنا،

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

وأكد بقوله: وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَO إتيانها وَبَدَا لَهُمْ ظهر لهم في الآخرة سَيِّآتُ مَا عَمِلُوْا أي: جزاءها وَحَاقَ نزل بِهِمْ مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO أي: العذاب وَقِيْلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ نترككم في العذاب كَمَا نَسِيْتُمْ تركتم العمل ناسيا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا وَمَأْوَاكُمُ مصيركم النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَO يخلّصونكم من عذاب الله ذَالِكمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا مهزوا وَّغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا حيث قلتم: لا بعث ولا حساب فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُوْنَ مِنْهَا من النار وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُوْنَO لا يطلب منهم العقبى، أي: الرضا بعد الغضب، يغلق باب الطاعة يومئذ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَO والعالم ما سوى الله وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ العظمة فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على ما يشاء الْحَكِيْمُO[ع] في القضايا.

سورة الأحقاف مكية، أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

حٰمٓO الله أعلم بمراده منه تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مبتداء مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِO خبره مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا خلقا متلبسا بِالْحَقِّ بما يقتضيه الحكمة [ص786] ليدل على التوحيد والبعث للمجازات وَبتقدير أَجَلٍ مُّسَمًّى ينتهي إليه الكل، هو يوم القيامة أو كل واحد واحد، هو وقت فنائه وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَمَّا أُنْذِرُوْا مُعْرِضُوْنَO لا يأملون حلوله فلا يستعدون له قُلْ أَرَءَيْتُمْ اخبروني مَا تَدْعُوْنَ تعبدون مِنْ دُوْنِ اللهِ أَرُوْنِيْ اخبروني مَاذَا خَلَقُوْا مِنَ الْأَرْضِ أيّ شيء خلقوا من أجزاء العالم السفلى؟ أَمْ بمعنى همزة الإنكار لَهُمْ شِرْكٌ مشاركة فِيْ السَّمَاوَاتِ في خلقها مع الله تعالى إِيْتُوْنِيْ بِكِتَابٍ منزل مِّنْ قَبْلِ هٰذَا القرآن أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ بقيّة من علم علماء الأولين، تدل على استحقاق الأصنام للعبادة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعواكم بالنقل أو العقل وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَّدْعُوْا يعبد مِنْ دُوْنِ اللهِ مَنْ أصناما لَّا يَسْتَجِيْبُ لَهُ للداعي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ أي: الأصنام عَنْ دُعَائِهِمْ أي: دعاء عابديهم غَافِلُوْنَO لأنهم جماد؛ لا يعقلون شيئا وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوْا أي: الأصنام لَهُمْ للعابدين أَعْدَاءً وَّكَانُوْا بِعِبَادَتِهِمْ بعبادة عابديهم كَافِرِيْنَO جاحدين وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ على أهل مكة آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ واضحات أو شاهدات قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ للقرآن لَمَّا جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌO ظاهر أَمْ بل يَقُوْلُوْنَ افْتَرَاهُ إضراب عن ذكر تسميتهم سحرا إلى ذكر ما هو أشنع منه قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام إِنْ افْتَرَيْتُهُ فرضا فَلَا تَمْلِكُوْنَ لِيْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أي: لا تقدرون على دفع العذاب عني هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيْضُوْنَ تقولون فِيْهِ في حق القرآن من القدح والطعن كَفَى بِهِ

تعالى شَهِيْدًا بَيْنِيْ [ص787] وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُوْرُ لمن تاب الرَّحِيْمُO لمن استقام على التوبة قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًامِّنَ الرُّسُلِ أي: بديعا أول مرسل حتّى تكذبوني، بل جاءوا مثلي مكررا، فأدعوكم إلى ما دعوكم وَمَا أَدْرِيْ مَا يُفْعَلُ بِيْ وَلَا بِكُمْ في الدارين إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ لا أتجاوز عن حد الوحي، فلا قدرة في إتيان المقترحات، ودفع أذى المشركين وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌOقُلْ أَرَءَيْتُمْ أخبروني ما ذا حالكم؟ إِنْ كَانَ القرآن مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أو موسى عليه السلام في التوراة عَلَى مِثْلِهِ أي: مثل القرآن في المعاني من التوحيد والوعد والوعيد، أو أنه من عند الله فَآمَنَ الشاهد بالقرآن، روي أنه سأله عن ثلاث، لا يعلمهن إلا النبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام المؤمنين في الجنة؟ وما بال الولد يشبه أحد الوالدين؟ قال: ((النَّارُ الْحَاشِرَةُ، وَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوْتِ، وَسَبْقُ الْمَاءِ، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُوْلُ اللهِ حَقًّا))[1]وَاسْتَكْبَرْتُمْ عن الإيمان به، وجزاء الشرط محذوف: أ لستم ظالمين؟ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَOۓوَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَوْ كَانَ الإيمان خَيْرًا مَّا سَبَقُوْنَا أي: المؤمنون إِلَيْهِ إلى الإيمان وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوْا أي: القائلون بهذا الكلام بِهِ بالقرآن، ظهر عنادهم فَسَيَقُوْلُوْنَ هٰذَا القرآن إِفْكٌ كذب قَدِيْمٌOوَمِنْ قَبْلِهِ قبل القرآن؛ خبر كِتَابُ مُوْسَى أي: التوراة، مبتداء إِمَامًا يؤتم به في دين الله وشرائعه وَرَحْمَةً للمؤمنين؛ حالان وَهٰذَا كِتَابٌ أي: القرآن مُصَدِّقٌ [ص788] للكتب كلها لِسَانًا عَرَبِيًّا حال لِّيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أي: مشركي مكة وَبُشْرَى بشارة لِلْمُحْسِنِيْنَOإِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا أي: وحدوا، وتحققوا به فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَO لا طريان المكروه عليهم، ولا فوت المحبوب عنهم أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا جوزوا جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَOوَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أي: أمرناه أن يحسن بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا مشقة؛ أي: ذات كره، أو حملاً ذا كره، والفتح والضم لغتان فيه، وقيل: المضموم اسم، والمفتوح مصدر وَّوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ أي: فطامه من الرضاع ثَلَاثُوْنَ شَهْرًا أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأكثر الرضاع حولان كاملان عند صاحبيه، وكذا عند الأطباء، وقيل: إن حملت به سبعة أو تسعة أرضعته الباقي، وعاش حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ قوته، واحد جاء على بناء الجمع، وقيل: جمع لا واحد له من لفظه، وسيبويه يقول: واحده

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، والحديث الكامل؛ ولفظه للبخاري: ((أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وَأَمَّا الوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ)) قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. البخاري: المصدر السابق. كتاب المناقب، باب، رقم الحديث: 3938. 69/5.

شدة، وهو ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين، وقيل: أقله ثلاث وثلاثون وَبَلَغَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً هو أكثر الأشد قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيْ ألهمني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ هي نعمة الإسلام، قيل: نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث آمن في ثماني وثلاثين، فلما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي عليه السلام دعا بهذا الدعاء؛ وقد آمن أبواه، وابنه عبد الرحمٰن، وحافده أبو عتيق. ولم يكن أحد من المهاجرين والأنصار أسلم هو وأبواه وبنوه وبناته غيره وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ الصلوات الخمس وَأَصْلِحْ لِيْ فِيْ ذُرِّيَّتِيْ واجعل الصلاح ساريا في ذريتي، فاجعلهم [ص789] مؤمنين إِنِّيْ تُبْتُ إِلَيْكَ عما لا ترضاه وَإِنِّيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَO لك أُولَئِكَ الَّذِيْنَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوْا أي: الأعمال الحسنة، وقيل: المباح حسن، ولا ثواب عليه وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّآتِهِمْ للتوبة كائنين فِيْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ مصدر مؤكد لنفسه الَّذِيْ كَانُوْا يُوْعَدُوْنَO في الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنهُمْ مَغْفِرَةٌ وَّأَجْرًا عَظِيْمًا﴾[1]وَالَّذِيْ قَالَ مبتداء، والمراد جنس القائل لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ أي: أ تضجر قذرا لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِيْ أَنْ أُخْرَجَ من قبري حيا وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُوْنُ مضت الأمم في القرون مِنْ قَبْلِيْ ولم يرجع واحد منهم وَهُمَا أي: الوالدان يَسْتَغِيْثَانِ اللهَ يقولان: الغياث بالله منك، أو يسألان الله أن يعينه بالتوفيق للإسلام، يقولان له: وَيْلَكَ دعاء بالهلاك، والمراد: الحث والتحريص آمِنْ بالبعث إِنَّ وَعْدَ اللهِ في البعث والنشور حَقٌّ فَيَقُوْلُ مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أي: ليس الذي يدعونني إليه من الإيمان بالبعث إلا أكاذيب الأولين أُولَئِكَ خبر مبتداء الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بالعذاب فِيْ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ قبل أهل مكة مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوْا خَاسِرِيْنَO قيل: نزل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، ويرده قوله: ﴿أُوْلئِكَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْل...إلخ﴾. وقال المدارك: نزل في كافر؛ عاق لوالديه، مكذب للبعث[2]. وَلِكُلٍّ من المؤمن والكافر دَرَجَاتٌ في الجنة علوا، وفي النار سفلا، والدرجات مع النار تغليب مِّمَّا عَمِلُوْا من الطاعات والمعاصي وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ جزاءها وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَO بالنقص في الثواب، أو الزيادة في العذاب وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَلَى النَّارِ يقال لهم: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ لذائذكم فِيْ حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا مستوفين المقدر لكم وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فما لكم ههنا من نصيب منها [ص790] فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ

---

1 - جزء من الآية وتمامها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الفتح، الآية: 29.

2 - النسفي: المرجع السابق. 313/3.

الذل بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُوْنَO ع عن إطاعة الله تعالى وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ وهو هود عليه السلام إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ جمع حقف، وهو رمل باليمن مستطيل، فيه حقف، أي: إعوجاج. كانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ أي: الرسل مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أي: قبل هود وبعده إلى أقوامهم، جملة معترضة، بأن قال: أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللهَ إِنِّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍO أي: القيامة قَالُوْا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا لتصرفنا عَنْ عبادة آلِهَتِنَا أي: الأصنام فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَO في دعواك قَالَ هود إِنَّمَا الْعِلْمُ علم وقت التعذيب عِنْدَ اللهِ هو يعلم متى يأتيكم العذاب وَأُبَلِّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ من التوحيد وصدق البعث وَلٰكِنِّيْ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَO أن الرسول هو المبلغ لا المعذب فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا أي: رأوا العذاب بصورة السحاب في أفق من السماء بعد حبس المطر عنهم مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ متوجها إليها قَالُوْا أي: قوم عاد هٰذَا عَارِضٌ سحاب مُّمْطِرُنَا وإضافة مستقبل وممطر لفظية. قال تعالى، أو هود: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ أي: العذاب الذي طلبتم عجلة رِيْحٌ فِيْهَا عَذَابٌ أَلِيْمٌOتُدَمِّرُ تهلك كُلَّ شَيْءٍ مرت عليه من النفوس والأموال بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوْا بعد نزوله لَا يُرَى من ديارهم إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ وأما هود ومن معه فهم في خطيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلذ الأنفس كَذَالِكَ كما جزيناهم نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَO أي: مشركي العرب وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ أي: عادا فِيْمَا في قوة [ص791] وما إِنْ نافية مَّكَنَّاكُمْ يا أهل مكة! فِيْهِ الضمير للموصول وَجَعَلْنَا لَهُمْ لعاد سَمْعًا وَّأَبْصَارًا وَّأَفْئِدَةً ليستوفوا معرفة النعم فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ من الإغناء، ومن زائدة إِذْ كَانُوْا يَجْحَدُوْنَ ينكرون بِآيَتِ اللهِ مستهزئين بها وَحَاقَ نزل بِهِمْ مَّا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَO ع أي: العذاب وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ يا أهل مكة! مِنَ أهل الْقُرَى كثمود وعاد وقوم لوط وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ كررناها لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَO عن كفرهم فَلَوْلَا هلا نَصَرَهُمُ الَّذِيْنَ أي: الأصنام اتَّخَذُوْهم مِنْ دُوْنِ اللهِ قُرْبَانًا يتقربون بهم إلى الله، حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله آلِهَةً فالمفعول الأول لاتخذوا محذوف، والثاني إما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان منه، وإما آلهة وقربانا حال، وقيل: مفعول له بمعنى التقرب بَلْ ضَلُّوا غابوا عَنْهُمْ عند نزول العذاب بهم وَذَالِكَ أي: اتخاذهم الأصنام قربانا آلهة إِفْكُهُمْ كذبهم وَمَا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَO فيه، أو عدم النصرة، ووجود الضلال يورثه إفكهم وَإِذْ صَرَفْنَا أملنا إِلَيْكَ نَفَرًا وهو دون العشر، والجمع الأنفار؛ وكانوا سبعة أو تسعة مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُوْنَ الْقُرآنَ منك، من جن نصيبين، أو جن نينوي، وهو عليه السلام ببطن نخلة يصلي الفجر مع الأصحاب أو في التهجد، وكان يقرأ: ﴿إِقْرَءْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1]فَلَمَّا حَضَرُوْهُ قَالُوْا فيما بينهم أَنْصِتُوْا اسكتوا لاستماعه فَلَمَّا قُضِيَ

---

1 – جزء من الآية وتمامها: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ سورة العلق، الآية: 1.

فرغ من قراءته وَلَّوْا رجعوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِيْنَO مخوفيهم بما سمعوا قَالُوْا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا هو القرآن أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوْسَى لعلّهم كانوا يهودا، أو [ص792] ما سمعوا بعيسى عليه السلام مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ كالتوراة يَهْدِيْ إِلَى الْحَقِّ التوحيد وَإِلَى طَرِيْقٍ مُّسْتَقِيْمٍO الشرائع يَا قَوْمَنَا أَجِيْبُوْا دَاعِيَ اللهِ أي: محمدا صلى الله عليه وسلم وَآمِنُوْا بِهِ يَغْفِرْ الله لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ يؤمنكم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍO وحكمهم في التكليف كحكم بني آدم وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ أي: رسوله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ أي: لا يعجز الله بالهرب منه في أرضه وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَاءُ أنصار، يدفعون العذاب منه أُولَئِكَ الذين لا يجيبون رسوله فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO بيّن أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ لم يتعب، كما هو شأن المخلوق بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُّحْيِيَ الْمَوْتَى دخول الباء لتاكيد النفي بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOوَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا عَلَى النَّارِ مبالغة في العرض، وإلا يعرض النار عليهم، يقال لهم: أَلَيْسَ هٰذَا التعذيب بِالْحَقِّ قَالُوْا بَلَى وَرَبِّنَا اعترفوا اعترافا غير نافع قَالَ فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَO في الدنيا فَاصْبِرْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ ذووا الثبات والجد والاصطبار على الشدائد مِنَ الرُّسُلِ من للتبعيض، وهم أصحاب الشرائع ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وقيل: من للتبيين، فكل أولوا العزم وَلَا تَسْتَعْجَلْ لَّهُمْ نزول العذاب، فإنه لا محالة في وقته نازل بهم كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ من العذاب، أي: يوم القيامة بمقايسة طوله لَمْ يَلْبَثُوْا في الدنيا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ [ص793] في زعمهم بَلَاغٌ ما ذكر تبليغ من الله إليكم فَهَلْ نافية يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُوْنَOع أي: الكافرون.

سورة محمد مكية، وقيل مدنية، ثمان وثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ امتنعوا عن الدخول في الإسلام، أو منعوا غيرهم أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْO أحبط الله حسناتهم كإطعام الطعام وصلة الأرحام {في الكفر}([1])، لا ثواب لها وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوْا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وهو القرآن وَهُوَ الْحَقُّ الصدق مِنْ رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ أي: غفر لهم ما فعلوا من الكفر والمعاصي وَأَصْلَحَ بَالَهُمْO حالهم في الدين بالتوفيق، والدنيا بالتائيد ذَالِكَ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيئات بِأَنَّ بسبب أن الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط أ و ب، والتصويب من ج.

فحبط أعمالهم وَأَنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَّبِّهِمْ فكفر سيئاتهم، وأصلح بالهم كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْO مثل ذلك البيان يبيّن الله للناس أمثالهم بالحبط والغفر فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا في المحاربة فَضَرْبَ الرِّقَابِ أي: فاضربوا رقابهم ضربا حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوْهُمْ أكثرتم فيهم القتل فَشُدُّوا الْوَثَاقَ بالكسر والفتح، ما يوثق به الأسارى، أي: احفظوهم فَإِمَّا تمنون مَنًّا بالإطلاق فيطلقون من غير شيء بَعْدُ بعد الأسر وَإِمَّا تفدون فِدَاءً بالمال أو أسارى المؤمنين، الإمام مخيّر بين القتل والمن والفداء، والاسترقاق عند الشافعي، أما عندنا فهذا منسوخ، بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ﴾[1] لأن سورة برآءة من آخر ما نزل، فحكم أسارى المشركين عندنا القتل والاسترقاق، أو هذا مخصوص بحرب بدر حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أي: أهله أَوْزَارَهَا [ص794] أثقالها من السلاح وغيره أو آثامها، وهو الشرك غاية للقتل والأسر، بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهدة ولم يبق لهم شوكة الأمر فيهم ذَالِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ أي: انتقم منهم بغير القتال كالخسف والطاعون وَلٰكِنْ أمر بالقتال لِيَبْلُوَ ليمتحن بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ليجزي الله كل نفس بما كسبت في إعلاء كلمة الله، وسفالتها من الجنة والنار وَالَّذِيْنَ قُتِلُوْا من المؤمنين يوم أحد فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لفشوا القتل والجرح فيهم ذلك اليوم فَلَنْ يُّضِلَّ يحبط أَعْمَالَهُمْOسَيَهْدِيْهِمْ إلى الثواب وَيُصْلِحُ بَالَهُمْO حالهم وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا بيّنها لَهُمْO فاشتاقوا إليها، أو يصلون إلى مساكنهم وأزواجهم وخدمهم وأرزاقهم من غير استدلال يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ أي: دينه يَنْصُرْكُمْ على أعداءكم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْO في المحارب والمعارك وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا من أهل مكة فَتَعْسًا لَّهُمْ مصدر منصوب بفعل مقدر، أي: تعسوا، أي: هلكوا وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْO عطف على الفعل المقدر، والجملة خبر المبتداء ذَالِكَ التعس والإضلال بِأَنَّهُمْ كَرِهُوْا مَا أَنْزَلَ اللهُ من القرآن فَأَحْبَطَ بسببها أَعْمَالَهُمْOأَفَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الْأَرْضِ في تجاراتهم إلى الشام فَيَنْظُرُوْا إلى مقاهر الله من قرى ثمود وعاد ولوط كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ أهلك أموالهم وأولادهم وأنفسهم وَلِلْكَافِرِيْنَ أَمْثَالُهَاO أمثال عقوبات من قبلهم ذَالِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى ناصر الَّذِيْنَ آمَنُوْا بالله وَأَنَّ الْكَافِرِيْنَ من قريش لَا مَوْلَى لَهُمْO ع لا ناصر لهم إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [ص795] جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا يَتَمَتَّعُوْنَ بأمتعة الدنيا قليلا وَيَأْكُلُوْنَ بالحرص من غير فكر الآخرة كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ به من غير فكر الذبح والنحر

---

1 – جزء من الآية وتمامها: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة التوبة، الآية: 5.

وَالنَّارُ مَثْوًى مقام {ومنزل}[1] لَّهُمْO وَكَأَيِّنْ أي: كم مِّنْ أهل قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ أهل قَرْيَتِكَ أي: مكة الَّتِيْ أَخْرَجَتْكَ مجاز باعتبار التسبب أَهْلَكْنَاهُمْ بأنواع العذاب فَلَا نَاصِرَ لَهُمْO ليمنع إهلاكنا عنهم أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ حجة وبرهان مِّنْ رَّبِّهٖ وهم الرسل والمؤمنون كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهٖ فيحسب القبيح مليحا، وهم كفار مكة وَاتَّبَعُوْا أَهْوَاءَهُمْO في عبادة الأصنام، أي: لا مماثلة بينهما في الجزاء مَثَلُ الْجَنَّةِ أي: صفتها الَّتِيْ وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ بدخولها فِيْهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ المد، غير متغير باللون والريح والطعم، كما يتغير مياه الدنيا وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ بالنتن والقرص والجرز وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ {لذيذة}[2] لِّلشَّارِبِيْنَ لا كراهة ولا غول ولا ريح، كخمور الدنيا وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى من اختلاط الشمع والرغفة وَلَهُمْ فِيْهَا أصناف مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ فهو راض؛ غير ساخط، وهذا أتم النعم، إذ كل نعمة بدونها مكر، أَمَّنْ هو في هذه النعم؟ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ مؤبد فِي النَّارِ وَسُقُوْا مَاءً حَمِيْمًا في مقابلة تلك الأشربة المذكورة فَقَطَّعَ أَمْعَائَهُمْO لفرط الحرارة، وألفه منقلبة عن ياء، لقولهم: معيان وَمِنْهُمْ من الكفار مَنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ في خطب الجمع، وهم المنافقون حَتَّى إِذَا خَرَجُوْا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوْا لِلَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ كابن مسعود، وابن عباس مَاذَا قَالَ صاحبكم آنِفًا الساعة؟ كأنه [ص796] لم يلق أذانهم تكبرا وتعنتا أُولَئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ وَاتَّبَعُوْا أَهْوَاءَهُمْO وِلِذَا تهاونُوا في سماع كلامه صلى الله عليه وسلم وَالَّذِيْنَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَّآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْO الهمم ما يتقون به النار، أو جزاء تقواهم فَهَلْ نافيه يَنْظُرُوْنَ {كفار مكة}[3] إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فجأة فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا أماراتها، منها: بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وانشقاق القمر، والدخان. فهي كالعلة فَأَنَّى لَهُمْ فكيف لهم إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْO أي: لا ينفعهم إذا حلت القيامة تذكرهم وتنبههم، وإذا علمت حال الطائفتين بالسعادة والشقاوة فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أي: فاثبت ودم على التوحيد مع الاستغفار لذنبك تعليما أو لترك الأولى، فإنه يحتاج إلى الاستغفار ولذنب المؤمنين. {وفيه تكرمة للأمة حيث باشر النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفارهم}[4] وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ أي: دنياكم، فإنه لا محالة تنتقلون عنها وَمَثْوَاكُمْO ع أي: عقبى كم، فإنها دار الإقامة أو نهاركم، فإنه وقت التجارات، وليلكم فإنه مضجعكم ومأواكم وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَوْلَا هلا نُزِّلَتْ سُوْرَةٌ فيها ذكر الجهاد والقتال فَإِذَا أُنْزِلَتْ

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ب و ج، والتصويب من أ.

4 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

سُوْرَةٌ مُّحْكَمَةٌ لا تشابه فيها وَذُكِرَ فِيْهَا الْقِتَالُ أي: أمر به رَأَيْتَ الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ ضعف في الدين، وقيل: نفاق يَّنْظُرُوْنَ إِلَيْكَ نَظَرَ المغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ خوفا وجبنا فَأَوْلَى لَهُمْOطَاعَةٌ وَّقَوْلٌ مَّعرُوْفٌ أي: فأقرب لهم طاعة الأمر وامتثاله، وقول حسن فيه، فهما مبتداء وخبر، وقيل: طاعة استيناف، أي: أمرهم طاعة، وأولي لهم وعيد، بمعنى: ويل لهم، أفعل من الولي، بمعنى: القرب، أي: يليهم المكروه، فهو دعاء عليهم [ص797] فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ أيو جدّ والتزم فرصة القتال صاحب الأمر، فالإسناد مجازي فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ سمعا وطاعة في أمر الجهاد لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْO في المثوبة، والجملة الشرطية جواب إذا فَهَلْ عَسَيْتُمْ يتوقع منكم، أي: لعلكم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عن الإيمان أو تَأَمَّرتم على الناس أَنْ تُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ بالبغي والظلم وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْO مقاتلة مع الأرقاب، كما هو دأبكم في الجاهلية، أو تكبرا وترفعا وتفاخرا عليهم، وإلحاق الضمير بعسى على لغة الحجاز، وخبره أن تفسدوا، وإن توليتم اعتراض أُولَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللهُ أبعدهم عن رحمته فَأَصَمَّهُمْ عن سماع الحق وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْO عن رؤية طريق الهدى أَفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ بمواعظه وزواجره حتّى ينزجروا عن المعاصي، ولا يجترؤا عليها أَمْ بمعنى بل عَلَى قُلُوْبٍ أَقْفَالُهَاO من الرين والختم والطبع، فلا تنفتح للإيمان إِنَّ الَّذِيْنَ ارْتَدُّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ أي: رجعوا كفارا بعد النفاق مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى أي: التوحيد بالدلائل الواضحة، أو نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ زيّن لهم وَأَمْلَى لَهُمْO وأطال لهم الآمال والأماني ذَالِكَ أي: إضلاله بِأَنَّهُمْ أي: اليهود قَالُوْا سرا وإخفاءا عن المؤمنين لِلَّذِيْنَ كَرِهُوْا مَا نَزَّلَ اللهُ من التوحيد؛ وهم المشركون سَنُطِيْعُكُمْ فِيْ بَعْضِ الْأَمْرِ وهو المعاونة على عداوة الرسول، والقعود عن نصرته، ومنع الناس عنها، فأظهر الله سبحانه نجواهم بقوله: وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْO فَكَيْفَ حالهم إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُوْنَ بمقامع الحديد وُجُوْهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْO ذَالِكَ التوفي بتلك الحالة بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوْا مَا أَسْخَطَ [ص798] اللهَ وَكَرِهُوْا رِضْوَانَهُ أي: عملوا المسخط، وتركوا المرضي فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْOع أبطلها أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ ريب أَنْ لَّنْ يُّخْرِجَ لن يظهر اللهُ أَضْغَانَهُمْO أحقادهم على النبي والمؤمنين وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ لعرفنا كهم بأعيانهم فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لعلامتهم وتشخصهم، واللامان للو وَللقسم المحذوف، وما بعده جواب لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِيْ لَحْنِ الْقَوْلِ في إمالة الكلام وأسلوبه وفحواه، أي: إذا تكلموا عندك تعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْO أيها العباد! خيرا وشرا وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ولنعاملنكم معاملة المختبر بأمر الجهاد والتكاليف الشاقة حَتَّى نَعْلَمَ ونميز للناس الْمُجَاهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ على المشاق في الجهاد وغيره وَنَبْلُوَا نظهر أَخْبَارَكُمْO أسراركم في الإيمان، وفي صداقة المؤمنين وعداوتهم، صدقا وكذبا، أو في الطاعة والعصيان في الجهاد وغيره إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ منعوا الناس عن طريق

الهدى وَشَاقُّوا الرَّسُوْلَ خالفوه مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى هم بنو قريظة وبنو النضير، أو المطعمون يوم بدر لَنْ يَّضُرُّوا اللهَ شَيْئًا بل يضرون أنفسهم وَسَيُحْبِطُ يبطل أَعْمَالَهُمْO أي: ثوابها يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَلَا تُبْطِلُوْا أَعْمَالَكُمْO بما أبطل به هؤلآء أعمالهم كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْا منعوا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ طريق الهدى ثُمَّ مَاتُوْا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْO نزلت في أصحاب القليب، والظاهر أنه عام في كل من مات على الكفر فَلَا تَهِنُوْا لا تضعفوا للعدوّ من الوهن [ص799] وَلا تَدْعُوْا الكفار إِلَى السَّلْمِ الصلح وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ الأغلبون القاهرون وَاللهُ مَعَكُمْ بالنصر وَلَنْ يَّتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْO من الوتر، وهو الفرد، أي: لا يضيعكم أعمالكم، بل يزوج أعمالكم بالثواب إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ أي: الاشتغال بها، أمر؛ لا ثبات له وَإِنْ تُؤْمِنُوْا بالله ورسوله وَتَتَّقُوْا عن الشرك يُؤْتِكُمْ أُجُوْرَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْO جميعها، بل قدر المفروض للزكوة إِنْ يَّسْئَلْكُمُوْهَا جميع الأموال فَيُحْفِكُمْ الإحفاء: الاجتهاد بأقصى الغاية، أي: يجتهد في سؤال المال أقصى الغاية تَبْخَلُوْا لا تعطوا وَيُخْرِجْ أي: الله أو البخل أَضْغَانَكُمْO أحقادكم في حق رسول الله والمؤمنين هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الهاء للتنبيه، أي: أنتم يا مخاطبون! قوم موصوفون بهذه الصفة تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ في الغزو وفي الزكاة وغيرهما فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَّفْسِهِ فإن نفع الإنفاق وضرر البخل يعود إليه، وصلة البخل جاء بعن، وعلى، لتضمنه معنى الإمساك والتعدي وَاللهُ الْغَنِيُّ عن صدقاتكم وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إلى الله وَإِنْ تَتَوَلَّوْا لتعرضوا عن طاعته يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ يطيعه ثُمَّ لَايَكُوْنُوْا أَمْثَالَكُمْOع في الإعراض عن الطاعة.

سورة الفتح مدنية، تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ إنا قضينا بفتح مكة من قابل فَتْحًا مُّبِيْنًاO ظاهرا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ بجهادك، علة للفتح، المسبب بالجهاد، وإعلاء كلمة الله، وتخليص الضعفة من المسلمين عن أيدي الظلمة، وقد يقال في التقدير: فاستغفر ليغفر الله لك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ [ص800] وَمَا تَأَخَّرَ أي: جميع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه، وقال بعض: ما تقدم؛ حديث مارية، أو ما عمل في الجاهلية، أو ذنوب آدم وحوا. وما تأخر؛ حديث امرأة زيد، أو ذنوب أمته. وفي مغفرة النبي بالجهاد ترغيب الأمة فيه وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بضم الملك والرياسة بالنبوة وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًاO في إتمام أمر الرسالة والرياسة وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيْزًاO ذا عز؛ لا ذل بعده هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ الصبر والطمانية فِيْ

قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيَزْدَادُوْٓا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ يقينا إلى يقينهم في شرائع الدين، أي: يتدرج الإيمان بالشرائع الإسلامية بنزول طمانية بعد طمانية وَلِلّٰهِ جُنُوْدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يدبر بهم ما يقتضيه الحكمة البالغة من القاهرية والمقهورية وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا بفائدة الجهاد حَكِيْمًاO في تشريعه لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ به جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَيُكَفِّرَ ويغطّي عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ وَكَانَ ذَالِكَ الإدخال والتكفير عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيْمًاO لأنه المقصود من النشأة الدنيوية وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُشْرِكَاتِ أهل النفاق في الدرك الأسفل، ولذا قُدِّموا على أهل الشرك الظَّآنِّيْنَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عدم نصر محمد وتابعيه وهلاكهم عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ أي: عليهم حائقة ودائرة ما يظنون في حق النبي والمؤمنين وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ أبعدهم عن رحمته وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْرًاO مرجعا، فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة وَلِلّٰهِ جُنُوْدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أكد بالتكرير وَكَانَ اللهُ عَزِيْزًا غالبا على ما أراد [ص801] حَكِيْمًاO فيما قدَّر إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا لكل نبي، وللأمة المرحومة وَمُبَشِّرًا بالجنة وَنَذِيْرًاO بالنار لِتُؤْمِنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ أيها المؤمنون! تثبتوا على الإيمان وَتُعَزِّرُوْهُ تنصروا الله بتقوية دينه وَتُوَقِّرُوْهُ تعظموه وَتُسَبِّحُوْهُ تنزيها وتصلية بُكْرَةً وَّأَصِيْلًاO غدوا وعشيا، أو دائما إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُوْنَكَ بيعة الرضوان في الحديبية إِنَّمَا يُبَايِعُوْنَ اللهَ لأنه المقصود بعقد الميثاق يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِمْ إشارة إلى أوثقية هذا العهد، ونهاية بعده عن مظان النقض فَمَنْ نَّكَثَ نقض العهد فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ضرر نكثه يعود إليه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ بالبيعة فَسَيُؤْتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًاOع الجنة. استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وجهينة ومزينة وغِفار عام الحديبية، فتخلفوا بضعف العقيدة، ولما رجع عن الحديبية اعتذروا بالشغل بالأموال والعيال، فقال: سَيَقُوْلُ لَكَ الْمُخَلَّفُوْنَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُوْنَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا من الله على التخلف يَقُوْلُوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ في أمر الاستغفار والمعذرة قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ لَكُمْ مِّنْ اللهِ شَيْئًا من يمنعكم من قضائه شيئا؟ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا قتلا وهزيمة أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا أي: لا يملك بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ لم يزل خَبِيْرًاOبَلْ للانتقال من غرض إلى غرض ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَّنْقَلِبَ الرَّسُوْلُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ إِلَى أَهْلِيْهِمْ أَبَدًا جمع أهل، يستأصلهم المشركون، فلا يرجعون إلى المدينة وَزُيِّنَ ذَالِكَ يمكن هذا من الشيطان فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ في الله ورسوله وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُوْرًاO جمع بائر، كعائد وعود، أي: هالكين عنده تعالى [ص802] بفساد العقيدة، وسوء النيّة وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ سَعِيْرًاOوَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يدبره على قضية حكمته يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَكَانَ اللهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًاO لسبق رحمته على غضبه سَيَقُوْلُ الْمُخَلَّفُوْنَ عن الحديبية[1]إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ غنائم خيبر[2] لِتَأْخُذُوْهَا ما من حضر الحديبية، ويقسموا بينكم غنائمها ذَرُوْنَا دعونا نَتَّبِعْكُمْ لنأخذ منها يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُّبَدِّلُوْا كَلَامَ اللهِ وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر عوض غنائم مكة قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُوْنَا نفي بمعنى النهي: لا تتبعونا كَذَالِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ قبل عودنا إليكم، أو الخروج إلى خيبر فَسَيَقُوْلُوْنَ بَلْ تَحْسُدُوْنَنَا أن نصيب معكم إلى غنائم خيبر، ردّ منهم أن يكون حكما لله تعالى وإثبات الحسد بَلْ كَانُوْا لَا يَفْقَهُوْنَ شيئا إِلَّا قَلِيْلًاO هو أمر المعاش، رد من الله ذلك، وإثبات جهلهم قُلْ لِّلْمُخَلَّفِيْنَ مِنَ الْأَعْرَابِ تكرار للوصف الشنيع سَتُدْعَوْنَ وكان الداعي يومئذ أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ، وفيه إيماء إلى خلافته إِلَى قَوْمٍ أُولِيْ بَأْسٍ حرب شَدِيْدٍ تُقَاتِلُوْنَهُمْ أَوْ يُسْلِمُوْنَ هم بنو حنيفة، أو من ارتد بعده صلى الله عليه وسلم، أو المشركون، وقيل: فارس والروم، وقد دعاهم عمررضي الله عنه، ويسلمون حينئذ بمعنى ينقادون لقبولهم الجزية بخلاف هؤلاء، فليس لهم إلا السيف أو الإسلام ولا جزية فَإِنْ تُطِيْعُوْا إلى قتالهم يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا في الدارين: الغنيمة والجنة وَإِنْ تَتَوَلَّوْا عن الموافقة كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ في الحديبية يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاO لتضاعف الجرم [ص803] لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْمَرِيْضِ حَرَجٌ في ترك الجهاد، فهم مستثناؤن عن الوعيد وَمَنْ يُّطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ترغيب في الطاعة وَمَنْ يَّتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيْمًاOع ترهيب عن الإعراض لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قصد النبي العمرة، ونزل بالحديبية، فبعث جوّاس

---

1 – الحديبية: بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها، فروي عن الشافعي، رضي الله عنه، أنه قال: الصواب تشديد الحديبية وتخفيف الجعرانة، وأخطأ من نصّ على تخفيفها، وقيل: كلّ صواب، أهل المدينة يثقلونها وأهل العراق يخففونها، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحتها، وقال الخطابي في أماليه: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وقال محمد بن موسى الخوارزمي: اعتمر النبي، صلى الله عليه وسلم، عمرة الحديبية ووادع المشركين لمضي خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة النبوية. الحموي: المرجع السابق. 230/2.

2 – خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي، صلى الله عليه وسلم، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سمّيت خيابر، وقد فتحها النبي، صلى الله عليه وسلم، كلها في سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان. الحموي: المصدر السابق. 409/2.

ابن أمية[1] إلى قريش مكة، فهموا بقتله، فمنعهم الأحابيش، فرجع، ثم بعث عثمان بن عفان، فوقروه، واحتبس عندهم، فأرجف بقتله، والنبي جالس تحت شجرة سدرة أو سمرة، ومعه ألف وثلاث مائة أو أربع مائة أو خمس مائة، فبايعوه على القتال مع القريش وعدم الفر عنهم فَعَلِمَ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ من الإخلاص والوفاء فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ الطمانية بالتشجيع، أو الصلح عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ وجازاهم فَتْحًا قَرِيْبًاO فتح خيبر بُعيد الرجوع، أو فتح مكة وَمَغَانِمَ كَثِيْرَةً يَّأْخُذُوْنَهَا من خيبر وَكَانَ اللهُ عَزِيْزًا غالبًا في تنفيذ حكمه حَكِيْمًاO في مصالح الأمور وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيْرَةً تَأْخُذُوْنَهَا إلى يوم القيام فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ مغانم خيبر وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ أيدي أهل خيبر وحلفاءهم من بني أسد[2] وغطفان[3] عن عيال المؤمنين في المدينة، لتشكروا نعمة الله وَلِتَكُوْنَ هذه العجلة والكفة آيَةً إمارة لِّلْمُؤْمِنِيْنَ على رحمته عليهم وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًاO التكلان في عزم الأمور وَمغانم أُخْرَى عطف على هذه لَمْ تَقْدِرُوْا عَلَيْهَا بعدُ من هوازن[4]، أو فارس والروم قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا علما بتكوينه وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرًاO [ص804] وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: قريش مكة في الحديبية، ولم يصالحوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ أي: لانهزموا ثُمَّ لَا يَجِدُوْنَ وَلِيًّا محبا؛ يلجاؤن إليه وَلَا نَصِيْرًاO يعاضدهم في الحرب سُنَّةَ اللهِ الَّتِيْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ نصر الأنبياء على الكفار، مصدر منصوب بفعل محذوف، أي: سنَّ الله تعالى سنته وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيْلًاO تغيرا وَهُوَ الَّذِيْ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ أيدي كفار مكة عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ في وادي مكة، أي: الحديبية مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وذلك أن ثمانين منهم طافوا بعسكر المؤمنين ليصيبوا منهم، فأخذوا، وجيء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعفى عنهم، وخلى سبيلهم، وصار ذلك سبب الصلح بين الطائفتين، وقيل: عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مائة إلى الحديبية، فبعث خالد بن الوليد فهزمهم، حتّى أدخلهم حيطان مكة،

1 – جواس بن أمية: هو جواس ابن أمية الخزاعي. الديار بكري: المرجع السابق. 19/2.

2 – بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب. ثلاثة نفر. قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة: عمرو، لخمي، وسعد مولى حاطب، كلبي. ابن هشام: المرجع السابق. 680/1.

3 – غطفان: قبيلة عدنانية، كانت منازلهم بنجد، مما يلي وادي القرى وجبل طيئ. ومن ديارهم: ذو أرل والهباءة، ومن جبالهم: ضرغد، ومن أوديتهم: الرّمة، كانوا يعبدون العزّى– في الجاهلية–. شُرَّاب: المصدر السابق. ص: 209.

4 – هوازن: قبيلة عدنانية، كانت تقطن في نجد مما يلي اليمن. ومن أوديتهم: «حنين» ، غزاه رسول الله بعد فتح مكة. شُراب: المصدر السابق. 294.

ثم عاد وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرًاO دائما هُمُ أي: كفار مكة الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْكُمْ منعوكم عام الحديبية عَنِ زيارة الْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَمنعوا الْهَدْيَ المبعوثة للعمرة مَعْكُوْفًا حال كونه محبوسا أَنْ يَّبْلُغَ الهدي مَحِلَّهُ مكان النحر في الحرم عادة وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُوْنَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ بمكة لَمْ تَعْلَمُوْهُمْ بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين أَنْ تَطَئُوْهُمْ تقتلوهم مع الكفار، بدل اشتمال من رجال فَتُصِيْبَكُمْ مِّنْهُمْ من قبلهم مَّعَرَّةٌ مكروه، مفعلة من عرّا، إذا عراه، ما يكرهه، كوجوب الدية أو الكفارة والتأسف عليهم والسوء، قالة المشركين بِغَيْرِ عَلْمٍ متعلق بتطؤهم، وجواب لولا محذوف، أي: لأذن لكم في القتال، ولكن لم يأذن لِيُدْخِلَ اللهُ فِيْ رَحْمَتِهِ مَنْ يَّشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوْا أي: لو تميزوا عن [ص805] الكفار، وعرفوا بأعيانهم لَعَذَّبْنَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ من أهل مكة عَذَابًا أَلِيْمًاO بالقتل والسبي، واذكر إِذْ جَعَلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إذ ظرف لعذبنا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْحَمِيّةَ الأنفة حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ التي تابي عن الحق، حيث صدوا النبي والمؤمنين عن المسجد الحرام فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ طمانيته ووقاره عَلَى رَسُوْلِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ قيل: لما همّ النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمر[1] وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص للصلح على أن يرجع من عامه، ونحن نخلي مكة من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم، فقال عليه السلام لعلي اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح رسول الله، قالوا: ما نعرف ذلك، اكتب باسمك اللهم، ولو عرفناك رسولا ما صددناك عن البيت، فهمَّ المؤمنون أن يبطشوا عليهم، فأنزل الله سكينته وطمانيته ووقاره فتحملوا، فقالوا اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى أي: كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أو بسم الله الرحمن الرحيم، ويمكن أن يقال كلمة قبول الصلح، فإنها صارت سببا لوقاية الحرب معهم وَكَانُوْا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا بهذه الكلمة، فإن الصلح خير لهم، صدر في حقهم وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًاOع دائما، وقد علم أن الصلح ههنا أحسن من الحرب، لما فيه من الحكمة. رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه في المدينة، أنه وأصحابه دخلوا مكة، وحلقوا، وقصروا أشعارهم، وزاروا البيت، فأخبر هم بها،

---

1 – سهيل بن عمر: هو سهيل بن عمرو بن شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي. ويكنى أبا يزيد. وخرج إلى حنين مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة منصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حنين فأعطاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ مائة من الإبل من غنائم حنين. فسمعت سهيلا يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير من عمله عمره في أهله. قال سهيل بن عمرو: فأنا أرابط حتى أموت، ولا أرجع إلى مكة أبدا. فلم يزل بالشام حتى مات بها في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب. ابن سعد: المصدر السابق. 284/7.

فزعموا أنه في هذا العام، الذي خرج إلى الحديبية، فلما تأخر بالصلح، قال بعض المنافقين: والله ما حلَّقنا وما قصّرنا وما رأينا البيت، فنزل: لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُوْلَهُ الرُّءْيَا أصله [ص806] صدقه في رؤياه، أي: لم يكذبه، فحذف الجار، أي: كلمة في، وأوصل الفعل، كقوله: ﴿صَدَقُوْا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[1] متلبسا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بعد عام الحديبية إِنْ شَآءَ اللهُ تعليقا بالمشية تعليما للعباد، أو حكاية لقوله صلى الله عليه وسلم آمِنِيْنَ مُحَلِّقِيْنَ رُؤُوْسَكُمْ وَمُقَصِّرِيْنَ لَا تَخَافُوْنَ أبدا من عدو فَعَلِمَ الله في أمر الصلح مَا لَمْ تَعْلَمُوْا فَجَعَلَ مِنْ دُوْنِ ذَالِكَ الدخول في مكة فَتْحًا قَرِيْبًاO هو فتح خيبر، ترويحا لقلوب المؤمنين، وتيسيرا لأسباب الفتح الموعود في عام القابل هُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى بالقرآن وَدِيْنِ الْحَقِّ هو الإسلام لِيُظْهِرَهُ ليغلبه عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ غير الإسلام وَكَفَى بِاللهِ شَهِيْدًاO على ما وعد به لآت مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ جملة، أو مبتداء، وعطف بيان وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ غلاظ عليهم، جمع شديد، خبر الذين، أو خبر الجميع رُحَمَاءُ جمع رحيم بَيْنَهُمْ يفعلون بكل ما يليق به تَرَاهُمْ رُكَّعًا جمع راكع سُجَّدًا جمع ساجد يَّبْتَغُوْنَ يطلبون فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا في الدنيا والآخرة سِيْمَاهُمْ علامتهم فِيْ وُجُوْهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ السمت: التي تحدث في جباههم من كثرة السجود، فعلا من سامه، إذا أعلمه، أو نور يظهر في الآخرة، يعرف به أنهم سجدوا لله في الدنيا ذَالِكَ الوصف المذكور، أو إشارة مبهمة، تفسيرها كزرع مَثَلُهُمْ صفتهم فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ وصفتهم فِي الْإِنْجِيْلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ أي: فراخه؛ الذي يتهياء به للحب فَآزَرَهُ فقواه وأعانه فَاسْتَغْلَظَ من الدقة فَاسْتَوَى فاستقام عَلَى سُوْقِهِ جمع ساق يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ بحسن منظره، شبّه بذلك [ص807] لِيَغِيْظَبِهِمُ الْكُفَّارَ من ملاحظة بدء الإسلام غريبا، ثم قوته واستحكامه بحيث انتشاء عنه غيظ الكفار وحسدهم وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَّأَجْرًا عَظِيْمًاOع من للبيان، والأجر العظيم: الجنة والرضوان.

سورة الحجرات مدنية، ثمان عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُقَدِّمُوْا أمرا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ أي: لا تقولوا، ولا تفعلوا خلاف الكتاب والسنة وَاتَّقُوا اللهَ في المخالفة إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ بكلامكم عَلِيْمٌO بضمائركم يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْا

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: 23.

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ إذا كلمتم به وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ بل اخفضوا إجلالا لشانه كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ من غير مبالات كراهة أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَO بحبطها، روي أنه مما نزلت تخلف ثابت بن قيس[1] عن مجلسه صلى الله عليه وسلم، فدعاه، فقال: إني رجل جهير الصوت، فأخاف الحبط، فقال عليه السلام: ((لَسْتَ هُنَاكَ، تَعِيْشُ بِخَيْرٍ، وَتَمُوْتَ بِخَيْرٍ، وَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[2]، وقيل: لا تنادوه باسمه وكنيته، كما تنادون بينكم، بل: يا رسول الله! ويا نبي الله! إِنَّ الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ يخفضونها بالمبالغة إجلالا له، كأبي بكر وعمر، كانا يُسِرَّان في الكلام معه بعد ذلك حتى يستفهمهما أُولَئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ جرَّب اللهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوَى ليظهر منها [ص808] لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌO قيل: عيينة بن حصين[3]، والأقرع بن حابس[4] من وفد بني

---

1 – ثابت بن قيس: هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج، لم يشهد بدرا، وكان أمير الأنصاري في قتال أهل الردة. قال ابن إسحاق: قال ثابت بن قيس: بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، ثم قاتل حتى قتل. وزحف المسلمون حتى ألجئوهم إلى الحديثة وفيها مسيلمة عدو الله، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم إليهم فقاتلهم حتى فتح الحديقة للمسلمين. الذهبي: المرجع السابق. 69/3.

2 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، والحديث الكامل: ((لَسْتَ مِنْهُمْ، بَلْ تَعِيشُ بِخَيْرٍ، وتَمُوتُ بِخَيْرٍ، ويُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ)). (أ) أبو بكر بن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد، الشيباني، (ت: 287هـ). الجهاد لابن أبي عاصم: (ط–1، تحقيق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1409هـ). الثبات عند لقاء العدو. رقم الحديث:225 . 560/2. (ب) الطبراني: باب الثاء ، ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، رقم الحديث:1320. 70/2.

3 – عيينة بن حصين: هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري، من قيس عيلان، واسم عيينة حذيفة، فأصابته لقوة فجحظت عيناه فسمي عيينة. ويكنى أبا مالك وهو سيد بني فزارة وفارسهم. الذهبي: المصدر السابق. 348/3.

4 – الأقرع بن حابس: هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارميّ التميمي: صحابي، من سادات العرب في الجاهلية. قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في وفد من بني دار من تميم فأسلموا. وشهد حنينا وفتح مكة والطائف. وسكن المدينة. وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر. وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة. واستشهد بالجوزجان. وفي المؤرخين من يرى أن اسمه فراس، وأن الأقرع لقب له، لقرع كان برأسه. وكان حكما في الجاهلية. الزركلي: المرجع السابق. 5/2.

تميم[1] في سبعين نادياه وقت الظهيرة وهو راقد، قالا: اخرج يا محمد! صلى الله عليك وسلم إلينا، فنزلت: إِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ بغلظ وجفاء كما هو دأب إعراب من البدو مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ من خارجها، لا يدرون أنت في أيتها من حجرات نسائك، جمع حجرة، وهي قطعة من الأرض المحجورة بحائط أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَO منصبك من الله تعالى وَلَوْ ثبت أَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بالتوجه والكلام من غير مسائلة ومناداة لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللهُ غَفُوْرٌ لمن أساء في الأدب فتاب رَحِيْمٌO بهم بتعليم الآداب يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ بخبر فَتَبَيَّنُوْا فاستظهروا صدقه من كذبه كراهة أَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ جاهلين بحالهم فَتُصْبِحُوْا فتصيروا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِيْنَO لازمين الغم بوقوعه، روي: أن وليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقا في الجاهلية، كان بينه وبينهم إحنة، فاستقبلوه، فخاف منهم، ورجع قائلا: منعوا الصدقة، وهموا بقتلي، فهم النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم، فجاؤا منكرين قالته، فنزلت، وأرسل خالد بن الوليد إليهم بعد عودهم فوجدهم متهجدين متصدقين، والتقييد بالفسق يدل على قبول خبر الواحد العدل وَاعْلَمُوْا أَنَّ فِيْكُمْ رَسُوْلَ اللهِ فيخبره الله بأكاذيبكم، فلا تكذبوا عنده، أو فاسترشدوا برأيه لَوْ يُطِيْعُكُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْأَمْرِ الذي تخبرونه به كذبا فيحكم برأيكم لَعَنِتُّمْ لوقعتم في العنت، أي: في الهلاك، وفيه أشعار بأن بعضهم أشاروا بالإيقاع بني المصطلق تصديقا بقول الوليد، وبعضهم امسكوا عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله: وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيْمَانَ وَزَيَّنَهُ [ص809] حسَّنه فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ تغطية نعمه تعالى وَالْفُسُوْقَ الخروج عن الاقتصاد وَالْعِصْيَانَ ترك الانقياد، استدراك معنوي لبيان عذرهم، إن هذه الأوصاف حملتهم على الإمساك أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُوْنَO الثابتون على طريق المستقيم فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً مفعول له للحب، أو الكراهة، أو منصوب بفعل محذوف، أي: تفضل، أو مصدر لغير فعله، فإن التحبيب والرشد فضل منه تعالى وَاللهُ عَلِيْمٌ بنياتهم فيما يفعلون حَكِيْمٌO في إعطاء الفضل والإنعام لهم وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا الجمع باعتبار إن كل طائفة جمع فَأَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بالنصح فَإِنْ بَغَتْ تعدت إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الطائفة الَّتِيْ تَبْغِيْ حَتَّى تَفِيْءَ ترجع إِلَى أَمْرِ اللهِ تعالى، حكمه فَإِنْ فَاءَتْ رجعت فَأَصْلِحُوْا

1- تميم: واشتقاق تَمِيم من الصَّلابَة والشِّدّة. والتَّميمة: المعَاذة تُعلَّق على الإنسان. ويمكن أن يكون من هذا أيضاً. وقد سمَّت العربُ تميماً، وتَمَّاماً، ومُتمِّماً. فأمّا متمّم فهو المتمّم للأيسار، إذا نَقَصوا عن سبعة أخَذَ سهمينِ حتَّى يتمِّمهم. قبائل تميم: ولد عَمرو بن تميم: أُسيِّداً، والهُجَيم، والعنبر، ومالكاً، والحارث، وكعباً. فأمَّا كعبٌ فهم حِلْف في بني مازن، وهم قليل. ابن دريد: محمد بن الحسن، أبو بكر، الأزدي، (ت: 321هـ). الاشتقاق: (ط-1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1991م). ص: 201.

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ بالإنصاف وَأَقْسِطُوْا القسط بالفتح الجور، والهمزة للسلب، أي: اعدلوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَO إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ شربوا من ضرع الإسلام لبن التوحيد والشرائع فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وإنما ثني، لأنه أقل الشقاق والتنازع وَاتَّقُوا اللهَ في مخالفة حكمه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَO ع بهذه الصفة. نزلت في أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا، ومر بابن أبيّ، فبال حماره، فسدَّ ابن أبيّ أنفه، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: والله لبول حماره أطيب من مسكك ريحا، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما من الأوس والخزرج، فكان بين قوميهما مشاجرة ومسابة وضراب بالأيدي والنعال وسعوف النخل. وفي الآية دلالة على الإيمان الباغي، وإذا قبض عن البغي ترك، وتقديم النصح على القتال وإعانة من بغى عليه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ السخرية: [ص810] الازدراء، والاحتقار. ولفظ القوم للرجال عَسَى أَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوْا أَنْفُسَكُمْ اللمز: الطعن باللسان، أي: لا تطعنوا أهل دينكم وَلَا تَنَابَزُوْا بِالْأَلْقَابِ النبز: اللقب السوء، أي: لا تداعوا بالألقاب السوء؛ المورثة للمدعو كراهة بِئْسَ الِاسْمُ المذكور من السخرية واللمز والنبز الْفُسُوْقُ بدل من الاسم، أي: ساء الذكر المرتفع بين الناس أن يذكروا بالفسق بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO نزلت في صفية بنت حيي، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين، فقال عليه الصلاة والسلام: هلا قلت أبي هارون، وعمي موسى عليهما السلام، وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: سخر وفد تميم من فقراء المسلمين كعمار وصهيب رضي الله عنهم، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ كونوا منه على جانب، فإن الظن أقسام، والمأمور بالاجتناب هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة، فيحتاط في كل ظن حتى يعلم أنه من أيّ قبيل منه ما يجب اتباعه، مثل ظن بالعمليات حيث لا قاطع، ومنه ما يحرم كما في الإلٰهيات والنبوات، وحيث قاطع يخالفه، وسوء الظن بالمؤمنين، ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية، ومنه ما يندب كالتحري في القبلة إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ كظن السوء بأهل الخير إِثْمٌ ذنب، عليه عقوبة وَّلَا تَجَسَّسُوْا لا تتبعوا عورات المؤمنين من المعائب بالبحث عنها وَلَا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه؛ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه؛ فقد بهتّه، قيل: رجلان من الصحابة بعثا سلمان إلى النبي عليه السلام للإدام، فحال إلى الأسامة، وكان على [ص811] طعامه عليه السلام، فقال: ما عندي إدام، فقالا: لو بعثناه إلى بئر سُميحة لغار ماؤها، فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لي أري حمرة اللحم في أفواهكما، فأنكرا تناوله، فقال: إنكما اغتبتما أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ تمثيل بالمبالغات بحال من أكل لحم الأخ بعد موته، وإن عرض

عليكم فرضا لحم الأخ الميت فكرهتموه، فينبغي أن تكرهوا في حال حياته وَاتَّقُوا اللهَ في الاغتياب إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ البليغ في قبول التوبة لمن تاب عنها رَحِيْمٌO لمن اتقى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ آدم وَأُنْثَى حوّاء، فالكل سواء في ذلك وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَائِلَ جمع شعب، وهو الجمع العظيم، تجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل. فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصيّ بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة. وقيل: الشعوب للعرب، والقبائل للعجم لِتَعَارَفُوْا يعرف بعضكم بعضا بالنسب، لا لتفاخر، وإنما الفخر بالتقوى، كما قال: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ومعه إن كان مبتلى بالنعمة فهي له، وإلا فهي عليه إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بضمائركم خَبِيْرٌO بسرائركم قَالَتِ الْأَعْرَابُ نفر من بني أسد، قدموا المدينة في سنة جدبة اٰمَنَّا بمواطاة القلب واللسان، وجئناك بالأحمال والأثقال والعيال، وما قاتلناك كما قاتلك بنو فلانة، يريدون الصدقة، والمنة على النبي عليه السلام بالإيمان قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا إذ الإيمان إنما يكون بطمانية القلب، ولم توجد فيكم، وإلا لما مننتم على رسول الله بالإيمان وترك المقاتلة، كما سيجيئ [ص812] وَلٰكِنْ قُوْلُوْٓا أَسْلَمْنَا أي: حصلنا الانقياد ظاهرًا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ أي: لم يحصل مواطاة القلب باللسان فيكم، هذا من حيث اللغة، وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد وَإِنْ تُطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ بالإخلاص وترك النفاق لَا يَلِتْكُمْ لاينقصكم مِّنْ ثواب أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا من لات يليت ليتاً بمعنى النقص إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لمن أساء رَّحِيْمٌO بهم بإرشاد الهدى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الصادقون الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا ثم لم يشكوا في الإيمان حتّى الموت وَجَاهَدُوْا جهادا كبيرا وصغيرا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَO لا الذين قالوا آمنا، ولم يوجد شيئا غير الإسلام منهم، كنفر من بني أسد قُلْ أَتُعَلِّمُوْنَ اللهَ بِدِيْنِكُمْ أ تخبرونه بتصديق قلوبكم بقولكم آمنا؟ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ من الإخلاص والنفاق وغيرهما عَلِيْمٌOيَمُنُّوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا أي: بأن أسلموا، يعدون إسلامهم عليك منة قُلْ لَا تَمُنُّوْا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ أي: بإسلامكم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ أي: بأن هداكم لِلْإِيْمَانِ أوضح طريقة، وإن لم يحصل لكم الاهتداء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في ادعاء الإيمان، فللّه المنة عليكم إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَOع فلم تظهرون ما ليس في قلوبكم؟

سورة قٓ مكية، خمس وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

قٓ الله أعلم بمراده منه وَللقسم الْقُرْآنِ الْمَجِيْدِO ذو الشرف على غيره من الكتب السماوية، جواب القسم محذوف، أي: ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم بَلْ عَجِبُوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ [ص813] من عذاب النار مِّنْهُمْ من أنفسهم فَقَالَ الْكَافِرُوْنَ هٰذَا الإنذار شَيْءٌ عَجِيْبٌO ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا أي: أ نرجع إذا صرنا بعد الموت ترابا ذَالِكَ الرجع رَجْعٌ بَعِيْدٌO عن العقل والعادة قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ رد لاستبعادهم الرجوع، لأن من كان علمه محيط بحال أجساد الموتى من ينقص الأرض لحومهم وعظامهم كان قادرًا على رجعهم إحياءا، كما كانوا وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيْظٌO لتفاصيل الأشياء كلها، أو محفوظ عن التغير بَلْ كَذَّبُوْا بِالْحَقِّ بالنبي، أو بالقرآن لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ أي: كفار مكة فِيْ أَمْرٍ مَّرِيْجٍO مضطرب، تارة يقولون أنه لمجنون، وتارة أنه شاعر، وتارة أنه ساحر، وتارة أنه كاهن أَفَلَمْ يَنْظُرُوْا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا بغير عمد مع هذه الرفعة وَزَيَّنَّاهَا بالكواكب وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوْجٍO فتوق وشقوق وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها على وجه الماء وَأَلْقَيْنَا وطرحنا فِيْهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت، لولا هي لمالت وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍO كل صنف حسن تَبْصِرَةً علة للأفعال المذكورة وَّذِكْرٰى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍO راجع إلى ربه بنظر فكري في قدرته وعجائب صنعه، فمن راقب أحوال السماء والأرض يذعن بقدرته على البعث وإحياء الأموات من الأجداث، وإن كل جزء من أجسادهم محفوظ في علمه وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا كثير النفع فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ بساتين وَّحَبَّ الْحَصِيْدِO أي: حب الزرع، الذي من شأنه أن يحصد وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ طوالاً، أو حوامل للثمر لَّهَا طَلْعٌ هو بدء الثمر نَّضِيْدٌO متراكب بعضه فوق بعض رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ علة الإثبات وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا جفت نباتها، يستوي فيه المذكر والمؤنث كَذَالِكَ مثل ذلك الإحياء الْخُرُوْجُO [ص814] من القبور كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قبل قريش قَوْمُ نُوْحٍ التأنيث باعتبار معنى القوم وَّأَصْحٰبُ الرَّسِّ هي بئر قوم باليمامة، كانوا مجتمعين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، وبينهم حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره، وقيل: هم أصحاب الأخدود وَثَمُوْدُO قوم صالح وَعَادٌ قوم هود وَّفِرْعَوْنُ أي: قومه وَإِخْوَانُ لُوْطٍO سمّاهم إخوانه لأنهم كانوا أصهاره وَأَصْحٰبُ الْأَيْكَةِ قوم شعيب وَقَوْمُ تُبَّعٍ كان ملكا باليمن، دعا قومه إلى التوحيد فكذبوه، سمي به لكثرة تبعه كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ كقريش، إذ تكذيب واحد تكذيب الجمع فَحَقَّ عليهم وَعِيْدِO أي: وعيدي، فلا تكن في ضيق من قريش، فيصيبهم ما أصاب بالأولين أَفَعَيِيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ أي: أ قصدنا، فعجزنا في بدء الخلق؟ لا، فلا نعجز في إعادته بَلْ هُمْ كفار مكة فِيْ لَبْسٍ في شك مِّنْ خَلْقٍ جَدِيْدٍOع هو البعث وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ تحدّث به، أي: نعلم حديث النفس، والوسواس الإلهام، والصوت الخفي، واسم الشيطان وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ بالعلم مِنْ حَبْلِ الْوَرِيْدِO الوريدان عرقان في باطن صفحتي العنق، يضرب

به المثل في القرب، والإضافة بيانية. أذكر إِذْ يَتَلَقَّى يأخذ ويتلقّن بالحفظ ويثبت الْمُتَلَقِّيَانِ الملكان الكاتبان عَنِ الْيَمِيْنِ من الإنسان قعيد وَعَنِ الشِّمَالِ من الإنسان قَعِيْدٌO جليس عنده مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ أي: ما يتكلم بلسانه إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ حفيظ عَتِيْدٌO حاضر، لا ينفك عنه إلا عند الغائط والجماع، ويكتب كل شيء حتّى أنينه في مرضه، وقيل: لايكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر، ويطلق الفعيل علي الواحد والمتعدد وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموْتِ بِالْحَقِّ الباء للتعدية، أي: أحضرت شدة الموت؛ الذاهبة بالعقل، الحق الثابت في حقه، [ص815] أي: الموت، أو جزاء الأعمال الدنيوية، أو للملابسة، أو بمعنى مع ذَالِكَ الموت مَا كُنْتَ أيها الإنسان مِنْهُ تَحِيْدُO تميل وتفرّ وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ نفخة البعث ذَالِكَ النفخ يَوْمُ الْوَعِيْدِO أي: يوم إنجازه وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ إلى المحشر مَّعَهَا سَائِقٌ ملك يسوق إلى المحشر وَّشَهِيْدٌO وملك يشهد بأعماله، أو ذاته وأعضائه. يقول الله تعالى له، أو للكافر لَقَدْ كُنْتَ في الدنيا فِيْ غَفْلَةٍ مِّنْ هٰذَا النازل في هذا اليوم فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ غفلتك بما تشاهد فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌO تدرك ما كنت تنكر وَقَالَ قَرِيْنُهُ أي: الملك الموكل عليه بالكتابة والشهادة هٰذَا مَا لَدَيَّ أي: المكتوب من أعمالك عندي عَتِيْدٌO حاضر أَلْقِيَا يا سائق، ويا شهيد فِيْ جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ بالنعم والمنعم عَنِيْدٍO معاند للحق مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ كالزكاة مُعْتَدٍ ظالم مُّرِيْبٍO شاك في دينه الَّذِيْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيْدِO قال الكافر: ربّ أطغاني قريني، أي: الشيطان المقيض لي قَالَ قَرِيْنُهُ أي: ذلك الشيطان رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وما أضللته وَلٰكِنْ كَانَ فِيْ ضَلَالٍ بَعِيْدٍO مختل الرأي، مائلاً إلى الفجور بحسب الجبلّة، فدعوته، فاستجاب لي قَالَ تعالى: لَا تَخْتَصِمُوْا لَدَيَّ في موقف الحساب ولا طائل تحته وَقَدْ قَدَّمْتُ في الدنيا إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيْدِO بالعذاب في الآخرة، والباء زائدة مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ ما يغير الحكم لَدَيَّ والعفو بالأسباب ليس من باب التبديل وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِOع مبالغة في النفي، لا نفي المبالغة، أو ظلام بمعنى ذي ظلم، أو التكثير باعتبار كثرة الجمع يَوْمَ نَقُوْلُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ [ص816] استفهام بتحقق وعد: لأملأن جهنم وَتَقُوْلُ في الجواب هَلْ مِنْ مَّزِيْدٍO مصدر كالمجيد، أو مفعول كالمبيع، أي: قد امتلات، أو تستزيد وقتها موضع للمزيد وَأُزْلِفَتِ قربت الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ مكانا غَيْرَ بَعِيْدٍO بحيث يرى، ويقال لهم هٰذَا المرئيّ مَا تُوْعَدُوْنَ به في الدنيا لِكُلِّ أَوَّابٍ رجّاع عن المعاصي إلى رضي الله تعالى، بدل من قوله للمتقين بإعادة الجار حَفِيْظٍO للحدود مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بدل من موصوف أواب بِالْغَيْبِ أي: خافه ولم يره، أو بالقلب وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيْبٍO راجع إلى الله تعالى، ويقال للمتقين: ادْخُلُوْهَا الجمع باعتبار معنى مَنْ بِسَلَامٍ أي: معه ذٰلِكَ اليوم؛ الدخول في الجنة يَوْمُ الْخُلُوْدِO أي: يوم الدوام لَهُمْ مَّا يَشَاءُوْنَ فِيْهَا وَلَدَيْنَا مَزِيْدٌO لا يخطر ببالهم وَكَمْ كثيرا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ أي: أهلكنا قبل كفار قريش أمما كثيرة

هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ كفار قريش بَطْشًا قوة، كعاد وفرعون فَنَقَّبُوْا الضمير إلى الأشداء بطشاً، أو القريش، أي: فتشوا وخرقوا وتصرفوا فِي الْبِلَادِ أو جالوا فيها كل مجال هَلْ مِنْ مَّحِيْصٍO هل وجدوا مهرباً من الموت وملجأ من عذاب الله تعالى؟ حتّى يتوقعوا مثله لأنفسهم إِنَّ فِيْ ذَالِكَ المذكور لَذِكْرَى لعظة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يقظان واع يتفكر أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ أصغي لاستماعه وَهُوَ شَهِيْدٌO حاضر بالقلب وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ من الأحد إلى الجمعة وَّمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوْبٍO تعب وإعياء، كما يقول اليهود: استراح ربنا يوم السبت، فاستلقي على العرش فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَ في إنكار البعث وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوْبِOوَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُوْدِO بالفتح؛ جمع دبر، أي: أعقاب السجود، وبالكسر مصدر بمعنى الانقضاء، فالمراد: إما حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسا [ص817] بالحمد، أو الصلاة فقبل الطلوع الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن الليل المغرب والعشاء، وإدبار السجود، أي: الصلاة، فإن الركوع والسجود يعبر بهما عن الصلاة التهجد والوتر والنوافل المسنونة بعد الفرائض وَاسْتَمِعْ أيها المخاطب يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ إسرافيل، وقيل: جبرائيل، يقول أيها العظام البالية واللحوم المتلاشية والشعور المتفرقة والأعصاب الرميمة والجلود المتمزقة الحي القيوم يأمر كن أن تجتمعن لفصل القضاء مِنْ مَّكَانٍ قَرِيْبٍO من السماء، وهو صخرة بيت المقدس، فإنها أقرب موضع من الأرض إلى السماء باثني عشر ميلا، وهي وسط الأرض يَّوْمَ بدل من: يوم يناد المنادي يَسْمَعُوْنَ أي: الخلق كلهم الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ متعلق بالصيحة، أي: النفخة الثانية للبعث للجزاء ذَالِكَ يَوْمُ الْخُرُوْجِO من القبور، قيل: إنه اسم ليوم القيامة إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيْ وَنُمِيْتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيْرُO المرجع يَوْمَ بدل أيضا تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ فيخرجون عن الأجداث سِرَاعًا جمع سريع، حال، مسرعين إلى المحشر ذٰلِكَ حَشْرٌ بعث وجمع عَلَيْنَا يَسِيْرٌOنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُوْلُوْنَ أي: كفار مكة فينا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ مسلط، تجبرهم على الإيمان فَذَكِّرْ فعظ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَّخَافُ وَعِيْدِOع لأنه لا ينفع غيره، وهذا قبل آية السيف.

سورة الذّاريات مكية، ستون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالذّٰرِيٰتِ الواو للقسم، جمع الذارية، وهي الريح الشديدة الهبوب؛ تذهب بالتراب والتبن ذَرْوًاO مصدر، هبوبا شديدا فَالْحَامِلَاتِ السحب الحاملة للمياه وِقْرًاO ثقلا، مفعول الحاملات فَالْجَارِيَاتِ أي: السفن الجارية على وجه الماء يُسْرًاO بسهولة، مصدر في محل الحال، أي: ميسّرة فَالْمُقَسِّمَاتِ

أَمْرًاO الملائكة تقسيم الأمور من [ص818] الأرزاق والأمطار في البلاد بين العباد، والفاء للترتيب في الدلالة على كمال القدرة، أو الأمور الأربعة للرياح بأوصاف مختلفة، والفاء لترتيب الأفعال إِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ بالبعث والجنة والنار لَصَادِقٌO باء موصولة، أو مصدرية، جواب القسم وَّإِنَّ الدِّيْنَ الجزاء بعد الحساب لَوَاقِعٌOوَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِO جمع حبيكة، كالطرق جمع طريقة، زنة ومعنى، أي: ذات الطرائق لمسير الكواكب، قيل: إنها خلقت مثل ما يظهر على وجه الماء، أو على الرمل من هبوب الريح، أو جمع حباك؛ بمعنى النجوم، كمثل ومثال، أي: ذات النجوم إِنَّكُمْ يا أهل مكة لَفِيْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍO في شان النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بعضكم يقولون: إنه شاعر، وبعضكم ساحر. ومثل ذلك يُّؤْفَكُ يصرف عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ أُفِكَO من صرف قُتِلَ الْخَرَّاصُوْنَO دعاء بالقتل في الأصل لكن أجري مجري اللعن، أي: لعن الكذابون في ما يرمون به النبي صلى الله عليه وسلم من السحر والكذب والشعر والجنون الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ غَمْرَةٍ في جهل يغمرهم سَاهُوْنَO غافلون عن الآخرة، وما يعاملون به فيها يَسْئَلُوْنَ عنه عليه السلام استهزاءا أَيَّانَ متى يقع يَوْمُ الدِّيْنِO جوابهم يقع ذلك يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُوْنَO يعذبون، فيقال لهم حينئذ: ذُوْقُوْا فِتْنَتَكُمْ عذابكم هٰذَا هو العذاب الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُوْنَO في الدنيا استهزاءا إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ الله فِيْ جَنَّاتٍ وَّعُيُوْنٍO حال كونهم آخِذِيْنَ مَاآتَاهُمْ أعطاهم رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَبْلَ ذَالِكَ مُحْسِنِيْنَO في الدنيا أعمالهم كَانُوْا قَلِيْلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَO ينامون، ما زائدة، أي: يحيون الليل بالذكر إلا هجعة خفيفة، ورقدة قليلة وَبِالْأَسْحَارِهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَO قائلين: اللّهم اغفر لنا، كأنهم أسلفوا في الليل الجرائم، والسحر: السدس الأخير من الليل، والصبح: السبع الأخير منه [ص819] وَفِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ نصيب لِّلسَّائِلِ لحاجة وَالْمَحْرُوْمِO المحتاج: الذي لا يسأل لتعففه وَفِي الْأَرْضِ من المعادن والنبات والحيوان آيَاتٌ دلالات لِّلْمُوْقِنِيْنَO بتوحيده وَفِيْ أَنْفُسِكُمْ آيات أَفَلَا تُبْصِرُوْنَO نظر اعتبار، فيستدلوا بها على التوحيد وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ أي: سبب الرزق وهو المطر وَفِي السماء مكتوب مَا تُوْعَدُوْنَO به من الثواب والعقاب، أو في السماء الجنة، فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الواو للقسم، والفاء زائدة إِنَّهُ لَحَقٌّ أي: الرزق، أو الموعود ثابت مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُوْنَOع كما أنكم لا تشكون في صدور النطق عن أفواهكم، كذلك ما توعدون حق؛ لا ريب فيه، وكلمة مثل منصوب على الحالية من ضمير المستكن، في الحق، أو صفة لمصدر محذوف، أي: إنه لحق حقا مثل نطقكم، وقيل: مبني على الفتح لإضافته إلى كلمة ما بمعنى شيئ، التي هي اسم غير متمكن هَلْ أَتَاكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ هو الواحد والجماعة الْمُكْرَمِيْنَO عند الله أو عنده بالخدمة، كانوا اثنا عشر ملكا، أو عشرا، أو ثلاثة: جبرائيل

وميكائيل وإسرافيل عليهما السلام إِذْ ظرف لحديث، أو ضيف دَخَلُوْا عَلَيْهِ فَقَالُوْا هذا اللفظ سَلَامًا أي: نسلم عليكم سلاما قَالَ إبراهيم سَلَامٌ أي: سلامي عليكم، وقال في النفس لغرابة حالهم: هؤلاء قَوْمٌ مُّنْكَرُوْنَO لا أعرفهم فَرَاغَ مال إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِيْنٍO غير مهزول، وكان عامة مال إبراهيم البقرة فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ وضع بين يديهم، فلما أحس منهم الإعراض قَالَ أَلَا تَأْكُلُوْنَO قالوا: لا فَأَوْجَسَ أضمر في نفسه مِنْهُمْ من إنكارهم الطعام خِيْفَةً خوفا، فإن الجائي للشر لا يأكل الطعام، ولا يوانس، فلما رأوا منه الخوف قَالُوْا لَا تَخَفْ [ص820] إنا رسل الله وَبَشَّرُوْهُ بِغُلَامٍ هو إسحاق عند الجمهور عَلِيْمٍO ذي علم كثير فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ امرأة إبراهيم سارة فِيْ صَرَّةٍ أي: صيحة، أي: جاءت صائحة فَصَكَّتْ وَجْهَهَا لطمته، كما دأب المتعجب المشتاق إلى شيئ؛ ولم ينل به وَقَالَتْ أنا عَجُوْزٌ عَقِيْمٌO فكيف ألد؟ وسنّها تسعة وتسعون، وسنة مائة قَالُوْا كَذَالِكِ كما بشرناك قَالَ رَبُّكِ أي: إنما أخبرناك عن الله تعالى، وهو قادر على المحال العادي إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيْمُ في صنعه الْعَلِيْمُO بخلقه.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ما شأنكم أَيُّهَا الْمُرْسَلُوْنَO أرسلتم إليّ بالبشارة، أو إلى آخر، أو إليهما قَالُوْا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِيْنَO قوم لوط لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِيْنٍO أي: السجيل: وهو الطين المتحجر بالطبخ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِيْنَO معلمة من السومة، أي: العلامة، عليها اسم من يرمى بها من الذين يأتون الذكور مع الكفر فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيْهَا في قرى قوم لوط مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَO بلوط فَمَا وَجَدْنَا فِيْهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِيْنَO هم لوط وابنتاه، وفيه دلالة على إيجاد الإيمان والإسلام، وقيل: وصفوا بأنهم مصدقون، وعاملون الطاعات بجوارحهم وَتَرَكْنَا فِيْهَا في قرى قوم لوط بعد التخريب آيَةً هي الأحجار، أو ماء منتن أسودلِّلَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ الْعَذَابَ الْأَلِيْمَO فلا يفعلون مثل ما فعلوا وَفِيْ قصة مُوْسَى عطف على قوله: فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍO بحجة واضحة فَتَوَلَّى فأعرض عن الإيمان بِرُكْنِهِ بشوكته وجنوده وماهوَقَالَ هو سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُوْنٌOفَأَخَذْنَاهُ وَجُنُوْدَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ طرحناهم [ص821] فِي الْيَمِّوَهُوْ مُلِيْمٌO آت بما يلام عليه من تكذيب الرسالة، ودعوى الربوبية وَفِيْ عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الدبور والحبوب والنكباء الْعَقِيْمَO ينشاء مطرا، ولا يلفح شجرا مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أي: ما تترك شيئا أَتَتْ عَلَيْهِ مرت به إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيْمِO كالبالي والمفتت وَفِيْ ثَمُوْدَ إِذْ قِيْلَ لَهُمْ بعد عقر الناقة تَمَتَّعُوْا حَتّٰى حِيْنٍO أي: تمتعوا في دياركم ثلاثة أيام فَعَتَوْا فتكبروا عَنْ امتثال أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ الصيحة المهلكة وَهُمْ يَنْظُرُوْنَO إليها بالنهار فَمَا اسْتَطَاعُوْا مِنْ قِيَامٍ من حراك للتفصي عنها، أو عجزوا عن دفعها وَّمَا

كَانُوْا مُنْتَصِرِيْنَO ممتنعين من العذاب وَأهكنا قَوْمَ نُوْحٍ مِّنْ قَبْلُ قبل هؤلاء المذكورين إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فَاسِقِيْنَOۚوَالسَّمَاءَ منصوب بفعل، يفسره قوله: بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ بقوة وَّإِنَّا لَمُوْسِعُوْنَO من الوسع؛ بمعنى الطاقة، أي: القادرون وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا مهدناها فَنِعْمَ الْمَاهِدُوْنَO نحن وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ من الأجناس خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ نوعين، كالسماء والأرض، وآدم وحواء لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَO إن الإمكان يقبل الزوجية، والواجب هو الفرد الأحد فَفِرُّوْا إِلَى اللهِ إلى ثوابه وطاعته من عذابه وعصيانه إِنِّيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO بيّن الإنذار وَلَا تَجْعَلُوْا مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ إِنِّيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌOكَذَالِكَ أي: تكذيبهم إياك مثل تكذيب الأقوام السابقة لأنبياءهم مَا أَتَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ إِلَّا قَالُوْا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُوْنٌOأَتَوَاصَوْا أي: الكفار أوصى بِهِ بعضهم بعضا بهذا القول حتّى تفوّه به الكل، لا بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَO شركاء في الطغيان الباعث على هذا القول فَتَوَلَّ عَنْهُمْ أعرض عن تجاسرهم فَمَا أَنْتَ بِمَلُوْمٍO من لائم في تبليغ الرسالة وَّذَكِّرْ عظ [ص822] فَإِنَّ الذِكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِيْنَO بإحداث الإيمان، أو تقويته وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِO إن أريد بهما المؤمنون، فظاهر كما في قرأة ابن عباس رضي الله عنه، وإن أريد بهما العموم، فمحل تأمل إلا أن يقال المراد بالعبادة التوحيد، فكل في الآخرة موحدون، وإشراك البعض في الدنيا كلا إشراك بالنسبة إلى أيام الآخرة، أو خلقهم على صورة المتوجه إلى العبادة، فجعل مغيا بها، أو إلا لآمرهم بالعبادة، أو ليكونوا عبادا لي، وقيل: لا يشكل بالكافر، لأن الغاية لا يلزم وجودها، كقولك: رتبت القلم لأكتب، وما كتبت به أبدا مَا أُرِيْدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِّزْقٍ لأحد وَّمَا أُرِيْدُ أَنْ يُّطْعِمُوْنِO أحدا إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ لمن افتقر إليه ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِيْنُO الشديد فَإِنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا رسول الله من أهل مكة ذَنُوْبًا نصيبا من العذاب مِّثْلَ ذَنُوْبِ نصيب أَصْحَابِهِمْ الهالكين، فيما تقدم، مأخوذ من مقاسمة السقاة بالدلاء، والذنوب: الدلو العظيم المملو فَلَا يَسْتَعْجِلُوْنِO العذاب، لأنه موقت بيوم القيامة فَوَيْلٌ شدة العذاب لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ يَّوْمِهِمُ الَّذِيْ يُوْعَدُوْنَOۚ قيل: من بمعنى في، واليوم الموعود يوم القيامة، أو يوم بدر.

سورة الطور مكية، تسع وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالطُّوْرِO الواو للقسم، الطور: اسم جبل بمدين، كلّم الله تعالى عليه بموسى عليه السلام وَكِتَابٍ مَّسْطُوْرٍO القرآن، أو التوراة، أو اللوح المحفوظ، أو كتاب الحفظة فِيْ رَقٍّ في جلد مَّنْشُوْرٍO وقت العرض والتلاوة، أو غير مختوم وَّالْبَيْتِ الْمَعْمُوْرِO في السماء الرابعة، حذاء الكعبة، عمّر بالملائكة

الزوّار، أو الكعبة المعمرة بالحجاج والعمّار وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوْعِO أي: السماء وَالْبَحْرِ الْمَسْجُوْرِO المملو، أو الموقد بالنار، أو المختلط بالمياه إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌO لنازل، جواب القسم [ص823] مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍO لكمال قدرة المنزل وحكمته يَّوْمَ تَمُوْرُ السَّمَاءُ مَوْرًاO يتحرك ويضطرب وَّتَسِيْرُ الْجِبَالُ سَيْرًاO عن وجه الأرض، بأن كانت هباءا منثورا فَوَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO الرسل والكتب الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ خَوْضٍ في سعي في الأباطيل يَلْعَبُوْنَOيَوْمَ يُدَعُّوْنَ يدفعون بالعنف إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّاO يقال لهم: هٰذِهِ النَّارُ الَّتِيْ كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُوْنَOأَفَسِحْرٌ هٰذَا العذاب، كما قلتم في الوحي أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُوْنَO كما كنتم في الدنيا منكرين له إِصْلَوْهَا ادخلوها فَاصْبِرُوْا أَوْ لَا تَبْصِرُوْا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ في عدم المخلص إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO في الدنيا من السيئات إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ وَّنَعِيْمٍO فَاكِهِيْنَ ناعمين متلذذين بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ من لذائذ النعم وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِO يقال لهم: كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْأً أكلا وشربا هنيئا، أو حال كونهم متهنئين، أي: لا تنغّض معه بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO أي: بسبب أعمالكم، وقيل الباء زائدة، وما فاعل هنيئا مُتَّكِئِيْنَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوْفَةٍ بعضها جنب بعض لإتمام المجالسة والمكالمة وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُوْرٍ عِيْنٍO شديدة السواد والبياض، والسعة في العين وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيْمَانٍ الذرية تقع على الواحد والكثير وَأَلْحَقْنَا بِهِمْ مكرمة وفضلا ذُرِّيَّتَهُمْ في الدخول في الجنة، أو الدرجة لتقر أعينهم، وإن كان دونهم في الأعمال، وقيل: يلحق الإيمان التقليدي بالاستدلال وَمَا أَلَتْنَاهُمْ ما نقصناهم مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ أي: لاينقص مثوبات الآباء في الدخول، أو رفع درجات الأبناء، من ألت يألت كُلُّ امْرِيءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌO فإن عمل خيرا فكه عن رهن الله تعالى، وإن عمل شرا أهلكه وَأَمْدَدْنَاهُمْ [ص824] وزدناهم وقتا بعد وقت بِفَاكِهَةٍ وَّلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُوْنَO قبل أن يطلبون يَتَنَازَعُوْنَ يتعاطون بينهم فِيْهَا في الجنة كَأْسًا خمرا لَّا لَغْوٌ فِيْهَا وَلَا تَأْثِيْمٌO ما يؤثم به فاعله في دار التكليف، فاللغو والإثم منفيان عن خمورها بخلاف خمور الدنيا وَيَطُوْفُ عَلَيْهِمْ للخدمة غِلْمَانٌ لَّهُمْ مماليكهم في الحسن واللطافة كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُوْنٌO في الصدف وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَّتَسَاءَلُوْنَO عما مضى في الدنيا، ومقدمات النجاة والدخول في الجنة قَالُوْا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيْ أَهْلِنَا في الدنيا مُشْفِقِيْنَO خائفين من عصيان الله تعالى، وجلين من العاقبة فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بالمغفرة وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوْمِO النار النافذة في المسام كالسموم إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ في الدنيا نَدْعُوْهُ نعبده موحدين، أو نسأله الوقاية إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيْمُOع الصادق الوعد، كثير الرحمة فَذَكِّرْ دم على التذكير للمشركين فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَّلَا مَجْنُوْنٍO أي: ما أنت بإنعامه عليك بالرسالة بكاهن ولا مجنون كما زعموا أَمْ بل يَقُوْلُوْنَ محمد عليه السلام شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ ننتظر بِهِ رَيْبَ الْمَنُوْنِO حوادث الدهر، تقلق بها النفوس، فيهلك كغيره من

الشعراء، وقيل: المنون: الموت، فعول من منّه إذا قطعه قُلْ تَرَبَّصُوْا هلاكي فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِيْنَO هلاككم أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ عقولهم بِهٰذَا القول المتناقض، إنه كاهن، شاعر، مجنون أَمْ بل هُمْ قَوْمٌ طَاغُوْنَO عن الحد في العناد، وذلك جرءهم على مثل هذا التقول أَمْ يَقُوْلُوْنَ محمد عليه السلام تَقَوَّلَهُ أي: قال من عند نفسه القرآن [ص825] بَلْ لَّا يُؤْمِنُوْنَO بإنزاله من السماء، فيرمون بهذه المطاعن فَلْيَأْتُوْا بِحَدِيْثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوْا صَادِقِيْنَO في الحكم بالتقول والاختلاق للقرآن أَمْ خُلِقُوْا أحدثوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ من غير خالق، أو من غير مجازات، فلأجل ذلك لا يعبدون الله أَمْ هُمُ الْخَالِقُوْنَO لأنفسهم أَمْ خَلَقُوْا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فلا يركنون إلى عبادة الله بَلْ لَّا يُوْقِنُوْنَO بالله أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ حتّى صار ذلك سبب فتنتهم أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُوْنَO المسلطون على تدبير الأشياء، فلغلبتهم اغتروا أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ مصعد إلى السماء يَّسْتَمِعُوْنَ كلام الملائكة فِيْهِ في المصعد حتّى حصل لهم الوقوف على الغيوب فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِيْنٍO بحجة واضحة على استماعه من الملائكة أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ كما يزعمون وَلَكُمُ الْبَنُوْنَOأَمْ تَسْئَلُهُمْ يا محمد! عليك الصلاة والسلامأَجْرًا على الهداية وتبليغ الرسالة فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ من التزام غرم مُّثْقَلُوْنَO مجهودون، فيزهدون عن اتباعك أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ اللوح المحفوظ فَهُمْ يَكْتُبُوْنَO فيه ما يشاؤن ويمحون عنه، وصار ذلك سببا لعدم الاتباع أَمْ يُرِيْدُوْنَ كَيْدًا برسول الله في دار الندوة من القتل والحبس والإخراج فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا هُمُ الْمَكِيْدُوْنَO المغلوبون في الكيد، أو المهلكون في بدر، أو يعود وباله إليهم أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يمنعهم من عذاب الله تعالى سُبْحَانَ اللهِ تنزيه له عَمَّا يُشْرِكُوْنَO وأم منقطعة، ومعنى الهمزة الإنكار وَإِنْ يَّرَوْا كِسْفًا قطعة وبعضا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا عليهم بالفرض للتعذيب، كما كانوا يقولون: فاسقط علينا كسفا من السماء تعذيبا يَقُوْلُوْا بفرط العناد ونهاية الطغيان، هذا الساقط [ص826] سَحَابٌ مَّرْكُوْمٌO تراكم بعضها على بعض يمطرنا، وليس بكسف من السماء للتعذيب فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوْا يَوْمَهُمُ الَّذِيْ فِيْهِ يُصْعَقُوْنَO يموتون بالنفخة الأولى يَوْمَ لَا يُغْنِيْ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا من الإغناء في دفع العذاب وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَO بدفعه عنهم وَإِنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا عَذَابًا دُوْنَ ذَالِكَ دون عذاب الآخرة، حيث قحطوا سبع سنين، فأكلوا جيف الكلاب، وقتلوا يوم بدر وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَO إن ما أصابهم بإنكارهم النبي صلى الله عليه وسلم وَاصْبِرْ يا محمد!عليك الصلاة والسلام لِحُكْمِ رَبِّكَ بالتمهيل في التعذيب فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا بمراياء منا بالحفظ، وفي الجمع مبالغة وَسَبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قل: سبحان الله وبحمده حِيْنَ تَقُوْمُO من منامك ومجلسك، أو للصلاة وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ قل: ((سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))، كما في الحديث[1].

---

1 – أبو داود: المرجع السابق. كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، رقم الحديث: 4859. 265/4.

في بعض الليل وَإِدْبَارَ النُّجُوْمِO[٤] بالكسر، أي: سبح أيضا عقب غروبها، فهذه أوقات التسبيح، وقيل: فصلّ لله تعالى العشائين، والتهجد في الليل، والفجر، والظهر، والعصر أوقات إدبار النجوم، وإنما قدم العبادة الليلية على النهارية لأنها أشق على النفس وأبعد عن الرياء.

سورة النجم مكية، اثنان وستون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

لما أظهر الدعوة، قالوا: ضل محمد عن دين الآباء، فنزل ردا عليهم: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىO الواو للقسم، أي: إذا غاب مطلق النجوم، أو الثريا، أي: وقت الفجر، أو طلعت الثريا يوم القيامة منتشرا مَا ضَلَّ ما عدل عن الحق صَاحِبُكُمْ أيها القريش وَمَا غَوَىO وما اعتقد باطلا، كما تزعمون، بل هو مهتد راشد وَمَا يَنْطِقُ من القرآن [ص827] عَنِ الْهَوَىO عن هوى نفسه، أي: بالرأي إِنْ هُوَ أي: المنطوق إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَىO إليه عَلَّمَهُ شَدِيْدُ الْقُوَىO أي: جبرائيل عليه السلام ذُوْ مِرَّةٍ ذو قوة، أو حسن منظرٍ فَاسْتَوَىO فاستقام على صورته الأصلية على ابتغائه عليه السلام رؤيته فيها، ولم يره أحد في صورته إلا محمد صلى الله عليه وسلم مرة في السماء، ومرة في الأرض وَهُوَ أي: جبرائيل عليه السلام بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىO أي: أفق السماء ثُمَّ دَنَا قرب من النبي عليه السلام فَتَدَلَّىO فزاد في القرب حتّى تعلق به عليه السلام، وجذب باطنه إلى الله تعالى فَكَانَ جبرائيل عليه السلام من النبي عليه السلام قَابَ قدر قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىO من ذلك، وقيل: قاب بمعنى طرف القوس، فهذا محمول على القلب، أي: قابي قوس، فإن للقوس قابين فَأَوْحَى جبرائيل عليه السلام إِلَى عَبْدِهِ إلى عبد الله مَا أَوْحَىO الله تعالى إليه، وقيل: الضمائر كلها لله، وفي حذف الموحي تفخيم لشأنه مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ أي: فؤاده صلى الله عليه وسلم مَا رَاَىO ببصره، أي: ما حمله على الخيال والوهم أَفَتُمَارُوْنَهُ عَلَى مَا يَرَىO أي: أ فتجادلونه بالغلبة رؤيته لجبرائيل عليه السلام وَلَقَدْ رَاَهُ على صورته الحقيقية إذا نزل نَزْلَةً أُخْرَىO مرة ثانية ليلة الأسرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىO شجرة نبق يمين العرش، لا يتجاوزها أحد، ينتهي إليه علوم الخلائق وأعمالهم، وهي في السماء السابع عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىO يأوي إليها الملائكة، والأرواح المقدسة إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىO أي: راه حين أحاطه جم غفير من الملائكة، لا يحصي عددهم، يعبدون الله تعالى مَا زَاغَ الْبَصَرُ أي: ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما هو مقصوده وَمَا طَغَىO أي: ما جاوز إلى غير المقصود تلك الليلة، والله لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىO من عجائب الملكوت [ص828] أَفَرَءَيْتُمْ اللَّاتَ وهو حجر بصورة الرجل

لبني ثقيف بالطائف، فعلة من لوي، لأنهم يلوون، أي: يطوفون عليها وَالْعُزَّىO شجرة لغطفان، كانوا يعبدونها، في الأصل تأنيث الأعز وَمَنَاةَ صخرة لهذيل وخزاعة، كانوا يذبحون القرابين عندها، فعلة من مناه: إذا قطعه الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىO تأكيدان لمناة، أي: مناة إذا ضم مع الأولين يصير ثالثة، واللات مع ما عطف عليه المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، أي: قادرا على شيئ، أي: أخبروني أ لهذه الأصنام قدرة على شيئ، فتعبدونها؟ فلم لا تعبدون القادر على كل شيئ؟ أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىO إنكار لقولهم: الملائكة بنات الله تعالى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيْزَىO فعلي من الضيز، وهو الجور، فكسر الفاء ليسلم الياء، كما في بيض، فإن فِعلى بكسر الفاء لم يأت نعتا، أي: هي جائزة إذ يجعلون لله تعالى ما يستنكفون عنه إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ أي: ما الأصنام إلا أسماءا، ليس تحتها في الحقيقة مسميات سَمَّيْتُمُوْهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ بالألوهية، وليست كذلك في نفس الأمر مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا بعبادتها مِنْ سُلْطَانٍ حجة وبرهان إِنْ يَّتَّبِعُوْنَ في عبادتها إِلَّا الظَّنَّ بأنها شفعاء لهم عند الله تعالى وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ما زينته النفس الأمارة بالسوء، أن لنا مكانة عند الله تعالى عند الرجوع إليه، والله وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنْ رَّبِّهِمُ الْهُدَىO بتوسط النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يشركون به تعالى؟ ولا يرجعون عن الباطل إلى الحق أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىO أي: ليس له كل ما يتمنى، مثل قولهم: هم شفعاؤنا، وقولهم: لئن رجعنا إلى ربنا إن لنا عنده للحسنى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُوْلَىOع فلا حكم لأحد يعطي منهما لمن يشاء ما يشاء وَكَمْ كثير مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِيْ لا تدفع شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا من عذاب الله تعالى إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَّأْذَنَ اللهُ في الشفاعة لِمَنْ يَّشَاءُ من الملائكة، أو الناس وَيَرْضَىO [ص829] عنه بالشفاعة لما يراه أهلا لها، وإذا كان حال الملائكة مع قربهم وكثرتهم هذا فكيف الأحجار؟ إِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّوْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىO حيث قالوا: بنات الله وَمَا لَهُمْ بِهِ بهذا القول مِنْ عِلْمٍ فإنهم لم يشهدوا خلقهم إِنْ يَّتَّبِعُوْنَ إِلَّا الظَّنَّ تقليد الآباء وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًاO فإن الحقائق إنما يدرك بالعلوم، وإن الظن لا اعتبار له فيها، وإنما يعتبر في العمليات فَأَعْرِضْ عَنْ دعوة مَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَاO أي: أعرض عن الاهتمام لشأن من أعرض عن العظة، وانهمك في الأمور الدنياوية، فإن دعوته لا يزيد إلا العناد والإصرار على الباطل ذَالِكَ طلب الدنيا مَبْلَغُهُمْ مِّنْ الْعِلْمِ منتهى علمهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىOالربع فيجازي كلا بما علم، فلا تتعب في دعوتهم، وهذا قبل الأمر بالجهاد وَلِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ عبيدا وخلقا وملكا، فيضل من يشاء، ويهدي من يشاء لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَسَاءُوْا بِمَا عَمِلُوْا متعلق بما دل عليه قبله، أي: خلق العالم، وحفظ حاله ليجزي المسيء بعقاب عمله وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَحْسَنُوْا بالإيمان به تعالى وطاعته بِالْحُسْنَىO بالمثوبة الحسنى الَّذِيْنَ بيان صفة

للمحسنين يَجْتَنِبُوْنَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ الكبيرة ما رتب الوعيد عليه بخصوصه، فكبر عقابه، وقيل: ما أوجب الحد وَيجتنبون الْفَوَاحِشَ من جملة تلك الكبائر كالزنا، وقيل: الكبائر ما أوعد الله تعالى عليه النار، والفواحش: ما شرع فيها الحد إِلَّا اللَّمَمَ لكن صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة واللمسة، يغفر ما لم يصر بها إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ يغفر غير الشرك [ص830] لمن يشاء بلا توبة هُوَ أَعْلَمُ أي: عالم بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ أي: آباءكم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ جمع جنين فِيْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ معجبين بل معترفين بنعمه عليكم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] هُوَ أَعْلَمُ عالم بِمَنِ اتَّقَىO أَفَرَءَيْتَ الَّذِيْ تَوَلَّىO عن اتباع الحق والثبات عليه وَأَعْطَى قَلِيْلًا وَّأَكْدَىO نزلت في المرتدين، وقيل: في الوليد بن المغيرة تبع النبي عليه السلام، فعيَّره بعض المشركين: إنك تركت دين أشياخك، فقال: أخشى عذاب الله تعالى، فقال: أنا ضامن أن أتحمل العذاب إن أعطيتني مالا مسمى، فأعطى بعض المسمى، وبخل بالباقي، وارتد الحافر للبير إذا وصل إلى الصخرة الصلبة يترك الحفر، فيقال: أكدى الحافر، أي: امتنع عن الحفر أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىO يعلم أن صاحبه يتحمل بعذابه أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ هذا المرتد بِمَا فِيْ صُحُفِ مُوْسَىO أي: التوراة، أو صحف نزلت قبلها وَصحف إِبْرَاهِيْمَ الَّذِيْ وَفَّىO خصه بالوفاء لصبره على نار نمرود مع ما قال له جبرئيل عليه السلام: هل لك حاجة إلي؟ قال: أما إليك فلا، قال: هل لك حاجة إلى الله تعالى؟ قال: كفاني علمه بحالي، وصبره على ذبح ولده، وصبره على الطعام، فإنه كل يوم يمشي فرسخا لطلب الضيف، فإن وجد فطر، وإلا فصام، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[2] أَلَّا تَزِرُ نفس وَازِرَةٌ وِّزْرَ نفس أُخْرَىO إن مخففة، والكلام بدل من ما في الصحف موسى، والوزر: الحمل وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ نافع إِلَّا مَا سَعَىO فلا يثاب بعمل غيره إلا بالنيابة، كما جاء في الحديث: ((إِنَّ الْحَجَّ وَالصَّدْقَةَ يَنْفَعَانِ الْمَيِّتَ))[3] فالناوي كالنائب، والوكيل عنه شرعا وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىO في الآخرة ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىO أي: ثم يجزئ العبد سعيه بالجزاء الأوفر، يقال: جزيته سعيه وبسعيه وعلى [ص831] سعيه، فالجزاء منصوب بنزع الخافض، والهاء مفعول ثان بفعل ما لم يسمى فاعله، والمستكن مفعوله الأول وَفي الصحف أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَىO المرجع للخلائق وَأَنَّهُ أي: الله

---

1 - سورة الضحى، الآية: 11.

2 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 124.

3 - (أ)البيضاوي: المصدر السابق.161/5. (ب) المظهري: المرجع السابق 130/9.

سبحانه هُوَ أَضْحَكَ لمن شاء بالفرح وَأَبْكَى O بالترح وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَاO في الدارين وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىOمِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىO تدفق وتصب في الرحم وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىO الخلقة الثانية بالبعث وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى الناس بإعطاء النقود وَأَقْنَىO وأعطى القنية، أي: أمتعة وأنعاما تأثّلوها وادّخروها وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىO الشعريان كوكبان، يقال لأحدهما غميصاء؛ وهي شامية، وللأخرى عبور؛ وهي يمانية، والمراد هي اليمانية، وهي خلف الجوزاء، وأشد بياضا من الغميصاء، عبدها أبو كبشة[1] من أجداد أم النبي صلى الله عليه وسلم، وخالف القريش في عبادة الأصنام، وكانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أبي كبشة[2] لأمر المخالفة وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَنِ الْأُوْلَىO قوم هود، والأخرى قوم صالح وَثَمُوْدَ بلا ألف غير منصرف، اسم قبيلة، وبالألف منصرف، اسم أب القبيلة فَمَا أَبْقَىO الفريقين وَقَوْمَ نُوْحٍ مِّنْ قَبْلُ أي: قبلهما إِنَّهُمْ كَانُوْا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىO منهما لعدم اتعاظهم لوعظه مع طول لبثه فيهم، ولم يؤمن منهم إلا أقل قليل مع ضربهم إياه بحيث لا حراك له معه وَالْمُؤْتَفِكَةَ قرى قوم لوط أَهْوَىO أي: أسقط بعد الرفع منقلبا فَغَشّٰهَا من الحجارة مَا غَشّٰىOفَبِأَيِّ اٰلَاءِ رَبِّكَ أيها الإنسان تَتَمَارَىO تشك، أو تكذب، فالمذكور سواء كان نعمة أو نقمة لما كان عبرة ووعظا ونصرة للمؤمنين عدّ من آلاء هٰذَا أي: محمد صلى الله عليه وسلم، أو القرآن [ص832] نَذِيْرٌ مِّنَ جنس النُّذُرِ الْأُوْلَىO المتقدمة أَزِفَتِ الْآزِفَةُO أي: قربت القيامة، وهي من أسمائها لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللهِ نفس كَاشِفَةٌO مبيّنة، متى هي؟ أو دافعة إذا أحلت أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيْثِ أي: القرآن تَعْجَبُوْنَO تكذيبا، أو إنكارا وَتَضْحَكُوْنَ استهزاءا وَلَا تَبْكُوْنَO ترهبا وَأَنْتُمْ سَمِدُوْنَO لاهون، أو مستكبرون، أو مغنون، ليشغلوا الناس عن أسماعه فَاسْجُدُوْا لِلّٰهِ لا للأصنام وَاعْبُدُوْاOع السجدة له لا لغيره.

سورة القمر مكية، خمس وخمسون آية.

---

1 – أبو كبشة: هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسمه سليم من مولدي أرض دوس. شهد بدرا والمشاهد كلها، ولما هاجر إلى المدينة نزل على سعد بن خيثمة فيما قيل، وتوفي يوم الثلاثاء صبيحة وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. الذهبي: المرجع السابق. 121/3.

2 – ابن أبي كبشة: هو يزيد بن جبريل (أبي كبشة) بن يسار السكسكي: أمير. كان مقدم السكاسك وصاحب شرطة عبد الملك ابن مروان. وولي الغزاة. ثم ولاه الوليد إمرة العراقين بعد وفاة الحجاج. ولما استخلف سليمان، ولاه إمارة السند فمات بعد وصوله إليها بثمانية عشر يوما. قال الذهبي: كان من خيار الأمراء. الزركلي: المصدر السابق. 180/8.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُO سأل أبو جهل واليهود شق القمر، فإن الساحر لا أثر له في العلويات، فانشق القمر لسبابته عليه السلام على أبي قبيس في ليلة خلت أربع عشر، وقيل معناه: سينشق القمر في يوم القيامة، وقيل: انشق القمر في مكة مرتين، ولا خلاف إنه من أشراطها، ولا يقال لو انشق القمر لما أخفى على أهل الأقطار لعدم نقل أحد منهم، فكيف التواتر؟ لأنه يجوز أن يحجب الله تعالى عنهم بغيم وَإِنْ يَّرَوْا أي: كفار قريش آيَةً معجزة له تدل على نبوته عليه السلام يُّعْرِضُوْا عن تأملها، والإيمان بها وَيَقُوْلُوْا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّO مطرد، رأينا مثل ذلك منه كثيرا، أو سحر قوي وَكَذَّبُوْا الرسول وَاتَّبَعُوْا أَهْوَاءَهُمْ من رد الحق بعد ظهوره وَكُلُّ أَمْرٍ لهم من الخير والشر مُّسْتَقِرٌّO عند أهلهما وَلَقَدْ جَاءَهُمْ في القرآن مِّنَ الْأَنْبَاءِ أنباء إهلاك الأمم السابقة بتكذيبهم رسلهم، أو أنباء الآخرة مَا فِيْهِ مُزْدَجَرٌO ازدجار، أي: نهي بغلظ، افتعال من الزجر، تبدل تاءه بالدال مع الدال والذال والزاء حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ خبر مبتداء محذوف، أي: أبناء الزاجرة من السوالف، علم تام في أمر الانتباه والانزجار فَمَا تُغْنِ النُّذُرُO [ص833] أي: ما تنفع الإنذار، أو جمع نذير، لغاية بعدهم عن الاهتداء فَتَوَلَّأعرض عَنْهُمْ لما علمت أن الإنذار لا ينفع فيهم. اذكر يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ لهم، يعني: إسرافيل، حذفت الواؤ من الكتابة اتباعا للفظ في الفعل، وأسقطت الياء اكتفاءا بالكسرة للتخفيف في الفاعل، أو الناصب. يخرجون إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍO صعب، هو هول القيامة وحسابه أذلاء أبصارهم لكثرة هول ذلك اليوم، وهو على لغة من يقول: أكلوني البراغيث، أو فيه ضمير، وأبصارهم بدل عنه يَخْرُجُوْنَ مِنَ الْأَجْدَاثِ من القبور كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌO في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة مُّهْطِعِيْنَ مسرعين، مادين أعناقهم إِلَى الدَّاعِ يَقُوْلُ الْكَافِرُوْنَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌO صعب شديد قبل أهل مكة قَوْمُ نُوْحٍ رسلا فَكَذَّبُوْا عَبْدَنَا نوحا وَقَالُوْا هو مَجْنُوْنٌ وَّازْدُجِرَO منع عن الدعوة بسبب ضربهم وإيلامهم إياه فَدَعَا نوح رَبَّهُ أَنِّيْ مَغْلُوْبٌ أي: بأني غلبني قومي فَانْتَصِرْO فانتقم لي منهم فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍO نازل على الدوام وَّفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوْنًا أصله: وفجرنا عيون الأرض، غيّر إليه مبالغة، كأن الأرض كلها قطعة، قطعة عين سائلة فَالْتَقَى الْمَاءُ ماء السماء، وماء الأرض عَلَى أَمْرٍ حال قَدْ قُدِرَO قدّره الله تعالى في الأزل وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَّدُسُرٍO أي: على السفينة التي ركبت من الأخشاب العريضة والمسامير الحديدية، جمع دسار تَجْرِيْ بِأَعْيُنِنَا بمرائي منا محفوظة، أغرقنا المكذبين جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَO أي: انتصارا لنوح عليه السلام، وكان نعمة مكفورة وَلَقَدْ تَّرَكْنَاهَا أي: السفينة، أو قصة نوح آيَةً [ص834] فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍO معتبر، تلقّها بالاعتبار

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيْ وَنُذُرِO بمعنى المنذر، يحتمل المصدر والجمع واستفهام تقرير، وكيف للحال، وهو خبر كان وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ سهّلناه للحفظ، أو هيّأناه للعظة فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍO متحفظ يعان عليه في حفظه، أو متعظ بمواعظه كَذَّبَتْ عَادٌ هودا فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيْ وَنُذُرِO أي: إنذاري لهم قبل نزول العذاب، أو إنذاري بتعذيبهم لمن بعدهم إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا صَرْصَرًا باردة، أوشديد الصوت فِيْ يَوْمِ نَحْسٍ شوم، آخر الأربعاء من الشهر مُّسْتَمِّرٍO دائم شومه، أولم يترك صغيرهم ولا كبيرهم إلا أهلكهم تَنْزِعُ النَّاسَ تقلعهم عن حفر الأرض وشعابها، وكانوا مندَسّين فيها، فتبيّن الرؤس عن الأجساد، فكانوا كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ أصول نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍO مستأصل عن مغارسه، وتذكير صفة النخل ههنا، وتأنيثها في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾[1] رعاية للفظ والمعنى، ومراعاة للفواصل، هذا عذاب الدنيا فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيْ وَنُذُرِO في الآخرة، استفهام تقرير وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍOع كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ بِالنُّذُرِO بالمواعظ فَقَالُوْا أَبَشَرًا منصوب على شريطة التفسير مِّنَّا من جنسنا وَاحِدًا ليس معه تبعة، أو من أحادنا لا شرف له نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِيْ ضَلَالٍ خطاء وَّسُعُرٍO جنون أو نيران، كما يقول في ترك الاتباع ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا وفينا من هو أحق منه، ولا استحقاق له بَلْ هُوَ كَذَّابٌ في دعوى الرسالة أَشِرٌO الأبلغ في الشرارة، أي: متكبر بطر علينا بهذا الادعاء سَيَعْلَمُوْنَ غَدًا يوم القيامة، أو يوم العذاب الدنيوي [ص835] مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُO أ صالح، أم قومه إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ مخرجوها من الصخرة؛ كما طلبوا فِتْنَةً امتحانا لَّهُمْ هل يؤمنون به أم لا؟ فَارْتَقِبْهُمْ فانتظرهم يا صالح وَاصْطَبِرْO على أذيهم وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ المخرج من البير قِسْمَةٌ مقسوم بَيْنَهُمْ أي: بين الناقة وبين القوم، وهم من باب التغليب، أي: يوم لها، ويوم لهم كُلُّ شِرْبٍ نصيب من الماء مُّحْتَضَرٌO لصاحب الشرب في نوبته فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ أي: قدار بن سالف فَتَعَاطَى السيف فَعَقَرَO الناقة، فقتلها، وأما قوله: ﴿فَعَقَرُوْهَا﴾[2] فلرضاهم، أو لإعانتهم فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيْ وَنُذُرِOإِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ في الرابع من العقر صَيْحَةً وَّاحِدَةً صيحة جبرائيل عليه السلام فَكَانُوْا كَهَشِيْمِ الْمُحْتَظِرِO كالكلاء المنكر يتخذ المحتضر خطيرة لحفظ الغنم والماشية من يابس الشجر والشوكة وما سقط فيها ودسها الأقدام فهو هشيم وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍOكَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطٍ بِالنُّذُرِO بالمواعظ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ريحا أو سحابا ترميهم

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ سورة الحاقة، الآية: 7.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ سورة والشمس، الآية: 14.

بالحصباء، أي: صغار الحجارة إِلَّا آلَ لُوْطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍO من الأسحار، هو آخر الليل، ولو عين لمنع عن الصرف، لأنه معدول عن السحر نِّعْمَةً إنعاما مِّنْ عِنْدِنَا كَذَالِكَ نَجْزِيْ مَنْ شَكَرَO بأنعمنا، وأعلاها الإيمان بالله ورسوله وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ أي: لوط قومه بَطْشَتَنَا أخذتنا بالعذاب فَتَمَارَوْا أي: فشكوا، أو تجادلوا وكذبوا بِالنُّذُرِOوَلَقَدْ رَاوَدُوْهُ قوم لوط لوطا للتخلية والفجور عَنْ ضَيْفِهِ عن الملائكة الذين جاؤه في صورة أمارد؛ ضيفانا له فَطَمَسْنَا محونا وسوينا أَعْيُنَهُمْ بجناح جبرائيل عليه السلام، [ص836] روي أنهم دخلوا دار لوط عليه السلام عنوة، فصفقهم جبرائيل عليه السلام بجناحه، فأعماهم، وسوّي أعينهم، كالوجه بلا شق فَذُوْقُوْا عَذَابِيْ وَنُذُرِO فقلت لهم على ألسنة أضيافه: ذوقوا عذابي، وثمرة إنذاري وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ قوم لوط بُكْرَةً أول نهار عَذَابٌ فاعل صبح مُّسْتَقِرٌّO يلازمهم حتّى يسلمهم إلى النار فَذُوْقُوْا عَذَابِيْ وَنُذُرِOوَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍO؏وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُOكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا التسع كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيْزٍ قوي مُّقْتَدِرٍO قادر لا يعجزه شيء أَكُفَّارُكُمْ يا معشر القريش خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ السابقين المعدودين آنفا، فيساهل معكم، ولم يساهل مع السلف أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ عن العذاب، مسطورة فِي الذُّبُرِO السماوية، إن كفار قريش لا يعذبهم الله بكفرهم أَمْ يَقُوْلُوْنَ نَحْنُ جَمِيْعٌ جماعة مُّنْتَصِرٌO بعضها بعضا، قال أبو جهل يوم بدر: إنا جميع منتصر على محمد، فنزل: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ أي: الأحزاب الذين جمعوا على قتال النبي صلى الله عليه وسلم وَيُوَلُّوْنَ الدُّبُرَO أي: الأدبار، أفراده للجنس، فهزموا يوم بدر بَلِ السّاعَةُ القيامة مَوْعِدُهُمْ بالعذاب الأخروي وَالسَّاعَةُ أَدْهَى أهول وَأَمَرُّO مذاقا من عذاب الدنيا إِنَّ الْمُجْرِمِيْنَ فِيْ ضَلَالٍ عن الحق في الدنيا وَّسُعُرٍO ونيران مستعرة في الآخرة يَوْمَ يُسْحَبُوْنَ حتّى يُجَرُّون فِي النَّارِ عَلَى وُجُوْهِهِمْ يقال لهم: ذُوْقُوْا مَسَّ سَقَرَOإِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍO بتقدير، حال من كل شيئ، أي: خلقناه مقدرا، مرتبا على مقتضي الحكمة وَمَا أَمْرُنَا في التخليق إِلَّا فعلة وَاحِدَةً وهو الإيجاد [ص837] بلا عنت وتعب، أو إلا كلمة واحدة؛ وهي كلمة كن كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِO في السرعة والإيجاد وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ أمثالكم في الكفر من السلف فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍO متعظ؛ يعتبر بهم وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوْهُ مكتوب فِي الزُّبُرِO كتب الحفظة، أو اللوح المحفوظ وَكُلُّ صَغِيْرٍ وَّكَبِيْرٍ من الأعمال مُّسْتَطَرٌO في اللوح إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ بساتين وَّنَهَرٍO اسم جنس، أي: الأنهار فِيْ مَقْعَدِ صِدْقٍ مجلس حق؛ لا لغو فيه ولا تأثيم عِنْدَ مَلِيْكٍ عزيز الملك مُّقْتَدِرٍO؏ قادر؛ غير عاجز عن شيء عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة.

سورة الرحمٰن مدنية، ست وسبعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الرَّحْمٰنُOعَلَّمَ الْقُرْآنَO وهو سنام الكتب السماوية، وأعزها، وأعظمها خَلَقَ الإِنْسَانَOعَلَّمَهُ الْبَيَانَO النطق؛ فإنه به يمتاز عن سائر الحيوانات، وهو إفهام الغير ما في الضمير اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍO أي: بحساب مقدر لهما، يسيران به من منزل إلى منزل، ومن برج إلى برج وَّالنَّجْمُ ما يبسط على الأرض؛ لا ساق له وَالشَّجَرُ ما ينبت على الساق يَسْجُدَانِO لله، وينقادان له بما يراد منهما وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا عن الأرض مسيرة خمس مائة سنة وَوَضَعَ الْمِيْزَانَO أي: العدل، فإن استقامة العالم به، في الحديث: ((بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ))[1]، أو ما يعرف به المقادير أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيْزَانِO أي: لأن لا تتجاوزوا الإنصاف والأقدار وَأَقِيْمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ بالعدل وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيْزَانَO لا تنقصوهن، فإن وضعه للتسوية وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا على سطح الماء لِلْأَنَامِO للخلق فِيْهَا فَاكِهَةٌ بأنواعها وَّالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِO [ص838] جمع كمّ، بالكسر، وهو غلاف النور وَالْحَبُّ كالحنطة والحمص والشعير ذُو الْعَصْفِ التين وَالرَّيْحَانُO المشموم، أو الرزق، أو خضرة الزرع فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا يا ثقلان المدلول عليهما بقوله للأنام، جمع إليّ وأليّ، بمعنى: النعمة تُكَذِّبَانِO نعم الله، كرّر هذه الكلمة في هذه السورة أحد وثلاثين موضعا، للتنبيه على كثرة نعمة الله، الاستفهام للتقرير، كلما سمع الجن هذه الآية من النبي عليه السلام، قال: لك الحمد ربنا، لا نكذب شيئا من نعمك، وسكت الأصحاب، فوبخ عليهم خَلَقَ الْإِنْسَانَ أي: آدم مِنْ صَلْصَالٍ من تراب يابس له صلصلة، أي: صوت إذا نقر كَالْفَخَّارِO الطين المطبوخ بالنار، أي: الخذف، خلقه من تراب، جعله طينا، ثم حماءا مسنونا، ثم صلصالا، فلا تدافع بين الأطوار وَخَلَقَ الْجَآنَّ أبا الجن؛ وهو إبليس قبل خلق آدم بستين ألف سنة مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍO أي: من لهب خالص؛ لا دخان فيه، بل من الحمرة والصفرة الممزوجتين، أو النار مع الهواء فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِO حيث جعل تركيبكما أفضل التركيبات رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِO شتاءا، وصيفا فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOمَرَجَ الْبَحْرَيْنِ أرسل بحر المالح والعذب يَلْتَقِيَانِO في رأي العين بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ حاجز من قدرته تعالى لَّا يَبْغِيَانِO بإبطال الخواص والإغراق فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOيَخْرُجُ مِنْهَا اللُّؤْلُؤُ كبار الدر وَالْمَرْجَانُO صغاره ، وقيل: الخرز الأحمر، ويصدق خروجهما عنهما، ولو كان من أحدهما، وقيل: لا يخرج إلا من ملتقيهما فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOوَلَهُ الْجَوَارِ السفن، جمع جارية الْمُنْشَاتُ المرفوعات الشرع، أو

---

1 – (أ) الصوفي: المصدر السابق. 267/7. (ب) التونسي: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ابن عاشور، (ت : 1393هـ). التحرير والتنوير: (الدار التونسية، تونس، 1984هـ). 238/27.

المحدثات بالتراكيب البديعة لانتفاع الخلائق فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِO^النصف [ص839] كالجبال الطوال فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍO أي: كل منه على وجه الأرض يفني ويهلك وَّيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذاته ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِO فيكرمه يبقى وبجلاله يفني، وفي الحديث: ((أَلِظُّوْا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ))[1]، وفيه قد استجيب لك قاله لمن يدعو به فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOيَسْئَلُهُ حالا، ومقالا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حاجاتهم كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِيْ شَأْنٍO بسكون الهمزة، في الصراح: شان كار وحال شؤن جماعة، أي: في كل وقت وآن له شأن في تعليق الصفات لمتعلقاتها فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOسَنَفْرُغُ لَكُمْ أي: سنقصد لحسابكم أَيُّهَا الثَّقَلَانِO الإنس والجن، قيل: فيه تهديد ووعيد، وإلا ليس له شغل حتّى يتجرد عنه فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOيَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: إن قدرتم أن تخرجوا من نواحهما هاربين من قضاء الله فَانْفُذُوْا أمر تعجيز لَا تَنْفُذُوْنَ من جوانبهما إِلَّا بِسُلْطَانٍO لقوة، ولا قوة لكم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا إذا خرجتم من القبور شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ اللهب الخالص عن الدخان وَّنُحَاسٌ {الدخان الخالص عن النار يسوقكم إلى المحشر}[2]فَلَا تَنْتَصِرَانِO فلا تمتنعان من ذلك، وقيل: يرسل على الكفار والعصاة منكما في جهنم شواظ ونحاس فلا تناصر بينهم في دفعهما فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ وكانت أبوابا لنزول الملائكة فَكَانَتْ السماء وَرْدَةً مثلها محمرة كَالدِّهَانِO كالأديم الأحمر، أو المذاب كالزيت، جمع دهن، وجواب إذا فما أعظم هؤلاء فَيَوْمَئِذٍO أي: وقت انشقاقها لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ إنسي [ص840] وَّلَا جَآنٌّO ولا جن، والهاء لما بعد فهو مقدم رتبة، أي: حين يخرجون من الأجداث حاشرين إلى الموقف لا يسألون عن ذنوبهم، بل يسألون في المحشر عند الحساب فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِO {مما أنعم المؤمنون بها في ذلك اليوم}[3]يُعْرَفُ الْمُجْرِمُوْنَ بِسِيْمَاهُمْ بعلاماتهم من الحزن والكأبة، وسواد الوجه، وزرقة العين فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِيْ وَالْأَقْدَامِO أي: يضمهما من خلف، أو قدام، أو تارة بهذه، و تارة بهذه، فيلقى

---

1 – (أ) الترمذي: المرجع السابق. أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب، رقم الحديث: 3525. 540/5. (ب) الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله، الشيباني، (ت: 241هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ط-1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ / 2001م).مسند الشاميين، حديث ربيعة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 17596. 138/29.

2 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والتصويب من ب و ج.

3 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من مخطوط ج، والتصويب من أ و ب.

في النار فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِO ويقال: هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِيْ يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُوْنَOيَطُوْفُوْنَ يسعون بَيْنَهَا بين النار وَبَيْنَ حَمِيْمٍ ماء حار جدا آنٍO ناقص، كقاض، شديد الحرارة، بالغ النهاية فيها، إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOإذ ينجي ناج منهما وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ موقفه للحساب بين يديه تعالى، فترك المعصية اليوم جَنَّتَانِO جنة للخائف الإنسان، وجنة للخائف الجني، أو لكل جنتان للعلم والعمل، أو الفعل والترك، أو جزاءا وتفضلا فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOذَوَاتَا أَفْنَانٍO تثنية ذوات على الأصل، كل جنة ذات أفنان، جمع فن بمعنى الألوان، أي: ما يشتهي الأنفس وتلذ الأعين، أو جمع فنن؛ بفتحتين، بمعنى الغصن، والمقصود: رغد العيش بكثرة الثمار، والأوراق، ومد الظلل فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِO التسنيم والسلسبيل فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِO نوعان: نوع معروف؛ راؤا في الدنيا مثله، ونوع غريب؛ لم يروا مثله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOمُتَّكِئِيْنَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ما غلظ من الديباج، وخشن والظهاير من السندس، [ص841] أو مما لا يعلمه إلا الله وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ اسم بمعنى المجنى، أي: ثمرهما دَانٍO قريب، يناله القاعد والمضطجع فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِنَّ في الجنتين وما اشتملت عليه قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ على الأزواج، لا ينظرون إلى غيرهم لَمْ يَطْمِثْهُنَّ الطمث: الجماع بالتدمية، أي: لم يدن من الإنسيات إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا من الجنيات جَآنٌّO فعلم أن الجن يطمث كالإنس فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOكَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوْتُ وَالْمَرْجَانُO في لون البشرة البياض؛ الضارب بالحمرة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ التوحيد والطاعة إِلَّا الْإِحْسَانُO الجنة والنعيم المقيم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOوَمِنْ دُوْنِهِمَا أي: دون الجنتين للخائفين المقربين جَنَّتَانِO أخريان لأصحاب اليمين فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOمُدْهَامَّتَانِO خضروان في الغاية؛ تضربان إلى السواد فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِO فوارتان بالدوام فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِمَا فَاكِهَةٌ وَّنَخْلٌ وَّرُمَّانٌO عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: هما ليسا من الفواكه؛ للعطف، وقالا: هو للمزية، فإن النخل فيه بعد التفكه غذاء، وفي الرمان دواء فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOفِيْهِنَّ خَيْرَاتٌ أي: خيّرات بالتشديد، فخففت، لأن خير بالتخفيف لا يجمع حِسَانٌO خلقا فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOحُوْرٌ جمع حوراء، أي: شديدات سواد العيون وبياضها مَّقْصُوْرَاتٌ مستورات فِي الْخِيَامِO من در مجوف، لا يبدين زينتهن لغير الأزواج فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOلَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ إنسي إنسية منهم [ص842] قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّO ولا جني جنية منهن فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOمُتَّكِئِيْنَ عَلَى رَفْرَفٍ وسائد وبسط وكل ثوب عريض، جمع رفرفة خُضْرٍ وَّعَبْقَرِيٍّ منسوب إلى عبقر، اسم بلد الجن؛ على زعم العرب، فكل

عجيب ينسبون إليه، والمراد الجنس، ولذا جمع قوله حِسَانٍO حملا على المعنى، أي: بسط في غاية النفاسة والحسن فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِOتَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِOع تعالى اسم الذات، فكيف الذات؟ أو مقحم، أو بمعنى الصفة.

سورة الواقعة مكية، ست وتسعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

اذكر إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُO أي: قامت القيامة لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا نفس كَاذِبَةٌO كما تكذب اليوم، بل كل نفس يومئذ مؤمنة صادقة مصدقة خَافِضَةٌ لأعداء الله رَّافِعَةٌO لأوليائه إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّاO حركت تحريكا شديدا حتّى ينهدم ما عليها وَّبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّاO وفتتت حتّى صارت كالسويق فتا، أو سيقت سوقا فَكَانَتْاالجبال هَبَاءً غبارا مُّنْبَثًّاO منتشرا وَّكُنْتُمْ أَزْوَاجًا أصنافا ثَلَاثَةًO فإن كل فرد مع الآخر زوج فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِO في غاية السعادة وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ الذين أوتوا كتبهم بشمائلهم مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِO في نهاية الشقاوة، (والشمال والمشأمة واحد)كذا في المدارك [1]، أو المراد أصحاب اليمن والشوم فهم على أنفسهم ميامين بالطاعة، أو مشائم بالمعصية. والمقصود التعجيب عن حالهما وَالسَّابِقُوْنَ أي: الأنبياء، أو من تسابق في الكمال السَّابِقُوْنَO خبر، أو تأكيد أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُوْنَO عند الله فِيْ جَنَّاتِ النَّعِيْمِOثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِيْنَO مبتداء، أي: جماعة [ص843] كثيرة من الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وَقَلِيْلٌ مِّنَ الْآخِرِيْنَO من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كانوا تابعوا هذه الأمة المرحومة أكثر من سائر الأمم؛ لقوله عليه السلام: ((إِنَّ أُمَّتِيْ يَكْثُرُوْنَ سَائِرَ الْأُمَمِ))[2]، وقيل: ثلة من متقدمي هذه الأمة المرحومة، وثلة من متأخريها، قال عليه السلام: ((الثُّلُثَانِ جَمِيْعًا مِّنْ أُمَّتِيْ))[3]عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُوْنَةٍO منسوجة بالذهب والجواهر، مشبكة بالدرر واليواقيت، خبر مبتداء مُّتَّكِئِيْنَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِيْنَO حالان من ضمير في الخبر يَطُوْفُ عَلَيْهِمْ للخدمة وِلْدَانٌ جمع وليد

1 – النسفي: المرجع السابق. 423/3.

2 – البيضاوي: المصدر السابق. 178/5.

3 – (أ) القيرواني: حَمّوش بن محمد بن مختار، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (ت: 437هـ). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن: (ط–1، تحقيق : أ.د : الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، 1429هـ / 2008م).7259/11. (ب) الزمخشري: المرجع السابق. 458/4.

مُّخَلَّدُوْنَO على هيآتهم وطراوتهم، أو مقرطون والخلدة للقرط، وهم المستوون في نفي الحسنة والسيئة من أولاد أهل الدنيا، في الحديث: ((أَوْلَادُ الْكُفَّارِ خُدَّامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[1] بِأَكْوَابٍ كيزان، لا عري ولا خراطيم لها وَّأَبَارِيْقَ أواني لها العري والخراطيم، أو أحدهما وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعَيْنٍO من خمر من منبع لا ينقطع لَّا يُصَدَّعُوْنَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُوْنَO لا يحصل لهم القيء والصداع ولا يسكرون، أو لا ينفذ شرابهم خلاف أصحاب خمور الدنيا وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُوْنَO يختارون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُوْنَO يتمنون وَيطوف عليهم للاستمتاع لهم حُوْرٌ جمع حوراء عِيْنٌO نساء شديدات سواد عيونها وبياضها، واسعة العيون، مفرده عينا، كحمراء كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُوْنِO المصون عن الغبار في الصدف جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO مفعول له، أو مصدر لَا يَسْمَعُوْنَ فِيْهَا في الجنات لَغْوًا باطلا وَّلَا تَأْثِيْمًاO ينسب به إلى الإثم إِلَّا قِيْلًا أي: قولا سَلَامًا سَلَامًاO بدل من قيلا، والتكرير يدل على فشوه، والاستثناء منقطع وَأَصْحَابُ الْيَمِيْنِ [ص844] مَا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِOفِيْ سِدْرٍ شجر نبق مَّخْضُوْدٍO غير مشوك وَّطَلْحٍ شجر الموز مَّنْضُوْدٍO نضد: ثمرة من أسفله إلى أعلاه، فلا يرى ساقه بارزة وَّظِلٍّ مَّمْدُوْدٍO منبسط، لا يتفاوت كما بين طلوع الفجر والشمس وَّمَآءٍ مَّسْكُوْبٍO جار دائما وَّفَاكِهَةٍ كَثِيْرَةٍO أجناسها لَّا مَقْطُوْعَةٍ في موسم وَّلَا مَمْنُوْعَةٍO بوجه من الوجوه وَفُرُشٍ مَّرْفُوْعَةٍO بالقيمة، أو على السرر، أو النساء على السرر إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ من غير ولادة أبدا، أو إعادة إِنْشَاءًOفَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًاO عذاري دائما، يأتونها بلا وجع عُرُبًا عاشقات لأزواجهن، جمع عروب أَتْرَابًاO سويات السن بالأزواج، وهو ثلاث وثلاثين، جمع ترب لِأَصْحَابِ الْيَمِيْنِOع متعلق أنشأنا، أو جعلنا ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِيْنَOوَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِيْنَO من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام ثلة، ومنه عليه السلام إلى قيام الساعة ثلة، وروي: ((أَنَّ صُفُوْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَكُوْنُ مِائَةً وَّعِشْرِيْنَ، ثَمَانُوْنَ فِيْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُوْمَةِ، وَالْبَاقِيْ مِنْ سَائِرِالْأُمَمِ))[2]. وقليل من الآخرين، وثلة من الآخرين في

---

1 – (أ) القمي: الحسن بن محمد بن حسين، نظام الدين، النيسابوري، (ت: 850هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (ط–1، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ). 240/6. (ب) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، (ت: 982هـ). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (دار إحياء التراث العربي، بيروت). 191/8.

2 – ذكر المؤلف بالألفاظ المترادفة، ولفظه للترمذي: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ)). الترمذي: المرجع السابق. أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صف أهل الجنة، رقم الحديث: 2546. 4/ 683.

السابقين، وفي أصحاب اليمين فلا تدافع وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِOفِيْ سَمُوْمٍ ريح حار تنفذ في المسام وَّحَمِيْمٍO ماء شديد الحر وَظِلٍّ مِّنْ يَّحْمُوْمٍO اسم الدخان الأسود، أو جبل في جهنم لَّا بَارِدٍ كسائر الظلال وَّلَا كَرِيْمٍO يستراح به إِنَّهُمْ كَانُوْا قَبْلَ ذَالِكَ مُتْرَفِيْنَO في الدنيا متنعمين، لا كرب لهم بطاعته تعالى وَكَانُوْا يُصِرُّوْنَ عَلَى الْحِنْثِ الْعِظِيْمِO الذنب الكبير، أي: الشرك، أو أنهم نقضوا عهد الميثاق وَكَانُوْا يَقُوْلُوْنَ استبعادا في البعث أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَإِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَOأَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُوْنَO العامل [ص845] في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو، لأن أن والهمزة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وتكرير الهمزة يدل على إنكارهم البعث مطلقا، سيّما في هذه الحالة، وإدخالها في المعطوف على المستكن في مبعوثون من غير تأكيد، بمثل نحن لوجود الفصل بالهمزة لغاية الاستبعاد، فإن تقادم الزمان ينفي البعث منهم رأسا قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِيْنَ وَالْآخِرِيْنَOلَمَجْمُوْعُوْنَ إِلَى مِيْقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوْمٍO أي: إلى ما وقّت به الدنيا، وحدت به من يوم معلوم له تعالى، والإضافة بمعنى من ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّوْنَ كفار مكة الْمُكَذِّبُوْنَO للبعث لَآكِلُوْنَ مِنْ شَجَرٍ للابتداء مِّنْ زَقُّوْمٍO للبيان فَمَالِئُوْنَ مِنْهَا من تلك الشجرة الْبُطُوْنَO لشدة الجوع بكم فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيْمِO لغلبة العطش، أنث وذكر ضمير الشجر للفظ والمعنى فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الْهِيْمِO جمع أهيم وهيماء، وهي الإبل التي بها الهيام، أي: دائ؛ يشبه الاستسقاء، فلا يروي من شدة العطش، وصح العطف لاختلاف الوصف هٰذَا نُزُلُهُمْ أي: ما عد لهم تكرمة يَوْمَ الدِّيْنِOنَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ من عدم فَلَوْلَا فهلا تُصَدِّقُوْنَO البعث، فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تُمْنُوْنَO تقذفونه من المني في الأرحام ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُوْنَهٗ أي: المني بشرا أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُوْنَOنَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وقّتنا موت كل بوقت معين وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوْقِيْنَO بمعجزين ومغلوبين، فلا أحد يعجزنا، ويغلبنا، ويهرب من موتنا عَلَى أَنْ نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ متعلق بقدرنا، أي: تقدير الموت على هذا القدر أن نبدل، أو لأن نبدل مكانكم أمثالكم أشباهكم، أو تغير صفاتكم، فهو جمع مثْل، أو مثَل وَنُنْشِئَكُمْ نخلقكم فِيْ مَا لَا تَعْلَمُوْنَO في أوصاف وأخلاق لا تعلمونها وَلَقَدْ [ص846] عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُوْلَى في الإبداء فَلَوْلَا تَذَكَّرُوْنَO إياها في الحكم القياسي في النشأة الأخرى في الإعادة، فإنها أقل صنعا من الأولى أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تَحْرُثُوْنَO بآثارة الأرض، وإلقاء البذر ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُوْنَهٗ تنبتونه أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُوْنَO المنبتون لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا عشبا يابسا؛ لا حبة فيه فَظَلْتُمْ ظللتم، فخفف بحذف إحدي اللامين، أي: قمتم نهارا تَفَكَهُوْنَO حذفت أحدى التائين، تتعجبون من ذلك، أو تندمون على اجتهادكم في الزرع، قائلين: إِنَّا لَمُغْرَمُوْنَO لملزمون، الغرامة بما أنفقنا في الزرع، أو لمهلكون من الغرام، بمعنى الهلاك بَلْ نَحْنُ مَحْرُوْمُوْنَO ممنوعون عن الرزق أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِيْ

تَشْرَبُوْنَO لعذوبته ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوْهُ مِنَ الْمُزْنِ من السحاب أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُوْنَOلَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ملحا؛ لا يشرب فَلَوْلَا فهلا تَشْكُرُوْنَO نعماء الله أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِيْ تُوْرُوْنَO تخرجونها من الشجر الأخضر ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُوْنَO أهل البادية يخرجون النار بضرب غصن مرخ؛ الذي هو الذكر، يقال له: الزند على الغصن غفار؛ التي هي الأنثي، ويقال له: الزندة، مع كونهما رطبين، يقطران الماء؛ إن أعصرا نَحْنُ جَعَلْنَاهَا أي: النار تَذْكِرَةً لنار جهنم، أو في أمر البعث بإظهار القدرة الباهرة وَّمَتَاعًا لِّلْمُقْوِيْنَO نفعا للنازلين في القواء، وهي القفر، وللذين خلت بطونهم، ومزاودهم من الطعام فَسَبِّحْ نزه عما لا يليق بجنابه من الشرك وإنكار البعث بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِOع الثلاثة صفة الاسم أو الرب، وقيل: الاسم زائد، وقيل: فيه مبالغة أو بمعنى الذكر فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوْمِO بمغاربها، لأنها تدل على الحدوث والزوال، فيستدل بها إلى صانع، لا يزول ولا يحدث، أو المراد نجوم القران، [ص847] وكلمة لا زائدة في مثله وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيْمٌO فإن قلب النبي صلى الله عليه وسلم موقع النجوم القرآني المتكثر بالحوادث اليومي، أو مساقط النجوم السماوية الدالة على القديم الدائم القائم الأزلي الأبدي، لا يخفى عظمته وشانه على أحد إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيْمٌO أي: المتلو عليكم، كثير النفع في المعاد والمعاش، أو حسن مرضي فِيْ كِتَابٍ مَّكْنُوْنٍO مصون، هو اللوح لَّا يَمَسُّهٗٓ لا يطلع عليه إِلَّا الْمُطَهَّرُوْنَO عن أدناس البشرية، وقيل: في مصحف مصون؛ لا يمس هذا المصحف إلا الطاهرون عن الأحداث، والنفي بمعنى النهي، وعند الإمام الأعظم رحمه الله تعالى: يجوز مسه بالتيمم مع وجود الماء تَنْزِيْلٌ مصدر نعت به مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِيْنَOأَفَبِهٰذَا الْحَدِيْثِ يعني القرآن أَنْتُمْ مُّدْهِنُوْنَO متهاونون غير متصلبين، فلا يبالون بإنكاره وَتَجْعَلُوْنَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُوْنَO أي: تضعون التكذيب بالقرآن مكان الشكر لنعمة القرآن، أو تجعلون شكر الرزق الذي هو الأمطار من الله فضلا أن تنسبوه إلى الأنواء فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ النفس، أي: الروح عند الموت الْحُلْقُوْمَO ممر الطعام والشراب وَأَنْتُمْ يا أهل المحتضر حِيْنَئِذٍ تَنْظُرُوْنَO في المحتضر وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ إلى المحتضر مِنْكُمْ علما وَلٰكِنْ لَّا تُبْصِرُوْنَO لا تعلمون ما يجري عليه فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِيْنِيْنَO غير ذليلين، غير منقادين لله تعالى تَرْجِعُوْنَهَآ النفس إلى مقرها إِنْ كُنْتُم صَادِقِيْنَO في إنكار البعث، فكما أنكم مقهورون في هذا الأمر؛ مقهورون في أمر البعث فَأَمَّآ إِنْ كَانَ المتوفى مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَO من السابقين فَرَوْحٌ فله استراحة وَّرَيْحَانٌ ورزق طيب وَّجَنَّتُ نَعِيْمٍO ذات نعمة وَأَمَّا إِنْ كَانَ المتوفى مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِيْنِOفَسَلَامٌ لَّكَ أيها المتوفى مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِيْنِO من إخوانك يسلّمون عليك، أو لك سلامة من العذاب، لأنك معدود من أصحاب اليمين وَأَمَّا إِنْ كَانَ المتوفى مِنَ الْمُكَذِّبِيْنَ الضَّآلِّيْنَO أي: من أصحاب الشمال فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيْمٍO الماء الحار جدا وَّتَصْلِيَةُ جَحِيْمٍO في

الآخرة، أو في البرزخ من سموم النار ودخانها، والجواب في المواضع لأَمَّا، أو كلمة إِنْ أوّلهما، ففيه أقوال إِنَّ هٰذَا الذي ذكر في فرق الفرق لَهُوَ حَقُّ الْيَقِيْنِO أي: حق الخبر اليقين، أو من إضافة [ص848] الموصوف إلى الصفة فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِOۤ فنزه بذكر اسمه عما لا يليق بجنابه تعالى.

سورة الحديد مدنية، وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

سَبَّحَ لِلهِ نزهه عن كل ما لا يليق بجنابه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فاللام مزيدة للأشعار، إن التسبيح خالص لوجه الله، وفي ذكر ما تغليب وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُO في ملكه وصنعه، حال مشعر مبتداء التسبيح لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من حيث الإيجاد والتصرف، هو يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO تام القدرة هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ قبل كل شيء بلا بداية، وبعد كل شيء بلا نهاية وَالظَّاهِرُ وجوده لكثرة الأدلة عليه وَالْبَاطِنُ حقيقته لعدم كشفها على غيره وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO غيبا وشهادة هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ من أيام الدنيا؛ من الأحد إلى الجمعة، ولوشاء يخلقها في آن واحد، لكن جعل الإناءة أصلا ثُمَّ اسْتَوىَ استواءا يليق بجنابه عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ كالبذر وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالنبات وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كالمطر وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا كالأبخرة، أو المطر، أو الأموات والنبات والمعادن والرحمة والعذاب والأعمال الحسنة والسيئة وَهُوَ مَعَكُمْ علما وقدرة وفضلا ورحمة أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيكم بما تعملون. لَهُ تعالى مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا لغيره وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُوْرُO لا إلى غيره يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِيْ اللَّيْلِ يدخل أحدهما في الآخر، فيزيد المدخول فيه، وينقص المدخول وَهُوَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO بسرائرها ونياتها ومعتقداتها [ص849] آمِنُوْا بِاللهِوَرَسُوْلِهِ دوموا على الإيمان بهما وَأَنْفِقُوْا في سبيل الله مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِيْنَ فِيْهِ أي: من الأموال التي جعل الله لكم خليفة نفسه، أو خليفة من قبلكم بالتوريث في التصرف. فإن المالك حقيقة هو الله، أو المورثون، وأنتم الخلفاء في ملكهم للتصرف، فهونوا عليكم الإنفاق، كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره؛ إذا أذن له فيه، نزلت في غزوة العسرة، أي: غزوة تبوك(1) فَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوْا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيْرٌO إشارة إلى

---

1 – غزوة تبوك: ودخلت سنة تسع، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لخروجه في غزوة تبوك– وهو يريد الروم–؛ فأرسل إلى من حوله من العرب فأتوه، ثم خرج ومعه زيادة على ثلاثين ألفا– وهو جيش العسرة– وفيها

عثمان رضي الله تعالى عنه، فإنه جهز أكثر الجيش وحده وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ أيّ عذر لكم يا كفار في ترك الإيمان به؟ وَالحال الرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ بالبراهين والمعجزات الدالة على نبوته لِتُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ اللهِ مِيْثَاقَكُمْ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلَى﴾[1] إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَO مريدي الإيمان لموجب ما، فبادروا إليه، فإن الموجب لا مزيد عليه هُوَ الَّذِيْ يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ محمد! عليك الصلاة والسلامآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ الله، أو العبد مِّنَ الظُّلُمَاتِ أي: الكفر إِلَى النُّوْرِ أي: الإيمان وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ في هذه الموعظة لَرَءُوْفٌ رَّحِيْمٌO الرأفة: أشد الرحمة وَمَا لَكُمْ فِي أَلَّا تُنْفِقُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَللهِ مِيْرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بعد إفناء الوارثين، فيصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فيؤجرون عليه وبالآخرة مع أنها يصل إليه لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ أي: فتح مكة وَقَاتَلَ مع الكفار، ومن أنفق بعده وقاتل، حذف لدلالة قوله: ﴿مِنَ الَّذِيْنَ أَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدُ﴾ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً إذ لهم قوة اليقين مِّنَ الَّذِيْنَ أَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدُ أي: بعد فتح مكة وَقَاتَلُوْا أنزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه أوّل شيخ آمن، وأوّل من أنفق، وخاصم الكفار، وضرب ضربا شديدا، أشرف به على الهلاك وَكُلًّا من الفريقين [ص850] وَّعَدَاللهُ الْحُسْنَى أي: الجنة وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌOع فيجازيكم وفق علمه مَنْ ذَا الَّذِيْ يُقْرِضُ اللهَ ما ينفق ماله في سبيله رجاءا الجزاء قَرْضًا حَسَنًا لوجه الله وبطيب النفس فَيُضَاعِفَهُ لَهُ من عشرة إلى أكثر من سبع مائة وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيْمٌO مع المضاعفة، وهو الرضا، أو الزائد مع الأصل أجر كريم. اذكر يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِيْنَوَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُوْرُهُمْ أي: ما به نجاتهم بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ أي: أمامهم وَبِأَيْمَانِهِمْ لأن السعداء يؤتون صحائف الأعمال بهاتين الجهتين بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أي: بشراكم دخولها، لأن البشارة تقع بالإحداث ذَالِكَ النور والبشرى هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO اذكر يَوْمَ يَقُوْلُ الْمُنَافِقُوْنَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا انْظُرُوْنَا أي: انتظرونا، لأنهم يسرعون إلى الجنة كالبروق الخاطفة، أو انظروا إلينا نَقْتَبِسْ نأخذ القبس والإضاءة مِنْ نُّوْرِكُمْ قِيْلَ لهم استهزاءا: ارْجِعُوْا وَرَاءَكُمْ إلى الدنيا، أو الموقف فَالْتَمِسُوْا نُوْرًا الإيمان وما يتبعه من الطاعات فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بين المؤمنين والمنافقين بِسُوْرٍ بحائط، وقيل هو سور الأعراف لَّهُ بَابٌ يدخل فيه المؤمنون بَاطِنُهُ باطن الباب، أو السور فِيْهِ الرَّحْمَةُ لأنه مفتوح على الجنة، والمؤمنون في داخل السور وَظَاهِرُهُ أي: جانب المنافقين مِنْ قِبَلِهِ من جهته الْعَذَابُO

ظهر النفاق. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من الطريق في ثلثمائة رجل إلى دومة الجندل، ومضى هو إلى تبوك. عبد الملك بن محمد: المرجع السابق. 87/3.

1- جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 172.

لكربه من النار، والمنافقون في خارجه يُنَادُوْنَهُمْ أي: أهل النفاق المؤمنين أَلَمْ نَكُنْ فِي الدنيا مَّعَكُمْ في الطاعة الظاهرة قَالُوْا بَلَى وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بالنفاق وَتَرَبَّصْتُمْ تأخرتم في التوبة [ص851] أو انتظرتم بالمؤمنين دوائر السوء وَارْتَبْتُمْ في التوحيد وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ بطول الأعمار في إمهال التوبة حَتّٰى جَاءَ أَمْرُ اللهِ الموت، وسد باب التوبة وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُوْرُO الشيطان، أو الدنيا فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ما يفتدي به، تنجون بها من النار وَّلَا مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ظاهرا وباطنا مَأْوَاكُمْ مصيركم النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ أولى بكم، أو مكانكم القريب، أو ناصركم، أو متولي أمركم كما توليتم موجباتها في الدنيا وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO النار أَلَمْ يَأْنِ من أني يأني، أي: لم يأت لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا وقت أَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ترق وتلين بذكره وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ عطف على الذكر وَلَا يَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ اليهود والنصارى فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ الزمان بينهم وبين أنبيائهم، أو طال أعمارهم، فأخذوا في الأمل كما هو مقتضي الهرم فَقَسَتْ قُلُوْبُهُمْ بمتابعة الشهوات وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُوْنَO رافضون كما في كتبهم. نزلت في الصحابة كانوا مجتهدين في الطاعات حين جذبوا بمكة، فلما هاجروا، أو أصابوا الرخاء، وكثر الرزق والنعمة، وهنت غرائمهم في الطاعة، وقيل: كثر المزاح بينهم إِعْلَمُوْا أيها المؤمنون! كذلك يحي القلب بالخشوع وذكر الله قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَO بالتأمل إنصاف في قلب ميت هذه الآيات، فتهتدوا إلى ما نصبت عليه إِنَّ الْمُصَّدِّقِيْنَ أي: الذين صدقوا وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ بالإنفاق في سبيله راجين للأجر، فيه تغليب الذكور على الإناث قَرْضًا حَسَنًا لوجه الله وبطيب النفس يُّضَاعَفُ لَهُمْ من عشرة إلى أزيد من سبع مائة وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيْمٌO الجنة وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهٖ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيْقُوْنَ [ص852] مبالغون في الصدق، أو في التصديق وَالشُّهَدَاءُ القائمون بالشهادة لله، ولهم أو على المكذبين من الأمم عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُوْرُهُمْ أو هم كمثل الصديقين والشهداء في الله أجرهم ونورهم كمثل أجورهم وأنوارهم وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِOع إِعْلَمُوْا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ وَّزِيْنَةٌ وَّتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ أي: الأمور الدنياوية خيالية سريعة الزوال، قليلة النفع، فمثلها كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ مخضرا ثُمَّ يَهِيْجُ ييبس فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا متفتتا، يذهب به الرياح وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ لمن اختار الدنيا وَّمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ لمن اختار الآخرة وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا في التمتع بما فيها إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِO غرّ من أقبل إليها وأدبر الآخرة سَابِقُوْٓا سارعوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا سعتها كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إذا وصل بينهما، أو المراد بالعرض ما يقابل الطول، فيقاس منه طولها أُعِدَّتْ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهٖ فيه إشارة إلى أن الإيمان وحده كاف في استحقاق الجنة، وإلى أنها مخلوقة ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ لا واجب عليه، ومن دخل فإنما دخل بالفضل يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيْمِOمَا أَصَابَ أحدا مِنْ مُّصِيْبَةٍ ثابتة فِي الْأَرْضِ كجدب وعاهة وَلَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ كمرض وآفة إِلَّا مكتوبا فِيْ كِتَابٍ في اللوح المحفوظ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا نخلق المصيبة، أو الأرض، أو النفس، وكذلك ما أصاب من حسنة إلا هي في كتاب إِنَّ ذَالِكَ تقديرها وإثباتها [ص853] عَلَىاللهِ يَسِيْرٌO وإنما قدر وكتب لِّكَيْلَا تَأْسَوْا تحزنوا، بل تصبروا على حزن الجازع عَلَى مَا فَاتَكُمْ من نعم الدنيا وَلَا تَفْرَحُوْا فرح بطر وتكبر، بل تفرحوا فرح شكر على النعمة بِمَا آتَاكُمْ من نعمها، فإن من أيقن أن الخير والشر كل من الله هان عليه الأمر، ولا تبدل حاله في السراء والضراء وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ متكبر فَخُوْرٍO على الناس، لأن من علم أنه لا يستحق لشيئ، وإنما هو فضله، فلا معني للتكبر والفخر له الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ بدل عن كل مختال، أو مبتداء خبره لهم، وعيد شديد، أو خبر مبتداء محذوف وَمَنْ يَّتَوَلَّ يعرض عما ذكر له فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُOلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا أي: الملائكة، وقيل: الأنبياء بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ لبيان الشرائع وَالمِيْزَانَ أي: العدل، وقيل: هذه الآلة المعروفة إلى نوح لِيَقُوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ بالعدل، ولا يبعد أن يكون الميزان بيان الكتاب، فإن الكتاب كله ميزان، يميز الحق عن الباطل، فما واقفه عدل وما خالفه ظلم وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيْدَ إلى آدم حين نزل مع آلات الحدادين، وقيل: أنزل إليه الماء والنار والحديد والملح، وقيل: خرج من الجنة ومعه السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة والمرّ والمسحاة فِيْهِ بَأْسٌ شَدِيْدٌ لأنه ذريعة إلى إزهاق الأرواح من الأبدان وَّمَنَافِعُ لِلنَّاسِ إذ هو دخيل في كل ضيعة وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ علم مشاهدة، قيل: عطف على ليقوم الناس، والظاهر أنه متعلق بأنزلنا الحديد، أي: أنزله ليحصل البأس والنفع، وليعلم الله مَنْ يَّنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ أي: من ينصر الله ورسله غائبا عنه في الدنيا، لا يراه ولا يبصره، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنه: يضرونه ولا يبصرونه، أو المنافقون كانوا يجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم في حضوره، وأما في غيبته فلم يسلوا سيفا في [ص854] الله إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيْزٌOع يدفع بقوته وعزته من يخالفه، ولا حاجة له إلى النصرة لكنها ينتفع من يأتي بها وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا وَّإِبْرَاهِيْمَ خصا بالذكر لأنهما أبوان للأنبياء وَجَعَلْنَا فِيْ ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ هو الأربعة في ذرية إبراهيم، أو الخط فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ أي: أكثرهم فَاسِقُوْنَO خارجون عن طريق الاستقامة ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ نوح وإبراهيم وغيرهما بِرُسُلِنَا رسول بعد رسول وَقَفَّيْنَا رسلنا بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيْلَ وَجَعَلْنَا فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ رَأْفَةً وَّرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةَ ترك النساء، واتخاذ الصوامع، والفرار إلى الجبال، والتزهد عن الدنيا، منسوب إلى الرهبان، المبالغ في الرهبة، أي: الخوف ابْتَدَعُوْهَا ارتكبوها بالجعل ونذروها مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ما فرضناها على هؤلاء إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ أي: لكنهم ابتدعوها طلبا لرضائه تعالى فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا بالقول بالتثليث وإنكار القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه

وسلم، وكان الواجب على الناظر رعاية النظر فَآتَيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُوْنَO خارجون عن الاتباع يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا برسل خلوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوْا بِرَسُوْلِهِ يعني: محمد صلى الله عليه وسلم يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ حظين مِنْ رَّحْمَتِهِ بالإيمان بمحمد ونبي سابق وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوْرًا تَمْشُوْنَ بِهِ على الصراط وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبكم وَاللهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO أعلمكم بذلك لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ لا مزيدة، أي: ليعلموا أَلَّا يَقْدِرُوْنَ عَلَى تحصيل شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللهِ بدون الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وَأَنَّ الْفَضْلَ أي: فضل [ص857] النبوة أو فضل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيْمِO ع

سورة المجادلة مدنية، وهي اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

روي عن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها[1]، امرأة أوس بن الصامت رضي الله عنه[2]، أخي عبادة رضي الله عنه[3]، رآها وهي تصلي، وكانت حسنة، فلما سلمت راودها، فأبت، فغضب منها، فقال: أنت عليّ كظهر أمي، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: حرمت عليه، فقالت: ما ذكرني طلاقا، قال: حرمت عليه، قالت: إن لي صغارا، إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، قال: ما عندي من أمرك شيئ، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووجدي، فنزلت: **قَدْ سَمِعَ اللهُ** قَوْلَ الَّتِيْ تُجَادِلُكَ فِيْ زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيْ إِلَى اللهِ حين حكمت عليها بالتحريم وَاللهُ يَسْمَعُ

---

1 – خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها: هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. تزوجها أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر أخو عبادة بن الصامت. وهي المجادلة. أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن سعد: المصدر السابق . 280/8.

2 – أوس بن الصامت رضي الله عنه: هو أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري أخو عبادة، وكلاهما قد شهد بدرا، وأوس هو زوج المجادلة في زوجها خولة ويقال هي خويلة بنت ثعلبة، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مرثد بن أبي مرثد الغنوي. الذهبي: المرجع السابق. 337/3.

3 – عبادة بن صامت رضي الله عنه: هو عبادة بن الصامت من بني عمرو بن عوف بن الخزرج أنصاري، عقبي، بدري شجري، نقيب، شهد المشاهد كلها، شهد البيعتين، البيعة الأولى: حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن يقولوا الحق، لا يأخذهم في الله لومة لائم، والبيعة الثانية: حين بايعهم على ضرب الأبيض والأسود، وضمن لهم بالوفاء بذلك الجنة. توفي ببيت المقدس، وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. الأصبهاني: المصدر السابق. ص: 544.

تَجَاوُرَكُمَا تراجعكما إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ لشكوى المضطر بَصِيْرٌO بحاله اَلَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْكُمْ على عادتكم، أيها العرب! مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ حقيقة إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ حقيقة إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ أي: الأزواج بالمظاهرة لَيَقُوْلُوْنَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ إذ الشرع أنكره وَزُوْرًا كذبا إذ الزوجة لا يصير أما بالقول إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُوْرٌO ما سلف منهم بالتوبة والتكفير وَالَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُوْدُوْنَ لِمَا قَالُوْا أي: يعودون لنقض ما قالوا بأن يستجيبوا الاستمتاع بها، ذكر البيضاوي، أو بالعزم على الوطي عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، والحسن رضي الله عنه، وقتادة رضي الله عنه، وإمساكها وفيها يسع الفرقة عند الشافعي رحمه الله تعالى فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ عليهم، أي: فتحرير رقبة مطلقة مؤمنة كانت أو كافرة عندنا، بخلاف الشافعي رحمه الله تعالى، فإنه يقيدها بالإيمان، قياسا على كفارة القتل مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَّتَمَاسَّا يمس شهوة كل من الآخر [ص856] ذَالِكُمْ أي: الحكم بالكفارة المشعر على الجناية تُوْعَظُوْنَ بِهِ أي: تزجرون به وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO عليم فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ رقبة فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ متواصلين عليهم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّتَمَاسَّا يمس كل للآخر بشهوة فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ الصيام فَإِطْعَامُ سِتِّيْنَ مِسْكِيْنًا لكل مسكين نصف صاع من بر وصاع من غيره، ويجب أن يقدم على المسيس، ولكن لا يستأنف إن مس في خلال الإطعام ذَالِكَ أي: تعليم الأحكام لِتُؤْمِنُوْا لتصدقوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ في أحكام الشريعة، ورفض أحكام الجاهلية وَتِلْكَ حُدُوْدُ اللهِ يجب أن يكفوا عليها، ولا تتجاوزوا عنها وَلِلْكَافِرِيْنَ بهذه الأحكام عَذَابٌ أَلِيْمٌO مؤلم إِنَّ الَّذِيْنَ يُحَادُّوْنَ يعادون ويخالفون اللهَ وَرَسُوْلَهُ فكل من المتعادين في حد غير حد الآخر كُبِتُوْا نكسوا وأذلوا كَمَا كُبِتَ الَّذِيْنَ مِن قَبْلِهِمْ من الكفار، أي: كتنكيسهم وإذلالهم حيث خالفوا أنبيائهم فجعلوا أذلاء وَقَدْ أَنْزَلْنَا إليهم آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ على صدق الرسل وَلِلْكَافِرِيْنَ بالآيات عَذَابٌ مُّهِيْنٌO يذهب بعز هم. اذكر يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا تشهيرا في أهل المحشر أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوْهُ أي: أحاط عملهم لم يفت منهم شيئ، وهم ناسوه تحقيرا به وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌO[ع] حاضر، فلا يغيب شيء منه أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُوْنُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ أي: ما يقع من تناجي ثلاثة نفر، مأخوذ من النجوة، وهي ما ارتفع من الأرض، فإن السرائر مرفوع إلى الذهن، لا يطلع عليه أحد، وإنما خص بالفرد لأن التناجي يستحسن فيه أن يكون مع الاثنين فرد آخر ليترجح به رأي أحدهما وأول الثلاثة، ولتقرير أنه تعالى يتطلع على كل سر، كرر فردا أخر وهو خمسة إِلَّا هُوَ [ص857] أي: الله رَابِعُهُمْ بعلمه، فيشاركهم في الاطلاع عليه وَلَا خَمْسَةٍ ولا نجوى خمسة إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ بعلمه وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَالِكَ أي: من الثلاثة وَلَا أَكْثَرَ من الخمسة إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوْا فيطلع على سرائرهم ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا أي: يخبرهم بأعمالهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيْمٌO اليهود والمنافقون كانوا يتغامزون بأعينهم إذا راؤا المؤمنين ويتناجون بينهم فنهي النبي عليه السلام فعادوا إلى مثل ذلك، فنزل: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ نُهُوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُوْدُوْنَ لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ غيبة المؤمنين وَالْعُدْوَانِ وعداوتهم وَمَعْصِيَةِ الرَّسُوْلِ أي: ترك طاعته وَإِذَا جَاءُوْكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ أي: يقولون السام عليك، بمعنى: الموت، أو القتل بالسيف على لغتهم، والله يقول: السلام عليك أيها النبي، فهم كانوا يؤذون النبيوَيَقُوْلُوْنَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا هلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُوْلُ في حق رسوله، إن كان رسولا، أي: يستبدلون في أنفسهم بعدم كونهم معذبين في الدنيا بما يقولون للنبي عليه السلام على عدم نبوته صلى الله عليه وسلم حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ عذابا يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيْرُO جهنم يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُوْلِ كما هو دأب اليهود وأهل النفاق وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ بأداء الطاعات، أو بالإحسان بالمؤمنين وَالتَّقْوَى عن المعاصي، أو معصية الرسول وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِيْ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO عند البعث للحساب إِنَّمَا النَّجْوَى بالمناهي مِنَ الشَّيْطَانِ فإنه يسوّل الرزائل [ص858] لِيَحْزُنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا علة تسويله حزنهم وَلَيْسَ الشيطان ومن تبعه بِضَارِّهِمْ شَيْئًا أي: لا يضر المؤمنين إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فإن إرادته مقهورة بإرادته تعالى وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَO ولا يبالوا بنجواهم بالاستعاذة منه إليه تعالى، وكان في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم تضام من المستمعين لكلامه تنافسا بالقرب والدنوعة ولا يتفسحون بالجائي إذا أمروا بالتفسح، فنزل: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا قِيْلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوْا أي: توسعوا فِي الْمَجَالِسِ مجلس النبي أو غيره فَافْسَحُوْا فوسعوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ في الرزق والصدر والقبر وغيره، مما ترجون منه فسحته وَإِذَا قِيْلَ انْشُزُوْا انهضوا عن المجلس للصلوة، أو الجهاد، أو التوسعة فَانْشُزُوْا انهضوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ بامتثال أوامره بحسن الذكر والنصر في الدين، وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة وَيرفع الَّذِيْن أُوْتُوا الْعِلْمَ مع العمل دَرَجَاتٍ على فاقديه وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO فيجازيكم حسب علمه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُوْلَ أي: أردتم مناجاته فَقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ أي: قبلها صَدَقَةً على المستحقين ذَالِكَ أي: تقديم الصدقة خَيْرٌ لَّكُمْ من عدمه وَأَطْهَرُ لذنوبكم فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوْا صدقة فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO لمن يناجي مع الرسول بدون الصدقة، وما عمل بها إلا علي رضي الله تعالى عنه، كان عنده دينار، فصرف على عشرة دراهم، فقدم في الصدقة درهما، وناجى النبي عليه السلام في عشرة مسائل وحكمها، كان عشرة أيام على قول، أو ساعة على قول، ثم نسخت بقوله تعالى: ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ أي: أ خفتم الفقر من تقديم الصدقات فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوْا ما أمرتم به من [ص859] تقديم الصدقة وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ أي: رجع عليكم بالرخصة، فأباح لكم أن لا تفعلوا فَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ أي: دوموا على هذه الحسنات من غير

تفريط وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَO لا يخفى منه خافية من البواطن والظواهر أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ أي: المنافقين الذين أحبوا اليهود؛ المغضوب عليهم مَاهُمْ أي: المنافقون مِّنْكُمْ أيها المؤمنون وَلَا مِنْهُمْ من اليهودوَيَحْلِفُوْنَ عَلَى الْكَذِبِ أي: قولهم: إنا مؤمنون وَهُمْ يَعْلَمُوْنَO أنهم كاذبون في هذه النسبة أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا أي: جهنم إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO من النفاق، وقيل: عبد الله بن نبتل المنافق[1] كان مع أصحابه يسب النبي وأصحابه، وكان عليه السلام في حجرة بعض أزواجه في طائفة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فأخبرهم إنه يدخل عليهم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بنظر الشيطان، فدخل ابن نبتل، فقال عليه السلام: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما شتمتك، وجاء بأصحابه، فحلفوا على الكذب، فنزلت: أَلَمْ تَرَ... اتَّخَذُوْا أَيْمَانَهُمْ الكاذبة جُنَّةً وقاية أنفسهم وأموالهم فَصَدُّوْا المؤمنين بتلك الأيمان الكاذبة عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن الجهاد فيهم، وقتل أنفسهم، ونهب أموالهم، أو صدوا الناس في خلال أمنهم عن دين اللهفَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌOلَنْ تُغْنِيَ لن تدفع عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ عذاب اللهِ شَيْئًا قليلا من الإغناء أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَOيَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيْعًا فَيَحْلِفُوْنَ لَهُ في المحشر بأنهم مسلمون كَمَا يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ في الدنيا [ص860] أنهم مسلمون وَأنهم يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ من النجاة من هذا الحلف الكاذب، كما انتفعوا به في الدنيا، حيث حفظ مالهم ودمائهم أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُوْنَO البالغون في الكذب، حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة إِسْتَحْوَذَ غلب واستولى عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ بطاعتهم له فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ لسانا وقلبا أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أتباعه وجنوده أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO باستبدال الشر بالخير المؤبدين إِنَّ الَّذِيْنَ يُحَادُّوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ يعادونهما ويخالفونهما أُولَئِكَ فِي أعداد الْأَذَلِّيْنَO الأسفلين المغلوبين كَتَبَ اللهُ في اللوح المحفوظ لَأَغْلِبَنَّ بالحجة أَنَا وَرُسُلِيْ على الكافرين إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ على نصر الحق عَزِيْزٌO غالب على إبطال الباطل لَا تَجِدُ قَوْمًا يُّؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْنَ يحبون ويصادقون مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ خالفهما وعاداهما، أي: لا ينبغي أن يوجد بينهما محابة ووداد وَلَوْ كَانُوْا أي: الكافرون آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَائَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ أي: ينبغي أن يراعوا وصلة الإسلام على الوصل، فإنها أحق بالرعاية أُولَئِكَ الذين لا يوادون المخالفين كَتَبَ أثبت فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْإِيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِنْهُ تعالى بكتاب أنزل فيه حياة لهم وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بطاعتهم له وَرَضُوْا ما

---

1 – عبد الله بن نبتل المنافق: هو عبد اللّه بن نبتل بن الحارث الأنصاري. وقد ذكر الواقدي لولد هذا قصة في عهد عمر. وقيل: إن هذا كان من المنافقين. ابن حجر: المرجع السابق. 212/4.

وعدهم من الثواب عَنْهُ تعالى أُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ جنوده وأتباعه أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO٤ الفائزون بنعيم الآخرة. **سورة الحشر مدنية، أربع وعشرون آية.**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص861] سَبَّحَ لِلّٰهِ نزهه، واللام زائدة مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فيه تغليب وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الْحَكِيْمُO في صنعه، قيل: صالح بنو النضير في المدينة بالنبي عليه السلام على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر النبي يوم بدر، قالوا: هو النبي المنعوت في التوراة، ولما هزم المسلمون يوم أحد نكثوا، وخرج من بينهم كعب بن أشرف إلى أبي سفيان في أربعين ركب، وحالف معه عند الكعبة، فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الأنصاري[1] بقتله، فقتله خديعة، وحاصرهم في حصونهم، وأمر بقطع نخيلهم، وقذف الله الرعب في قلوبهم، حتّى صالحوا على الجلاء إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات، فنزلت إلى قدير، وقيل تمامها أي: بني النضير من اليهود أي: المدينة إلى الشام لِأَوَّلِ الحَشْرِ الحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر، فأوّل إخراجهم هو الإخراج من المدينة إلى الشام، آخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام في خلافة عمر رضي الله عنه، أو أول حشرهم إلى الشام، وآخر حشرهم إخراج النار الخلق من المشرق إلى الشام، وقيل: أوّل حشر برسول الله عليه الصلاة والسلام لقتالهم، أو أوّل ذل لهم في حشرهم بالجلاء مَا ظَنَنْتُمْ أيها المؤمنون! أَنْ يَّخْرُجُوْا من المدينة لشدة بأسهم وَظَنُّوْا أي: اليهود أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُوْنُهُمْ مِّنَ بأس اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ أي: أمره وعذابه مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوْا لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين وَقَذَفَ وألقى الله فِيْ قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف بقتل سيدهم: كعب بن أشرف يُخْرِبُوْنَ بُيُوْتَهُمْ بِأَيْدِيْهِمْ بواطن البيوت بخلا على المؤمنين، وإخرج اللائق للذهاب به وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِيْنَ ظواهرها، فهم تسببوا بنكث العهد لإزالة التحصن ليتسع مجال الحرب للمؤمنين بهم فَاعْتَبِرُوْا أي: جاوزوا من [ص862] حالهم إلى حالكم يَا أُولِي الْأَبْصَارِO فيه دليل على جواز القياس وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ قضى عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ الخروج من الوطن مع الأهل والولد لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بالقتل والسبي، كما فعل بني قريظة وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِOذَلِكَ الجلاء والذلة بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ خالفوه وعادوه وَرَسُوْلَهُ وَمَنْ يُّشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيْدُ

---

1 – محمد بن مسلمة الأنصاري: هو محمد بن مسلمة الأنصاري الحارثي، يكنى أبا عبد الرحمن. ويقال: بل يكنى أبا عبد الله. حليف لبني عبد الأشهل، شهد بدرا والمشاهد كلها، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها، وكانت وفاته بها في صفر سنة ثلاث وأربعين. وقيل: سنة ست وأربعين. وقيل: سنة سبع وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ أمير على المدينة. ابن عبد البر: المصدر السابق. 1377/3.

الْعِقَابِO له مَا أيّ شيء قَطَعْتُمْ أيها المسلمون! مِّنْ لِّيْنَةٍ من نخلة، من اللون، فياءها من الواو، جمعه: الألوان، أو من اللين، أي: النخلة الكريمة، جمعه: الأليان أَوْ تَرَكْتُمُوْهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُوْلِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ أمره وَإنما أذن لكم لِيُخْزِيَ ليذل الْفَاسِقِيْنَO بغيظهم. نزلت حين قالوا: قطع الشجر المثمر فساد في الأرض، وأنت يا محمد! كنت تمنع عنه وَمَا أَفَاءَ اللهُ أي: رد عَلَى رَسُوْلِهِ مِنْهُمْ من بني النضير فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ الوجيف: سرعة السير، أي: ما أسرعتم، وما قاسيتم مشقة، لأن قراهم كانت على ميلين من المدينة، فمشوا إليها رجالا غير النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه ركب حمارا أو جملا، ولم يجر مزيد قتال، فقسم الغنم بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة منهم، كانت بهم حاجة مِنْ خَيْلٍ من زائدة، أي: فرسا وَّلَا رِكَابٍ بعير وَّلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ يغلب رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ فلا حق لكم فيه كالغنائم، بل أمره مفوض إليه وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ أي: رده عليه من غير حرب مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ أي: يسدس القسمة بظاهر الآية، وسهم الله في تعمير المساجد، وقيل: يخمس [ص863] كالغنيمة، لأن ذكر الله تعالى للتعظيم، وتصرف اليوم سهم الرسول إلى الإمام أو مصالح المؤمنين أو سدّ الثغور وسلاح المجاهدين، فهذه الآية بيان ما يصنع الرسول الفيئ، فيما يصنع خمس الغنائم، ولذا لم يعطف، وقيل الأولى: نزلت في اختصاص مال بني النضير برسوله، والثانية: في غنائم، تؤخذ بقوة الغزات كَيْ لَا يَكُوْنَ الفيئ دُوْلَةً متداولة بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ دائرة بينهم، كما كان في الجاهلية وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُوْلُ من الأمر أو الفيئ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ عن إتيانه أو أخذه فَانْتَهُوْا عنه وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِO لمن خالف الرسول صلى الله عليه وسلم لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِيْنَ الَّذِيْنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أما بدل من لذي القربى، وما عطف عليه، لا عن قوله للرسول، فإن الرسول لا يسمى فقيرا، وأيضا ينصرون الله ورسوله يؤيده، فحينئذ لا حاجة إلى تخصيص الفيئ بفيئ بني النضير لإطلاق الحكم في كل فيئ، وأما بدل من قوله: واليتامى، وما عطف عليه، وحينئذ يجوز إعطاء الفيئ لذوي القربى الأغنياء كما هو رأي بعض، وأما متعلق بمحذوف، أي: أعجبوا لهؤلاء الفقراء يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا فإن كفار مكة نهبوا أموالهم وأخرجوهم، وهم راضون عن الله تعالى وَّيَنْصُرُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ بأنفسهم وأموالهم أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُوْنَO في إيمانهم وَالَّذِيْنَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ أي: الأنصار الذين توطنوا واستقروا المدينة وأخلصوا الإيمان من قبيل علفتها تبنا وماءا باردا مِنْ قَبْلِهِمْ قبل المهاجرين يُحِبُّوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ من غير ثقل خاطر وَلَا يَجِدُوْنَ فِيْ صُدُوْرِهِمْ في أنفسهم حَاجَةً انبعاث طلب، أو حسد، أو دغدغة مِّمَّا أُوْتُوْا أي: المهاجرون من أموال بني النضير وَيُؤْثِرُوْنَ أي: الأنصار [ص864] المهاجرين عَلَى

أَنْفُسِهِمْ وَلَو كَانَ بِهِمْ أي: بالأنصار خَصَاصَةٌ حاجة إلى ما يؤثرن به، قيل: عدّ عليه السلام إحسان الأنصار على المهاجرين، فقال: أقسم مال بني النضير على كلا الطائفتين، ويكون المهاجرون شركاء في دور الأنصار يتمتعون بأموالهم كما كانوا، أو أقسم على المهاجرين فقط، وأضع المؤنة عنهم، فقال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه شيخ الأنصار بزيد: أن يكون المال للمهاجرين، وهم في دورنا كما كانوا، فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل: وَيُؤْثِرُوْنَ... وَمَنْ يُّوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ حرص المال وبخله عن الإنفاق، وقيل: اللوم، وقيل: الشحيح: من يبخل ماله عن نفسه فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَOوَالَّذِيْنَ جَاءُوْا إلى يوم القيامة مِنْ بَعْدِهِمْ بعد الفريقين من المهاجرين والأنصار يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالْإِيْمَانِ من أهل الهجرة والنصرة وَلَا تَجْعَلْ فِيْ قُلُوْبِنَا غِلًّا لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا أي: جزاء لهم رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌOعالربع بنا، فأجب دعاءنا أَلَمْ تَرَ تنظر إِلَى الَّذِيْنَ نَافَقُوْا كعبد الله بن أبي وأشياعه يَقُوْلُوْنَ لِإِخْوَانِهِمُ في الكفر الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أي: بني النضير لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ من المدينة لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ لغاية المحبة بيننا وبينكم وَلَا نُطِيْعُ فِيْكُمْ في إيذاءكم وقتالكم أَحَدًا يعني: محمد، أو أتباعه أَبَدًا دائما وَّإِنْ قُوْتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ لنعاوننكم وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَO في هذه الدعاوى لَئِنْ أُخْرِجُوْا لَا يَخْرُجُوْنَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوْتِلُوْا لَا يَنْصُرُوْنَهُمْ وكان الأمر كذلك، فإن ابن أبي وأضرابه ما نصروهم، وما خرجوا معهم كما وعدوا وَلَئِنْ نَّصَرُوْهُمْ فردا لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ انهزاما ثُمَّ لَا يُنْصَرُوْنَO أي: بنو النضير بعد انهزام نصرتهم لَاْ أَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً [ص865] خوفا، مصدر مبني للمفعول، أي: مرهوبة فِيْ صُدُوْرِهِمْ في قلوب المنافقين مِّنَ اللهِ فإن خوف سيفكم صار سببا لإظهار الإسلام مع استبطان الكفر، ويقال لتأخير عذابه تعالى إلى يوم القيامة وظهور عذابكم اليوم ذَلِكَ شدة الخوف منكم دون الله بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُوْنَO عمظته تعالى، وإن الله أحق أن يخشى عنه لَا يُقَاتِلُوْنَكُمْ أي: اليهود والمنافقون جَمِيْعًا حال كونهم مجتمعين بالألفة إِلَّا فِيْ قُرًى مُّحَصَّنَةٍ بالدروب والخنادق أَوْ مِنْ وَّرَاءِ جُدُرٍ حفظا لأنفسهم من حرابكم، وليس هذا لجبنهم وضعفهم، إذ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ إذا اقتتلوا شَدِيْدٌ أما إذا قاتلوكم فإنما يقاتلون الله فيقذف الله رعبة في قلوبهم، فلا يستطيعون القتال معكم بالشجاعة والعزة تَحْسَبُهُمْ جَمِيْعًا متألفين وَّقُلُوْبُهُمْ بتفرق مقاصدهم شَتَّى متفرقة ذَلِكَ التشتت منهم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُوْنَO صلاح الأمر، مثلهم في ترك الإيمان كَمَثَلِ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ أي: أهل بدر قَرِيْبًا ذَاقُوْا وَبَالَ أَمْرِهِمْ سوء عاقبة كفرهم من سيف المؤمنين وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة، ومثل المنافقين في إغراء اليهود على قتال المؤمنين كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّنْكَ فلا أعذب مثلك إِنِّيْ أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَO ولا تنفع هذه التبرية له فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا الشيطان والكافر فِي النَّارِ خَالِدَيْنَ أي: هما

فِيْهَا في النار وَذَالِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِيْنَO^ع الكافرين يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ في ترك الطاعات وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ أي: ليوم القيامة وَاتَّقُوا اللهَ في ارتكاب المعاصي إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَOوَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ نَسُوا اللهَ [ص866] أي: أعظة الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أي: ما ينفعها من التوبة والطاعات أُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَO الخارجون عن طريق الهدى لَا يَسْتَوِيْ أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أخّرهم لمكان تفصيل بحالهم، هو أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُوْنَO إلى نعيم مقيم. عظمة القرآن بحيث: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بالفرض عَلَى جَبَلٍ وخلق فيه التميز مع صلابته وعظمته لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا متشققا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ في مواعيده، فالإنسان أحق أن يخشى عند تلاوته، وعدم الخشية يكون قلبه أشد قساوة من الجبل وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَO أي: ذكر أوصاف المعقولات المشبهة بالمحسوسات لتبين التقريع والتوبيخ لعلهم يتعظون بإمعان النظر هُوَ اللهُ الَّذِيْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ بالنظر إلينا وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُO في الدنيا والآخرة هُوَ اللهُ الَّذِيْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ أَلْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ المنزه عن الشوائب النقص السَّلَامُ من كل آفة الْمُؤْمِنُ من كل عقوبة في الآخرة للمطيعين الْمُهَيْمِنُ مفيعل من الأمن، والهاء بدل الهمزة، أو من هيمن يهيمن، إذا كان رقيبا على الشيء شهيدا عليه، وقيل: لا يدرك معناه إلا الله، والذي قيل فيه: الحافظ على كل شيئ، والمطلع على الخفايا، الحاكم بالحق، الشاهد على ما فعلوا الْعَزِيْزُ الغالب على ما يشاء الجَبَّارُ على ما يريد الْمُتَكَبِّرُ عن كل ما لا يليق بشانه سُبْحَانَ اللهِ تنزيها له عَمَّا يُشْرِكُوْنَO به في استحقاق العبادة هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ المقدر لما يوجده حسب مقتضى حكمته، الموجد للأعيان، المميز لها بصور خاصة لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى مؤنث أحسن، تدل على أحاسن المعاني يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ينزهه عن النقائص وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على الأمور الْحَكِيْمُO^ع في صنائعه.

سورة الممتحنة مدنية، وهي ثلاث عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا [ص867] لَا تَتَّخِذُوْا عَدُوِّيْ وَعَدُوَّكُمْ كفار مكة أَوْلِيَاءَ نزلت في حاطب ابن بلتعة البدري رضي الله تعالى عنه، وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، والنبي يتجهز لفتح مكة، فاستحمل حاطب سارة كتابا إلى أهل مكة، وماله وعياله معهم، فيه: أن رسول الله يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت، ونزل جبرائيل عليه السلام بالخبر، فبعث النبي إليها عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد، وأبا مرثد رضي الله تعالى عنهم فرسانا، فأخذوها، وهي تنكره، فسلّ علي سيفه،

وقال: اخرجي الكتاب، أو ضعي رأسك، فأخرجته من عقاص شعرها، فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا، وقال: ما حملك عليه؟ فقال: ما كفرت منذ أسلمت، ولكن كنت امراء ملصقا في قريش، وليس فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن آخذ يدا عندهم، فصدقه رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقبل عذره، وقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! صلى الله عليك وسلم أضرب عنق هذا المنافق، فقال عليه السلام: ما يدريك يا عمر! لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر رضي الله تعالى عنه تُلْقُوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ الباء زائدة وَقَدْ كَفَرُوْا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ القرآن والإسلام يُخْرِجُوْنَ الرَّسُوْلَ وَإِيَّاكُمْ من مكة بالتضيق عليكم أَنْ تُؤْمِنُوْا بِاللهِ أي: لإيمانكم بالله رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ من مكة جِهَادًا أي: لأمر الجهاد فِيْ سَبِيْلِيْ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِيْ ولطلب رضائي، فلا تتولوا عدوي تُسِرُّوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ تبلغون إليهم أسرار رسول الله بالمحبة وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنْكُمْ أي: إفشاء سر النبي عليه السلام فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيْلِO وسط الطريق وصوابه إِنْ يَّثْقَفُوْكُمْ أن يتمكنوا منكم يَكُوْنُوْا لَكُمْ أَعْدَاءً وَّيَبْسُطُوْا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوْءِ بالضرب والقتل والشتم والسب [ص868] وَوَدُّوْا أي: تمنوا لَوْ تَكْفُرُوْنَO ترجعون إلى الكفر لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ أقرباءكم وَلَا أَوْلَادُكُمْ الذين توالون المشركين لأجلهم، وتفشون أسرار النبي إليهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بالفرار فما لكم يرفضون حق الله لمن يفر منكم غدا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌOقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ قدوة في التبري من الأهل ودينهم فِيْ كلام إِبْرَاهِيْمَ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ إِذْ قَالُوْا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ جمع بريء، كظريف وظرفاء مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ بدين ومعبود لكم وَبَدَا ظهر بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ جوارحا وقلبا أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوْا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيْمَ لِأَبِيْهِ الكافر، فإن هذا القول منه ليس مما ينبغي أن يتأسّى به لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ أي: لأطلبن لك المغفرة وَلكن بعد الاستغفار مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ والعذر منه عليه السلام، إنه كان ذلك قبل النهي بالاستغفار للكفار، أو لموعدة وعدها إياه رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا رجعنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُO المرجع رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا أي: لا تسلط الكافرين علينا، فيفتنوا بنا بظنهم، إنهم على الحق بسبب النصرة علينا، أو لا تحدث فينا ما يوجب استحباهم الكفر، بما رأوه فينا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ما فرط منا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الْحَكِيْمُO في صنعه. والله لَقَدْ كَانَ لَكُمْ يا أمة محمد عليه السلام فِيْهِمْ في إبراهيم وقومه قولا وفعلا أُسْوَةٌ قدوة حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ أي: يخافهما أو يظن الثواب والعقاب، بدل من لكم وَمَنْ يَّتَوَلَّ يعرض عن أمر الله [ص879] فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ عن العالمين الْحَمِيْدُOع للمطيعين عَسَى اللهُ قرب أَنْ يَّجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ لمحبة الله، وهم كفار

مكة من أقرباءكم مَّوَدَّةً بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا أولياءكم، وقد وقع التحاب بينهم بعد فتح مكة وَاللهُ قَدِيْرٌ على ذلك وَاللهُ غَفُوْرٌ لما سلف منهم من المحاربات، ومنكم من الموالات رَّحِيْمٌO بهم وبكم، ولما أمروا بعداوتهم جاءت قتيلة بنت عبد العزى مشركة عند بنتها أسماء بنت أبي بكر في المدينة بهدايا، فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدخول، فنزلت: لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ في محل الجر، بدل اشتمال عن الذين، أي: لم ينهاكم عن تكرمتهم وَتُقْسِطُوْا إِلَيْهِمْ أي: تفضوا إليهم بالقسط والعدل إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَO العادلين، هذا قبل آية السيف والأمر بالجهاد إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِيْنَ قَاتَلُوْكُمْ فِي إذلال الدِّيْنِ وَأَخْرَجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوْا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ عاونوا بكفار مكة في إجلاءكم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ بدل من الذين قاتلوكم وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَO لوضعهم التولي في غير موضعه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ أطلق عليهن المؤمنات لنطقهن بالشهادتين مُهَاجِرَاتٍ عن مكة بعد صلح الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يردوه إليهم فَامْتَحِنُوْهُنَّ بالحلف، بأنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا لأمر آخر أَللهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَانِهِنَّ حقيقة فَإِنْ عَلِمْتُمُوْهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ بالله ورسوله، أي: ظننتموهن كذا فَلَا تَرْجِعُوْهُنَّ إِلَى الأزواج الْكُفَّارِ فإن الصلح إنما وقع في الرجال لا في النساء، أو [ص870] نسخت هذه الآية الحكم الأول لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّوْنَ لَهُنَّ أي: المسلمة لا يحل للكافر، وعكسه وَآتُوْهُمْ أي: الكفار مَّا أَنْفَقُوْا على أزواجهم المهاجرات وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ فإن الإسلام أثبت الاتحاد بينكم وبينهن إِذَا آتَيْتُمُوْهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ مهورهن، فإن ما أعطى الزوج الكافر لا يقوم مقام المهر من المسلم وَلَا تُمْسِكُوْا أيها المؤمنون! بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ بعقدها، بل طلقوها سواء كانت في دار الحرب أو دار الإسلام، والعصم جمع عصمة، وهي عقد النكاح، فإنه لا وصلة بين الكافرة والمسلم وَاسْئَلُوْا ممن تزوج بالكوافر مَا أَنْفَقْتُمْ من المهور وَلْيَسْئَلُوْا أي: الكفار مَا أَنْفَقُوْا ممن تزوج المهاجرات المؤمنات ذَالِكُمْ أي: ما ذكر في الآية حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ الله بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ بمصالحكم حَكِيْمٌO بما يقتضي حكمته وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ مهور أَزْوَاجِكُمْ المرتدات الرواجع إِلَى الْكُفَّارِ أي: ما أعطوكم مهور تلك الرواجع فَعَاقَبْتُمْ أي: غزوتم فغنمتم فَاتُوا الَّذِيْنَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ أي: أعطوا من تلك الغنيمة للمسلمين الذين انقلت زوجاتهم المرتدات إلى الكفار مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوْا أي: المسلمون من المهور لهن، وقيل: معناه شيء من الزوجات، والتنوين للتحقير، فعاقبتم من العقبة بمعني النوبة، أي: جاءت نوبتكم في أداء المهور، فأعطوا المسلمين من مال الغنيمة مثل ما أنفقوا الزوجات المرتدات اللاحقات بدار الحرب، وفات المهر من أيديهم وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِيْ أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَO وقد فعل الحكام ما أمروا من الإيتاء للكفار وللمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم بعد الفتح، روي: أن يوم فتح مكة نساءها

جاءت للبيعة، نزلت: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ أي: اللاتي [ص871] يردن الإيمان يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَّلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ كما يفعلن في الجاهلية من الوأد، أي: دفنهن أحياء خوف العار والفقر وَلَا يَأْتِيْنَ بِبُهْتَانٍ يَّفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّوَأَرْجُلِهِنَّ أي: يلقطن أولادا، وينسبن إلى أزواجهن، فإن الولد الحقيقي يسقط بين يديها ورجليها وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِيْ مَعْرُوْفٍ كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وخداش الوجه وتسويده، وإنما قيد به مع أن الرسول لا يأمر إلا بالمعروف، إشارة إلى أن طاعة المخلوق في معصية الخالق لا يجوز فَبَايِعْهُنَّ ففعل صلى الله عليه وسلم بالقول، ولم يمس يده يد إحداهن، وقيل: جعل أميمة أخت خديجة رضي الله عنهما[1] نائبة عن نفسه في البيعة، وقيل: وضع يده ويدها في قدح مملوء من الماء من غير مس وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لما سلفت منهن رَّحِيْمٌO بهن يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا هم اليهود غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وكانوا فقراء المسلمين يواصلونهم؛ لينالوا من ثروتهم شيئا قَدْ يَئِسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ لكفرهم بها، أو لعنادهم النبي صلى الله عليه وسلم مع علمهم بصدق النبي المؤيد بالآيات كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُوْرِO عالنصف عن الرجوع إلى الدنيا، أو من خير الآخرة وثوابها.

سورة الصف مدنية، أربع عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ O

سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اللام زائدة، وفي كلمة ما تغليب، أي: نزه الله عما لا يليق بجنابه ما فيهما وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب على أمره الْحَكِيْمُO في صنعه يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَO نزلت في المسلمين، قالوا: لو علمنا [ص872] أحب الأعمال عند الله لبذلنا جهدنا فيه، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِهِ﴾ فولوا عن القتال يوم أحد كَبُرَ عظم مَقْتًا بغضا، منصوب على التميز عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوْا فاعل كبر مَا لَا تَفْعَلُوْنَOإِنَّ اللهَ يُحِبُّ ينصر ويكرم الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِهِ صَفًّا حال كونهم صافّين كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوْصٌO الرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه وَاذكر إِذْ قَالَ مُوْسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُوْنَنِيْ بالجحود عن الآيات

1 – أميمة أخت خديجة رضي الله عنهما: أميمة بنت رقيقة: وهي أميمة بنت عبد ويقال: عبد الله بن بجاد بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، لها صحبة، وهي من المبايعات. شهدت مؤته، وقدمت على معاوية دمشق، وروت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث. ابن منظور: المصدر السابق. 151/5.

والرمي بالأدرة، وليس فيّ وَقَدْ للتحقيق تَّعْلَمُوْنَ أَنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوْا مالوا عن قبول أمر موسى عليه السلام أَزَاغَ أمال اللهُ قُلُوْبَهُمْ عن قبول الهداية وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَO الكافرين في علمه تعالى وَإِذْ قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرِيَمَ يَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ إِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ أي: قبلي مِنَ التَّوْرَاةِ أشهر الكتب وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلٍ يَّأْتِيْ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ أشهر الأنبياء، إشارة إلى تصديق السلف والخلف من القسمين فَلَمَّا جَاءَهُمْ عيسى عليه السلام أو أحمد بِالْبَيِّنَاتِ بدلائل التوحيد قَالُوْا هٰذَا أي: ما جيء به أو هو سِحْرٌ مُّبِيْنٌOوَمَنْ أَظْلَمُ أشد ظلما مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بنسبة الولد والشريك إليه وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ والحال إنه يقابل الخير بالشر وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO الكافرين يُرِيْدُوْنَ الافتراء لِيُطْفِئُوْا نُوْرَ اللهِ كتابه، أو دينه، أو اللام مزيدة، وهو مفعوله بتقدير أن بِأَفْوَاهِهِمْ بقولهم سحر، أو شعر، أو كهانة وَاللهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ مظهره ومبلغه وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَO [ص873] هُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى بالقرآن وَدِيْنِ الْحَقِّ الملة الحنفية البيضاء لِيُظْهِرَهُ أي: ليغلب الله ذلك الدين عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ سائر الأديان وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَOعيَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عِذَابٍ أَلِيْمٍO قالوا: نعم، قال تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ أي: الجمع بين الإيمان والجهاد بالأموال والأنفس، متاع كثير النفع في الآخرة، أمر في صورة الخبر ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ من جميع التجاراتإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO طريق هذه التجارة المربحة يَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنَّاتِ عَدْنٍ أي: جنات الإقامة والخلود، يقال: عدن بالمكان إذا قام به ذَالِكَ الغفران والإدخال الْفَوْزُ الْعَظِيْمُOوَأُخْرَى أي: لكم نعمتي أخرى في الدين يؤتيكم تُحِبُّوْنَهَا لأنكم محبوبون بحب العاجلة نَصْرٌ على قريش، بدل من أخرى مِّنَ تائيد اللهِ وَفَتْحٌ أي: فتح مكة، أو فارس، أو الروم قَرِيْبٌ وَبَشِّرِ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الْمُؤْمِنِيْنَO بكلتا النعمتين يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُوْنُوْا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا كان الحواريون أنصار عيسى عليه السلام، حيث قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّنَ هم أصفياء عيسى عليه السلام، كانوا اثنا عشر رجلا، آمنوا به أولا، قيل: كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها، فهم كانوا قصّارين مَنْ أَنْصَارِيْ إِلَى اللهِ أي: من أنصار الذين يختصون لي، ويكونون معي متوجها إلى نصرته تعالى قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فنصروا دين الله [ص874] بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، ودعوا الخلق إلى الحق فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ بالله، قالوا: عيسى عبد الله مِّنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ من أولاد يعقوب عليه السلام وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ قالوا: ابن الله، فاقتتلت الطائفتان فَأَيَّدْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا عَلَى عَدُوِّهِمْ بالحرب والحجة فَأَصْبَحُوْا ظَاهِرِيْنَOع فصاروا غالبين.

سورة الجمعة مدنية، وهي إحدى وعشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ينزه الله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اللام مزيدة، وفي كلمة ما تغليب الْمَلِكِ السلطان الْقُدُّوْسِ المنزه عما لا يليق الْعَزِيْزِ الغالب في أموره الْحَكِيْمِO في صنائعه هُوَ الَّذِيْ بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّنَ أي: العرب، وأكثرهم لا يقرؤن ولا يكتبون، منسوب إلى الأم، أو إلى آئمة العرب، وقيل: الأم اسم مكة، لأنها أم القرى، فالمنسوبون إليه هم الأميون رَسُوْلًا مِّنْهُمْ أي: من أنفسهم، أو من جنسهم أميا وَيَتْلُوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ من العلم والعمل الخبيثين وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ القرآن وَالْحِكْمَةَ السنة وَإِنْ مخففة من مثقلة، اسمها محذوف، أي: وإنهم كَانُوْا مِنْ قَبْلُ أي: قبل البعثة لَفِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍOوَّآخَرِيْنَ عطف على الأميين، أي: الذين يأتون من بعده عليه السلام مِنْهُمْ لَمَّا أي: لم يَلْحَقُوْا بِهِمْ في السبق والفضل وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُOذَلِكَ أي: تلاوة الآيات، والتزكية، والتعليم فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِOمَثَلُ الَّذِيْنَ أي: اليهود حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ أي: كلفوا بها علما وعملا ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوْهَا أي: لم يعملوا بها، فإنها كانت تنعت بنعت محمد صلى الله عليه وسلم، وهم ناكبون عنه كَمَثَلِ [ص875] الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا كتبا كبيرة، ولا ينتفع بها بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِ اللهِ الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَO الكافرين في علمه تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ هَادُوْا هاد يهود إذا تهوّد إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ حيث قالوا: نحن أولياء الله وأحباؤه مِنْ دُوْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ لأنه انتقال من الشر إلى الخير على حسب زعمكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَO في دعوكم، لأن المحب يؤثر قرب المحبوب وبابه الموت وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ بسبب ما فعلوا من الكفر والمعاصي من تكذيب الرسل، وهم يعلمونه من غير ريبة وَاللهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَO الكافرين قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِيْ تَفِرُّوْنَ مِنْهُ خيفة الأخذ بوبال الكفر فَإِنَّهُ مُلَاقِيْكُمْ لا محالة، ولا ينفع الفرار عنه، والفاء زائدة، أو لاعتبار معنى الشرط في الاسم ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ السر وَالشَّهَادَةِ العلانية، أي: إلى الله فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَOع بالمجازات اللائقة يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا نُوْدِيَ أذّن لِلصَّلَاةِ مِنْ يَّوْمِ الْجُمُعَةِ أي: فيه اسمها عروبة باجتماع

الناس فيه للصلاة؛ سميت جمعة، وأول من سماه جمعة كعب بن لؤي[1]، وأول جمعة بعد ما قام في قبا صلى في دار بني سالم بن عوف في متن المدينة، وهو سيد الأيام، من مات فيه كتب له أجر شهيد، ووقى فتنة القبر فَاسْعَوْا فامضوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وليس المراد سرعة المشي، والذكر الخطبة أو الصلاة وَذَرُوا الْبَيْعَ الشاغل عن الحضور، وخص به لكثرة وقوع البيع في ذلك اليوم ذَالِكُمْ الحضور خَيْرٌ لَّكُمْ من البيع والشراء إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO الخير [ص876] والشر الحقيقتين فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ أديت فَانْتَشِرُوْا أمر إباحة فِيْ الْأَرْضِ وَابْتَغُوْا واطلبوا الرزق مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ ذكرا كَثِيْرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَO بخير الدارين، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، قدمت عير تحمل الطعام، وضرب بين يديه الطبل والتصفيق، وكان أهل المدينة جائعين، فتفرقوا من عنده إليه، فما بقي عنده إلا اثنا عشر، فنزلت: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوْا انفرقوا عنك إِلَيْهَا إلى التجارة وَتَرَكُوْكَ على المنبر قَائِمًا قُلْ لهم وعظا مَا عِنْدَ اللهِ من الثواب خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ من ضرب الطبل والتصفيق وَمِنَ التِّجَارَةِ في الطعام وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَOع فإن العباد عيال الله، يرزقهم بما يشاء.

سورة المنافقون مدنية، إحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

روي: أنه عليه الصلاة والسلام عند الرجوع عن غزوة مرسيع، أمر بالرحيل في شدة الحر، لما تشاجر سنان من الأنصار، جهجأة من المهاجرين، وكاد أن يهيج الفتنة بين المهاجرين والأنصار، وعبد الله بن أبي المنافق تكلم فيهم، أن لا يعطوا المهاجرين حتّى يخرجوا عن المدينة، ونحن إذا يدخل المدينة، يخرج الأعز منها الأذل، يكني به نفسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه ذكر عند رسول الله عليه الصلاة والسلام ما قاله المنافق، وهيجان فتنة الأنصار مع المهاجرين، ولما سمع المنافق هذا، جاء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرا بالحلف الكاذب، ليحفظ ماله ودمه، ورمى زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه بالكذب، فنزلت تصديقا لزيد بن أرقم

---

1 – كعب بن لوئي: أول من قال أما بعد، أو يعقوب أو داود عليهما السلام، أو سحبان أو يعرب ابن قحطان. قال السهيلي: وكعب أول من جمع يوم العروبة. وقيل: هو أول من سماها الجمعة. فكانت تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم، ويذكرهم ببعثه عليه السلام، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به. أحمد بن إبراهيم: موفق الدين، أبو ذر، (ت: 884هـ). كنوز الذهب في تاريخ حلب: (ط-1، دار القلم، حلب، 1417هـ). 75/2.

رضي الله تعالى عنه: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُوْنَ أي: ابن أبي وأضرابه قَالُوْا نَشْهَدُ من غير مواطأة القلب باللسان إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ يعلم [ص877] إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَاذِبُوْنَO في الشهادة، وإن كانوا صادقين في المشهود به، لأن الشهادة تنبئ عن معنى الحضور والاطلاع، وهم غير معتقدين به إِتَّخَذُوْٓا أَيْمَانَهُمْ حلفهم الكاذب، والشهادة يسمي يمينا جُنَّةً وقاية عن القتل والسبي فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ عن دينه صدا، أو صدودا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَO أي: النفاق، وما يتبعه من الصد والصدود ذَالِكَ أي: سوء العمل بِأَنَّهُمْ آمَنُوْا إذا رأوا الآيات ثُمَّ كَفَرُوْا بتشكيك المشككين من الرؤساء، أو آمنوا باللسان، ثم كفروا بالجنان، وثم للتراخي في الرتبة، أو عند المؤمنين أو عند الكافرين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾[1] فَطُبِعَ ختم عَلَى قُلُوْبِهِمْ حتّى ماتوا على الكفر فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَO حقيقة الإيمان وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ لجمالها وَإِنْ يَّقُوْلُوْا عندك بكلام قَسَماً كان أو غيره تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ تصغى إلى كلامهم لفصاحتهم، والحال أنهم في عدم العقل وقلة التدبير كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ أخشاب ممالة إلى الجدار، لا ينتفع بها، وكانوا يستندون في مجلسه صلى الله عليه وسلم يَحْسَبُوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ ناشية في العسكر، كإنشاد ضالة، أو التنادي بينهم واقعة عَلَيْهِمْ لجبنهم ورعبهم من أن يظهر منهم ما يبيح سفك دمائهم، ونهب أموالهم، فهما مفعولان يحسبون هُمُ الْعَدُوُّ الكاملون في العداوة، لأنهم يفشون أسرارك إلى الكفار فَاحْذَرْهُمْ عن مكائدهم قَاتَلَهُمُ اللهُ أهلكهم، دعاء عليهم أَنَّى يُؤْفَكُوْنَO كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل؟ وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ نزل فيكم الآيات تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُوْلُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوْسَهُمْ انطلقوا إلى رسول الله يستغفر لكم، عطفوها إباءا واستكبارا وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ يعرضون عن الاستغفار وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَO عن الاعتذار سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ [ص878] أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ لختم أمرهم على الكفر والنفاق إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَOهُمُ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ لأصحابهم من الأنصار لَا تُنْفِقُوْا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ من الفقراء المهاجرين حَتَّى يَنْفَضُّوْا يتفرقوا من حوله وَلِلّٰهِ خَزَآئِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَا يَفْقَهُوْنَO غنى الله يَقُوْلُوْنَ لَئِنْ رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ من الغزوة لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ غني به نفسه مِنْهَا من المدينة الْأَذَلَّ أراد به حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ الغلبة وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَOع غر هؤلاء من فرط جهلهم يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُلْهِكُمْ لا تشغلكم أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ عن الصلوات، وسائر العبادات وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَالِكَ اللهو فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُوْنَO لأنهم باعوا الباقي بالفاني وَأَنْفِقُوْا في الزكاة مِمَّا

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُوْنَ﴾. سورة البقرة، الآية: 14.

رَزَقْنَاكُمْ ذخر الآخرة مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أي: دلائله فَيَقُوْلَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِيْ إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ أي: هلا، ولو للتمني، ولا زائدة، إلى أمد غير بعيد، أي: فرصة قليلة فَأَصَّدَّقَ أصله فأتصدق، أبدلت التاء بالصاد، وأدغمت، أي: مال الزكاة وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِيْنَO بعد التدارك الجزم، عطف على موضع فأصدق، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين وَلَنْ يُّؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا لن يمهلها عند حلول الأجل وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَOع فيجازي على حسبه.

سورة التغابن مدنية، ثاني عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ ينزهه، فاللام [ص879] زائدة مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ في كلمة ما تغليب لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ هما مختصان به وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO الاستواء نسبة القدرة إلى الكل هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَّمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ في الحكم الأزلي، فيستهل أسبابه وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌO فيجازيكم على حسبه خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بالحكمة البالغة، أو لبيان الحق؛ وهو التوحيد وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ من بين الصور لاشتمالها على جميع ما في العالم، فإنه العالم الصغير بل الكبير وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُO فلا تجمعوا القبيح بالمليح يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تَعْلِنُوْنَ وَاللهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO أي: بالخواطر أَلَمْ يَأْتِكُمْ يا كفار مكة! نَبَؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ من الأمم السابقة، كقوم نوح وهود وصالح فَذَاقُوْا وَبَالَ أَمْرِهِمْ أي: ضرر كفرهم في الدنيا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الآخرة ذَالِكَ المذكور من خسارة الدارين بِأَنَّهُ بسبب، أن الشأن كَانَتْ تَّأْتِيْهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ الدالة على التوحيد فَقَالُوْا إنكارا أَبَشَرٌ أي: الرسل يَّهْدُوْنَنَا والبشر يطلق على الواحد والجمع فَكَفَرُوْا وَتَوَلَّوْا عن التفكر في الآيات وَّاسْتَغْنَى اللهُ عن كل شيء فضلا عن إيمانهم وَاللهُ غَنِيٌّ عن العالمين حَمِيْدٌO محمود في كل لسان زَعَمَ أي: علم الَّذِيْنَ كَفَرُوا أَنْ مخففة من المثقلة، أي: أنهم لَّنْ يُّبْعَثُوْا قُلْ بَلَى وَرَبِّيْ لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ بالحساب والمجازات وَذَالِكَ البعث والجزاء عَلَى اللهِ يَسِيْرٌO هين لكمال قدرته فَآمِنُوْا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَالنُّوْرِ أي: القرآن [ص880] الَّذِيْ أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌO فيجازي على حسب عمله. اذكر يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ جمع فيه الملك والثقلان ذَالِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ أي: التضار، فينزل السعداء منازل الأشقياء، لو فرض سعادتهم بالوراثة، وينزل الأشقياء منازل السعداء، لو فرض شقاوتهم بالوراثة، أو يغبن الكافر بترك الإيمان، والمؤمن بترك الإحسان، أو كل يطلب نفعه وضرر غيره وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُّكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّآتِهِ أي: يستر

وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُO وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا أي: القرآن أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO عالثلاثة جهنم مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيْبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ بإرادته، كأنه أذن لها أن تصيبه وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ للثبات والازدياد، واصبر عليه وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌO ظاهرا وباطنا وَأَطِيْعُوا اللهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عن الإطاعة، فلا بأس فَإِنَّمَا عَلَى رَسُوْلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُO وقد بلّغ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَلِ الْمُؤْمِنُوْنَO فإن المؤمن هو الذي يفوض أمره إلى الله يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ يشغلكم عن الله، وعما يرضاه فَاحْذَرُوْهُمْ عن خديعتهم، قيل: منعوا عن الهجرة والجهاد، فبقوا محرومين عما وصل إليه المهاجرون والمجاهدون، فطفقوا بإضرار المانعين، فنزل: وَإِنْ تَعْفُوْا وَتَصْفَحُوْا وَتَغْفِرُوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌO أي: أن تتركوا المعاقبة [ص881] والتثريب، وتستروا الذنوب، فالله يعاملكم بما عاملتم بهم إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ امتحن الله قلوب عباده بهما، من يختار الله عليهما؟ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌO لمن يختار الله عليهما فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ناسخ، أو مفسر لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1] وَاسْمَعُوْا عظته وَأَطِيْعُوْا أمره ونهيه وَأَنْفِقُوْا لوجه الله، افعلوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ أو انفقوا ما هو خير لأنفسكم وَمَنْ يُّوْقَ شُحَّ بخل نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَO ومراتب الفلاح كمراتب وقاية الشح فرضا وتبرعا وكثيرا وقليلا إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ بصرف الأموال في المرضيات قَرْضًا حَسَنًا بالمال الطيب مع الإخلاص يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ من عشر إلى سبع مائة، أو ألف وأربع مائة، أو بغير حساب وَيَغْفِرْ لَكُمْ قد سلف عنكم ببركته وَاللهُ شَكُوْرٌ يعطي الجزيل بتصدق القليل حَلِيْمٌO لا يتعجل بالعقوبة للشحيح عَالِمُ الْغَيْبِ النيات وَالشَهَادَةِ المعاملات الْعَزِيْزُ الغالببالانتقام ممن لا يخلص في الصدقة الْحَكِيْمُOع فيما يجري على الإنسان من الخير والشر.

سورة الطلاق مدنية، وهي إحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قل لهم: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ أي: أردتم الطلاق فَطَلِّقُوْهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ حال كونهن مستقبلات لعدتهن بالحيض الثلاث، بأن يكون الطلاق في طهر، لم يمس فيه، وهو الطلاق السني وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ بالضبط والاستكمال لتراجعوا أو تستوفوا الثلاث، والنسوان غافلات وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ في إيقاع

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران، الآية: 102.

الطلاق السني، أو في إطاعة أمره ونهيه لَا تُخْرِجُوْهُنَّ مِنْ بُيُوْتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ بأنفسهن منها حتّى تنقضي العدة إِلَّا أَنْ يَّأْتِيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ كالزنا والسرقة، [ص882] وإيذاء أهل البيت بالسفاهة والفحش، ففي هذه الصور يخرجن لإقامة الحدود، ويسقط حقها على الزوج، فإنه في حكم النشوز وَتِلْكَ الأحكام حُدُوْدُ اللهِ وَمَنْ يَّتَعَدَّ حَدُوْدَ اللهِ تجاوزها فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ باستحقاق العقوبة لَا تَدْرِيْ أيها المخاطب! لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَالِكَ أَمْرًاO رغبة الرجوع فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ قاربن وشارفن آخر العدة فَأَمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ بالرجعة والإحسان أَوْ فَارِقُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ بإيفاء الحق واتقاء الضرار، بأن يراجعها في آخر عدتها، ثم يطلقها تطويلا لعدتها تعذيبا لها وَّأَشْهِدُوْا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ على الرجعة، أو الفرقة وَأَقِيْمُوا الشَّهَادَةَ للهِ لوجه الله، لا له ولا لها ذَالِكُمْ الحث على إقامة الشهادة لوجه الله يُوْعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًاOوَّيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًاO أي: جملة اعتراضية، أي: من يتق الله عما نهى من الطلاق في الحيض، وإضرار المعتدة، وإخراجها من المسكن، وتعدى حدود الله، وكتمان الشهادة، يجعل الله للزوج مخرجا من المضايق الدينية والدنيوية، ويرزقه فرجا وخلفا لم يخطر بباله، ومن يتوكل ثقة عليه تعالى فهو الكافي، فإن الله بالغ أمره، ومراده حيث يشاء إذا جعل لكل شيء قدرا وميقاتا في علمه تعالى، وقيل: سالم بن عوف الأشجعي[1] أسره المشركون، فشكى أبوه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن الفقر، فوصى بالحوقلة، فخلص، وجاءوا بالغنيمة، فنزل: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرِجًا...﴾ وعنه عليه السلام: ((إِنِّيْ لَأَعْلَمُ آيَةً لوْ أخَذَ النَّاسُ بِهَا لَكَفَتهُمْ: [ص883] وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ...))[2]وَاللَّائِيْ يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيْضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم في عدتهن أي: جهلتم، إن عدتهن ما ذا؟ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَّاللَّائِيْ لَمْ يَحِضْنَ لصغرهن كذلك، أي: ثلاثة أشهر وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أي: انتهاء عدتهن سواء طلقهن، أو توفي أزواجهن أَنْ يَّضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وقال علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما في الثاني أبعد الأجلين، وأما التي توفي زوجها، وليست بحاملة، فعدتها أربعة أشهر وعشرا، كما مر وَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ في أحكامه، ولا يضيع

1- سالم بن عوف: هو سالم بن عوف بن مالك الأشجعيّ. له ولأبيه صحبة. وعن ابن عباس، قال: جاء عوف بن مالك الأشجعيّ إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم، فقال: يا رسول اللّه، إن ابني أسره العدوّ وجزعت أمه، فما تأمرني؟ قال: آمرك وإيّاها أن تستكثروا من قول: لا حول ولا قوّة إلّا باللّه. فقالت المرأة: نعم ما أمرك به! فجعلا يكثران منها، فغفل عنه العدوّ، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة. العسقلاني: المصدر السابق. 9/3.

2 - (أ) الزمخشري: المرجع السابق. 556/4. (ب) البيضاوي: المصدر السابق. 221/5.

حقوقه يَجْعَلْ لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًاO في الدنيا والآخرة ذَالِكَ المذكور في أمر العدة أَمْرُ اللهِ حكمه أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ من اللوح المحفوظ وَمَنْ يَّتَّقِ اللهَ بمراعاة حقوقه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّآتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًاOأَسْكِنُوْهُنَّ أي: المعتدات مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ أي: بعض مكان مساكنكم مِّنْ وُّجْدِكُمْ وسعتكم وطاقتكم وَلَا تُضَآرُّوْهُنَّ في السكني والنفقة لِتُضَيِّقُوْا عَلَيْهِنَّ بالمسكن والنفقة ليخرجن بالضرورة وَإِنْ كُنَّ أي: المعتدات أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوْا عَلَيْهِنَّ حَتّٰى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وإن كان أطول من مقدار عدة غير الحامل فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ أولادكم من غيرهن فَآتُوْهُنَّ أُجُوْرَهُنَّ على الإرضاع، أما إذا كان الولد منهن فلا استيجار ما لم تَبِنْ خلافا للشافعي رحمه الله تعالى وَأْتَمِرُوْا بَيْنَكُمْ أي: تشاوروا أيها الآباء والأمهات على التراضي على الأجرة للإرضاع بِمَعْرُوْفٍ بما يليق بالمروءة وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضى الأجنبية، ولم يزد الأب فَسَتُرْضِعُ لَهُ للأب مرضعة أُخْرَىO بالأجرة، فيه نوع أشعار بمعاتبة الأم على المضائقة لِيُنْفِقْ على المطلقات والمرضعات [ص884] ذُوْ سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ ضيق عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ أعطاه الله من الرزق، أي: الموسر والمعسر كل ينفق حسب وسعته لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ما أعطاها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ في المعيشة يُّسْرًاOع سعة وَكَأَيِّنْ مِّنْ أهل قَرْيَةٍ عَتَتْ أبت عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا في الآخرة، عبر بالماضي لتحققه حِسَابًا شَدِيْدًا بالمناقشة، أوّل المسامحة وَّعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًاO فظيعا منكرا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا عقوبة حالها وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًاO هلاكا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا تكرير للوعيد للتنبيه فَاتَّقُوا اللهَ في العتو يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِيْنَ آمَنُوْا نعت للمنادي، أو بيان له قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًاO أي: قرآنا، وأرسل إليكم رَّسُوْلًا محمدا، أو جبرائيل عليه السلام يَّتْلُوْا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ قرآنه مُبَيِّنَاتٍ موضحات لِّيُخْرِجَ القرآن، أو الرسول الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ من الكفر السابق إلى الإيمان اللاحق وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُّدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا دائما، وحّد وجمع، حملا على لفظ من، ومعناه قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًاO حيث لا انقطاع لنعيم الجنة اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بين كل سمائين وثخن كل سماء، كذلك الأرضون مسيرة خمس مائة عام وَّمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ سبعا، واحدة فوق واحدة، أو واحدة قسمت على الأقاليم السبعة يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ أي: قضاؤه بَيْنَهُنَّ من السماء السابعة إلى الأرض السابعة لِتَعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ متعلق بخَلَقَ [ص885] وَّأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًاOع

سورة التحريم مدنية، وهي اثنتا عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

روي: أنه عليه السلام خلا بمارية رضي الله عنها[1] في يوم عائشة رضي الله عنها، وعلمت بذلك حفصة رضي الله عنها، أو في يومها في حجرتها على فراشها، فعاتبته، فحرم مارية رضي الله عنها على نفسه، وقال: اكتمي عليّ وبشران: أبابكر وعمر رضي الله عنهما، يملكان بعدي أمر أمتي، فأخبرت عائشة رضي الله عنه، أو شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها، فقالت عائشة رضي الله عنها وحفصة رضي الله عنها: إنا نشم منك ريح المغافير، فحرم العسل على نفسه. جمع مغفورة، وهي صمغ كريهة الرائحة، فنزلت: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ أي: مارية القبطية رضي الله عنها، أو العسل تَبْتَغِيْ بتحريم هذه، أو هذا مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ أي: رضاهن وَاللهُ غَفُوْرٌ زلة تحريم الحلال رَّحِيْمٌO بك فلا موأخذة قَدْ فَرَضَ اللهُ أي: شرع لَكُمْ للحالفين تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ أي: فتق ما رتقه الإيمان بالكفارة، أو القول بإن شاء الله وَاللهُ مَوْلَاكُمْ محبكم، ومتولي أمركم وَهُوَ الْعَلِيْمُ بمصالحكم الْحَكِيْمُO فيما أحل وحرم وَاذكر إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حفصة رضي الله عنها حَدِيْثًا تحريم مارية رضي الله تعالى عنها، أو العسل، وخلافة الشيخين، وقال: لا تفشيه فَلَمَّا نَبَّأَتْ حفصة بِهِ بذلك الحديث عائشة رضي الله تعالى عنها ظنا منها، إنه لا حرج فيه، وأظهرته عائشة على النبي عليه الصلاة والسلام في نوبتها بالرمز والكناية وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ أي: اطلع الله النبي على ذلك الأنباء بلسان جبرائيل عليه السلام عَرَّفَ أعلم النبي لحفصة رضي الله تعالى عنها بَعْضَهُ أي: حديث حرمة مارية رضي الله تعالى عنها، وقيل: أمر الخلافة وَأَعْرَضَ النبي تكرما وتفضلا عَنْ بَعْضٍ هو خلافة الشيخين، وقيل: حرمة مارية رضي الله تعالى عنها ، أي: أظهر على حفصة رضي الله تعالى عنها بعض ما أظهرته لعائشة رضي الله تعالى عنها، فإنها ذكرت عند عائشة رضي الله تعالى عنها [ص886] كلا الأمرين: أمر الحرمة، وأمر الخلافة فَلَمَّا نَبَّأَهَا نباء النبي حفصة رضي الله تعالى عنها بِهِ بذلك الحديث قَالَتْ حفصة مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُO أي: الله سبحانه إِنْ تَتُوْبَا حفصة رضي الله تعالى عنها وعائشة رضي الله تعالى عنها، أي: إن ترجعا إِلَى اللهِفهو الواجب، دل على المحذوف قوله فَقَدْ صَغَتْ مالت وانحرفت قُلُوْبُكُمَا عن موافقة النبي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو الميل إلى مخالفة الرسول عليه السلام، إنما جمع لأن ذكر التثنيتين في ما هو كالكلمة الواحدة ثقيل، كذا في جلالين وَإِنْ تَظَاهَرَا تعاونا عَلَيْهِ على النبي بما يسوء به،

---

1 – مارية القبطية: أهداها المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوطئها بملك اليمين، فولدت منه إبراهيم، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليها حتى توفي، ثم أنفق عليها عمر رضي الله عنها فتوفيت في محرم هذه السنة، فجمع عمر الناس لشهود جنازتها، وصلى عليها، وقبرها بالبقيع. ابن منده: المرجع السابق. ص: 971.

ويكرهه فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وليه وناصره وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: علي رضي الله تعالى عنه، أو جنس أهل الصلاح وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَالِكَ فوج ظَهِيْرٌO للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في النصر عليكما عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُّبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مقرات بالإسلام مُّؤْمِنَاتٍ مخلصات قَانِتَاتٍ مواظبات على الطاعة تَائِبَاتٍ عن الذنوب عَابِدَاتٍ متعبدات سَائِحَاتٍ صائمات، أو مهاجرات عن الآثام ثَيِّبَاتٍ كآسية؛ امرأة فرعون وَّأَبْكَارًاO كمريم في الجنة، والتعليق لا يستلزم الوقوع، فما طلّق وما بدّل يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا قُوْا أَنْفُسَكُمْ بالانتهاء عن المناهي، وامتثال الأوامر وَأَهْلِيْكُمْ بالنصح والتأديب نَارًا وَّقُوْدُهَا ما يتوقد به النار في أوّل الإيقاد النَّاسُ الكفار وَالْحِجَارَةُ الأصنام، كما أن نار الدنيا يوقد بالأخشاب الدقيقة عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ عدتهم تسع عشر غِلَاظٌ بالقلب شِدَادٌ في البطش لَّا يَعْصُوْنَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ بدل من الجلالة، أي: [ص887] لا يعصون أمر الله، أو فيما أمرهم وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَO أي: لا يخالفون أمره، ويمتثلون بالمأمور، يقال للكفار: يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إذا دخلوا فيها، وتمهدوا للاعتذار، لأنه لا ينفعكم العذر إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَOيَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا تُوْبُوْا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا صادقة بالغة في النصح، صفة للتوبة على المجاز، فعول بمعنى فاعل، أي: ناصحا فهو على الحقيقة صفة التائب، لأنه ينصح نفسه بالتوبة، وقيل: خالصة، وقيل: من نصاحة الثوب، أي: توبة وترفوا خروق دينك، وقالوا: للتوبة ثلاثة أجزاء: الندم على ما فعل، والعزم أن لا يعود إليه، واليقين بإزاحة التوبة الذنب، وقيل: جزآن، هما: الأولان، وأثر الندم، إعادة الفرائض، ورد المظالم، واستحلال من الخصوم، وأثر العزم الإتيان بضد ما كان عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُّكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ ظرف، يدخلكم لَا يُخْزِى اللهُ لا يخجل النَّبِيَّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ بأن ينقذهم من النار، ويدخلهم الجنة نُوْرُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ أمامهم وَبِأَيْمَانِهِمْ على الصراط يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُوْرَنَا إلى الجنة، وقد طفى نور المنافقين دونها، أو يتفاوت الأنوار حسب الأعمال، فيدعون بالإتمام بالقياس إلى نور بعضهم تفضلا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌOيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بالسيف وَالْمُنَافِقِيْنَ بالعظة والحجة وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ استعمل الخشونة، إذا بلغ الرفق مداه وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO هي ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوا مثل الكفار بحال الامرأتين للنبيين امْرَأَةَ نُوْحٍ واهلة وَّامْرَأَةَ لُوْطٍ واعلة، فإنهما مع وصلتهما بالنبيين دخلتا في النار للكفر، فوصلة [ص888] الإيمان أوثق من سائر الوصلات كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا بالنفاق فَلَمْ يُغْنِيَا أي: صالحان عَنْهُمَا عن الامرأتين مِنَ عذاب اللهِ شَيْئًا وَّقِيْلَ ادْخُلَا يا امرأتان النَّارَ عند الموت، أو يوم القيامة مَعَ الدَّاخِلِيْنَO الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء،

فالوصلات الدنياوية لا تنفع في الآخرة، وإنما النافع وصلة الإيمان، ولذا قال: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِيْنَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ آسية إِذْ قَالَتْ في وقت تعذيب فرعون إياها رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ الدرجة العالية فيها وَنَجِّنِيْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ الخبيثين وَنَجِّنِيْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَO من القبط، فقبض الله روحها، وقيل: رفعت إلى الجنة حية، تأكل وتشرب فيها وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِيْ أَحْصَنَتْ حفظت فَرْجَهَا من الرجال فَنَفَخْنَا نفخ جبرائيل عليه السلام بأمرنا فِيْهِ في الفرج مِنْ رُّوْحِنَا المخلوقة لنا بلا توسط أصل وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا بالصحف الإدريسية وَكُتُبِهِ المنزلة على الأنبياء السالفة وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنَOع المطيعين، والتذكير للتغليب، إن كانت من للتبعيض، ويحتمل الابتدائية، أي: من إعقاب هارون أخ موسى عليما السلام.

سورة الملك مكية، وهي ثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

تَبَارَكَ تعالى وتنزه عن صفات المحدثين على الدوام الَّذِيْ بِيَدِهِ الْمُلْكُ أي: بتصرفه الأمور كلها وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌO أي: هو على كل ما يشاء قدير الَّذِيْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ قدرهما، إن كانا عدما وملكة، أو أوجدهما إن كانا ضدين، فالحياة ما به الإحساس، والموت عدمه؛ أو ما به فقد الإحساس. فالموت في الدنيا ليختار الحسن على القبيح، والحياة فيها لفسحة العمل [ص889] الرضى، أو الموت في الدنيا للعمل، والحياة في الآخرة للجزاء على ما قيل، أو المراد من الموت نفس الدنيا، ومن الحياة نفس الآخرة لِيَبْلُوَكُمْ ليعاملكم معاملة المختبر، أيها المكلفون! أَيُّكُمْ أَحْسَنُ في الحياة عَمَلًا ورعا وإخلاصا وَهُوَ الْعَزِيْزُ الغالب في الانتقام؛ لمن لم يحسن العمل الْغَفُوْرُO الستور لمن تاب الَّذِيْ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا بعضا فوق بعض من غير مماسة، وصف بالمصدر، أو ذات طباق، وقيل: جمع، كجمل وجمال مَا تَرَى فِيْ خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ اختلاف، وعدم تناسب، أو عيب. من الفوت، فإن المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر فَارْجِعِ الْبَصَرَ أي: أعد النظر في السماء مرة أخرى بالإمعان هَلْ تَرَى في خلقها مِنْ فُطُوْرٍO جمع فطر، أي: شقوق ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ كرة أخرى بعد كرة الأولى، أو سوى الأولى، فيكون ثلاث مرات، أو المراد التكرير مطلقا يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا بعيدا عن درك العيب، ذليلا عنه وَّهُوَ حَسِيْرٌO كليل ضعيف من طول المعاودة مع عدم دركه وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا القربى إلى الأرض بِمَصَابِيْحَ بنجوم، وإن كان بعضها

فوق السماء الدنيا، لكن الزينة إنما تظهر لنا فيها وَجَعَلْنَاهَا رُجُوْمًا جمع رجم، والمراد ما يرجم به لِّلشَّيَاطِيْنِ أي: أسبابا للرجم، ينفصل عنها شهاب كقبس، يؤخذ من نار، فيقتل الجني، أو يخيل؛ لأن الكواكب تزول عن مكانها، أو ينفك جزء من أجزائها وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ للشياطين في الآخرة عَذَابَ السَّعِيْرِO بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وَلِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُO هي إِذَا أُلْقُوْا فِيْهَا سَمِعُوْا لَهَا شَهِيْقًا صوتا منكرا كصوت الحمار وَّهِيَ تَفُوْرُO تغلي بهم تَكَادُ تَمَيَّزُ تتفرق وتنقطع مِنَ الْغَيْظِ غضبا عليهم [ص890] كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا فَوْجٌ جماعة من الكفرة سَأَلَهُمْ توبيخا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرٌO يخوفكم هذا العذاب قَالُوْا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيْرٌ رسول فَكَذَّبْنَا أي: الرسول وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ مما تقول إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِيْ ضَلَالٍ كَبِيْرٍO يمكن أن يكون كلام الكفار، أو الملائكة وَقَالُوْا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ كلام الرسول في التوحيد أَوْ نَعْقِلُ الآيات الدالة على التوحيد على ما أخبر به الرسول مَا كُنَّا فِيْ عداد أَصْحَابِ السَّعِيْرِOفَاعْتَرَفُوْا بِذَنْبِهِمْ حين لا ينفعهم فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيْرِO فبعدا لهم عن رحمة الله إِنَّ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ يخافون غائبين عنه، أو غائبا عنهم، أو بالقلب، أو عن أعين الناس، أو سرا فعلانية بالطريق الأولى لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ كَبِيْرٌO أي: الجنة وَأَسِرُّوْا أيها الناس! قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوْا بِهِ نزلت حين قال بعض المشركين لبعض: أسروا قولكم، لا يسمعكم إله محمد إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِO أي: بالضمائر أَلَا يَعْلَمُ مَنْ فاعل يعلم خَلَقَ السر والعلانية وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُO[ع] فبلطافته يتوصل إلى كل ظاهر وباطن، ويخبر نبيه بأسرارهم وعلانيتهم هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُوْلًا سهلة لينة لا يمتنع المشي عليها فَامْشُوْا فِيْ مَنَاكِبِهَا جمع منكب، أي: جوانبها أو جبالها، فجعل كلها مسخرة وَكُلُوْا مِنْ رِّزْقِهِ المقسوم لكم وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُO من القبور للجزاء ءَأَمِنْتُمْ أيها الكفار! مَّنْ فِي السَّمَاءِ أي: الله، والمراد: أمره وقضاؤه فيها، أو الملائكة المؤكلين على التدابير أَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ بدل من مَن ، أي: يغيبكم فيها فَإِذَا هِيَ تَمُوْرُO تضطرب وتتحرك كما فعل بقارون [ص891] أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُّرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ريحا ترميكم بالحصباء، أو سحابا يمطركم بها فَسَتَعْلَمُوْنَ عند معاينة العذاب كَيفَ نَذِيْرِO إنذاري، ولا ينفع وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِO إنكاري عليهم، التكذيب بالإهلاك، فيه تسلية للنبي عليه السلام وتهديد لأمته أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ باسطات أجنحتهن وَّيَقْبِضْنَ عند ضعف الجناح بالبسط قبضا بعد قبض للاستظهار على التحرك، ولذا رام إلى الفعل مَا يُمْسِكُهُنَّ في البسط والقبض في جو السماء من الوقوع إِلَّا الرَّحْمٰنِ بقدرته، فإن طبع الأجسام إلى المركز إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيْرٌO فيعلم جلاء الدلائل الناهضة على القدرة الكاملة، يعلم إغماض أنظاركم عن مطالعتها، فيجازيكم به أَمَّنْ هٰذَا الَّذِيْ هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ أعوانكم يَنْصُرُكُمْ مِّنْ

دُوْنِ الرَّحْمٰنِ أي: لا ينصر، من مبتداء، وهذا خبره، الذي بصلته صفة الجزاء وبدل عنه، وينصركم صفة جند، والاستفهام عن تعيين الناصر، فالمعنى من الناصر غير الله؟ إِنِ أي: ما الْكَافِرُوْنَ إِلَّا فِيْ غُرُوْرٍO غرهم الشيطان أن لا عذاب لهم أَمَّنْ هٰذَا الَّذِيْ يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ أمن يشار إليه بهذا الوصف إن أمسك الله رزقه بإمساك أسبابه كالمطر وغيره، بَلْ يرزقكم، أي: لا رزاق لكم غيره لَجُّوْا تمادوا فِيْ عُتُوٍّ في عناد وَّنُفُوْرٍO من الحق أَفَمَنْ يَّمْشِيْ مُكِبًّا صار ذا كب، أي: يعثر كل ساعة ساقطا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أرشد أَمَّنْ يَّمْشِيْ سَوِيًّا منتصبا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍO أهدى تمثيل حال الكافر والمؤمن، وقيل: إن الكافر كالأعمى، يجر إلى المحشر والنار على الوجه، [ص892] والمؤمن كالبصير، يمشي على القدم قُلْ هُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَكُمْ خلقكم بدواً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ للمواعظ، والصنائع، والتفكر في الدلائل قَلِيْلًا مَّا تَشْكُرُوْنَO ما مزيدة، أي: لم يستعملوها في مواضعها، أ ولم تشكروها بعد أن علموا أنها نعمة قُلْ هُوَ الَّذِيْ ذَرَأَكُمْ خلقكم، أو بثّكم فِي الْاَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَO للحساب والجزاء وَيَقُوْلُوْنَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ وعد الحشر، والخسف، والحاصب إِنْ كُنْتُمْ أيها النبي والمؤمنون صَادِقِيْنَO في دعاوكم قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ وقت حلول الموعود عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌOفَلَمَّا رَأَوْهُ أي: العذاب بعد الحشر زُلْفَةً حال كونه قريبا سِيْئَتْ قترت، واسودت وُجُوْهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَقِيْلَ القائل الخزنة لهم هٰذَا العذاب الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُوْنَO من الدعاء أو الدعوى، أي: تطلبون وتقولون ائتنا بما تعدنا، أو تدّعون أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية مستقبلة، عبرت بالماضي لتحقق وقوعها قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلامأَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَّعِيَ أي: أماتني والمؤمنين، كما تتربصون في حقنا ريب المنون، فننقلب إلى الجنة أَوْ رَحِمَنَا بتأخير آجالنا، فيكون منصورين عليكم فَمَنْ يُّجِيْرُ الْكَافِرِيْنَ ينجيهم مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍO أي: لا مجير لهم منه قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ مولى النعم آمَنَّا بِهِ صدقناه، ولم نكفر كما كفرتم وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ثقنا عليه في الأمور كلها فَسَتَعْلَمُوْنَ عند معاينة العذاب مَنْ هُوَ فِيْ ضَلَالٍ مُّبِيْنٍO ظاهرا نحن، أم أنتم قُلْ أَرَءَيْتُمْ اخبروني إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ الذي قوام المعاش عليه غَوْرًا غائرا في الأرض فَمَنْ يَّأْتِيْكُمْ بِمَاءٍ مَّعِيْنٍOع جار، أو ظاهر تليت هذه [ص893] الآية عند متكبر، قال: بالمعول والمعين، فذهبت ماء عينه فجأة ـ نعوذ بالله من غضب الله ـ ويستحب أن يقرء القاري بعدها: ((اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ))، كما في الحديث[1].

1 – الجلالين: المرجع السابق. 757.

سورة القلم مكية، وهي اثنان وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

ن الله أعلم بمراده منه وَالْقَلَمِ أي: أقسم بالقلم، الذي كتب به اللوح المحفوظ، أو قلم الناس وَمَا يَسْطُرُوْنَO أي: الملائكة الحفظة، جواب القسم مَا أَنْتَيا محمد! عليك الصلاة والسلامبِنِعْمَةِ رَبِّكَ حال كونك منعما عليك بالنبوة، والعامل في الحال معنى النفي بِمَجْنُوْنٍO كما يقولون: إنك لمجنون وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُوْنٍO مقطوع وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ دين عَظِيْمٍOفَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُوْنَOبِأَيِّكُمُ الْمَفْتُوْنُO الباء مزيدة، أو بمعنى في، أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، وعد له، ووعيد لهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ عالم بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ دينه وَهُوَ أَعْلَمُ عالم بِالْمُهْتَدِيْنَO إليه فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِيْنَO لأنهم أهل الضلال وَدُّوْا تمنوا لَوْ تُدْهِنُ تلين بهم بترك النهي عن الشرك والمعاصي فَيُدْهِنُوْنَO يلينون بك بترك الطعن فيك، معطوف على تُدْهِنُ، وإن جعل الجواب التمني فيقدرهم، لأن جوابه ينجزم وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ كثير الحلف في الحق والباطل مَّهِيْنٍO حقير في الرأي والتمييز هَمَّازٍ عيّاب في ظهر الناس مَّشَّاءٍ بِنَمِيْمٍO سيّاع للكلام ونقّاله على وجه يوقع الفتنة بين الناس، والخلل في الخلاف مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ بخيل بالمال عن الحقوق، أو مناع الناس عن الإيمان والإنفاق والعمل الصالح مُعْتَدٍ متجاوز في الظلم أَثِيْمٍO كثير الإثم عُتُلٍّ جاف، غليظ القلب، شديد الكلام؛ من عتل إذا قاد بعنف وغلظة بَعْدَ ذَالِكَ بعد ذكر هذه المعائب والمثالب فيه زَنِيْمٍO دعيّ؛ لا يعلم أبوها، والمتصف بهذه الأوصاف الرزيلة العشرة، [ص894] عند الجمهور الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده، وقيل: أبو جهل، وقيل: أخنس بن شريق، أو أسود بن عبد يغوث أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَّبَنِيْنَOإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَO أي: كذب بأن قال: أساطير الأولين، لأن كان ذا مال وبنين، فلوجود هاتين النعمتين اجتراء على هذا التكذيب، ولم يشكر الله بمقابلتهما، ولا يجوز أن يكون متعلقا بلفظ قال، لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، بل العامل هو ما دل عليه قال وهو التكذيب، وقيل: متعلق بقوله: وَلَا تُطِعْ، أي: لا تطع بعد هذه المعائب، لأن كان ذا مال وبنين سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُوْمِO سنكويه سمة إهانة، وقد خطم أنفه بالسيف يوم بدر، فبقيت سمة وعلامة على أنفه إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ أي: أهل مكة بالقحط والجوع كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ هم قوم قيل: كانوا مسلمين، وقيل: كانوا كافرين، كان لأبيهم جنة بقرية ضروان على فرسخين من صنعاء، يأخذ منها قوت سنة، ويتصدق الباقي على الفقراء، فلما مات حلفوا أن لا يتصدقوا على مسكين، ويصرمنها مصبحين، لئلا يدخل عليهم مسكين، ولا يستثنون، أي: ما قالوا إن شاء الله في حلفهم، فأحرق

الله جنتهم إِذْ أَقْسَمُوْا لَيَصْرِمُنَّهَا ليقطعن أثمارها مُصْبِحِيْنَO وقت الصباح وَلَا يَسْتَثْنُوْنَO أي: لا يقولون في يمينهم إن شاء الله، أو لا يستثنون حصة المساكين عن بستانهم، كما كان يفعل أبوهم فَطَافَ عَلَيْهَا بلا طَائِفٌ مِّنْ رَّبِّكَ قيل: أحرقت النار بالليل وَهُمْ نَائِمُوْنَOفَأَصْبَحَتْ فصارت الجنة كَالصَّرِيْمِO كالمقطوع، أو كالليل للإحراق، أو كالصبح بيضاء بإزالة الأشجار فَتَنَادَوْا عند قصد الذهاب إلى الجنة مُصْبِحِيْنَO وقت الصبح أَنِ اغْدُوْا أي: اخرجوا من البيوت غدوة مقبلين عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِيْنَO للجنة فَانْطَلَقُوْا بالمناجيل [ص895] وَهُمْ يَتَخَافَتُوْنَO أي: يخفون الكلام، ويتحدثون كالتشاور إخفاءا عن أن يسمع مسكين، وخفت بمعنى خفي أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِّسْكِيْنٌO أن مفسرة لما قبلها وَّغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِيْنَO أي: غدو على قصد وسرعة إلى الجنة، أو على منع المساكين، قادرين في ظنونهم على الصرم فَلَمَّا رَأَوْهَا محرقة قَالُوْا أوّلا إِنَّا لَضَالُّوْنَO طريق جنتنا، ولما تأملوا ثانيا، وعرفوا إنها هي، قالوا: بَلْ نَحْنُ مَحْرُوْمُوْنَO ثمرتها بما منعنا الفقراء من حقوقهم قَالَ أَوْسَطُهُمْ أعدلهم أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ أمس لَوْلَا هلا تُسَبِّحُوْنَO الله، تائبين عن هذه النية الخبيثة، وعن ترك الاستثناء قَالُوْا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَO بترك الاستثناء، ومنع الفقراء حقهم فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَّتَلَاوَمُوْنَO يلوم بعضهم بعضا، لأن منهم من أشار، ومنهم من استصوب، ومنهم من سكت راضيا، ومنهم من أنكر قَالُوْا يَا وَيْلَنَا أدرك هذا أوانك إِنَّا كُنَّا طَاغِيْنَO متجاوزين الحد في الأمرين عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُّبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا من هذه الجنة ببركة التوبة إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُوْنَO طالبون، فأبدل الله تعالى بفضله خيرا منها كَذَالِكَ أي: مثل العذاب لهؤلاء الْعَذَابُ لمن خالف أمرنا في الدنيا لأهل مكة وأصحاب الجنة وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ منه لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَOع العذاب، ما خالفونا إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ في جوار القدس جَنَّاتِ النَّعِيْمِO جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمُجْرِمِيْنَO في الجزاء، إنكار لقولهم: ولو بعثنا فرضا كما يقول محمد عليه السلام وقومه، إن لنا عنده للحسنى، كما في الدنيا بأبلغ وجه، وهو نفي تسوية المسلم بالمجرم، بل إثبات فضله عليه، فإن فضل المجرم عليه مَا لَكُمْ كَيْفَ [ص896] تَحْكُمُوْنَO بالتسوية بين المسلم والمجرم، بل يفضل المجرم على المسلم أَمْ بل لَكُمْ كِتَابٌ من السماء فِيْهِ تَدْرُسُوْنَO تقرؤن إِنَّ لَكُمْ فِيْهِ في الكتاب لَمَا تَخَيَّرُوْنَO ما تختارون وتشتهون، والأصل فتح أن، لأنه مدروس، وإنما كسرت للام في الخبر أَمْ بل لَكُمْ أَيْمَانٌ عهود مؤكدة بالأيمان عَلَيْنَا بَالِغَةٌ واثقة، متناهية في التوكيد إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ متعلق ببالغة، أو ثابتة لكم إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُوْنَO به لأنفسكم، جواب قسم، كأنه قيل: أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة سَلْهُمْ أي: المشركين أَيُّهُمْ بِذَالِكَ الحكم زَعِيْمٌO كفيل، بأنه يكون ذلك أَمْ لَهُمْ ناس شُرَكَاءُ في هذا القول، ويذهبون مذهبهم فَلْيَأْتُوْا

بِشُرَكَائِهِمْ للشهادة إِنْ كَانُوْا صَادِقِيْنَO في هذا الدعوى، أي: ليس أحد يساعدهم في هذا الأمر، اذكر يَوْمَ يُكْشَفُ أمر الحساب والجزاء عَنْ سَاقٍ أي: يظهر غاية الظهور، يقال: كشفت الحرب عن ساقها؛ إذا اشدت. وأصله أن المخدرات يشمرن عن سوقهن في اهتمام الهرب، فهو كناية عن بلوغها إلى كمالها وَّيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُوْدِ توبيخا لتركهم السجود عند الاستطاعة فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَO السجود لذهاب القدرة، أو الوقت خَاشِعَةً أي: ذليلة أَبْصَارُهُمْ حال من ضمير يدعون تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ تحيطهم وَقَدْ كَانُوْا يُدْعَوْنَ بالسنة الأنبياء مع الاستطاعة إِلَى السُّجُوْدِ في الدنيا وَهُمْ سَالِمُوْنَO أصحاء متمكئين منه فَذَرْنِيْ وَمَنْ يُّكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيْثِ أي: كِلْ أمره إليّ في الانتقام، فأنا أكفي فيه لمكذبي هذا القرآن سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَO أي: سنزيدهم نعم الدنيا درجة بعد درجة ليغتروا بها فيصير ذلك سببا لاستنزالهم درجة بعد درجة في العذاب من الجهة التي لا يشعرون من أنه استدراج، بل زعموا إنعاما وتفضلا على المؤمنين وَأُمْلِيْ لَهُمْ [ص897] أمهلهم في الأخذ ليتمادوا في الطغيان ما استطاعوا إِنَّ كَيْدِيْ مَتِيْنٌO قوي، لا يدفع بشيء، والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن أَمْ بل أَتَسْئَلُهُمْ على تبليغ الرسالة أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ من غرم ذلك الأجر مُّثْقَلُوْنَO فلأجل ذلك لا يؤمنون أَمْ بل أَعِنْدَهُمُ الْغَيْبُ أي: اللوح المحفوظ فَهُمْ يَكْتُبُوْنَO منه ما يحكمون، يستغنون عن علمك فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ حتّى يحكم ربك بما يشاء فيهم، فإنهم وإن أمهلوا لم يملوا وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوْتِ أي: يونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم، إذ أبق إلى الفلك، وما استطاع الصبر فيهم، اذكر إِذْ نَادَى دعا ربه في بطن الحوت وَهُوَ مَكْظُوْمٌO مملو غيظا وضجرة لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ رحمة منه بقبول دعائه وتوبته لَنُبِذَ من بطن الحوت بِالْعَرَاءِ في الصحراء الخالي عن الماء والكلاء وَهُوَ مَذْمُوْمٌO ملوم معاتب بذلته لكن رحم، فنبذ غير مذموم فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ اصطفاه لدعائه وعذره، أو رد الوحي إليه، أو جعله نبيا إن ثبت إنه لم يكن قبل هذا نبيا فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَO الكاملين في الصلاح، وعصمه من أن يفعل ما تركه أولى وَإِنْ يَّكَادُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَيُزْلِقُوْنَكَ بِأَبْصَارِهِمْ إن هي المخففة بقرينة اللام، أي: يقرب الذين كفروا يزيلون قدمك لشدة النظر إليك شزرا، ويصرعونك عن مرتبة أعطاك الله إياها، والعين حق، وهذه الآية رقية العين لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ القرآن وَيَقُوْلُوْنَ حسدا إِنَّهُ لَمَجْنُوْنٌO تنفيرا للناس عن استماعه وَمَا هُوَ أي: القرآن إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِيْنَOعالربع عظة للجن والإنس.

سورة الحاقة مكية، اثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص898] الْحَاقَّةُO اسم للقيامة لتحقق وقوعها، ووجوب إتيانها مَا الْحَاقَّةُO أي: ما هي؟ أي: أيّ شيء هي؟ أي: عظيمة هائلة وَمَا أَدْرَاكَ أي: أيّ شيء أعلمك؟ مَا الْحَاقَّةُO أي: لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، وما مبتداء، وأدرك خبره، وجملة ما الحاقة منصوبة، بأنها مفعول ثان لأدري كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِO بالقيامة، التي تقرع قلوب الناس بالأهوال فَأَمَّا ثَمُوْدُ فَأُهْلِكُوْا بِالطَّاغِيَةِO لصيحة مجاوزة عن الحد في الشدة وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوْا بِرِيْحٍ أي: بالدبور صَرْصَرٍ شديد الصوت، أو البرد عَاتِيَةٍO خارجة عن أمر خزنتها بإذن الله، فلا يستطيعون ضبطها، أو عن أمر عاد، فلا يستطيعون ردها مع القوة الكاملة سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَّثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ من صبح الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآتية من عجوز الشتاء حُسُوْمًا متتابعات، جمع حاسم، أي: تابع من حسمت الدابة، إذا تابعت في الكي على الداء مرة بعد أخرى حتّى ينحسم، وهذا التسخير من قدرته تعالى، لا، كما يزعمون إنها من اتصالات الكواكب فَتَرَى أيها المخاطب! الْقَوْمَ أي: قوم عاد فِيْهَا أي: في الأيام الثمانية صَرْعَى هلكى، جمع صريع كَأَنَّهُمْ في عظمة الأجسام وطوالتها أَعْجَازُ نَخْلٍ أصولها خَاوِيَةٍO خالية الأجواف، أو ساقطة على وجه الأرض فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ نفس بَاقِيَةٍO أو مصدر كالطاغية، أو التاء للمبالغة، أو من بقية وَجَاءَ فِرعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ من تقدمه من الأمم الكافرة وَالْمُؤْتَفِكَاتُ أي: قرى قوم لوط، التي ايتفكت، أي: انقلبت، أي: أهلها بِالْخَاطِئَةِO بالخطاء، أو بالأفعال ذات الخطاء فَعَصَوْا أي: كل قوم رَسُوْلَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةًO زائدة في شدة، كزيادة قبح أعمالهم إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ارتفع [ص899] في أيام الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا حَمَلْنَاكُمْ في أصلاب آبائكم فِي الْجَارِيَةِO أي: السفينة لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ أي: الفعلة، هي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين تَذْكِرَةً عظة وعبرة وَّتَعِيَهَا تحفظها أُذُنٌ وَّاعِيَةٌO حافظة لما تسمع فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ نَفْخَةٌ وَّاحِدَةٌO أي: الثانية للفصل بين الخلائق، أو الأولى للصعقة وَّحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ رفعتا عن موضعهما فَدُكَّتَا فدقتا دَكَّةً وَّاحِدَةًO ليصير المحمولتان يضرب بعضها ببعض هباءا منثورا، أو أرضا مستويا؛ لاعوج فيها ولا أمتا فَيَوْمَئِذٍ وَّقَعَتِ الْوَاقِعَةُO قامت القيامة وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ من محرتها لزوال الملائكة فَهِيَ أي: السماء يَوْمَئِذٍ وَّاهِيَةٌO ضعيفة وَّالْمَلَكُ جنس الملائكة عَلَى أَرْجَائِهَا على أطراف السماء، جمع رجى، بالقصر، وأما هلاك الملك فلعل بعد ذلك وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ فوق الملائكة المذكورين يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌO ملائكة على

صورة حيوان، أو ثمانية صفوف، أو أصناف منهم، واليوم على أربعة يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُوْنَ على الله لَا تَخْفَى على الله إفشاءا بين أهل المحشر، أو لا تخفى على الناس مِنْكُمْ خَافِيَةٌO سريرة، وكانت تخفى في الدنيا، فلا تساع ذلك اليوم، يقع فيه نفختان، وما يترتب عليهما من الصعقة والنشور والحساب، وإدخال الناس في المحلين فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ عند العرض فَيَقُوْلُ سرورا: هَاؤُمُ اقْرَءُوْا كِتَابِيَهْO ها؛ اسم فعل لخذ، يقال: ها يا رجل ويا امرأة، وهاؤما يا رجلان ويا امرأتان، وهاؤم يا رجال وهاؤون يا نسوة، ومفعوله محذوف، أي: كتابي، ومفعول اقرؤا كتابيه، كما هو مذهب البصريين في قطع التنازع، والهاءآت للسكتة، تثبت في الوقف، وتسقط في الوصل، واستحب [ص900] إثباتها، وقفا لثباتها في الإمام، ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل، أي: يقول للحاضرين: خذوا هذا الكتاب ليس فيه عمل اختجل به عند الحاضرين، وقيل: هذا الكتاب غير كتاب الأعمال، فإنه لا يعلمه إلا الله والكاتبان إِنِّيْ ظَنَنْتُ أيقنت أَنِّيْ مُلَاقٍ حِسَابِيَهْO فتهيأ له واجترء عليه فَهُوَ فِيْ عِيْشَةٍ رَّاضِيَةٍO في حياة مرضية، أو راض بها صاحبها فِيْ جَنَّةٍ عَالِيَةٍO مرتفعة قُطُوْفُهَا ثمارها دَانِيَةٌO قريبة من القائم والقاعد والمضطجع، يقال لهم: كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْئًا حال كونهم متهنئين، أو صفة المصدر بِمَا أَسْلَفْتُمْ من الأعمال الصالحة فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِO الماضية في الدنيا، والتاء للمقابلة وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُوْلُ بما يرى من فضاحة الأعمال، والاختجال لدى الحضار يَا لَيْتَنِيْ لَمْ أُوْتَ كِتَابِيَهْOوَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْOيَا لَيْتَهَا الموتة التي وقعت عليه في الدنيا كَانَتِ الْقَاضِيَةَO القاطعة، أو الحاكمة، بأن لا أبعث بعد ذلك مَا أَغْنَى ما منع العذاب عَنِّيْ مَالِيَهْOهَلَكَ عَنِّيْ سُلْطَانِيَهْO تسلطي على الناس، وحجتي وقوتي عليهم خُذُوْهُ خطاب لخزنة جهنم فَغُلُّوْهُOثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُّوْهُO أي: اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل، فادخلوا بهذه الحالة في النار العظمى ثُمَّ فِيْ سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُO أي: لفوها على جسده لئلا يشرد عنها، كل ذراع سبعون باع، وكل باع من كوفة إلى مكة، يقال له: ذراع الملك إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيْمِO استيناف على وجه التعليل، والاستحقاق لهذه الأجزية وَلَا يَحُضُّ ولا يحث نفسه ولا أهل بيته عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِOفَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيْمٌO قريب يشفع به وَّلَا طَعَامٌ [ص901] ينتفع به إِلَّا مِنْ غِسْلِيْنٍO غسالة أهل النار وصديدهم، أو شجر فيها لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُوْنَOع الكافرون فَلَا أُقْسِمُ لا زائدة بِمَا تُبْصِرُوْنَOوَمَا لَا تُبْصِرُوْنَO أي: بكل مشهود ومغيب، فليتناول الخالق والمخلوق منها، أي: بجميعها إِنَّهُ أي: القرآن لَقَوْلُ رَسُوْلٍ محمد صلى الله عليه وسلم أو جبرئيل عليه السلام رسالة، فإن الرسول لا يقول من عند نفسه كَرِيْمٍO على الله وَّمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ كما يقولون تارة قَلِيْلًا مَّا تُؤْمِنُوْنَO ما زائدة، والقلة في معنى العدم وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ كما يزعمون تارة قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَO تتعظون به، بل هو تَنْزِيْلٌ مِّنْ رَّبِّ

الْعَالَمِيْنَO على لسان جبرائيل عليه السلام وَلَوْ تَقَوَّلَ أي: اختلق وافترى محمد صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا أي: ينسب إلينا ما لم نقله، كما زعمتم بَعْضَ الْأَقَاوِيْلِOلَأَخَذْنَا مِنْهُ عقابا بِالْيَمِيْنِO أي: بالقوة، وقيل: القتال إذا قصد قفاء المقتول يأخذ بيساره، وإذا قصد ذبحه يأخذ بيمينه، وهذا أشد، لأن المقتول ناظر إلى السيف والقاتل، وفيه تعذيب كثير ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِيْنَO ودج القلب يناط به، إذا انقطع مات صاحبه، وبالفارسية: رك دل فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ من زائدة عَنْهُ أي: عن النبي المفترى، أي: عن عذاب الله عليه حَاجِزِيْنَO مانعين، خبر ما، والنكرة تحتها يفيد العموم، ولذا جمع خبره وَإِنَّهُ أي: القرآن لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَO الله، إذ هم المنتفعون وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِيْنَO للقرآن، وسيجزون على التكذيب وَإِنَّهُ يوم القيامة إذا رأوا جزاء المصدقين به لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِيْنَOوَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِيْنِO أي: في كونه منزلا من عنده، محض اليقين، لا يزول بتشكيك مشكك بل يثبت ويدوم فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِO٤ نزه جنابه الأقدس [ص902] بذكر اسمه العظيم، أو كلمة اسم مقحم، أي: نزه ربك العظيم عن جميع النقائص، واثن عليه بجميع الكمال.

سورة المعارج مكية، وهي أربع وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

سَأَلَ دعا سَائِلٌ داع، وهو نضر بن الحارث، حيث قال: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ﴾[1]، أو أبو جهل، فإنه قال: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[2]، أو الرسول عليه السلام: استعجل عذابهم بِعَذَابٍ وَّاقِعٍOلِّلْكَافِرِيْنَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌO رادّ مِّنَ اللهِ متعلق بواقع ذِي الْمَعَارِجِO جمع معرج، أي: مصاعد الجنان، وهي الغرفات، أو مصاعد الكلم الطيب والعمل الصالح، أو السماوات، لأنها مصاعد الملائكة تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوْحُ أي: جبرائيل عليه السلام، أو أعظم خلقا من صنفهم، أو روح المؤمنين إِلَيْهِ أي: إلى عرشه ومهبط أمره فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍO من سني الدنيا، لو صعد غير الملك بيان لبعد مكان أمره تعالى، وإن كان الظرف متعلقا بواقع، فالمراد منه يوم القيامة، أي: يقع العذاب بهم في هذا اليوم،

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الأنفال، الآية: 32.

2 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة الشعرآء، الآية: 187.

الذي مقداره خمسون ألف سنة بالنسبة إلى الكافر، وأما على المؤمن فأخف من صلاة مكتوبة[1]، كما في الخبر فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيْلًاO من غير بث الشكوى، لأن منشاء سؤالهم الاستهزاء، وهو يورث ضجرة القلب إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيْدًاO من الإمكان، مستحيلا في نفسه وَّنَرَاهُ قَرِيْبًاO كائنا لا محالة يَوْمَ تَكُوْنُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِO كالفلذ المذاب، أو وردي الزيت وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِO كالصوف المصبوغ ألوانا في الخفة والطيران في الهواء وَلَا يَسْئَلُ حَمِيْمٌ قريب حَمِيْمًاO قريبا يُّبَصَّرُوْنَهُمْ أي: يظهر الإحماء على الإحماء من غير مسألة لشغل كل شأن، وجمع الضميران، لأن فعيلا يقع موقع الجمع [ص903] يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِيْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيْهِOوَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيْهِOوَفَصِيْلَتِهِ الَّتِيْ تُؤْوِيْهِOوَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا ثُمَّ يُنْجِيْهِO أي: يتمنى الكافر أن يجعل أقرب الناس إليه فداء نفسه، فيعذب ذلك اليوم هؤلاء بدله، يفدي بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته الذين فصلوا عنه، وضموه في النسب، أو الشدائد وبجميع من على وجه الأرض غيره، ثم يورث هذا الفداء نجاة له عن عذاب ذلك اليوم، فهو عطف على يفتدي كَلَّا ردع للمجرم عما يود إِنَّهَا أي: النار لَظَىO لهب خالص، وقيل: اسم جهنم نَزَّاعَةً جذّابة لِّلشَّوَىO لأطراف الكفار أو جلود رؤسهم، جمع شواة، وهي جلدة الرأس، ثم يعود إلى ما كانت تَدْعُوْا أي: النار مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىO عن أمر الله وطاعته بأساميهم، يا كافر! يا منافق! إليّ إليّ وَجَمَعَ ماله فَأَوْعَىO جعله في وعاء حرصا، ولم يؤد حق الله منه إِنَّ الْإِنْسَانَ أي: جنسه خُلِقَ هَلُوْعًاO تفسيره ما بعده إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ الضرر والفقر جَزُوْعًاO يجزع كثيرا وَّإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ السعة والغناء مَنُوْعًاO يمنع كثيرا، فإنه مجبول على هذه الأوصاف، وهو مأمور بمخالفة طبعه إِلَّا الْمُصَلِّيْنَOالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُوْنَO مؤاظبون وَالَّذِيْنَ فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُوْمٌO كالزكاة والتصدق لِّلسَّائِلِ الذي يظهر الحاجة وَالْمَحْرُوْمِO الذي لا يسأل، فيظن غنيا من التعفف، فيحرم وَالَّذِيْنَ يُصَدِّقُوْنَ بِيَوْمِ الدِّيْنِO وآية التصديق بذل النفس والمال والجاه في الله ابتغاءا لمثوبة وَالَّذِيْنَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُوْنَO خائفون على أنفسهم إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُوْنٍO لا يأمنه أحد، وإن بالغ في الطاعة وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُوْنَO [ص904] إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ من الإماء فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَO على ترك حفظ الفروج على هذين النوعين فَمَنِ ابْتَغَى منكحا وَرَاءَ ذَالِكَ المذكور فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُوْنَO المتجاوزن إلى الحرام، فحرم المتعة واللواطة والاستمناء بالكف والتفخيذ ووطي الحيوانات وَالَّذِيْنَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ الخلقية والخالقية وَعَهْدِهِمْ المأخوذ عليهم في ذلك رَاعُوْنَO حافظون وَالَّذِيْنَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُوْنَO عند الحكام لإحياء الحقوق وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَO بأداء ما فيها من الأركان والواجبات والسنن والآداب، كرر

1 – قد مرّ تخريجه.

ذكرها، لأن لها فضلا على ما سواها، وإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، فمن حفظها حفظ الكل أُولَئِكَ فِيْ جَنَّاتٍ مُّكْرَمُوْنَO؏ مثابون فَمَالِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا قِبَلَكَ مُهْطِعِيْنَOعَنِ الْيَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْنَO أي: فما للكفرة مسرعين نحوك عن يمينك وشمالك حلقة حلقة؟ يستهزؤن بكلامك، يقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فنحن أحقاء أن يدخلنّ الله إيانا الجنة، لما أعطينا من الفضل والنعمة في الدنيا، جمع عزة، أصله: عزوة من العزو، بمعنى: بچيزي باز نگريستن أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُّدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيْمٍOكَلَّا ردع لهم عن هذا الطمع إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُوْنَO أي: من النطفة، وهي في نفسها غير مقدسة، فليست للجنة، وإنما الجنة بعد استكمال الإيمان وتهذيب الأخلاق والآداب فَلَا أُقْسِمُ لا زائدة بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَدِرُوْنَOعَلَى أَنْ نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ أي: نهلكهم، ونأتي بأمثل منهم وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوْقِيْنَO عاجزين، مغلوبين عن ذلك فَذَرْهُمْ فاتركهم يَخُوْضُوْا في أباطيلهم وَيَلْعَبُوْا في دنياهم [ص905] حَتَّى يُلَاقُوْا يَوْمَهُمُ الَّذِيْ يُوْعَدُوْنَO فيه العذاب يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الْأَجْدَاثِ القبور سِرَاعًا مسرعين، جمع سريع، إلى المحشر كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ عَلم ورأية، منصوب للعلامة يُوْفِضُوْنَO يسرعون كأهل العسكر، إذا رأوا رأيتهم يهرعون إليه عن الأطراف، حال كونهم خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ أي: ذليلة أبصارهم عن خجالة ما فعلوا تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ تغشيهم هوان ذَالِكَ مبتداء الْيَوْمُ الَّذِيْ كَانُوْا يُوْعَدُوْنَO؏ في الدنيا، خبره.

سورة نوح مكية، وهي ثمان وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوْحًا معناه بالسريانية: الساكن إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ أي: بتخويفهم، أو قلنا أن انذر مِنْ قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌO في الدنيا أو الآخرة، حتّى لا تكون لهم حجة قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّيْ لَكُمْ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌO بيّن الإنذار أَنِ اعْبُدُوا اللهَ أي: وحّدوه، وفي أن الوجهان المذكوران وَاتَّقُوْهُ وَأَطِيْعُوْنِOيَغْفِرْلَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ زائدة أو تبعيضية، فإن الإسلام لا يحبط حقوق العباد وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى أي: الموت، فلا يستعجل بالعذاب إِنَّ أَجَلَ اللهِ بعذابكم إن لم تؤمنوا إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَO لو كنتم من أهل النظر والعلم لعلمتم ذلك، وآمنتم به قبل حلول الأجل، أي: الموت قَالَ نوح: يارَبِّ إِنِّيْ دَعَوْتُ قَوْمِيْ لَيْلًا وَّنَهَارًاO أي: دائما فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِيْ إِلَّا فِرَارًاO عن الإيمان والطاعة، نسب الفرار إلى الدعاء لحصوله عنده، وإن لم يكن سببا في الحقيقة وَإِنِّيْ كُلَّمَا

دَعَوْتُهُمْ إلى الإيمان والتوحيد لِتَغْفِرَلَهُمْ بعد إجابتهم المدعو به جَعَلُوْا أَصَابِعَهُمْ أي: أناملهم فِيْ آذَانِهِمْ لئلا يسمعوا دعائي وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ غطوا رؤسهم للحجاب عن [ص906] وجهي لكراهتهم دعائي وَأَصَرُّوْا عكفوا على كفرهم وَاسْتَكْبَرُوا عن الاتباع اسْتِكْبَارًاO عظيما ثُمَّ إِنِّيْ دَعَوْتُهُمْ جِهَارًاO بإعلان الصوت في محافلهم على رؤس الأشهاد ثُمَّ إِنِّيْ أَعْلَنْتُ لَهُمْ أي: لبعضهم وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًاO أي: لبعضهم، أو الإعلان والإسرار لجميعهم بالجمع، والحاصل: أنه ابتداء بالأهون ثم بالأشد فالأشد، كما هو الحق في الأمر بالمعروف، ففتح النصح في السر، فلم يقبلوا، فثنى بالمجاهرة، فلم يؤثر، فثلث بالجمع بين السر والإعلان، فإن الجهار أغلظ من السر، والجمع بين السر والعلن أغلظ من أفراد أحدهما، فلم ينفع، فقحطوا أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم، فوعد النبي كشفهما بالاستغفار فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ من الشرك إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًاO للذنوب يُّرْسِلِ السَّمَآءَ المطر عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًاO كثيرا الدرور وَّيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَّبَنِيْنَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ بساتين وَّيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًاOمَا لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لا تخافون لِلّٰهِ وَقَارًاO عظمة، أو لا تأملون له تعالى توقير من عند الله، أو لا تعتقدون وقاره تعالى حتّى تخافوا منه وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًاO عناصر ثم مركبات ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأناهم خلقا آخر، ومن تأمل في الخلق يؤمن بالخالق، تمت الآيات النفسية، ثم شرع في الآفاقية أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّٰهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًاO بعضها فوق بعض وَّجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِنَّ بالمصادفة نُوْرًا وهو في السماء الدنيا وَّجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًاO كالسراج يستضاء به وَاللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ أنشأكم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًاO إنشاءا، إذ خلق آدم منها ثُمَّ يُعِيْدُكُمْ بعد الإماتة فِيْهَا مقبورين وَيُخْرِجُكُمْ [ص907] منها بالبعث إِخْرَاجًاOوَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًاO فرشا مبسوطا لِّتَسْلُكُوْا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًاOع واسعة ومختلفة قَالَ نُوْحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِيْ في الإيمان والاستغفار وَاتَّبَعُوْا أي: السفلة والفقراء منهم مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًاO طغيانا وكفرا في الدنيا، وجزاءا قبيحا في الآخرة، وهم رؤساءهم بطراء بأموالهم وأولادهم، فضلوا وأضلوا وَمَكَرُوْا مَكْرًا كُبَّارًاO جمع الضمير برعاية معنى من، أي: احتالوا في إضلال التبعة احتالا كبيرا، حتّى حضضوا السفلة على تكثير إيذاء نوح عليه السلام وَقَالُوْا أي: الرؤساء للأسافل وعظا: لَا تَذَرُنَّ لا تتركن آلِهَتَكُمْ أي: عبادتها وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَّلَا سُوَاعًا وَّلَا يَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَنَسْرًاO هذه أسامى رجال الله الصالحين، كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا أخذوا صورهم في الأحجار، وبتطاول الزمان أخذوا بعبادتها من إغواء الشيطان، وكل واحد من الأصنام كان لقبيلة من العرب، ومنع الصرف للعلمية والعجمة وَقَدْ أَضَلُّوْا أي: الرؤساء كَثِيْرًا من الناس وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِيْنَ إِلَّا ضَلَالًاO قيل: عطف على رب إنهم عصوني، أي: قال نوح: لا تزد، وقيل: عطف على قد أضلوا، دعا عليهم بعد ما أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا

من قد آمن، الأول أبعد من حيث اللفظ، لكنه أقرب من حيث المعنى، والثاني بالعكس، أي: لا تزد الكافرين إلا هلاكا مِمَّا خَطِيْئَاتِهِمْ أُغْرِقُوْا ما زائدة، أي: بالطوفان فَأُدْخِلُوْا نَارًا بعد الإغراق، والمراد: عذاب البرزخ، أو عذاب الآخرة فَلَمْ يَجِدُوْا لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ أَنْصَارًاO توبيخ لهم، حيث كانوا يترقبون من آلهتهم النصر وَقَالَ نُوْحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّارًاO أي: نازل الدار أو من يدور في الأرض، [ص908] فيقال: من الدار، والدور أصله ديوار، ففعل به ما فعل بسيود، أي: لا تترك على وجه الأرض أحدا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ عليها يُضِلُّوْا عِبَادَكَ الذين آمنوا مع نوح وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًاO لما أوحي إليه: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[1] رَبِّ اغْفِرْ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ لمك[2] وشمخاء[3]، كانا مؤمنين وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ سفينتي، أو مسجدي، أو منزلي مُؤْمِنًا وَّلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إلى قيام القيامة وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِيْنَ الكافرين إِلَّا تَبَارًاO[عالنصف] هلاكا. واختلف في صبيانهم، قالوا: لم يكن معهم صبيان لعقم أرحام نسائهم أربعين سنة قبل الطوفان.

سورة الجن مكية، ثمان وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلامللناس أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ هو من الثلاثة إلى العشرة مِّنَ الْجِنِّ من نصيبين، وهم أجسام عاقلة خفية، يغلب عليهم النارية أو الهوائية، سمعوا القرآن في صلاة الصبح منه عليه السلام من غير علم النبي باستماعهم ببطن نخلة، وهو موضع بين الطائف ومكة، ولما رجعوا إلى قومهم فَقَالُوْا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًاO العجب: ما كان خارجا عن العادة، وهو مصدر؛ وضع موضع العجب للمبالغة، أي: تعجب منه في حسن نظمه ودقة معانيه؛ لا يناسب كلام الناس

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾ سورة هود، الآية: 36.

2 – لمك: هو لمك بن متوشلخ، ولد له نوح وعمره على الرأي السبعيني مائة وثماني وثمانون سنة وعلى رأي اليهود مائة واثنتان وثمانون سنة. وجميع أيامه على الرأيين سبعمائة وثلث وسبعون سنة. ومات قبل أبيه. ابن العبري: المرجع السابق. ص:8.

3 – شمخاء: كان لمك رجل أشقر، أعطى قوّة وبطشا، ونكح بأصح الروايتين شمخاء بنت أنوش، وقيل: قينوش ابنة مراكيل بن محويل، وهو ابن مائة وسبع وثمانين سنة، فولدت له نوحا ابن لمك عليه السلام، وكان له يوم ولد نوح خمسمائة وخمس وتسعون سنة. الديار بكري: المصدر السابق. 68/1.

يَّهْدِيْ إِلَى الرُّشْدِ أي: الإيمان، وصلاح الأعمال فَآمَنَّا بِهِ {بالله، أو بالقرآن}[1] وَلَنْ نُّشْرِكَ بعد اليوم بِرَبِّنَا أَحَدًاO من مخلوقاته وَأَنَّهُ ضمير الشان تَعَالَى تنزه جَدُّ رَبِّنَا عظمة ربنا عن أن ينسب إليه ما لا يليق بجنابه مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً زوجة وَّلَا وَلَدًاOوَّأَنَّهُ ضمير الشان كَانَ يَقُوْلُ سَفِيْهُنَا جاهلنا، أو إبليس، فإنه أسفه المخلوقات عَلَى اللهِ شَطَطًاO كلاما مجاوزا عن الحق من اتخاذ الولد والصاحبة وَّأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ [ص909] مخففة لَّنْ تَقُوْلَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًاO اعتذار منهم في اتباع السفيه، أي: اتبعنا السفيه بما علمنا إن أحد إلا يقول على الله كذبا، فأتبعناه، ثم بهذا القرآن علمنا كذبه وَّأَنَّهُ ضمير الشان كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوْذُوْنَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوْهُمْ أي: رجال الإنس رجال الجن رَهَقًاO عتوا وكبرا، وأصل الرهق: غشيان المحظور، فإن المسافر إذا أمسي بالقفر المخوف، يقول: أستعيذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه، فزادوهم، أي: المستعيذون الآدميون المستعاذ بهم الجنيين بسبب الالتجاء في الاستعاذة عتوا وطغيانا، أي: ملؤا عجبا بأنفسهم إن الإنسان يستغيث بهم، فقالوا: سدنا الجن والإنس، ولا يختص لفظ الرجل بذكر بالغ من بني آدم، كما هو المشهور وَّأَنَّهُمْ أي: الكفار من الجن ظَنُّوْا عدم البعث كَمَا ظَنَنْتُمْ أيها الكفرة من الإنس أَنْ لَّنْ يَّبْعَثَ اللهُ أَحَدًاO من القبور للحساب والجزاء وَّأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ أي: قصدنا أخبارها فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيْدًا أي: جمعا أقوياء من الملائكة؛ الذين يمنعونهم عنها وَّشُهُبًاO جمع شهاب، المضيء المتولد من النار، يرى كأنه كوكب، وحدوث ذلك كان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم عند الجمهور وَّأَنَّا كُنَّا قبل بعثته نَقْعُدُ مِنْهَا من السماء مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ أي: المقاعد الخالية عن الحرس والشهب لاستماع أخبار الغيب فَمَنْ يَّسْتَمِعِ يرد السماع الْآنَ وقت بعثته عليه السلام يَجِدْ لَهُ أي: لشخصه شِهَابًا رَّصَدًاO راصدا له وَّأَنَّا لَا نَدْرِيْ أَشَرٌّ أُرِيْدَ بِمَنْ فِيْ الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًاO أي: يمنع الاستراق المحدث عند مبعث نبي آخر الزمان، لا ندري مراد الله تعالى بأهل الأرض خير أم شر وَّأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُوْنَ الأبرار بعد [ص910] استماع القرآن وَمِنَّا قوم دُوْنَ ذَالِكَ أي: الأشرار كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًاO جمع قدة، وهي القطعة، أي: كنا ذوي مذاهب متفرقة كافرة ومؤمنة وَّأَنَّا ظَنَنَّا علمنا أَنْ لَّنْ نُّعْجِزَ اللهَ لن نفوته إن أراد بنا سوءا، أينما كنا فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُّعْجِزَهُ هَرَبًاO هاربين إلى السماء، أي: لا مخلص لنا من قدرته، لا في الأرض، ولا في السماء وَّأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى القرآن آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُّؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ أي: فهو لا يخاف بَخْسًا نقصا في الحسنات وَّلَا رَهَقًاO تغشية السيئات وَّأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُوْنَ وَمِنَّا الْقَاسِطُوْنَ الجائرون عن طريق الحق، أي: الكافرون فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًاO طلبوا الأحرى أي: الأولى، وهو الرشد؛ ضد الغي وَأَمَّا الْقَاسِطُوْنَ فَكَانُوْا في علم الله لِجَهَنَّمَ حَطَبًاO يوقد

---

1 – العبارة ما بين المعقوفتين ساقطة من ب و ج، والتصويب من أ.

بهم النار، كما بشياطين الإنس وَّأَنْ مخففة، أي: أوحي إليّ أن الشأن لَّوِ اسْتَقَامُوْا أي: الجن والإنس عَلَى الطَّرِيْقَةِ المثلى، أي: الإسلام لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًاO كثيرا، ينزل من السماء بعد ما حبس القطر عنهم سبع سنين، والمراد: سعة الرزق، وذكر الماء لغرته في العرب، وكونه سببا له لِّنَفْتِنَهُمْ لنمتحنهم فِيْهِ في ذلك السقي، كيف يشكرون المنعم؟ وَمَنْ يُّعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهٖ يَسْلُكْهُ يدخله عَذَابًا صَعَدًاO شاقا غالبا، وصف بالمصدر وَّأَنَّ الْمَسَاجِدَ أي: البيوت المبنية للصلاة، أو أعضاء السجود لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوْا تعبدوا مَعَ اللهِ أَحَدًاO فإن الاختصاص لا يتحمل التشريك، فإن النصارى واليهود كانوا يشركون في بيعهم كنائسهم، وقيل: الأرض كلها صارت مسجدا للنبي عليه السلام وَّأَنَّهٗ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ أي: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْعُوْهُ كَادُوْا [ص911] أي: الجن المستمعون لقرآنه يَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِ لِبَدًاOع مزدحمين مصطفين، جمع: لبدة قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوْا رَبِّيْ وَلَا أُشْرِكُ بِهٖ أَحَدًاO في العبادة قُلْ إِنِّيْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا من الله وَّلَا رَشَدًاO نفعا قُلْ إِنِّيْ لَنْ يُّجِيْرَنِيْ مِنَ عذاب اللهِ إن عصيته أَحَدٌ وَّلَنْ أَجِدَ مِنْ دُوْنِهٖ أي: سواه مُلْتَحَدًاO ملتجاءا إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهٖ استثناء من مفعول أملك، أي: لا أملك إلا البلاغ إليكم، والرسالة إليكم وَمَنْ يَّعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهٗ في التوحيد فَإِنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًاO أفرد وجمع لاعتبار اللفظ والمعنى؛ في من لا يزالون على الكفر حَتّٰى إِذَا رَأَوْا مَا يُوْعَدُوْنَ من العذاب فَسَيَعْلَمُوْنَ عند حلول العذاب بهم مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَّأَقَلُّ عَدَدًاO أعوانا أ هم، أم المؤمنون؟ فإن ناصرهم الله والملائكة والنبيون قُلْيا محمد! عليك الصلاة والسلامإِنْ ما أَدْرِيْ أَقَرِيْبٌ مَّا تُوْعَدُوْنَ من العذاب أَمْ يَجْعَلُ لَهٗ رَبِّيْ أَمَدًاO غاية بعيدة، ولا شبهة إنه كائن لا محالة، هو عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ يطلع عَلَى غَيْبِهٖ المخصوص به تعالى أَحَدًاO من الجن والإنس والملك إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَّسُوْلٍ فيظهره على بعض غيوبه، ليكون معجزة، وأما الكرامة للولي؛ فهي تتمة النبوة فَإِنَّهٗ تعالى يَسْلُكُ يدخل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قدّام الرسول وَمِنْ خَلْفِهٖ رَصَدًاO حرسا من الملائكة، يحرسونه عن وساوس الشيطان في الوحي، فيبلّغه على ما هو عليه لِّيَعْلَمَ الله علم ظهور أَنْ قَدْ أَبْلَغُوْا أي: الرسل من الناس والملك رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ الله بِمَا لَدَيْهِمْ من العلم وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًاOع أي: أحصى عدد كل شيء، فلا يشذ من علمه موجود، فكيف ما لديهم من العلم؟ [ص912]

سورة المزمل مكية، عشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُO أصله: المتزمل، فصار التاء زاءا، فأدغمت، أي: المتلفف ثيابه، وكان عليه السلام نائما متزملا في ثيابه، أو في بدء الوحي، كان مرتعدا متدهشا متزملا؛ فأمر بالقيام للصلاة قُمِ اللَّيْلَ أي: صل كله إِلَّا قَلِيْلًاO فإن لنفسك عليك حق نِّصْفَهُ بدل من قليلا، وقلته بالنظر إلى الكل أَوِ انْقُصْ مِنْهُ من النصف قَلِيْلًاO إلى الثلث أَوْ زِدْ عَلَيْهِ على النصف إلى الثلثين، وكلمة أو للتخيير بين الأمور الثلاثة: النصف التام، والناقص، والزائد عليه وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أوضحه بتبيين حروفه، وحفظ وقوفه، وإشباع حركاته تَرْتِيْلًاO إيضاحا إِنَّا سَنُلْقِيْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيْلًاO أي: القرآن، لما فيه من التكاليف الشاقة على المكلفين، سيّما للرسول بالتحمل والتحميل إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ أي: قيام الليل، مصدر من نشاء، إذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة، أو النفس التي تنشاء من مضجعها للعبادة هِيَ أَشَدُّ وَطْأً كلفة، وقرئ: وطاءا، أي: مؤاطاة للقلب باللسان في تفهم معانيه، وإيجاد الخشوع لانتفاء المشاغل، أو انخفاض الأصوات وَّأَقْوَمُ قَيْلًاO أشد مقالا لحضور القلب مع الله، ولبعده عن مظان الرياء إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيْلًاO تقلبا في المهمات، وعدم الفراغ للتلاوة وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ دم على ذكره؛ سواء كان صلاة، أو تسبيحا، أو تحميدا، أو مراقبة، أو دراسة علوم، أو قل: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ؛ في أوّل تلاوتك وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ انقطع إلى عبادته من الشواغل تَبْتِيْلًاO انقطاعا وتجردا عما سواه تعالى، ولرعاية الفواصل باختلاف الفعل والمصدر، قال: تبتيلا موضع تبتلا. هو رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيْلًاO في كل أمرك؛ إذ هو شأن المتوحد في الألوهية وَاصْبِرْ [ص913] عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَ فيّ وفيك مما لا يليق وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيْلًاO جانبهم مجانبة بترك المكافات، هذا قبل نزول آية السيف وَذَرْنِيْ واتركني وَالْمُكَذِّبِيْنَ أُوِلي النَّعْمَةِ هم صناديد قريش، فإن عندي غنية عنك في مجازاتهم وَمَهِّلْهُمْ قَلِيْلًاO من الزمان، هو مدة الحياة إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا جمع نكل، وهو القيد الثقيل وَّجَحِيْمًاO نارا محرقة وَّطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ينشب في الحلق كالضريع والزقوم، أو شوك نار؛ لايخرج ولا ينزل وَّعَذَابًا أَلِيْمًاO مؤلما يَوْمَ تَرْجُفُ تزلزل الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا رملا مجتمعا مَّهِيْلًاO منشورا، أصله: مهيولا، فعل به ما فعل بمبيع، من هال يهيل إذا نثر إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ يا أهل مكة! رَسُوْلًا أي: محمدا عليه السلام شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُوْلًاO أي: موسى عليه السلام فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُوْلَ أي: موسى عليه السلام فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَّبِيْلًاO ثقيلا شديدا فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ أنفسكم إِنْ كَفَرْتُمْ بقيتم على الكفر يَوْمًا عذاب يوم يَّجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيْبًاOجمع

أشيب، لشدة هوله أو غاية طوله، والأصل: ضم الشين، كسرت لمجانسة الياء، كناية عن ضعف القوى، أو محمول على الحقيقة السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ منشق بشدة ذلك اليوم، والتذكير بتأويل سقف، أو حذف شيء كَانَ وَعْدُهُ تعالى مَفْعُوْلًاO كائنا إِنَّ هٰذِهِ الآيات المخوفة تَذْكِرَةٌ عظة للخلق فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيْلًاO^ع بالإيمان والطاعة إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُوْمُ أَدْنَى أقل مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ معطوفان على أدنى وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِيْنَ مَعَكَ عطف على ضمير تقوم، وجاز [ص914] بغير تأكيد للفصل، أي: تقوم أنت وأصحابك للتاسي بك، ومنهم من لا يدري؛ كم صلى من الليل؟ وكم بقي منه؟ فكأن يقوم الليل كله احتياطا، فقاموا حتّى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر، فخفف وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أي: يحصي ساعاتهما ومقاديرهما حق الإحصاء كما هي عَلِمَ أَنْ لَّنْ تُحْصُوْهُ أي: تقدير أوقات الليل وضبطها، أن مخففة، أي: أنه فَتَابَ عَلَيْكُمْ فرجع إليكم بالتخفيف والتيسير بالترخيص في ترك القيام المقدر فَاقْرَءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ أي: صلوا ليلا القدر الميسور من الصلاة قبل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور، ثم شق عليهم، فنسخ التخيير به، ثم نسخ أصله بالصلاة الخمس عَلِمَ أَنْ مخففة، أي: أنه سَيَكُوْنُ مِنْكُمْ مَّرْضَى وَآخَرُوْنَ يَضْرِبُوْنَ يسافرون فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُوْنَ مِنْ فَضْلِ اللهِ من رزقه بالتجارة وغيرها، ومن علمه وَآخَرُوْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فهذه الأسباب دعت الترخيص فَاقْرَءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ من القرآن في الصلاة وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ المفروضة وَآتُوا الزَّكَاةَ المفروضة وَأَقْرِضُوْا اللهَ بالإنفاق بالتبرع والتطوع في الحسنات، والقرض: القطع، فكأنه يقطع من ماله فيدفعه إلى غيره قَرْضًا حَسَنًا من طيب القلب؛ من غير سمعة ورياء، يعطيكم عشرة بواحد أو سبعين أو سبع مائة، ويزيد ما يشاء لمن يشاء وَمَا تُقَدِّمُوْا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَّأَعْظَمَ أَجْرًا مما خلفتم للوصية، وخيرا مفعول ثان لتجدوا، وهو ضمير الفصل، لأن أفعل من في حكم المعرفة أو تأكيد وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ من السيآت، ومن التقصير في الحسنات إِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ لمن تاب رَّحِيْمٌO^ع بهم؛ حيث أرشدهم إلى التوبة.

سورة المدثر مكية، ست وخمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُO المتلفف بالدثار، [ص915] وهو ما فوق الشعار، وهو يلاصق البدن من اللباس، ورأى النبي عليه السلام جبرائيل عليه السلام فوق عرش بين السماء والأرض حين ناداه؛ يا محمد! عليك الصلاة والسلامإنك رسول الله، فرغب ورجع إلى خديجة رضي الله عنها قائلا:

((دَثِّرُوْنِيْ))[1]، وقيل: المتدثر بأثواب النبوة والكمالات النفسانية، فنودي بهذا اللقب، قُمْ من مضجعك، أو بالعزم على أداء الرسالة فَأَنْذِرْO حذر قومك من عذاب جهنم، أو سخط الله؛ إن لم يؤمنوابه وَرَبَّكَ فَكَبِّرْO وخصص ربك بوصف الكبرياء، أو قل: الله أكبر وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْO من الألواث بالماء، أو قصر ثيابك، فإنه أتقى وأبقى، وهو أول مخالفة بصناديد العرب؛ لأنهم كانوا يطولون الذيول، أو طهر دثار النبوة عن الرزائل وَالرُّجْزَ أي: العذاب، والمراد: ما يؤدي إليه فَاهْجُرْO أي: اثبت على هجره وَلَا تَمْنُنْ بعد الإعطاء تَسْتَكْثِرُO حال، أي: تعد ما أعطيته كثيرا، فتطلب عوضا كثيرا له، أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا إياها، أو على الناس بالتبليغ مستكثرا أجره وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْO على شاق التكاليف فَإِذَا نُقِرَ نفخ نفخة ثانية فِي النَّاقُوْرِO أي: في الصور فَذَالِكَ فوقت النقر يَوْمَئِذٍ بدل عما قبله يَّوْمٌ عَسِيْرٌO يوم شديد على الكفرة، لا يرجى كشفه عَلَى الْكَافِرِيْنَ غَيْرُ يَسِيْرٍO تأكيد، وفيه إشارة إلى يسره على المؤمنين ذَرْنِيْ اتركني وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدًاO أي: الوليد بن المغيرة، أي: أكفيكه في الجزاء وحدانا، أو في الخلقة أنا وحيدا، وهو في الشر وحيدا، وحال مِنْ مَنْ، أي: خلقته منفردا بلا أهل ومال وَّجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُوْدًاO من الزرع، والضرع، والتجارة وَّبَنِيْنَ شُهُوْدًاO عشرة أو أكثر، كلهم يحضرون محافل القبول، ويسمع شهادتهم، أو حضّارا عنده؛ لا يسافرون لحاجة وَّمَهَّدْتُّ لَهُ تَمْهِيْدًاO وبسطت له في العيش والعمر والولد [ص916] بسطا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيْدَO على ما أعطيته مع كفران النعم، ومعاندة المنعم كَلَّا لا أزيد على ذلك إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا أي: القرآن عَنِيْدًاO أي: معاندا جاحدا، وبعد نزول هذه الآيات لا زال كان ينقص ماله حتّى مات سَأُرْهِقُهُ سأغشيه صَعُوْدًاO عقبة شاقة المصعد، أو جبلا من نار في جهنم، يصعد فيه سبعين خريفا، ثم يهوي فيه كذلك أبدا إِنَّهُ فَكَّرَ في أنه ماذا يقول في حق القرآن طعنا؟ وَقَدَّرَO في نفسه طعنا، لا يرده وهم أحد منهم فَقُتِلَ لعن وعذب كَيْفَ قَدَّرَO أي: على أيّ حالة كان تقديره؟ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَOثُمَّ نَظَرَO في أمر القرآن كرة ثانية ثُمَّ عَبَسَ قبض وجهه؛ لما لم يجد طعنا معقولا في القرآن وَبَسَرَO زاد في القبض والكلوح ثُمَّ أَدْبَرَ عن أن يقول هو من عند الله وَاسْتَكْبَرَO عن اتباع الرسول فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُّؤْثَرُO ما هذا النظم المتلو على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلا سحر، يروي عن السحرة، ويتعلم منهم إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِO علّمه بشر، روي:

---

1 – (أ) البخاري: المصدر السابق.كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿وَدًّا وَلاَ سُواعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، رقم الحديث: 4922. 161/6. وكتاب تفسير القرآن ، باب قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، رقم الحديث: 4924، 162/6. (ب) مسلم: المرجع السابق. كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 161. رقم الحديث: 144/1.

أنه سمع من النبي حمٓ السجدة، فوصف بأجمل الأوصاف، فقالت قريش: صبأ الوليد، فقال ابن أخته أبو جهل: أنا أكفيكموه، وقصد إليه حزينا، فقال الوليد: إن محمدا ليس بمجنون، وليس بكاهن، وليس بشاعر وليس بكاذب، هل رأيتم فيه شيئا من آثار ما ذكرت؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر، يفرق بين الرجل وامرأته وولده ومواليه، ففرحوا بقوله، واعلموا أنه لم يصبأ سَأُصْلِيْهِ سَقَرَO في الدركة الخامسة، منعت للتعريف والتأنيث وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُO تفخيم لشأنها لَا تُبْقِيْ وَلَا تَذَرُO شيئا من العظام واللحوم والأعصاب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِO مسوّدة [ص917] بظاهر الجلد بالإحراق عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَO ملكا أو أصنافا منهم، فقال قوي من أقوياء كفار قريش: أنا أكفيكم سبعة عشر، وأنتم كفوني اثنين، استحقارا واستهزاءا بحال خزنة جهنم، فنزل: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً هم أقوياء الخلق، فلا يطاقون كما يتوهمون وَّمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ ذلك إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا حيث يستقلونهم في أمر تعذيب أكثر الثقلين لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ أي: اليهود، علة للجعل المؤل بالقول، فإن هذا الخبر من القرآن لما كان موافقا لما في كتبهم، أعطى اليقين لهم بنبوة محمد عليه السلام وَيَزْدَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بمحمد عليه السلام من أهل الكتاب إِيْمَانًا تصديقا لمؤاطأة الكتابين وَّلَا يَرْتَابَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ تأكيد للفعلين السابقين، أي: اليهود وَالْمُؤْمِنُوْنَ إذ سمعوا عددهم من غيرهم، فلم يبق لهم شبهة فيه وَلِيَقُوْلَ الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ نفاق في المدينة بعد الهجرة وَّالْكَافِرُوْنَ في مكة الجازمون في التكذيب مَا ذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلاً تميز هذا، والمعنى: أيّ شيء أراد بهذا العدد المستغرب؟ استغراب المثل جعلوه مثلا لما حسبوه غريبا، فإن تعذيب هؤلاء الأقلاء لأكثر الثقلين في نهاية الغرابة عندهم كَذَالِكَ مثل إضلالهم في هذا العدد، وهداية المؤمنين في الاستيقان بهذا العدد يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَّشَاءُ فيشرك به وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ فيؤمن به، قال أبو جهل استهزاءا: يا معشر القريش! أعوان محمد هؤلاء التسعة، وليس له غيرهم ، فنحن نغلبه، نزل: وَمَا يَعْلَمُ جُنُوْدَ رَبِّكَ أي: الملائكة وقوتهم، وكثرتهم وما هم عليه إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ أي: سقر، أو عدتهم، [ص918] أو هذه السورة إِلَّا ذِكْرَى تذكرة لِلْبَشَرِOع كَلَّا ردع لمن أنكر أو إنكار لتذكرهم، أي: لا يتذكرون وَالْقَمَرِOوَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَO أي: جاء بعد مضى النهار أثره وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَO أي: أضاء إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِO أي: أن السقر داهية من الدواهي العظمى، وهي دركة خامسة، وإحدى من الدركات السبعة لجهنم، وكل واحدة منها في نفسها كبرى نَذِيْرًا حال من إحدى، وإنما ذكره لأنها بتأويل العذاب لِّلْبَشَرِOلِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَّتَقَدَّمَ في الخير أَوْ يَتَأَخَّرَO عنه، بدل من قوله: للبشر؛ بإعادة الجار كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌO رهن في جهنم بأعمالهم غير مفكوك لينال الجنة، هي مصدر للمفعول كالشتيمة لا صفة نفس وإلا لقيل رهين، لأن فعيلا بمعنى

مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنَO أي: المؤمنين، لأنهم فكوا رقابهم بالأعمال الصالحة عن جهنم، وقيل: هم أطفال المؤمنين أو الملائكة، حال كونهم فِيْ جَنَّاتٍ أي: في الغرفات الشارفات على أهل الدركات يَتَسَاءَلُوْنَOعَنِ الْمُجْرِمِيْنَO أي: يسئال بعضهم بعضا، أو يسألون غيرهم عن حالهم مَا سَلَكَكُمْ فِيْ سَقَرَOقَالُوْا حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْنَOوَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَO لم نعتقد بفرضية الصلاة والزكاة وَكُنَّا نَخُوْضُ نشرع في الأباطيل مَعَ الْخَائِضِيْنَO مع الشارعين وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّيْنِO وامتد هذا التكذيب منا حَتَّى آتَانَا الْيَقِيْنُO الموت، فمتنا على التكذيب فَمَا تَنْفَعُهُمْ أي: فهم في حالة لا تنفعهم لو فرض شَفَاعَةُ جميع أصناف الشَّافِعِيْنَO من الملائكة والأنبياء والصالحين، أي: لا شفاعة لهم مطلقا فَمَا لَهُمْ أيّ شيء [ص919] عَنِ التَّذْكِرَةِ أي: عظة القرآن مُعْرِضِيْنَO حال عن الضمير كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌO وحشية، لا استيناس لهم فَرَّتْ هربت مِنْ قَسْوَرَةٍO من أسد، تشبيههم في الإعراض عن الذكر بتنفر حمر هربت من الأسد بَلْ يُرِيْدُ كُلُّ امْرِءٍ مِّنْهُمْ من الكفرة أَنْ يُّؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةًO مفتوحة مرقومة من السماء، في كل صحيفة؛ يا فلان! اطع الله ومحمدا رسول الله، فحينئذ يختار اتباع محمد صاحب كل صحيفة كَلَّا ردع لهم عن هذا الاقتراح بَلْ لَّا يَخَافُوْنَ الْآخِرَةَO أي: عذابها كَلَّآ ردع عن إعراضهم عن التذكرة إِنَّهُ أي: القرآن تَذْكِرَةٌO عظة فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُO اتعظ به وَمَا يَذْكُرُوْنَ إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللّٰهُ ذكرهم هُوَ الله تعالى أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِOعالثلاثة حقيق بأن يتقي منه، وحقيق بأن يغفر لمن اتقى.

سورة القيامة مكية، أربعون آية.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِOوَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِO لا هي زائدة، في باب القسم للتأكيد، والنفس اللوامة: هي التي تلوم لمن قصر في الطاعة يوم القيامة، أو لائمة نفسها وإن جهدت كل مجتهد أو نفس آدم تلوم منذ خرجت من الجنة، جواب القسم لتبعثن محذوف، سأل عدي بن ربيعة[1] رسول الله عليه الصلاة والسلام عن القيامة، فأخبر به، قال: لو عاينتني ذلك اليوم لم أصدقك، أو يجمع الله هذه العظام، نزل: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُO عند البعث باقتران ما افترق بَلَى نجمعها

1 – عدي بن ربيعة: أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، من مسلمة الفتح، وأظنه عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، ابن عم أبي العاص بن الربيع. ابن عبد البر: المرجع السابق. 1059/3.

قَادِرِيْنَ حال من ضمير يجمع عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُO نجمع سلامياته كما كانت مع صغر عظامها، فكيف بالعظام الكبار؟ بل إضراب عن عدم جمع العظام إلى مرتبة أقوى منها في الإنكار، بَلْ يُرِيْدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُO [ص920] ليدوم على فجوره في الزمان المستقبل، أو لغاية التكذيب والإنكار يكذب ما يستقبله من الزمان، فهو منكر أصل ذلك اليوم، قيل: اللام زائدة يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِO استبعاد أو استهزاء بوقوعه، أي: متى هو؟ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُO دهش وتحير فزعاً وَخَسَفَ وأظلم الْقَمَرُOوَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُO في الظلام أو في الطلوع من المغرب، وتذكير الفعل لتغليب المعطوف وتقدمه على المرفوع يَقُوْلُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّO أي: الفرار عن العذاب، قول الآئس عن الفوز بالتمني كَلَّا ردع عن الفرار لَا وَزَرَO مأخوذ من الوزر، بمعنى الثقل، وهو كناية مجاز عن الحيل، أي: لا ملجاء لهم إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِنِ الْمُسْتَقَرُّO أي: استقرارهم في الجنة أو النار، مفوض إلى إرادته، يفعل ما يشاء فيهم، ويحكم ما يريد يُنَبَّئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَO أي: يعمل بأشر، وأهمل من خير ومن شر بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيْرَةٌO كزيد عدل، أو التاء للمبالغة، أي: حجة على أعماله، يري حاله وأفعاله وأقواله بشهادة الجوارح، فلا حاجة إلى الأنباء وَّلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيْرَهُO جمع معذار، أي: بمعنى الستر، كالمناكير جمع منكر، وليست بجمع معذرة، لأنها يجمع على المعاذر، إلا أن يكون خلاف القياس، أي: ولو أرخى بكل عذر وستر ما قيل، لأنه يستر عنه حاله وأفعاله وأقواله لَا تُحَرِّكْيا محمد! عليك الصلاة والسلامبِهِ بالقرآن في خلال الوحي لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِO مخافة النسيان والتفلت إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ في قلبك وَقُرْآنَهُO وإثبات قرأته في لسانك، وكان يعجل رسول الله عند إلقاء جبرائيل في الأخذ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ بلسان جبرائيل عليك فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُO فكرّر قرأته حتّى يرسخ في ذهنك، وقيل: فاعمل به، أو فاستمع قرأته [ص921] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُO إذا أشكل عليك معانيه، فالعجلة في الأمور كلها مذمومة؛ ولو كان الأمر مهماً كَلَّا ردع عن العجلة لبني آدم بَلْ تُحِبُّوْنَ الْعَاجِلَةَO أي: الدنيا، لأن الإنسان كان عجولا وَتَذَرُوْنَ تتركون الْآخِرَةَOوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ يوم القيامة نَّاضِرَةٌO ناعمة حسنة مضيئة إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌO بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة مستغرقة في مطالعة جماله، أدركتها الحيرة فغفلت عما سواه وَوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌO شديد العبوس والكلوح تَظُنُّ توقن أَنْ يُّفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌO بلاء وداهية، بكسر فقار الظهر كَلَّا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة إِذَا بَلَغَتِ الروح، أي: النفس، ويدل عليه الكلام التَّرَاقِيَO أعظم الصدر والجيد، جمع ترقوة وَقِيْلَ القائل من حضر وقت كونه محتضرا أو الملائكة مَنْ رَاقٍO من يرقيه ليشفيه، ويزيل عنه مرض الموت وَّظَنَّ أيقن المحتضر أَنَّهُ الْفِرَاقُO عن الدنيا ومحابها وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِO أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند كرب النزع، أو الْتَوَت مشقة آخر يوم الدنيا بمشقة أول يوم الآخرة

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِنِ الْمَسَاقُO ع مصدر ساقة، أي: مساق العباد، إما إلى الجنة وإما إلى النار وقت الموت مفوض إلى الرب تعالى، فمن شاء يدخله الجنة، ومن شاء يدخله النار فَلَا صَدَّقَ أي: الإنسان أو أبو جهل، من الصدقة، أي: الزكاة أو من التصديق وَلَا صَلَّىOوَلٰكِنْ كَذَّبَ القرآن والنبي وَتَوَلَّىO عن الإيمان ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّىO يتبختر في مشيه بافتخار التكذيب، أصله: يتمطّط من التمطّط، أي: التمدد في المشي بإلواء الظهر، فأبدلت الطاء ياءا لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة أَوْلَى لَكَ التفات من الغيبة إلى الخطاب، من الولي، دعاء عليه، أصله: أولاك الله ما [ص922] تكره، واللام مزيدة، أو أولى لك الهلاك والموت، وقيل: أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون فَأَوْلَىOثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَىO أي: ويل لك فويل، ثم ويل لك فويل، تكرار كرة بعد أولى، وقيل: ويل لك عند الموت، وويل لك في القبر، وويل لك حين البعث، وويل لك في النار أَيَحْسَبُ يظن الْإِنْسَانُ أي: الكافر أَنْ يُّتْرَكَ سُدًى‌O مهملا، يأكل ويتمتع ولا يكلف بالشرائع، وليس كذلك بل يكلف ويثاب ويعاقب أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُّمْنَىO يراق المني في الرحم ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً قطعة دم جامد فَخَلَقَ منها إنسانا بعد أربعين يوما فَسَوَّىO أي: جعله بشرا سويا فَجَعَلَ مِنْهُ من المني الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىOأَلَيْسَ ذَالِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُّحْيِيَ الْمَوْتَىO ع بلى.

سورة الدهر مدنية، إحدى وثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ على آدم حِيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ أربعون سنة لَمْ يَكُنْ فيه شَيْئًا مَّذْكُوْرًاO لم يذكر اسمه لعدم نفخ الروح في جسده، أو جنس الإنسان من طائفة من الزمان، قبل ازدواج الروح بالجسد لم يكن شيئا مذكورا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ أي: بني آدم مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ مختلطة، جمع مشيج، أي: خليط من مني الرجل والمرأة، وقيل: مفرد كإعشار نَّبْتَلِيْهِ نمتحنه بالأوامر والنواهي حين تأهّل للامتحان فَجَعَلْنَاهُ بسبب ذلك سَمِيْعًا بَصِيْرًاO ليمكن من الآيات والدلائل إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيْلَ بيّنا له طريق الهدى بما يسمع ويبصر منهما إِمَّا شَاكِرًا بالاهتداء وَّإِمَّا كَفُوْرًاO بالإعراض، وإما لتفصيل الأحوال، أو تقسيمها حالان من الهاء إِنَّا أَعْتَدْنَا هيئنا لِلْكَافِرِيْنَ سَلَاسِلَا جمع [ص923] سلسلة، يسحبون بها إلى النار وَأَغْلَالًا في أعناقهم، جمع غل، لشد السلاسل بها عند القود وَّسَعِيْرًاO نارا موقدة يحرقون بها إِنَّ الْأَبْرَارَ جمع بر أو بار يَشْرَبُوْنَ مِنْ كَأْسٍ من خمر كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوْرًاO اسم ماء في الجنة، يشبه الكافور في الريح والبياض، وكان للعرب مزج به؛ إذا شربوا لإطفاء حرارتها، وطيب عرقها عَيْنًا بدل من كافورا يَّشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ الباء زائدة أو بمعنى من، يشربونه أولياء الله يُفَجِّرُوْنَهَا يجرونها

حيث شاؤا من البيوت تَفْجِيْرًاO إجراءا سهلا يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ استيناف ببيان سبب الأرزاق، كان قائلا يقول: ما لهم يرزقون؟ قال بسبب الإيفاء، لأنهم لما أدوا ما أوجبوا على أنفسهم، فبالأولى ما أوجب الله عليهم، وقيل: لما نذر علي وفاطمة لشفاء الحسنين رضي الله عنهما ما شاءه النبي عليه السلام صوم ثلاثة أيام، وحصل شفاء، صام، ولما حضر الإفطار؛ سأل المسكين، فأعطيا له، وفي الثاني اليتيم، وفي الثالث الأسير، فنزل: يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ... وَيَخَافُوْنَ يَوْمًا أي: يوم القيامة كَانَ شَرُّهُ شدائده مُسْتَطِيرًاO منتشرا غاية الانتشار وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ حب الله، أو حب الطعام مِسْكِيْنًا من لا مال له وَّيَتِيْمًا صغيرا؛ لا أب له وَّأَسِيْرًاO من الكفار أو المحبوس بحق، فيدخل فيه المملوك والمسجون والغريم إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيْدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَّلَا شُكُوْرًاO شكرا وثناءا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوْسًا قَمْطَرِيرًاO لعلنا نأمن بهذه الصدقة عن خوفه تعالى، قالوا هذا بلسان الحال أو المقال، والعبوس: من يقبض ما بين العينين، والقمطرير: هو أشد في القبضة، وأصله: القطر، ووصف اليوم بهما بوصف أهله فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَالِكَ الْيَوْمِ بما خافوا [ص924] وَلَقَّاهُمْ أعطاهم نَضْرَةً حسنا وإضاءة الوجوه وَّسُرُوْرًاOوَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوْا على الإيثار، أو على سائر التكاليف الشرعية جَنَّةً وَّحَرِيْرًاO بستانا للأكل واللباس الفاخر مُّتَّكِئِيْنَ فِيْهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيْهَا شَمْسًا وَّلَا زَمْهَرِيْرًاO غاية الحر والقرّ، بل هواها معتدلة أو الجنة مضيئة، لا تحتاج إلى النيّر كالشمس والقمر والزمهرير، بلغة طي القمر وجنة أخرى، لأنهم كانوا خائفين، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانَ﴾[1]وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا حال أو صفة، أي: قريبة منهم أشجارها وَذُلِّلَتْ سخرت قُطُوْفُهَا ثمارها تَذْلِيْلًاO بحيث ينالها القائم والقاعد والمضطجع وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ جمع إناء مِّنْ فِضَّةٍ أي: الجامات الصغيرة في غاية البياض واللمعان وَّأَكْوَابٍ قداح لا عرى لها، جمع كوب كَانَتْ قَوَارِيْرَاOقَوَارِيْرَا مِنْ فِضَّةٍ أي: من فضة في البياض ومن القوارير في الصفاء، كأنه اجتمعت فيه الخصلتان: يرى ظاهرها من باطنها، {وباطنها من ظاهرها}[2] كالألماس والبلور قَدَّرُوْهَا أي: أهل الجنة تَقْدِيْرًاO بحسب ما أملوا صورها ومقاديرها، أي: أهل الجنة أو الطائفون من السقاة، قدروها على قدر اشتهائهم الماء من غير إفراط وتفريط وَيُسْقَوْنَ فِيْهَا في الجنة كَأْسًا أي: خمرا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيْلًاO والعرب يستلذون بمزجه فيها عَيْنًا بدل من زنجبيلا فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيْلًاO ماءها كالزنجبيل، سهل المساغ في الحلق، والمقصود نفي لدغ الزنجبيل، وإثبات سلاسة الخدارة في الحلقوم، والباء زائدة وَيَطُوْفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ من أبناء الكفرة، أو يخلقهم الله خلقا آخر لخدمة المؤمنين

1 – سورة الرحمن، الآية: 46.

2 – ما بين المعقوفتين ساقطة من أ و ب، والتصويب من ج.

مُّخَلَّدُوْنَعلى الصبا؛ لا يشبون، فكيف يهرمون؟ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا [ص925] مَّنْثُوْرًاO من سلك أو صدف لكمال حسنهم، وانتباههم للخدمة في مجالسهم وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ في الجنة رَأَيْتَ نَعِيْمًا وَّمُلْكا كَبِيْرًاO أي: إذا وجدت منك الرؤية رأيت نعيما لا توصف، وملكا واسعا لا غاية له، في الحديث: ((أَدْنَى مُلْكِ الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ))[1] عَالِيَهُمْ نصب على الحال من هم في عليهم، أي: يطوف عليهم الولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب سندس، وقيل: نصب على الظرفية، أي: فوقهم، وهو خبر للمبتداء الواقع بعده ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ جمع: أخضر، حرير رقيق ظهارة وَّإِسْتَبْرَقٌ حرير غليظ بطانة وَّحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ مرة كما يحلون أساور من ذهب مرة، أو يجمع بينهما وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوْرًاO أعلى من الشرابين المتقدمين، هو مطالعة الذات من غير ركون إلى الصفات، وفنائهم فيها وبقائهم بها، فليس للجسم نصيب منه، ولذا أسند إلى نفسه، وختم به صفات الأبرار إِنَّ هٰذَا النعيم كَانَ لَكُمْ جَزَاءً بما عملتم في الدنيا وَّكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُوْرًاOع مقبولا، لا مضيعا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيْلًاO على حسب الوقائع؛ لا جملة واحدة فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ عليك بالتبليغ واحتمال الأذية، أو بتأخير النصر على أعدائك وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُوْرًاO أي: لا تطع من الكفار آثما؛ يدعوك إلى الإثم، أو كفورا؛ يدعوك إلى الكفر، أي: لا تطعهما في القسمين، وفي غيرهما يمكن أن تطيع، أي: ما لم يكن إثما وكفرا، وأو للتقسيم والجمع بالطريق الأولى، وقيل: الآثم: عتبة بن ربيعة؛ لأنه كان ركابا للمآثم والفسوق، والكفور: الوليد؛ لأنه كان غاليا في الكفر والجحود، وكانا يقولان للنبي عليه السلام: ارجع عن هذا الأمر، فنزل: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُوْرًا وَاذْكُرِ اسْمَ [ص926] رَبِّكَ بُكْرَةً صلاة الفجر وَّأَصِيْلًاO الظهر والعصر وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وبعض الليل، فصل صلاة المغرب والعشاء وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيْلًاO متطوعا متهجدا ثلث الليل، أو نصفه، أو ثلثين إِنَّ هَٰؤُلَاءِ الكفار يُحِبُّوْنَ الْعَاجِلَةَ الدنيا وَيَذَرُوْنَ وَرَاءَهُمْ أمامهم مستقبلا، أو خلف ظهورهم، إذا توجهوا إلى الدنيا يَوْمًا ثَقِيْلًاO على الحامل شدائدة نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ من ماء لين رقيق وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وأحكمنا خلقهم بربط المفاصل بالأعصاب وَإِذَا شِئْنَا أي: إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ في الخلقة ممن يطيع، أو في النشأة الثانية تَبْدِيْلًاOإِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ أي: هذه الآيات، أو السورة عظة فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيْلًاOوَمَا تَشَاءُوْنَ ذلك الاتخاذ إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللهُ مشيتكم الاتخاذ إِنَّ

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث، ولفظه للدارقطني: ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً مَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ وَسُرُرِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ)). الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن، البغدادي، (ت: 385هـ). رؤية الله: (تحقيق: إبراهيم محمد العلي، وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1411هـ). ذكر الرواية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في ذلك، 172. 272/1.

اللهَ كَانَ عَلِيْمًا بمن يشاء ويختار ذلك الاتخاذ حَكِيْمًاO في تعلق مشيته بمشيتكم الاتخاذ يُّدْخِلُ مَنْ يَّشَاءُ فِيْ رَحْمَتِهِ الهداية أولا، والجنة آخرا وَالظَّالِمِيْنَ الكافرين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاO[٤] مؤلما.

سورة المرسلات مكية، وهي خمسون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالْمُرْسَلَاتِ أقسم بالملائكة المرسلات إلى الأنبياء بالشرائع عُرْفًاO بالأوامر والنواهي، ضد النكرة، مفعول له، أو الرياح المرسلة إلى إهلاك الأعادي بالتواتر والتوالي، حال فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًاO أي: الملائكة السارعات في امتثال إيصال الأوامر والنواهي سرعة، أو الرياح التي تهب بالشدة هبوبا لقهر الأعداء وَّالنَّاشِرَاتِ نَشْرًاO أي: الملائكة الناشرات للشرائع نشرا، أو الرياح التي تنشر السحاب للأمطار فَالْفَارِقَاتِ أي: الملائكة، الفارقة بين الحق والباطل فَرْقًاO [ص927] أو الرياح الفارقات بين السحاب بعد التراكم فَالْمُلْقِيَاتِ أي: الملائكة الملقيات من عند الله ذِكْرًاO إلى الرسل، أو الرياح الملقيات في قلوب المشاهدين ذكرا من الله عُذْرًا بالتوبة للمحقين أَوْ نُذْرًاO للمبطلين، هما بدلان عن قوله ذِكْرًا، فإن الملقى إما عذر للمؤمنين الذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله، وإما إنذارا للكفرة؛ لأنهم ينسبون إلى السحر، أو الإنواء، أو حالان إِنَّمَا تُوْعَدُوْنَ به يا كفار مكة من البعث والعذاب لَوَاقِعٌO جواب قسم فَإِذَا النُّجُوْمُ طُمِسَتْO محيت أنوارها وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْO فتقت؛ فصارت أبوابا وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْO أي: استوصلت وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْO عينت أوقات حضرتهم للشهادة على الأمم، والجواب وقع الفصل بين الخلائق بقول الكفار تعجبا من هول ذلك اليوم لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْO من التأجيل، أي: أخرت فيجاب لِيَوْمِ الْفَصْلِO بين الحق والباطل وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِO إذ لم تر مثله وَيْلٌ هلاك، مبتداء يَّوْمَئِذٍ ظرفه لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بهذا اليوم، خبره أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِيْنَO قوم نوح وعاد وثمود ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِيْنَO كفار مكة كَذَالِكَ مثل ما فعلنا بالأمم السابقة نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِيْنَOوَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بالوعيد أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِيْنٍO ضعيف ذليل؛ وهو النطفة فَجَعَلْنَاهُ فِيْ قَرَارٍ مَّكِيْنٍO أي: الرحم، المحرز عن الآفات إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُوْمٍO وقت الولادة فَقَدَرْنَا على خلقكم فَنِعْمَ الْقَادِرُوْنَO نحن وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بقدرتنا على الإعادة أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًاO اسم ما يكفت، أي: [ص928] يضم ويجمع، وبه نصب قوله أَحْيَاءً وَّأَمْوَاتًاO على الظهر، وفي البطن وَّجَعَلْنَا فِيْهَا في الأرض رَوَاسِيَ جبالا شَامِخَاتٍ مرتفعات وَّأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًاO عذبا وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بهذه النعم انْطَلِقُوْا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَO أي: إلى عذاب منكور انْطَلِقُوْا إِلَى ظِلٍّ أي: دخان نار جهنم ذِيْ ثَلَاثِ

شُعَبٍO أي: إذا ارتفع ينشعب، ويتفرق ثلاثة فرق: فرقة على رأس الكافر، وفرقة على يمينه، وفرقة على يساره، لما كان فيه من القوة الوهمية في الدماغ، والغضبية في يمين القلب، والشهوية في يساره لَّا ظَلِيْلٍ أي: لا بارد كما هو شأن الظل دائما وَّلَا يُغْنِيْ مِنَ اللَّهَبِO لا يرد عنهم من حرارة إِنَّهَا أي: النار تَرْمِيْ بِشَرَرٍ جمع: شررة كَالْقَصْرِO أي: الشرر التي تطير عن النار في الارتفاع وعظم الجثة، كأنها قصر وبيت كَأَنَّهٗ أي: الشرر جِمَالَاتٌ جمع: جمل صُفْرٌO سود، فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة؛ الأول تشبيه في الهيئة، والثاني في اللون وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بمثل هٰذَا النار، هذا يَوْمُ لَا يَنْطِقُوْنَO أصلا في موقف، وإن كانوا يختصمون في موقف آخر، أو كلاما نافعا في العذر وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ في الاعتذار فَيَعْتَذِرُوْنَO نفي للإذن والاعتذار، فهو عطف على المنفي وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بهذا اليوم هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بين الحق والباطل جَمَعْنٰكُمْ يا كفار مكة! وَالْأَوَّلِيْنَO من الأمم السابقة فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ حيلة في دفع العذاب فَكِيْدُوْنِO فاحتالوا في الاستخلاص عن العذاب وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَOع بالبعث إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ من إضاعة الأوامر والنواهي فِيْ ظِلَالٍ جمع ظل وَّعُيُوْنٍO جارية في الجنة [ص929] وَّفِي فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُوْنَO قيل لهم: كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْئًا حال كونكم متهنئين بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَO من الطاعات في الدنيا إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَO فمن أحسن إلى الله أحسن الله إليه، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1] وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بالجنة كُلُوْا أيها المكذبون! بذلك اليوم وَتَمَتَّعُوْا في الدنيا، أمر تهديد قَلِيْلًا من الأيام إِنَّكُمْ مُّجْرِمُوْنَOوَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بالمنعم وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ ارْكَعُوْا تواضعوا لله بالخشوع والخضوع لَا يَرْكَعُوْنَO لا يمتثلون به وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بالأوامر والنواهي فَبِأَيِّ حَدِيْثٍ بَعْدَهٗ بعد القرآن يُؤْمِنُوْنَOع.

سورة النباء مكية، وهي أربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

عَمَّ عن أيِّ شيئ، أصله: عن ما يَتَسَاءَلُوْنَO أي: كفار مكة نبيهم، أو يسألون المؤمنين استهزاءا، استفهام تفخيم عن البعث، يتساءلون عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيْمِO عن الخبر ذي العظمة الَّذِيْ هُمْ فِيْهِ مُخْتَلِفُوْنَO فمنهم من يقطع بعدمه ومنهم من يشك، وقيل: المؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه كَلَّا ردع عن الاختلاف سَيَعْلَمُوْنَOثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُوْنَO كيف ينكرون ويشكون؟ ما سيعلمون عيانا،

1 – سورة الرحمن، الآية: 60.

والحال أن من أضيف إليه البعث صاحب هذه الأفعال البديعة فيقدر على الإعادة أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًاO فراشا كالمهد وَّالْجِبَالَ أَوْتَادًاO لاستقرارها وَّخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًاO ذكورا وإناثا وَّجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًّاO السبت: القطع، أي: قطعا عن الإحساس لراحة النفس وَّجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًاO ساترا بسواده وَّجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًاO وقت تحصيل [ص930] ما يعيشون به بالانقلابات والحركات في المكاسب وَّبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًاO السماوات السبع الشديدة المستحكمة وَّجَعَلْنَا سِرَاجًا وَّهَّاجًاO مضيّا وقادا جامعا للنور والحرارة، أي: الشمس وَّأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ من السحائب التي شارفت أن تعصرها الرياح فيمطر، أو الرياح التي تنشاء السحاب بالماء مَاءً ثَجَّاجًاO منصبا بكثرة لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا قوت الإنسان وَّنَبَاتًاO قوت البهائم وَّجَنَّاتٍ أَلْفَافًاO مجتمعة ملتفة بعضها فوق بعض، جمع لفيف، كشريف وأشراف، أو لف كجذع وأجذاع، أو لا واحد له إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ بين الحق والباطل كَانَ مِيْقَاتًاO للتثويب والتعذيب يَّوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ بدل عن يوم الفصل، والنافخ: إسرافيل؛ نفخة ثانية فَتَأْتُوْنَ أَفْوَاجًاO من القبور إلى المحشر؛ كل أمة مع نبيها وَّفُتِحَتِ السَّمَاءُ وشقت فَكَانَتْ أَبْوَابًاO من الشقوق لنزول الملائكة وَّسُيِّرَتِ الْجِبَالُ في الهواء فَكَانَتْ سَرَابًاO مثل السراب، يرى في الظاهر أنها جبال، وفي الحقيقة فتتت أجزاؤها، فلم تبق جبليتها إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًاO محل ترصد لخزنة جهنم لمن طغى، أو لخزنة الجنة لمن اتقى؛ ليحرسوهم عن مقابحها عند المجاز عليها لِّلطَّاغِيْنَ مَآبًاO مرجعا للكافرين لَّابِثِيْنَ فِيْهَا أَحْقَابًاO ماكثين في جهنم دهورا، جمع حقب؛ بضم الحاء، ثمانون أو سبعون ألف سنة، قيل: أي: أبدا لتتابع الأحقاب، أو اللبث أحقابا بالوصف الآتي، ثم بوصف آخر، وثم فثم هكذا إلى غير النهاية لَا يَذُوْقُوْنَ فِيْهَا بَرْدًا راحة من حر النار، أو نوما وَّلَا شَرَابًاO يطفؤ عطشهم إِلَّا حَمِيْمًا ماءا حارا جدا وَّغَسَّاقًاO قيحا؛ يسيل من أهل النار جَزَاءً وِّفَاقًاO يوافق عملهم [ص931] إِنَّهُمْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًاO لا يخافون محاسبة الله وَّكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا بالقرآن كِذَّابًاO تكذيبا وَكلَّ شَيْءٍ من العمل أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًاO مكتوبا في اللوح المحفوظ فَذُوْقُوْا فَلَنْ نَّزِيْدَكمْ إِلَّا عَذَابًاOع هي ((أَشَدُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الْكُفَّارِ))، كذا في الحديث[1]إِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ مَفَازًاO موضع فوز، أي: الجنة حَدَائِقَ بدل بعض عن مفازا، أي: بساتين فيها وَأَعْنَابًاO عطف على مفازا، أو حدائق وَّكَوَاعِبَ نواهد، تكعبت ثديهن، جمع كاعبة أَتْرَابًاO جمع ترب، في سنّ واحد، ثلاث وثلاثين سنة وَّكَأْسًا دِهَاقًاO مملوا لَا يَسْمَعُوْنَ فِيْهَا لَغْوًا باطلا وَّلَا

1 – ذكر الثعلبي والخازن بهذه الألفاظ: ((أَشَدُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ)).(أ) الثعلبي: المصدر السابق. 117/10.(ب) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، علاء الدين، (ت: 741هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل: (ط–1، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ). 388/4.

كِذَّابًاOجزاؤهم جَزَاءً مِّنْ رَّبِّكَ عَطَاءً بدل من جزاءا، أي: ذلك الجزاء من إفضاله وإنعامه، إذ لا يجب عليه شيء حِسَابًاO كافيا، يليق أن يقال: حسبي هذا العطاء رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ بالجر، صفة له لَا يَمْلِكوْنَ مِنْهُ خِطَابًاO أي: لا يقدر أهل السماوات والأرض منه تعالى مطلق الخطاب خوفا، أو خطاب الشفاعة إلا بإذنه يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ جبرائيل عليه السلام، أو أعظم ملك في الخلقة، أو جنس الروح وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُوْنَ في شفاعة أحد مع أنهم خواص الله، فكيف غيرهم؟ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًاO في أمر الشفاعة ذَالِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ الثابت وقوعه، أي: القيامة فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ إلى طاعته مَآبًاO مرجعا ليثاب، وليسلم من العذاب إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ أيها الكفرة! عَذَابًا قَرِيْبًا آتيا، قال: كل آت قريب يَّوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ من خير وشر، وأكثر ما يفعل به؛ هي اليد وَيَقُوْلُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِيْ كنْتُ تُرَابًاO[ع] في الدنيا، فلم أخلق ولم أكلف، أو يقول عند قوله تعالى للبهائم [ص932] بعد الاقتصاص: كونوا ترابا، فيتمنى كونه ترابا مثلها.

سورة النازعات مكية، وهي أربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالنَّازِعَاتِ أقسم بملائكة تنزع أرواح الكفرة غَرْقًاO نزعا من أقاصي أبدانهم بالشدة وَّالنَّاشِطَاتِ وبملائكة تخرج أرواح المؤمنين نَشْطًاO إخراجا بالرفق والنشاط وَّالسَّابِحَاتِ سَبْحًاO وبملائكة تسبح وتغوص في أبدانهم غوصا لإخراج أرواحهم فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًاOفَالْمُدَبِّرٰتِ أَمْرًاO فبملائكة تسبق بأرواح الكفار إلى النار، وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فتدبر أمر العقاب والثواب للصنفين، أو بملائكة تسبحون من السماء بأمره تعالى، وتسبق إلى ما أمروا به، فتدبر مصالح العباد من الخير والشر في المعاش والمعاد، وجواب القسم لتبعثن يا كفار مكة، اذكر يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُO تتحرك حراكا شديدا لمتحركة، أي: النفخة الأولى، وصفت بما يحدث بحدوثها، لأنه يضطرب بها الأرض حتّى يموت كل حيوان بهولها تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُO تتلوها التالية، أي: النفخة الثانية التي تأتي بعد مضى أربعين سنة من الأولى قُلُوْبٌ يَّوْمَئِذٍ وَّاجِفَةٌO مضطربة أَبْصَارُهَا أي: أبصار أصحاب القلوب خَاشِعَةٌO ذليلة لهول ما ترى، قلوب مبتداء، واجفة صفة أبصارها، خاشعة خبر المبتداء يَقُوْلُوْنَ أي: الكفار استهزاءا ءَإِنَّا لَمَرْدُوْدُوْنَ فِي الْحَافِرَةِO في الطريقة المسلوكة من الحياة، أي: نعود إليها ءَإِذَا كنَّا عِظَامًا نَّخِرَةًO متفتة قريبة التحول إلى التراب قَالُوْا سخرية تِلْكَ أي: رجعتنا إِذًا إن صحت كَرَّةٌ رجعة خَاسِرَةٌO

ذات خسران، أو خاسر أصحابها لإنكارهم إياها، لا تصعبوها على الله فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ صيحة وَّاحِدَةٌO أي: النفخة الثانية، فإذا [ص933] نفخت فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِO بالأرض البيضاء المستوية القريبة من جبل أريحا، المعدة للمحشر أربعون أضعافا أرض الدنيا، قيل: اسم جهنم هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ مُوْسَىO ليسلّيك على تكذيب قومك إياك، فإنه قوم موسى عليه السلام مع غرته أصابه من تكذيب الرسول ما أصابه إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًىO اسم واد. ينوّن، ولا ينوّن، أو بمعنى مرتين، أي: قدسه تقديسا بعد تقديس، أو ناداه نداءا بعد نداء إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىO تجاوزعن الحد في التكبر فَقُلْ هَلْ لَّكَ يا فرعون! ميل إِلَى أَنْ تَزَكَّىO من الكفر والطغيان وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ أي: معرفة بذكر الصفات فَتَخْشَىO بامتثال الأوامر والنواهي، والخشية؛ إنما هي للعلماء فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكَبْرَىO اليد، أو العصا، أو كلاهما، فإنهما في حكم آية واحدة فَكَذَّبَ فرعون موسى وَعَصَىO الله بالثبات على الكفر ثُمَّ أَدْبَرَ عن قبول الإيمان يَسْعَىO يسرع في الأرض بالفساد، أو أدبر عن خوف الثعبان، وكان طياشا خفيفا، يسعى في الأرض صونا لنفسه عن إهلاك الثعبان فَحَشَرَ جمع جنده، أو السحرة فَنَادَىO على رؤس الأشهاد فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى من الأرباب الأخرى، فإن الأصنام كانت على صورته، وهو الرب الأكبر من بينهم فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ عاقبه الله عقوبة الآخرة بالإحراق وَالْأُوْلَىO بالإغراق إِنَّ فِيْ ذَالِكَ في أخذه في الدنيا بالإغراق لَعِبْرَةً اعتبارا لِّمَنْ يَّخْشَىO[ع] الله تعالى ءَ أَنْتُمْ يا منكري البعث! أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ولظهور أشدية خلق السماء أثبته وشرع في إتمام أمره، فقال: بَنَاهَاOرَفَعَ سَمْكَهَا أي: أعلى بنوها [ص934] وسقفها إلى جهة العلو مسيرة خمس مائة عام فَسَوَّاهَاO جعلها مستوية تحديبا وتعقيرا من غير شقوق وفطور وَأَغْطَشَ أظلم لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَاO ضوء شمسها، أضاف إلى السماء لحدوثهما في حركتها وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ بعد تخليق السماء دَحَاهَاO أي: بسطها، وقد كانت مخلوقة قبل خلقة السماء إلا أنها دحيت وبسطت بعد تخليقها أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا بتفجر العيون وَمَرْعَاهَاO ما ينتفع به الإنسان والبهائم وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَاO أثبتها ليستقر الأرض مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْO منفعة لكم ولمواشيكم فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىO أي: البلية التي هي أكبر من جميع البليات، أي: يوم القيامة يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ بدل من إذا مَا سَعَىO في الدنيا من خير وشر مدونة في كتاب يتذكر الأعمال بعد النسيان وَبُرِّزَتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَّرَىO لمن يجيء منه الرؤية فَأَمَّا مَنْ طَغَىO كفر وجاوز عن الحد وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَاO على الآخرة باتباع الشهوات فَإِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَأْوَىO أي: مأواه وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ أي: مقام بين يديه للحساب، ولا يخفى عليه خافية وَنَهَى زجر النَّفْسَ الأمارة بالسوء عَنِ الْهَوَىO عن الميلان إلى شهواتها، كان الرجل يهمّ بالمعصية، ثم

يتذكر قيامه للحساب، فيتركها فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىO أي: مرجعه يَسْئَلُوْنَكَ أي: كفار مكة عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَاO متي إرساءها وإقامتها وإثباتها؟ فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكرَاهَاO في أيّ شيء أنت من ذكر الساعة؟ أي: ليس عندك علمها حتّى تجيب السائل: إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَاO [ص935] منتهى علمها إلى الله، لا يعلمه غيره إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَّخْشَاهَاO إنذارك؛ إنما ينفع لمن يخشى الله، ويخافه كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا أي: الكفار يوم يرون القيامة لَمْ يَلْبَثُوْا في قبورهم إِلَا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَاOع أي: عشية يوم، أو ضحى ذلك اليوم، وإنما أضاف إلى العشية لمناسبة بينهما؛ إذ هما طرفا النهار.

سورة عبس مكية، وهي اثنان وأربعون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

عَبَسَ كلح النبي صلى الله عليه وسلم وَتَوَلَّىO أعرض لأجل أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىO عبد الله بن شريح بن مالك، ويقال له: ابن أم مكتوم، وهي أم أبيه، روي: أنه جاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو بدعوة الإسلام لصناديد قريش، ولم يدر أنه عليه الصلاة والسلام يدعو أشراف قريش، فقال: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم علمني مما علمك الله، وكرر الالتماس، فكره قطعه لكلامه، فعبس وأعرض عنه، فنزلت، فكان بعد ذلك إذ جاءه يقول: ((مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِيْ فِيْهِ رَبِّيْ، وَيَبْسُطُ لَهُ رِدَاءَهُ، وَاسْتَخْلَفَهُ فِي الْمَدِيْنَةِ مَرَّتَيْنِ))[1] وَمَا يُدْرِيْكَ أيّ شيء يجعلك داريا؟ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىO عن الآثام بما يتعلم منك أَوْ يَذَّكَّرُ يتعظ منك فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىO أي: العظة، والضمير في لعله للأعمى، أو للكافر؛ الذي كان عليه الصلاة والسلام باهتمام إسلامه أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىO بالمال فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى تتعرض مقبلا عليه حرصا على إيمانه وَمَا عَلَيْكَ وزر أَلَّا يَزَّكَّىO أن لا يهتدي ذلك الغني، لأنه ليس عليك إلا البلاغ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىO يسرع لتحصيل العلم وَهُوَ يَخْشَىO الله فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىO تتشاغل، أصله: تتلهى كَلَّا ردع عما فعل، أي: لا تفعل مثل ذلك إِنَّهَا أي: الآيات تَذْكِرَةٌOفَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُO حفظه، تذكير الضمير الراجع إلى التذكرة، لأنها بمعنى الذكر فِيْ صُحُفٍ أي: هي [ص936] مثبتة فيها مُكَرَّمَةٍO عند الله مَّرْفُوْعَةٍ في السماء، أو في القدر مُّطَهَّرَةٍO عن أيدي الشياطين بِأَيْدِيْ سَفَرَةٍO كتبته من الملائكة، ينتسخونها من اللوح المحفوظ كِرَامٍ بَرَرَةٍO أعزاء على

---

1 – (أ) ابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم، الغرناطي، (ت: 741هـ). التسهيل لعلوم التنزيل: (ط–1، د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ). 452/2.

(ب) الشربيني: المصدر السابق. 448/4.

الله، أتقياء له تعالى قُتِلَ الْإِنْسَانُ لعن الكافر مَا أَكْفَرَهُO ما أشد كفره، أو ما حمله على الكفر مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حقير خَلَقَهُO أي: لا ينظر إلى مبدء حدوثه خلقه مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُO أطوارا إلى تمام الخلقة ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَهُO بفتح فم الرحم، وانتكاس الولد، أو سبيل الخير والشر ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُO جعله ذا قبر، أي: ستره عن السباع كرامة ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُO للبعث كَلَّا ردع للإنسان عما هو عليه لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُO أي: لم يفعل ولم يؤد المأمور كما هو، بل سبق التفريط والإفراط منه في الخير والشر فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نظر اعتبار إِلَى طَعَامِهِOأَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ من السحاب صَبًّاOثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّاOفَأَنْبَتْنَا فِيْهَا حَبًّاO كالحنطة والشعير وَّعِنَبًا وَّقَضْبًاO أي: الرطبة ألقت: وهو العشب الذي لا ساق له، في الفارسية سپست، سميت بها؛ لأنها تقضب، وتقطع مرة بعد مرة وَّزَيْتُوْنًا وَّنَخْلًاOوَّحَدَائِقَ غُلْبًاO أي: بساتين، كانت أشجارها عظيمة، جمع: غلباء وَّفَاكِهَةً الثمار الرطبة وَّأَبًّاO الثمار اليابسة؛ التي تأب وتهيأ للشتاء، وقيل: التبن مَّتَاعًا لَّكُمْ أي: فعلنا كل ذلك منفعة لكم وَلِأَنْعَامِكُمْOفَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُO أي: النفخة الثانية، فإنها تصخ آذان السامعين وتصمها، ظهر هول وفزع يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ إعانة أَخِيْهِOوَأُمِّهِ وَأَبِيْهِOوَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْهِOلِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ [ص937] يُّغْنِيْهِO عن التوجه إلى مقاصد الغير، فإن لكل شغل يشغل عن شغل غيره وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌO مشرقة ضَاحِكَةٌ بما يرى النعيم مُّسْتَبْشِرَةٌO بالنجاة عن النيران، والفوز إلى الجنان وَوُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌO غبار تَرْهَقُهَا تغشها قَتَرَةٌO ظلمة أُولٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ في حقوق الله الْفَجَرَةُOع في حقوق العباد، جمعوا بين الكفر والفجور، فجوزوا بالغبار والظلمة.

سورة التكوير مكية، وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْO لفت وأظلمت؛ تفسير لرافع الشمس وَإِذَا النُّجُوْمُ انْكَدَرَتْO انقضت وتساقطت على الأرض وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْO عن وجه الأرض هباءا في الهواء وَإِذَا الْعِشَارُ النوق؛ التي مضت على حملها عشرة شهور، جمع عشراء، وهي على أموال العرب عُطِّلَتْO أهملت بلا رغبة فيها لاشتغالهم بأنفسهم، أو بلا راع وَإِذَا الْوُحُوْشُ حُشِرَتْO للاقتصاص، فيجعل ترابا إلا ما فيه سرور لبني آدم كالطاؤس ونحوه وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْO أحميت، فجعلت نارا، أو مزجت المملوحة بالحلو وَإِذَا النُّفُوْسُ أي: الأرواح زُوِّجَتْO قرنت بالأجساد أو الطالح بالطالح، والصالح بالصالح وَإِذَا الْمَوْءُوْدَةُ أي: الجارية المدفونة حية سُئِلَتْOبِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْO سؤال تبكيت، أي: قتلت بلا

ذنب، وكانت العرب تئيد البنات خشية الإنفاق، وخوف الاسترقاق وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْO بسطت ليقرء صاحبها وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْO نزعت عن أماكنها، كما ينزع الإهاب من الذبيحة وَإِذَا الْجَحِيْمُ سُعِّرَتْO أوقدت بالشدة وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْO قربت من المتقين عَلِمَتْ نَفْسٌ [ص938] مَّا أَحْضَرَتْO من خير وشر، جواب لجميع ما سبق، والمراد: زمان متسع يشمل مبادي الساعة، والساعة وفي تنكير نفس العموم فَلَا أُقْسِمُ لا زائدة بِالْخُنَّسِO أي: الكواكب غير النيرين من السيارات الرواجع في مجريها من خنس، إذا تأخر بينا ترى النجم في آخر البرج، اذكر راجعا إلى أوله، وهي الزحل والمشتري والمريخ والزهرة والعطارد الْجَوَارِ أي: السيارات الْكُنَّسِO الغيّب في ضوء الشمس وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَO أقبل أو أدبر بظلامه، فهو من الأضداد وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَO أي: تروّح وتنسّم، أضاء وامتد حتّى تصير نهارا بيّنا إِنَّهُ القرآن لَقَوْلُ رَسُوْلٍ جبرائيل عليه السلام، قاله عن الله كَرِيْمٍO عنده تعالى ذِيْ قُوَّةٍ أي: ذي قدرة على ما يأمره الله تعالى، فلا يعجز عنه عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ أي: عند الله سبحانه مَكِيْنٍO ذي مكانة وجاه مُّطَاعٍ تطيعه الملائكة ثَمَّ في السماء أَمِيْنٍO في إيصال الوحي، وثم يحتمل الطرفين بالانضمام، وضمه بصفة الأمانة أولى وَمَا صَاحِبُكُمْ يعني: محمد صلى الله عليه وسلم بِمَجْنُوْنٍO كما يزعم الكافرون، من جملة المقسم عليه وَلَقَدْ رَآهُ أي: رآى محمد صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه السلام في صورته؛ التي خلق عليها بِالْأُفُقِ الْمُبِيْنِO أي: بمطلع الشمس وَمَا هُوَ أي: محمد صلى الله عليه وسلم عَلَى الْغَيْبِ أي: على ما ظهر له من الغيب، كالقرآن والأخبار السماوية بِضَنِيْنٍO ببخيل، ينقص منه شيئا وَمَا هُوَ القرآن بِقَوْلِ شَيْطَانٍ استرقه من السماء رَّجِيْمٍO مرجوم بالشهب فَأَيْنَ تَذْهَبُوْنَO من الصدق والصواب إلى الكذب والخطاء في أمر القرآن إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِيْنَO أي: ما هو إلا عظة للثقلين لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَّسْتَقِيْمَO على الحق، فهم المنتفعون به وَمَا تَشَاءُوْنَ الاستقامة على الحق إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اللهُ استقامتكم عليه رَبُّ الْعَالَمِيْنَOع مالك الملك.

سورة الانفطار مكية، وهي تسع عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص939] إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْO انشقت وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْO تساقطت بالتفريق وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْO فتح بعضها في بعض فصار الكل بحرا واحدا، يختلط العذب بالمالح وَإِذَا الْقُبُوْرُ بُعْثِرَتْO الراء للإلحاق، أي: بعثت عَلِمَتْ نَفْسٌ أي: كل نفس مَّا قَدَّمَتْ من الخير والشر

وَأَخَّرَتْO منهما، جواب إذا يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ العاصي مَا غَرَّكَ أيّ شيء خدعك؟ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِO حتّى عصيته، فإن صفة الكرم أدفع للغرور، وقال بعض: غرّني كرمك الَّذِيْ خَلَقَكَ أوجدك من العدم فَسَوَّاكَ جعلك سالم الأعضاء فَعَدَلَكَO جعلك متناسب الأعضاء، لا يوجد في غيرك من الحيوانات فِيْ أَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَO ما زائدة، أي: في أيّ صورة من الذكورة أوالأنوثة أو الحسن أو القبح كَلَّا ردع عن الاغترار والغفلة عن الله، أو عن إنكار يوم القيامة بَلْ تُكَذِّبُوْنَ يا كفار مكة بِالدِّيْنِO أي: بالجزاء، أو بالإسلام وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِيْنَOكِرَامًا على الله كَاتِبِيْنَO للعمل يَعْلَمُوْنَ جميع مَا تَفْعَلُوْنَO من غير تسامح وإهمال إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِيْ نَعِيْمٍO جنة وَإِنَّ الْفُجَّارَ الكفار لَفِيْ جَحِيْمٍO نار محرقة يَّصْلَوْنَهَا يدخلونها يَوْمَ الدِّيْنِO يوم الجزاء وَمَا هُمْ عَنْهَا عن الجحيم بِغَائِبِيْنَO بمخرجين وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِO تفخيم لشأن اليوم ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِO لا تدرك كنهه لغاية الفخامة يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ من النفوس لِّنَفْسٍ ما شَيْئًا من النصر والعون وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلّٰهِOع الربع الحكم فيه له تعالى بلا واسطة. **سورة التطفيف مكية، وهي ست وثلاثون آية.**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص940] وَيْلٌ عذاب، أو واد في جهنم لِّلْمُطَفِّفِيْنَO التطفيف: التحقير والتقليل في الكيل والوزن، كان أهل المدينة يطففون في المكائيل والموازين، سيما أبو جهينة[1]، كان له مكيالان: بكبيرهما يشتري، وبصغيرهما يبيع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان في طريق المدينة، نزلت هذه السورة، ومنعوا عن التطفيف، وأنه يورث القحط، ومنع النبات، كما ((أَنَّ بِنَقْضِ الْعَهْدِ تَسْلِيْطَ الْعَدُوِّ، وَبِالْمَعَاصِي الْفَقْرَ، وَبِالْفَاحِشَةِ الْمَوْتَ، وَبِمَنْعِ الزَّكَاةِ حَبْسَ الْقَطْرِ))، كذا في الحديث[2]. الَّذِيْنَ إِذَا اكْتَالُوْا عَلَى النَّاسِ أي: منهم يَسْتَوْفُوْنَO يأخذونها وافية وَإِذَا كَالُوْهُمْ أي: لهم، فحذف الجار، وأوصل الفعل أَوْ وَّزَنُوْهُمْ أي: لهم يُخْسِرُوْنَO أي: ينقصون الكيل والوزن أَلَا يَظُنُّ استفهام توبيخ

---

1 – أبو جهينة: هو صاحب الصاعين بالمدينة. الثعلبي: المرجع السابق. 150/10.

2 – أشار المؤلف إلى الحديث مختصرا، والحديث الكامل؛ ولفظه للطبراني: ((مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلَا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ)). الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، (ت: 360هـ). المعجم الكبير: (ط–2، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون سنة النشر). باب العين، طاوس عن ابن عباس، رقم الحديث: 10992. 45/11.

أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوْثُوْنَOلِيَوْمٍ عَظِيْمٍO فمن يظن البعث لا يتجاسر على مثل هذا القبيح، فكيف عند تيقنه؟ وعظمة اليوم لعظمة وقائعه يَّوْمَ منصوب بمبعوثون يَقُوْمُ النَّاسُ من قبورهم لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَO لأجل أمره وحسابه وجزائه كَلَّا ردع عن التطفيف والغفلة عن الحساب، أو بمعنى حقا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ صحيفتهم لَفِيْ سِجِّيْنٍO هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة من الثقلين، سمي به؛ لأنه سبب للسجن، أو اسم أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّيْنٌOكِتَابٌ مَّرْقُوْمٌO أي: معلم بعلامة كل من يراه علم أنه لا خير فيه من قولهم رقم الثياب، أي: علامتها وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِيْنَO بالبعث الَّذِيْنَ يُكَذِّبُوْنَ بِيَوْمِ الدِّيْنِOوَمَا يُكَذِّبُ بِهِ بهذا اليوم إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ متجاوز عن الحد أَثِيْمٍO كثير الإثم، يعد الإعادة منه تعالى محالا بإغماض النظر عن سطوع أقداره في المبداء إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيْرُ [ص941] الْأَوَّلِيْنَO الحكايات التي سطرت قديما، جمع: أسطورة كَلَّا ردع عن هذا القول بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوْبِهِمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَO الرين: غشاوة وصداء، عرضت قلوبهم بسبب معاصيهم، فكل معصية يورث نقطة سوداء في القلب، ثم يحصل بملكة المعاصي صداءا، يحيط صفحة القلب، ودواها إدمان الصوم، فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام كَلَّا ردع عن تحصيل هذا الرين إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوْبُوْنَO فلا يرونه بما عرض لهم من الرين ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيْمِO لداخلوها ثُمَّ يُقَالُ لهم هٰذَا العذاب الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُوْنَOكَلَّا تكرار الردع السابق، أو عن التكذيب إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ صحيفتهم لَفِيْ عِلِّيِّيْنَO كتاب جامع لأعمال الملائكة والمؤمنين من الثقلين، منقول من جمع عليّ فعّيل من العلو، أو مكان في السماء السابعة تحت العرش، يسكنه المقربون وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّوْنَO أيّ شيء هو؟ أو كتابه كِتَابٌ مَّرْقُوْمٌO معلم بعلامة كل من يراه علم أن الخير فيه يَّشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُوْنَO الملائكة يحضرونه، أو يشهدون على ما فيه إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِيْ نَعِيْمٍO جنة عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُوْنَO إلى ما أنعموا به، وما عذب به أعدائهم تَعْرِفُ فِيْ وُجُوْهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيْمِO بهجة التنعم، وبهائه، وطراوته يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيْقٍ خمر خالص مَّخْتُوْمٍO لا يفك ختامه إلا أهله خِتَامُهُ مِسْكٌ مقام الطين، أو آخر شربة منه يفوح بالمسك وَفِيْ ذَالِكَ الرحيق، أو النعيم فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُوْنَO فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة، ليصلوا بها إلى هذا الرحيق أو النعيم وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيْمٍO علم لعين بعينها خالص لأهل القرب، الذين لم يشتغلوا بغيره تعالى، وأما سائر لأهل اليمين فمنه مزاج في شرابهم عَيْنًا منصوب بالمدح [ص942] يَّشْرَبُ بِهَا منها الْمُقَرَّبُوْنَOإِنَّ الَّذِيْنَ أَجْرَمُوْا هم صناديد القريش؛ منهم أبو جهل كَانُوْا مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا كعمار وبلال وصهيب يَضْحَكُوْنَO استهزاءا وَإِذَا مَرُّوْا أي: المؤمنون بِهِمْ بالكفار يَتَغَامَزُوْنَO يشير بعضهم إلى بعض تهكما واستهزاءا وَإِذَا انْقَلَبُوْا أي: الغامزون إِلَى أَهْلِهِمُ

انْقَلَبُوْا فَكِهِيْنَ O متلذذين بالسخرية منهم وَإِذَا رَأَوْهُمْ أي: الكفار إذا راوا المؤمنين قَالُوْا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّوْنَ O عما كان عليه آباؤهم، وتركوا اللذات الحقيقية في الدنيا بما يرجونه في الآخرة من الكرامات الخيالية وَمَا أُرْسِلُوْا أي: الكفار عَلَيْهِمْ على المؤمنين حَافِظِيْنَ O لهم حتّى يردوهم إلى مصالحهم فَالْيَوْمَ يوم القيامة الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ O كما ضحكوا منهم في الدنيا عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُوْنَ O من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ هل جوزي الكفار؟ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ O ع نعم جوزوا.

سورة الانشقاق مكية، وهي خمس وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ O

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ O من المجرة بالغمام وَأَذِنَتْ امتثلت لِرَبِّهَا لحكم ربها وَحُقَّتْ O وحق لها أن تسمع، وتطيع لأمر الله، ولا تمتنع وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ O بسطت كمال البسطة باندكاك الجبال والآكام وَأَلْقَتْ مَا فِيْهَا من الكنوز والأموات وَتَخَلَّتْ O عنه بالكلية وَأَذِنَتْ لَرَبِّهَا امتثلت في الإلقاء والتخلية وَحُقَّتْ O أي: حقيقة بالانقياد، وجواب إذا لقي الإنسان ما عمل يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ جاهد ومجتهد إِلَى إلقاء رَبِّكَ أي: الموت كَدْحًا جهدا واجتهادا فَمُلَاقِيْهِ O فأنت ملاق الكدح، إن خيرا فخير وإن شرا فشر فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ [ص943] كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ O فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيْرًا O هينا، سهلا، أي: المؤمن يتجاوز عن سيئآته، ويجازي بحسناته وَّيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ إلى عشيرته المؤمنين، أو إلى الحور مَسْرُوْرًا O بعدم المناقشة وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ O وهو الكافر تغل يمناه إلى عنقه، ويجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه فَسَوْفَ يَدْعُوْا يطلب ثُبُوْرًا O هلاكا وَّيَصْلَى سَعِيْرًا O يدخلها إِنَّهُ كَانَ فِيْ أَهْلِهِ في الدنيا مَسْرُوْرًا O بالكفر والمال والجاه والأتباع إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَّنْ يَّحُوْرَ O لن يرجع إلى الرب بَلَى يرجع إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ وبأعماله بَصِيْرًا O فلا يمهله، بل يرجعه ويجازيه فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ O بالبياض بعد الحمرة في الأفق بعد الغروب، أو الحمرة وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ O جمعه وستره من الكائنات وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ O اجتمع نوره، وصار بدرا لَتَرْكَبُنَّ أيها الإنسان طَبَقًا حالا عَنْ طَبَقٍ O بعد حال، مطابقة لأختها من حالات الترح فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ O فأي جهة أو مانع لهم في أن لا يؤمنوا بيوم القيامة؟ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُوْنَ O السجدة كالمؤمنين، بل يصفقون على رؤس المؤمنين الساجدين استهزاءا بهم، وقيل: لا يخضعون بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُكَذِّبُوْنَ O بالبعث وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوْعُوْنَ O يجمعون من الغل والحسد للمؤمنين في صدورهم،

أو في صحفهم من التكذيب والكفر فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍO إِلَّا لكن الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍO[ع] غير منقوص، أو غير مقطوع، أو غير ممنون به.

سورة البروج مكية، وهي اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِO هي اثنا عشرة حصة، منها للكواكب السيارات والثوابت، والتركيب بمعنى [ص944] الظهور وَالْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِO أي: القيامة وَشَاهِدٍ وَّمَشْهُوْدٍO وعابد ومعبود، أو الجمعة وأهلها، أو العرفة وأهلها، أو النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، أو الأعضاء والآدمي. وجواب قسم، قد لعن كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود قُتِلَ هلك ولعن أَصْحَابُ الْأُخْدُوْدِO أي: الشق في الأرض، روي مرفوعا: ((إن ملكا، اسمه ذو نواس[1] كان كافرا، وكان له وزير ساحر مدار المهام، فلما ضعف من الشيب، قال للملك: أريد أن أعلم ولدا حرا ما علمت، ويكون لك وزيرا مثلي من بعدي، فأخذ في تعليم ولد صالح، وكان على ممره راهب، يعبد الله وحده، ويزهد فيه، فمال قلبه إلى صحبته، ونفر عن صحبة الساحر، فرأى ذات يوم حية، قد حبست الطريق على المارة، فقال: اللّهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فأقتلها بهذا الحجر، فرمى به فقتلها، فآمن الناس بربه، وكان الولد مستجاب الدعوات، يشفى المرضى بدعائه، وكان حاجب الملك أعمى فاستشفى منه، فدعا له، فصار بصيرا، فآمن بالله، فسأله الملك: عمن أبرءه؟ فقال: ربي، فغضب الملك، وعذبه، فدل على الولد الصالح، فعذبه، فدل على الراهب، فقتله بالمنشار، وأرسل الولد إلى ذروة الجبل لتردى منه فسلم، وهلكوا بدعائه عليهم، وأدخله في سفينة ليغرق، فأغرقوا بدعائه عليهم، ونجا فأدخله في النار، فاحترقوا بدعائه عليهم، ونجا، فصلبه، ورمي بالسهام، فسلم، فقال الولد الصالح: إن تهم قتلي فاخرج سهما من كنانتي، وارمني به، وقل: باسم رب الولد، فوقع في صدغه، ومات، وآمن الناس طرا برب

1 – ذو نواس: هو ذو نواس الحميري: آخر ملوك حمير في اليمن. في اسمه واسم أبيه اضطراب. وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم. كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية، فسار إليهم، وحفر أخاديد حفرا مستطيلة، وملأها جمرا، وجمع أعيان المتنصرين منهم، فعرضهم على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أبى هوى. واتفق الرومان والحبشة على قتاله، فزحف النجاشيّ؛ ملك الحبشة وكان على النصرانية، بجيش كبير، فقاتله ذو نواس على ساحل البحر الأحمر عند عدن، فكان الظفر للنجاشي، وخاف ذو نواس الأسر فأطلق جواده نحو البحر، فألقى نفسه راكبا فمات غريقا. قال النويري: وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، فجميع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة. الزركلي: المرجع السابق. 8/3.

الولد، فأخذ الملك الأخاديد، واملاءها بالنار، فمن لم يرجع إلى الكفر كان يطرحه فيها))[1]. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِO بدل اشتمال من الأخدود، والوقود: ما يوقد به، وصف لها بالعظمة إِذْ هُمْ عَلَيْهَا أي: على حولها الكراسي قُعُوْدٌOوَّهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُوْنَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ [ص945] من الإلقاء في لهب النار شُهُوْدٌO عند الملك، قيل: قبض أرواح المؤمنين الذين ألقوا فيها قبل وقوعهم في النار، وخرجت النار من الأخدود، وأحرقت من كان حولها من الكفرة وَمَا نَقَمُوْا ما أنكروا، وما عابوا مِنْهُمْ من المؤمنين إِلَّا أَنْ يُّؤْمِنُوْا بِاللهِ الْعَزِيْزِ الغالب الْحَمِيْدِO المحمود الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌOإِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بلوهم بالإحراق ثُمَّ لَمْ يَتُوْبُوْا عن هذه المعصية، وختموا عليها فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِO الزائد في الإحراق، أو لهم في الدنيا عذاب الحريق من النار في الأخاديد بانقلابها عليهم إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَالِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيْرُO بالنسبة إلى ما في الدنيا إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ بالكفار، أي: أخذه بالغضب والعنف لَشَدِيْدٌO بالنسبة إلى الغير إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ الخلق وَيُعِيْدُO أو يبدئ البطش في الدنيا، ويعيده في الآخرة وَهُوَ الْغَفُوْرُ لمن تاب الْوَدُوْدُO لمن أطاع ذُو الْعَرْشِ خالقه ومالكه الْمَجِيْدُO المتعالي في ذاته وصفاته، بالرفع، {وقيل: بالجر؛ صفة العرش ومجده ورفعته}[2] صفة ذو العرش فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُO لا يعجزه غيره فيما أراد هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ الْجُنُوْدِOفِرْعَوْنَ وَثَمُوْدَO بدلان من الجنود، كيف كذبوا رسلهم؟ فكيف جازينا به؟ تسلية له عليه السلام في تكذيب قريش، فإنه يحيق بهم ما حاق بهم بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا من قريش فِيْ تَكْذِيْبٍO دائما، عنادا مع تسامع أخبار السلف وَّاللهُ مِنْ وَّرَائِهِمْ مُّحِيْطٌO لا يشذ مكذب من حيطة ضبطه، يصيبه ما أصابهم بَلْ هُوَ قُرْآنٌ [ص946] مَّجِيْدٌO متعال عن سائر الكتب في النظم، والمعنى: مكتوب فِيْ لَوْحٍ فوق السماء السابعة في الهواء مَّحْفُوْظٍOع عن التغير، والتبديل، والشياطين.

---

1 – (أ) مسلم: المصدر السابق. كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث: 3005. 2299/4. (ب) ابن أبي شيبة: المرجع السابق. حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 482. 323/1.

2 – ما بين المعقوفتين ساقط من أ، والتصويب من ب، ج.

سورة الطارق مكية، وهي سبع وعشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِO النجم الظاهر، أو الشهاب الراجم بالليل، وأصله: كل آت فيه وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُOالنَّجْمُ الثَّاقِبُO المضيء، يثقب الظلام بنوره إِنْ نافية كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا بمعنى إلا عَلَيْهَا حَافِظٌO لعلمها من الملائكة، وهو جواب القسم فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ بالاعتبار مِمَّ خُلِقَO ما استفهامية، خفف بحذف الألف خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍO جواب الاستفهام، أي: ذي دفق من الرجل والمرأة في رحمها يَّخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ظهر الأب وَالتَّرَائِبِO عظام صدر المرأة، أي: الأم إِنَّهُ تعالى عَلَى رَجْعِهِ بالإعادة لَقَادِرٌO كما هو قادر على إبدائه يَوْمَ تُبْلَى تظهر وتميز السَّرَائِرُO من العقائد، والنيات الخير من الشر، والطيب من الخبيث فَمَا لَهُ للإنسان مِنْ قُوَّةٍ يمتنع بها عن عذاب الله تعالى وَّلَا نَاصِرٍO ينصره بالدفع وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِO المطر للأنبات وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِO انشق بالنبات والمياه، جواب القسم إِنَّهُ أي: القرآن لَقَوْلٌ فَصْلٌO فاصل بين الحق والباطل وَّمَا هُوَ بِالْهَزْلِO فإنه جدلا شائبة للعبث والباطل فيه إِنَّهُمْ يَكِيْدُوْنَ يمكرون كَيْدًاO مكرا في إبطال النبوة والقرآن وَّأَكِيْدُ كَيْدًاO أجزي جزاء الكيد باستدراجهم من حيث لا يعلمون كيدي، وسمي الجزاء كيدا كما سمي جزاء الاعتداء، والسيئة اعتداءا، وسيئة للمشاكلة فَمَهِّلِ الْكَافِرِيْنَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًاOع أي: لا يشتغل بالانتقام منهم، وانظرهم قليلا من الزمان إمهالا يسيرا، فقد أخذوا ببدر، ونسخ الأمر بالإمهال [ص947] بآية السيف.

سورة الأعلى مكية، وهي تسع عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

سَبِّحِ نزه عما لا يليق به اسْمَ زائد رَبِّكَ الْأَعْلَىO علو مكانة، لا علو مكان الَّذِيْ خَلَقَ أوجد فَسَوَّىO جعل لكل شيء وما يتأتى به كماله وَالَّذِيْ قَدَّرَ أي: قدر الذوات الموصوفة بالصفات والأفعال والتأثيرات بالقوة فَهَدَىO إلى الأسباب المخرجة إياها منها إلى الفعل وَالَّذِيْ أَخْرَجَ الْمَرْعَى للدواب عشبا خضرا فَجَعَلَهُ غُثَاءً تبنا يابسا أَحْوَىO أسود؛ صفة غثاءا سَنُقْرِئُكَ على لسان جبرائيل عليه السلام فَلَا تَنْسَىO أصلا، ما قرع سمعك مع أنك أمي، فهذه آية أخرى إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ نسيانه بنسخ تلاوته وحكمه، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يجهر بالقراءة مع جبرائيل عليه

السلام خوف النسيان، فقيل له: لا تعجل، ولا تتعب نفسك بالجهر بها، إنك لا تنسى إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ من القول والفعل وَمَا يَخْفَىO منهما وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىO للشريعة السمحة البيضاء، أو نوفقك للطريقة اليسرى لحفظ الوحي فَذَكِرْ عظ بالقرآن إِنْ نَّفَعَتِ الذِّكرَىO فيهم سَيَذَّكَّرُ سيتعظ مَنْ يَّخْشَىO يخافه، فإنه المنتفع وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَىO أي: يترك الذكرى جانبا الوليد بن المغيرة، وعتبة بن الربيعة الكافر الَّذِيْ يَصْلَى النَّارَ يدخلها الْكُبْرَىO من نار الدنيا ثُمَّ لَا يَمُوْتُ فِيْهَا في النار وَلَا يَحْيَىO لا يستريح بالموت، ولا يرتاح من الحياة قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىO من الشرك، أو يطهر للصلاة، أو أدى الزكاة وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ تكبيرا في الافتتاح فَصَلَّىO الصلوات الخمس بَلْ تُؤْثِرُوْنَ يا أهل الشقاوة الْحَيَاةَ الدُّنْيَاO على الآخرة وَالحال الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَّأَبْقَىO أي: نعيمها ألذ وأدوم من نعيم الدنيا [ص948] إِنَّ هٰذَا أي: فلاح المزكي والمصلي ورجحان الآخرة على الأولى لَفِي الصُّحُفِ الْأُوْلَىOصُحُفِ إِبْرَاهِيْمَ {وكانت عشرا}[1]وَمُوْسَىOع أي: التوراة، أي: ألواحها، بدل من الصحف الأولى.

سورة الغاشية مكية، وهي ست وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

هَلْ بمعنى قد أَتَاكَ حَدِيْثُ الْغَاشِيَةِO القيامة، أو النار؛ تغشى الناس بالشدائد وُجُوْهٌ ذوات يَّوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌO ذليلة من الخزي والهوان عَامِلَةٌ في النار نَّاصِبَةٌO تاعية في ذلك العمل، كجر السلاسل والصعود والهبوط على جبال النار والخوض فيها تَصْلَى تلك الوجوه نَارًا حَامِيَةًO حارة؛ غاية الحرارة تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍO حارة جدا لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍO نبت ذو شوكة، يقال لرطبة: الشبرق، فإذا يبس فهو ضريع؛ لا تأكله دابة لخبثه، وقيل: الضريع: شجرة من النار لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍO فلا فائدة في أكله، لخلوه عن الفائدتين، ولعل طعام قوم الضريع، ولقوم الزقوم، ولقوم الغسلين على تفاوت الدرجات، فلا تناقض بين هذه الآية وقوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[2]وُجُوْهٌ ذوات يَّوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌO متنعمة في العيش اللين لِّسَعْيِهَا في الدنيا بالطاعات رَاضِيَةٌO في الآخرة بما ثوبوا بها فِيْ جَنَّةٍ عَالِيَةٍO قدرا وجسما لَّا تَسْمَعُ تلك الوجوه فِيْهَا لَاغِيَةًO كلمة أو نفسا ذات لغو، فإن أهلها متكلمون بالذكر والحكم والحمد والشكر، لا هذيان أصلا فِيْهَا

---

1 – ما بين المعقوفتين ساقط من أ و ب، والتصويب من ج.

2 – سورة الحاقة، الآية: 36.

عَيْنٌ جَارِيَةٌO ماؤها لاينقطع أبدا فِيْهَا سُرُرٌ مَّرْفُوْعَةٌO قدرا وسمكا لرفعة جالسها وَّأَكْوَابٌ أقداح، لا عري لها مَّوْضُوْعَةٌO بين أيديهم أو على أطراف العيون معدة للشرب وَّنَمَارِقُ جمع نمرقة، أي: وسائد مَصْفُوْفَةٌO بعضها جنب بعض وَّزَرَابِيُّ جمع زربية، [ص949] أي: بسط عراض وفراش فاخرة مَبْثُوْثَةٌO أي: مبسوطة، أو مفرقة في المجالس أَفَلَا يَنْظُرُوْنَ أي: كفار قريش نظر اعتبار إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْO رقيق الجسم، كثير الحمل، قليل الأكل والشرب، ينقاد لكل صغير وكبير، ينتفع بلحمه وجلده ووبره ودره ونسله، بل ببوله وبعرته، فهوآية دالة على كمال قدرته تعالى، وقيل: المراد منه: تعجب في خلقته من الجبل؛ فإن ناقة صالح عليه السلام تولدت من الجبل، أو المراد: السحاب وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْO بلا عماد وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْO لا تميل، ليستقر الأرض بها وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْO بسطت، ليكون مهدا للخلائق، فيستدلون بهذه العجائب الأربع إلى وحدانيته وقدرته على البعث فَذَكِّرْ فعظهم بآياته لعلهم يهتدون إلى التوحيد، وقدرته تعالى على الإعادة إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌO ليس عليك إلا التبليغ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍO بمتسلط، وذلك قبل آية السيف والأمر بالجهاد إِلَّا مَنْ تَوَلَّى لكن من أعرض عن الإيمان وَكَفَرَO بالقرآن فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَO أي: عذاب النار، إذ هم معذبون في الدنيا بالقحط والقتل والأسر إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْO رجوعهم ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْOع النصف جزاءهم، وعلى التأكيد الوعيد دون الوجوب.

سورة الفجر مكية، وهي ثلاثون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالْفَجْرِO أقسم بوقت الصبح، أو بصلاة الفجر وَلَيَالٍ عَشْرٍO من أول ذي حجة، أو من المحرم، أو من آخر رمضان وَّالشَّفْعِ وكل زوج وَالْوَتْرِO كل فرد وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِO يمضي، أي: ليلة القدر، أصله يسري، حذفت الياء، واكتفاء بالكسرة، أو المراد: مطلق الليل، أي: الليل إذا أدبر، وجواب القسم لتعذبن يا كفارمكة هَلْ فِيْ ذَالِكَ الذي ذكر [ص950] من الأشياء قَسَمٌ لِّذِيْ حِجْرٍO لذي عقل، أي: هذه الأشياء تصلح، لأن يقسم بها صاحب عقل أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍO الأولي، هم: أولاد عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح، سموا باسم أبيهم، والذين من بعدهم؛ هم عاد الأخيرة إِرَمَ عطف بيان أو بدل من عاد، أي: سبط إرم، المسمى بإرم، وقيل: هو اسم بلدتهم، فالمضاف محذوف، أي: أهل إرم، قيل: كان لعاد ابنان: شداد وشديد، وبعد موت الشديد خلص الإمارة لشداد في كل أرض، فسمع ذكر الجنة، فيبني مثالها في بعض صحارى عدن، وسماه إرم،

وقصد دخوله بعد إتمامها في ثلث مائة سنين، فقبض وكان عمره تسع مائة سنين، وروى عبدالله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها، فحمل ما قدر عليه مماثم، وبلغ خبره معاوية رضي الله عنه، فاستحضره، فقص عليه، فبعث إلى كعب، فساله، فقال: هي إرم ذات العماد، فسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عقبيه خال، يخرج في طلب إبل له، ثم التفت، فابصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل. ولم ينصرف إرم قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث ذَاتِ الْعِمَادِO صفة عاد، أي: هم قدود طوال، طول قامتهم أربعة مائة ذراع، أو أهل خيام سمكي الَّتِيْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِO في البطش، أو الزينة؛ صفة ثانية لازم سواء كان اسم قبيلة، أو اسم بلد وَثُمُوْدَ الَّذِيْنَ جَابُوا قطعوا الصَّخْرَ صخر الجبال للبيوت والمنازل بِالْوَادِO بواد القرى وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِO أي: ذي الجنود الكثيرة والمضارب من الخيم، أو أوتاد التعذيب كما فعل بآسية الَّذِيْنَ طَغَوْا جاوزوا الحد فِي الْبِلَادِO صفة للمذكورين: عاد وثمود وفرعون فَأَكْثَرُوْا فِيْهَا الْفَسَادَO بالكفر والقتل والظلم فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍO أي: نوع [ص951] عذاب، وهو المخلوط من أجناس العذاب، وإنما سمي الجلد سوطا لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، أو يقال: كانت العرب يعد ضرب السوط أشد العذاب، فكل نوع من العذاب إذا بلغوا فيه، قالوا: سوط عذاب، وفيه إشارة إلى أنه عذابهم في الدنيا من الآخرة بمنزلة السوط من السيف إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِO هذا مثل بمكان يرصد العصات للعقاب فَأَمَّا الْإِنْسَانُ نزل في أبي بن خلف المنافق: إِذَا مَا ابْتَلٰهُ امتحنه رَبُّهُ بالغنى واليسر فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ بزخارف الدنيا ليشكر فَيَقُوْلُ رَبِّيْ أَكْرَمَنِO أي: أكرمني؛ فضلني بالعطاء وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ امتحنه بالفقر والعسر ليصبر فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ أي: ضيقه فَيَقُوْلُ رَبِّيْ أَهَانَنِO أي: أهانني كَلَّا ردع له عن فهم الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، فإن هذا ينشاء له عن سوء فهمه، وقصور نظره، بل الإكرام في الحقيقة إنما هو بتوفيق الطاعات، وإن لم يوسع له رزقا في الدنيا، والإهانة، إنما هي بسلب التوفيق، وإن وسع له في الزخارف بَلْ أعجب من هذا القول هذه الخصلة منكم لَّا تُكرِمُوْنَ الْيَتِيْمَO بالنفقة وَلَا تَحَاضُّوْنَ أهليكم عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِO وأما تفقد غير هؤلآء فهم بمراحل عنه وَتَأْكُلُوْنَ التُّرَاثَ أي: الميراث، أصله: وارث، أبدلت الواو بالتاء أَكَلًا لَّمًّاO جمعا بين الحلال والحرام، كانوا يأكلون أنصبا والنساء والصبيان، ولا يبالون في الميراث بما كسب المورث وجه الحلال أو الحرام وَّتُحِبُّوْنَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّاO كثيرا، فتمسكون، ولا تنفقون كَلَّآ ردع لهم عن السلبين والإيجابين إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّاO بنشر الجبال والتلال دكا بعد دك وَّجَاءَ رَبُّكَ أي: أمره وَالْمَلَكُ أي: الملائكة صَفًّا صَفًّاO أي: صفا بعد صف على حسب المراتب [ص952] وَجِايْءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل

زمام سبعون ألف ملك، يجرونها، ولها زفير وتغيظ وشهيق يَوْمَئِذٍ يَّتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ الكافر تذكر اتعاظ وَأَنّٰى لَهُ الذِّكْرٰىO أي: كيف له منفعتها لفوت الإيمان بالغيب؟ يَقُوْلُ متمنيا يَا لَيْتَنِيْ قَدَّمْتُ الخير والإيمان لِحَيَاتِيْO أي: وقت حياة الدنيا فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌO أي: مثل عذاب الله لا يعذب أحد أحدا وَّلَا يُوْثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌO أي: ولا ينكل مثل نكاله تعالى للعصاة بالسلاسل والأغلال أحد أحدا، فالهاء لله، وقيل: للكافر، يقال للإنسان المؤمن عند موته يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُO أي: النفس التي آنست بمعرفته تعالى، واستوحشت من غيره بذكره، أو استقرت بالحق، فلا يشك بعده، أو الآمنة المؤمنة، لا يؤثر فيها خوف وحزن ارْجِعِيْ إِلَى رَبِّكِ إلى غفرانه رَاضِيَةً بما أوتيت مَّرْضِيَّةًO عنده تعالى بما عملت فَادْخُلِيْ فِيْ عِبَادِيْO في سلك عبادي، أي: الصالحين من المؤمنين، فإن هذا هو عرف القرآن وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْOع معهم، فتفوز بما فازوا فوزا عظيما.

سورة البلد مكية، وهي عشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

لَا زائدة أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِO أي: مكة وَأَنْتَ يا محمد!عليك الصلاة والسلام حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِO حصل لك الحلول بها، فظهر شرفها بشرفك، أو في المستقبل حلال لك؛ أن تصنع فيها ساعة من النهار ما تريد، فتقتل من شئت من سكانه، وتحرم دار من شئت، فقتل ابن حنظل، وهو متعلق بأستار الكعبة، وجعل دار أبي سفيان مأمنا للناس، ولم يعط مثل هذا التصرف لمن قبله وَوَالِدٍ يعني: آدم وَّمَا بمعنى من، أو الذي وَلَدَO أي: ذرية المقسم عليه لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ أي: جنسه فِيْ كَبَدٍO تعب في الولادة، والرضاع، والعظام، والمعاش، والموت، والبعث، والحساب. وفيه تسلية له عليه السلام [ص953] من مكايد قريش أَيَحْسَبُ أبو الأشد بن كلدة[1] المغتر بقوته، {أو الوليد بن معيز}[2]أَنْ لَّنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌO فينتقم منه، وكان أقواهم، يقوم على جلدة، فكان يجرها عشرة رجال، لا يتحرك قدمه، ويخترق الجلدة في أيديهم، كان يظن عدم قدرة أحد عليه، فرد بقوله: أَيَحْسَبُ... يَقُوْلُ في ذلك الوقت أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًاO كثيرا عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، كان

1 – أبو الأشد بن كلدة: هو أبو الأشد بن كلدة بن أسد بن خلف الجمحي، قتل كافرا. كنيته: أبو الأعور. العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، أبو الفضل، (ت: 852هـ). نزهة الألباب في الألقاب: (ط–1، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ / 1989م). 251/2.

2 – ما بين المعقوفتين ساقط من أ و ج، والتصويب من ب.

يرشي الناس في هلاكه وإيذائه، أو سمعة ورياء في المفاخر أَيَحْسَبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌO فيجازيه، والله علام الغيوب، وهو أعلم به أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِO يبصر بهما آياتنا وَلِسَانًا يتكلم به بتوحيدنا وَّشَفَتَيْنِO يستعين بهما في النطق بالإقرار بما جاء به الرسول وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِO وبينا له طريق الخير والشر، فيختار الهداية على الضلالة، وفسر بالثديين، والنجد في الأصل المكان المرتفع فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَO أي: أنعمناه نعما كثيرة، فلم يشكر بالدخول في هذا الأمر الشديد، أي: العقبة هو في الأصل طريق في الجبل، والمراد منه ما ذكره بعده، أي: أهلك المال في العناد والكأبة، ولم ينفق في الفك والإطعام وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُO أيّ شيء هي؟ تعظيم لشأن العقبة فَكُّ رَقَبَةٍO من الرق أَوْ إِطْعَامٌ فِيْ يَوْمٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍOيَّتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍOأَوْ مِسْكِيْنًا ذَا مَتْرَبَةٍO مفعلات من السغب بمعنى الجوع، ومن القرب في النسب، ومن الترب بمعنى الفقر ثُمَّ للترتيب الذكري، عطف على اقتحم كَانَ مقتحم العقبة عند اقتحامه مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَتَوَاصَوْا أوصي كل لآخر بِالصَّبْرِ في الله ولله، لا عن الله وعلى الله وَتَوَاصَوْا كل لآخر بِالْمَرْحَمَةِO بالرأفة والعطف والوداد أُولَئِكَ الموصوفون بهذه الصفات أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِO اليمين، وقيل: اليُمن وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِآيَاتِنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِO [ص954] الشمال، وقيل: الشوم، واليمين والشمال بالنسبة إلى العرش، فمن يمينه طريق إلى الجنة، ومن شماله طريق إلى جهنم عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌO۶ مغطية مطبقة بحيث لا يخرج دخان منها ولا حرارة، من أصادت الباب، أي: أغلقته وأطبقته.

سورة الشمس مكية، وهي خمس عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالشَّمْسِ الواو للقسم وَضُحَاهَاO أي: ضوءها عند شروقها قبل أن ينتصف النهار وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَاO أي: إذا تلى القمر الشمس، أي: طلوعه غروبها في أول الشهر، أو عند كونه مدبرا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَاO أي: الشمس بامتداده، أو الظلمة، أو الأرض، أو الدنيا، وإن لم يذكر قبل إلا أنه معلوم وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَاO يغطي ضوءها وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَاOوَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَاO أي: بسطها ومدها وَنَفْسٍ أي: آدم، أو جنسها وَّمَا سَوَّاهَاO أي: أتم خلقته، وكلمة ما في الثلاثة بمعنى من، أي: الله، أو مصدرية فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا شرها وَتَقْوَاهَاO خيرها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَاO جواب القسم بتقدير لقد أفلح، والأظهر أنه محذوف، أي: ليُدَمْدِمَنَّ الله على مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على مكذبي صالح عليه السلام، فعلى هذا قد أفلح كلام تابع لقوله فألهمها

فجورها وتقواها، وتزكيتها تطهيرها بالحكمة العلمية والعملية وَقَدْ خَابَ أي: خسر مَنْ دَسَّاهَاO نقصها وأخفيها بالجهل والفسوق، أصله: دسّسها؛ بالسينين، فأبدلت الثانية بالألف تخفيفا، كما في تقضّي البازي، أصله: تقضض، وفاعل التطهير والتدسية العبد، وقال عكرمة: الله كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ صالحا بِطَغْوَاهَاO بسبب طغيانها، قلبت الياء واوا، تفرقة بين الاسم والصفة إِذِ انْبَعَثَ حين قام لعقر الناقة برضاهم أَشْقَاهَاO قدار ابن سالف كان أشقي وأرزق قصيرا أشقي ثمود [ص955] فَقَالَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ أي: صالح عليه السلام: ذروا نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَاO شربها، ولا يمنعوها في يومها، وكان لها يوم، ولهم يوم، وأخبرهم بنزول العذاب بالمنع عن يومها فَكَذَّبُوْهُ في ذلك الخبر فَعَقَرُوْهَا العاقر: قدار، والباقون راضين عنه فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أي: أطبق العذاب، وأرسل الهلاك بالمرة بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَاO أي: سوّي الدمدمة بين الصغار والكبار، والذكور والإناث، أي: عمهم وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَاOع أي: لا يخاف الله عاقبة هذه الدمدمة وما يتبعها.

سورة الليل مكية، وهي إحدى وعشرون آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَاللَّيْلِ الواو للقسم إِذَا يَغْشَىO النهار، أو كل شيء يواريه بظلامه وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىO عن ظلمة اليل وَمَا أي: ومن خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىOإِنَّ سَعْيَكُمْ في الأعمال لَشَتَّىO لمختلف في الحسن والقبح، جمع شتيت، فسره بقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ما لله وَاتَّقَىO ما ليس لله وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىO بلا إلٰه إلا الله، أو بملة الإسلام، أو بالجنة في الموضعين فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىO فسنهيّئه للخصلة المؤدية إلى الجنة وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بحقوقه تعالى وَاسْتَغْنَىO عن النعيم الأخروي بالاشتغال بالشهوات الدنيوية وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىOفَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىO فسنهيّئه للخصلة المؤدية إلى النار وَمَا يُغْنِيْ عَنْهُ مَالُهُ أي: ما يغني عن عذاب ماله إِذَا تَرَدَّىO أي: هلك، أو سقط منكوسا في جهنم، أو حفرة القبر إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىO بيان طريقة الهداية وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُوْلَىO فإنما نفع الاهتداء وضر الضلال لأهلهما، فمن طلب عن غيرنا فقد أخطأ فَأَنْذَرْتُكُمْ خوفتكم يا أهل مكة! نَارًا تَلَظَّىO تتلهب، أصله: تتلظى، حذفت أحد التائين للتخفيف لَا يَصْلَاهَا أي: لا يدخلها مؤبدا إِلَّا الْأَشْقَىO أي: الشقى الَّذِيْ كَذَّبَ بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وَتَوَلَّىO وأعرض عن قبولهما، أي: الكافر، وقيل: أبو جهل، أو أمية بن خلف وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِيْ يُؤْتِيْ [ص956] مَالَهُ يَتَزَكَّىO سيبعد من النار متقي الشرك والمعاصي؛ الذي يؤتي ماله لوجه الله؛ لا سمعة ولا رياءا، يَتَزَكَّى بدل من يُؤْتِيْ وَمَا

لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَىOإِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىO وليس لأحد عند الأتقى نعمة تجزى بها، ويكافئ بها لكن فعل ابتغاء به وجه ربه الأعلى بعلو المكانة وَلَسَوْفَ يَرْضَىO٤ أي: سوف يلاقي بثواب يرتضيه، قيل: نزلت الآيات في الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا، وأعتقه لما كانوا يعذبونه على إيمانه، فقالوا: كان لبلال عليه يد، ولذا أعتقه، فرد بقوله: وَمَا لِأَحَدٍ... والظاهر أن الاستثناء منقطع، ويمكن أن يكون متصلا، أي: لم يأت ماله إلا ابتغاء وجه الله، وقيل: الضمير في عنده إلى الله تعالى.

سورة الضحى مكية، وهي إحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالضُّحَىO الواو للقسم، هو وقت ارتفاع الشمس قبل منتصف النهار، أو المراد كله وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى سكن أهله، أو ركد ظلامه مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىO أي: ما تركك، وما أبغضك، جواب للقسم، استبطأ الوحي خمسة عشر يوما لتركه الاستثناء، كما مر في سورة الكهف في قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ﴾[1]، أو لغيره، قال الكفار: إن رب محمد صلى الله عليه وسلم قد ودّعه وقلاه، فنزلت ردا لقولهم. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُوْلَىO أي: ما هيّأ لك من الكرامات في الآخرة خير لك مما فتح لك من البلاد في الدنيا وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ مرتبة تفوق الكل، وأصله: لأنت سوف يعطيك ربك، لأن اللام للابتداء فَتَرْضَىO بالسابق واللاحق، تقول: يكفيني هذا العطاء، قال عليه السلام: ((إِذًا لَا أَرْضَى، وَاحَدٌ مِنْ أُمَّتِي فِيْ النَّارِ))[2] أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا من الوجود بمعنى العلم، أي: مات أبواك فكنت يتيما فَآوَىO أي: ضمك إلى عمك أبي طالب فكفلك وَوَجَدَكَ ضَالًّا على

---

1 –جزء من الآية، وتمامها: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّيْ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ سورة الكهف، الآية: 24.

2 – ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، أبو محمد، الأندلسي، (ت: 542هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (ط–1، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ). 494/5. (ب) الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، (ت: 875هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (ط–1، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ). 601/5.

باب مكة حين قصدت حليمة[1] أن تردك [ص957] إلى جدك، أو في طريق الشام حين خرجت مع أبي طالب، أو فاقد الشريعة الجديدة، وما طريقة السمع فَهَدَىO إلى جدك، أو عمك، أو بإعطاء الشريعة الغراء والدين القويم يبهر كل شريعة ودين وَوَجَدَكَ عَائِلًا فقيرا فَأَغْنَىO بالغنائم، أو بمال خديجة رضي الله عنها، أو بربح التجارة فَأَمَّا الْيَتِيْمَ فَلَا تَقْهَرْO فلا تغلبه بأخذ ماله، وحقه لضعفه وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْO فلا تزجره، فابذل ولو كان قليلا، أو ردّ جميلا وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بالنبوة وما يتبعها من الفضائل وغيرها فَحَدِّثْOع فإن التحديث بها شكر المنعم.

سورة الانشراح مكية، وهي ثمان آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَO استفهام إنكاري، أي: شرحنا صدرك، وفسحنا قلبك بالنبوة وما يتبعها وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَO حططنا ثقلك؛ هو إعياء النبوة والقيام بحقوقها، وقيل: زلة ترك الأفضل وإتيان الفاضل الَّذِيْ أَنْقَضَ ظَهْرَكَO أثقله من شدائد سخت له قبل البعثة أو بعدها من الأمة أو من الله وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَO في الأذان والإقامة والخطب، وجعل يده يده، وطاعته طاعته، ونسب فعله إلى نفسه، في مثل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[2] فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ هو ما قاساه من المشركين يُسْرًاO بنصره عليهم إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًاO تأكيد وتقرير، وقيل: إن النكرة إذا أعيدت كانت غير الأولى، والمعرفة إذا أعيدت كانت عين الأولى، ولذا روي: ((لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ))[3]، والحق أنها أكثرية فَإِذَا فَرَغْتَ من التبليغ، أو الصلاة، أو الجهاد الأصغر فَانْصَبْO فاتعب بشكر منصب النبوة، أو في الدعاء، أو بالجهاد الأكبر وَإِلَى فضل رَبِّكَ فَارْغَبْOع بالسؤال عنه، لا عن غيره.

---

1 – حليمة: هي حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب هو عبد الله ابن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناضرة بن سعد، أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، هي التي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكملت رضاعه، ورأت له برهانا وعلما جليلا، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم. ابن عبد البر: المصدر السابق. 1813/4.

2 –جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ﴾ سورة الأنفال، الآية: 17.

3 – (أ) الحاكم: المرجع السابق. كتاب التفسير، تفسير سورة ألم نشرح، رقم الحديث: 3950. 575/2. (ب) البيهقي: المصدر السابق. باب في الصبر على المصائب زعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات. رقم الحديث: 9541. 561/12.

سورة التين مكية، وهي ثماني آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

[ص958] وَالتِّيْنِ الواو للقسم، وهو ثمرة بها يتفكه ويتغذى ويتداوى، كثير النفع، يزيل الأمراض البلغمية، ويفتح السدد وَالزَّيْتُوْنِO له دهن نافع جدا، فاكهة وإدام ودوائ، وقيل: هما اسما جبلين بالشام، أو مسجدا دمشق وبيت المقدس وَطُوْرِ اسم جبل؛ كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه سِيْنِيْنَO سينا اسم موضع فيه ذلك الجبل، وقيل: معنى سينين: المبارك، أو الحسن بالأشجار المثمرة وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِيْنِO أي: مكة، من أمن الرجل أمانة فهو أمين، وأمانة: حفظ الداخل فيه في الجاهلية والإسلام لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِيْ أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍO جواب القسم، وحسن تقويمه تعديل صورته وسيرته، واستجماع الخواص ما ليس في غيره، فهو العالم الكبير معنى، أو الإيمان؛ إذ ((مَا مِنْ مَوْلُوْدٍ إِلَّا وَقَدْ يُوْلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ))[1] ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِيْنَO من الدركات، أو هرما ضعيفا، أو مغلوب أحكام الطبيعة، والمتعلقات البشرية إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُوْنٍO غير مقطوع، أو لا يمن به عليهم في الجزاء، إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل فَمَا يُكَذِّبُكَ أيها الكافر! بَعْدُ بِالدِّيْنِO بعد ذكر أنه خلق في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر، وتنكر الدال على القدرة على البعث بالجزاء يوم القيامة، والجار والمجرور متعلق بالفعل، وقيل: ما بمعنى من، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِيْنَOع يحكم عليهم بما هم أهله.

سورة العلق مكية، وهي تسعة عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِقْرَءْ مفتتحا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَO أي: كل شيئ، ثم خص الإنسان لمزيد الاهتمام بالذكر، حيث قال: خَلَقَ الْإِنْسَانَ أي: بني آدم مِنْ عَلَقٍO جمع علقة، وهي القطعة من الدم الغليظ إِقْرَءْ تأكيد للأول [ص959] وَرَبُّكَ الْأَكرَمُO في موضع الحال الَّذِيْ عَلَّمَ الكتابة بِالْقَلَمِO وأول من خط به إدريس عليه السلام عَلَّمَ اللهُ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْO من الهدى والكتابة وسائر الصناعات قبل تعليمه تعالى إياه، قيل: الجمهور على ((أَنَّهَا أَوَّلُ سُوْرَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِغَارِ

---

1 -حقي: المرجع السابق. 153/1، 31/7.

حِرَاءَ؛ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمْ))، رواه البخاري[1]، وقيل: الجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل، ثم سورة القلم كَلَّا حقا إِنَّ الْإِنْسَانَ أي؛ أبا جهل لَيَطْغَىO ليتجاوز عن الحد أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىO أي: بسبب أن علم ذلك الإنسان نفسه مستغنيا بالمال عن الله تعالى، فراي بمعنى علم، والضمير مفعوله الأول، واستغني مفعوله الثاني، وجاز فيه أن يكون الفاعل والمفعول شيئا واحدا، ولا ينبغي أن يطغى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَىO فيجازي الطاغي بما يستحقه، والرجعى مصدر كالبشرى أَرَءَيْتَ في المواضع الثلاثة للتعجب، والخطاب عام الَّذِيْ أي: أبا جهل يَنْهَىOعَبْدًا أي: محمدا صلى الله عليه وسلم، وتنكيره للمبالغة إِذَا صَلَّىO روي أنه قال: لو رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم ساجدا لوطئت عنقه، فقصده، ثم نكص قهقري، فسئل عنه، قال: رأيت بيني وبينه خندقا من نار، لو دنوت لاحترقت أَرَءَيْتَ إِنْ كَانَ المنهي عَلَى الْهُدَىOأَوْ هي للتقسيم أَمَرَ العباد بِالتَّقْوَىO كيف ينهى عن الخير؟ أَرَءَيْتَ إِنْ كَذَّبَ الناهي حقا وَتَوَلَّىO عن الإيمان أَلَمْ يَعْلَمْ الناهي بِأَنَّ اللهَ يَرَىO ما صدر عنهما من الهدى والأمر بالتقوى، ومن التكذيب والإعراض فيجازي عليه، والشرطية المفعول الثاني لرأيت، وجواب الشرط محذوف، دل عليه جواب الشرط الثاني، ويجوز أن يكون ضمير كان للناهي، وهداه وأمره بالتقوى على زعمه، ورؤية الله تعالى متضمن بوعد ووعيد، أي: افعل الخير إنه يرى، {ولا تفعل الشر إنه يرى}[2]كَلَّا ردع عن التكذيب والتولي [ص960] لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عن هذه الرزائل لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِO السفع: قبض الشيء وجره بالشدة، لنقبضن أشعار نَاصِيَةٍ نجره بالشدة إلى جهنم، ناصية أبدل نكرة عن المعرفة كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍO وصف بالمجاز، والمراد: صاحب الناصية، ولما نهاه عن الصلاة فرآه يصلي ثانيا، فقال: ألم أنهك، فأغلظ عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أتهددني وأنا أكثر ناديا منك، لأملئن عليك هذا الوادي، إن شئت خيلا جردا، ورجالا مردا، فنزل: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُO فليطلب أهل مجلسه سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَO نحن ندعوا ونطلب ملائكة غلاظا شدادا من خزنة جهنم لإهلاكه، جمع: زبينة من الزبن، بمعنى الدفع كَلَّا ردع له عن فضول الكلام لَا تُطِعْهُ يا محمد صلى الله عليه وسلم أبا جهل في منعه الصلاة وَاسْجُدْ دم على سجودك وَاقْتَرِبْOع السجدة منه بالطاعات.

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الحديث. البخاري: المصدر السابق. باب بدء الوحي، رقم الحديث: 3، 7/1. وكتاب تفسير القرآن، باب {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، رقم الحديث: 4953. 173/6.

2 – ما بين المعقوفتين ساقط من أ و ب، والتصويب من ج.

سورة القدر مكية، وهي خمس آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أي: القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فِيْ لَيْلَةِ الْقَدْرِO أي: ليلة قدر الله الأمور فيها وقضاها، وقيل: ليلة التعظيم والشرف وَمَا أَدْرَاكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِO إعجاب لشانها لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍO أي: العمل الصالح فيها خير ثوابا من عمل ألف شهر، ليست فيها ليلة القدر ولو كان جهادا في سبيل الله، كما كان للإسرائيلي الغازي تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ أي: السفرة البررة إلى السماء الدنيا أو الأرض، حذفت إحدى التائين من أوّله وَالرُّوْحُ أي: جبرائيل، أو خلق لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، أو الرحمة فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كلِّ أَمْرٍO قضاه الله تعالى في تلك السنة إلى قابل آخر، فكلمة من للسببية سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِOع الثلاثة ما هي إلا سلام لكثرة السلام فيها من الملائكة بالمؤمنين والمؤمنات، أو لا يقدر الله فيها إلا السلامة لا البلاء. [ص961] قال ابن عباس رضي الله عنهما: حروف ليلة القدر تسعة، وكرر ثلاثا، فهي سبع وعشرون، وقيل: كاد أن ينعقد عليه الإجماع، وقيل: إنها في أوتار العشرة الأخيرة من رمضان، وقيل: تكون هواها معتدلا، وفيها قليل مطر، وصيات الكلاب تقل فيها، وشمس ضحها لا تكون في كمال اللمعان، {ودعاء تلك الليلة العفو والعافية والمعافاة}[1]، وللشيخ أبي الحسن الخرقاني قاعدة مشهورة من مشى عليها لم يخطأ خطوته.

سورة البينة مكية، وهي ثمان آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

لَمْ يَكُنِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بالله ورسوله مِنْ للبيان أَهْلِ الْكِتَابِ وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل الشيئ: من له اختصاص به وَالْمُشْرِكِيْنَ عبدة الأصنام مُنْفَكِيْنَ منتهين عن الكفر والشرك حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُO الحجة الواضحة رَسُوْلٌ بدل البينة، أي: محمد صلى الله عليه وسلم مِّنَ اللهِ يَتْلُوْا على أمته صُحُفًا قراطيس مُّطَهَّرَةًO من الباطل فِيْهَا كتُبٌ مكتوبات من الأحكام قَيِّمَةٌO مستقيمة في الحقيقة وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُO أي: ما اختلفوا في أمره صلى الله عليه وسلم إلا من بعد وجوده، فإنهم قبل البعثة كانوا متفقين في تصديقه ونصرته، فلما بعث

1 – ما بين المعقوفتين ساقط من أ و ب، والتصويب من ج.

عليه السلام اختلفوا، ففرقة صدقوه، وفرقة كذبوه، هذا شأن أصحاب الكتاب، وأما أهل الشرك فهم تمحضوا بكذبه وَمَا أُمِرُوْا في التوراة والإنجيل إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ أي: إلا أن يعبدوا الله، فحذف أن، وزيد اللام، أو ما أمروا بما فيها إلا ليعبدوا الله مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ من غير شرك ونفاق حُنَفَاءَ مائلين عن الباطل إلى الحق وَيُقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ولكنهم ما امتثلوا فحرفوا، وأضاعوا الصلاة والزكاة وَذَالِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَةِO أي: دين الملة المستقيمة إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِيْنَ يوم القيامة فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ [ص962] خَالِدِيْنَ فِيْهَا أي: مقدر خلودهم فيها أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِO الخليقة، ولعلهم يتفاوتون في العذاب بتفاوت الكفر بعد المشاركة في خلود جهنم إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِOجَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إقامة تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَدًا فيه مبالغات في مدحهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بما اعتقدوا وعملوا وَرَضُوْا عَنْهُ بالجنة والرضوان ذَالِكَ الرضوان لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُOع خافه، فانتهي عن معصية.

سورة الزلزال مكية أو مدنية، وهي ثمان آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَاO أي: حركت تحريكا مناسبها لعظمها، أو المقدر لها عند النفخة الأولى أو الثانية وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَاO كنوزها وأمواتها، والثقل: متاع البيت وَقَالَ الْإِنْسَانُ المنكر للبعث مَا لَهَاO إنكارا لتلك الحالة لعدم اعتقاده بالبعث يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ الخلق بلسان الحال أو القال أَخْبَارَهَاO بالخير والشر على ما عملوا على ظهرها ، أو أخبار زلزالها وإخراجها بِأَنَّ الباء للسببية رَبَّكَ أَوْحَى لَهَاO كيفية أعمال العباد عليها، أو أخبار الزلزال والإخراج يَوْمَئِذٍ يَّصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا أي: يوم القيامة يرجع الناس عن الموقف متفرقين إلى الجنة والنار، أو من مخارجهم إلى الموقف بيض الوجوه وسودها لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْO أي: جزاء ما عملوا فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ زنة نملة صغيرة، أو ذرة في الهواء خَيْرًا يَّرَهُO أي: ثوابه وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهُOع أي: عقابه، لعل حسنة الكافر وسيئة المؤمن لها أثر في تنقيص العقاب والثواب، وهذه آية جامعة. [ص963]

سورة العديت مكية، وهي إحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالْعَادِيَاتِ الواو للقسم، أي: الخيل للغزاة إذا تعدوا ضَبْحًاO هو صوت التنفس عند العدو، أو صوت الجوف، منصوب بفعل مقدر، أي: يضبحن ضبحا، أو على الحال فَالْمُوْرِيَاتِ الإيراء: إخراج النار من الزند حجرا أو شجرا قَدْحًاO هو ضرب الحديد بالحجر لإخراج النار، أي: الخيل المخرجات النار بضرب الحوافر على الأحجار؛ إذا سارت بالليل في أرض ذات حجارة، ونصبه كنصب ضَبْحًا فَالْمُغِيْرَاتِ صُبْحًاO أي: الخيل الناهبات على العدو وقت الصبح، أي: ينهب أصحابها فَأَثَرْنَ فهيَّجن بِهِ بذلك الوقت، أو بمكان العدو نَقْعًاO غبارا فَوَسَطْنَ بِهِ أي: بالنقع، أو بذلك الوقت، أو بالعَدْوِ جَمْعًاO من العدوّ، أي: صرن وسط جمع العدو للحراب، وعطف الفعل على الاسم؛ لأنه في حكمه، أي: عدون فأورين فأغرن فأثرن إِنَّ الْإِنْسَانَ الكافر لِرَبِّهٖ لَكَنُوْدٌO كفور، غير شكور، جواب القسم وَإِنَّهُ أي: الإنسان عَلَى ذَالِكَ أي: على كنوده لَشَهِيْدٌO يشهد على نفسه بظهور آثاره عليه، أو الله على كنوده لشهيد، فهو وعيد وَإِنَّهُ أي: الإنسان لِحُبِّ الْخَيْرِ أي: المال لَشَدِيْدٌO لبخيل، أو لقوي؛ مبالغ في حب المال أَفَلَا يَعْلَمُ الإنسان إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُوْرِO أخرج، أي: بعث الموتى، والراء مزيدة للإلحاق، وما بمعنى من وَحُصِّلَ ميّز وأفرز مَا فِي الصُّدُوْرِO من الخير والشر، والإيمان والكفر إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيْرٌO[ع] عالم، فيجازيهم حسب علمه وعملهم.

سورة القارعة مكية، وهي إحدى عشر آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

الْقَارِعَةُO من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها مَا الْقَارِعَةُO أيّ شيء هي؟ والجملة خبر القارعة، وفيه تهويل لشأنها وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُO وما أعلمك أيّ شيء هي؟ فيه [ص964] زيادة تهويل لشأنها، مبتداء وخبر، والجملة الثانية المفعول الثاني لأدري تقرع يَوْمَ يَكُوْنَ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوْثِO هي طويرات على السراج، يموج بعضها في بعض كالجراد، تشبيه في الكثرة والانتشار والاضطراب للحيرة من أن يدعون إلى الحساب، والبث: النشر وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

الْمَنْفُوْشِOكالصوف المصبغ ألوانا، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَّحُمْرٌ﴾[1] المندوف؛ تفرقت أجزاؤها في الجو للخفة، أو تلاصقت بالأرض فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُO ترجحت حسناته على سيئآته في مقدار أنواعها، جمع: ميزان، والمراد: الموزون فَهُوَ فِيْ عِيْشَةٍ في حياة رَّاضِيَةٍO ذات رضاء، أو مرضية صاحبها؛ يعني: في الجنة وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُO بأن ترجحت سيئآته على حسناته، أو عدمت الحسنة فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌO فمأواه ومسكنه جهنم وَمَآ أَدْرَاكَ مَاهِيَهْO أي: ما هاوية هذه؟ وهاء ماهيه؛ هاء للسكتة نَارٌ حَامِيَةٌOع شديد الحرارة.

سورة التكاثر مكية، وهي ثمان آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُOحَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَO شغلكم عن طاعة الله التباهي بكثرة الأموال والأولاد حتّى عددتم المقابر، أي: من فيها من الموتى؟ قيل: تفاخر بنو عبد المناف وبني سهم، فغلبوهم في الكثرة، فقالوا: قتل منا في الجاهلية كذا، فعدوا موتاهم، فنزلت، وقيل: شغلكم عنها التكاثر حتّى متم، ودخلتم مقابركم كَلَّا ردع عن اهتمام سعي الدنيا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَO عند الموت، بأيّ شيء شغلتم؟ وأضعتم أعماركم ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَO في القبور، أو عند النشور، ما عاقبة شغل الدنيا؟ كَلَّا حقا لَوْ تَعْلَمُوْنَ ما بين أيديكم عِلْمَ الْيَقِيْنِO علم الأمر اليقيني، والجواب لما ألهاكم التكاثر، بل شغلتم بطاعة الله تعالى لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَO جواب لقسم محذوف، [ص965] أي: والله لترون الجحيم من بعيد من غير ورود ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِO أي: الرؤية التي هي نفس اليقين، أو مصدر من غير لفظه، فإن رأى وعاين بمعنى واحد، أي: إذا وردتم فيها، أو المراد من الأولى المعرفة، ومن الثاني الإبصار ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِOع الذي صار سبب الشغل عن طاعة الله تعالى، وأيّ نعمة أعلى من الصحة والفراغ؟ فبم أفنيتموهما؟

---

1 –جزء من الآية، وتمامها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌ﴾ سورة فاطر، الآية: 27.

سورة العصر مكية، وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَالْعَصْرِO الواو للقسم، والمراد: صلاة العصر، أي: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو عصر النبوة، أو الدهر لاشتماله على الأعاجيب إِنَّ الْإِنْسَانَ أي: جنسه لَفِيْ خُسْرٍO في تجاراتهم بإبدال النفيس بالخسيس، من طاعة الله ورسوله، وطاعة الشيطان إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا وَتَوَاصَوْا بينهم بِالْحَقِّ بالإيمان وطاعة الله وَتَوَاصَوْا بينهم بِالصَّبْرِO ع على مشاق الطاعات، وعن المعاصي والسيئآت.

سورة الهمزة مكية، وهي تسع آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

وَيْلٌ كلمة عذاب، أو اسم واد في جهنم لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍO بناء فعلة للاعتياد، أي: الذين اعتادوا بغيبة الناس والطعن في المواجهة، نزلت في الأخنس بن شريق، وأمية بن خلف، ووليد بن المغيرة، كانوا يغتابون النبي صلى الله عليه وسلم، ويواجهون بالطعون والأضاحيك الَّذِيْ بدل من كل جَمَعَ أحصى مَالًا وَّعَدَّدَهُO جعله عدة للنوازل يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُO أي: ماله يجعله خالدا في الأرض؛ لا يموت كَلَّا ردع عن هذا الحسبان لَيُنْبَذَنَّ ليطرحن فِي الْحُطَمَةِO في دركة من النار، تكسر وتحرق ما يقع فيها، جواب قسم محذوف [ص966] وَمَا أَدْرَاكَمَا الْحُطَمَةُO ما أعلمك أيّ شيء الحطمة؟ تهويل لشأنها، هي نَارُ اللهِ الْمُوْقَدَةُOالَّتِيْ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِO التي تشرف وتعلوا في أجوافهم حتّى تصل إلى صدورهم، وتطلع على أوساط القلوب، فألم إحراق القلب أشد من آلام إحراق الأعضاء الآخر للطأفة إِنَّهَا أي: النار، أو الحطمة عَلَيْهِمْ ضمير الجمع باعتبار معنى الكل مُّؤْصَدَةٌO مطبقة مغلقة الباب؛ لا انفتاح له، موثقين فِيْ عَمَدٍ في أساطين مُّمَدَّدَةٍO ع على عرض الباب حتّى لا يقدر على فتحه.

سورة الفيل مكية، وهي خمس آية.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

أَلَمْ تَرَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيْلِO ما رأى هذه الواقعة، لأنها وقعت سنة مولده، لكن شاهد آثارها، والواقعة: أن أبرهة بن أبي الصباح[1]؛ ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي[2]، بنى بيعة بصنعاء، وكللها بالجواهر، ليصرف من الكعبة وجوه الحاج إليها، وسماها بالقليس[3]، وشق على القريش هذا الأمر، فقام رجل من كنانة ليستخدمها، فليلة أحدث فيها، ولطخها بالعذرة، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة بسوء ما فعل بقبلته، فخرج مع العسكر والأفيال، أعظمها فيل مسمى بالمحمود، فكلما وجّهها إلى مكة انصرف إلى غيرها، وأهل مكة ناظرون من شهق الجبال، حتّى ظهرت الطيور من جانب البحر، في منقار كل حجر، وفي رجلي كل حجران، أكبر من العدس وأصغر من الحمص، فرمتهم، فيقع في رأس كافر، ويخرج من دبره، فهلكوا جميعا أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ مكرهم في هدم الكعبة فِيْ تَضْلِيْلٍO في إضاعة وَّأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيْلَO جماعات منضمة طائفة بطائفة، جمع إبالة بمعنى الحزمة، شبهت الطير بها في التضام، وقيل: لا واحد لها، كعباديد وشماطيط، وقيل: واحدها أبوّل كعجوّل، أو أبّال كفتّاح، أو إبّيل، كسكين تَرْمِيْهِمْ

---

1 – أبرهة بن الصباح: إن أبرهة هذا هو أبرهة بن الصباح الحميري، وليس بأبي يكسوم الحبشي، وإن الحبشة كانوا قد أمروا أبرهة بن الصباح على اليمن. السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، (ت: 581هـ). الروض الأنف: (ط–1، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ / 2000م). 119/1.

2 – أصحمة النجاشي: هو ملك الحبشة أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخباره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وكبر عليه أربعا. وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة، مثل كسرى للفرس، وقيصر للروم. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة: المرجع السابق. 252/1.

3 – القليس: تصغير قلس وهو الحبل الذي يصير من ليف النخل أو خوصه، لما ملك أبرهة بن الصباح اليمن بنى بصنعاء مدينة لم ير الناس أحسن منها ونقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر، وجعل فيه خشبا له رؤوس كرؤوس الناس، ولككها بأنواع الأصباغ، وجعل لخارج القبة برنسا، فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلألأ رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تلمع البصر وسماها القليس بتشديد اللام. الحموي: المصدر السابق.394/4.

بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيْلٍO [ص967] معرب سنك كل، أي: الطين المطبوخ، وهو المتحجر فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُوْلٍO٤ كورق زرع أكلته الدواب، أو الدود، أي: أهلك كل واحد بحجره، يخرق البيضة والرجل وفيله، ويقع على الأرض.

سورة القريش مكية، وهي أربع آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍOاِيْلَافِهِمْ الجار والمجرور متعلق بيعبد، وهو مصدر آلف؛ بالمد، وقيل: متعلق بمحذوف، أي: أعجبوا، وقيل: متعلق بجعلهم المتقدم، وفي مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه[1] هما سورة واحدة، وقريش: تصغير قرش، وهي دابة بحرية عظيمة، تغلب ولا تغلب، تغشى السفن، وهم أولاد نضر بن كنانة، لقبوا به لغلبتهم على أمثالهم، وقيل: القرش: الكسب؛ كانوا كسابين يتجرون، والتصغير للتعظيم، والإيلاف الثاني تأكيد للأول، أو بدل منه، بدل الخاص من العام رِحْلَةَ الشِّتَاءِ إلى اليمن وَرحلة الصَّيْفِO إلى الشام، ونصب رحلة على أنه مفعول به لإيلافهم، وكان القريش في كل عام يحصلون بالتجارتين، ما يتمكنون من الإقامة بمكة لخدمتها لفخرهم بها، وكانوا آمنين، لا يغار عليهم، لأنهم أهل حرم الله تعالى بخلاف غيرهم، والفاء في فَلْيَعْبُدُوْا قيل: زائدة، وقيل: في الكلام من معنى الشرط، أي: نعمه تعالى عليكم لا تحصى، فإن لم تعبدوا لسائر نعمه فليعبدوا لأجل إيلافهم هذين الرحلتين رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِOالَّذِيْ أَطْعَمَهُمْ بسبب التجارتين مِّنْ جُوْعٍ أصابهم حتّى أكلوا الجيف والعظام فيه وَّآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍO٤ من جيش الفيل، وقيل: لفظ من في الموضعين بعدية، أي: بعد جوع وبعد خوف.

1- أبي بن كعب رضي الله عنه: هو أبي بن كعب بن قيس بن عبد المنذر، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يكتب له الوحي، وهو أحد الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر الله عز وجل نبيه أن يقرأ عليه القرآن، وقال عمر في حقه: هذا سيد المسلمين. الجوزي: المرجع السابق. 8/5.

سورة الماعون مكية، وهي سبع آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

أَرَءَيْتَ الَّذِيْ يُكَذِّبُ بِالدِّيْنِO نزلت في أبي جهل، أو أبي سفيان، أو الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل، أي: هل عرفت [ص968] الذي يكذب بالجزاء والحساب، أو الإسلام؟ فإن لم تعرفه فَذَالِكَ الَّذِيْ يَدُعُّ الْيَتِيْمَO أي: فهو ذلك الدافع لليتيم بالعنف عن حقه، كان أبو جهل وصيا ليتيم، فجاءه عريانا، فسأله من مال نفسه، فدفعه بعنف وَلَا يَحُضُّ أي: لا يرغب نفسه ولا أهله ولا غيره، ومنه التحضيض عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِO نحر أبو سفيان جزورا، فسأل يتيم لحما، فقرعه بعصاه لجزمه بعدم الجزاء فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْنَO بالرياء، هم ابن أبي وأصحابه الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُوْنَO يؤخروها عن أوقاها لعدم مبالاتهم بالصلاة، التي هي عماد الإسلام، ومعراج المؤمنين الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاءُوْنَO الناس صوالح الأعمال من غير إخلاص وَيَمْنَعُوْنَ الْمَاعُوْنَOع الزكاة، أو أثاث البيت كالإبرة والفأس والقدر والقصعة، ومعنى الفاء في فويل إن منع اليتيم والمسكين لما كان موجبا للذم، فتارك أركان الإسلام أحق بالذم.

سورة الكوثر مكية، وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ يا محمد! عليك الصلاة والسلام الْكَوْثَرَO الكثير المفرط من الخير، أي: العلم والعمل، وما به شرف الدارين، وقيل: إنه حوض في الجنة، وروي: ((إِنَّهُ نَهْرٌ فِيْهَا مَاؤُهُ أَحْلَى وَأَبْيَضُ وَأَبْرَدُ وَأَلْيَنُ مِنَ الْعَسْلِ، وَاللَّبَنِ وَالثَّلْجِ وَالزَّبَدِ))[1]، وقيل: أولاده، أو أتباعه، أو علماء أمته، أو القرآن فَصَلِّ لِرَبِّكَ دم على الصلاة مخلصا؛ لا ساهيا ومرائيا وَانْحَرْO البدن باسمه تعالى، وتصدق على المحتاجين، ولا تكن ممن منع الماعون، أو صل العيد، وانحر الأضحية إِنَّ شَانِئَكَ أي: مبغظك هو العاص بن وائل، سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه قاسم رضي الله عنه هُوَ الْأَبْتَرُOع لا عقب له من النسل، وحسن الذكر على الألسنة، [ص969] فأما أنت يا نبي الله! فيبقى نسلك وذكرك بالخير إلى يوم القيامة.

---

1 – ذكر المؤلف مفهوم الأحاديث العديدة؛ التي وردت فيها ذكر حوض الكوثر.

سورة الكافرون مكية، وهي ست آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَO الذين في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون أبدا، نزلت في رهط من المشركين، قالوا: يا محمد صلى الله عليه وسلم! اعبد آلهتنا سنة؛ نعبد إلٰهك سنة لَا أَعْبُدُ في الحال مَا تَعْبُدُوْنَO من الأصنام وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ في الحال مَا أَعْبُدُO أي: الله وحده، وإطلاق ما عليه تعالى على جهة المقابلة، أو المراد: الحق والباطل وَلَا أَنَا عَابِدٌ في الاستقبال مَّا عَبَدْتُّمْO من الأصنام وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُوْنَ في الاستقبال مَا أَعْبُدُO أي: الله، ولم يقل ما عبدت لعدم كونه عليه السلام موسوما بعبادة الله قبل البعثة بخلافهم، فإنهم كانوا موسومين بعبادة الأصنام لَكُمْ دِيْنُكُمْ الشرك، وتختمون عليه وَلِيَ دِيْنِOۤ الإسلام، أختم عليه، وليس فيه إذن بالكفر، ولا منع عن الجهاد؛ ليكون منسوخا بآية السيف، إلا أن يأول بالمتاركة، وتقرير كل كلا على دينه.

سورة النصر مدنية، وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ إظهارك على القريش وَالْفَتْحُO فتح مكة، أو نصر المؤمنين، وفتح البلاد وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُوْنَ فِيْ دِيْنِ اللهِ أَفْوَاجًاO جماعة بعد جماعة، وكانوا قبل فتح مكة يدخلون واحد بعد واحد، أو اثنان بعد اثنين، ويدخلون حال على أنه بمعنى أبصرت، أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت، والتعبير بالماضي لتحققه في علمه تعالى فَسَبِّحْ متلبسا بِحَمْدِ رَبِّكَ لنعمه تيسيره تعالى ما لم يكن محظورا ببالك وَاسْتَغْفِرْهُ وكان عليه الصلاة والسلام بعد نزولها يكثر سبحان الله وبحمده أستغفر الله، وعلم بها أنه اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان [ص970] سنة ثمان، ووفاته عليه الصلاة والسلام سنة عشر في ربيع الأول، واستغفاره لاستقصاره عمله، أو لالتفاته إلى غيره، وعنه صلى الله عليه وسلم: ((إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ))[1] إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًاOۤ لمن استغفر رجاعا بالمغفرة بقبول التوبة.

---

1 – (أ) الطبراني: المعجم الأوسط: (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة بدون سنة النشر). باب الباء، من اسمه بكر، رقم الحديث: 3173. 288/3. (ب) ابن

سورة اللهب مكية، وهي خمس آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

تَبَّتْ يدَا أَبِيْ لَهَبٍ خسرت وهلكت ذات أبي لهب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوْا بِأَيْدِيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، أو الجارحتان لأخذه حجرا ليرمي إليه صلى الله عليه وسلم وَّتَبَّO إخبار لقبول الدعاء عليه، أي: خسر، روي: أنه لما نزل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ﴾[2]، دعاهم لينذر، فقال أبو لهب: تبا لك، أ لهذا دعوتنا؟ وأخذ حجرا كبيرا ليرميه به، فنزلت، واسمه: عبد العزى، وفي الكنية إشعار بكونه جهنميا مَا أَغْنَى بمعنى ما يغنى، عبر بالماضي لتحقق وقوعه عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَO أي: ماله التالد والطارق، أو ولده عتبة، رد لما قاله حين خوفه النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب: إن كان ما يقول ابن أخي صادقا فأنا أفتدي عنه بمالي وولدي سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍO اشتعال وَّامْرَأَتُهُ عطف على مستكن في سيصلى، أم جميل أخت أبي سفيان بن الحرب[3] حَمَّالَةَ الْحَطَبِO المشوك بالشوك، لتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، ليتأذى رجله المباركة، أو حطب جهنم فِيْ جِيْدِهَا عنقها حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍOٰ أي: مما مسد، وفتل من الليف، أو الجلد فتلا شديدا، تصوير لتحقير شأنها، تربط حزمة الحطب المشوك بالحبل في الجيد، كما يفعل الحطابون، لتجزع هي وبعلها، وهما في بيت العز والشرف، أو بيان حالها في جهنم، تربط بسلاسل من حطب جهنم، كالزقوم والضريع عنقها، وتجر إلى قعرها. {نعوذ بالله منها}[4]. [ص971]

المبارك: عبد الله، أبو عبد الرحمن، الحنظلي، (ت: 181هـ). الزهد والرقائق لابن المبارك: (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة النشر). رقم الحديث: 1137. ص:400. (ج) البيهقي: الدعوات الكبير: (ط-1، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2009 م). رقم الحديث: 166. 241/1.

1 - جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة البقرة، الآية: 195.

2 - سورة الشعراء، الآية: 214.

3 - أم جميل أخت أبي سفيان بن الحرب: أم جميل بنت حرب، هي حمالة الحطب المذكورة في القرآن، وهي زوجة أبي لهب. الأندلسي: المصدر السابق. ص:344.

4 - ما بين المعقوفتين ساقط من ب و ج، والتصويب من أ.

سورة الإخلاص مكية، وهي أربع آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

سألوه صلى الله عليه وسلم عن وصف الرب، الذي يدعو الناس بعبادته، فنزلت: قُلْ يا محمد صلى الله عليك وسلم! هُوَ مبتداء اللهُ خبر أَحَدٌO بدل منه، أو خبر ثان، أو الضمير للشان، والجملة خبر المبتداء، والأحد بمعنى الواحد، وأصله: وحد، قلبت الواو همزة لوقوعها طرفا، والدليل على الوحدانية من جهة العقل، إن الواحد إما أن يكون كافيا في التخليق والتدبير، أو لا، فإن كان الآخر صانعا؛ وذلك نقص، والناقص لا يكون إلٰها، وإن لم يكن كافيا فهو ناقص اللهُ الصَّمَدُO فعل بمعنى مفعول، أي: المقصود إليه في الحوائج كلها، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته لَمْ يَلِدْ لعدم المجانسة والإعانة من أحد وَلَمْ يُوْلَدْO لانتفاء الحدوث عنه وَلَمْ يَكنْ لَّهُ كفُوًا أَحَدٌOع أي: لم يكن أحد يكافيه ويماثله، قدم له للاهتمام بشأن نفي الكفو عن ذاته، وأخّر أحد لرعاية الفواصل.

سورة الفلق مكية، وهي خمس آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

روي: أن بنات لبيد بن عاصم اليهودي أخذن بعض مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض أضراس مشطه عليه الصلاة والسلام، فسحرن على وتر باسمه صلى الله عليه وسلم بإحدي عشر عقدة، ودسسن في بير جار تحت حجر، فمرض النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره جبرائيل عليه السلام بما فعلن، فأمر عليه الصلاة والسلام عليا رضي الله عنه ليخرج ذلك الوتر من البير، فنزلت المعوذتان، وفيهما إحدي عشر آيات، فأخذ يقرء كل آية، وينفتح عقدة منها، ووجد بعض الخفة حتّى أتم، وانحلت العقود كلها، وقام كأنما أنشط من العقال قُلْ يا محمد صلى الله عليك وسلم! أَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِO أي: المفلوق بمعنى المفروق، فإن كل ممكن فلق من ظلمة العدم [ص972] بنور الإيجاد، وأما عرفا: فهو مخصوص بالصبح، كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾[1]، أو اسم واد، أو جب في جهنم مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَO من العوالي والسوافل، فإن عالم الأمر لا شر فيه وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ أول ظلام الليل إِذَا وَقَبَO دخل في كل شيئ، فإن هذا الحال أكثر إثارة الفتنة وأقل دفعا، أو القمر

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ سورة الأنعام، الآية:96.

إذا خسف، أو الشمس إذا غربت وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِO النفث: النفخ مع شيء من الريق، وهو أقل من التفل، أي: النساء، أو النفوس السواحر وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَO٤ وهو الأسف على خير الغير ليزول عنه، واليهود كانوا حساد النبي صلى الله عليه وسلم، وفائدة القيد أن الحاسد إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه يضر المحسود، وإلا فهو ضار لنفسه مادام حاسدا.

سورة الناس مكية، وهي ست آيات.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِO

قُلْ يا محمد! عليك الصلاة والسلام أَعُوْذُ بِرَبِّ النَّاسِO خصوا بالذكر للشرف، وإلا فهو رب كل شيء مَلِك النَّاسِO مالكهم، ومدبر أمورهم إِلٰهِ النَّاسِO عطف بيان له، أو صفتان، أو بدلان، وأظهر المضاف إليه؛ فيهما زيادة للبيان مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمصدر بالكسر، سمي الشيطان الموسوس بالوسواس لكثرة ملابسة له، أي: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم؛ الذي ملكهم ومعبودهم الْخَنَّاسِO المتأخر عن القلب عند ذكر الرب، والمتجاسر عليه، وملتقمه عند نسيانه، وقيل: المستتر في الجوف الَّذِيْ يُوَسْوِسُ فِيْ صُدُوْرِ النَّاسِO في قلوبهم، أي: يحضر في القلب غير الله، وينسيه عنه مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِO٤ بيان للوسواس، قال تعالى: ﴿شَيَاطِيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[1]، أو الموصول، أو متعلق بيوسوس، أو من الجنة بيان له، والناس عطف [ص973] على الوسواس، وقيل: الناس لا يوسوسون في الصدور، وإنما الموسوس في الصدور وهو الجن، وقيل: نعم، لكن يوسوس في الظاهر، ويسري هذا في القلب، ويؤدي إليه. والله أعلم بالصواب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. {وصلى الله تعالى على سيد الكونين محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته وخدامه وتابعيه وسلم تسليما كثيرا برحمتك يا أرحم الراحمين}[2]. {هذا آخر ما قصدت في حل كتب الله العزيز مع الاعتراف بالسهو والنسيان مع الرجاء ممن يستكمل ما وقع فيه من النقصان، ونظرت نظرا ثانيا، وأصلحت ما وقفت عليه من الفساد بالمحو والإثبات، والتنقيص والازدياد، وكان تأريخ ختم النظر الثاني في الرابع عشر من المحرم الحرام، المنسلك في شهور سنة ألف ومائة وسبع وعشرين من هجرة

---

1 – جزء من الآية، وتمامها: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِيْ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوْرًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوْهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُوْنَ﴾ سورة الأنعام، الآية:112.

2 – ما بين المعقوفتين خاتمة من مخطوط أ.

خير البشر، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ما دام للمؤثر تأثير في الأثر، والحمد لله رب العالمين، أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، وعند تأليفه كنت أستمد بالبيضاوي والمدارك والجلالين والحسيني}[1]. {لا إله إلا الله محمد رسول الله}[2]. {تمت بعونه تعالى}[3]. [ص974] .

خاتمة البحث:

الحمد لله الذي وفّقني لإنجاز هذا البحث العلمي لأطروحة الدكتوراة العربية بالعنوان:"دراسة وتحقيق المخطوط: قران القرآن بالبيان للشيخ كليم الله الجهان آبادي"، الذي هو عالم جليل من أعيان القرن الثامن عشر في شبه القارة.

كان من أوّل واجباتي تصحيح النص، ليكون النص المحقق إلى أقرب صورة من نص المؤلف، ولذلك توفيت الدقة الشديدة والعناية البالغة، ثمّ حاولت قصارى جهدي في تخريج الآيات القرآنية، التي وردت في غير موضعها، وتخريج الأحاديث النبوية، والأعلام، والأماكن، والبلدان، والقبائل والشعوب.

وأخيرا اعترقت بقلة بضاعتي وقصر باعي في مجال العلم، وأستغفر الله من زلاتي، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة، وكما أرجو من أهل العلم أن يعرضوا وسصفحوا عمّا وجدوه من الإهمال، مع إني أتوقّع منهم أن ى يحرموني من إرشادهم الجليل لجبر ما انكسر، وتصحيح ما أخطأت فيه، جزاهم الله خيرا.

وعلى الآخر، أسال الله تعالى مخلصاً له، أن يجعل سعينا هذا القليل إلى الكثير بانتفاع الأمة المسلمة الكبير، وأسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفو عن عثراتي وزلاتي، ما صدرت مني في خطوات البحث والتحقيق، وما تصدر منا في حياتنا اليومية بفضله العميم، ويثبت أقدامنا على الصراط المستقيم، وأن ينفع به كل من قرأه، وضبطه، ونظر وفكّر فيه،وتدبّر. إنه مجيب الدعوات، وهو السميع العليم، وصلى الله على سيد البشر، المبعوث إلى الأسود والأحمر، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم إلى يوم الدين. آمين.

1 – ما بين المعقوفتين خاتمة من مخطوط ج.

2 – ما بين المعقوفتين ساقط من ب، والتصويب من أ و ج.

3 – ما بين المعقوفتين من مخطوط أ.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث النبويّة

فهرس الأشعار

هر که خارِ بر نهد در راه ما از دشمني هر گلِ کز باغ عمرش بشگفد بی خار باد

فهرس الأعلام

رقم المسلسل	الأعلام	رقم الصفحة
	(الألف)	
1)	آدم عليه السلام	48, 74, 78, 80, 89, 133, 159, 194, 214, 245, 289, 292, 304, 329, 340, 352, 353, 356, 376, 399, 306, 323, 331, 338, 449, 453, 464, 469, 478, 780, 490, 491, 502, 533, 541, 548, 558, 561, 562, 568, 601, 610, 611, 624, 631
2)	آذر	515
3)	آسية	590
4)	آسية امرأة فرعون	421
5)	آصف بن برخيا	414
6)	أبا ألبانة بن عبد المنذر	217
7)	أبا بكر رضي الله عنه	15, 45, 226, 535
8)	أباجهل	177, 187, 367
9)	أبا سفيان	122, 123, 136, 137, 141
10)	أبا مسعود الثقفي	428

(و)

فهرس الشعوب والقبائل

(ث)

الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

(الألف)

1) إبراهيم بن علي: أبو اسحاق، الشيرازي، (ت: 476هـ).
طبقات الفقهاء: (ط-1، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م).

2) أحمد بن إبراهيم: موفق الدين، أبو ذر، (ت: 884هـ).
كنوز الذهب في تاريخ حلب: (ط-1، دار القلم، حلب، 1417هـ).

3) أحمد بن عبد الله: الأنصاري، صفي الدين، (ت: بعد 923هـ).
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (ط-5، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر، حلب، بيروت، 1416هـ).

4) الإشبيلي: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله، أبو محمد.
العاقبة في ذكر الموت: (ط-1، تحقيق: خضر محمد خضر، دار الأقصى، الكويت، 1406هـ / 1986م).

5) الأصبهاني: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي ، أبو القاسم، (ت: 535هـ).
سير السلف الصالحين: (تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية، الرياض، بدون سنة النشر).

6) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، أبو محمد، التميمي، (ت: 327هـ).
الجرح والتعديل: (ط-1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271هـ / 1952م).

7) ابن أبي الركب: مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود، أبو ذر، الأندلسي، (ت: 604هـ).
الإملاء المختصر في شرح غريب السير: (نحقيق: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر).

8) ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر، (ت: 235هـ).
الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: (ط-1، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ).

9) ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الحسن، عز الدين، الشيباني، الجزري، (ت: 630هـ).
أسد الغابة في معرفة الصحابة: (ط-1، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، 1415هـ / 1994م).
الكامل في التاريخ: (ط-1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ / 1997م).

10) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله، (ت: 779هـ).
رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ).

11) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العباس، تقي الدين، الحنبلي، (ت: 728هـ).
مقدمة في أصول التفسير: (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1490هـ / 1980م).

12) ابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم، الغرناطي، (ت: 741هـ).
التسهيل لعلوم التنزيل: (ط-1، د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ).

13) ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، (ت: 354هـ).
صحيح ابن حبان: (ط-2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ / 1993م).

14) العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، أبو الفضل، (ت: 852هـ).
الإصابة في تمييز الصحابة: ط-1، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

15) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد، أبو محمد، الأندلسي، القرطبي، (ت: 456هـ).
جمهرة أنساب العرب: (ط-1، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ / 1983م).

16) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين، الحضرمي، الإشبيلي، (ت: 808هـ).
ديوان تاريخ ابن خلدون= المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: (ط-2، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ / 1988م).

17) ابن خلّكان: أحمد بن محمّد بن أبي بكر، أبو العباس، شمس الدين، (ت: 681هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968م).

18) ابن دريد: محمد بن الحسن، أبو بكر، الأزدي، (ت: 321هـ).
الاشتقاق: (ط-1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1411هـ / 1991م).

19) ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، زين الدين، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (ت: 795هـ).
لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: ط-1، دار ابن حزم، 1424هـ / 2004م.

20) ابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله، أبو أحمد، الخرساني، (ت: 251هـ).
الأموال: (ط-1، تحقيق: أ.د. شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل، السعودية، 1406هـ / 1986م).

21) ابن سعد: محمد بن سعد، أبو عبد الله، البغدادي، (ت: 230هـ).
الطبقات الكبرى: (ط-1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م).

22) ابن شبة: عمر بن شبة، أبو زيد، النميري، البصري، (ت: 262هـ).
تاريخ المدينة لابن شبة: (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة، 1399هـ).

23) ابن شمائل: عبد المؤمن بن عبد الحق، الحنبلي، القطيعي، البغدادي، صفيّ الدين، (ت: 739هـ).
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: (ط-1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ).

24) ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، أبو عمر، النمري، (ت: 463هـ).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب : (ط-1، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ / 1992م).

25) ابن العبري: يوحنا ابن أهرون بن توما، أبو الفرج، الملطي، (ت: 685هـ).

تاريخ مختصر الدول: ط-3، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، 1992 م.

26) ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، (ت: 571هـ).

تاريخ دمشق: (تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1415هـ / 1995م).

27) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، أبو محمد، الأندلسي، (ت: 542هـ).

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (ط-1، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ).

28) ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد، الحنبلي، أبو الفلاح، (ت: 1089هـ).

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ط-1، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ / 1986م.

29) ابن الفقيه: أحمد بن محمد بن إسحاق، أبو عبد الله، الهمداني، (ت: 365).

البلدان: ط-1، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ / 1996م.

30) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، أبو محمد، الدينوري، (ت: 276هـ).

المعارف: ط-2، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1992م.

31) ابن كثير: إسماعيل بن عمر، عماد الدين، أبو الفداء، (ت:774هـ).

البداية والنهاية: ط-1، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ / 1988م.

تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم: ط-1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

32) ابن ماجة: محمد بن يزيد، أبو عبد الله، القزويني، (ت: 273هـ).

سنن ابن ماجة: (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون سنة النشر).

33) ابن المبارك: عبد الله، أبو عبد الرحمن، الحنظلي، (ت: 181هـ).

الزهد والرقائق لابن المبارك: (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة النشر).

34) ابن منده: محمد بن إسحاق بن محمد، أبو عبد الله، العبدي، (ت: 395هـ).

معرفة الصحابة لابن منده: (ط-1، تحقيق: أ. د. عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1426هـ / 2005م).

35) ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، الإفريقى، (ت: 711هـ).

لسان العرب: (ط-3، دار صادر، بيروت، 1414هـ).

مختصر تاريخ دمشق: (ط-1، تحقيق: روحية النحاس، وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1402هـ / 1984م).

36) ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين، (ت: 749هـ).

تاريخ ابن الوردي: (ط-1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1417هـ / 1996م).

37) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد، جمال الدين، (ت: 213هـ).

السيرة النبوية: (ط-2، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1375هـ / 1955م).

38) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي، (ت: 745هـ).

البحر المحيط: (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ).

39) أبو داود: سليمان بن الأشعث، الأزدي، السجستاني، (ت: 275هـ).

سنن أبي داود: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون سنة النشر.

40) أبو سعد: عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمي، (المتوفى: 562هـ).

الأنساب: (ط-1، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ / 1962م).

41) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، (ت: 982هـ).

تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة النشر).

42) أبو الشيخ الأصبهاني: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبو محمد، الأنصاري، (ت: 369هـ).

العظمة: ط-1، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، 1408هـ.

43) أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد، عماد الدين، (ت: 732هـ).

المختصر في أخبار البشر: (ط-1، المطبعة الحسينية المصرية، بدون سنة النشر).

44) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله، الأصبهاني، (ت: 430هـ).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ).

معرفة الصحابة: (ط-1، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، 1419هـ / 1998م).

45) الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله، الشيباني، (ت: 241هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ط-1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ / 2001م).

46) الأندلسي: ابن سعيد.

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: (تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، بدون سنة النشر).

(ب)

47) البتالوي: سبحان رائى.

خلاصة التواريخ: (لاهور، 1966).

48) البخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبدالله، (ت: 256هـ).

التاريخ الكبير: (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، بدون سنة النشر).

صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: (ط-1، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ).

49) البُستي: محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم، التميمي، الدارمي، (المتوفى: 354هـ).

مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار: (ط-1، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، 1411هـ / 1991م).

50) البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، أبو محمد، الشافعي، (ت: 510هـ).

معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: (ط-1، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ).

51) البغوي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم، (ت : 317هـ).

معجم الصحابة: (ط-1، تحقيق :محمد الأمين بن محمد، مكتبة دار البيان – الكويت، 1421هـ / 2000م).

52) البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبيد، الأندلسي، (ت: 487هـ).

المسالك والممالك: (دار الغرب الإسلامي، 1992م).

53) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، أبو سعيد، الشيرازي، (ت: 685هـ).

أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي: (ط-1، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ).

54) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، (ت: 458هـ).

الدعوات الكبير: (ط-1، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2009 م).

شعب الإيمان: ط-1، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ / 2003م.

(ت)

55) الترمذي: محمد بن عيسى، أبو عيسى، السلمي، (ت: 279هـ).

سنن الترمذي: (ط-2، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ / 1975م).

56) التونسي: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ابن عاشور، (ت : 1393هـ).

التحرير والتنوير: (الدار التونسية، تونس، 1984هـ).

(ث)

57) الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، (ت: 875هـ).

الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (ط-1، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ).

58) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، (ت: 427هـ).

الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (ط-1، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422هـ / 2002م).

(ج)

59) الجلالين: جلال الدين، محمد بن أحمد، المحلي (ت: 864هـ)، وجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، (ت: 911هـ).

تفسير الجلالين: (ط-1، دار الحديث، القاهرة، بدون سنة النشر).

60) الجوزي: عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، أبو الفرج، ، (ت: 597هـ).

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: (ط-1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ / 1992م).

(ح)

61) الحاكم: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، النيسابوري، (ت: 405هـ).
المستدرك على الصحيحين: (ط-1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ / 1990م).

62) الحربي: عاتق بن غيث بن زوير، البلادي، (ت: 2010هـ).
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: (ط-1، دار مكة، مكة المكرمة، 1402هـ / 1982م).

63) حقي: إسماعيل بن مصطفى، الحنفي، (ت: 1127هـ).
روح البيان، دار الفكر، بيروت، بدون سنة النشر.

64) الحموي: ياقوت بن عبد الله، شهاب الدين، أبو عبد الله، الرومي، (ت: 626هـ).
معجم البلدان: ط-2، دار صادر، بيروت، 1995م.

65) الحِميرى: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، أبو عبد الله، (ت: 900هـ). الروض المعطار في خبر الأقطار: ط-2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980 م.

(خ)

66) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، علاء الدين، (ت: 741هـ).
لباب التأويل في معاني التنزيل: (ط-1، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ).

67) الخطيب البغدادي: أبو بكر بن أحمد بن علي، الحافظ، (ت: 463 هـ).
تاريخ بغداد: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر.

(د)

دائرة المعارف الإسلامية (الأردية): (ط-1، جامعة بنجاب، لاهور، 1389هـ / 1978م).

68) الدِّيار بَكْري: حسين بن محمد بن الحسن، (ت: 966هـ).
تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: (دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر).

(ذ)

69) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، أبو عبد الله، (ت: 748هـ).
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: (ط-2، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ / 1993م).

70) الذهبي: محمد حسين، الدكتور، (ت: 1398هـ).
التفسير والمفسرون: (مكتبة وهبة، القاهرة، بدون سنة النشر).
سير أعلام النبلاء: (دار الحديث، القاهرة، 1427هـ / 2006م).

(ر)

71) الرازي فخر الدين: محمد بن عمر، أبو عبد الله، التيمي، (ت: 606هـ).
مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ط-3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

(ز)

72) الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى.
التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (ط-2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ).

73) الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله، بدر الدين، (ت: 794هـ).
البرهان في علوم القرآن: (ط-1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1376هـ / 1957م).

74) الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، (ت: 1396هـ).
الأعلام: ط-15، دار العلم للملايين، 2002م.

75) الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم، جار الله، (ت: 538هـ).
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (ط-3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ).

76) زين الدين: محمد بن موسى بن عثمان، أبو بكر، الهمداني، (ت: 584هـ).
الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة: (تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة، 1415هـ).

(س)

77) سليمان بن خلف: أبو الوليد، القرطبي، الأندلسي، (ت: 474هـ).
التعديل والتجريح: (ط-1، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، 1406هـ / 1986م).

78) السمهودي: علي بن عبد الله بن أحمد، الحسني، الشافعي، نور الدين، أبو الحسن، (ت: 911هـ).
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: (ط-1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ).

79) السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، (ت: 581هـ).
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: (ط-1، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ / 2000م).

80) سيد محمد ذاكر حسين شاه:
المصطفى والمرتضى: (ضياء القرآن، لاهور، 2003م).

81) سيّد محمد لطيف:
تاريخ بنجاب: (لاهور، 1986).

82) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ).
الإتقان في علوم القرآن: (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة، 1394هـ/ 1974م).

(ش)

83) الشجري: يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الجرجاني (ت: 499 هـ).
ترتيب الأمالي الخميسية للشجري: ترتيب: القاضي، محيي الدين، القرشي، (ت: 610هـ). (ط-1، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001 م).

84) شُرَّاب: محمد بن محمد حسن.
المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: (ط-1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1411هـ).

85) الشربيني: محمد بن أحمد، شمس الدين، الشافعي، (ت: 977هـ). السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: مطبعة بولاق، القاهرة، 1285هـ.

86) شهزاده: أحمد أختر، الدهلوي.

تذكره اولياء هند: (ط-1، دهلي، الهند، بدون سنة النشر).

87) الشيباني: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، (ت: 241هـ).

فضائل الصحابة: (ط-1، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ / 1983م).

(ص)

88) الصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين، (ت: 764هـ).

الوافي بالوفيات: (تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ / 2000م).

89) صفي الرحمن: المباركفوري (ت: 1427هـ).

الرحيق المختوم: (ط-1، دار الوفاء، بيروت، بدون سنة النشر).

90) الصوفي: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، أبو العباس، الحسني، الأنجري، الفاسي، (ت: 1224هـ).

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ.

(ط)

91) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم، (ت: 360هـ).

مسند الشاميين: ط-1، حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ / 1984م).

المعجم الأوسط: (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة بدون سنة النشر).

المعجم الكبير: (ط-2، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون سنة النشر).

92) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الآملي، أبو جعفر، (ت: 310هـ).

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك: ط-2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.

(ع)

93) عبد الله: بن أحمد بن علي.

مختصر تفسير البغوي = معالم التنزيل: (ط-1، دار السلام، الرياض، 1416هـ).

94) عبد الحي: عبد الحي بن فخر الدين، الحسني، (ت: 1341هـ).

نزهة الخواطر: (إدارة تأليفات أشرفية، ملتان، 1413هـ / 1992م).

95) عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر، (ت: 211هـ).

المصنف = مصنف عبد الرزاق: (ط-2، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ).

96) العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، أبو الفضل، (ت: 852هـ).

الإصابة في تمييز الصحابة: (ط-1، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ).

نزهة الألباب في الألقاب: (ط-1، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ / 1989م).

97) عبد الملك بن محمد: أبو سعد، النيسابوري، (ت: 407هـ).

شرف المصطفى: (ط-1، دار البشائر الإسلامية، مكة، 1424هـ).

98) العقيلي: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ، كمال الدين، (ت: 660هـ).

بغية الطلب في تاريخ حلب: (تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بدون سنة النشر).

99) العليمي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، (ت: 928هـ).

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: (تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، بدون سنة النشر).

(غ)

100) غلام علي: آزاد، البلكرامي، (ت: 1200هـ).

مآثر الكرام: (ط-1، دائرة المصنّفين، كراتشي، باكستان، 1983).

(ف)

101) فائق: نواب كلب علي خان.
تاريخ لاهور: (لاهور، 1977).

102) الفاسي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب، (ت: 832هـ).
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: (ط-1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ / 2000م).

103) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن، البصري، (ت: 170هـ).
كتاب العين: (تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون سنة النشر).

104) الفسوي: يعقوب بن سفيان بن جوان، ، أبو يوسف، (ت: 277هـ).
المعرفة والتاريخ: (ط-2، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ / 1981م).

105) الفيروز آبادى: محمد بن يعقوب، أبو طاهر، مجد الدين، (ت: 817هـ).
القاموس المحيط: (ط-8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ / 2005م).

(ق)

106) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، (ت: 682هـ).
آثار البلاد وأخبار العباد: (دار صادر، بيروت، بدون سنة النشر).

107) القمي: الحسن بن محمد بن حسين، نظام الدين، النيسابوري، (ت: 850هـ).
غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (ط-1، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ).

108) القنوجي: محمد صديق خان بن حسن بن علي، أبو الطيب، (ت: 1307هـ).
أبجد العلوم: (ط-1، دار ابن حزم، 1423هـ / 2002م).

(ك)

109) كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، الدمشقي، (ت: 1408هـ).
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: (ط-7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ / 1994م).
معجم المؤلفين: (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة النشر).

110) كنهيا لال:
تاريخ بنجاب: (لاهور، بدون سنة النشر).

(ل)

111) لجنة من العلماء = فياض محمود، عبد القيوم، ظهور أحمد أظهر.
تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند: (لاهور، 1972).

(م)

112) مالك بن أنس: الأصبحي، المدني، (ت: 179هـ).
موطأ الإمام مالك: رواية: محمد بن الحسن الشيباني، (ط-2، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، بدون سنة النشر).

113) محمد قاسم علي:
مكتوبات الكليمي: (دهلي، 1315هـ).
محمد بن يوسف: الصالحي، الشامي، (المتوفى: 942هـ).
سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: (ط-1، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ / 1993م).

114) المسعودي: على بن الحسين بن على، أبو الحسن، (ت: 346هـ).
أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: (دار الأندلس، بيروت، 1416هـ / 1996م).

115) مسلم بن الحجاج: أبو الحسن، القشيري، النيشابوري، (ت: 261هـ).
صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة النشر).

116) المظهري: محمد ثناء الله.
التفسير المظهري: (تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412هـ).

117) المفتي: غلام سرور، اللاهوري.
خزينة الأصفياء: (ثمر هند، لكهنؤ، بدون سنة النشر).

118) مقاتل بن سليمان بن بشير: أبو الحسن الأزدي البلخى (ت: 150هـ).
تفسير مقاتل بن سليمان: (ط-1، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، 1423هـ).

119) المقدسي: محمد بن أحمد، أبو عبد الله، البشاري.
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: (ط-3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ /1991م).

120) المقدسي: المطهر بن طاهر، (ت: نحو 355هـ).
البدء والتاريخ: (مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون سنة النشر).

121) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس، تقي الدين، (ت: 845هـ).
إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: (ط-1، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ / 1999م).

122) المنجم: إسحاق بن الحسين.
آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان: (ط-1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ).

(ن)

123) نجم الدين: حاجي.
مناقب المحبوبين: (لاهور، 1312هـ).

124) النسائي: أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمان، (ت: 303هـ).

السنن: (ط-2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ / 1986م).

السنن الكبرى: (ط-1، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ / 2001م).

125) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، حافظ الدين، (ت: 710هـ).

تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (ط-1، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ / 1998م).

126) النظام: غازي الدين، النواب.

مثنوي فخرية النظام: (مخطوط، المكتبة الفاضلية، كرهي أفغانان، تيكسلا).

127) النووي: يحيى بن شرف، أبو زكريا، محيي الدين، (ت: 676هـ).

تهذيب الأسماء واللغات: (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون سنة النشر).

(هـ)

128) الهروي: علي بن أبي بكر بن علي، أبو الحسن، (ت: 611هـ).

الإشارات إلى معرفة الزيارات: (ط-1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423هـ).

129) الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، ابن الحائك، أبو محمد، (ت: 334هـ).

صفة جزيرة العرب: (مطبعة بريل، ليدن، 1884م).

(ي)

130) يوسف بن عبد الرحمن: أبو الحجاج، جمال الدين، (ت: 742هـ).

تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (ط-1، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ / 1980م).

فهرس المصادر الإنجليزية

1 - Lockhat, L. Nadir Shah Lahore 1976.

2 - Shorter: Encyclopaedia of Islam, Karachi, 1981.

3 - Zubair Ahmad. The contribution of India to Arabic literature, Lahore, 1968. Lii.

فهرس المحتويات

المحتويات	رقم الصفحة

مِنِّي السَّلَامُ إِلَى مَنْ لَّسْتُ أَنْسَاهُ وَلَا يَمَلُّ لِسَانِيْ قَطُّ ذِكْرَاهُ

فَإِنْ غَابَ عَنِّيْ فَإِنَّ الْقَلْبَ مَسْكَنُهُ وَمَنْ يَّكُوْنُ بِقَلْبِيْ كَيْفَ أَنْسَاهُ

(هو كلّ واحد من أساتذتي الكرام؛ الذي علّمني، ونلت هذه السعادة العظمى)

وصلّى الله على النبي الأمي الكريم الأمين الرؤف الرحيم، وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّهمّ ربّنا تقبّل منّا، بحرمة سيّد البشر المبعوث إلى الأسود والأحمر. آمين.

محمّد فضل حق (المحقق)